يا صاحبَ القُبَّةِ البَيضاءِ

يا صاحبَ القُبَّةِ البَيضاءِ في النَّجَـفِ
مَن زارَ قَبرُكَ واسْتَشفى لَدَيكَ شُفِي

زوروا أَبا الحَسَنِ الهادي لَعَلَّكُـــمُ
تُحظَون بالأجرِ والإقبالِ والزُّلَف

زوروا لِمَن تُسْمَعُ النَّجوى لَديهِ فَمَنْ
يَزرهُ بالقَبرِ مَلهوفاً لَديهِ كُفِـــي

إذا وَصَلْ فَاحْرِمْ قَبْلَ تَدْخُلَهُ
مُلَبِّيـاً وإسْعَ سَعْياً حَولَهُ وطُـفِ

حَتَّى إذا طِفْـــتَ سَبْعاً حَولَ قُبَّتِهِ
تأَمَّـلْ البابَ تَلْقى وَجْهَهُ فَقِـــفِ

وقُل سَلامٌ من اللهِ الســـلامِ على
أَهـلِ السلامِ وَأهلِ العلمِ والشـرَفِ

Republic of Iraq
Ministry of Higher Education & Scientific Research
Research & Development Department

جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
دائرة البحث والتطوير
قسم الشؤون العلمية

No.: الرقم: ب ت/ ٨١٦٥/٤
Date التاريخ: ٢٠/٧/٢٠٢٥

ديوان الوقف الشيعي/ دائرة البحوث والدراسات

م/ مجلة القبة البيضاء

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته...

اشارة الى كتابكم المرقم ١٣٧٥ بتاريخ ٢٠٢٥/٧/٩، والحاقاً بكتابنا المرقم ب ت ٤/ ٣٠٠٨ في ٢٠٢٤/٣/١٩، والمتضمن استحداث مجلتكم التي تصدر عن دائرتكم المذكوره اعلاه ، وبعد الحصول على الرقم المعياري الدولي المطبوع وانشاء موقع الكتروني للمجلة تعتبر الموافقة الواردة في كتابنا اعلاه موافقة نهائية على أستحداث المجلة.

...مع وافر التقدير

أ.د. لبنى خميس مهدي
المدير العام لدائرة البحث والتطوير
٢٠٢٥/ ٧ /١٧

نسخة منه الى:
- قسم الشؤون العلمية/ شعبة التأليف والترجمة و النشر.... مع الاوليات
- الصادرة

مهند ابراهيم
١٥/ تموز

إشارة إلى كتاب وزارة التعليم العالي والبحث العلمي / دائرة البحث والتطوير
المرقم ٥٠٤٩ في ٢٠٢٢/٨/١٤ المعطوف على إعمامهم المرقم ١٨٨٧ في ٢٠١٧/٣/٦
تُعدّ مجلة القبة البيضاء مجلة علمية رصينة ومعتمدة للترقيات العلمية.

فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية العدد(٨)
السنة الثالثة صفر الخير ١٤٤٦هـ آب ٢٠٢٥م
تصدر عن دائرة البحوث والدراسات في ديوان الوقف الشيعي

المشرف العام
عمار موسى طاهر الموسوي
مدير عام دائرة البحوث والدراسات

رئيس التحرير
أ . د . سامي حمود الحاج جاسم
التخصص/تاريخ إسلامي
الجامعة المستنصرية/ كلية التربية

مدير التحرير
حسين علي محمّد حسن
التخصص/لغة عربية وآدابها
دائرة البحوث والدراسات/ديوان الوقف الشيعي

هيأة التحرير
أ . د . علي عبد كنو
التخصص / علوم قرءان /تفسير
جامعة ديالى / كلية العلوم الإسلامية
أ . د . علي عطية شرقي
التخصص/ تاريخ إسلامي
جامعة بغداد/ كلية التربية ابن رشد
أ . م . د . عقيل عباس الريكان
التخصص/ علوم قرءان تفسير
الجامعة المستنصرية/ كلية التربية الأساسية
أ . م . د.أحمد عبد خضير
التخصص/ فلسفة
الجامعة المستنصرية / كلية الآداب
م.د. نوزاد صفر بخش
التخصص/ أصول الدين
جامعة بغداد/ كلية العلوم الإسلامية
أ.م . د . طارق عودة مري
التخصص/ تاريخ إسلامي
جامعة بغداد/ كلية العلوم الإسلامية

هيأة التحرير من خارج العراق
أ . د . مها خير بك ناصر
الجامعة اللبنانية / لبنان/لغة عربية..لغة
أ . د . محمّد خاقاني
جامعة اصفهان / إيران / لغة عربية..لغة
أ . د . خولة خمري
جامعة محمّد الشريف / الجزائر /حضارة وآديان..أديان
أ . د . نور الدين أبو لحية
جامعة باتنة / كلية العلوم الإسلامية / الجزائر
علوم قرءان/ تفسير

التدقيق اللغوي
أ . م . د . علي عبدالوهاب عباس
التخصص / اللغة والنحو
الجامعة المستنصرية/ كلية التربية الأساسية

الترجمة
أ . م . د . رافد سامي مجيد
التخصص/ لغة إنكليزية
جامعة الإمام الصادق(عليه السلام)كلية الآداب

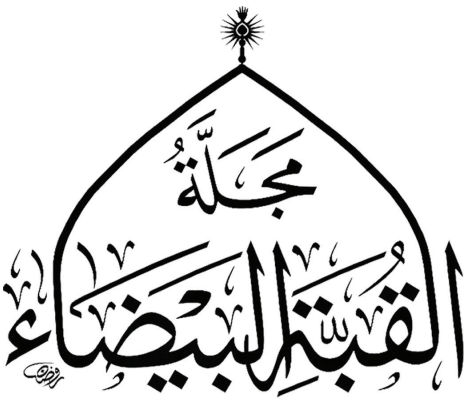

فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية العدد(٨)
السنة الثالثة صفر الخير ١٤٤٦هـ آب ٢٠٢٥م
تصدر عن دائرة البحوث والدراسات في ديوان الوقف الشيعي

العنوان الموقعي
مجلة القبة البيضاء
جمهورية العراق
بغداد /باب المعظم
مقابل وزارة الصحة
دائرة البحوث والدراسات

الاتصالات

مدير التحرير
٠٧٧٣٩١٨٣٧٦١
صندوق البريد / ٣٣٠٠١

الرقم المعياري الدولي
ISSN3005_5830

رقم الإيداع
في دار الكتب والوثائق(١١٢٧)
لسنة ٢٠٢٣

البريد الالكتروني
إيميل
off_research@sed.gov.iq

IRAQI
Academic Scientific Journals

الرقم المعياري الدولي
(3005-5830)

دليل المؤلف.....

١–إن يتسم البحث بالأصالة والجدة والقيمة العلمية والمعرفية الكبيرة وسلامة اللغة ودقة التوثيق.

٢– إن تحتوي الصفحة الأولى من البحث على:

أ. عنوان البحث باللغة العربية .

ب . اسم الباحث باللغة العربية . ودرجته العلمية وشهادته.

ت . بريد الباحث الإلكتروني.

ث . ملخصان أحدهما باللغةِ العربية والآخر باللغةِ الإنكليزية.

ج . تدرج مفاتيح الكلمات باللغة العربية بعد الملخص العربي.

٣–أن يكونَ مطبوعًا على الحاسوب بنظام(office Word ٢٠٠٧ او ٢٠١٠) وعلى قرص ليزري مدمج (CD) على شكل ملف واحد فقط (أي لا يُجزَّأ البحث بأكثر من ملف على القرص) وتُزوَّد هيأة التحرير بثلاث نسخ ورقية وتوضع الرسوم أو الأشكال، إن وُجِدت، في مكانِها منَ البحثِ، على أن تكونَ صالحةً مِنَ الناحيةِ الفنيَّة للطباعة.

٤–أن لا يزيدَ عدد صفحات البحث على (٢٥) خمس وعشرين صفحة من الحجم (A4).

٥. يلتزم الباحث في ترتيب وتنسيق المصادر على الصغية APA

٦–أن يلتزم الباحث بدفعِ أُجُور النشر المحدَّدة البالغة (٧٥،٠٠٠) خمسة وسبعين الف دينار عراقيّ، أو ما يعادلها بالعملات الأجنبية.

٧–أن يكونَ البحثُ خاليًا مِنَ الأخطاءِ اللغوية والنحوية والإملائيَّة.

٨–أن يلتزم الباحث بالخطوط وأحجامِها على النحو الآتي:

أ. اللغة العربية: نوع الخط (Arabic Simplified) وحجم الخط (١٤) للمتن.

ب . اللغة الإنكليزية: نوع الخط (Times New Roman) عناوين البحث (١٦). والملخصات (١٢). أما فقرات البحث الأخرى؛ فبحجم (١٤) .

٩–أن تكونَ هوامش البحثِ بالنظام التلقائي (تعليقات ختامية) في نهاية البحث. بحجم ١٢.

١٠–تكون مسافة الحواشي الجانبية (٢,٥٤) سم والمسافة بين الأسطر (١) .

١١–في حال استعمال برنامج مصحف المدينة للآيات القرآنية يتحمل الباحث ظهور هذه الآيات المباركة بالشكل الصحيح من عدمه، لذا يفضل النسخ من المصحف الالكتروني المتوافر على شبكة الانترنيت.

١٢–يبلَّغ الباحث بقرارِ صلاحيَّة النشر أو عدمها في مدَّةٍ لا تتجاوز شهرين من تاريخ وصولهِ إلى هيأةِ التحرير.

١٣–يلتزمُ الباحث بإجراءِ تعديلات المحكّمين على بحثهِ وفق التقارير المرسلة إليهِ وموافاةِ المجلة بنسخةٍ مُعدَّلةٍ في مدَّةٍ لا تتجاوزُ (١٥) خمسة عشر يومًا.

١٤–لا يحق للباحث المطالبة بمتطلبات البحث كافة بعد مرور سنة من تاريخ النشر.

١٥–لاتعاد البحوث الى أصحابها سواء قبلت أم لم تقبل.

١٦–دمج مصادر البحث وهوامشه في عنوان واحد يكون في نهاية البحث، مع كتابة معلومات المصدر عندما يرد لأول مرة.

١٧–يخضع البحث للتقويم السري من ثلاثة خبراء لبيان صلاحيته للنشر.

١٨–يشترط على طلبة الدراسات العليا فضلاً عن الشروط السابقة جلب ما يثبت موافقة الاستاذ المشرف على البحث وفق النموذج المعتمد في المجلة.

١٩–يحصل الباحث على مستل واحد لبحثه، وإذا رغب في الحصول على نسخة أخرى فعليه شراؤها بسعر (٣) الف دينار.

٢٠–تعبر الأبحاث المنشورة في المجلة عن آراء أصحابها لا عن رأي المجلة.

٢١–ترسل البحوث على العنوان الآتي: (بغداد – شارع فلسطين المركز الوطني لعلوم القرآن)

أو البريد الألكتروني: (off_research@sed.gov.iq) بعد دفع الأجور في الحساب المصرفي العائد إلى الدائرة.

٢٢–لا تلتزمُ المجلة بنشر البحوث التي تُخلُّ بشرطٍ من هذهِ الشروط .

مجلة انسانية اجتماعية فصلية تصدر عن دائرة البحوث والدراسات في ديوان الوقف الشيعي
محتوى العدد (٨) صفر الخير ١٤٤٦هـ آب ٢٠٢٥م المجلد السادس

ت	عنوانات البحوث	اسم الباحث	ص
١	سفير الحسين قيس بن مسهّر الصيداوي(عليهما السلام) دراسة تاريخية	الباحث:حسن قاسم نعمة ضامن أ. م. د. مها عبد الله حسن	٨
٢	الشخصية المعنوية (الاعتبارية) دراسة تحليلية قانونية	م. م. علي محمد جايد	٢٠
٣	موقف الاردن الرسمي من السياسة المصرية تجاه السفن الاسرائيلية في قناة السويس ومضيق تيران (١٩٤٨-١٩٥٦)	م. م. عماد كريم عكوب	٣٤
٤	استراتيجيات التعلم النشط الأساسية	م. م. فالح حسين حرز	٤٨
٥	مقال مراجعة موضوع:كتاب التمثيل الدبلوماسي للعراق مع دول الجوار ١٩٢٩- ١٩٣٩ للدكتور علي عبد الواحد حسون الصائغ	م. م. كاظم وحيد نعمه	٥٨
٦	أثر استراتيجية التدريس القائم على التفكير البصري في تنمية مهارات طلبة معهدالفنون الجميلة بمادة الزخرفة	م.م. زينب حسين شاكر م.م رواء مسعود إبراهيم	٦٢
٧	الوسائل الدولية في التوظيف السياسي لمبادئ حقوق الإنسان بعد عام ٢٠٠٣ : دراسة حالة العراق أنموذجاً	م. م. مصطفى كريم طلال مسير	٧٤
٨	السيناريوهات التنبؤية لاختبارات الجهد كأداة في تقييم قدرة المصارف على مواجهة مخاطر الائتمان المصرفي وأثرها على كفاية رأس المال «دراسة تحليلية في مصرف آشور الدولي»	م. م. ورود محمد حسين الخفاجي م. م. فاتن تايه حس ين الركابي م. م. سارة مجبل كاظم العماري	٩٢
٩	البنية الصرفية في شعر ابن شُهيد الأندلسي ودور الذكاء الاصطناعي في فهمها وتحليلها	م. مروه عبد الباسط حميد رشيد	١٠٤
١٠	اسم الفاعل في قصيدة«أمام باب الله»لبدر شاكر السياب دراسة صرفيّة دلالية	م.د. مهند أحمد إبراهيم	١١٨
١١	المسؤولية الجنائية الناشئة عن المخدرات الرقمية «دراسة مقارنة»	م.د. محمد أسعد وهيب	١٣٠
١٢	تعدد صور تعدية الفعل (دخل) في النص القرآني« عرض وتوجيه»	م.م.إخلاص عبد الله خلف	١٤٦
١٣	الخرائط الذهنية المستخدمة في تدريس مادة القرآن الكريم والتربية الاسلامية وعلاقتها بدافع الانجاز لطالباتهم	م.م. ساره حسن مظهور	١٦٢
١٤	مقومات مشرف التربية الفنية الناجح والقائد التربوي	م.د. ماجد جاسم جليد	١٨٤
١٥	المخدرات وخطرها وتأثيرها الفعلي على النفس البشرية دراسة مقاصدية	م.د. محمد احمد عطية	٢٠٠
١٦	برنهارد فون بولو ودوره السياسي ١٨٩٧-١٩٠٩م	م. د. مروه احمد حميد احمد	٢١٢
١٧	الصورة الحسية في شعر المرأة العباسية	م.د. هبة محمد سلمان	٢٢٠
١٨	ظاهرة الطلاق في المحاكم العراقية الأسباب والمعالجات	م.د. أروى نهاد إسماعيل م.د. انغام حاتم عبود م.د. ورقاء جعفر مصحب	٢٣٤
١٩	الدلالة الصوتية وارتباط علاقات الجُمَل في سورة العاديات	م. د. أيمن حوري ياسين	٢٤٤
٢٠	تعدد الآفاق» دراسة إستدلالية»	م.د. جلال دشر هلال	١٥٦
٢١	الحرية المالية ضمن المنهاج النبوي الشريف	أ.م. د. مرفت نواف عبود	٢٦٨
٢٢	أساليب الطلب في سورة الفرقان « جمعًا ودراسةً»	م.د. رشيد كريم مجيد علي	٢٨٤
٢٣	التكرار وأثره في سبك النص	م.د. رغد ماجد ثابت	٢٩٦
٢٤	العددُ عشرةٌ في القرآنِ الكريم دراسةٌ نحويةٌ سياقية	م. م. ملاك شاكر محمود	٣٠٤
٢٥	الشهادة على فعل النفس وأحكامها في الفقه الإسلامي «نماذج مختارة»دراسة فقهية مقارنة	أ.م .د. سعدي جاسم حمود	٣٢٤
٢٦	الحكمة من تشريع الحدود	أ.م.د ظاهر محسن عبد الله الباحثة:هبه صالح كاظم عباس	٣٤٨

فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية العدد(٨)
السنة الثالثة صفر الخير ١٤٤٦هـ آب ٢٠٢٥م

سفير الحسين قيس بن مسهّر الصيداوي (عليهما السلام) دراسة تاريخية

الباحث:حسن قاسم نعمة ضامن أ. م. د. مها عبد الله حسن
جامعة بغداد/ كلية العلوم الإسلامية

فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية العدد(٨)
السنة الثالثة صفر الخير ١٤٤٦هـ آب ٢٠٢٥م

المستخلص:
يتناول هذا البحث المختصر سيرة السفير الحسيني قيس بن مسهّر الصيداوي، مبيناً دوره المهم في نقل الرسائل من والى الإمام الحسين (عليه السلام) وإلى أهل الكوفة, ويستعرض البحث في ثلاثة مطالب متتالية: سيرته الشخصية وصفاته، ثم المهام التي قام بها والخطب التي ألقاها، وأخيراً حادثة القبض عليه واستشهاده, ويهدف إلى إبراز الجوانب الفكرية والدعوية في شخصيته، ودوره في التمهيد للنهضة الحسينية المباركة.
الكلمات المفتاحية:سفير الحسين, قيس بن مسهّر الصيداوي, السفير الحسيني.

Abstract:
This short study explores the life and role of Imam al-Husayn's envoy, Qays ibn Mushir al-Saydawi. It highlights his significant mission to Kufa, where he conveyed the Imam's message to its people. The research discusses three key areas: his character and qualifications, the speeches and duties he fulfilled, and his arrest and martyrdom. The study aims to shed light on his intellectual and religious contributions to the Husayni movement.
Keywords: Hussein's Ambassador, Qais bin Musahar Al-Sidawi, Husseini Ambassador.

أهداف البحث:
١. التعريف بشخصية قيس بن مسهّر الصيداوي ومؤهلاته وصفاته.
٢. توضيح المهام التي أنيطت به، والخطب التي ألقاها.
٣. بيان موقفه البطولي عند القبض عليه واستشهاده.
٤. إبراز البعد الفكري والدعوي في مهمته كسفير.

مشكلة البحث:
قلة الدراسات التي تناولت دور قيس بن مسهّر الصيداوي كسفير فكري وسياسي للإمام الحسين (عليه السلام) في نهضته المباركة, رغم أهمية دوره في حركة الإمام الحسين (عليه السلام), وعدم تسليط الضوء على الدور المهم والكبير الذي قام به السفير الحسيني.

فرضية البحث:
إن قيس بن مسهّر أدى دوراً جوهرياً في نشر مبادئ النهضة الحسينية والتأثير في الرأي العام الكوفي، مما يجعله عنصراً مهماً في فهم أبعاد حركة الإمام الحسين (عليه السلام).

المقدمة:
تمثل شخصية قيس بن مسهّر الصيداوي (رضوان الله عليه) واحدة من أبرز الشخصيات التي رافقت حركة الإمام الحسين (عليه السلام) ونهضته الإصلاحية, إذ أوكل إليه الإمام الحسين (عليه السلام) مهمة السفارة إلى الكوفة، ليكون ناقلاً لرسالته الدينية والفكرية والسياسية, ورغم أهمية هذه الشخصية، لم تنل حقها الكافي من الدراسة والبحث، لذا يسعى هذا البحث لتسليط الضوء عليها في ثلاثة محاور رئيسة, وهي كالآتي: أتحدث في المطلب الأول عن: أسمه, ومؤهلاته وصفاته, واتكلم في المطلب الثاني عن: المهام التي قام بها السفير, والخطبة التي ألقاها على

الناس, وأستعرض في المطلب الثالث: القاء القبض على السفير الحسيني واستشهاده وهي كالآتي:

سفير الحسين قيس بن مُسهّر الصيداوي (عليهما السلام)

المطلب الأول: أسمه, ومؤهلاته وصفاته:

قبل أن يؤدي قيس بن مسهّرالصيداوي (رضوان الله عليه) مهمته كسفير، لا بد من التعرف على شخصيته وسيرته الذاتية التي جعلته أهلًا لهذه المسؤولية الكبيرة, وهي كالآتي:

أولاً: اسمه:

قيس بن مسهر بن خليد بن جندب بن منقذ بن حر (جسر) بن نكرة (١) بن الصيدا بن عمرو بن قعين بن الحرث بن ثعلبة بن دودان بن أسد (٢) وقيل غير ذلك، والصيداوي نسبة إلى صيدا بطن من أسد(٣).

لم تسعفنا المصادر التاريخية وكتب السير عن الحصول على معلومات حول هذا الشهيد البطل المغوار في أيام حياته ، سوى شيء يسير ، وأبرز ما وجدناه ، هو أنه كان من المجتمع الكوفي، وأنه كان شجاعاً مخلصاً لأهل البيت (عليهم السلام) محباً لهم، وقال البعض أنه كان شيخ بني الصيداء(٤).

ثانياً: مؤهلاته وصفاته:

إن جميع سفراء الامام الحسين (عليه السلام) الذين بعثهم كانوا يتميزون بعدة صفات ومؤهلات, مكنتهم تلك الصفات والمؤهلات من نيل الشرف والعزة والشهادة, في القيام بهذه المهمة العظيمة, ومن هؤلاء السفراء قيس بن مسهر الصيداوي, نستعرض بعض من مؤهلاته وصفاته.

أ: الإيمان والثبات:

يبرز إيمان وثبات السفير الحسيني قيس بن مسهر الصيداوي عندما تم الامساك به, وسأله أبن زياد من أنت؟ رد عليه الشهيد قيس بن مسهر الصيداوي (أنا رجل من شيعة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وابنه الحسين عليهم السلام)(٥), مع صعوبة الموقف, وكثرة الاعداء المحيطة به بقي السفير الحسيني ثابتاً محافظاً على ايمانه لم يهابِ الموت ولم يرتجف أو يتزلزل ولم يكذب, هؤلاء من يقتدى بهم, سطروا أروع الأمثلة في الصدق والشجاعة والثبات.

ب: الصدق والشجاعة:

تتضح لنا هاتان الصفتان للسفير الحسيني أثناء الأسر, فعندما سأله اللعين أبن زياد من أين أتيت بهذا الكتاب والى من؟ رد عليه السفير قيس بن مسهر (رضوان الله عليه) بكل صدق وشجاعة (من الحسين بن علي عليهم السلام الى جماعة من اهل الكوفة)(٦), فهذه شجاعة وصمود السفير الحسيني, صادقاً صامداً عارفاً بأنه ملاقي الموت, مع ذلك بقي محافظاً على مبدأه ومعدنه ألا وهو الوفاء لأهل البيت والى امام زمانه أبي عبدالله الحسين (عليهم السلام).

ج: الأمانة والوثاقة:

أما الأمانة و الوثاقة تجلّت بأبهى صورها في السفير الحسيني قيس بن مسهر الصيداوي ، فهذا الشهيد البطل عندما وقع في الأسر وسأله أبن زياده في قصره، لماذا مزقت الكتاب؟ قال: لئلا تعلم ما فيه، فقال أبن زياد أما أن تخبرني بالأسماء المدونة في الكتاب، أو تصعد المنبر وتسب الامام الحسين والامام الحسن والامام علي (عليهم السلام) والعياذ بالله، فقال السفير الصيداوي، أما أسماء القوم فلا أخبرك بهم، وأما سب الحسين فأفعل, (فصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وأكثر من الترحم على علي وولده صلوات الله عليهم ، ثم لعن عبيد الله بن زياد وأباه، ولعن عتاة بني أمية عن آخرهم)(٧), فهذا الشهيد مثالاً

للأجيال من حيث الوثاقة والأمانة, فهو يعلم أن الموت لاقيه لا مفر منه والعدو يحيط به من جميع الاتجاهات وبقي على ما هو عليه من ثقة وأمانة.

د: الفداء والتضحية:

أما الفداء والتضحية لم تكن في اليوم العاشر من شهر محرم فقط, بل هناك فداء للأرواح وبذل للمهج قبل وقوع الفاجعة الكبرى, ألا وهو فداء وبذل وتضحية سفراء الامام الحسين (عليه السلام)، والإصرار منهم جميعاً على اداء المهام المكلفين بها مهما كلفهم ذلك, واليك ما قام به السفير الحسيني قيس ين مسهر أثناء الأسر, إذ جعل من منبر الكفر منبراً للهدى يستطيع من خلاله إيصال الرسالة, والناظر المتمعن بتفاصيل الحوار الذي دار بين السفير الحسيني وبين أبن زياد يجد(تفاصيل تغني الكاتب عن الاستنتاج والتحليل، فالشهيد هو الذي يتولى تقديم الدروس الكربلائية للأجيال في سرعة الأخذ بزمام المبادرة في المنعطفات، ومواجهة أشد الظروف حراجة ببرد اليقين والمضي قدماً في طريق ذات الشوكة واغتنام الفرصة السانحة للقيام بالواجب الرسالي، يرفد ذلك كله خزين حب الله تعالى وحب رسوله ، المتجسد حباً للحسين)(٨).

هـ: الخبرة بالمجتمع الكوفي:

فهو من أهل الكوفة، وواحد من رجالها المتحمسين لحركة سيد الشهداء (عليه السلام)، وهو مثال الشيعي العقائدي والنموذج الذي يرغب أهل البيت (عليهم السلام) في وجوده بين شيعتهم وأتباعهم، وقد قام بمهمات جليلة عدّة، تدل على وثاقته وشجاعته، والدليل على معرفته وخبرته بالمجتمع الكوفي أنه قام بالتردد أكثر من مرة ومرتين مع الحراسة المشددة والجيوش المنتشرة، استطاع السفير الحسيني المرور من خلالهم أكثر من مرة بإيصال الرسائل المتبادلة بين مسلم بن عقيل والامام الحسين (عليهم السلام)، ولك أن تتصور حجم المشقة والمعاناة التي تحملها هذا الرجل في كل هذه الأسفار، خصوصاً بعد ملاحظة أن السفر في ذلك الوقت على الدواب، وأن الطريق بين مكة والكوفة أغلبه صحراء، وقد مات فيه الكثير من الخلق، وأن مسافته تصل إلى قرابة (١٥٠٠)كم، ولا تقطع بأقل من عشرين يوماً، يعتريها الكثير من المخاطر، كالتيه، ونفاد الطعام، أو الماء، أو مهاجمة السباع الضواري في البراري، ومواجهة الأنواء الجوية من حر وبرد غيره.. هذا كله فضلاً عن المخاطر الأمنية؛ لأنه يعمل المصلحة المعارضة في ظل حكومة لا تعرف معنى للرحمة، وتعتقل على الظنة والتهمة (٩).

هذا أبرز ما جاء عن سيرة السفير الحسيني قيس بن مسهر الصيداوي, وأبرز مؤهلاته وصفاته التي استنتجناها من خلال مطالعة المصادر, ويكفيه فخراً أنه نال شرف السفارة لسبط النبي أبي عبدالله الحسين (عليه السلام), ويكفينا فخراً أن نذكر بعض من حياته الكريمة, ويعد الشهيد قيس ين مسهر الصيداوي, قدوة للأجيال ومثالاً للإخلاص والتضحية.

المطلب الثاني: المهام التي قام بها السفير, والخطبة التي ألقاها على الناس:

والمتتبع للتاريخ والروايات يجد أن الشهيد قيس بن مسهر الصيداوي ، اقتصرت سفارته بين الامام الحسين وبين مسلم بن عقيل (عليهم السلام), أما الدور الذي قام به السفير الحسيني قيس بن مسهر فهو في غاية الأهمية, إذ كان دور مليء بالمخاوف محفوف بالمخاطر من كل حدب وصوب, ومن المهام التي قام بها السفير أثناء سفارته والخطبة التي ألقاها على الناس, هي كالآتي:

أولاً: المهام التي قام بها السفير:

المهمة الأولى:

التي قام بها السفير الحسيني (رضوان الله عليه) لم تكن بأمر الامام الحسين (عليه السلام) ولكن كانت من

وجهاء وكبار أهل الكوفة في ذلك الوقت, عندما كتبوا الى الامام الحسين (عليه السلام) ان أقبل علينا , وبهذا تكون مهمة الشهيد الكربلائي الأولى هي حمل رسائل أهل الكوفة الى الامام الحسين (عليه السلام)(١٠).

المهمة الثانية:

بعد وصول جميع رسائل أهل الكوفة الى الامام الحسين (عليه السلام), وبعد التتبع للروايات أتضح لنا أن الشهيد قيس بن مسهر الصيداوي بعدما وصل الى الامام الحسين (عليه السلام) حاملاً رسائل أهل الكوفة, بعثه الامام الحسين(عليه السلام) مع أبن عمه وثقته من أهله مسلم بن عقيل (عليه السلام) الى الكوفة وأمرهم بتقوى الله وكتمان أمره واللطف(١١), فيمكن القول أن المهمة الثانية للشهيد قيس بن مسهر الصيداوي هي مرافقة مسلم بن عقيل (عليه السلام) الى الكوفة.

المهمة الثالثة:

فيتضح لنا بعد البحث أن المهمة الثالثة التي قام بها السفير الحسيني قيس بن مسهر الصيداوي, هي حمل رسالة من مسلم بن عقيل (عليه السلام) الى الامام الحسين (عليه السلام) والمزعوم في مضمون الرسالة أن مسلم بن عقيل (عليه السلام) متطير ومتشأم يطلب الإعفاء من مهمة السفارة واستبداله بشخص غيره, بعد ما عاناه من اهوال الطريق في مسيره الى الكوفة (١٢), وسنبين مدى صحة هذه الرسالة في الفصل القادم إن شاء الله.

المهمة الرابعة:

هي الرجوع من الامام الحسين الى مسلم بن عقيل (عليهم السلام) ويأمره بإكمال المهمة المكلف بها, وأن لا يتطير, ويمضي في سبيله ويستطلع أخبار الكوفة ويرى اذا ما بقوا على ما كاتبوا به الامام الحسين (عليه السلام) وأن يرسل الى الامام أخبار الكوفة و ما يجري بها (١٣).

المهمة الخامسة:

بعد ما بعثه الامام الى مسلم (عليهم السلام) يحثه في على إكمال المهمة, وصل الى مسلم واخبره ما يريد منه الامام, وبعد أن استقر مسلم بن عقيل (عليه السلام) في الكوفة واجتمعت الناس حوله وبايعوه وجددوا البيعة والولاء لأهل البيت والامام الحسين (عليهم السلام) ورأى مسلم أن أخبار الكوفة فيها بشائر الخير والنصر, كتب الى الامام الحسين (عليه السلام) يحثه على الإسراع بالقدوم الى الكوفة,(أما بعد فان الرائد لا يكذب أهله وان جميع أهل الكوفة معك وقد بايعني منهم ثمانية عشر ألفاً فعجل الاقبال حين تقرأ كتابي والسلام عليك ورحمة الله وبركاته)(١٤) وبعث هذه الرسالة مع عابس بن أبي شبيب الشاكري(١٥) و الشهيد قيس بن مسهر الصيداوي, وبهذا تكون المهمة الخامسة للشهيد قيس بن مسهر هي حمل رسالة مسلم بن عقيل الى الامام الحسين (عليهم السلام).

المهمة السادسة والأخيرة:

بعد إيصال كتاب مسلم بن عقيل الى الامام الحسين (عليهم السلام) وأخباره لما فيه من أوضاع الكوفة, بقي مصاحباً الامام في المسير حتى بلغ الحاجر من بطن الرمة(١٦), كتب الى أهل الكوفة: (بسم الله الرحمن الرحيم، من الحسين بن علي الى اخوانه من المؤمنين بالكوفة، سلام عليكم، اما بعد، فان كتاب مسلم بن عقيل ورد على باجتماعكم لي، وتشوقكم الى قدومي، وما أنتم عليه منطوون من نصرنا، والطلب بحقنا، فاحسن الله لنا ولكم الصنيع، واثابكم على ذلك بأفضل الذخر، وكتابي إليكم من بطن الرمة، وانا قادم عليكم، وحثيث السير

إليكم، والسلام)(١٧), ثم بعث بالكتاب مع قيس بن مسهر، فسار حتى وافى القادسية, فتم الامساك به أثناء تأدية الواجب المقدس, نال فيه أعلى الدرجات والفوز بالشهادة مع سبط النبي وسيد الشهداء أبي عبدالله الحسين (عليه السلام).

والواضح من أحداث قصة هذا السفير الحسيني, أنه كان في الذروة العالية من درجات الإيمان والإخلاص(١٨) والطاعة والصدق, والتضحية في سبيل الله, حتى نال شرف الشهادة.

ثانياً: الخطبة التي ألقاها على الناس:

إن السفير الحسيني قيس بن مسهّر لم تذكر المصادر أي خطبة له أثناء سفارته سوى الخطبة الوحيدة التي ألقاها من أعلى القصر, بعد ما تم الإمساك به.

فبعدما تم الإمساك بالسفير الحسيني قيس بن مسهر الصيداوي أثناء أداء واجب السفارة وجيء به الى عبيد الله بن زياد لعنه الله,

قال له ابن زياد: من انت

قال: انا رجل من شيعة أمير المؤمنين علي بن ابي طالب(عليه السلام) وابنه

قال له ابن زياد: فلماذا خرقت الكتاب

قال: لئلا تعلم ما فيه

قال: وممن الكتاب والى من

قال: من الحسين(عليه السلام). الى جماعة من اهل الكوفة لا اعرف اسمائهم

فغضب ابن زياد وقال: والله لا تفارقني حتى تخبرني بأسماء هؤلاء القوم أو تصعد المنبر فتلعن الحسين بن علي واباه واخاه والا قطعتك إرباً إرباً(١٩).

هذه تفاصيل تغني الكاتب والباحث والقارئ عن الاستنتاج والتحليل، فهذا السفير الثابت على مبادئه وهو في أيدي الأعداء لا يزال يقدم الدروس الكربلائية الثمينة للأجيال، في سرعة التصرف والأخذ بزمام المبادرة في المنعطفات الحرجة، ومواجهة أشد الظروف قساوةً بقلب ثابت وإيمان راسخ ويقين متجسد في جوارحه، والمضي قدماً في طريق العشق الإلهي، ألا وهو, درب السبط الشهيد (عليه السلام)، واغتنام الفرصة السانحة، لتأدية الواجب الرسالي المقدس، وحث الناس على نصرة الإمام الحسين (عليه السلام), لذلك كان غضب الطاغية عظيماً، فلقد سد الشهيد في وجهه السبل، وضيق عليه الخناق, والآن ليس أمام السفير الحسيني قيس بن مسهّر إلّا إيصال الرسالة أو أن يبلغها لأصحابها مشافهة، ولو أدى ذلك إلى تمزيق الجسد, لذلك، ودون أدنى تردد تلقف الشهيد عرض الطاغية، مغتنماً الفرصة السانحة فقال(٢٠):

اما القوم فلا اخبرك بأسمائهم واما لعن الحسين عليه السلام وأبيه وأخيه فأفعل(٢١).

(فأمر عبيد الله أن يدخل المسجد الأعظم، ويصعد المنبر، وتجمع الناس ليلعن وتسمع الناس، فأدخل المسجد وجمع الناس للإستماع، فأصعد المنبر، ووثب قائماً عليه، فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على محمد وأهل بيته وأكثر الترحم على علي بن أبي طالب وولديه الحسن والحسين (عليهم الصلاة والسلام)، ولعن يزيد بن معاوية وعتاة بني أمية وطغاتهم، وأكثر اللعن على عبيد الله بن زياد، ثم دعا إلى نصرة الحسين وحث الناس عليها)(٢٢), وقال للناس, وأنا رسول الامام الحسين (عليه السلام) اليكم, وقد فارقته بالحاجر, فأجيبوه وانصروه

واسمعوا له وأطيعوا(٢٣).

ومن وطبيعي أن يكون الجلاوزة الموكلين به قد انتظروا حلول وقت الصلاة واجتماع الناس لأدائها.

ولم يكن يدور في خلد أحد من أولئك المصلين، أنهم سيشهدون تجسيد التوأمة بين الجهاد والصلاة وأستغفر الله من شديد الفصل بينهما بالحديث عن التوأمة، بل سيشهدون المعنى الحقيقي للأذان والإقامة، وتكبيرة الإحرام، والقراءة، والركوع والسجود، والذكر والخشوع.

ها هو الأذان لدى الشهيد قيس أفضل الجهاد، إنه كلمة حق أمام سلطان جائر.

وها هي الإقامة، رفض الطاغوت، والسفر الدائم في صراط إقامة العدل وكسر القيود والتحرر من الإصر والأغلال ولا قراءة إلا بلغة أفصح من نطق بالضاد، فبلغ الرسالة وصدع بالنذارة، لئلا يكون للناس على الله حجة، وهي لغة الولاية لولاة الحق والإئتمام بهم، لغة «أيها الناس، إن هذا الحسين بن علي خير خلق الله ابن فاطمة بنت رسول الله وأنا رسوله إليكم فأجيبوه».

ولا ركوع أو سجود، ولا ذكر أو فكر إلا للحق وفي الحق، وماذا بعد الحق إلا الضلال.

اثر قيس جوار الحق بصلاة مقبولة، يقبل بها ما سواها, وآثر جلاوزة أبن زياد أن يكونوا مدية الطاغوت تهوي إلى مقيمي الصلاة، وتلك هي مهمة وعاظ السلاطين عبدة مستنقع الأنانية والشهوة الموبوء.

والراجح أن صلاة الشهيد قيس برسالة الإمام الحسين (عليه السلام) كانت من أعلى القصر(٢٤).

المطلب الثالث: القاء القبض على السفير الحسيني واستشهاده:

نتيجة لمواقفه الجريئة، تم القبض على السفير قيس بن مسهّر, أثناء تأدية الواجب الرسالي, فواجه الموقف بثبات وشجاعة، وانتهت مسيرته بالشهادة وهو متمسك بمبادئه, وهي كالآتي:

أولاً: كيفية القاء القبض على السفير الحسيني:

بعدما شهدت الكوفة اوضاعاً مضطربة أمر ابن زياد بإنتشار جيشه على حدود الكوفة: (وعبيد الله ابن زياد قد وضع المراصد والمسالح على الطرق والشوارع، فليس أحد يقدر أن يجوز، فلما قارب قيس الكوفة، لقيه الحصين بن نمير السكوني، فلما نظر إليه قيس كانه أحس بأنه يقبضه، فأخرج الكتاب سريعاً ومزقه)(٢٥).

أما مكان اعتقال قيس بن مسهّر فهو: وأقبل قيس بن مسهر الصيداوي إلى الكوفة بكتاب الحسين، حتى إذا انتهى إلى القادسية أخذه الحصين بن نمير فبعث به إلى عبيد الله بن زياد(٢٦), يتبين لنا أن مكان اعتقال الشهيد قيس بن مسهّر في القادسية.

ومن خلال الاستناد الى الشواهد التاريخية يتضح لنا, أن مكان اعتقال الشهيد السفير الحسيني قيس بن مسهّر في القادسية.

أما من مسك بالسفير الحسيني قيس بن مسهّر: (فلما قارب قيس الكوفة، لقيه الحصين بن نمير السكوني، فلما نظر إليه قيس كانه أحس بأنه يقبضه، فأخرج الكتاب سريعاً ومزقه)(٢٧), وهنا يتضح لنا إن من اعتقل الشهيد قيس بن مسهّر الصيداوي, هو الحصين بن نمير.

أما ما جرى للسفير الحسيني بعدما تم الإمساك به قيس بن مسهّر: فبعد ما تم الإمساك به والتحقيق من قبل عبيد الله بن زياد قال: (فأمر عبيدالله أن يدخل المسجد الأعظم، ويصعد المنبر، وتجمع الناس ليلعن وتسمع الناس، فأدخل المسجد وجمع الناس للإستماع فأصعد المنبر، ووثب قائماً عليه، فحمد الله وأثنى عليه، وصلى

على محمد وأهل بيته، وأكثر الترحم على علي بن أبي طالب وولديه الحسن والحسين عليهم الصلاة والسلام، ولعن يزيد بن معاوية وعتاة بني أمية وطغاتهم، وأكثر اللعن على عبيد الله بن زياد، ثم دعا إلى نصرة الحسين وحث الناس عليها، فأخبر ابن زياد بذلك، فأمر به أن يصعد به القصر ويرمى من أعلاه، فأصعد أعلى القصر، ورمي به على أم رأسه)(٢٨).

وهنا يتضح لنا ما جرى للسفير الحسيني بعدما تم الإمساك به وهو: الرمي من أعلى القصر, ولم يفارقوا بني أمية تلك الأساليب الوحشية التي يستخدمونها مع كل من له صلة بأهل البيت (عليهم السلام).

أما ما حصل للشهيد قيس بن مسهّر بعد إلقاء الخطبة: (فأمر به أن يصعد به القصر ويرمى من أعلاه، فأصعد أعلى القصر، ورمي به على أم رأسه، فاندقت عنقه، وخرج دماغه من أذنيه)(٢٩).

ثانياً: تأبين الامام الحسين (عليه السلام) للسفير قيس بن مسهّر الصيداوي:

وعندما وصل خبر استشهاد قيس بن مسهّر للامام (عليه السلام), تذكر المصادر أنه: ترقرقت عينا الأمام الحسين (عليه السلام) ولم يملك دمعه، ثم قال: { فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا}(٣٠), اللهم اجعل لنا ولهم الجنة نزلا، وأجمع بيننا وبينهم في مستقر من رحمتك، ورغائب مذخور ثوابك(٣١).

وليهنئك بعده وسام صدق العهد ووسام جيرة المصطفى الحبيب وآله الأطهار، علَّ الشهيد السعيد يتنفس على هذه القلوب بالرضا، بنظرة، بكلمة آمين توصلها إلى الحسين (عليه السلام)، فقد بعدت الشقة، وتقاصرت الهمة، وتصحرت النفوس، فمن مبلغ عنها الحسين رسالة من قعر المضيق بلا خبت، بل من يبلغها رسالة الحسين والطريق مزروعة بعقبات النفس والشيطان وغرور الدنيا، والإخلاد إلى البهارج، إلا من تصاغرت شم القمم لسفح همتهم .

علو في الحياة وفي المماة لعمرك تلك إحدى المكرمات

لولا نزول القرآن لما كان للكلم الطيب صعود، ولما كان للعمل الصالح وجود، ولولا سقوط الشهداء، ما ارتفعت للأمة هام(٣٢), فالسلام عليه يوم ولد ويم استشهد ويوم يبعث حيّاً, رزقنا الله شفاعته وشفاعة إمامنا السبط الشهيد يوم الورود.

الخاتمة:

ختامًا، يُعد قيس بن مسهّر الصيداوي واحداً من أبرز وجوه النهضة الحسينية الذين جمعوا بين الإيمان العميق، والولاء الخالص، والجرأة في قول الحق ونشره, لقد أدّى دور السفير بأعلى درجات المسؤولية الفكرية والأخلاقية، إذ حمل الرسائل من والى الإمام الحسين (عليه السلام) وإلى أهل الكوفة في وقتٍ بالغ الحساسية، ونشرها بالكلمة والخطبة والحجة الواضحة، رغم إدراكه لحجم الخطر المحدق به, وقد مثّل اعتقاله وموقفه الصلب أمام والي الكوفة تجسيدًا للثبات العقائدي الذي دعا إليه الإمام الحسين (عليه السلام) ، رافضاً أن يبيع ضميره أو يُحرّف الرسالة, فاختار الشهادة على أن يكون أداة بيد السلطة، فصار من أوائل شهداء الكلمة والموقف في مسار النهضة.

إن دراسة شخصية قيس بن مسهّر تكشف عن عمق البُعد الفكري في ثورة كربلاء، وتؤكد أن النهضة لم تكن ثورة سيوف فحسب، بل نهضة وعي وفكر ومبدأ، حملها رجال عظماء، كان قيس بن مسهّر (رضوان الله عليه) أحد أبرزهم.

نتائج البحث:

١. امتاز قيس بن مسهّر الصيداوي بالشجاعة والبلاغة والولاء للإمام الحسين (عليه السلام).
٢. أسهم في نشر الرسالة الحسينية داخل الكوفة رغم الخطر المحيط به من كل حدب وصوب.
٣. كانت شهادته نتيجة مباشرة لثباته على المبادئ ورفضه التنازل عنها.
٤. شخصيته تُعد ركيزة مهمة لفهم البعد الفكري في النهضة الحسينية.

الهوامش:

(١)قال أبن حجر في ترجمة والد الشهيد قيس: مسهر بن خالد بن جندب بن منقذ بن حر بن نكرة العبدي النكري، له إدراك، وكان ابنه قيس مع الحسين بن علي لما قتل بالطف سنة ستين (الإصابة في تمييز الصحابة, أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ), تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض, دار الكتب العلمية – بيروت, ط١, ١٤١٥ هـ, ٢٣٣/٦).

(٢) قال الزبيدي: وجَسْرُ بنُ نُكْرَةَ بنِ الصَّيداءِ، مِن وَلَدِه قَيْسُ بنُ مُسْهِر، كَانَ مَعَ سيِّدِنا الحُسَيْنِ (عليه السلام) (ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس, محمّد مرتضى الحسيني الزَّبيدي, تحقيق: جماعة من المختصين, من إصدارات: وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت – المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت, د ط, أعوام النشر: (١٣٨٥ – ١٤٢٢ هـ) = (١٩٦٥ – ٢٠٠١ م), وصَوّرتْ أجزاءً منه: دار الهداية، ودار إحياء التراث وغيرهما, ٤٣٠/١٠). وأما الذي في بني أسد فإنه نكرة بن نوفل بن الصيداء بن عمرو بن قعين بن الحارث بن ثعلبة بن دودان بن أسد، ومنهم قيس بن مسهر النكري، من شيعة الحسين بن علي(ينظر: تاج العروس, للزبيدي, ٢٩٢/١٤). وقال الزركلي: نكرة بن الصيداء « نسبة الى جده. بنوه بطن من بني « الصيداء « منهم قيس بن مسهر بن خليد: أرسله الحسين (السبط) إلى الكوفة، فقبض عليه عبيد الله بن زياد وأمره بأن يلعن الحسين، فلعن ابن زياد, فألقاه هذا من فوق القصر، فمات, (ينظر: الأعلام, لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت ١٣٩٦ هـ), دار العلم للملايين, ط١٥, ٢٠٠٢ م, ٤٧/٨).

(٣) وذكره السماوي أنه: هو قيس بن مسهر بن خالد بن جندب بن منقذ بن عمرو بن قعين بن الحرث ابن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة الأسدي الصيداوي, وصيدا بطن من أسد, (ينظر: إبصار العين في أنصار الحسين، لمحمد بن طاهر السماوي (ت ١٣٧٠هـ)، انتشارات المكتبة الحيدرية، ط١، ١٣٨١–١٤٢٣هـ, ص٨٥).

(٤) ينظر: نفس المهموم في مصيبة سيدنا الحسين المظلوم ويليه نفثة المصدور فيما يتجدد به حزن العاشور, لعباس بن محمد رضا بن أبي القاسم القمي(المشهور بعباس القمي) (ت١٣٥٩هـ), انتشارات المكتبة الحيدرية, ط١, ١٣٧٩ = ١٤٢١, ص٥٨٦.

(٥) الامام الحسين سيرة ومقتل, لهادي المدرسي, تحقيق: مركز ذكرى للدراسات والأبحاث, مؤسسة البلاغ للطباعة والنشر والتوزيع, ط٤, ١٤٣٨هـ = ٢٠١٧م, ص١٠٢.١٠٣.

(٦) الملهوف على قتلى الطفوف, لرضي الدين أبي القاسم علي بن موسى بن جعفر بن طاووس الحسيني (ت ٦٦٤هـ), تحقيق وتقديم: فارس تبريزان الحسون, دائرة الأسوة للطباعة والنشر التابعة لمنظمة الأوقاف والشؤون الخيرية, ط٥, ١٤٣٤هـ ق = ١٣٩١هـ ش, ص١٣٦.

(٧)المصدر السابق: ص١٣٦.

(٨) في محراب كربلاء حوادث الكوفة, لحسين كوراني, دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع, بيروت, لبنان, ط٢, ١٤٢٨هـ = ٢٠٠٧م, ص٣٧٠.

(٩) ينظر: سفراء الامام الحسين, لعبد الرزاق النداوي, مجلة الاصلاح الحسيني, تصدر عن: مركز الدراسات التخصصية في النهضة الحسينية, النجف الاشرف, قسم الشؤون الفكرية, العتبة الحسينية المقدسة, العدد: ٢٧، ١٤٤١هـ = ٢٠١٩م، ص٣٢٣.٣٢٤.

(١٠) ينظر: تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك, أبو جعفر، محمد بن جرير الطبري (٢٢٤ – ٣١٠ هـ), ويليه بالجزء ١١:

«صلة تاريخ الطبري» لعريب بن سعد القرطبي [ت ٣٦٩ هـ], ويليه: «تكملة تاريخ الطبري» لمحمد بن عبد الملك الهمذاني [ت ٥٢١ هـ], ويليه: «المنتخب من كتاب ذيل المذيل من تاريخ الصحابة والتابعين لمحمد بن جرير الطبري» لأحد العلماء, تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم [ت ١٤٠١ هـ], دار المعارف بمصر, ط٢, ١٣٨٧ هـ – ١٩٦٧ م, وصَوّرتْها: دار التراث بيروت وغيرها كثير, ٣٥٢/٥. وينظر: الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد, لأبي عبدالله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي (المشهور بالمفيد) (ت٤١٣هـ), تحقيق وطبع: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث, ط٢, ١٤٢٩هـ = ٢٠٠٨م, ٣٧/٢. وينظر: موسوعة التاريخ الاسلامي, لمحمد هادي اليوسفي الغروي, مجمع الفكر الاسلامي, مطبعة: مؤسسة الهادي, قم, ط١, ١٤١٧هـ,ق,١١٢.١١١/٦. وينظر: موسوعة كربلاء, للبيب بيضون, طليعة النور, مطبعة سليمان زادة, قم, ط١, ١٤٢٧, ٥٧٣/١.

(١١) ينظر: وقعة الطف, للوط بن يحيى بن الأزدي الغامدي الكوفي المشور بأبي مخنف (ت١٥٧هـ ق), تحقيق: محمد هادي اليوسفي الغروي, المجمع العالمي لأهل البيت, دار التعارف, بيروت, ط٣ منقحة ومزيدة, ١٤٣٣هـ = ٢٠١٢م, ص١١٥, تاريخ الرسل والملوك, للطبري, ٣٥٤/٥, مقتل الحسين, لأبي المؤيد الموفق بن أحمد المكي (ت ٥٦٨هـ), تحقيق: محمد السماوي, تصحيح ونشر: دار أنوار الهدى, ط١, ١٤١٨هـ ق, ص٢٨٤, مثير الأحزان ويليه كتاب: التحصين في صفات العارفين من العزلة والخمول بالأسانيد المتلقاة من آل الرسول, لجمال الدين أحمد بن محمد بن فهد الحلي, المشهور بأبن نما الحلي (٥٦٧ - ٦٤٥ هـ ق), تحقيق ونشر: مدرسة الامام المهدي, ط٣, ١٤٠٦هـ ق, ص٢٧, الملهوف على قتلى الطفوف, لرضي الدين أبي القاسم علي بن موسى بن جعفر بن طاووس الحسيني (ت ٦٦٤هـ), تحقيق وتقديم: فارس تبريزان الحسون, دائرة الأسوة للطباعة والنشر التابعة لمنظمة الأوقاف والشؤون الخيرية, ط٥, ١٤٣٤هـ ق = ١٣٩١هـ ش, ص ١٠٨.١٠٧, اللهوف في قتلى الطفوف ويليه كتاب: حكاية المختار في أخذ الثأر برواية أبي مخنف, لرضي الدين أبي القاسم علي بن موسى بن جعفر بن طاووس الحسيني (ت ٦٦٤هـ), منشورات المطبعة الحيدرية, النجف الأشرف, ط١, ١٣٦٩هـ = ١٩٥٠م, ص١٦, مثير الأحزان في أحوال الأئمة الاثني عشر أمناء الرحمن, لشريف الجواهري, المطبعة الحيدرية, النجف الأشرف, د ط, ١٣٨٦هـ = ١٩٦٦م, ص١٤, موسوعة التاريخ الاسلامي, للغروي, ١١٢/٦, الامام الحسين سيرة ومقتل, لهادي المدرسي, تحقيق: مركز ذكرى للدراسات والأبحاث, مؤسسة البلاغ للطباعة والنشر والتوزيع, ط٤, ١٤٣٨هـ = ٢٠١٧م, ص٥٣.

(١٢) ينظر: تاريخ الرسل والملوك, للطبري, ٣٤٧/٥, الارشاد, للمفيد, ٤٠/٢.

(١٣) ينظر: مقتل الحسين, للخوارزمي, ص٢٨٦.٢٨٥.

(١٤) ينظر: موسوعة كربلاء, للبيب بيضون, ٥٧٣/١.

(١٥) هو عابس بن أبي شبيب بن شاكر بن ربيعة بن مالك بن صعب بن معاوية بن كثير بن مالك بن جشم بن حاشد الهمداني الشاكري . وبنو شاكر بطن من همدان ، كان عابس من رجال الشيعة رئيساً شجاعاً خطيباً ناسكاً مستهجداً. وكانت بنوشاكر من المخلصين بولاء أمير المؤمنين ، وفيهم يقول يوم صفين : لو تمت عدتهم ألفاً لعبد الله حق عبادته ، وكان من شجعان العرب وحماتهم ، وكانوا يلقبون فتيان الصباح، فنزلوا في بني وداعة من همدان فقيل لها فتيان الصباح . وقيل لعابس: الشاكري الوادعي، استشهد مع الامام الحسين (عليه السلام) في العاشر من محرم سنة ٦١هـ .(ابصار العين, للسماوي, ص١٠٠.٩٨).

(١٦) بطن الرمة: منزل يجمع طريق البصرة والكوفة الى المدينة المنورة (ينظر: الارشاد، للمفيد، الهامش رقم ١).

(١٧) الأخبار الطوال, أبو حنيفة، أحمد بن داود الدينوري (ت ٢٨٢ هـ), تحقيق: عبد المنعم عامر, مراجعة: جمال الدين الشيال [ت ١٣٨٧ هـ], الناشر: وزارة الثقافة والإرشاد القومي – مصر, ط١, ١٩٦٠ م, طبع: دار إحياء الكتب العربية – عيسى البابي الحلبي وشركاه., ص٢٤٤.

(١٨) ينظر: خاتمة مستدرك الوسائل, لحسين النوري الطبرسي (ت ١٣٢٠هـ), تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت لاحياء التراث, بيروت, لبنان, ط١, ١٤٢٩هـ = ٢٠٠٨م, ٣٢٦/٨.

(١٩) ينظر: اللهوف في قتلى الطفوف, لإبن طاووس, ص٣٣.

(٢٠) ينظر: في محراب كربلاء, لحسين كوراني, ص٣٧٠.٣٧١.

(٢١) ينظر: اللهوف في قتلى الطفوف, لإبن طاووس, ص٣٣.

(٢٢) مقتل الحسين, للخوارزمي, ص٣٣٦.

(٢٣) ينظر: تاريخ الرسل والملوك, للطبري, ٣٩٥/٥.وينظر: جمل من أنساب الأشراف, لأحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلَاذُري (ت ٢٧٩ هـ), حققه وقدم له: سهيل زكار – رياض زركلي, دار الفكر – بيروت, ط١, ١٤١٧ هـ – ١٩٩٦ م, ٣٧٨/٣. وينظر: البداية والنهاية, لأبي الفداء إسماعيل بن كثير (ت ٧٧٤ هـ)حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: محيي الدين ديب مستو (جـ ١، ٦)، علي أبو زيد أبو زيد (جـ ٢)، مأمون محمد سعيد صاغرجي (جـ ٣، ١٠)، محمود عبد القادر الأرناؤوط (جـ ٤)، رياض عبد الحميد مراد (جـ ٥، ٧ بالاشتراك، ١٤، ١٥ بالاشتراك)، محمد حسان عبيد (جـ ٧ بالاشتراك، ١٥ بالاشتراك)، أكرم عبد اللطيف البوشي (جـ ٨)، محمد حسان عبيد (جـ ٩)، ياسين محمد السواس (جـ ١١)، إبراهيم عمر الزيبق (جـ ١٢)، صلاح محمد الخيمي (جـ ١٣)، حسن إسماعيل مروة (جـ ١٦)، الشيخ عبد القادر الأرناؤوط (جـ ١٧), راجعه: الشيخ عبد القادر الأرنؤوط [ت ١٤٢٥ هـ]– وبشار عواد معروف, دار ابن كثير، دمشق – بيروت, ط٣, ١٤٣٤ هـ – ٢٠١٣ م, ٢٤٠/٨.

(٢٤) ينظر: في محراب كربلاء, لحسين كوراني, ص٣٧٣.٣٧٤.

(٢٥) مقتل الحسين, للخوارزمي, ص٣٣٥.

(٢٦) ينظر: تاريخ الرسل والملوك, للطبري, ٣٩٥/٥.

(٢٧) مقتل الحسين, للخوارزمي, ص٣٣٥.

(٢٨) المصدر السابق: ص٣٣٦.

(٢٩) المصدر السابق: ص٣٣٦.

(٣٠) سورة الأحزاب, الآية: ٢٣.

(٣١) تاريخ الرسل والملوك, للطبري, ٤٠٥/٥.

(٣٢) ينظر: في محراب كربلاء, لحسين كوراني, ٣٧٦.

أولاً: المصادر والمراجع:

*القرآن الكريم.

إبصار العين في أنصار الحسين، لمحمد بن طاهر السماوي (ت ١٣٧٠هـ)، انتشارات المكتبة الحيدرية، ط١، ١٣٨١–١٤٢٣هـ.

الأخبار الطوال, أبو حنيفة, أحمد بن داود الدينوري (ت ٢٨٢ هـ), تحقيق: عبد المنعم عامر, مراجعة: جمال الدين الشيال [ت ١٣٨٧ هـ], الناشر: وزارة الثقافة والإرشاد القومي – مصر, ط١, ١٩٦٠ م, طبع: دار إحياء الكتب العربية – عيسى البابي الحلبي وشركاه.

الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد, لأبي عبدالله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي (المشهور بالمفيد) (ت٤١٣هـ), تحقيق وطبع: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث, ط٢, ١٤٢٩هـ = ٢٠٠٨م.

الإصابة في تمييز الصحابة, أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ), تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض, دار الكتب العلمية – بيروت, ط١, ١٤١٥ هـ.

الأعلام, لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت ١٣٩٦ هـ), دار العلم للملايين, ط١٥, ٢٠٠٢ م.

الامام الحسين سيرة ومقتل, لهادي المدرسي, تحقيق: مركز ذكرى للدراسات والأبحاث, مؤسسة البلاغ للطباعة والنشر والتوزيع, ط٤, ١٤٣٨هـ = ٢٠١٧م.

البداية والنهاية, لأبي الفداء إسماعيل بن كثير (ت ٧٧٤ هـ)حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: محيي الدين ديب مستو (جـ ١، ٦)، علي أبو زيد أبو زيد (جـ ٢)، مأمون محمد سعيد صاغرجي (جـ ٣، ١٠)، محمود عبد القادر الأرناؤوط (جـ ٤)، رياض عبد الحميد مراد (جـ ٥، ٧ بالاشتراك، ١٤، ١٥ بالاشتراك)، محمد حسان عبيد (جـ ٧ بالاشتراك، ١٥ بالاشتراك)، أكرم عبد

اللطيف البوشي (ج ٨)، محمد حسان عبيد (ج ٩)، ياسين محمد السواس (ج ١١)، إبراهيم عمر الزيبق (ج ١٢)، صلاح محمد الخيمي (ج ١٣)، حسن إسماعيل مروة (ج ١٦)، الشيخ عبد القادر الأرناؤوط (ج ١٧)، راجعه: الشيخ عبد القادر الأرنؤوط [ت ١٤٢٥ هـ]– وبشار عواد معروف، دار ابن كثير، دمشق – بيروت، ط٣، ١٤٣٤ هـ – ٢٠١٣ م.

تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد مرتضى الحسيني الزَّبيدي، تحقيق: جماعة من المختصين، من إصدارات: وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت – المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت، د ط، أعوام النشر: (١٣٨٥ – ١٤٢٢ هـ) = (١٩٦٥ – ٢٠٠١ م)، وصَوّرتْ أجزاءً منه: دار الهداية، ودار إحياء التراث وغيرهما.

تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، أبو جعفر، محمد بن جرير الطبري (٢٢٤ – ٣١٠ هـ)، ويليه بالجزء ١١: «صلة تاريخ الطبري» لعريب بن سعد القرطبي [ت ٣٦٩ هـ]، ويليه: «تكملة تاريخ الطبري» لمحمد بن عبد الملك الهمذاني [ت ٥٢١ هـ]، ويليه: «المنتخب من كتاب ذيل المذيل من تاريخ الصحابة والتابعين لمحمد بن جرير الطبري» لأحد العلماء، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم [ت ١٤٠١ هـ]، دار المعارف بمصر، ط٢، ١٣٨٧ هـ – ١٩٦٧ م، وصَوّرتْها: دار التراث بيروت وغيرها كثير.

جمل من أنساب الأشراف، لأحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلَاذُري (ت ٢٧٩ هـ)، حققه وقدم له: سهيل زكار – رياض زركلي، دار الفكر – بيروت، ط١، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٦ م.

خاتمة مستدرك الوسائل، لحسين النوري الطبرسي (ت ١٣٢٠هـ)، تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت لاحياء التراث، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٩هـ = ٢٠٠٨م.

في محراب كربلاء حوادث الكوفة، لحسين كوراني، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٢٨هـ = ٢٠٠٧م.

اللهوف في قتلى الطفوف ويليه كتاب: حكاية المختار في أخذ الثأر برواية أبي مخنف، لرضي الدين أبي القاسم علي بن موسى بن جعفر بن طاووس الحسيني (ت ٦٦٤هـ)، منشورات المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ط١، ١٣٦٩هـ = ١٩٥٠م.

مثير الأحزان في أحوال الأئمة الاثني عشر أمناء الرحمن، لشريف الجواهري، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، د ط، ١٣٨٦هـ = ١٩٦٦م.

مثير الأحزان ويليه كتاب: التحصين في صفات العارفين من العزلة والخمول بالأسانيد المتلقاة من آل الرسول، لجمال الدين أحمد بن محمد بن فهد الحلي، المشهور بأبن نما الحلي (٥٦٧ ـ ٦٤٥ هـ ق)، تحقيق ونشر: مدرسة الامام المهدي، ط٣، ١٤٠٦هـ ق.

مقتل الحسين، لأبي المؤيد الموفق بن أحمد المكي (ت ٥٦٨هـ)، تحقيق: محمد السماوي، تصحيح ونشر: دار أنوار الهدى، ط١، ١٤١٨هـ ق.

الملهوف على قتلى الطفوف، لرضي الدين أبي القاسم علي بن موسى بن جعفر بن طاووس الحسيني (ت ٦٦٤هـ)، تحقيق وتقديم: فارس تبريزان الحسون، دائرة الأسوة للطباعة والنشر التابعة لمنظمة الأوقاف والشؤون الخيرية، ط٥، ١٤٣٤هـ ق = ١٣٩١هـ ش.

موسوعة التاريخ الاسلامي، لمحمد هادي اليوسفي الغروي، مجمع الفكر الاسلامي، مطبعة: مؤسسة الهادي، قم، ط١، ١٤١٧هـ،ق، ١١٢.١١١/٦.

موسوعة كربلاء، للبيب بيضون، طليعة النور، مطبعة سليمان زادة، قم، ط١، ١٤٢٧هـ.

نفس المهموم في مصيبة سيدنا الحسين المظلوم ويليه نفثة المصدور فيما يتجدد به حزن العاشور، لعباس بن محمد رضا بن أبي القاسم القمي(المشهور بعباس القمي) (ت١٣٥٩هـ)، انتشارات المكتبة الحيدرية، ط١، ١٣٧٩ = ١٤٢١.

وقعة الطف، للوط بن يحيى بن الأزدي الغامدي الكوفي المشور بأبي مخنف (ت١٥٧هـ ق)، تحقيق: محمد هادي اليوسفي الغروي، المجمع العالمي لأهل البيت، دار التعارف، بيروت، ط٣ منقحة ومزيدة، ١٤٣٣هـ = ٢٠١٢م.

ثانياً: المجلات والدوريات:

سفراء الامام الحسين، لعبد الرزاق النداوي، مجلة الاصلاح الحسيني، تصدر عن: مركز الدراسات التخصصية في النهضة الحسينية، النجف الاشرف، قسم الشؤون الفكرية، العتبة الحسينية المقدسة، العدد: ٢٧، ١٤٤١هـ = ٢٠١٩م.

فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية العدد(٨)
السنة الثالثة صفر الخير ١٤٤٦هـ آب ٢٠٢٥م

الشخصية المعنوية (الاعتبارية) دراسة تحليلية قانونية

م. م. علي محمد جايد
جامعة ذي قار / كلية القانون

المستخلص:
فإن هذا البحث بعنوان المسؤولية الجنائية للشخص المعنوي (الشركات والمنظمات) يُستهدف منه إيضاح الدور الحيوي المنوط بالقانون الجنائي العام للشخص المعنوي والشخصية الاعتبارية (المعنوية) والفصل الأول اختيار موضوع البحث وسبب الاختيار، وتوضيح المسئولية الجنائية للأشخاص المعنوية أو ما يسمي الاعتبارية والمحاسبة القضائية في القانون العام من أجل مكافحة الفساد في ظل عصر التقدم والتكنولوجيا الحديثة والتحول الرقمي لمعظم الأعمال، ولتحقيق أهداف الدراسة، قام الباحث بتحليل وتقييم العديد من الدراسات السابقة في هذا المجال، لجمع الأدلة والمستندات محل البحث من هذه الدراسات، وتمهيدا لصياغة مجموعة من الفروض والحلول في التوصيات والخاتمة، مدى أهمية مباحث. المحاسبة القضائية في مكافحة الفساد، والعدل في المعاملة واجب، والإحسان لذوى القربى والجيران وسائر المسلمين لازم، وأكل أموال الناس بالباطل محظور، والقصاص من الظالم والحمل على المعتدى واجب، رفعًا للضرر الناشئ عن فعله، ومن ثم بلورت قواعد هذا الفقه مسئولية الإنسان عن فعله هو لا عن فعل من عداه.

الكلمات المفتاحية: وحدات سياسية، شخص اعتباري، الشخص.

Abstract:
This research, entitled «Criminal Liability of Legal Persons (Companies and Organizations),» aims to clarify the vital role assigned by general criminal law to legal persons and corporate entities. Chapter One explores the selection of the research topic and the rationale for its selection, clarifying the criminal liability of legal persons (or what is called corporate entities) and judicial accountability in general law to combat corruption in this era of progress, modern technology, and the digital transformation of most businesses. To achieve the study›s objectives, the researcher analyzed and evaluated numerous previous studies in this field, gathering evidence and documents from these studies. This, in preparation for formulating a set of hypotheses and solutions in the recommendations and conclusion, highlights the importance of judicial accountability in combating corruption.

Keywords: political units, legal person, person.

الفصل الأول:

أهمية الموضوع وأسباب اختيار البحث وأهدافه

تُعتبر المسؤولية الجنائية للشخص المعنوي (الشركات والمنظمات) من المواضيع القانونية المعاصرة التي أثارت جدلًا واسعًا في الأوساط القانونية والقضائية، نظرًا لتزايد دور الشركات والمؤسسات في الأنشطة الاقتصادية والاجتماعية، وما قد يترتب على ذلك من ارتكاب جرائم ذات تأثير واسع النطاق، مثل الفساد المالي، غسيل الأموال، الجرائم البيئية، وجرائم الاحتيال(١).

ويمكن إجماله في أسباب اختيار البحث وهي:

١. اتساع دور الأشخاص المعنوي: أصبحت الشركات والمنظمات فاعلًا رئيسيًا في الحياة الاقتصادية والاجتماعية،

مما يستدعي وضع إطار قانوني يضمن التزامها بالقوانين وعدم استغلالها كوسيلة لارتكاب الجرائم.

٢. مكافحة الجرائم الاقتصادية والمالية: تسهم مساءلة الشركات جنائيًا في الحد من الفساد المالي والاحتيال والتلاعب بالأسواق.

٣. حماية المجتمع والمصلحة العامة: فرض المسؤولية الجنائية على الشخص المعنوي يعزز من حماية البيئة، الصحة العامة، وحقوق المستهلكين.

٤. مواكبة التطورات التشريعية الدولية: العديد من الدول قامت بتعديل تشريعاتها لتشمل مساءلة الشركات جنائيًا، ما يفرض ضرورة دراسة مدى ملاءمة هذا الاتجاه للتشريعات الوطنية.

٥. سد الفراغ التشريعي والقضائي: لا تزال هناك فجوات قانونية في بعض الأنظمة التي لا تعترف بالمسؤولية الجنائية للشخص المعنوي، مما يستدعي دراسة معمقة حول إمكانية تطبيقها ومدى فعاليتها.

٦. الجدل القانوني حول مساءلة الشخص المعنوي: لا يزال هناك اختلاف بين الفقهاء والقانونيين حول إمكانية مساءلة الشركات جنائيًا، وما إذا كان من الأفضل الاكتفاء بالمسؤولية المدنية والإدارية.

٧. نقص الدراسات الشاملة في بعض التشريعات: رغم وجود العديد من الدراسات حول هذا الموضوع، إلا أن هناك حاجة إلى تحليل مقارن بين الأنظمة القانونية المختلفة.

٨. رغبة في تقديم حلول قانونية: يمكن أن يساعد البحث في تقديم توصيات للمشرعين وصناع القرار بشأن كيفية تعزيز الإطار القانوني لمساءلة الأشخاص المعنوية جنائيًا.

٩. الأهمية العملية في الواقع القانوني والقضائي: تطور القوانين الحديثة جعل من الضروري فهم كيفية تطبيق هذه المسؤولية عمليًا في المحاكم والشركات، خاصة في ظل تزايد القضايا المتعلقة بالجرائم المالية والفساد(٢).

وأهداف البحث تكمن في الآتي:

١- توضيح مفهوم الشخصية المعنوية وأساسها القانوني.

٢- التعرّف على آثارها القانونية.

٣- تحليل واقعها في النظام القانوني الحديث.

المبحث الأول:

مفهوم الشخصية المعنوية (الاعتبارية)

وإذا كان الفقهاء المسلمون الأوائل لم يتعرضوا في مؤلفاتهم لمصطلح الشخصية الاعتبارية (الشخصية الحكمية) فإن هذا لا يعني عدم معرفتهم لمعنى الاصطلاح تصديقا للقاعدة الفقهية ؛ العبرة بالمقاصد والمعاني لا بالألفاظ والمباني(٣)، ولو أمعنا النظر في مؤلفاتهم نجد أنهم أقروا أحكامًا تؤكد معرفتهم للأشخاص الاعتبارية، ولقد وضح أن الشخصية الاعتبارية ليست غريبة على الفقه الإسلامي أو متعارضة مع أحكامه بل على العكس فقد رتب عليها أحكاما، ويمكن القول بأن المذاهب الفقهية جميعها أقرت الشخصية الاعتبارية أو الحكمية وتقدر لها الذمة كتقديرها في الإنسان؛ إذ لا شخص بلا ذمة، وفقهاء القانون يتفقون في هذا مع فقهاء الإسلام(٤).

عالم أصبح من البديهيات في نظر القانون العام الحديث في الآونة الأخيرة أن يعترف بالشخصية القانونية لكل إنسان؛ فكل إنسان في نظر القانون شخصًا بما يترتب على ذلك من آثار، ولكن اعتبارات عديدة دعت إلى الاعتراف بالشخصية القانونية لغير الأشخاص الطبيعيين؛ سواء أكانت مجموعة من الأفراد أم مجموعة من الأموال، ومن هنا جاءت فكرة الشخصية الاعتبارية، وبالتالي فالشخص الاعتباري هو مجموعة من الأشخاص أو الأموال تتكاتف وتتعاون أو ترصد لتحقيق غرض وهدف مشروع بموجب اكتساب الشخصية القانونية التي يمنحها القانون لها بالقدر اللازم لتحقيق أغراضها، وهكذا ظهرت الأشخاص الاعتبارية إلي جانب الأشخاص الطبيعية في صورة غير مرئية، وطالما اعترف لتلك الكيانات بالشخصية القانونية التي تؤهلهم لكسب الحقوق والتحمل بالالتزامات؛

والشخص في اللغة هو كل جسم له ارتفاع وظهور وغلب في الإنسان، وعند الفلاسفة هو الذات الواعية لكيانها، والشخصية تمييز الشخص عن غيره، والاعتبار في اللغة الفرض والتقدير كما يقال أمر اعتباري مبني على الفرض، والمعاني في العربية للفظ ذات شجون ليس هنا محلها(٥). أصبحت مسئوليته الجنائية أمرًا ضروريًا ومُلحًا؛ خاصة في ظل التطور الاقتصادي والاجتماعي الواضح في الوقت الحاضر، وكذلك تزايد وتشعب أنشطة الأشخاص الاعتبارية في مختلف المجالات والميادين داخل المجتمع ما يؤدي في كثير من الأحيان إلى انتهاك ومخالفة القانون، وإحداث أضرار كبيرة وكثيرة داخل المجتمع، وذلك لامتلاكها إمكانيات مذهلة من أجل ممارسة أنشطتها، ولما كان الشخص الطبيعي هو المخاطب بنصوص ومواد قانون العقوبات، وقانون الإجراءات الجنائية إذا ما ارتكب فعلا أو امتنع عن القيام بفعل يُشكل جريمة بنص القانون(٦).

المبحث الثاني

أنواع الشخصية المعنوية

تعتبر المسؤولية الجنائية للشخص المعنوي (الشركات والمنظمات) من المواضيع القانونية المعاصرة التي أثارت جدلًا واسعًا في الأوساط القانونية والقضائية، نظرًا لتزايد دور الشركات والمؤسسات في الأنشطة الاقتصادية والاجتماعية، وما قد يترتب على ذلك من ارتكاب جرائم ذات تأثير واسع النطاق، مثل الفساد المالي، غسيل الأموال، الجرائم البيئية، وجرائم الاحتيال(٧)، وبما أن الشخص الاعتباري من نتاج العصر الحديث بعد ظهور المؤسسات والهيئات والتي بعجز الشخص الطبيعي أن يتولاها بمفرده فكان لابد من ظهور كيانات اجتماعية في صور متعددة كالجمعيات والمؤسسات والهيئات والشركات وما إلى غير ذلك من المسميات حتي يسند إليها العمل بغرض تحقيق الأهداف، ولزم علينا أن نوضح الشخص الاعتباري في القانون، فإن الفكرة ليست حديثة بل من الأفكار التقليدية كما ظهرت في القرون القديمة كما في الفراعنة والرومان، وقد اعترف القضاء بالشخصية القانونية للشركات والجمعيات على مستوي العالم ، وتعريفات الشخصية الاعتبارية قد يكون مجموعة من الأشخاص أو الأموال أو كلاهما معا ترمي إلى تحقيق غرض معين مشروع، ويمنح لها القانون بالقدر اللازم لتحقيق هذا الغرض(٨).

المبحث الثالث:

الأساس القانوني للاعتراف بالشخصية المعنوية

ومما لا شك فيه أن اتساع دور الأشخاص المعنوية أصبحت الشركات والمنظمات فاعلًا رئيسيًا في الحياة الاقتصادية والاجتماعية، مما يستدعي وضع إطار قانوني يضمن التزامها بالقوانين وعدم استغلالها كوسيلة لارتكاب الجرائم، ويمكن نستعرض كما في تعريف الشخص الاعتباري (المعنوي) وإنه قد يكون مجموعة من الأشخاص أو الأموال تهدف إلى تحقيق غرض معين ويعترف لها القانون بالشخصية القانونية، ويكون لها كيانها المستقل عن شخصية المكونين وعن شخصية من قام بتخصيص الأموال(٩).

أولا: مكافحة الجرائم الاقتصادية والمالية: وهنا يمكن أن نستخدم مجموعة من الأشخاص تستهدف غرضا مشتركا أو مجموعة من الأموال ترصد لمدة زمنية محددة لتحقيق غرض معين؛ بحيث تكون هذه المجموعة المكونة من الأشخاص المكونين لها ومستقلا عن العناصر المالية لها، أي تكون لها أهلية قانونية لاكتساب الحقوق وتحمل الالتزامات بحيث تكون لهذه المجموعة من الأشخاص أو الأموال مصلحة جماعية مشتركة مستقلة عن المصالح الذاتية والفردية لأفراد المجموعة(١٠)، وكما تسهم مساءلة الشركات جنائيًا في الحد من الفساد المالي والاحتيال والتلاعب بالأسواق، ويتضح هذا في الكيان الاعتباري الذي يثبت له الأهلية بنوعيها؛ الأول: أهلية الوجوب، والثاني: أهلية الأداء، وللتوضيح/ فالأول: أهلية الوجوب التي تعني صلاحية الشخص لكسب الحقوق وتحمل الواجبات؛ أي وجوب الحق له أو عليه.

وبالنسبة للثاني: أهلية الأداء وتعني الصلاحية للقيام بالتصرفات القانونية كالبيع والقبض والهبة وغيرها؛ أي

صلاحيته للالتزام بمقتضى تصرفاته؛ أو استعمال حقوقه وأداء التزاماته(١١).

ثانياً: حماية المجتمع والمصلحة العامة: فرض المسؤولية الجنائية على الشخص المعنوي يعزز من حماية البيئة، الصحة العامة، وحقوق المستهلكين؛ وبما أن الشخص الاعتباري هو مجموعة من الأشخاص أو الأموال أو كلاهما معا فلزم أن يكون الغرض ممكنا ومشروعا؛ فإذا مستحيلا أو غير مشروع فإن التصرف الذي ينشأ بمقتضاه الشخص الاعتباري يعد تصرفا باطلا، وذلك لانتفاء ركن المحل أو لعدم مشروعية السبب، وكما يكون مستقرا لمدة كافية لتحقيق أهداف الشخص الاعتباري، وأن يكون الغرض جماعيًا فلا يتعلق بمصلحة شخصية أو فردية لخدمة شخص بعينه، ويكون على الشخص الاعتباري تنظيم معين يضمن له حسن سير العمل وحسن تمثيله في التصرفات القانونية التي تتم تحقيقًا للغرض الذي أُنشئ مت أجله(١٢).

ثالثا: مواكبة التطورات التشريعية الدولية: العديد من الدول قامت بتعديل تشريعاتها لتشمل مساءلة الشركات جنائيًا، ما يفرض ضرورة دراسة مدى ملاءمة هذا الاتجاه للتشريعات الوطنية، فإن الأصل في القانون هو الاعتراف العام إلا إنه قد يؤخذ بالاعتراف الخاص؛ فعلى سبيل المثال الاستثناء للمنشآت والهيئات والمؤسسات العامة والطوائف الدينية لا تكتسب الشخصية الاعتبارية إلا بمقتضي اعتراف خاص.

رابعًا: سد الفراغ التشريعي والقضائي: لا تزال هناك فجوات قانونية في بعض الأنظمة التي لا تعترف بالمسؤولية الجنائية للشخص المعنوي، مما يستدعي دراسة معمقة حول إمكانية تطبيقها ومدى فعاليتها، والعنصر التشريعي يتمثل في تضمين الاعتراف بالشخص الاعتباري؛ فإنه من أهم العناصر في تكوين الشخصية الاعتبارية اعترافا صريحا أو ضمنيا، وقد يقع بالاعتراف العام أو الاعتراف الخاص. فإن الاعتراف العام يتطلب شرط أول: وهو توافر مجموعة من الأشخاص أو الأموال أكلاهما معا، والشرط الثاني: أن تتوافر في المجموعات الأركان والشروط التي استلزمها القانون، والاعتراف الخاص هو الذي يستلزم إلى جانب الشروط التي نص القانون عليها أن تتدخل السلطة المختصة لتصدر قرارا خاصا بمنح الشخصية القانونية لمجموعة الأشخاص أو مجموعة الأموال(١٣).

الفصل الثاني

مفهوم المسؤولية المدنية والجنائية في الشخصية المعنوية (الاعتبارية).

إن المسئولية الجنائية في الشخصية المعنوية (الاعتبارية) قد يتنوع التعريف أو المفهوم من حيثُ المسؤولية بين المجتمعات المتعددة، ولكن يمكن القول إجمالا وليس تفصيلا بأن المسؤولية الجنائية للشخصية الاعتبارية أصبحت من المفاهيم الحديثة التي تهدف إلى مكافحة الجرائم الاقتصادية والإدارية، من خلال تحميل الشركات والمؤسسات تبعات أفعالها غير القانونية. ورغم أن بعض الدول لا تزال تقصر المسؤولية الجنائية على الأفراد، فإن الاتجاه العالمي يميل إلى تعزيز محاسبة الشركات والكيانات الاعتبارية لضمان الامتثال القانوني والشفافية.

وليس هنا المجال المتسع لتوضيح الفرق بين المسؤولية الجنائية والمسؤولية المدنية للشخص المعنوي.

المبحث الأول

الأساس القانوني في المسؤولية الجنائية للشخصية المعنوية

لقد سبق بيان المسؤولية الجنائية للشخصية الاعتبارية (المعنوية)، والمقصود بالشخصية الاعتبارية ومعني ومفهوم الشخصية الاعتبارية (أو المعنوية) والتي تعني الكيانات القانونية مثل الشركات، المؤسسات، الجمعيات، النقابات، والمنظمات، التي تتمتع بوجود قانوني مستقل عن الأفراد المكونين لها، ولها حقوق والتزامات قانونية خاصة بها، ومعني المسؤولية الجنائية للشخصية الاعتبارية تعني تحميل الكيان الاعتباري (مثل الشركات أو المؤسسات) المسؤولية الجنائية عن الأفعال الإجرامية التي تُرتكب باسمها أو لحسابها من قِبَل ممثليها أو العاملين فيها، متى ثبت وجود خطأ أو تقصير في إدارتها أو الإشراف على العاملين فيها، ويختلف الأساس القانوني للاعتراف بمسؤولية الشخصيات الاعتبارية بين الأنظمة القانونية، ولكنها تقوم عادة على نمط واحد أو أكثر من المبادئ التالية:

١. نظرية الفعل الشخصي (المسؤولية غير المباشرة)
الشركة أو المؤسسة لا يمكن أن ترتكب الجريمة بنفسها، ولكن يمكن تحميلها المسؤولية عن الأفعال غير المشروعة لممثليها أو العاملين فيها، باعتبار أن هؤلاء الأشخاص يتصرفون باسمها ولحسابها.
٢. نظرية الخطأ التنظيمي أو المؤسسي
إذا كان هناك خلل أو إهمال في هيكل الشركة أو سياساتها أدى إلى ارتكاب الجريمة (مثل غياب آليات الرقابة، أو التحريض على المخالفات)، فيمكن تحميلها المسؤولية الجنائية.
٣. المسؤولية المباشرة عن الأفعال الإجرامية
بعض الأنظمة القانونية تسمح بتحميل الشخصية الاعتبارية مسؤولية مباشرة عن بعض الجرائم مثل غسل الأموال، الفساد، التهرب الضريبي، أو الجرائم البيئية.

المبحث الثاني

تطور المسؤولية الجنائية للشخص المعنوي

١- التطور التاريخي لفكرة مُساءلة الشخص المعنوي.
٢- موقف الشريعة الإسلامية من مسؤولية الشخص المعنوي.
٣- موقف الفقه القانوني من تجريم الشخص المعنوي.

الأول: التطور التاريخي لفكرة مساءلة الشخص المعنوي:
فإن التطور التاريخي لفكرة مساءلة الشخص المعنوي، وكما ورد في الفقه الإسلامي بالنسبة للأشخاص العامة الاعتبارية والتي تتمثل في السلطة العامة المركزية كما إنها مؤسسات تهدف إلى تحقيق النفع العام ومنها الدولة مثل بيت مال المسلمين، المسجد، المدارس، المستشفيات، ويمكن التوضيح بنبذة كما في الدولة، والتي تأتي في مقدمة الأشخاص الاعتبارية كشخص أساسي لبسط سلطته وممارسة نشاطه على إقليم الدولة، وكافة الأفراد المقيمين عليه(١٤)، والمعروف أن الدولة هي إقليم يتمتع بنظام حكومي واستقلال سياسي أو أمة أو مجموعة أمم منظمة وخاضعة لحكومة وشرائع مشتركة، والسلطة العليا هي التي تتولى تنفيذ الأحكام، وذلك بمعنى أنها تتألف من مجموعة من النظم والولايات بحيث تؤدي كل ولاية دورها وتعمل لتحقيق مقصد عام وهو رعاية مصالح المسلمين الدينية والدنيوية(١٥)، وفقهاء القانون وضعوا تعريفات مختلفة للجريمة الدولية تؤكد كلها أنها ترتكب من قبل دولة ضد أخرى بطريق مباشر أو غير مباشر، وقد ترتكب من شخص طبيعي باسم الدولة أو بتشجيع منها أو برضائها أو ترتكب من الدولة مباشرة في مصالح أو الإضرار بالمصالح التي تهم الجماعة الدولية، ومن بين التعريفات إنها سلوك إرادي غير مشروع يصدر عن فرد باسم الدولة أو بتشجيع أو رضاء منها، ويكون منطويًا على مساس بمصلحة دولية أو محمية قانونًا(١٦)، وتعريف آخر: فعل أو امتناع يعد مخالفة جسيمة لأحكام القانون الدولي، ويكون من شأنه إحداث الاضطراب في الأمن والنظام العام الدولي، والمساس بالمصالح الأساسية والإنسانية للجماعة الدولية وأفراد الجنس البشري، ما يستوجب معه المسئولية الدولية، وضرورة توقيع العقاب الجنائي على تلك المخالفة(١٧)، وثالث: هي كل سلوك بشري عمدي يراه المجتمع ممثلا أغلبية أعضائه مخلا بركيزة أساسية لكيان هذا المجتمع (أي لقيام التعايش السلمي بين شعوب البشرية) أو بدعامة معززة لهذه الركيزة، ويكون منافيا الضمير البشري العالمي لذلك المجتمع، وقابلا لإفلات صاحبه من المساءلة الجنائية؛ أما لاتخاذه في مكان غير خاضع لسلطان أية دولة كالبحر العام والجو العام وأما لصدوره من قوة تتسلط على أشخاص لا يملكون لها دفعا، وأما لعدم إمكان العقاب عليه في مكان اتخذه أو مكان احتماء صاحبه، وإما لاجتيازه حدود الدول بطريقة

غادرة أو لورده على محل قابل لأن ينبثق منه الأذى إضرارا بعدد مطلق من أشخاص عاجزين عن تفادي هذا الأذى(١٨)، وتعريف رابع بأن الجريمة الدولية الفعل الذي تطبق وتنفذ عقوبته باسم الجماعة الدولي؛ وهي كل فعل غير مشروع ينفذ جزاؤه الجنائي باسم الجماعة الدولية (١٩)، وعلى ذات المعنى يتضح بأن الجريمة الدولية بأنها واقعة إجرامية تخالف قواعد القانون الجنائي الدولي وتهدد المصالح الأساسية للدول كما إنها ترتكب من دولة ضد أخري بطريق مباشر أو غير مباشر.

الثاني: موقف الشريعة الإسلامية من مسؤولية الشخص المعنوي.

مما لا شك فيه أن المسؤولية في الإسلام تقوم على مبدأ {ولا تزر وازرة وزر أخرى} سورة الأنعام: ١٦٤، أي أن الفرد مسؤول عن أفعاله. ومع ذلك، فإن المؤسسات والكيانات الجماعية يمكن أن تكون مسؤولة عن تصرفاتها وفقًا لمبدأ التكافل والمسؤولية الجماعية، خاصة عندما ترتكب أفعالًا تؤدي إلى ضرر أو مخالفة شرعية، وتتناول الشريعة الإسلامية مفهوم المسؤولية من خلال مبادئ العدل والمحاسبة، إلا أن فكرة «الشخص المعنوي» لم تكن موجودة بمفهومها الحديث في الفقه الإسلامي التقليدي. ومع ذلك، يمكن استنباط موقف الشريعة الإسلامية من مسؤولية الشخصيات المعنوية (مثل الشركات والمؤسسات) من خلال القواعد العامة للمسؤولية في الفقه الإسلامي، ومن منطلق مفهوم المسؤولية في الشريعة الإسلامية تقوم على مبدأ «ولا تزر وازرة وزر أخرى» (الأنعام: ١٦٤)، أي أن الفرد مسؤول عن أفعاله، ومع ذلك فإن المؤسسات والكيانات الجماعية يمكن أن تكون مسؤولة عن تصرفاتها وفقًا لمبدأ التكافل والمسؤولية الجماعية، خاصة عندما ترتكب أفعالًا تؤدي إلى ضرر أو مخالفة شرعية، وقد مدى الاعتراف بالشخص المعنوي في الشريعة(٢٠).

رغم عدم ذكر الشخصية المعنوية بشكل صريح في النصوص الشرعية، إلا أن الفقه الإسلامي يعترف بوجود كيانات جماعية مثل بيت المال، الوقف، النقابات، والمؤسسات العامة، والتي تُعامل معاملة الأشخاص الطبيعيين في بعض الأحكام، مثل امتلاك الأموال والتصرف فيها(٢١)، وثبت المسؤولية الجنائية للشخص المعنوي في الإسلام يكون واضح فيما

يتعلق بالمسؤولية الجنائية، فإن الإسلام يركز على محاسبة الأفراد المسؤولين عن الجريمة، وليس الكيان المعنوي ذاته، لأن الجريمة تستلزم القصد والإرادة، وهما من خصائص الأفراد، ومع ذلك، فإن الشريعة تجيز تحميل المؤسسة المسؤولية إذا كان نظامها أو إدارتها قد أدى إلى ارتكاب جرائم، مثل:

- دفع الدية في القتل الخطأ: حيث تتحمل العاقلة (العشيرة أو الجماعة) دفع الدية، وهو ما يمكن اعتباره شكلاً من أشكال المسؤولية الجماعية.
- ضمان الضرر والتعويض: إذا قامت مؤسسة أو شركة بإحداث ضرر مالي أو بيئي، فإنها تُلزم شرعًا بالتعويض وفقًا لقاعدة «الضرر يزال».

ونوضح بأن العقوبات على الشخص المعنوي في الإسلام تكون بطريقة التأديب والحزم، ويمكن للدولة تضع النظم واللوائح لها، وبما أن العقوبات الجنائية التقليدية (كالحدود والتعزير) تطبق على الأفراد، فإن المؤسسات تعاقب من خلال:

- التعويض المالي للمتضررين؛ باعتبار أن أدب الجيب (الغرامة) هو أساس الأدب المؤثر على الشخصية سواء كانت حقيقية أو معنوية.
- إغلاق المؤسسة أو منعها من العمل إذا كان نشاطها غير مشروع.
- إلزام القائمين عليها بتصحيح الأوضاع المخالفة(٢٢).

الثالث: موقف الفقه القانوني من تجريم الشخص المعنوي.

بمساءلة الأفراد المسؤولين داخلها. ويهدف هذا الاتجاه إلى تعزيز الشفافية، منع الجرائم الاقتصادية، وتحقيق العدالة في المعاملات التجارية(٢٣).

من الأمثلة على تطبيق تجريم الشخصية المعنوية

• القانون الفرنسي: يعترف بالمسؤولية الجنائية للشخصيات المعنوية منذ عام ١٩٩٤، ويجيز توقيع عقوبات عليها، وقد أقرّ قانون العقوبات الفرنسي الجديد، الصادر عام ١٩٩٢ والذي دخل حيز التنفيذ في مارس ١٩٩٤، مبدأ المسؤولية الجنائية للأشخاص المعنوية (مثل الشركات والمؤسسات) عن الجرائم المرتكبة لحسابها بواسطة أجهزتها أو ممثليها. هذا التطور التشريعي جاء بعد جدل فقهي طويل حول إمكانية مساءلة الكيانات الاعتبارية جنائيًا. تجدر الإشارة إلى أن هذا القانون لا يستبعد معاقبة الأشخاص الطبيعيين الفاعلين أو الشركاء عن نفس الأفعال(٢٤).

• القانون الأمريكي: يسمح بمحاكمة الشركات في جرائم مثل الاحتيال المالي والتهرب الضريبي(٢٥).

• القانون المصري: يحدد حالات معينة يُسمح فيها بتجريم الشخصية المعنوية، مثل قضايا غسل الأموال والفساد.

ويُعنى الفقه القانوني العام بمسألة تجريم الشخصية المعنوية (مثل الشركات، الجمعيات، المؤسسات) باعتبارها كيانًا مستقلاً عن الأفراد الذين يديرونها، وقد تطور هذا المفهوم عبر الزمن، حيث كانت المسؤولية الجنائية في البداية مقتصرة على الأفراد، لكن مع تطور الأنشطة الاقتصادية والمالية وتعقيد العلاقات القانونية، ظهرت الحاجة إلى تجريم الشخصيات المعنوية في حالات معينة.

المبحث الثالث:

الاتجاهات الفقهية حول تجريم الشخصية المعنوية

١. الاتجاه التقليدي (الرافض للتجريم):

١–يقوم على مبدأ أن الجريمة تستلزم «القصد والإرادة»، وهما صفات لا تتوفر في الشخصية المعنوية، بل في الأفراد الطبيعيين.

٢–يرى هذا الاتجاه أن المسؤولية الجنائية يجب أن تقع على الأفراد الذين ارتكبوا الجريمة داخل الشركة أو المؤسسة(٢٦).

٢. الاتجاه الحديث (المؤيد للتجريم):

١–يعترف بإمكانية مساءلة الشخص الاعتباري جنائيًا، نظرًا لتزايد دور الشركات والمؤسسات في الأنشطة الاقتصادية وتأثيرها على المجتمع.

٢–يعتبر أن الكيان المعنوي قد يتسبب في أضرار جسيمة، وبالتالي يجب أن يتحمل المسؤولية إلى جانب الأفراد المسؤولين فيه.

٣–تطبق بعض القوانين هذا المبدأ في جرائم مثل الفساد، غسل الأموال، الجرائم البيئية، وخرق قوانين المنافسة (٢٧).

٣.الاتجاه الوسطي:

٤–يجمع بين الاتجاهين، حيث يعترف بمسؤولية الشخص المعنوي لكنه يقصرها على الجرائم التي تُرتكب لحسابه أو باسمه، مع استمرار مساءلة الأفراد الذين قاموا بالجريمة فعليًا.

أسس تجريم الشخصية المعنوية في القانون

١–نظرية النيابة واعتبار أن أفعال ممثلي الشركة تُنسب إليها، وبالتالي يمكن محاسبتها جنائيًا كما لو كانت فردًا.

٢–نظرية الخطأ التنظيمي وتعني تحميل الشخصية الاعتبارية المسؤولية إذا ثبت وجود خلل في الإدارة أو الرقابة

أدى إلى وقوع الجريمة.

٣-نظرية المصلحة الاجتماعية والتي تهدف إلى حماية المجتمع من ممارسات الشركات غير المشروعة، خاصة في الجرائم الاقتصادية(٢٨).

ويكون الناتج فرض العقوبات التي تُفرض على الشخصية المعنوية، وبما أن الكيان المعنوي لا يمكن سجنه، فإن العقوبات تكون بقوة الردع وعلى سبيل المثال تشمل:

(الغرامات المالية (وهي الأكثر شيوعًا أو تسريح المتسببين في الفساد بالطرق المباشرة أو غير المباشرة أوإغلاق الشركة أو المؤسسة نهائيًا أو مؤقتًا حسب الجرم وكما تدده الهيئات القاضية أو المنوطة بالحكم أو الحرمان من مزاولة بعض الأنشطة أو التعاقد مع الحكومة؛ أو مصادرة الممتلكات أو الأموال الناتجة عن النشاط غير القانوني(٢٩).

الفصل الثالث:

الحلول والاحكام

الحلول والاحكام المتعلقة بالشخصية القانونية المعنوية، تتضمن عدة جوانب، بما في ذلك اكتساب هذا الشخصية، والتمتع بالحقوق والالتزامات.

المبحث الأول

الجرائم القانونية للشخصية المعنوية (الاعتبارية).

تتعامل القوانين الحديثة مع الشركات ككيانات يمكن تحميلها المسؤولية الجنائية، حيث يمكن فرض عقوبات مثل الغرامات الضخمة، منع النشاط التجاري، أو حتى تفكيك الشركة. كما أن بعض المسؤولين التنفيذيين قد يواجهون السجن إذا ثبت تورطهم الشخصي(٣٠).

وجدير بالذكر أن الجرائم التي يرتكبها الشخص المعنوي أو الشخص الاعتباري (الشركات والمؤسسات)، يمكن أن نوضحها بإيجاز على إنها جرائم متعددة وفقًا للقوانين الوطنية والدولية، وهذه الجرائم تشمل عدة صور وأهمها:

١-الجرائم الاقتصادية والمالية:

إن الكشف عن الغش وعمليات غسيل الأموال والممارسات المحاسبية الاحتيالية، والإطار الفكري للمحاسبة القضائية هو نظام متكامل لمجموعة من الأهداف، والمفاهيم، والافتراضات، المعايير، والمهارات، المترابطة فيما بينها، لتقديم خدمات استقصائية تحريات وخدمات قانونية لمكافحة الغش وممارسات الفساد المالي وهي الجرائم التي تهدف إلى تحقيق مكاسب غير مشروعة وتؤثر على الاقتصاد، وتشمل:

- **الاحتيال المالي**: التلاعب بالبيانات المالية أو تضليل المستثمرين والمساهمين

مثل فضيحة شركة **Enron**)) فضيحة إنرون تظل أحد أكبر الأمثلة على التلاعب بالبيانات المالية في التاريخ، وأدت إلى تغييرات جوهرية في قوانين الشركات والمحاسبة. وهي تذكير قوي بأهمية الرقابة المالية والنزاهة في الأسواق المالية(٣١).

- **غسيل الأموال**: إخفاء مصادر الأموال غير المشروعة عبر شركات وهمية أو تحويلات مالية معقدة، فإن مصطلح غسيل الأموال يعني عملية إخفاء المصدر غير المشروع للأموال وجعلها تبدو قانونية، وعندما تقوم الشخصية الاعتبارية (مثل الشركات أو المؤسسات) بهذه العملية، يكون الهدف هو إدخال الأموال غير المشروعة في النظام المالي دون إثارة الشبهات، وذلك بعدة طرق منها على سبيل المثال لا الحصر (**Shell Companies**) أي الشركات الوهمية أو إنشاء شركات لا تمارس أي نشاط حقيقي، ولكنها تُستخدم كواجهة لتحويل الأموال غير المشروعة؛ أو استغلال أنشطة تجارية تتعامل بالنقد بشكل كبير، مثل المطاعم أو الكازينوهات، لدمج الأموال غير

المشروعة مع الإيرادات العادية؛ أو استيراد أو تصدير بضائع بأسعار غير واقعية بمعني التوهم لغسيل الأموال عبر التجارة الدولية؛ أو تسجيل أرباح وهمية وإجراء معاملات زائفة لإخفاء مصدر الأموال؛ أو عمليات تدوير الأموال وما أكثرها في البلاد النامية (Cash-Intensive Businesses) أو تسجيل مبيعات وهمية لتبرير دخول الأموال إلى حسابات الشركة أو استخدام الجمعيات الخيرية أو المنظمات غير الربحية كغطاء لتحويل الأموال غير القانونية.

ويندرج تحتها التهرب الضريبي إخفاء الأرباح أو تقديم بيانات ضريبية غير صحيحة لتجنب دفع الضرائب، والاحتكار والممارسات التجارية غير المشروعة: استغلال النفوذ الاقتصادي لمنع المنافسة العادلة (مثل قضايا مكافحة الاحتكار ضد شركات التكنولوجيا الكبرى) (٣٢).

٢-الجرائم البيئية:

في الحقيقة التي لا جدال فيها والفساد ولا يمكن منعه وإلغائه، ولكن يمكن مواجهته ومحاربته ومكافحته وتخفيضه باستخدام المحاسبة القضائية كآلية من آليات مكافحة الفساد المالي والتي تتمثل في مهارة التحري والتقصي التي يمتلكها المحاسب القضائي، ولا يوجد تنظيم مهني ومعايير لتنظيم أدبيات وسلوكيات مهنة المحاسبة القضائية في البيئة العربية في الوقت الحالي، سوي الوازع الديني، والتذكرة بالمحاسبة والعقاب، وتكون الجرائم التي ترتكبها الشركات ضد البيئة كثيرة ومتنوعة، ومنها بإيجاز الجرائم البيئية والصحية مثل:

التلوث الصناعي الذي هو في غالب مجتمعاتنا الشرقية ويظهر في إدخال ملوثات ضارة إلى البيئة نتيجة للأنشطة الصناعية، مما يؤدي إلى الإضرار بالهواء، والماء، والتربة، والكائنات الحية، وينتشر التلوث الصناعي نتيجة لاستخدام المواد الكيميائية، وإطلاق الغازات السامة، والتخلص غير الآمن من النفايات الصناعية، وإلقاء نفايات سامة أو تصريف مواد كيميائية ضارة في المياه أو الهواء بما يؤدي إلى الإضرار بالحياة البرية و تدمير الموائل الطبيعية والتسبب في انقراض بعض الأنواع، وعدم الامتثال لقوانين البيئة تجاهل القوانين البيئية أو التحايل عليها لتوفير التكاليف(٣٣).

٣-جرائم الفساد الإداري:

تتعلق بإساءة استخدام النفوذ لتحقيق مصالح خاصة، مثل:

١-الرشوة: تقديم أموال أو مزايا للحصول على عقود حكومية أو تسهيلات غير قانونية، وقد تكون بمسميات متنوعة كالإكرامية والهدايا وغير ذلك.

٢-سوء استغلال السلطة ويتمثل في استغلال الموظفين أو المدراء سلطاتهم لمكاسب شخصية أو لشركتهم.

٣-اختلاس الأموال العامة ويكون في شكل استخدام أموال الدولة أو الشركات أو تبادل المنافع والخدمات لأغراض شخصية(٣٤).

٤-الجرائم السيبرانية والمعلوماتية:

إن السيبرانية اليوم هي حجر الأساس في حماية المعلومات والأنظمة الرقمية، سواء للأفراد أو الشركات أو الحكومات، ومع التطور السريع في التكنولوجيا، أصبح الأمن السيبراني ضروريًا لمواجهة التهديدات الحديثة وحماية البيانات من المخاطر الإلكترونية ، ومن خلال عمليات (Ratio Analysis) تحليل النسب يمكن دراسة العالقات بين مجاميع البيانات الرقمية مثل العالقة بين التكاليف والوحدات المباعة أو ايراد المبيعات أو ساعات العمل المباشر، ويمكن باستعمال تحليل النسب تقدير بعض المصروفات او تحليل نسبة مجمل الربح أو تكلفة البضاعة المباعة أو غيرها من النسب التي يمكن أن تشير إلى وجود بنود غير اعتيادية في البيانات قيد التحليل

والتي تقود إلى اعتبارها عمليات تلاعب أو غش. وهي تعطي مؤشرات عن الوضع المالي للشركة وهي تعكس إذا ما كان هنالك احتيال من خلال ربطه مع الأعراض الممكنة الاحتيال معلومات عن الصفقات ذات المبالغ الكبيرة والعالقة بين أطراف الصفقة الواحدة مثل عالقة المساهمين بمجلس الإدارة ومتداولي الأسهم والسندات أو أي أطراف أخرى ذات عالقة أو تأثير على الصفقة، ويتضمن هذا الأسلوب أيضا الحصول على الوثائق الثبوتية للموجودات الثابتة والتحقق من صحة أرصدتها وأرصدة حسابات أخرى كالمدينين والنقد والمخزون وكذلك إجراء مقابلات مع المديرين التنفيذيين للشركة وإجراء تحليلات للقوائم المالية لتحديد الاختلافات والتباينات في بنودها والتي من خلالها تكتشف الجرائم التي تُرتكب عبر الإنترنت والتكنولوجيا الحديثة(٣٥)، ويمكن ذكرها بإيجاز:

١–القرصنة وسرقة البيانات بطريقة اختراق قواعد البيانات لأنظمة الشركات أو الحكومات وسرقة المعلومات.

٢–نشر الأخبار الكاذبة والتضليل الإعلامي بالإشاعات وترويج الأخبار الكاذبة، واستخدام منصات التواصل الاجتماعي لنشر المعلومات الزائفة عن المنافسين أو السوق.

٣–الابتزاز الإلكتروني بأساليب المساومة أو التهديد المباشر بالكشف عن بيانات حساسة أو حجبها مقابل فدية(٣٦).

٥–جرائم حقوق الإنسان والعمل:

ترتكب بعض الشركات جرائم ضد الحقوق المشروعة لحقوق الطبقات المجتمعية المتعددة من العمال والمجتمعات المحلية، مثل:

١– الاستعباد الحديث والعمل القسري مع تدني الدخل وتشغيل العمال في ظروف غير إنسانية.

٢–تشغيل الأطفال واستغلال ضعفهم وحاجاتهم للحياة المعيشية في المصانع والمزارع.

٣–وجودالتمييز في بيئة العمل والتفرقة بين الموظفين على أساس العرق أو الجنس أو الدين.

٦–الجرائم المتعلقة بالأمن والسلامة العامة

تشمل الجرائم التي تعرض حياة الأفراد للخطر، مثل:

١–إنتاج أو بيع منتجات غير آمنة كمثال تصنيع الأدوية في سراديب أو أمكان غير مهيأة لذلك، وغير مصرح بها، وكذلك نظام استيراد الأغذية، أو المعدات التي تكون غير مطابقة للمواصفات مما يضر بصحة المستهلكين.

٢–انتهاك معايير السلامة المهنيةالمتعارف عليها والمتبعة عالميا بعدم توفير بيئة العمل الآمنة للموظفين وللعاملين، مما يؤدي إلى حوادث مميتة (٣٧).

٧–الجرائم ضد النظام العام والعدالة:

بعض الشركات والمؤسسات قد تتورط في عرقلة سير العدالة، مثل:

١–التلاعب بالأدلة وعدم الوضوح منها عمليات التستر على المسؤولين عن المخالفات والجنايات وإخفاء أو تزوير المستندات التي تثبت التلاعب في قضايا التحقيقات الجنائية.

٢–عدم الامتثال للقرارات القضائية بالتدليس أو رفض تنفيذ الأحكام الصادرة ضدها.

المبحث الثاني:

الأحكام القضائية المتعلقة بالشخصية المعنوية (الاعتبارية)

١–تتمتع الشخصية المعنوية (الاعتبارية) بالحقوق والالتزامات:

- الحكم: المحكمة العليا أقرت أن الشخصية المعنوية تتمتع بالذمة المالية المستقلة، ويجوز لها أن تتملك، وتُقاضى.
- الأثر: تأكيد استقلال الذمة المالية للشركات والمؤسسات عن ذمم الشركاء أو المؤسسين.

٢ – المسؤولية المدنية للشخصية المعنوية (الاعتبارية):

• الحكم: تم تحميل الشركة تعويضاً نتيجة إهمال موظف تابع لها، حتى وإن لم يكن هناك خطأ مباشر من الإدارة.
• الأثر: تأصيل لمبدأ أن الشخص المعنوي يُسأل عن أفعال موظفيه في إطار العمل.

٣–حدود المسؤولية الجنائية للشخصية المعنوية (الاعتبارية):

• الحكم: المحاكم أكدت أن الشخصية المعنوية لا تُسجن، ولكن تُعاقب بالغرامة أو الإغلاق، كما يجوز توقيع تدابير احترازية.
• الأثر: الفصل بين العقوبات الممكنة للأشخاص الطبيعيين والشخصيات المعنوية.

٤–تمثيل الشخصية المعنوية (الاعتبارية) أمام القضاء:

• الحكم: يُشترط تمثيل الشخصية المعنوية بواسطة من له صفة قانونية (كالمدير العام أو من يفوضه).
• الأثر: بطلان الدعوى أو الطعن إذا لم يكن الممثل القانوني مختصًا.

٥– زوال الشخصية المعنوية (الاعتبارية) بالتصفية أو الحل:

• الحكم: عند انتهاء الشركة أو المؤسسة، تبقى شخصيتها المعنوية قائمة فقط لأغراض التصفية.
• الأثر: لا يجوز إبرام تصرفات جديدة باسم الكيان بعد انتهاء الغرض الأساسي.

٦ عدم جواز رفع دعوى شخصية ضد موظفي الشخصية المعنوية (الاعتبارية):

• الحكم: لا يجوز مقاضاة موظف عن عمل قام به بصفته ممثلاً عن الكيان ما لم يثبت تجاوزه صلاحياته أو ارتكابه خطأ شخصيًا
• الأثر: حماية قانونية للممثلين الرسميين إذا التزموا بحدود واجباتهم ومهامهم المنوطة بهم.

المبحث الثالث

التحديات والاقتراحات المستقبلية

ويمكن لنا أن القول بالرغم من الأهمية القانونية المتزايدة لمفهوم الشخصية المعنوية، والتي لا يزال يواجه عددًا من التحديات النظرية والعملية التي تستدعي الوقوف عندها والتفكير في سُبل معالجتها، ومن أبرز هذه التحديات الغموض القائم حول المسؤولية الجنائية للشخصيات المعنوية، وخاصة في الدول (النامية) التي لم تتبنَ تشريعات واضحة بهذا الخصوص، وذلك مما يفتح المجال للإفلات من العقاب في قضايا الفساد والجرائم الاقتصادية. كما أن هناك صعوبة في تحديد تمثيل الإرادة القانونية للشخص المعنوي، خصوصًا في حالات تعارض المصالح أو تجاوز الصلاحيات من قبل الممثلين القانونيين. ومن التحديات كذلك تأثر التنظيم القانوني للشخصية المعنوية بالتغيرات التقنية والرقمية، مثل ظهور الكيانات الافتراضية والشركات الرقمية، والتي تفرض على الأنظمة القانونية التقليدية مراجعة بنيتها الفقهية. بناءً على ما سبق، يُقترح مستقبلًا تعزيز التشريعات الوطنية بمزيد من الوضوح في تحديد مسؤوليات الشخص المعنوي، وتوسيع نطاق المساءلة الجنائية، مع العمل على تحديث المفاهيم القانونية بما يتلاءم مع التحولات الرقمية والاقتصادية، وتشجيع الدراسات المقارنة التي تستفيد من التجارب الدولية في تنظيم هذه الشخصية القانونية بما يضمن التوازن بين المرونة التشريعية والحماية القانونية للأفراد والمجتمع.

الخاتمة:

وفي ختام هذا البحث، يتضح لنا أن الشخصية المعنوية تمثل حجر الزاوية في البناء القانوني للمؤسسات الحديثة، إذ تُعد إطارًا قانونيًا ضرورياً لتنظيم الأنشطة الجماعية، سواء في القطاعين العام أو الخاص، وقد كشفت الدراسة من خلال تحليل المفاهيم والنظريات، واستعراض التطبيقات القضائية والتشريعية، عن تطور ملحوظ في الاعتراف القانوني بهذه الشخصية، مع تفاوتٍ في مدى هذا الاعتراف بحسب النظام القانوني المعتمد؛ كما أبرز البحث الأثر

القانوني المترتب على تمتع الكيانات المعنوية بالذمة المالية المستقلة، والمسؤولية المدنية والجنائية، وحق التقاضي، وذلك مما يؤكد أهمية ضبط هذه المفاهيم ضمن بيئة قانونية متطورة تراعي توازن المصالح وحماية الحقوق، ومن هنا، فإن تأصيل الشخصية المعنوية (الاعتبارية) في المنظومة القانونية لا يُعد مجرد ضرورة تنظيمية، بل هو انعكاس للتطور الاجتماعي والاقتصادي، وهذا مما يدعو إلى المزيد من الدراسات المقارنة التي تعمق الفهم وتواكب التحديات المعاصرة، وخاصة في ظل توسع نشاط هذه الشخصيات في مجالات كالتحول الرقمي، والمسؤولية البيئية، ومكافحة الفساد، ونحن هنا لم نتطرق إلى الدخول في جرائم حقيقية كالجاسوسية وما تقتضيه مصلحة الوطن بل اكتفينا بما هو منوط بالشخصية النوعية(الاعتبارية) فقط.

التوصيات:

١. الدعوة إلى توجيه البحث في الجامعات والمعاهد العليا في حقل الدراسات القانونية

٢. العمل على الاستفادة من الدراسات والأبحاث القضائية التي تناولت الشخصية المعنوية (الاعتبارية)

٣. ضرورة استحداث نصوص الغرض منها ضبط الشخصية المعنوية تفاديا للتحايل والتي تظهر في المماطلة والتفلت من العدالة.

٤. تفعيل دور الرقابة وتنفيذ الأحكام ومتابعتها واحترام نصوص الحكم وحيثياته.

٥. يجب مساءلة الأشخاص المعنوية جنائيًا على المستوي الوطني أو الدولي عن جميع المخالفات (الجرائم) التي ترتكب لحسابها وبواسطة أجهزتها أو مثيلتها بجانب القائمين بالتسهيلات لهم.

٦. مضاعفة العقوبات المقررة وتغليظها للشخصية المعنوية في حالة انحرافها عن الأغراض التي أُنشئت من أجلها.

الهوامش:

١. عباس هاشم السعدي؛ مسئولية الفرد الجنائية عن الجريمة الدولية؛ دار المطبوعات الجامعية؛ الإسكندرية ٢٠٠٢م؛ ص: ١٦.

٢. عبد المجيد بن العربي، ٢٠٢١م، «تحديد المحاسبة القضائية في مكافحة الفساد المالي في البيئة الجزائرية» ، مجلة البحوث في العلوم المالية والمحاسبية ، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية، جامعة محمد بوضياف ، المجلد ٦ ، العدد ١ ، الجزائر.

٣. شرح القواعد الفقهية؛ أحمد بن الشيخ محمد الزرقا؛ مصطفي احمد الزرقا طبعة دار القلم– دمشق –سوريا ط ٢ ١٩٨٩م؛ ج ١– ص: ٥٥.

٤. محمد السيد الدسوقي؛ الشخصية الاعتبارية بين الفقه والقانون؛ كلية الشريعة والقانون والدراسات الإسلامية– جامعة قطر– د. ن.؛ ص: ٣٤٣.

٥. معجم اللغة العربية المعاصرة؛ أحمد مختار عبد الحميد عمر؛ طبعة عالم الكتب؛ الطبعة الأولي ٢٠٠٨م؛ ج ٢ ص: ١٥٦٧.

٦. توفيق حسين فرج؛ المدخل للعلوم القانونية؛ مؤسسة الثقافة الجامعية؛ الإسكندرية ١٩٨١م؛ ص: ٢٦٣، وفي ذات المعني؛ عبد المنعم البدراوي؛ المدخل للعلوم القانونية دار الكتاب العربي؛ القاهرة ١٩٥٩م؛ ص: ٦٧٩.

٧. محمد سامي مدكور؛ نظرية الحق؛ دار الفكر العربي؛ القاهرة – د. ت؛ نشر كلية الشريعة والقانون بالقاهرة؛ ص: ١٧٣.

٨. عبد الحميد عثمان الحفني؛ المدخل في دراسة العلوم القانونية؛ ج ٢– نظرية الحق؛ دون ناشر؛ ص: ٢٢٥، وفي ذات المعني؛ على محيي الدين القرة داغي؛ أثر الاختلاف بين الشخصية الطبيعية والشخصية الاعتبارية في الأحكام الفقهية والمستجدات المصرفية الإسلامية ونحوها؛ دراسة فقهية مقارنة بالقانون؛ مؤتمر «شورى» الفقهي الخامس؛ الكويت: ١٦–١٧ ديسمبر/ ٢٠١٣م؛ ص: ٦.

٩. عمار عوابدي؛ القانون الإداري؛ ديوان المطبوعات الجامعية، المؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر سنة ١٩٩٠م؛ ص: ٨٠، وأشار إليه: ناجي محمد عبد السلام محمد (المسئولية الجنائية للأشخاص الاعتبارية) رسالة ماجستير– كلية الحقوق– جامعة المنصورة؛ ٢٠١٥م؛ ص: ١٥.

١٠. فريدة محمدي زواوي؛ المدخل للعلوم القانونية؛ نظرية الحق؛ المؤسسة الوطنية للقانون– مطبعة الجزائر– ٢٠٠٢م؛ ص: ١١٠ وما بعدها.

١١. ناجي محمد عبد السلام محمد– مرجع سبق ذكره؛ ص: ١٦.

١٢. احمد شوقي عبد الرحمن؛ المدخل للعلوم القانونية؛ النظرية العامة للحق؛ منشأة المعارف؛ الإسكندرية طبعة أولي؛ ٢٠٠٥م؛ ص: ١٢٧.

١٣. عبد الحميد عثمان الحفني؛ المدخل في دراسة العلوم القانونية؛ ج ٢– نظرية الحق؛ مصدر سبق ذكره؛ ص: ٢٢٩: ٢٣١.
١٤. محمد السيد يوسف بشار؛ المسئولية الجنائية للأشخاص الاعتبارية عن الجرائم الدولية؛ مصدر سبق ذكره؛ ص: ٤٩–٥٠.
١٥. الموسوعة الفقهية الكويتية؛ مرجع سبق ذكر؛ (٣٧/٢١).
١٦. حسنين إبراهيم صالح عبيد؛ الجريمة الدولية دراسة تحليلية تطبيقية؛ دار النهضة العربية؛ الطبعة الثانية؛ ١٩٩٢م؛ ص: ٦.
١٧. عبد الواحد محمد الفار؛ الجرائم الدولية وسلطة العقاب عليها؛ دار النهضة العربية–١٩٩٦م– ص: ٤٠.
١٨. رمسيس بنهام (القرير المقدم للمؤتمر الأول للجمعية المصرية للقانون الجنائي ١٤/:١٧ مارس ١٩٨٧م؛ ص: ١١).
١٩. – Pella, La codification du dorit penal intarnationale R.G.P.I.,Pais ,١٩٥٢.P,١٢:,
٢٠. محمد السيد يوسف بشار؛ المسئولية الجنائية للأشخاص الاعتبارية عن الجرائم الدولية؛ مصدر سبق ذكره؛ ص: ٧٨.
٢١. شريف سيد كامل؛ المسئولية الجنائية للأشخاص المعنوية– دراسة مقارنة– دار النهضة العربية– طبعة أول ١٩٩٧؛ ص: ٢٢–٢٩.
٢٢. الحسن البشري– المسئولية الجنائية للشخص المعنوي على ضوء الاجتهاد القضائي؛ بحث نهاية التدريب بالمعهد العالي للقضاء بالرباط؛٢٠٠٣–٢٠٠٥م.
٢٣. أحمد فتحي سرور؛ الوسيط في قانون العقوبات؛ القسم العام– طبعة سادسة؛ ١٩٩٦م؛ ص: ٤٨٠، وما بعدها.
٢٤. العلمي عبد الواحد؛ شرح القانون الجنائي المغربي؛ القسم العام طبعة ثالثة ٢٠٠٩م؛ ص: ٦٩.
٢٥. محمد يسري يوسف؛ أكاديمية السادات للعلوم الإدارية؛ مجلد ٤١ ع ٤ – أكتوبر ٢٠٢٣م
٢٦. دور المحاسبة القضائية في مكافحة الفساد في ظل التحول الرقمي.
٢٧. André eduan, (٢٠١٩), "the net worth method as technique to quantify income during investigation of financial crime", journal of university of south Africa.
٢٨. محمد احمد إبراهيم خليل، ٢٠١٩م، «تطوير د ور المراجعة القضائية لمواجهة الغش والاحتيال والفساد المالي بمنظمات الأعمال وتحقيق مصداقية المعلومات المحاسبية – دراسة اختبارية «، المجلة العلمية للبحوث التجارية، كلية التجارة، جامعة بنها، المجلد ٦، العدد ٢ .
٢٩. محمد عبد المنعم الشواربي، ٢٠١٨م؛ «اثر إدماج أساليب المحاسبة القضائية في مراحل المراجعة الداخلية على كفاءة المراجع الداخلي» ، مجلة الفكر المحاسبي ، كلية التجارة ، جامعة عين شمس ، المجلد ٢٢ ، العدد ٤ .
٣٠. محي الدين محمود عمر، بوخرص أحمد أمين، رحالي محمد، ٢٠٢٢م ، «أهمية المحاسبة القضائية كآلية لمكافحة الفساد المالي – بالإشارة الى تجارب بعض البلدان العربية « ، مجلة أوراق اقتصادية ، كلية الاقتصاد الإدارة ، جامعة تيسميلت، المجلد ٥ ، العدد ١ ، الجزائر.
٣١. علاء كامل حسن خليفة، ٢٠١٧م، «دور المراجعة القضائية في الحد من ممارسات المحاسبة الابتكارية في منظمات الأعمال: دراسة ميدانية «، مجلة كلية التجارة للبحوث العلمية، كلية التجارة، جامعة الإسكندرية، المجلد الرابع والخمسون، العدد الثاني.
٣٢. https://www.albayan.ae/economy/٢٠٠٦-٠٥-٢٧-١,٩٢٢٩٧٦
٣٣. ames gabriele, (٢٠٢١), «objectivity and independ– ence: the dual roles of external auditors and forensic accountants», journal of forensic & investigative accounting .
٣٤. مجدي محمود علي مرعي، ٢٠١٩م، «دور المحاسبة القضائية في الحد من الممارسات المحاسبية الاحتيالية في القوائم المالية: دليل ميداني من البيئة المصرية»، مجلة الدراسات والبحوث التجارية، كلية التجارة، جامعة بنها، المجلد ٣٩، العدد ٣ .
٣٥. عبد المجيد بن العربي، ٢٠٢١م، «تحديد المحاسبة القضائية في مكافحة الفساد المالي في البيئة الجزائرية «، مجلة البحوث في العلوم المالية والمحاسبية، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية، جامعة محمد بوضياف، المجلد ٦، العدد ١، الجزائر.
٣٦. محمد الصالح روان؛ الجريمة الدولية في القانون الدولي الجنائي؛ رسالة دكتوراه–كلية الحقوق– جامعة منتوري –قسطنطينية– الجزائر ٢٠٠٩م؛ ص: ٧٢، وما بعدها.
٣٧. عبد الستار عبد الجبار الكبيسي، ٢٠١٦م، «دراسة استقصائية ميدانية عن المحاسبة القضائية من وجهتي نظر القضاء والمحاسب القضائي في الأردن»، المجلة الأردنية في إدارة الأعمال، المجلد ١٢، العدد ١، الأردن.

فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية العدد(٨)
السنة الثالثة صفر الخير ١٤٤٦هـ آب ٢٠٢٥م

موقف الاردن الرسمي من السياسة المصرية تجاه السفن الاسرائيلية في قناة السويس ومضيق تيران (١٩٤٨-١٩٥٦)

م. م. عماد كريم عكوب
وزارة التربية/ مديرية تربية الانبار/ قسم تربية الفلوجة

فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية العدد(٨)
السنة الثالثة صفر الخير ١٤٤٦هـ آب ٢٠٢٥م

المستخلص:
تناول هذا البحث موقف الأردن من السياسة المصرية بتقييد الملاحة في قناة السويس ومضيق تيران تجاه السفن الإسرائيلية خلال الفترة من ١٩٤٨ إلى ١٩٥٦، سعت الدراسة إلى فهم الأبعاد التاريخية والسياسية لهذا الموقف، مع التركيز على السياق الإقليمي للصراع العربي–الإسرائيلي ودور الأردن ضمن الجامعة العربية، استخدم البحث المنهج التاريخي التحليلي لتتبع التطورات الزمنية للأحداث وتحليل الدوافع الكامنة وراء الموقف الأردني وتأثير العوامل الإقليمية والدولية عليه. خلص البحث إلى أن الموقف الأردني كان مدفوعًا بشكل أساسي بالتضامن القومي العربي ودعمًا للموقف المصري، الذي اعتبر هذه السياسة ضرورية في ظل استمرار حالة الحرب مع إسرائيل رغم اتفاقيات الهدنة، هذا الموقف عكس أهمية البعد القومي في تشكيل السياسة الخارجية الأردنية في تلك الحقبة، وساهم في تعزيز الدور القيادي لمصر على الساحة العربية، كما أوضحت الدراسة هشاشة وضع «لا سلم لا حرب» الذي ساد المنطقة بعد حرب ١٩٤٨، وكيف أن هذه السياسة الملاحية كانت من أبرز نقاط التوتر التي قادت لاحقًا إلى أحداث كبرى مثل العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦، أوصى البحث بأهمية دراسة السياق الإقليمي الشامل لفهم مواقف الدول، وضرورة تحليل دور القومية في صنع القرار، بالإضافة إلى أهمية فهم التحديات القانونية الدولية في مناطق النزاع، والاستفادة من الأرشيفات المتعددة لتعزيز الفهم التاريخي.

الكلمات المفتاحية: صراع, ممرات مائية, سفن اسرائيلية, سياسة مصرية, موقف رسمي, اردن

Abstract:
This research examines Jordan›s position on the Egyptian policy of restricting navigation in the Suez Canal and the Strait of Tiran to Israeli ships during the period from 1948 to 1956. The study sought to understand the historical and political dimensions of this position, focusing on the regional context of the Arab–Israeli conflict and Jordan›s role within the Arab League. The research used the historical analytical method to trace the chronological developments of events and analyze the motives The underlying factors behind the Jordanian position and the influence of regional and international factors on it. The study concluded that the Jordanian position was primarily driven by Arab nationalist solidarity and support for the Egyptian position, which considered this policy necessary in light of the continuing state of war with Israel despite the armistice agreements. This position reflected the importance of the nationalist dimension in shaping Jordanian foreign policy during that era, and contributed to strengthening Egypt›s leadership role The Arab arena, as the study demonstrated, revealed the fragility of the «no peace, no war» situation that prevailed in the region after the 1948 war, and how this navigation policy was one of the most prominent points of tension that later led to major events such as the tripartite aggression against Egypt in 1956. The study recommended the importance of studying the comprehensive regional context to understand the positions of

countries, and the necessity of analyzing the role of nationalism in decision-making, in addition to the importance of understanding the international legal challenges in conflict zones, and leveraging multiple archives to enhance historical understanding.

Keywords: conflict, waterways, Israeli ships, Egyptian policy, official position, Jordan

المقدمة:

شهدت الفترة بين ١٩٤٨ و١٩٥٦ تحولات كبيرة في الساحة العربية انعكس اثرها على الجوانب السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية تزامنا مع اعلان قيام دولة اسرائيل عام ١٩٤٨ , والتي كانت احد الاسباب الرئيسة لتلك التحولات لاسيما بعد اكتسابها الصفة القانونية بدخولها عضوا في هيئة الامم المتحدة عام ١٩٤٩ , كدولة قائمة مما زاد في تأزم الوضع في تلك المرحلة الحرجة وادى إلى صراع معقد ومرير لسنوات.

اتخذت مصر سياسة متشددة تجاه اسرائيل وفرضت قيوداً على السفن الإسرائيلية ومنعتها من المرور في الممرين الحيويين قناة السويس ومضيق تيران, مُعتبرةً إياها جزءًا من حالة الحرب القائمة. إذ تُلقي هذه القيود على الملاحة الإسرائيلية الضوء على أحد أبرز أشكال المواجهة غير العسكرية في فترة ما بعد حرب ١٩٤٨ . فهي توضح كيف استخدمت الدول العربية، وخاصة مصر، أدوات الضغط المتاحة لها للتعامل مع الوجود الإسرائيلي، وكيف أن مسألة الممرات المائية كانت نقطة توتر رئيسية ساهمت في تصاعد الصراع, وأثارت ردود فعل إقليمية ودولية متباينة، كانت لها تداعيات عميقة على المشهد السياسي والأمني في المنطقة. لذا تقدم هذه الحقبة التاريخية دروسًا مهمة حول دور الممرات المائية في الصراعات الجيوسياسية وكيف يمكن أن تصبح نقاط اشتعال.

تكتسب هذه الدراسة أهميتها من ندرة الدراسات التي تناولت هذا الجانب تحديدًا ، فضلًا عن ارتباطه المباشر بتطور العلاقات المصرية–الأردنية من جهة، وانعكاساته على المشهد الإقليمي ومفاهيم السيادة والملاحة الدولية بوصف الأردن دولة محورية في التوازنات السياسية العربية، وتمتلك حدود مباشرة مع إسرائيل، وممرًا بريًا وبحريًا مهمًا. كما أن للأردن مصالح استراتيجية متصلة بخليج العقبة، ما يجعل موقفه من هذه السياسة ليس هامشيًا، بل يعكس توازنًا دقيقًا بين الالتزام العربي والاعتبارات الوطنية. يتناول هذا البحث بالدراسة والتحليل ، من خلال تتبّع مواقف الحكومة الأردنية المعلنة، والبيانات الرسمية، والمراسلات الدبلوماسية، إلى جانب المواقف التي صدرت عن الهيئات العربية المشتركة خلال تلك الفترة. ويهدف إلى الوقوف على مدى تأييد الأردن للإجراءات المصرية، وطبيعة هذا التأييد، وما إذا كان موقفًا استراتيجيًا ثابتًا أم محكومًا بضرورات السياسة الإقليمية والدولية المتغيرة. ويُعد الموقف الأردني من تلك السياسة محورًا مهمًا لم يُسلّط عليه الضوء بما يكفي في الأدبيات السياسية والتاريخية، رغم ما يتمتع به الأردن من موقع جغرافي حساس يطل على خليج العقبة، ومجاورة مباشرة لإسرائيل. كما أن طبيعة العلاقة بين الأردن ومصر في تلك المرحلة، وتباين المصالح الإقليمية والدولية، تجعل من دراسة هذا الموضوع محاولة لفهم أعمق للمواقف الرسمية ومدى التزام الدول العربية بالتوجهات القومية المشتركة.

وفقاً لذلك قسم البحث إلى مقدمة وتمهيد ومحورين ونتائج وتوصيات وخاتمة, فجاء التمهيد نبذة عن الصراع العربي الاسرائيلي, اما المحور الاول فتطرق عن سياسة مصر في الممرات المائية قناة السويس ومضيق تيران تجاه السفن الاسرائيلية والموقف الاردني من تلك السياسة وردود الفعل الاسرائيلية والدولية , وكرس المحور الثاني لإبراز اهم مظاهر ودوافع الموقف الاردني من القيود الصارمة التي فرضتها مصر على السفن الاسرائيلية.

تم الاعتماد في جمع المعلومات على مصادر أولية كالوثائق ، والبيانات الرسمية، والصحف السياسية، والمؤلفات التي تناولت تلك المرحلة التاريخية.

الصراع العربي الاسرائيلي:

يرتبط الصراع العربي مع اسرائيل ارتباطاً وثيقاً بالمشروع الصهيوني الذي كان يروج ويتبنى فكرة هجرة اليهود من انحاء العالم إلى فلسطين منذ القرن التاسع عشر كحق إلهي للعودة إلى ارض الميعاد مستندين على مبدأ ديني من التوراة حسب زعمهم (منى، ١٩٩٥, ١٨٥؛ عبدالله، ٢٠١٢, ٩٣), وجاء وعد بالفور الذي اصدره وزير الخارجية البريطاني آرثر جيمس عام ١٩١٧, لتحقيق هذا الهدف تماشياً مع مخطط الحركة الصهيونية لتهويد ارض فلسطين والسيطرة عليها وتغيير التركيبة السكانية لها بما يخدم مخطط الفكر الصهيوني, وكان لبريطانيا الدور الرئيسي والمحوري بما تمتلكه من امكانيات على الصعيد العسكري والسياسي والاقتصادي فضلا عن سيطرتها الفعلية على فلسطين بما يمكنها من تنفيذ وعدها للصهاينة (سلامة،٢٠١٥ , ٢٢؛ محمد، ٢٠٢١, ٢٧).

سعت بريطانيا جاهدة من اجل تنفيذ فكرة المشروع الصهيوني , وعلى اثر اندلا ع انتفاضة ١٩٣٦, في فلسطين ارسلت بريطانيا لجنة عرفت باسم لجنة بيل والتي اقترحت عام ١٩٣٧, تقسيم فلسطين بين العرب واليهود(المدلل، الطبعة الاولى ٢٠١٣, ٤٤-٥٤), كما طرح موضوع التقسيم في مؤتمر لندن المنعقد بين عامي ١٩٤٦-١٩٤٧, قوبل الاقتراح برفض فلسطيني وعربي قاطع واعتبروا الاقتراح مشين وينتهك حقوق العرب في ارضهم (الدفاع, ١٩٤٧, ١), إلا ان لجنة تقصي الحقائق التابعة للأمم المتحدة اوصت عام ١٩٤٧, بتقسيم البلاد وعلى الرغم من الرفض التام للمقترح إلا ان الجمعية العامة اصدرت قرار التقسيم رقم ١٨١ في ٢٩ تشرين الثاني عام ١٩٤٧, الذي كان يحمل في طياته انحيازا فاضحاً للجانب اليهودي, وتجاهلاً واضحاً لحقوق الفلسطينيين التاريخية في ارضهم, وقد ادى ذلك إلى زيادة حدة التوتر واشتداد القتال بين الجانبين (سلامة، ٢٠١٥, ٢٥؛ المدهون، ٢٠٠٥, ١٧).

بعد اعلان بريطانيا ان الانتداب على فلسطين سينتهي رسمياً في ١٥ ايار ١٩٤٨, اعلن رسمياً عن قيام دولة اسرائيل في ١٤ايار ١٩٤٨, وترتب على اعلان قيام دولة اتخاذ خطوات لمواجهة الموقف والاخطار المحتملة وتشكيل جهاز حكومي يقع على عاتقه ادارة وتنظيم وتسيير وتسهيل امور اليهود في تلك المرحلة (محمود، ١٩٨٩, ١١٣؛ لافي، ٢٠١١, ص١١).

منذ بداية الصراع سعت الدول العربية إلى تنسيق جهودها لمواجهة التهديدات التي يمثلها المشروع الصهيوني, هذا التنسيق لم يكن دائمًا متسقًا أو فعالًا، لكنه شهد مراحل مختلفة من التعاون والتضامن بين العرب (حبتا، ٢٠٢٤, ٢٤) ,وعشية اعلان قيام اسرائيل اعلنت الدول العربية دخول جيوشها فلسطين بعد اجتماع عقده قادة الجيوش العربية في ١٥ ايار ١٩٤٨, الذي انبثق منه قرار زحف الجيوش العربية إلى فلسطين ووضع خطة لدخولها وتحريرها من قبضة الصهاينة (صارمي، ٢٠١٣, ٤٨-٤٩).

استطاعت الجيوش العربية ان تتقدم و تحقق انتصارات سريعة وملموسة في بداية الحرب مما حدى بمجلس الامن التدخل بضغط من الدول الكبرى واصدار قرار وقف اطلاق النار في ٢٢ ايار ١٩٤٨, والذي نفذ في حزيران عام ١٩٤٨ (منسي،١٩٩٠, ٣١٢-٣١٣؛ عيدان، ٢٠٢٠, ٢١٨).

ادت الهدنة ومن ثم استئناف القتال من جديد إلى رجحان كفة اسرائيل واستطاعت ان تحقق تقدماً كبيرا واحتلال جزء كبير من الاراضي وتهجير اهلها ووقوع ماعرفة بنكبة عام ١٩٤٨ (نجادات، ٢٠٠٨, ٣٨٠ ؛ اسماعيل، ١٩٩١, ٧٤), بعد انتهاء حرب ١٩٤٨، التي تُعرف أيضًا بحرب النكبة، تم توقيع اتفاقيات الهدنة في عام ١٩٤٩، مما أدى إلى إنشاء خطوط الهدنة المعروفة باسم «الخط الأخضر». هذه الاتفاقيات أنهت القتال بين إسرائيل وعدد من الدول العربية، بما في ذلك مصر والأردن وسوريا ولبنان، ولكنها لم تحل النزاعات الأساسية المتعلقة بالحدود وحقوق الفلسطينيين (عناغ بختة، ٢٠١٩, ٢٤-٢٧؛ المدهون، ٢٠٠٥, ٤٥-٤٦).

بعد توقيع اتفاقيات الهدنة عام ١٩٤٩, تم قبول اسرائيل عضوا في الأمم المتحدة في ١١ ايار عام ١٩٤٩, استناداً

إلى موافقة اسرائيل على بروتوكول لوزان الذي يتضمن في احد فقراته قرار تقسيم فلسطين الصادر ٢٩ تشرين الثاني عام ١٩٤٧, مع الاخذ بعين الاعتبار اجراء بعض التعديلات عليه إلا ان اسرائيل بعد قبولها عضوا في الامم المتحدة تغير موقفها وتنصلت من التزاماتها التي وافقت عليها وفق بروتوكول لوزان (المدهون، ٢٠٠٥, ٧١-٧٤؛ فؤاد، ١٩٥١, ٣٦-٣٧).

السياسة المصرية في قناة السويس ومضيق تيران والموقف الاردني منها:

اولاً: قناة السويس وتيران الموقع والاهمية

تعد قناة السويس ممراً حيوياً وموقعاً استراتيجياً هاماً ومنفذاً يربط بين بحيرين كبيرين البحر الاحمر والبحر المتوسط (جوري زيدان، ١٩٠٩, ١٦٦). وهمزة وصل بين قارات العالم وبين الشرق والغرب فضلاً عن تفرد هذه القناة بمميزات عديدة يجعل منها الممر الاكثر مرونة وحيوية إذ تعتبر ممراً مائياً مختصراً لطرق الملاحة الدولية والانسب لتجارة العالمية والاسرع في نقل البضائع من مصادر الانتاج إلى مواقع التصريف في الاسواق (صقر، ١٩٧٥, ٩٣-٩٥؛ منتصر، ٢٠٠٣, ٧٣), لذا اكتسبت القناة اهمية كبيرة لدى الدول الكبرى في اوقات السلم والحرب بما لها من تأثير بالغ على خطوط النقل فضلاً عن انخفاض تكاليف التجارة فيها (حسن، ٢٠١٩, ٢٨٥-٢٨٧).

يعتبر مضيق تيران شريان حيوي يقع عند بوابة خليج العقبة في اقصى جنوب خليج العقبة ويفصل الخليج عن البحر الاحمر وهو ممراً بحرياً عربياً (ديوب، ٢٠٢١, ٢٢٢-٢٢٣), ويعد المدخل الرئيسي والمنفذ الوحيد الصالح للملاحة البحرية من وإلى خليج العقبة ويمنح هذا الممر ميزه فريدة لدولة المسيطرة وتفوقاً حاسماً من خلال التحكم بمرور السفن (Dickshit, ٢٠٠٠, p. ٥٩-٦٠), كما انه يؤمن الوصول البحري للسفن المتوجهة إلى شواطئ الأردن واسرائيل , ومضيفاً بعداً استراتيجياً للملاحة في هذا الجزء من العالم (بدوي, ٢٠٠٦, ٤٩؛ الدويكات، ٢٠٢٢, ٦).

بات هذان الممران الحيويان مركزاً للتوترات الإقليمية والصراعات الجيوسياسية في الشرق الأوسط. منذ تأسيس دولة إسرائيل عام ١٩٤٨, مما يعكس اهميتهما القصوى ليس فقط للحركة التجارية والاقتصادية, بل وللأمن والاستقرار الاقليمي والدولي.

ثانياً: احتلال اسرائيل ام الرشراش وتهديد خليج العقبة

تنكرت اسرائيل لوعودها ونكثت بعهودها التي قطعتها امام اللجنة المشتركة لمراقبة الهدنة , واستمرت بعدوانها(المدهون، ٢٠٠٥, ٧٤), على الرغم من وقف القتال ودخولها في مفاوضات مع الدول العربية في رودس عام ١٩٤٩, من اجل عقد هدنة دائمة, عرفت باتفاقيات رودس والتي استمرت من كانون الثاني ١٩٤٩, حتى ٢٠ تموز عام ١٩٤٩, وخلال المفاوضات بين الاردن واسرائيل شنت اسرائيل عملية عسكرية (مهاني، ٢٠٢١, ١١٣٤-١١٣٦؛ الكعيبر، ٢٠١٣, ٧٠), بقيادة إسحاق رابين في ١٠ مارس ١٩٤٩, واحتلت قرية ام الرشراش(ايلات) ذات الموقع المهم المطل على خليج العقبة, وكان هذا التحرك يهدف إلى السيطرة على خليج العقبة لما يتميز به من اهمية على كافة الصعد الاقتصادية والعسكرية والامنية (المدهون ، ٢٠١٥, ٣٥-٥٠؛ صباح العروبة, ٢٠٠٨, ١١).

قامت اسرائيل فيما بعد بناء ميناء ايلات وهو المنفذ البحري الوحيد الذي يصل اسرائيل بالبحر الاحمر وبوابته على قارتي اسيا وافريقيا (صارمي، ٢٠١٣, ٦٠).

تقدمت مصر بشكوى إلى اللجنة المشتركة لمراقبة الهدنة مبينة الخروقات الاسرائيلية المتعددة, وطالبت بعودة قواتها إلى مواقعها وتم تحويل الشكوى إلى مجلس الامن إلا ان اسرائيل لم تستجيب ومضت بسياستها المتغطرسة واستخدمت اسلوب المراوغة والتنصل من التزاماتها مفتعلة حوادث عبر الحدود, وواصلت نهجها العدواني على الكثير من المناطق الخالية من الاسلحة, ولم تُتخذ اي اجراءات فعلية لكبح سلوكها (المدهون ، ٢٠٠٥, ٥٥؛ فريد، ٢٠٠٣, ١٩٣).

دفعت التصرفات الاسرائيلية مصر إلى اتخاذ خطوات عملية سريعة بعد التشاور مع المملكة العربية السعودية لمواجهة الخروقات الاسرائيلية ووصولها إلى خليج العقبة ولخطورة الموقف بدء تنسيق مصري سعودي عال (توفيق، ٢٠١٦ , ١٤٨-١٤٩؛ ام القرى, ١٩٥٠, ١٦), بعد رصد تصريحات اسرائيلية تبين نية اسرائيل السيطرة على جزر مدخل خليج العقبة (تيران, صنافير, فرعون), والتحكم بحركة الملاحة في هذا المنفذ الحيوي وجعله بحيرة اسرائيلية, وبعد مذكرات متبادلة بين الحكومتين المصرية والسعودية اتخذ قرارا بسيادة مصر على الجزر الثلاثة وقد اخطرت مصر كل من الولايات المتحدة وبريطانيا بنيتها بسط سيطرتها على مضيق تيران وفي يوم ١٢-٢٨ كانون الثاني عام ١٩٥٠استولت القوات المصرية على الجزر الثلاثة وبذلك احكمت قبضتها على مضيق تيران المنفذ الوحيد لخليج العقبة (واخرون، ٢٠١٦, ٢٥-٢٨؛ خليل، ١٩٨٠, ٨٠-٨٥).

ايد الاردن الخطوة العسكرية المصرية المدعومة من السعودية والتي عملت على ابعاد الخطر الاسرائيلي عن مدخل خليج العقبة (الاردن,١٩٥٠, ٢), ولم يكن للأردن اي حدود جغرافية برية مع مصر بعد احتلال اسرائيل ام الرشراش وكان الحد الفاصل بينهما خليج العقبة المنفذ البحري الوحيد(رمضان، ١٩٨٢, ٢٨), والذي يعد الرئة التي تتنفس منها الاردن اقتصادياً, وان اي سيطرة عسكرية اسرائيلية على هذا المنفذ يعني محاصرة الاردن بحرياً وخنقه اقتصادياً (الاردن,١٩٥٠, ٢),كما ان الاردن تدرك ان اسرائيل منذ قيامها عام ١٩٤٨, تشكل تحدياً وجودياً لها لاسيما بعد سعي اسرائيل توسيع حدودها وفق نظرية المجال الحيوي والتي تتيح لها احتلال وضم مناطق جديدة على حساب الدول المجاورة, (الدويكات، ٢٠٢٢, ٦).

ثالثاً: القيود المصرية على حركة السفن الاسرائيلية

منذ نهاية حرب عام ١٩٤٨، بدأت السلطات المصرية بمنع مرور السفن الإسرائيلية، وفرض قيود صارمة على السفن التابعة لدول أخرى لكنها تحمل بضائع من وإلى إسرائيل، عبر قناة السويس (شريف، ١٩٩٥, ٤٦-٤٧), استندت مصر إلى تفسيرها الخاص لاتفاقية القسطنطينية لعام ١٨٨٨، والتي تضمن حرية الملاحة في القناة (أحمد، ١٩٧٨, ٤٢-٤٤؛ الدهشان، ٢٠٢٢, ١١), وأكدت بأن الاتفاقية لا تلغي حق الدولة في الدفاع عن نفسها في حالة الحرب, هذه القيود شملت تفتيش السفن واحتجاز بعضها، ومصادرة حمولتها المتجهة إلى إسرائيل أثارت هذه الإجراءات احتجاجات دولية شديدة، خاصة من الولايات المتحدة والمملكة المتحدة، اللتين أكدتا على مبدأ حرية الملاحة الدولية. ورأت إسرائيل في ذلك حصارًا اقتصاديًا غير قانوني (عمرو، ٢٠١٦, ٣٢-٤٢).

كان الوضع في مضيق تيران أكثر حساسية بالنسبة لإسرائيل (توفيق، ٢٠١٦, ١٤٨). فبعد حرب ١٩٤٨، أصبحت مدينة إيلات هي المنفذ البحري الوحيد لإسرائيل على البحر الأحمر، وبالتالي على أسواق آسيا وشرق إفريقيا (المدهون, ٢٠١٥, ٢١-٣٥).

تتحكم جزيرتا تيران وصنافير الاستراتيجيتان، الواقعتان في المضيق، في المدخل الجنوبي لخليج العقبة استمرت مصر في السيطرة على هاتين الجزيرتين، مما منحها القدرة على التحكم في حركة الملاحة, خلال الفترة ١٩٤٩-١٩٥٦، فرضت مصر حصارًا فعليًا على السفن الإسرائيلية المتجهة إلى إيلات عبر المضيق، مما أدى إلى خنق حركة التجارة البحرية الإسرائيلية في خليج العقبة بشكل كبير, فنعكس اثره على الاقتصاد الاسرائيلي (عمرو, ٢١٦, ٣٢-٣٩؛ المدهون ٢١-٢٢).

لقد تسبب فرض القيود على الملاحة الإسرائيلية في أزمة دبلوماسية واقتصادية كبيرة. فقد اضطرت السفن الإسرائيلية إلى سلك طريق أطول بكثير حول رأس الرجاء الصالح، مما زاد من تكاليف الشحن والوقت المستغرق في الرحلات التجارية. هذا الأمر أثار قلق الدول التي تربطها علاقات تجارية مع إسرائيل، وخشيت على مبدأ حرية الملاحة في الممرات المائية الدولية بشكل عام (أنتوني، ١٩٦٧, ٤٠٠-٤١٠).

ايدت الدول العربية الاجراءات المصرية وكان قد سبق للجامعة العربية ان تبنت مقاطعة المنتجات اليهودية في ٢

كانون الثاني ١٩٤٥ , وطلبت من الدول الاعضاء منع دخول أي منتجات إلى اراضيها (لويس، ٢٠١١ , ٩١–٩٤؛ الزيادي، ٢٠١٨ , ٧–٨), وفي سنة ١٩٥١ , اسست الجامعة مكتب مقاطعة إسرائيل , ثم اقر قانون موحد للمقاطعة عام ١٩٥٤ ,(طاهر، ٢٠٢٢ , ٣٧؛ مدني، ٢٠٢٤ , ٩٩–١٠٠). واتخذت كل دولة قانوناً ينظم المقاطعة على ارضها , واستناداً إلى ذلك وضعت لائحة سوداء بأسماء الشركات الاسرائيلية او التي ترتبط معها بعلاقات تجارية, وقد ارغمت هذه المقاطعة شركات كبرى على وقف عمالها في اسرائيل(طاهر، ٢٠٢٢ , ٣٧).

اصدرت مصر عدة مراسيم تخص اجراءات تفتيش وضبط السفن المخالفة المارة في مياهها الاقليمية مرسوم عام ١٩٥٠ , ومرسوم عام ١٩٥٣ , ومرسوم عام ١٩٥٥ , وخولت مصر مكتب مقاطعة اسرائيل, مشيرة إلى ان المكتب هو السلطة الوحيدة لإعطاء الاذونات للسفن للمرور في مضيق تيران وصولا إلى خليج العقبة, وقد ادى ذلك إلى تشديد الحصار البحري على اسرائيل في خليج العقبة والذي نعكس على الجانب الاقتصادي (عمرو، ٢٠١٦ , ٣٩).

ادت السياسة المصرية في قنواتها المائية وموانئها تجاه السفن الاسرائيلية والمساندة العربية لتلك السياسة إلى استنزاف اسرائيل وتكبدها خسائر جسيمة مما خلق نوع من التذمر الداخلي اذ اضطرت إلى استيراد البضاع والسلع الغذائية بكميات كبيرة وتطبيق نضام التقنين كما زادت تكلفة الانتاج الصناعي في اسرائيل مما خلق ركوداً في القطاع الصناعي فكان تقييد مصر شحن البضائع من وإلى اسرائيل ومنع سفنها المرور في مياهها وقنواتها بالغ الاثر على الاقتصاد الاسرائيلي لذا سلكت اسرائيل سبل مختلفة لحماية اقتصادها. (العشماوي، ٢٠٢٥ , ٣٠٨١).

لجأت إسرائيل عام ١٩٥١ , إلى مجلس الامن الدولي مقدمة شكوى رسمية ضد مصر املاً بخرق القرار المصري واجبار مصر على فتح مضيق تيران وقناة السويس امام سفنها التجارية وانهاء حالة الحصار البحري وكانت اسرائيل مدعومة غربيا, إلا ان مصر لم تستجب لقرار مجلس الامن الذي دعا فيه مصر انهاء الاجراءات المقيدة للملاحة البحرية في ممراتها (سلطان، ١٩٦٩ , ٥٠٧–٥٠٨).

بعد ثورة يوليو ١٩٥٢، كان تقييد مرور السفن الإسرائيلية جزءًا لا يتجزأ من مسيرة استعادة السيادة الوطنية الكاملة على الأراضي المصرية، بما في ذلك القناة. كانت القناة تخضع لإدارة شركة أجنبية (الشركة العالمية لقناة السويس البحرية)، وكان الوجود البريطاني لا يزال قائمًا في المنطقة. رأى القادة المصريون أن منع مرور سفن دولة في حالة حرب مع مصر هو حق سيادي وضرورة أمنية قصوى، حتى لو تعارض ذلك مع تفسير الدول الغربية لاتفاقية القسطنطينية. هذا الموقف القومي الصارم حظي بدعم شعبي واسع، حيث اعتبر المصريون أن هذه الإجراءات تمثل تحديًا للهيمنة الأجنبية واستعادة لكرامة الوطن وعزته (الاهرام, ١٩٥٣ , ٢٥).

ازاء الموقف المصري الثابت عادت اسرائيل وقدمت شكوى إلى مجلس الامن ضد مصر عام ١٩٥٤ , مدعية ان مصر خالفت قرار مجلس الامن الصادر في ايلول عام ١٩٥١ , الذي دعا مصر إلى الغاء القيود في ممراتها على السفن التجارية, إلا ان استخدام الاتحاد السوفيتي حق النقض «الفيتو» ضد مشروع القرار الاسرائيلي الذي تقدمت به ضد مصر منع صدور أي قرار يدين او يلزم مصر بأي اجراء واستمرت القيود المصرية ضد سفن اسرائيل (عمرو، ٢٠١٦ , ٣٣–٣٨). وفي ايلول عام ١٩٥٥ , قامت اسرائيل, بعملية عسكرية عبر الحدود في غزة التي كانت تحت السيادة المصرية مما دفع مصر,إلى تشديد قيودها البحرية على الملاحة الاسرائيلية في مضيق تيران واغلقت المجال الجوي فوق المضيق والذي كانت تستخدمه الطائرت الاسرائيلية المتجه إلى افريقيا (إيتان، ٢٠٠٨ , ٧٥–٩١). مما دفع اسرئيل إلى تقديم احتجاجاً رسميا لمجلس الامن في ٢٨ ايلول عام ١٩٥٥ , طالبت فيه بحرية المرور (عمرو، ٢٠١٦ , ٣٩).

كان قرار التأميم، فضلا عن استمرار الحصار الملاحي على إسرائيل في مضيق تيران، أحد الدوافع الرئيسية لاندلا ع العدوان الثلاثي (أزمة السويس) في تشرين الاول ١٩٥٦ ,(المدهون، ٢٠١٥ , ٣٥–٣٦), فقد ادى تشديد مصر لإجراءاتها على الممرات المائية الحيوية وتقييد الملاحة للسفن الاسرائيلية فيها إلى مشاركة اسرائيل في العدوان

الثلاثي على مصر من اجل كسر الحصار البحري وتأمين حرية الملاحة في ميناء ايلات(عمرو, ٢٠١٦, ٣٦-٣٩), اذ كان تأمين حرية الملاحة في مضيق تيران وكسر الحصار على ميناء إيلات هدفًا استراتيجيًا رئيسيًا لإسرائيل في هذا العدوان، بينما سعت بريطانيا وفرنسا إلى استعادة السيطرة على القناة وعزل الرئيس جمال عبد الناصر (مالك, ٢٠٠٣, ٣٥٦).

واجهت حرية الملاحة للسفن الإسرائيلية عبر هذين الممرين المائيين الحيويين قيودًا وتحديات، مما أثر بشكل عميق على التجارة الإقليمية والعلاقات الدولية. هذه القضية لم تكن مجرد خلاف قانوني حول حرية الملاحة، بل كانت جزءًا لا يتجزأ من الصراع العربي الإسرائيلي، وقد تركت بصماتها على أمن المنطقة واقتصاداتها، بما في ذلك الأردن.

موقف الأردن من القيود المصرية على السفن الاسرائيلية:

لا يملك الاردن سوى منفذ بحري وحيد على العالم عبر ميناء العقبة المطل على خليج العقبة، كانت حرية الملاحة في مضيق تيران وقناة السويس مسألة حيوية لأمنه الاقتصادي. أي تقييد لحركة الملاحة في هذين الممرين المائيين كان له تأثير مباشر على التجارة الأردنية، حيث كان يعني ذلك زيادة تكاليف الشحن وتأخير وصول البضائع الحيوية، بل وربما تعطيل حركة الاستيراد والتصدير بالكامل وشل الحركة التجارية (المدهون، ٢٠١٥, ٣٧).

اعتبر الاردن ان السياسة المصرية التي شملت تقييد الملاحة في قناة السويس ومضيق تيران تجاه السفن الاسرائيلية جزءا اساسيا لا يتجزأ من الدفاع العربي المشترك في مواجهة اسرائيل وضمن الحقوق العربية المشروعة, لتعزيز السيادة على الممرات المائية الحيوية وضرورة امنية للأمن القومي العربي في تلك المرحلة الحساسة (الاردن, ١٩٥٤, ٦).

وعلى الرغم من أن هذه الإجراءات كانت مصرية بالأساس، إلا أن الموقف الأردني كان متضامنًا ومؤيدًا لهذه الإجراءات، ليس فقط من منطلق العروبة والتضامن مع مصر، بل وأيضًا لأسباب استراتيجية واقتصادية حيوية للمملكة (الاردن, ١٩٥٤, ٦).

لم يكن الاردن طرفًا مباشرًا في فرض القيود على السفن الإسرائيلية، إلا أن موقعه الجغرافي جعله يتأثر بشكل مباشر بأي توترات في المنطقة. كانت عمان تدرك تمامًا أهمية ضمان مرور آمن لسفنها التجارية عبر مضيق تيران إلى قناة السويس، ومن ثم إلى الأسواق العالمية, لذا كان الأردن جزءًا من الكتلة العربية التي أيدت الموقف المصري تجاه إسرائيل (الاهرام, ١٩٥٢, ٢٨), وعضوا في مكتب مقاطعة اسرائيل التابع للجامعة العربية (طاهر، ٢٠٢٢, ٣٧), والذي اوكلت إليه مصر في مرسومها الصادر في ٥ ايلول ١٩٥٥, حق التصرف لإعطاء الموافقات للسفن للمرور في المياه الاقليمية المصرية في خليج العقبة على ان تبلغ المكتب قبل ٧٢ ساعة (عمرو، ٢٠١٦, ٣٩).

وضعت سياسة الأردن المؤيدة لمصر المملكة تحت ضغوط من القوى الغربية، خاصة بريطانيا والولايات المتحدة، اللتين كانتا تعارضان بشدة الإجراءات المصرية وتطالبان بحرية الملاحة (الدفاع ١٩٥١, ٨) اذ اعتبرت العديد من الدول الكبرى، وفي مقدمتها الولايات المتحدة وبريطانيا، أن الموقف المصري يتعارض بشكل مباشر مع اتفاقية القسطنطينية لعام ١٨٨٨ . هذه الاتفاقية تنص بوضوح على أن القناة «تكون على الدوام حرة ومفتوحة، في زمن الحرب كما في زمن السلم، لكل سفينة تجارية أو حربية دون تمييز لجنسيتها». جادلت هذه الدول بأن القناة ممر مائي دولي ولا تخضع لسيادة الدولة بشكل مطلق في زمن الحرب. هذه الخلافات القانونية أدت إلى سلسلة من المباحثات الدبلوماسية المعقدة في الأمم المتحدة وغيرها من المحافل الدولية، لكنها لم تسفر عن حلول جذرية قبل عام ١٩٥٦ (عمرو ,٢١٦, ٣٠-٤٥؛ رمضان، ١٩٨٢, ٥٠-٦٠).

كان الموقف الأردني الداعم لإجراءات مصر بتقييد الملاحة في قناة السويس ومضيق تيران مدفوعًا بمزيج من التضامن القومي العربي والمصالح الوطنية الحيوية المتعلقة بأمنه الاقتصادي والوصول إلى منفذه البحري الوحيد. هذا الموقف أدى إلى تعزيز العلاقات الثنائية بين الأردن ومصر، وشكل جزءًا من جبهة عربية موحدة في مواجهة إسرائيل، بينما أدى إلى توتر مع القوى الغربية التي كانت لها مصالح مختلفة في المنطقة. لقد كانت هذه الفترة شاهدًا على كيف يمكن

للقضايا الاستراتيجية المشتركة أن تعيد تشكيل التحالفات الإقليمية وتؤثر على العلاقات الدولية لدولة مثل الأردن.

ردود الفعل الاسرائيلية تجاه الموقف الاردني

ادى الموقف الاردني الداعم لسياسة المصرية تجاه اسرائيل في الملاحة البحرية والقضايا الحساسة إلى تفاقم العداء مع اسرائيل, كانت اسرائيل تعتبر ذلك عملاً عدائياً يمس امنها ومصالحها الحيوية لذا اختلقت ذرائع واهية واستخدمت اساليب ملتوية ونفذت سلسلة من الاعتداءات الاجرامية مشكلة بذلك ضغطاً امنياً على الاردن (الاردن , ١٩٥٣, ٣٠).

قامت اسرائيل باعتداءات متعددة وممنهجة عبر الحدود مستهدفة المدنيين في المناطق منزوعة السلاح, (المدهون ,٢٠٠٥, ٥٥) بين عامي ١٩٤٩-١٩٥٦, ارتكبت قواتها انتهاكات خطيرة بحق اهلها ففي ٣١ ايار ١٩٥٠, اقتحمت وادي عربة وطردت واحتجزت البعض, مما دفع بالجيش الاردني التدخل وانقاذ الموقف (موريس, ١٩٩٤, ٢٣٣).

وفي تشرين الثاني عام ١٩٥٣, تعرضت قرية قبية لاعتداء اسرائيلي, (المدهون ,٢٠٠٥, ٥٥), ادت الى مقتل العشرات وتدمير المنازل, واصلت اسرائيل نهجها العدائي عبر الحدود وهاجمت نحالين عام ١٩٥٤, ضمن الحدود الاردنية (المدلل, ٢٠١٣, ٨٥).

ادت الاعتداءات المتكررة إلى تشديد الاردن موقفه وطلب اجتماع اللجنة السياسية في عمان التي اتخذت قرارا برفض أي مفاوضات مع اسرائيل بصورة مباشرة او غير مباشرة من اجل الصلح, كما اتخذ الاردن تدابير احترازية على طول الحدود مع اسرائيل, وقدمت مصر مساعدات مالية لإعادة بناء قرية قبية التي دمرتها اسرائيل, عملت هذا الاعتداءات على تقوية موقف البلدين الموحد تجاه اسرائيل لاسيما مع استمرارها في سياسات التصعيد (حمزة، ٢٠٢١, ٨٧).

تأثير الموقف الاردني على العلاقات الثنائية

بين عامي ١٩٤٨ و١٩٥٦، شهدت العلاقات بين مصر والأردن تطورات سياسية واقتصادية مهمة، حيث كانت المنطقة تمر بمرحلة إعادة تشكيل بعد حرب ١٩٤٨، خلال هذه الفترة، كانت مصر والأردن في حالة تنسيق سياسي فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية، خاصة مع استمرار تهجير الفلسطينيين وتصاعد التوترات الإقليمية. كما بدأت العلاقات الدبلوماسية بين البلدين تأخذ طابعًا أكثر رسمية بعد استقلال الأردن عام ١٩٤٦، مما عزز التعاون في القضايا العربية المشتركة، ومع ذلك، شهدت هذه الفترة أيضًا بعض الأزمات السياسية(نسيبه، ١٩٩٢, ٢٠-٢٢).

ادت التطورات في تلك المرحلة إلى اختلاف في الرؤى ووجهات النظر في بعض القضايا خاصة القضية الفلسطينية وعلى كيفية التعامل معها لاسيما بعد ضم الاردن الضفة الغربية ايماناً منه بانه السبيل الوحيد لحمايتها من التمدد الاسرائيلي وكانت مصر لها وجه نظر مختلفة فرفضت الاجراء الاردني وادى ذلك إلى تأزم العلاقة بين الجانبين, مما دفع العراق إلى التدخل لتقريب وجهات النظر ووضع حد للأزمة وانهائها بشكل ودي(الأهرام, ١٩٥٠, ٤).

كما ان تطور الاوضاع الداخلية وظروف المرحلة لكلا البلدين كان لها تأثير مباشر على العلاقات الثنائية, بالنسبة للأردن قتل الملك عبدالله عام ١٩٥١ في القدس وخلفه ابنه طلال ثم عزل طلال لأسباب مرضية وتولى المنصب نجله الحسين بن طلال, كما ان مصر حدثت فيها ثورة يوليو ١٩٥٢, ومن ثم الغاء النظام الملكي واعلان الجمهورية ١٨ حزيران ١٩٥٣, وبعد مدة من الخلافات بين قادة الثورة استلم السلطة جمال عبد الناصر عام ١٩٥٤, القت هذه الاحداث بضلالها على العلاقات المصرية الاردنية وانشغال الطرفين بقضايا داخلية وعلى الرغم من ذلك كان التنسيق مستمراً بينهما واصبح موقفها اكثر حدة وتشدداً تجاه اسرائيل (حمزة، ٢٠٢١, ٨١-٩٤).

كان للموقف الاردني المساند لسياسة مصر في ممراتها البحرية تجاه السفن الاسرائيلية دور كبير في بلورة علاقات ثنائية

إيجابية متينة, إذ توثقت الروابط وتزايد التنسيق, لا سيما إن مصر تعد ذلك من القضايا الاساسية والمصيرية في توجيه الجهود المشتركة ضد اسرائيل(الاردن , ١٩٥٣, ٣٠).

مظاهر الدعم الأردني للإجراءات المصرية :

خلال الفترة ١٩٤٨-١٩٥٦، تجلت مظاهر دعم الأردن للموقف المصري في عدة جوانب

اولا: التضامن السياسي والعربي

كان الأردن جزءًا لا يتجزأ من الإجماع العربي الذي اعتبر إسرائيل كيانًا محتلاً في حالة حرب مع الدول العربية, ومن هذا المنطلق، أيد الأردن موقف مصر الذي يرى أن تقييد الملاحة للسفن الإسرائيلية هو حق سيادي وضرورة أمنية في ظل حالة الحرب, لم يظهر أي اعتراض رسمي أردني على الإجراءات المصرية، بل على العكس، كان هناك دعم للتوجه العام الذي يهدف إلى عزل إسرائيل إقليميًا فضلا عن التعاون العسكري والأمني شهدت هذه الفترة، وخاصة قبيل العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦، تناميًا في التنسيق العسكري والأمني بين مصر والأردن. هذا التنسيق لم يكن فقط لمواجهة التهديد الإسرائيلي على الحدود البرية، بل امتد ليشمل فهمًا مشتركًا للأهمية الاستراتيجية للبحر الأحمر ومضيق تيران, (الاردن, ١٩٥٤, ٦).

ثانيا: اتفاقية جلاء القوات البريطانية من مصر

دخلت مصر معركة سياسية ودبلوماسية حامية مع بريطانية بعد ثورة يوليو ١٩٥٢, كانت تهدف مصر إلى إجلاء القوات الاجنبية المتواجدة على ارضها بشكل نهائي بما فيها المتواجدة في قناة السويس ففي ٢٧ نيسان ١٩٥٣, بدأت المباحثات إلا انها توقفت بعد مدة قصير لا تتجاوز ١٠ ايام (شاكر, ٢٠٠٠, ١٠٩-١١٠), كان موقف الاردن مؤيداً لجلاء القوات البريطانية من مصر جاء ذلك عبر تصريح رسمي من قبل الحكومة الاردنية والذي اكد فيه بان جلاء القوات الاجنبية هو حق مشروع لمصر,(حمزة, ٢٢١, ٩٣), ثم عادت المفاوضات من جديد بين الجانبين عام ١٩٥٤, وتم توقيع اتفاقية الجلاء في ١٩ تشرين الاول ١٩٥٤ (الرفوع, ١٩٩٩, ١٠٥), وقدم مندوب الاردن في الجامعة العربية التهنئة للحكومة المصرية بمناسبة عقد اتفاقية جلاء القوات الاجنبية من مصر (حمزة, ٢٢١, ٩٣), وذهب الامر ابعد من ذلك عندما اقدم الملك حسين على طرد (الجنرال كلوب باشا) من منصبه كقائد للفيلق العربي بالجيش الاردني وذلك في اذار عام ١٩٥٦, وكانت بريطانيا قد المحت إلى مصر وعلى رأسها جمال عبد الناصر وراء قرار الملك بطرد الجنرال كلوب باشا, الامر الذي ادى إلى زيادة التوتر بين الجانبين (سليم، د.ت, ١٤٦).

ثالثا: تأميم قناة السويس

اعلنت مصر ببيان رسمي على لسان رئيسها عبد الناصر في ٢٦ تموز ١٩٥٦, عن تأميم قناة السويس والاستيلاء على جميع المرافق التابعة لها في مصر وتأسيس مجلس لإدارة القناة (حرموش، ١٩٧٨, ٤٢٩),كان ردة فعل الاردن التأييد المطلق لمصر وفي مقدمة الدول الداعمة للقرار المصري, معتبرة ذلك حقاً مشروعاً لمصر مؤكداً على ضرورة الوقوف مع مصر وتصدي العرب للمشاريع التوسعية للاستعمار, كما ارسل ملك الاردن حسين بن طلال برقية للسفير المصري في عمان موضحاً فيها وقوف الاردن حكومة وشعب إلى جانب مصر في هذا الشأن (القصار، ٢٠٢١, ٨٩٨).

رابعاً: العدوان الثلاثي على مصر

عندما اندلع العدوان الثلاثي على مصر في تشرين الاول ١٩٥٦، والذي كان أحد أهدافه كسر الحصار المصري على مضيق تيران وقناة السويس (عمرو, ٢٠١٦, ٣٩؛ المدهون, ٢٠١٥, ٣٦), وقف الأردن بثبات إلى جانب مصر, جسد هذا الموقف الدعم الكامل للقاهرة في معركتها ضد العدوان الذي استهدف سيادتها على القناة, فقد قطع الاردن علاقته الدبلوماسية مع فرنسا وارسلت الحكومة الاردنية مذكرة احتجاج لسفير بريطانيا في عمان وابلغته

عدم سماحها باستخدام أراضيها للعدوان على مصر, على الرغم من التحديات التي واجهها الأردن في تلك الفترة، إلا أن الموقف السياسي والشعبي كان ثابتاً موحدًا في دعم مصر وقضيتها العادلة (القصار، ٢٠٢١, ٨٩٩-٩٠٤).

دوافع الموقف الداعم والمؤيد للإجراءات المصرية:

أولاً: الأهمية الاستراتيجية الحيوية للممرات المائية للأردن

يمتلك الأردن منفذًا بحريًا وحيدًا على العالم عبر ميناء العقبة في خليج العقبة. هذا الميناء يعتمد بشكل كلي على حرية الملاحة عبر مضيق تيران ومن ثم قناة السويس لضمان تدفق السلع الحيوية (استيراد) وتصريف المنتجات (تصدير). أي تهديد أو ضعف للسيطرة العربية على هذه الممرات كان سيعني خنقًا اقتصاديًا مباشرًا للأردن. لذلك، فإن دعم السياسة المصرية التي تعزز السيطرة العربية على هذه الشرايين الملاحية كان يصب بشكل مباشر في المصلحة الوطنية العليا للمملكة (٢٨ المدهون, ٢٠١٥, ٢٦).

ثانياً: التهديد الأمني والعسكري

كان الأردن ومصر يواجهان تهديدات حدودية متصاعدة، مما دفع إلى تعزيز التعاون, في هذا السياق، كان دعم السياسة المصرية في قناة السويس ومضيق تيران جزءًا من رؤية أمنية أوسع تهدف إلى إضعاف القدرات الإسرائيلية (الاقتصادية والعسكرية) وتعزيز الموقف العربي المشترك. الاتفاقيات الدفاعية المشتركة، مثل تلك التي وُقعت بين مصر والأردن (وانضمت إليها سوريا لاحقًا) في مايو ١٩٥٦، عكست هذا التوجه نحو التضامن العسكري والسياسي بين البلدين (القصار, ٢٠٢١, ٨٩٢-٨٩٤).

ثالثا: طبيعة المجتمع الاردني

منذ قيام اسرائيل ونشوب الحرب العربية الاسرائيلية عام ١٩٤٨, لجأ إلى الاردن عشرات الاف الفلسطينيين, وبعد الضغط الاسرائيلي على الضفة الغربية اتخذ الاردن قراراً احادياً بتوحيد الضفتين في ٢٤ نيسان ١٩٥٠, وبذلك شكلوا الفلسطينيين والأردنيين شعباً واحد يمثل المجتمع الاردني ((المولى، ٢٠٢٢, ٤٧-٥٤), هذا المجتمع يؤمن ايماناً راسخاً نابعاً من عقيدة متجذرة بان اسرائيل سلبت ارضه وانها تشكل تحدياً حقيقياً لكيانه كما هو شعور الشعوب العربية, لذا أي قرار يتخذه الاردن منفرداً او ضمن دول الجامعة العربية ضد اسرائيل يحظى بتأييد شعبي منقطع النظير(الدفاع, ١٩٥٠, ٢٢), فعندما توقفت المحادثات بين مصر وبريطانيا حول جلاء القوات, قوبل بيان وقف المحادثات برفض شعبي واسع وشديد ودعا الشعب الاردني الحكومة إلى الوقوف بجانب مصر, وتأييدها وعقد مجلس النواب الاردني جلسة غير اعتيادية لمناقشة بيان وقف المحادثات وهاجم مجلس النواب تصريحات تشرشل (رئيس وزراء بريطانيا ان ذاك) وطالب الحكومات العربية الوقوف مع مصر في قضيتها (حمزة, ٢٠٢١, ٩٣). وبذلك يظهر جلياً مدى تأثير المد الشعبي على قرارات الحكومة الاردنية, لاسيما فيما يتعلق بالجنب الاسرائيلي والدول الداعمة والمؤيدة له.

رابعا: رفض النفوذ الاستعماري الأجنبي

كانت ثورة يوليو ١٩٥٢ في مصر نقطة تحول كبرى نحو التحرر من النفوذ الاستعماري الغربي. تأميم قناة السويس عام ١٩٥٦ كان تتويجًا لهذا التوجه. الأردن، الذي كان يسعى أيضًا لتعزيز سيادته واستقلاله عن النفوذ البريطاني، وجد في الموقف المصري صدى لمطالبه الوطنية. دعم السياسة المصرية كان يعني أيضًا دعمًا للتحرر من بقايا السيطرة الاستعمارية على الموارد والممرات الحيوية في المنطقة(القصار, ٢٠٢١ , ٨٩٩-٩٠٠).

لقد كان الموقف الأردني من إجراءات تقييد الملاحة في قناة السويس ومضيق تيران بين عامي ١٩٤٨ و١٩٥٦ موقفًا مبنيًا على التضامن القومي مع مصر، و فهم عميق للمصالح الاستراتيجية المشتركة فبينما كانت مصر تسعى لتأكيد سيادتها واستعادة حقوقها على هذه الممرات، كان الأردن يدرك أن حماية هذه الممرات تحت السيطرة العربية أمر حيوي لأمنه الاقتصادي واستقراره, هذا التناغم في المصالح والرؤى عزز من العلاقات بين البلدين وساهم في تشكيل المشهد السياسي للمنطقة في تلك الفترة الحرجة.

النتائج :

١) أظهرت الدراسة أن الموقف الأردني كان مدفوعًا بشكل أساسي بالتضامن القومي العربي، حيث التزمت المملكة بدعم الموقف المصري والسياسة المتخذة ضد إسرائيل، على الرغم من عدم وجود تأثير مباشر لتلك القيود على مصالح الأردن الملاحية أو الاقتصادية مقارنة بمصر. هذا يؤكد أن البعد القومي كان له الأسبقية في تشكيل السياسة الخارجية الأردنية في تلك الحقبة.

٢) أوضحت الأحداث أن اتفاقيات الهدنة لعام ١٩٤٩، وإن كانت قد أوقفت القتال النشط، إلا أنها لم تنهِ حالة الحرب القانونية بين مصر وإسرائيل. هذا الوضع القانوني المعقد منح مصر مسوغًا لفرض قيود على الملاحة، مما يعكس هشاشة «لا سلم لا حرب» في المنطقة.

٣) بالرغم من عدم تأثير الأردن المباشر على الملاحة في قناة السويس، إلا أن مشاركته في الموقف العربي الجماعي كان لها تداعيات سياسية وأمنية غير مباشرة. أي تصعيد في الصراع العربي–الإسرائيلي، مثل العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦ الذي جاء جزئيًا كرد فعل على هذه الإجراءات، كان يؤثر على استقرار الأردن وأمنه القومي، مما يبرز أهمية التنسيق الإقليمي.

٤) بينت اهمية قناة السويس ومضيق تيران اذ لا غنى عنهما للحركة التجارية العالمية، ويشكلان عصبًا استراتيجيًا يربط قارات العالم, تتجاوز أهميتهما مجرد كونهما ممرين مائيين, فهما نقطتا التقاء حضارات، ومراكز جذب اقتصادي.

٥) عززت هذه الفترة دور مصر كقائدة للحركة القومية العربية في مواجهة إسرائيل، وقد ساهم دعم الأردن (وغيره من الدول العربية) لموقف مصر في ترسيخ هذا الدور على الساحة الإقليمية.

التوصيات:

١) يوصى بأهمية دراسة الأحداث التاريخية في الشرق الأوسط ضمن سياقها الإقليمي الشامل، حيث أن مواقف الدول غالبًا ما تتأثر بالديناميكيات الجماعية والتحالفات القائمة، وليس فقط المصالح الفردية المباشرة.

٢) ينبغي التركيز بشكل أكبر في الدراسات المستقبلية على كيفية تأثير الأيديولوجيات القومية، مثل القومية العربية، على عملية صنع القرار في الدول الإقليمية، خاصة في أوقات الصراع.

٣) يوصى بمزيد من البحث حول كيفية تطبيق وتفسير القانون الدولي المتعلق بالممرات المائية وحقوق الملاحة في ظل ظروف «لا حرب ولا سلم»، وتداعيات ذلك على الاستقرار الإقليمي.

٤) لتكوين صورة أكثر اكتمالًا، يُنصح بالاستفادة القصوى من الأرشيفات الوطنية والدولية، بما في ذلك الوثائق البريطانية والأمريكية، التي يمكن أن تكشف عن جوانب جديدة لموقف الأردن وعلاقاته الإقليمية والدولية خلال تلك المرحلة.

الخاتمة :

تُظهر دراسة موقف الأردن من سياسة مصر بتقييد الملاحة في قناة السويس ومضيق تيران ضد السفن الإسرائيلية بين عامي ١٩٤٨ و١٩٥٦ عمق الترابط بين السياسة الخارجية للدول العربية في مواجهة الصراع العربي–الإسرائيلي. لم يكن الموقف الأردني معزولًا، بل كان جزءًا لا يتجزأ من استراتيجية عربية أوسع، تؤكد على التضامن القومي والتصدي لما اعتبرته الدول العربية تجاوزًا إسرائيليًا لحالة الهدنة، هذه الفترة الحاسمة كشفت عن محددات رئيسية للسياسة الأردنية آنذاك، وألقت الضوء على حجم التحديات التي واجهتها المنطقة.

يكشف هذا الموضوع عن موقف الأردن في فترة مفصلية من تاريخ المنطقة. إنه يوضح مدى تضامن الأردن مع السياسة المصرية، حتى وإن لم يكن متأثرًا بها بشكل مباشر من الناحية اللوجستية. هذا يبرز التأثير الكبير للعوامل القومية والعربية على اتخاذ القرار الأردني في تلك الحقبة، ويقدم رؤى حول تشكيل تحالفاته الإقليمية, ويعكس تحولا ديناميكيا نحو مزيد من الاستقلال عن النفوذ الغربي.

المصادر والمراجع:

الوثائق:

١–خالد علي عمرو, واخرون (٢٠١٦), نص مذكرة دفاع , رقم ٤٣٨٦٦ , ورقم ٤٣٧٠٩ , لسنة ٧٠, نزاع السيادة على جزيرتي تيران وصنافير , الدائرة الاولى افراد, محكمة القضاء الاداري, ص١–٩٢.

الكتب العربية والمترجمة:

١– احمد حرموش.(١٩٧٨). قصة ثورة ٢٣ يوليو , مجتمع جمال عبد الناصر, ج٢ , المؤسسة العربية للدراسات النشر, بيروت.

٢–حامد سلطان. (١٩٦٩). القانون الدولي العام في وقت السلم, دار النهضة العربية . مصر.

٣–حسين شريف. (١٩٩٥). الحروب التوسعية الصهيونية ,ج٢ ,الهيئة المصرية للكتاب . مصر.

٤–خالد سالم اسماعيل. (١٩٩١). الحياة البرلمانية في الاردن منذ وحدة الضفتين ١٩٥٠–١٩٦٧ , كلية الاداب, جامعة الاسكندرية.

٥– رضا مالك.(٢٠٠٣). الجزائر في إيفيان تاريخ المفاوضات السرية ١٩٥٦–١٩٦٢ , ط١ ,لبنان

٦–رياض عادل محمود. (١٩٨٩). الفكر الإسرائيلي وحدود الدولة, معهد البحوث والدراسات العربية. بيروت: دار النهضة للطباعة والنشر.

٧–زكي هاشم فؤاد. (١٩٥١). الامم المتحدة,. القاهرة.

٨–سعيد طلال الدهشان. (٢٠٢٢). التوارث الدولي للمعاهدات في فلسطين في حال زوال اسرئيل, مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات. بيروت.

٩–صلاح منتصر. (٢٠٠٣). من عرابي إلى عبد الناصر قراءات جديدة في التاريخ .ط٢ , دار الشروق . مصر.

١٠–عبد العظيم رمضان.(١٩٨٢).الموجهة المصرية– الاسرائيلية في البحر الاحمر ١٩٤٩–١٩٧٩ , روز يوسف , القاهرة.

١١–عمرو عبد الرؤوف أحمد. (١٩٧٨). قناة السويس في العلاقات الدولية ١٨٦٩–١٨٨٣ , الهيئة المصرية للكتاب.

١٢–عمرو عبد الفتاح خليل. (١٩٨٠). مضيق تيران في ضوء احكام القانون الدولي ومبادىء معاهدة السلام, الهيئة العامة للكتاب .

١٣–فيصل عودة الرفوع. (١٩٩٩). العلاقات الدولية المصرية الاردنية ١٩٥٢–١٩٧٠ , ط١ , دار مجدلاي. الاردن.

١٤–محمود شاكر.(٢٠٠٠). التاريخ المعاصر وادي النيل مصر والسودان, ج١٣ , ط٢ , المكتب الاسلامي .

١٥–محمود صالح منسي. (١٩٩٠). الشرق العربي المعاصر القسم الاول الهلال الخصيب.

١٦–معين طاهر. (٢٠٢٢). جذور التطبيع تاريخه ومراميه, مجلة الدراسات الفلسطينية , عدد ١٣٠.

١٧–منى زياد. (١٩٩٥). جغرافية العهد القديم. دمشق: دار الأهالي.

١٨–هورويتز إفرنيغ لويس. (٢٠١١). الثقافة والحضارة ما وراء الوضعية والتاريخية,المجلد الثاني, دار نشر,ترانزكشن.

١٩–وليد حسن , واخرون المدلل. (الطبعة الاولى ٢٠١٣). دراسات في القضية الفلسطينية. غزة فلسطين: جامعة الامة لتعليم المفتوح.

الكتب الاجنبية:

١–Dickshit, R;(2000). political Geography: the spatiality of politics, New Delhi: Tata Mc-Graw-Hill publishing Company Ltd.

االرسائل الجامعية:

١–خولة صارمي. (٢٠١٣). الصراع العربي الاسرائيلي –حرب ١٩٤٨م– أنموذجاً, رسالم ماجستير غير منشورة, جامعة محمد خضير *بسكرة*. الجزائر.

٢–سعيد محمود ابراهيم المدهون. (٢٠١٥). الابعاد الاستراتيجية لخليج العقبة واثرها على الامن القومي العربي « دراسة في الجغرافية السياسية, رسالة ماجستير غير منشورة, كلية الاداب والعلوم الانسانية , جامعة الازهر. غزة.

٣–عبد الحكيم عامر محمود لافي. (٢٠١١). الدور الامريكي في الحروب العربية الاسرائيلية ١٩٤٨–١٩٨٢م رسالة, ماجستير غير منشورة, الجامعة الاسلامية. غزة فلسطين.

٤–عماد احمد عبد الكريم سلامة. (٢٠١٥). الاعتراف بإسرائيل دولة يهودية وتأثيرها على إقامة دولة فلسطين, رسالة ماجستير غير منشورة, جامعة النجاح الوطنية نابلس. فلسطين.

٥–ماجد سعيد سليم المدهون. (٢٠٠٥). الأفكار والمشاريع الإسرائيلية المقترحةلتسوية القضية الفلسطينية من عام ١٩٤٨–١٩٧٧م, رسالة ماجستير غير منشورة , الجامعة الاسلامية. غزة فلسطين.

٦–هاشم رشيد محمد. (٢٠٢١). العلاقات الدبلوماسية ودورها في تسوية الصراعات الدولية (التطبيع الاسرائيلي –العربي – انموذجا), رسالة ماجستير غير منشورة, جامعة الشرق الادني . الاردن.

٧–هاني فهاد الكعير. (٢٠١٣). الفكر السياسي الصهيوني وأثره على الصراع العربي الاسرائيلي في مرحلة السلام ١٩٩١– ٢٠١٣ , رسالة ماجستير غير منشورة, جامعة الشرق الاوسط. الاردن.

٨–بزايز حليمة عناغ بختة. (٢٠١٩). الحروب العربية الاسرائيلية حرب ١٩٧٣ نموذجا, رسالة ماجستير غير منشورة, كلية العلوم الانسانية ,جامعة ابن خلدون. الجزائر.

البحوث المنشورة:

١–ابراهيم صقر. (١٩٧٥). نقل البترول عبر قناة السويس, مجلة السياسة الدولية , العدد ٤٠ , جامعة الكويت .
٢–ابراهيم محمد بدوي. (٢٠٠٦). دراسة جيو موروفولوجية, مجلة مركز البحوث الجغرافية, د, ع جامعة المنوفية:
٣–بطرس بطرس غالي. (١٩٧٥). قناة السويس بين الشرعية والاطماع الاستعمارية , مجلة السياسة الدولية, العدد ٤٠ , جانفي, جامعة الكويت.
٤–بني موريس. (١٩٩٤). حروب الحدود الاسرائيلية ١٩٤٦ , ١٩٥٦ , مجلة الدراسات الفلسطينية, المجلد٥ , العدد,١٨ .
٥–صباح سمير حمزة. (٢٠٢١). العلاقات السياسية المصرية الاردنية ١٩٥١–١٩٥٤ ,مجلة البحث العلمي في الآداب, ج١ ,عدد ٢٢ .
٦–راينر انتوني أنتوني. (١٩٦٧). مضيق تيران وسيادة البحر, مجلة الشرق الاوسط , المجلد ٢١ , العدد ٣ .
٧–عبد الرحمن وليد صالح القصار, واخرون.(٢٠٢١). العدوان الثلاثي على مصر واثره على العلاقات الاردنية–السعودية, مجلة ابحاث كلية التربية الاساسية, المجلد ١٧ , العدد٢ .
٨–علي اكرم فضل مهاني. (٢٠٢١). موقف حزب المباي «عمال اسرائيل» من حرب عام ١٩٤٨م وتوقيع اتفاقية رودس ١٩٤٩م, مجلة العلوم الانسانية والطبيعية, المجلد ٢ , العدد ٦ .
٩–علي عبد المطلب المدني. (٢٠٢٤). جهود النخب السياسية العراقية من احداث القضية الفلسطينية ١٩٤٨–١٩٥٨ .الجزء, العدد ٧٥
١٠–علي نجادات. (٢٠٠٨). إخراج الصحف الاردنية اليومية في فترة مابعد الاستقلال (١٩٤٦–١٩٦٧م) صحيفة « فلسطين« انموذجاً « دراسة كيفية «مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب, المجلد ٥ , العدد٢ . عمان.
١١– جوري زيدان. (١٩٠٩). قناة السويس, مجلة الهلال المصرية , السنة ١٨ , مجلد ٣ , العدد ٣ , . مصر.
١٢–طارق السيد سليم. (د.ت). موقف يوغسلافيا من ازمة السويس ١٩٥٦م, مجلة بحوث الشرق الاوسط , العدد ٤٤ .
١٣–فطين احمد فريد. (٢٠٠٣). مضايق تيران ودورها في الصراع العربي الاسرائيلي ١٩٤٩–١٩٥٧ , مجلة مصر الحديثة,العدد ٢ .
١٤–قاسم محمد الدويكات. (٢٠٢٢). التقييم الجيوستراتيجي للعناصر المورفولوجية للدولة الاردنية (دراسة تطبيقية في السياسة الجغرافية), المجلة الاردنية للعلوم الاجتماعية , المجلد ١٥ , العدد١ . الاردن.
١٥–لقاء فتحي عبدالله. (٢٠١٢). التنافس الامريكي –السوفيتي وتأثيره على الصراع العربي –الصهيوني, مجلة سر من رأى,المجلد ٨ ,العدد ٢٩ . العراق.
١٦– محمد صالح حنيو الريادي,واخرون. (٢٠١٨). القضية الفلسطينية في مناقشات مجلس النواب العراقي ١٩٤٥_١٩٤٨ , مجلة اداب الكوفة, العدد ٤٠٦ .
١٧– محمد معن ديوب. (٢٠٢١). مضيق تيران وأثره على العلاقات المصرية مع السعودية والكيان الصهيوني , مجلة جامعة تشرين. العلوم الاقتصادية والقانون ,المجلد٤٣ ,العدد ١ . سورية.
١٨– مها طه سليمان العشماوي, واخرون. (٢٠٢٥). السياسة الخارجية الاسرائيلية تجاه المقاطعة العربية(١٩٤٨–١٩٧٩), المجلة العلمية بكلية الآداب, العدد ٥٨ .
١٩–محمود توفيق. (٢٠١٦). المركز القانوني لتيران بين الموضع والموقع « دراسة في الجغرافية السياسية «, مجلة المجتمع العلمي المصري, المجلد ٢ , العدد ٩٠ . مصر.
٢٠–نبيل رياض عبد المولى. (٢٠٢٢). الاردن والقضية الفلسطينية ١٩٤٧–١٩٦٧م دراسة في مواقف الحكومة ومجلس النواب الاردني, مجلة الآداب جامعة كفر الشيخ, العدد٢٦ .
٢١–نسرين نور الدين حسن. (٢٠١٩). قناة السويس بين الواقع والمأمول, المجلة العلمية للاقتصاد والتجارة . د,ع.
٢٢–يوسف محمد عيدان. (٢٠٢٠). الصراع العربي الاسرائيلي (١٩٤٨–١٩٧٣) شهادات اسرائيلية, مجلة دورية كانالتاريخية , السنة ١٣ , العدد ٥٠ , العراق.

الصحف:

١–الاردن , العدد ,١٣٤٢ , ٢ اذار , ١٩٥٠ .
٢–الاردن, العدد, ٢٧١١ , ٣٠ تشرين الثاني, ١٩٥٣ .
٣– الاردن, العدد, ٢٨٣٩ , ١٦ نيسان, ١٩٥٤ .
٤– الاردن, العدد, ٣٠٦٤ , ٦ كانون الاول, ١٩٥٤ .
٥–الاهرام, ٢٣٢٣٢ , ٤ حزيران, ١٩٥٠ .
٦– الاهرام, ٢٤٠٠٢ , ٢٨ تموز, ١٩٥٢ .
٧– الاهرام, ٢٤٣٨٦ , ٢٥ اب, ١٩٥٢ .
٨– الدفاع, العدد, ٣٥٥١ , ١ كانون الاول ١٩٤٧ .
٩– الدفاع, العدد ٤٣٩٢ , ٢٠ تموز ١٩٥٠ .
١٠– الدفاع, العدد ٤٧٣٨ , ٨ تموز ١٩٥٠ .
١١–صباح العروبة , العدد, ٦ , ١١ كانون الثاني ٢٠٠٨ .
١٢–ام القرى, العدد, ١٣٣٣ , ١٦ شباط, ١٩٥٠ .

استراتيجيات التعلم النشط الأساسية

م. م. فالح حسين حرز
جامعة بعداد/ كلية الآداب

المستخلص:

ان التعلم النشط هو وسيلة تعليمية ديناميكية قائمة على اشراك الطلبة في انتاج المعرفة, اذ يتفاعل المتعلم بنشاط مع المادة بدلاً من مجرد استيعاب المعلومات. وهو يشمل نماذج تعليمية مختلفة تضع عبء التعلم على الطلاب. يتناول البحث هذا مفهوم التعلم النشط وفلسفته ومكانته المهمة في تطوير مهارات التفكير, فهو يستند الى فلسفة مستوحاة من المتغيرات المعاصرة, اذ يهدف الى موائمة هذه التحولات من اجل اعادة هيكلية دور كل من المعلم والمتعلم. كذلك يستعرض مجموعة من الاستراتيجيات الفاعلة مثل العصف الذهني والتعلم التعاوني وحل المشكلات...الخ.

الكلمات الافتتاحية: التعلم النشط, الاستراتيجية.

Abstract:

Active learning is a dynamic instructional approach that emphasizes student engagement in the construction of knowledge, wherein learners actively interact with the content rather than passively receiving information. It encompasses a variety of pedagogical models that shift the responsibility of learning onto the students themselves. This study explores the concept of active learning, its underlying philosophy, and its vital role in fostering critical thinking skills. Rooted in a philosophy informed by contemporary educational shifts, active learning seeks to realign the roles of both teacher and learner in response to evolving educational paradigms.The research further examines a set of effective strategies such as brainstorming, cooperative learning, and problem-solving, among others.

Keywords: active learning, strategy.

الهدف من الدراسة:

ان الهدف المرجو من هذا البحث هو التعرف على مفهوم التعلم النشط بوصفه توجها تربويا حديثا وبيان فلسفته, وتسليط الضوء والوقوف على أهم استراتيجيات هذا النمط من التعلم، التي تنضوي تحتها الكثير من الاستراتيجيات الفرعية.

أهمية الدراسة:

تكمن اهمية هذا الموضوع من الحاجة الملحة الى ابتكار اساليب جديدة او تطوير اساليب التعلم التقليدية, بما يتناسب والمتغيرات الحاصلة في زمن المعرفة والتكنلوجيا, ويعتبر التعلم النشط من اهم الاساليب الفاعلة التي تساهم في تنمية مهارات التفكير, كما ان تسليط الضوء على اهم استراتيجياته يوفر اطارا معرفيا للقائمين على العملية التربوية من اجل تحسين فعالية التعليم ورفع مستوى كفاءته.

منهج الدراسة:

اعتمدنا في هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي, وتشير النتائج الى ان استغلال الاستراتيجيات يساهم

وبشكل كبير من رفع مستوى المتعلمين, وينمي الثقة بالنفس لدى المتعلم, وخلق بيئة صفية مناسبة وفاعلة.

المقدمة:

يشهد عصرنا الراهن تسارعاً ملحوظا في تطور المعلومات وانفجار معرفي غير مسبوق تزامنا مع الثورة التكنلوجية والتحولات المرافقة في مختلف المجالات. هذا الواقع فرض على المهتمين في الشأن التربوي تحديات جمة في ميادين التعليم, ما دفعهم الى البحث عن أنماط واستراتيجيات تعليمية محدثة تتماها ومتغيرات العصر وتحولاته.

من هنا، باتت العملية التعليمية ذات أهمية كبيرة من أي وقت مضى، اذ انها تسهم في بناء مجتمعات تتسم بالقدرة على مواكبة هذه التطورات السريعة, وذلك من خلال السعي الى تطوير مهارات الطلبة وتشجيعهم على الابتكار، وتمنحهم من اكتساب القيم والمبادئ والمعارف التي تمكنهم من مواكبة متغيرات العصر، والإسهام في إنجاز التقدم والتنمية.

هذا الواقع جعل مفاهيم التربية والتعليم امام تحديات متزايدة تقتضي مراجعة شاملة للعملية التربوية برمتها من حيث الطرق والأنماط الأساسية التي تستند عليها العملية التعليمية, وهذا يتطلب ايجاد اساليب واستراتيجيات حديثة. ومن هنا تكمن اهمية هذه المراجعة والتي يجب أن تتمحور حول تمكين القائمين على التربية من إيجاد الحلول الفعالة لمشكلات التعليم التي تواجههم، بما يضمن بناء عملية تعليمية متجددة وقادرة على مواكبة العصر وتحقيق الهدف المنشود وبكفاءة عالية.

في هذا السياق، لم تعد العملية التعليمية مجرد وسيلة لنقل المعرفة، بل أداة لبناء قدرات المتعلمين, ليصبحوا أكثر تفاعلاً وإبداعاً في مواجهة تحديات الواقع ومتطلبات الحياة المعاصرة.

اولاً– التعلم النشط: المفهوم والنشأة:

ان طريقة القاء المحاضرة التي يقوم بها المعلم ويقدم من خلالها المعارف الى الطلبة الذين بدورهم يتلقون المعلومة بطريقة الانصات والحفظ, هي الطريقة التي سادة في اغلب مستويات التعليم. وتشير مراكز الدراسات والابحاث التربوية الى ان هذا الاسلوب في ايصال المعلومة الى المتلقي, لا تساهم في خلق اجواء تعليمية حقيقية, ما حدى الى ظهور دعوات من اجل ايجاد بدائل وطرائق تدريس جديدة لغرض تحقيق التفاعل بين مكونات العملية التعليمية (رفاعي:٢٠١٢: ص٥٢).

التعلم النشط، المعروف باللغة الإنجليزية بـ Active Learning»»، يشير إلى نهج تعليمي يضع مسؤولية التعلم على عاتق الطالب أو المتعلم. ظهر هذا المصطلح لأول مرة في ثمانينيات القرن العشرين، لكنه اكتسب شهرة واسعة خلال التسعينيات بفضل تقرير قدمه بونويل وإيسون لجمعية دراسات التعليم العالي الأمريكية عام ١٩٩١م، حيث استعرضا مجموعة من الأساليب التي تشجع على تبني مفهوم التعلم النشط. ويشير «Michel Ryan»الى ان التعلم النشط هو نهج تعليمي ديناميكي حيث يتفاعل الطلاب بنشاط مع المادة بدلاً من مجرد استيعاب المعلومات. وهو يشمل نماذج تعليمية مختلفة تضع عبء التعلم على الطلاب. تعزز هذه الطريقة النمو الشامل في المهارات المعرفية والعاطفية والحركية، مما يؤدي إلى التعلم العميق وتعزيز المهارات والتقييم(MICHAEL:pa٧).

شهد مصطلح التعلم النشط انتشاراً واسعاً بين الباحثين في المجال التربوي مع بدايات القرن الحادي والعشرين. ويُعتبر أحد الاتجاهات المعاصرة في التربية وعلم النفس، حيث يهدف إلى تطوير أساليب التدريس والارتقاء بجودة مخرجات العملية التعليمية (رفاعي: ص٥٢).

ثانياً: تعريف التعلم النشط:

يعد مصطلح التعلم النشط من المصطلحات الاساسية في ميدان علم النفس التربوي وعلوم التربية بشكل عام, لذا نجد ان هنالك العديد من التعاريف وضعت لهذا المصطلح المعاصر نذكر منها:

التعلم النشط هو «أسلوب يجمع بين طريقة التعلم وطريقة التعليم، حيث يشارك الطلاب في أنشطة وتمارين ومشاريع متنوعة ضمن إطار تدريس مقرر الإرشاد التربوي. يتم ذلك داخل بيئة تعليمية غنية ومتنوعة توفر فرصاً للإصغاء الإيجابي، والحوار البناء، والمناقشات المثمرة، مع التركيز على التحليل الدقيق لكل ما يُقرأ أو يُكتب أو يُناقش. يشجع المعلم الطلاب على تحمل مسؤولية تعليم أنفسهم بأنفسهم تحت إشرافه، مع تحفيزهم لتحقيق أهداف المادة الدراسية الطموحة التي تهدف إلى بناء شخصية متكاملة للمتعلم» (غرغوط:٢٠٢٢: ص٢٤٣).

التعلم النشط هو «التغير شبه الدائم الذي يطرأ على الفرد, او اعادة بناء وتنظيم البنى المعرفية المتوافرة لديه نتيجة ممارساته عمليات التعليم النشط»(السيد:٢٠١٠ : ص٧٢).

يقدم التعلم النشط بديلاً لنموذج المحاضرات وتدوين الملاحظات التقليدي, و يُعرَّف التعلم النشط عموماً بأنه أي طريقة تعليمية تشرك المتعلمين في عملية التعلم. وقد أصبح هذا مصطلحاً شاملاً يستخدم لوصف كل من التربية الشاملة والاستراتيجيات المحددة للتدريس والتعلم في الفصل الدراسي أو قاعة المحاضرات((Fornai:٢٠١٥:pa٩.

ومن هذا يتضح ان التعلم النشط هو عملية منح المتعلم الفرصة الكافية من اجل اشراكه في العملية التعليمية , وتحمل مسؤولية تعليم نفسه بنفسه وذلك من خلال طرح الاسئلة, وتداولها مع زملائه داخل حجرة الدراسة, وبداء الرأي واستنباط الاجوبة. انه وسيلة تجمع بين التعليم والتعلم في الوقت نفسه, ولكن تحت اشراف المدرب او المعلم.

ثالثاً– فلسفة التعلم النشط:

التعلم النشط يستند إلى فلسفة مستوحاة من التغيرات العالمية والمحلية المعاصرة، حيث يهدف إلى مواكبة هذه التحولات التي تدعو إلى إعادة تحديد أدوار كل من المعلم والمتعلم. ويركز على نقل مركز الاهتمام من المعلم إلى المتعلم، ليصبح المتعلم المحور الأساسي للعملية التعليمية. من هنا يُعد التعلم النشط «فلسفة تربوية تعتمد على ايجابيات المتعلم في الموقف التعليمي»(عبد السلام:٢٠٢١: ص١٠), فهو نهج تربوي يهدف إلى تفعيل دور المعلم والمتعلم في العملية التعليمية، بحيث يتم التعلم من خلال الممارسة والبحث والتجربة، مما يعزز اعتماد المتعلم على نفسه في الوصول إلى المعلومات. يسهم هذا الأسلوب في تنمية المهارات، وغرس القيم والاتجاهات، ويركز على تعزيز التفكير وحل المشكلات، بالإضافة إلى تشجيع العمل الجماعي والتعاوني. يبتعد التعلم النشط عن الحفظ والتلقين التقليدي، ويهتم بالطريقة التي تمكن الطالب من اكتساب المعرفة والمهارات والقيم المرجوة. يعتمد هذا النوع من التعلم على مجموعة من الأنشطة المتنوعة التي يمارسها المتعلم، ما يؤدي إلى بناء أنماط سلوكية إيجابية تعتمد على مشاركته الفاعلة والإيجابية في المواقف التعليمية(عبد السلام: ص١٠).

تقوم فلسفة التعلم النشط في التدريس التربوي على إشراك الطالب بشكل مباشر وفعّال في عملية التعلم، بحيث يصبح محور العملية التعليمية بدلاً من أن يكون مجرد متلق للمعلومات. وتركز هذه الفلسفة على(اسعد:٢٠١٧ : ص١٣–١٤):

١. التفاعل والمشاركة: تشجيع الطلاب على المشاركة في النقاشات والأنشطة العملية بدلاً من الاقتصار على

الاستماع السلبي.

٢. التفكير النقدي: تعزيز التفكير النقدي وحل المشكلات، مما يساعد الطلاب على تحليل المعلومات وتطبيقها في مواقف حقيقية.

٣. التعلم التعاوني: استخدام الأنشطة الجماعية لتعزيز التعاون بين الطلاب وبناء مهارات العمل ضمن فريق.

٤. التجربة العملية: الاستفادة من الخبرات العملية والتطبيقات الواقعية لجعل التعلم أكثر ارتباطاً بالحياة اليومية.

٥. التحفيز الذاتي: تشجيع الطلاب على تحمل مسؤولية تعلمهم واكتساب مهارات البحث والاكتشاف.

بعبارة أخرى، يُعد التعلم النشط منهجاً تعليمياً ديناميكياً يهدف إلى جعل التعلم تجربة شخصية، مثرية، وممتعة للطالب.

رابعاً: استراتيجيات التعلم النشط الأساسية:

يشير الكُتاب الى ان اصل كلمة «استراتيجية strategy» يعود الى المفردة اليونانية «strategos» وتعني فنون الحرب وادارة المعارك(المغربي: ص١٧), بمعنى وضع خطة واضحة ومحددة لتحقيق هدف معين. ومن هنا يتضح ان مفهوم الاستراتيجية في التعلم النشط مستعار من المجالات العسكرية والتخطيطية، إذ يشير إلى أسلوب نسقي لإنجاز أهداف محددة. في التعلم النشط، ويتم توظيف الاستراتيجية كطريقة منظمة ومنهجية لإشراك المتعلمين في عملية التعلم بشكل أكبر، وجعلهم مشاركين فاعلين بدلاً من متلقين فقط.

يقصد باستراتيجيات التعلم تلك الإجراءات المنتظمة التي يقوم بها المعلم داخل حجرة الصف من اجل تحقيق اهداف الدرس بشكل فعال, وتنفذ هذه الاستراتيجيات بشكل متسلسل ومنسجم لتضمن تكامل الجهود في خلق بيئة ديناميكية تحفز الطلاب على الانخراط والتفاعل بشكل افضل مع المادة الدراسية(الصيفي: ٢٠٠٩: ص٨١-٨٢).

وتوجد العديد من الاستراتيجيات للتعلم النشط الا اننا اخترنا مجموعة معينة من هذه الاستراتيجيات التي تعتبر من اهم الاستراتيجيات, فهي تحقق مجموعة من الفوائد التعليمية التي تحدث فرقا كبيرا في جودة التعليم وتجربة التعلم, اذ انها تعزز التعلم العميق و مشاركة الطلاب وتنمي مهارات التفكير العليا, كذلك اضفاء طابع الحيوية على الفصل الدراسي هذه الاستراتيجيات تُعلم الطلاب مهارات حياتية مثل التفكير النقدي، العمل الجماعي، وحل المشكلات، وهي مهارات ضرورية في سوق العمل والحياة. وادناه اهم استراتيجيات التعلم النشط التي تعزز التفاعل بين الطلاب وتحفزهم على التفكير والابداع:

١- التعلم التعاوني:

يتألف التعلم التعاوني من مجموعات صغيرة او فرق تعمل معاً كجزء من عملية التعلم, اذ يعمل الطلاب معاً لمساعدة بعضهم البعض, والتعلم من بعضهم البعض, لإحراز نتائج تعليمية أفضل من تلك التي ترتبط بالأساليب التعليمية التقليدية, وتكون مهمة العملية التعلمية مهيكلة بطريقة تجعل الطلاب يحتاجون الى بعضهم من اجل اكمال المهام الموكلة اليهم, لذلك يتم إرساء ثقافة التعاون وروح المشاركة(Michel Ryan: pa٤٥)( ).

ان التعلم التعاوني يتم وفق مراحل:(الصيفي: ص٢٠٠-٢٠١).

أ. مرحلة التعرف: وفيها يتم فهم المشكلة او المهمة المطروحة وتحديد معطياتها والوقت المخصص للعمل عليها.

ب. مرحل بلورة معايير العمل الجماعي: حيث يتفق على توزيع الادوار وكيفية التعاون وتحديد المسؤوليات وكيفية اتخاذ القرار المشترك والاستجابة لها افراد المجموعة.

ت. الإنتاجية: يتم الانخراط في العمل من قبل افراد المجموعة والعمل على انجاز المطلوب بحسب الاسس والمعايير لتحقيق الاهداف المطلوبة.

ث. الانهاء: حيث يتم كتابة التقرير ان كانت المهمة تتطلب ذلك او التوقف عن العمل وعرض ما توصلت اليه في جلسة الحوار العام.

تكمن أهمية التعلم التعاوني في الفوائد العديدة التي يقدمها للطلاب من النواحي الأكاديمية والاجتماعية والنفسية, فهو ليس مجرد أسلوب تدريسي، بل هو وسيلة لإعداد الطلاب أكاديمياً وشخصياً واجتماعياً، مما يمكنهم من مواجهة تحديات الحياة والعمل بفعالية في المجتمع.

٢- العصف الذهني:

«خطة تدريسية تعتمد على استشارة المتعلمين وتفاعلهم انطلاقا من خلفيتهم العلمية حيث يعمل كل واحد منهم كمدخل لأفكار الاخرين ومنشط لهم في اعداد المتعلمين لقراءة او مناقشة او كتابة موضوع ما وذلك في وجود موجه لمسار التفكير وهو المعلم»(اسعد: ص١٢٧). ما يعني انه لابد ان تكون هنالك خلفية علمية لدى الطالب في مادة الدرس المطلوبة. كما انه هنا يكون دور المعلم هو تحديد دور كل طالب من خلال موضوع يحفز الطلاب على الابداع في التفكير وطرح اسئلة قابلة لان يجاب عنها بعدة طرق, وهنا تتكون الافكار وتعرض النتائج وتتم مناقشتها وتنقيحها بين اعضاء المجموعة(الشمري: ٢٠١١: ص٩٣).

تكمن اهمية استراتيجية العصف الذهني في انها تعزز لدى المتعلم القدرة على التفكير, وصياغة افكاره الخاصة قبل مشاركتها مع الاخرين, كما انها تعزز مهارات التفكير العليا.

٣- حل المشكلات:

ان المشكلة بشكل عام: هي حالة من الشك والتردد الذي يتطلب القيام بعمل ما يروم التخلص منها, والمشكلة هنا «هي حالة يشعر فيها التلاميذ بانهم امام موقف قد يكون مجرد سؤال يجهلون الإجابة عنه أو غير واثقين من الإجابة الصحيحة»(الصيفي: ص١٤٦), وتختلف المشكلة من حيث طولها ومدى صعوبتها، وأساليب التعامل معها, ويُطلق على منهجية معالجة المشكلات «الأسلوب العلمي في التفكير»، حيث تعتمد هذه الطريقة على تحفيز تفكير التلاميذ وجعلهم يشعرون بالتحدي والقلق إزاء وجود مشكلة يصعب عليهم حلها بسهولة(الصيفي: ص١٤٦).

ومن هنا يتضح ان ثمة مشكلة ما تعيق مبتغانا في تحقيق هدف معين, ومن اجل حلها لابد من اكتشاف اسلوب ناجح يستند على التعاضد ما بين التفكير الناقد والإبداعي معاً, نتمكن من خلاله التحول من الوضع الاشكالي المعقد الى وضع نصل معه الى آلية مقبولة توصلنا الى الحل الذي نروم(الحلاق: ٢٠١٠: ص٢٠).

وتكمن اهمية استراتيجية حل المشكلات في انها تنمي التفكير النقدي والابداعي, وتعزز مهارات اتخاذ القرار, كما انها تحسن القدرة على مواجهة التحديات, وباختصار انها اداة فعالة لبناء عقول واعية قادرة على التعامل مع التحديات بفعالية ونشاط.

٤- المناقشة الصفية:

تحتل المناقشة الصفية مكانة مهمة وذي مركزية في جميع جوانب التدريس, وتعرف المناقشة بانها «الاندماج في تبادل لفظي منظم والتعبير عن الافكار التي تتعلق بموضوعات معينة, يغلب ان يستخدم المعلمون لفظ مناقشة لأنه يصف الإجراءات التي يستخدمونها لتشجيع التبادل اللفظي بين التلاميذ»(جابر: ١٩٩٢: ص١٨٩). لذا يمكن تعريف اسلوب المناقشة الصفية بانه «احد اساليب التعلم النشط الذي يشجع الطالب

على المشاركة بفاعلية داخل الحجرة الدراسية, وذلك من خلال تفاعل لفظي او شفوي بين الطلبة انفسهم, او بين المعلم واحد الطلبة او بين المعلم وجميع الطلبة»(سعادة:٢٠١١: ص١٩٧).

تكمن اهمية المناقشة الصفية في انها تنقل المتعلم من دور المتلقي السلبي الى المشاركة الفعالة في النقاش, كما تعزز حرص المتعلم بالدراسة وذلك من خلال دوره في الحوار النشط, كذلك تدريب الطالب على جمع المعلومات وتحليلها وربطها للوصل الى الحلول النجعة, وتمكين المعلم من تقييم مستوى وفهم الطلاب واكتشاف نقاط الضعف والقوة لدى الطلاب, كما انها تنمي صفة الاحترام لدى الطلاب لآراء الآخرين وتقبل الاختلاف, كذلك يكتسب الطلاب من خلال المناقشة الصفات الرغوب فيها من قبيل تحمل المسؤولية وعدم الخوف والخجل والبعد عن الأنانية(سعادة: ص١٩٩–٢٠٠).

٥– استراتيجية توليد الأسئلة (الاستجواب الذاتي):

تقوم استراتيجية توليد الاسئلة على اسس النظرية المعرفية وبالأخص على مفهوم «ما وراء المعرفة» الذي ظهر في اوائل السبعينيات من القرن العشرين, اضاف هذا المفهوم بعدا جديدا في علم النفس المعرفي, اذ انه اثار نقاشات نظرية واجريت دراسات تجريبية تناولت موضوعات التفكير والتعلم. ان الهدف من تطوير هذا المفهوم هو مساعدة المتعلم على ان يكون اكثر ايجابية في العملية التعليمية وذلك من خلال جمع المعلومات ومتابعتها وتقييمها بفاعلية اثناء التعلم(عبد السلام: ص٢١٦).

٦– التعلم بالاكتشاف:

تركز هذه الاستراتيجية على تعزيز قدرات الطلاب لاستكشاف الحلول بأنفسهم, وذلك من خلال تقديم مجموعة من المشكلات الواقعية بدون اي محاضرة مسبقة او تدريس سابق من قبل المعلم حول موضوع المشكلة, مما ينمي لديهم مهارات التفكير النقدي والاستقلالية في التعلم(أمبوسعيدي و الحوسنية:٢٠١٦: ص٣٦١). ما يعني انه على المتعلم ان يكتشف المعلومات بنفسه من دون ان تقدم له جاهزة, لذا عليه ان يفهم العلاقات المتبادلة بين الافكار, وان يقوم بربط العناصر المكونة للموضوع او المشكلة المطروحة للبحث ليتمكن من يأتي بما هو جديد من نتائج علمية(رفاعي: ص١٩٠).

وتكمن اهمية استراتيجية التعلم بالاكتشاف بانها تقوم بنقل مركز التعلم من المعلم الى الطالب وذلك بعد تهيئة الظروف الى المتعلم ليكتشف الحلول بنفسه, كما تؤكد على الناحية العقلية وقوة الملاحظة والاستنتاج والتنظيم, وتبعث الثقة بالنفس لدى الطالب وذلك من خلال الاعتماد على الذات والتوصل الى المعلومات والمعرفة واكتشاف كل ما هو جديد من تلقاء نفسه, وليس من المفترض ان تكون النتائج و المعلومة التي تم التوصل اليها غير معروفة من قبل, بل الاهم ان تعد جديدة بالنسبة للمتعلم ذاته, وتكمن القيمة في انه اكتشفها بنفسه(اسعد: ص١٦١–١٦٢).

٧– التفكير الناقد:

يعود الاهتمام بالتفكير الناقد الى زمن الفيلسوف اليوناني سقرط في القرن الخامس قبل الميلاد, بدى الاهتمام به في الفترة المعاصرة مع جون ديوي وذلك من خلال كتابه «كيف نفكر», استعمل مصطلحات من قبيل التفكير التأملي, ثم قام بعض المفكرين في المجال التربوي بتوسيع المعنى لمصطلح التفكير الناقد ووضع اختبارات تقيس هذا النوع من التفكير, وقد عرفه البعض بانه: منهج في التفكير يتميز بالحرص والحذر في الاستنتاج ويقوم هذا المنهج على الادلة ويرفض الخرافات ويقبل علاقة السبب والنتيجة ويقر بان النتائج لابد ان تتغير في ضوء الادلة والبراهين(حسن:٢٠١٤: ص٣٣).

يتميز التفكير الناقد بخائص عديدة منها: انه عملية ذهنية تشتمل على العديد من المهارات التي يمكن التدرب عليها لتحقيق عملية النقد الايجابية, اذ ان التفكير الناقد يعد نشاط ايجابي مبدع فهو عملية وليس نتاج فقط, كما انه يعتبر نشاط انفعالي وعقلاني معاً, ويتصف بانه مهارة قابلة للتنمية, وذلك من خلال التعاون بين المتعلمين(الشمري و آل رشيد: ٢٠٢١ : ص٦٤٨), وبناء على ما تم عرضه من بعض استراتيجيات التعلم يمكننا القول انها جميعا تساهم في تنمية مهارات التفكير الناقد لدى المتعلمين, كما انه بإمكان المعلم ممارسة دوره في تعليم هذه المهارات من خلال وسائل عدة يراها مناسبة لمساعدة المتعلمين في تنمية قدرتهم على التفكير النقدي, او اشراكهم في الاساليب والفعاليات, والاستفهام والمعارضة, كما يمكنه اعطاء مجال اوسع للمناقشة(العفون وعبد الصاحب: ٢٠١٢ : ص٧٥).

٨- استراتيجية التصور الذهني:

الصور الذهنية هي «نوع من التصور او الادراك الذاتي الذي يختلط فيه بالواقع, والذي يكونه الشخص ويتبناه حيال شيء او شخص او موضوع ذي دلالة بالنسبة له, وهذا يربط بين الصور الذهنية والتصور الذهني, حيث تعد الصور الذهنية شكلاً من اشكال التصور الذهني»(محمود: ٢٠٢٤ : ص١٢٣), ويمكن القول ان التصور الذهني بانه استدعاء او استرجاع الذاكرة للأشياء للأحداث المختزنة من خلال الخبرة السالفة, والعمل على انشاء او إبداع افكار وخبرات مستجدة, وتعرف استراتيجية التصور الذهني بانها تكوين صور ذهنية للمعلومات موضوع المعالجة حتى ولو لم يكن لهذه المعلومات وجود فيزيائي, وتكون ذات تأثير كبير على الاداء في حالة المعلومات التي لها قابلية اكبر للتخيل(المنتشري: ٢٠٢١ : ص٢٣٤).

وتكمن اهمية استخدام التصور الذهني في التعلم في قدرته على ربط الخبرات السابقة للمتعلم بالخبرات الحالية, مما يساهم في بناء فهم اعمق للموضوع, كما يساعد التصور الذهني الطالب على تكوين صورة كلية للموضوع وتخيل تفاصيله, مما يعزز من قدرته على استحضار المعلومات والاحداث ببساطة, ويزيد من فاعلية الطالب مع العملية التعليمية(محمود: ص١٢٢٨).

٩- استراتيجية تدريس الاقران:

يشير هذا الاسلوب في التعلم الى قيام احد المتعلمين بتدريب احد زملائه, وهو اسلوب يسهم في تعزيز مهارات ما وراء المعرفة بشكل فاعل, كذلك انه يتيح إحراز نتائج تعليمية بسرعة تفوق ما يمكن ان يصل اليه الطالب عند تعلمه بشكل مستقل. ويقوم الطالب الاكثر قدرة بمساعدة زميله الاقل قدرة على التعلم, او بعمل مجموعات صغيرة يتم تنظيمها من قبل معلم محترف. وتسعى هذه الاستراتيجية الى تنمية مهارات القراءة وتطوير القدرة على التلخيص لدى الطلبة, بالإضافة الى تدريب الطلبة على ممارسة القراءة والاطلاع وتوسيع افاقهم المعرفية, واكسابهم العمل التعاوني وترسيخ روح الفريق والعمل بشكل جماعي(اسعد: ص١٠٢).

١٠- التفكير الابداعي:

يعتبر التفكير الابداعي الركيزة الاساسية التي تنطلق منها عموم انشطة تعليم التفكير في العصر الحديث والمعاصر, وتسعى اساليب التربية الحديثة الى اكتشاف الطاقة الابداعية الكامنة في الافراد وتنميتها من اجل اعداد اجيال من المفكرين البارعين, فالتفكير الابداعي نمط ذهني وتوليه نظريات علم النفس اهتماما خاصا ويؤكدون على ضرورة ادماجه ضمن اطر التفكير المتعددة(رمضان: ٢٠١٦ : ص١٠٥), فهو عملية ذهنية متقدمة يعالج الفرد فيها المواقف والخبرات والمشاكل بطريقة غير مألوفة, لذلك يعد تدريب الطلبة على تناول القضايا التي يعاصرونها بأنماط وطرق جديدة بخلاف اساليب التفكير التقليدي, يعزز من قدرتهم على التكيف مع القيم المعاصرة بطريقة

متفوقة وناجعة يسعى الجميع الى تحقيقها(العفون و عبد الصاحب: ص١٢٨-١٢٩).

خامساً: الخاتمة:

ومما تم استعراضه في هذه الورقة البحثية, يتبين ان التعلم النشط يعد من اهم الركائز التي تستند عليه العملية التربوية من اجل تطوير اساليبها التعليمية, اذ انه يساهم في جعل المتعلم مشارك إيجابي في بناء المعرفة بعد ان كان متلقي سلبي. وقد حاولنا بيان اهم استراتيجيات هذا النمط من التعليم, لما لها من اهمية في تفعيل دور المتعلم ورفع مستواه وتفاعله مع المادة التعليمية, ومن هنا تتضح اهمية تبني استراتيجيات التعلم النشط لمواكبة متطلبات التعلم الزمن المعاصر, من اجل بناء جيل قادر على التفكير النقدي, والفهم والابداع, والمساهمة الفاعلة في التنمية الشاملة.

سادساً» أهم النتائج:

ومن خلال هذه الدراسة المتواضعة توصلنا الى مجموعة من النتائج التي تبين اهمية التعلم النشط في تنمية العملية التعليمية, ومن ابرزها:

١. ان التعلم النشط هو وسيلة تعليمية تحث الطلاب على التفاعل بنشاط مع المادة بدلاً من مجرد استيعاب المعلومات.

٢. يسهم التعلم النشط في تنمية مهارات التفكير النقدي, وينمي فكرة العمل الجماعي لدى الطلاب ما يساعد على حل المشكلات.

٣. يوفر بيئة مناسبة داخل حجرة التعلم ما يعزز من التواصل بين الطلاب والمعلم, وينمي ثقة الطالب بنفسه.

٤. اهمية استخدام استراتيجيات التعلم النشط, فهي تدعم التعلم العميق و مشاركة الطلاب وتنمي مهارات التفكير العليا, كذلك اضفاء طابع الحيوية على الفصل الدراسي.

٥. هذه الاستراتيجيات تُعلم الطلاب مهارات حياتية مثل التفكير النقدي، وتحفزهم على التفكير والابداع.

سابعاً- التوصيات:

من هنا توصي هذه الدراسة على ضرورة تأهيل المعلمين وتدريبهم على استخدام استراتيجيات التعلم النشط, وتنمية مهاراتهم من اجل تطبيق هذه الاستراتيجيات بفاعلية, اضافة الى تهيئة بيئة تعليمية مناسبة تحفزهم على استثمار الاستراتيجيات, من اجل تطوير وزيادة جودة التعليم وتحسين مخرجات.

ثامناً- المصادر والمراجع:

١. اسعد, فرح: استراتيجيات التعلم النشط, عمان, ٢٠١٧.

٢. أمبوسعيدي, عبد الله بن خميس و الحوسنية, هدى بنت علي: استراتيجيات التعلم النشط ١٨٠ استراتيجية مع الامثلة التطبيقية, ط١, دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة, عمان, ٢٠١٦.

٣. جابر عبد الحميد جابر: استراتيجيات التدريس والتعلم, ط١, دار الفكر العربي, القاهرة, ١٩٩٢.

٤. حسن, هناء رجب: التفكير برامج تعليمية واساليب قياسية, ط١, دار الكتب العلمية للطباعة والنشر والتوزيع, ٢٠١٤.

٥. الحلاق, هشام سعيد: التفكير الإبداعي مهارات تستحق التعلم, الهيئة العامة السورية للكتاب, وزارة الثقافة, دمشق, ٢٠١٠.

٦. رفاعي, عقيل محمود: التعلم النشط المفهوم والاستراتيجيات وتقويم نواتج التعلم, دار الجامعة الجديدة للنشر, الإسكندرية, ٢٠١٢.

٧. رمضان, منال حسن: استراتيجيات التعلم النشط, ط١, شركة دار الاكاديميون للنشر والتوزيع, عمان- الاردن, ٢٠٢٦.

٨. سعادة, جودت احمد واخرون: التعلم النشط بين النظرية والتطبيق, ط١, دار الشروق للنشر والتوزيع, رام الله, ٢٠١١.

٩. الشمري, ماشي بن محمد: ١٠١ استراتيجية في التعلم النشط, ط١, المملكة العربية السعودية وزارة التربية والتعليم,

٢٠١١.
١٠. الصيفي, عاطف: المعلم واستراتيجيات التعلم الحديث,ط١, دار اسامة للنشر والتوزيع, عمان– الاردن, ٢٠٠٩.
١١. عبد السلام, محمد: استراتيجيات التعلم النشط, مكتبة نور, ٢٠٢١.
١٢. العفون, نادية حسين وعبد الصاحب, منهى مطشر:/ التفكير انماطه ونظرياته واساليب تعليمه وتعلمه, ط١, دار صفاء للنشر والتوزيع, عمان, ٢٠١٢.
١٣. علي, محمد السيد: موسوعة المصطلحات التربوية, ط١, دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة, عمان, ٢٠١٠.
١٤. غرغوط. عاتكة: فعالية استراتيجيات التعلم النشط في تنمية مفهوم الذات والتحصيل الدراسي في مادة الفيزياء, ضمن مجلة السراج في التربية وقضايا المجتمع, مج٠٦/ عدد/٠٢/٢٠٢٢.
١٥. محمود, عبد الرزاق مختار: استراتيجيات التعلم النشط (المفاهيم– الاجراءات– التطبيقات), جامعة اسيوط, ٢٠٢٤.
١٦. المغربي, عبد الحميد عبد الفتاح: الإدارة الاستراتيجية لمواجهة تحديات القرن الحادي والعسرين, د.م, د.ت.
١٧. المنتشري, علي بن احمد بن عبد الله: فاعلية استراتيجية التصور الذهني في تنمية انقرائية الور والتفكير البصري لدى المرحلة الابتدائية, جامعة الازهر كلية التربية بالقاهرة مجلة التربية, عدد ١٩٠, ٢٠٢١.

المراجع الاجنبية:

١. MICHAEL F RYAN: COMPENDIUM OF ACTIVE LEARNING STRATEGIES FOR STUDEN ENGAGEMENT, Limerick Institute of Technology Moylish Park, Limerick, Ireland, Without date.
٢. Alice Fornari & Ann Poznanski: How–To Guide for Active Learning, IAMSE MANUALS, 2015

كتاب التمثيل الدبلوماسي للعراق مع دول الجوار ١٩٢٩– ١٩٣٩ للدكتور علي عبد الواحد حسون «الصائغ مقال مراجعة»

م. م. كاظم وحيد نعمه
جامعة بغداد/كلية التربية ابن رشد للعلوم الإنسانية

المستخلص:

ادى قيام الدولة العراقية الحديثة الى ضرورة اقامة علاقات دبلوماسية مع دول الجوار الا ان هذه العلاقات بقيت خلال فترة الانتداب البريطاني تحت ادارة دار الاعتماد البريطانية التي تولت مسؤولية شؤون الخارجية للعراق ومع تطور الوضع السياسي بدات وزارة الخارجية العراقية تبذل جهودا حثيثة لبناء جهاز دبلوماسي كفو وفعال وقت ساهمت شخصيات التمثيل الدبلوماسي العراقية بدور فاعل في تعزيز وتطوير علاقات العراق الخارجية من خلال تنفيذ توجيهات وزارة الخارجية التي ركزت على متابعة التطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية في دول الجوار جاء هذا النهج بهدف وضع سياسة خارجية حذرة ومترقبة تجنب العراق الانزلاق في الازمات الناتجة عن التحولات التي شهدتها الدول المجاورة .

الكلمات المفتاحية:التمثيل،دبلوماسي، دول الجوار .

Abstract:

The establishment of the modern Iraqi state necessitated the establishment of diplomatic relations with neighboring countries. However, during the British Mandate period, these relations remained under the management of the British Embassy, which assumed responsibility for Iraq›s foreign affairs. As the political situation evolved, the Iraqi Ministry of Foreign Affairs began making strenuous efforts to build a competent and effective diplomatic apparatus. Iraqi diplomatic representatives played an active role in strengthening and developing Iraq›s foreign relations by implementing the Ministry of Foreign Affairs› directives, which focused on monitoring political, economic, and social developments in neighboring countries. This approach aimed to establish a cautious and predictable foreign policy that would prevent Iraq from slipping into crises resulting from the transformations experienced by neighboring countries .

Keywords: representation, diplomacy, neighboring countries.

المقدمة :

يعد التمثيل السياسي احد المفاهيم الجوهرية التي تتطلبها المجتمعات المتطورة والمنظمة لما له من دور اساسي في تنظيم العلاقات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية بين الدول وتعد الدبلوماسية الاداء الرئيسي لتحقيق هذا التنظيم اذ تهدف في جوهرها الى تحقيق التوازن الدولي من خلال اقامة السفارات والقنصليات وتبادل الممثلين الدبلوماسيين وقد تمكن العراق في مرحلة مبكرة

من تاريخه الحديث من وضع الاساس لابرز مظاهر السيادة الوطنية وذلك عبر تاسيس وزارة الخارجية التي مكنت الدولة من التواصل الحر والمباشر مع مختلف دول العالم ولا يمكن اقفال ان للمكانة الحضرية واهميته الاستراتيجية دورا بارزا في تعزيز هذا الحضور الدبلوماسي خاصة في اطار العلاقات مع دول الجوار ويعد عام ١٩٢٩ محطة مهمة في تاريخ الدبلوماسية العراقية شهد اول تمثيل دبلوماسي رسمي مع دولة مجاورة تمثلت في اقامة قنصلية عراقية في ايران ما مثل بداية لمرحلة من التطور والتوسع في علاقات العراق الخارجية مع محيطه الاقليمي والدولي .

تعريف المؤلف والكتاب :

هو باحث واكاديمي عراقي ولد في ١٩٦٥/٣/٩ في محافظة بابل نال شهادة بكالوريوس التاريخ من كلية الاداب جامعة بغداد عام ١٩٨٧ ثم اكمل دراسته وحصل على شهادة الماجستير في التاريخ من كلية التربية جامعة القادسية في عام ١٩٩٩ حيث كان عنوان رسالته عن (التمثيل الدبلوماسي للعراق مع دول الجوار ١٩٢٩– ١٩٣٩) ثم حصل بعد ذلك على شهادة الدكتوراه في التاريخ من كلية التربية / جامعة القادسية عام ٢٠٠٣ عن اطروحته الموسومة (موقف دول ميثاق سعد اباد من الاحداث الاقليمية ١٩٣٧ – ١٩٤٥) وكانت مسيرته العلمية حافلة بالعطاء فتسلم منصب مدير مركز الفرات الاوسط للدراسات والتوثيق في عام ٢٠٠٧ وكما نشر الكثير من الابحاث والكتب ككتاب (التمثيل الدبلوماسي للعراق مع دول الجوار ١٩٢٩– ١٩٣٩) الذي جاء ب(٣٥٠) صفحة مقسمة الى مقدمة واربع فصول وخاتمة اذ تناول الفصل الاول (العراق والتمثيل الدبلوماسي الابعاد التاريخية واشكالية مهمات الدولة المعاصرة) فيما تناول الفصل الثاني (احداث وزارة الخارجية ومهمات العمل الدبلوماسي بعد استقلال العراق) اما الفصل الثالث فتناول (الجهاز الدبلوماسي في العراق ونشاطاته في الخارج) واخيرا الفصل الرابع جاء فيه (تقويم التمثيل الدبلوماسي للعراق في دول الجوار من خلال الرسائل والتقارير القنصلية) عرض فيه بالتفصيل التمثيل الدبلوماسي للعراق مع دول الجوار ١٩٢٩– ١٩٣٩ .

وعلى الرغم من طبيعة الجهود المبذولة من قبل المؤلف الا ان هناك عدد من الملاحظات يمكن ادراجها لتعزيز المادة التاريخية المعروضة في الكتاب وهي الاتية :

١– التكرار وضعف التركيز الموضوعي اذ نلاحظ ان الكاتب كرر بعض المعلومات خاصة فيما يتعلق بتاثير بريطانيا على التمثيل الدبلوماسي العراقي دون تقديم اضافات تحليلية جديدة وهذا التكرار قد يضعف تركيز القارئ ويشتت البناء الموضوعي للفصول .

٢– غلبت السرد التاريخي وضعف التحليل اذ غلب الطابع الوصفي والسردي على كثير من اجزاء الكتاب ، مع قلة في التحليل العميق او المقارنة المنهجية بين مراحل تطور السياسة الخارجية العراقية فقد كان بالامكان ابراز تطورات العمل الدبلوماسي ضمن اطار نظري او مقارنة اكثر وضوحا .

٣– اعتماد محدود على الوثائق والمصادر الاصلية فبالرغم من ان الكتاب تناول موضوعا ارشيفيا بامتياز ، الا ان الاشارة الى الوثائق الرسمية او النصوص الاصلية مثل معاهدات ١٩٢٢ و

١٩٣٠ لم تكن دائما مدعومة بتحليل او نصوص مقتبسة مباشرة ، مما يضعف مصداقية بعض الاستنتاجات .

٤- غياب الجانب النظري فلم يتطرق الكاتب بما يكفي الى الاطار النظري للدبلوماسية او لمفاهيم مثل «السيادة الناقصة» او « الدبلوماسية الاستعمارية « وهي مفاهيم كانت ستغني الكتاب وتربطه بنقاشات علم العلاقات الدولية .

٥- ضعف في النقد الذاتي للمصادر الرسمية فاتسم الطرح احيانا بتبني الروايات الرسمية دون نقد كاف خاصة في الحديث عن دور الملك فيصل او السياسات البريطانية في حين ان بعض هذه السياسات كانت موضع جدل واسع في ادبيات السياسة العراقية .

٦- غياب التنوع الجغرافي والسياسي فاقتصر التركيز على بعض الدول المجاورة (كايران وتركيا) دون الغوص بعمق في علاقات العراق مع دول الخليج او شمال افريقيا مما يجعل التمثيل « الاقليمي «غير مكتمل .

٧- اغفال السياق الدولي الاوسع اذ لم يراعي الكاتب السياق الدولي الذي اثر على مسار العلاقات الدبلوماسية للعراق خصوصا ما يتعلق بعلاقات القوى الكبرى مثل فرنسا ، الاتحاد السوفيتي او الولايات المتحدة وهذا الغياب يضعف فهم القارئ للعراق كفاعل في منظومة دولية اكبر .

٨- مركزية الدور البريطاني بشكل مفرط فعلى الرغم من اهمية بريطانيا في تاريخ العراق الحديث الا ان الكاتب قدمها كمحور شبه اوحد في صياغة السياسة الخارجية للعراق دون ابراز مقاومات العراق الداخلية او الشخصيات الوطنية التي حاولت مقاومة هذا النفوذ او تجاوزه .

٩- طغيان التوثيق الوصفي على التحليل السياسي اذ غلب على اغلب الصفحات الطابع الوصفي الممل احيانا ، اذ اكتفى الكاتب بسرد اسماء المسؤولين والتواريخ والمناصب دون توظيف هذا السرد لخدمة تحليل اعماق حول توجيهات الدبلوماسية العراقية او الصراعات الداخلية بين التيارات السياسية المؤثرة فيها .

١٠- ضعف البعد المقارن في التمثيل الدبلوماسي اذ نلاحظ ان الكاتب لم يقارن بين تجربة العراق في التمثيل الدبلوماسي وتجارب دول مشابهه ناشئة من الاستعمار مثل مصر او سوريا رغم ان هناك اشارة سطحية الى المفاوضات المصرية البريطانية وان غياب هذه المقارنة حرم القارئ من فهم مدى تميز او تخلف التجربة العراقية .

١١- قلة الاعتمادات على شهادات او مذكرات شخصية اذ يعاني الكتاب من فقر في الروايات الشخصية او الوثائق الغيررسمية مثل (مذكرات السياسيين والدبلوماسيين) والتي كان يمكن ان تضيف بعدا انسانيا ومعرفيا حيويا يظهر كواليس اتخاذ القرار السياسي والدبلوماسي .

المصادر والمراجع :

كتاب التمثيل الدبلوماسي للعراق مع دول الجوار ١٩٢٩ – ١٩٣٩ للدكتور علي عبد الواحد حسون الصائغ

فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية العدد(٨)
السنة الثالثة صفر الخير ١٤٤٦هـ آب ٢٠٢٥م

أثر استراتيجية التدريس القائم على التفكير البصري في تنمية مهارات طلبة معهدالفنون الجميلة بمادة الزخرفة

م.م. زينب حسين شاكر العبادي
الجامعة العراقية/مركز التطوير والتعليم المستمر
م.م رواء مسعود إبراهيم
الجامعة العراقية/ كلية التربية للبنات

المستخلص:
شهدت العقود الأخيرة تطوراً ملحوظاً في طرائق التدريس؛ مع التركيز على استراتيجيات تنمي التفكير لدى المتعلم؛ ومنها استراتيجية التدريس القائم على التفكير البصري ويقصد بهذه الاستراتيجية تلك الطريقة التدريسية التي تعتمد على استثارة قدرات المتعلم البصرية، من خلال استخدام الوسائط البصرية المختلفة مثل الصور والرسوم والمخططات والعروض التقديمية؛ بهدف تنمية مهارات الملاحظة والتحليل والتفسير ودعم الفهم العميق للمحتوى التعليمي(الدمرداس،٢٠١٧،ص٣٦)، ويعد التفكير البصري من المداخل الحديثة في التدريس، كونه يسهم في تحفيز المتعلم على الربط بين المعلومات المجردة والصور الملموسة، مما يسهل عمليات الفهم والتذكر، وتساعد هذه الاستراتيجية في إشراك المتعلم بفاعلية في المواقف التعليمية، من خلال تنشيط الإدراك البصري وربطه بالعمليات العقلية العليا مثل التحليل والتفسير والنقد، وإن مادة الزخرفة التدي تدرس في مدارس الفن تعد ذات أهمية من خلال نشر المعرفة العملية والمعرفية في كيفية تكوين وتصميم الزخارف التي تعد من الفنون الاسلامية التي تزين بها الجوامع والمراقد، فالزخرفة فن التكوينات الجمالية المستمدة من الطبيعة أو من عناصر هندسية متكررة، ترتب ضمن مساحات وفق نظام معين لإضفاء قيمة جمالية على المساحة، ان فهم المادة تكسب المتعلمين بالدرجة الأولى من خلال المشاهدة فهي أسلوب التعلم الأكثر أثراً وملائمة للخطاط؛ وبذلك يمكن لاستراتيجية التدريس القائم على التفكير البصري أن تحقق نقلة جديدة في عملية التعليم والتعلم وتطويرها لتحقيق العديد من الفوائد منها زيادة مهارة المتعلمين في مادة الزخرفة.

الكلمات المفتاحية : التفكير البصري، الزخرفة

Abstract:
The present study aims to examine the impact of a visual thinking–based instructional strategy on enhancing the skills of students at the Institute of Fine Arts in the field of ornamentation.
SampleA random sample of 60 male students was selected from the Institute of Fine Arts for Boys in Al-Kadhimiya. The sample was divided into two groups:
• The control group, which was taught the subject of ornamentation using conventional teaching methods (lecture and discussion).
• The experimental group, which received instruction using a visual thinking–based strategy, representing the independent variable.
ResultsThe findings revealed a statistically significant improvement in the creative abilities of the experimental group. These students demonstrated greater proficiency in designing ornamental compositions compared to their peers in the control group who were taught using traditional methods.
ConclusionsThe study confirms the effectiveness of employing a visual thinking–based instructional strategy in developing students' artistic and creative skills in the subject of ornamentation.

Keywords: Visual Thinking, Ornamentation

.الهدف:
يهدف البحث الحالي إلى التعرف على: أثر استراتيجية التدريس القائم على التفكير البصري في تنمية مهارات طلبة معهد الفنون الجميلة بمادة الزخرفة.

العينة:

اختارت الباحثتان بشكل عشوائي طلاب معهد الفنون الجميلة للبنين/ الكاظمية المقدسة، البالغ عددهم (٦٠) طالباً، تمثلت بمجموعتين المجموعة الضابطة التي يدرس فيها الطلاب الزخرفة بالطريقة المعتادة (المحاضرة والمناقشة)؛ والمجموعة التجريبية التي طلابها يتعرضون للمتغير المستقل (استراتيجية التدريس القائمة على التفكير البصري) عند تدريس مادة الزخرفة.

النتائج:

أسفرت نتائج عن تفوق طلبة المجموعة التجريبية الذين درسوا على وفق استراتيجية التدريس القائم على التفكير البصري في تنمية مهارتهم الإبداعية في تصميم التكوينات الزخرفية، على طلبة المجموعة الضابطة الذين درسوا على وفق الطريقة التقليدية .

الاستنتاجات:

أثبت استراتيجية التدريس القائم على التفكير البصري أثره في تنمية مهارات الطلبة في مادة الزخرفة.

الفصل الاول:

مشكلة البحث:

شهد العالم في العقود الأخيرة ثورة معرفية وتكنولوجية هائلة، أدت الى تطورات متسارعة في شتى مجالات الحياة فقد غزت المستحدثات التقنية العالم، مُغيرة شكل الحياة اليومية ومؤثرةَ في أساليب العمل والتعلم والتواصل ولم يكن المجال التربوي بمنأى عن هَذهِ التحولات؛ إذ فرضت هَذهِ المستجدات ضرورة تطورات العملية التعليمية بما يتلاءم مع متطلبات العصر الرقمي، من خلال إدخال أساليب تدريس حديثة تعتمد على التكنولوجيا، وتستثمر الإمكانات البصرية والسمعية والرقمية لتحقيق تعلم أكثر فاعلية.

وفي إطار هذه التحولات برزت الحاجة إلى إعادة النظر في طرائق التدريس التقليدية، التي لم تعد تلبي طموحات المتعلمين ولا متطلبات العصر الحديث وأصبح من الضروري البحث عن استراتيجيات تعليمية حديثة تثير اهتمام المتعلم، وتوظف قدراته الذهنية والبصرية في استيعاب المفاهيم والمهارات، وخاصة في المجالات التطبيقية كالتربية الفنية وقد أكدت العديد من الدراسات على أهمية تطوير استراتيجيات جديدة؛ منها دراسة خليفة (٢٠١٩) التي أوصت بضرورة اعتماد طرائق تدريس قائمة على التفكير البصري لما من أثر إيجابي في تنمية مهارات الطلبة الفنية والإبداعية.

وانطلاقاً من خصوصية معهد الفنون الجميلة بوصفه مؤسسة تعليمية متخصصة تعنى بتطوير المهارات الفنية للطلبة، تبرز الحاجة إلى اعتماد استراتيجيات تدريسية حديثة تواكب المستجدات التربوية وتعد مادة الزخرفة من المواد الدراسية التي تتطلب من المتعلم امتلاك مهارات بصرية وفنية عالية، إذ تعنى بتنمية قدرته على التصميم والتكوين الجمالي؛ وعليه، تتحدد مشكلة البحث بالسؤال الآتي:

ما أثر استراتيجية التدريس القائمة على التفكير البصري في تنمية المهارات الفنية لدى طلبة معهد الفنون الجميلة بمادة الزخرفة؟

أهمية البحث:

تتجلى أهمية البحث في النقاط الآتية:

١ . ندرة الدراسات التي تتناول فيها التفكير البصري في مادة الخط والزخرفة.

٢ . أهمية التفكير البصري بوصفه مدخلاً لتنمية مهارات المتعلمين من خلال الملاحظة والإدراك الفكري لتكوينات الزخارف.

٣ . أهمية الاستراتيجيات القائمة على التفكير البصري بوصفها محاولةً للإنتقال من التدريس التقليدي إلى التدريس

الذي يتماشى مع الاتجاهات الحديثة في التعليم .

٤. قد يواكب التوجهات الحديثة في تطوير طرائق التدريس في التعليم الفني.

٥. قد يساعد في تنمية مهارات الطلبة في مادة الزخرفة من خلال تعزيز قدراتهم البصرية.

٦. قد يقدم تصوراً عملياً لكيفية دمج التفكير البصري في التدريس الفني.

هدف البحث:

يهدف البحث الحالي إلى:

التعرف على أثر استراتيجية التدريس القائم على التفكير البصري في تنمية مهارات طلبة معهد الفنون الجميلة بمادة الزخرفة.

فرضيات البحث:

صيغت فرضيات البحث على النحو الآتي:

١. لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (٠,٠٥) بين متوسط درجات طلبة المجموعة التجريبية الذين دُرّسوا وفق استراتيجية التدريس القائم على التفكير البصري، ودرجات طلبة المجموعة الضابطة في تنمية المهارات الفنية بمادة الزخرفة.

٢. لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (٠,٠٥) بين متوسط درجات طلبة المجموعة التجريبية في التطبيق القبلي والبعدي للمهارات الفنية في مادة الزخرفة.

حدود البحث:

١. الحدود المكانية: المديرية العامة لتربية بغداد – الكرخ الثالثة – معهد الفنون الجميلة للبنين.

٢. الحدود الزمانية: العام الدراسي (٢٠٢٤-٢٠٢٥).

٣. الحدود البشرية: طلبة الصف الثاني.

٤. الحدود الموضوعية: تطبيق استراتيجية التدريس القائم على التفكير البصري بمادة الزخرفة.

تعريف مصطلحات البحث:

أولا: استراتيجية التدريس القائمة على التفكير البصري: عرفها كل من:-

١. الدمرداش (٢٠١٧): بأنها « مجموعة من الإجراءات المنظمة التي تستخدم الصور والرموز لإثار تفكير المتعلم وتنمية قدرته على الفهم والتحليل» (الدمرداش،٢٠١٧،ص٨٨).

٢. علي (٢٠٢٠): بأنها» طريقة تدريسية تعتمد على استثارة القدرات البصرية للطلبة لتحفيز مهارات الملاحظة والإبداع في التعلم»(علي، ٢٠٢٠،ص١٣٤).

٣. التعريف الإجرائي: هي الطريقة التي يتبعها الباحثتان في تدريس مادة الزخرفة ، والتي تعتمد على استخدام الوسائط البصرية كالصور والرسوم لتحفيز التفكير البصري وتنمية المهارات الفنية لدى الطلبة.

ثانيا: مادة الزخرفة: عرفها كل من:

١. حسن (٢٠١٥): بأنها» فن تصميم الوحدات الجمالية وتكراراها أو توزيعها وفق نسق معين لإضفاء قيمة جمالية على المساحات»(حسن،٢٠١٥،ص٥٥).

٢. عبد الحميد (٢٠١٨): بأنها» مادة تعليمية تهدف إلى إكساب الطالب مهارات التصميم الزخرفي وتنظيم الوحدات الزخرفية داخل المساحة: (عبد الحميد،٢٠١٨،ص٧٧).

٣. التعريف الإجرائي: هي المادة الدراسية المقررة في معهد الفنون الجميلة التي يتعلم فيها الطلبة تصميم وتنفيذ الزخرفة بأنواعها المختلفة.

الفصل الثاني: الإطار النظري والدراسات السابقة

المبحث الأول: استراتيجية التدريس القائمة على التفكير البصري:-

شهدت العقود الأخيرة تطوراً ملحوظاً في طرائق التدريس؛ مع التركيز على استراتيجيات تنمي التفكير لدى المتعلم؛ ومنها استراتيجية التدريس القائم على التفكير البصري ويقصد بهذه الاستراتيجية تلك الطريقة التدريسية التي تعتمد على استثارة قدرات المتعلم البصرية، من خلال استخدام الوسائط البصرية المختلفة مثل الصور والرسوم والمخططات والعروض التقديمية؛ بهدف تنمية مهارات الملاحظة والتحليل والتفسير ودعم الفهم العميق للمحتوى التعليمي(الدمرداس،٢٠١٧،ص٣٦).

ويؤكد علي (٢٠٢٠) إن التفكير البصري يعد من المداخل الحديثة في التدريس، كونه يسهم في تحفيز المتعلم على الربط بين المعلومات المجردة والصور الملموسة، مما يسهل عمليات الفهم والتذكر، وتساعد هذه الاستراتيجية في إشراك المتعلم بفاعلية في المواقف التعليمية، من خلال تنشيط الإدراك البصري وربطه بالعمليات العقلية العليا مثل التحليل والتفسير والنقد (علي، ٢٠٢٠،ص٢٨).

مبادئ استراتيجية التدريس القائم على التفكير البصري:-

١. استخدام الوسائط المتعددة لتحفيز الملاحظة والتفكير.
٢. تشجيع المتعلم على التعبير بالرسم والتخطيط البصري.
٣. تعزيز مهارات الفهم من خلال ترجمة الأفكار المجردة إلى صور مرئية.
٤. دمج الصور مع النصوص لإثراء المحتوى التعليمي وتيسير استيعابه (عبد المجيد،٢٠١٨،ص٥١).

وتعدد الأساليب المستخدمة في هذه الاستراتيجية مثل (العروض التقديمية المصورة، الخرائط الذهنية، المخططات البصرية، الأفلام التعليمية، والرسوم التوضيحية)، تبرز فاعلية هذه الاستراتيجية بشكل خاص في المجالات التعليمية التي تتطلب تنمية المهارات الفنية والإبداعية مثل التربية الفنية والهندسية والتصميم.

تستند هذه الاستراتيجية إلى جملة من الأُسس التربوية والنفسية،منها:

١. نظرية التعلم بالملاحظة (باندورا): حيث يعتمد المتعلم في اكتساب المهارات على مشاهدة النماذج البصرية وتحليلها.
٢. نظرية المعالجة المزدوجة (بايفيو): التي تؤكد أن الدمج بين الكلمات والصور يعزز الفهم والتذكر أكثر من الاعتماد على الكلمات فقط.
٣. نظرية الذكاءات المتعددة (غاردنر): وتحديداً الذكاء البصري المكاني، الذي يُعنى بقدرة الفرد على إدراك الأشكال والفراغات والعلاقات بين العناصر.
٤. النظرية البنائية: إذ تشجع هذه النظرية المتعلم على بناء المعرفة من خلال التفاعل مع المدخلات البصرية وتحليلها (خلف،٢٠١٥،ص٧١).

خطوات تنفيذ استراتيجية التدريس القائم على التفكير البصري

تمر استراتيجية التدريس القائم على التفكير البصري بعدة خطوات منظمة تهدف إلى تنمية مهارات المتعلم بفاعلية ، وهي:

١. التهيئة المعرفية: يهيئ المعلم المتعلمين للدرس باستخدام وسائط بصرية محفزة (صورة، لوحة، مقطع فيديو)، يثير تساؤلات موجهة نحو ملاحظة التفاصيل أو العلاقات في الصورة.
٢. العرض البصري: تقديم المادة العلمية مدعمة بالوسائط البصرية (خرائط، رسوم، عروض). التركيز على ربط الصور بالنصوص وتوضيح العلاقات بين عناصر الصور.
٣. المناقشة والتحليل البصري: دعوة المتعلمين لتحليل الصورة أو الرسم أو المخطط، وشرح ما يدركونه من

علاقات أو أفكار تحفزهم على تقديم تفسيرات مختلفة أو بديلة للصور أو التكوينات الزخرفية.

٤ . التطبيق العملي: يُكَلف المتعلمون بمهام تعتمد على إنتاج بصري (رسم، تصميم، تخطيط) مستلهم من الصور أو الرسوم التي عرضت عليهم، وتوجيه المتعلمين لاستخدام مهارات الملاحظة الدقيقة والنقد في تحسين أعمالهم.

٥ . التقويم والتغذية الراجعة: تقويم أعمال المتعلمين من حيث دقة الملاحظة، وسلامة التكوين، والقدرة على التعبير البصري، تقديم تغذية راجعة بناءة لتطوير الأداء (حجي، ٢٠٢١،ص٤٠).

المبحث الثاني: مادة الزخرفة

تَعد مادة الخط والزخرفة من المواد الأساسية في برامج التعليم الفني، إذ تهدف إلى تنمية قدرات الطلبة على الابتكار، وتنظيم العناصر الزخرفية، وتصميم التكوينات الجمالية، وُيذكرها حسن (٢٠١٥) بأنها» فن التكوينات الجمالية المستمدة من الطبيعة أو من عناصر هندسية متكررة، ترتب ضمن مساحات وفق نظام معين لإضفاء قيمة جمالية على المساحة».

وتتنوع موضوعات مادة الزخرفة لتشمل الزخرفة النباتية والهندسية والخطية والحيوانية، كما تركز المادة على إكساب الطلبة مهارات استخدام اللون، والفراغ والنسبة والتكرار والتناظر .

وتُدرَّس الزخرفة بأسلوب عملي تطبيقي يدمج بين النظرية والتطبيق؛ مما يستوجب طرائق تدريس تفاعلية تعين الطلبة على التعبير عن أفكارهم بالرسم والتصميم.

وترتبط مادة الزخرفة بمهارات بصرية دقيقة، مثل إدراك العلاقات التشكيلية والقدرة على توزيع العناصر في المساحات، وحسن اختيار الألوان، لذلك فإن طرائق التدريس القائمة التفكير البصري تبدو الأكثر مناسبة لتعليم هذه المادة؛ لأنها تعزز إدراك الطلبة البصري، وتساعدهم على التكوين الجيد (عبد الحميد، ٢٠١٨،ص٥٩).

دراسات سابقة

١ . دراسة صالح (٢٠١٧)

أثر استخدام أسلوب التعلم البصري في تدريس الزخرفة على تنمية المهارات التصميمية لدى طلاب معهد الفنون الجميلة، استهدفت الدراسة عينة من (٤٠) طالباً، وزعت إلى مجموعتين، وأظهرت النتائج وجود فروق دالة إحصائياً لصالح المجموعة التي تعلمت بأسلوب بصري، وأوصت الدراسة بضرورة الاعتماد على الأساليب البصرية في تدريس مادة الزخرفة لما لها من أثر إيجابي في تطوير المهارات التصميمية.

٢ . دراسة خليفة (٢٠١٩)

أثر استخدام التفكير البصري في تنمية المهارات الفنية لدى طلاب المرحلة الثانوية، واستهدفت الدراسة الكشف عن أثر استخدام التفكير البصري في تنمية مهارات الرسم والتكوين الفني، طبقت الدراسة على عينة من (٦٠) طالباً من المرحلة الثانوية، وزعت إلى مجموعتين (تجريبية– ضابطة) ، وأظهرت النتائج تفوق المجموعة التجريبية التي درست وفق استراتيجية التفكير البصري على المجموعة الضابطة في تنمية المهارات الفنية، أوصت الدراسة بتضمين التفكير البصري في التدريس الفني لدوره في تحفيز قدرات الطلبة على الإبداع والتعبير البصري.

الفصل الثالث: منهجية البحث وإجراءاته

أولاً: منهجية البحث:

اعتمدت الباحثتان في هذا البحث على المنهج التجريبي، بوصفه الأنسب لدراسة أثر المتغير المستقل (استراتيجية التدريس القائم على التفكير البصري) في المتغير التابع (المهارات الفنية لدى طلبة معهد الفنون الجميلة بمادة الزخرفة) ، يتميز المنهج التجريبي بقدرته على ضبط المتغيرات الخارجية وتحديد العلاقات السببية بين المتغيرات.

ثانياً: التصميم التجريبي للبحث:

استخدم التصميم التجريبي ذا المجموعتين (الضابطة والتجريبية) مع القياس القبلي والبعدي للمهارات الفنية، وكما

موضح في الجدول (١):

جدول (١) التصميم التجريبي

المجموعة	القياس القبلي	المتغير المستقل	القياس البعدي
التجريبية	اختبار كيلي	استراتيجية التدريس القائمة على التفكير البصري	اختبار بعدي
الضابطة		الطريقة التقليدية	

ثالثاً: مجتمع البحث:

يتكون مجتمع البحث من طلبة الصف الثاني في معهد الفنون الجميلة في محافظة بغداد للعام الدراسي (٢٠٢٤-٢٠٢٥).

رابعاً: عينة البحث:

اختارت الباحثتان عينة عشوائية بسيطة تألفت من (٦٠) طالباً من طلبة الصف الثاني، وقَسمت إلى مجموعتين المجموعة التجريبية: ٣٠ طالباً، دُرّسوا باستخدام استراتيجية التدريس القائم على التفكير البصري المجموعة الضابطة: ٣٠ طالباً، دَرّسوا بالطريقة التقليدية المعتمدة في المعهد.

خامساً: التكافؤ بين المجموعتين:

للتأكد من تكافؤ المجموعتين في المتغيرات ذات العلاقة اجرت الباحثتين اختبارات في:

(العمر الزمني – الذكاء – الخبرة السابقة في مادة الزخرفة)

جدول (٢) التكافؤ بين المجموعتين

المتغير	المجموعة	العدد	المتوسط	الانحراف المعياري	قيمة (ت)	الدلالة
العمر الزمني	ت	٣٠	١٩٢,٤	٤,٥	٠,٨٢	غير دالة
العمر الزمني	ض	٣٠	١٩٣,١	٤,٨		
الذكاء	ت	٣٠	١٠٥,٢	٥,١	٠,٦٧	غير دالة
الذكاء	ض	٣٠	١٠٤,٢	٥,٤		
الخبرة السابقة	ت	٣٠	٢٦,٥	٣,٢	٠,٧٥	غير دالة
الخبرة السابقة	ض	٣٠	٢٧,٠	٣,٠		

يتضح من الجدول أعلاه ان المجموعتين متكافئتان لان قيمة (ت) غير دالة عند مستوى (٠,٠٥)

ضمن إجراءات التكافؤ ، اعتمدت الباحثتان اختباراً مُقنناً مناسباً للبيئة العراقية لقياس ذكاء الطلبة المشاركين في البحث، وقد اختارتا الباحثتان اختبار الذكاء المصور لرستم الكيلاني (١٩٨١) بوصفه أداة ملائمة لقياس الذكاء العام، نظراً لمناسبته للفئة العمرية للطلبة، وكونه يقيس القدرة على الاستدلال، وإدراك العلاقات، والتفكر المجرد، وكلها جوانب مهمة في الذكاء العام.

وصف الاختبار:

يتكون اختبار الكيلاني من (٤٠) فقرة من نوع الاختيار من متعدد، تشمل:

١. متتابعات شكلية (تكميل شكل مفقود).

٢. علاقات بصرية (اختيار الشكل المكمل).

٣. متاهات بسيطة.

٤. زمن الاختبار: ٣٠ دقيقة.

إجراءات التطبيق

١. طبق الاختبار على مجوعتي البحث في بداية التجربة (في الجلسة الأولى بعد تقديم التعليمات).

٢. صححت أوراق الإجابة، وحُسبت الدرجات النهائية (الدرجة الكلية من ٤٠).

٣. حُسب الوسط الحسابي والانحراف المعياري لكل مجموعة، ومقارنتها باستخدام اختبار (ت) للتأكد التكافؤ.

سبب اختيار اختبار الكيلاني

اختارت الباحثتان اختبار الكيلاني لأنه:

١. مقنن على البيئة العراقية، ومستخدم في العديد من الدراسات المحلية.

٢. يركز على الذكاء العام دون التأثر بالثقافة اللفظية، مما يجعله ملائماً لعينة طلبة الفنون.

٣. مناسب من حيث الزمن وعدد الفقرات.

سادساً: أدوات البحث:

اختبار المهارات الفنية في مادة الزخرفة: أعدت الباحثتان اختباراً عملياً يقيس المهارات الآتية:

١. التكرار الزخرفي.

٢. التناظر والتوازن.

٣. حسن توزيع العناصر.

٤. التكوين الجمالي واستخدام اللون.

خطوات بناء الأداة:

١. تحديد المهارات وفق محتوى مادة الزخرفة للصف الثاني.

٢. صياغة فقرات اختبارية عملية (مثل : رسم وحدة زخرفية نباتية ضمن مساحة معينة).

٣. عرض الأداة على (٩) محكمين في التربية الفنية وطرائق التدريس لضمان الصدق الظاهري.

٤. تطبيق تجريبي على عينة استطلاعية (١٠ طلاب) لضبط الزمن (حُدد ب ٦٠ دقيقة).

٥. حساب الثبات بطريقة إعادة التطبيق بلغ (٠,٨٣).

صدق الأداة:

تحققت الباحثتان من الصدق الظاهري للأداة من خلال عرضها على الخبراء، وقد أبدوا ملاحظاتهم، وعدلت الباحثتان التعليمات وبعض معايير التصحيح بناءً عليها.

ثبات الأداة:

أُجريت تجربة تطبيق أولية على عينة استطلاعية، واحتَسب معامل الثبات بطريقة إعادة التطبيق (Test–Retest)، وبلغ (٠,٨٣)، مما يدل على ثبات جيد.

تطبيق الأداة

١. طبّق الاختبار عملياً في قاعة مادة الزخرفة، مع توفير كل المستلزمات (الأوراق، الأقلام، أدوات التلوين).

٢. زودَ كل طالب بورقة تعليمات تتضمن المطلوب منه بدقة.

٣. صُححت الأعمال وفق استمارة التصحيح المعدة مسبقاً، وسُجلت الدرجات في استمارة رصد النتائج.

أسباب اختيار هذا الاختبار:

١. يتناسب مع طبيعة المادة (الزخرفة عملية بصرية تطبيقية).

٢. يتيح قياس المهارات بصورة واقعية من خلال الإنتاج الفني.

٣. ينسجم مع أهداف البحث الرامية إلى قياس المهارات بعد التدريس باستراتيجية بصري .

ثامناً: الوسائط الإحصائية:

استخدمت الوسائل الاحصائية الآتية:

١. الوسط الحسابي.

٢. الانحراف المعياري.

٣. اختبار (ت) للعينتين المستقلتين (للمقارنة بين المجموعتين).

٤. اختبار (ت) للعينات المرتبطة (للمقارنة بين القياس القبلي والبعدي للمجموعة التجريبية).

الفصل الرابع: عرض النتائج وتحليلها ومناقشتها

الفرضية الأولى: لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى (٠,٠٥) بين متوسط درجات طلبة المجموعة التجريبية الذين دُرِّسوا وفق استراتيجية التدريس القائم على التفكير البصري، ودرجات طلبة المجموعة الضابطة في المهارات الفنية بمادة الزخرفة بعدياً.

جدول (٣) متوسط درجات المجموعتين في الاختبار البعدي

المجموعة	العدد	المتوسط	الانحراف المعياري	قيمة (ت)	الدلالة
ت	٣٠	٣٣,٥	٣,٠	٥,٢١	٠,٠٥
ض	٣٠	٢٨,٠	٣,٥		

الطلبة في الملاحظة الدقيقة والتحليل البصري وتحفيز الإبداع في تكوين الزخارف.

الفرضية الثانية: لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى (٠,٠٥) بين متوسط درجات طلبة المجموعة التجريبية في التطبيق القبلي والبعدي للمهارات الفنية في مادة الزخرفة.

جدول (٤) متوسط درجات المجموعتين في الاختبار البعدي

المجموعة	العدد	المتوسط	الانحراف المعياري	قيمة (ت)	الدلالة
ت	٣٠	٢٦,٥	٣,٢	٧,٤٥	٠,٠٥
ض	٣٠	٣٣,٥	٣,٠		

تشير النتيجة إلى أن استخدام استراتيجية التدريس القائم على التفكير البصر أسم في تحسين أداء الطلبة بصورة

واضحة.

الاستنتاجات:

١. إن التدريس باستراتيجية التدريس القائم على التفكير البصري كان له أثر إيجابي وفعال في تنمية المهارات الفنية للزخرفة لدى طلبة معهد الفنون الجميلة .

٢. عززت الاستراتيجية قدرة الطلبة على تصميم وحدات زخرفية متكررة ومتناظرة بجودة أعلى.

٣. حسنت الاستراتيجية من مستوى الأداء في استخدام اللون وتنظم المساحات.

٤. الطريقة التقليدية لم تحقق نفس مستوى التطور الذي أحرزته المجموعة التجريبية.

التوصيات:

١. اعتماد استراتيجية التدريس القائم على التفكير البصري في تدريس مادة الزخرفة وباقي المواد الفنية.

٢. تنظيم ورش عمل للمدرسين لتدريبهم على كيفية تطبيق هذه الاستراتيجية.

٣. إدخال الوسائط البصرية (العروض التقديمية، الصور، الفيديوهات) بشكل مخطط في الدروس الفنية.

٤. إعادة النظر في طرائق التدريس التقليدية المستخدمة في معاهد الفنون الجميلة.

المقترحات:

تقترح الباحثتان إجراء بحوث مستقبلية حول:

١. أثر استراتيجية التدريس القائم على التفكير البصري في تنمية الإبداع الفني لدى طلبة الفنون.

٢. مقارنة بين أثر استراتيجية التفكير البصري واستراتيجيات التعلم التعاوني في تدريس الزخرفة.

٣. بناء برنامج تدريبية للمدرسين في استخدام الاستراتيجيات البصرية في التعليم الفني.

المصادر:

١. حجي حجّي، م. ر.، والعيدروس، ف. ع. (٢٠٢١). فاعلية استراتيجية التدريس القائم على التفكير البصري في تنمية مهارات عناصر التصميم التشكيلية في الأزياء والمنسوجات وفق فن.

٢. حسن، ع. (٢٠١٥). أساسيات التصميم والزخرفة. القاهرة: دار الرشاد.

٣. خلف، ع. ح.، وماجد، ع. م. (٢٠١٥). فاعلية استخدام استراتيجية التفكير البصري في الزخرفة الإسلامية لتنمية مهارات طلبة التربية الفنية. مجلة جامعة بابل – العلوم الإنسانية، ٢٣(٢)، ١–١٨.

٤. خليفة، ع. (٢٠١٩). أثر استخدام التفكير البصري في تنمية المهارات الفنية لدى طلاب المرحلة الثانوية. مجلة العلوم التربوية والنفسية، ٢٣(٤)، ١٤٠–١٥٥.

٥. الدمرداش، م. (٢٠١٧). استراتيجيات التدريس الحديثة. القاهرة: دار الفكر العربي.

٦. سعيد، و. أ. ر. (٢٠١٦) فاعلية استراتيجية تدريسية مقترحة للتعلم المستند إلى الدماغ في تنمية مهارات التفكير البصري لدى طلاب المدارس الثانوية الصناعية الزخرفية. المجلة التربوية، جامعة سوهاج، (٤٦)، ٤٧–١٣١.

٧. عبد الحميد، م. (٢٠١٨). التربية الفنية وأساليب تدريسها. الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث.

٨. عبد المجيد، ر. (٢٠١٨). التفكير البصري وتطبيقاته التربوية. الرياض: ...

٩. علي، س. (٢٠٢٠). طرائق التدريس في التربية الفنية. عمان: دار صفاء للنشر والتوزيع.

١٠. الكيلاني، ر. (١٩٨١). اختبار الذكاء المصور. بغداد: مطبعة جامعة بغداد.

ملحق (١) أسماء السادة المحكمين

ت	أسماء المحكمين	التخصص	مكان العمل
١	أ.د عطية وزة عبود	طرائق تدريس التربية الفنية	كلية التربية الاساسية/ الجامعة المستنصرية
٢	أ.د حسين محمد علي	طرائق تدريس التربية الفنية	كلية التربية الاساسية/ الجامعة المستنصرية
٣	أ.م.د اخلاص عبد القادر	طرائق تدريس التربية الفنية	كلية التربية الاساسية/ الجامعة المستنصرية
٤	أ.م.د محمد جاسم الحيدري	فنون تشكيلية	كلية التربية الاساسية/ الجامعة المستنصرية
٥	أ.م.د فارس محسن نامر	طرائق تدريس التربية الفنية	كلية التربية الاساسية/ الجامعة المستنصرية
٦	أ.م.د محمد عبد الكريم	قياس وتقويم	كلية التربية الاساسية/ الجامعة المستنصرية
٧	أ.م.د حيدر جليل	قياس وتقويم	كلية التربية الاساسية/ الجامعة المستنصرية
٨	أ.م.د فراس علي الكناني	طرائق تدريس التربية الفنية	كلية التربية الاساسية/ الجامعة المستنصرية
٩	أ.م.د مرتضى ابراهيم	طرائق تدريس التربية الفنية	كلية التربية الاساسية/ الجامعة المستنصرية

ملحق (٢) اختبار المهارات الفنية في مادة الزخرفة

اسم الطالب_____

الشعبة_____

التاريخ_____

الزمن : ٦٠ دقيقة

التعليمات:

١ . اقرأ الفقرات بعناية.

٢ . استخدم أدواتك الفنية (أقلام الرصاص، ألوان، ممحاة، مسطرة).

٣ . اعمل بدقة ونظافة.

٤ . التزم بالزمن المحدد.

فقرات الاختبار

١ : الفقرة الأولى (١٠ درجات)

ارسم وحدة زخرفية نباتية (زهرة أو ورقة شجر) داخل مربع بمقاس (١٠ × ١٠) سم.

المطلوب:

– أن تحتوي الوحدة على تفاصيل زخرفية دقيقة.

– أن تظهر التناظر بوضوح.

٢ : الفقرة الثانية (١٠ درجات)

كوّن تصميماً زخرفياً متكرراً من وحدتك السابقة ليملأ مستطيلاً بمقياس (٢٠ × ١٠) صفين.

المطلوب:

– أن يكون التكرار منتظماً ومتوازناً.

– أن تُراعي المسافات بين الوحدات.

٣: الفقرة الثالثة (١٠ درجات)

قم بتلوين التصميم السابق باستخدام ألوان متناسقة ومتجانسة.

المطلوب:

– حسن اختيار الألوان (ألوان متناغمة أو متقابلة).

– توزيع اللون بشكل متوازن على المساحات.

٤ : الفقرة الرابعة (١٠ درجات)

أضف بعض الخطوط أو العناصر الهندسية البسيطة لإبراز التكوين الجمالي لتصميمك.

المطلوب:

– إبراز التكوين العام للتصميم.

– تحقيق التنوع مع الحفاظ على التناسق العام.

فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية العدد(٨)
السنة الثالثة صفر الخير ١٤٤٦هـ آب ٢٠٢٥م

الوسائل الدولية في التوظيف السياسي لمبادئ حقوق الإنسان بعد عام ٢٠٠٣: دراسة حالة العراق أنموذجاً

م. م. مصطفى كريم طلال مسير
الجامعة المستنصرية / كلية التربية الأساسية

فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية العدد(٨)
السنة الثالثة صفر الخير ١٤٤٦هـ آب ٢٠٢٥م

المستخلص:
شهد العراق بعد عام ٢٠٠٣ تحولات سياسية وأمنية عميقة، ترافقت مع تصاعد غير مسبوق في استخدام الخطاب الحقوقي على المستوى الدولي، حيث برزت مبادئ حقوق الإنسان كأداة أساسية في تبرير التدخل العسكري الأمريكي والإطاحة بالنظام العراقي السابق, وقد استخدمت الدول الكبرى، وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية الوسائل الدولية مثل تقارير الأمم المتحدة، ومنظمات حقوق الإنسان الدولية، والمحاكم الخاصة، كوسائل لتكريس خطاب إنساني يخدم أجندات سياسية واستراتيجية, وهدف هذا البحث إلى تحليل الكيفية التي تُمّ توظيف مبادئ حقوق الإنسان سياسيًا في الحالة العراقية، وذلك من خلال تتبع الوسائل التي استُخدمت لتبرير التدخل، ثم تقييم آليات الرقابة والمحاسبة التي فُرضت على العراق في مرحلة ما بعد الاحتلال, كما يتناول البحث الأثر الذي خلفه هذا التوظيف على السيادة الوطنية، وعلى ثقة المواطن العراقي بالمفاهيم الحقوقية، فضلاً عن إضعاف المؤسسات الوطنية لحساب أجندات خارجية, وقد خلصت الدراسة إلى أن التوظيف السياسي لحقوق الإنسان في العراق بعد عام ٢٠٠٣ لم يكن محايداً أو إنسانياً خالصاً، بل جاء ضمن استراتيجية دولية لإعادة تشكيل الخريطة السياسية للمنطقة، مع غياب واضح للعدالة في المعايير الدولية، وازدواجية في التعامل مع الانتهاكات بحسب المصالح. هذا التوظيف أفرز تداعيات خطيرة تمثلت في تآكل شرعية الدولة، وتفكك المنظومة القانونية، وازدياد الشكوك تجاه المبادئ الحقوقية ذاتها, وانطلاقًا من هذه النتائج، أوصى البحث بضرورة إعادة النظر في منظومة حقوق الإنسان الدولية، وفصلها عن الهيمنة السياسية، بالإضافة إلى تعزيز مؤسسات العدالة الوطنية في العراق، وإعادة بناء ثقة المواطن العراقي بحقوقه كجزء من منظومة شاملة، لا مجرد أدوات ضغط خارجي.

الكلمات المفتاحية:التحولات السياسية، حقوق الإنسان، الرقابة ، المحاسة.

Abstract:
After 2003, Iraq witnessed profound political and security transformations, accompanied by an unprecedented escalation in the use of human rights discourse at the international level. Human rights principles emerged as a fundamental tool in justifying the US military intervention and the overthrow of the former Iraqi regime. Major powers, led by the United States, used international means, such as United Nations reports, international human rights organizations, and special courts, to establish a humanitarian discourse that served political and strategic agendas. This study aims to analyze how human rights principles were politically exploited in the Iraqi situation. This is done by tracing the means used to justify the intervention, then evaluating the oversight and accountability mechanisms imposed on Iraq in the post-occupation period. The study also examines the impact this exploitation had on national sovereignty and on Iraqi citizens› confidence in human rights concepts, as well as the weakening of national institutions in favor of foreign agendas. The study concludes that the political exploitation of human rights in Iraq after 2003 was not purely neutral or humanitarian, but rath-

er came within an international strategy to reshape the political map of the region, with a clear absence of justice. International standards and a double standard in dealing with violations based on interests. This exploitation has had serious repercussions, including the erosion of state legitimacy, the disintegration of the legal system, and growing skepticism regarding human rights principles themselves. Based on these findings, the study recommended a review of the international human rights system and its separation from political hegemony. It also recommended strengthening national justice institutions in Iraq and rebuilding Iraqi citizens› confidence in their rights as part of a comprehensive system, not merely as tools for external pressure.

Keywords: political transformations, human rights, censorship, accountability.

المقدمة:

شهد العالم بعد الحرب الباردة تصاعداً كبيراً في الخطاب الحقوقي، وأصبحت حقوق الإنسان إحدى الأدوات الرئيسة في السياسة الدولية، تُستخدم في أحيان كثيرة لتبرير التدخلات الخارجية وفرض الضغوط على الدول, فبعد عام ٢٠٠٣، أصبح العراق مثالاً واضحاً على هذا النوع من التوظيف السياسي لحقوق الإنسان، إذ استخدمت القوى الدولية مبادئ حقوق الإنسان كغطاء للتدخل العسكري والسياسي والاقتصادي, إذ شهد العالم منذ مطلع القرن الحادي والعشرين تحولاً لافتاً في كيفية توظيف مبادئ حقوق الإنسان ضمن السياسات الدولية، حيث لم تعد تلك المبادئ تُستخدم فقط كأدوات لتعزيز كرامة الإنسان، بل أصبحت في كثير من الأحيان وسيلة للتأثير في القرارات السياسية الداخلية للدول, ويُعدّ العراق بعد عام ٢٠٠٣ مثالاً بارزاً على هذا التوظيف السياسي، حيث تم استثمار الخطاب الحقوقي لتبرير التدخلات الدولية، وعلى رأسها الغزو الأمريكي، ثم استُخدمت آليات الأمم المتحدة والمنظمات الدولية كأدوات ضغط سياسي في سياق بناء النظام الجديد, ويأتي هذا البحث لاستعراض وتحليل الوسائل التي استُخدمت دولياً تحت مظلة حقوق الإنسان، وتفكيك أهدافها ونتائجها على الواقع السياسي والحقوقي في العراق، مع محاولة تقديم رؤية نقدية لهذا التوظيف وأثره على سيادة الدولة ومفهوم العدالة. وعلى أساس ذلك تبرز أهمية الدراسة وأهدافها واشكاليتها وفرضياتها ومنهجيتها وهيكليتها في الآتي:

أهداف البحث: تبرز أهداف البحث في الآتي:

١. تحليل الوسائل الدولية التي استُخدمت لتبرير التدخل الدولي في العراق بعد عام ٢٠٠٣ تحت مظلة حقوق الإنسان.

٢. كشف الأبعاد السياسية الكامنة وراء الخطاب الحقوقي الدولي الموجه للعراق.

٣. تقييم أثر هذا التوظيف على السيادة الوطنية، والعدالة، وبنية النظام القانوني في العراق.

٤. تقديم إطار نقدي لفهم التوظيف السياسي لحقوق الإنسان ضمن النظام الدولي.

٥. اقتراح آليات تضمن استقلالية حقوق الإنسان عن التوظيف السياسي مستقبلاً، خاصة في الدول النامية.

أهمية البحث: تأتي أهمية البحث في الآتي:

١. أهمية علمية: يساهم البحث في تطوير الأدبيات المتعلقة بالعلاقة بين حقوق الإنسان والسيادة، ويُظهر

كيف يمكن أن تُستخدم المبادئ الحقوقية كأدوات جيوسياسية.

٢. أهمية تطبيقية: يقدم البحث فهماً معمقًا لصانعي السياسات والمجتمع المدني العراقي حول كيفية الدفاع عن السيادة والحقوق بعيدًا عن التوظيف السياسي الدولي.

٣. أهمية زمنية: يركز البحث على مرحلة مفصلية ما بعد ٢٠٠٣, وأعادت تشكيل النظام السياسي العراقي، وما زالت آثارها مستمرة حتى اليوم.

٤. أهمية تحليلية: يربط بين الأطر النظرية لحقوق الإنسان والسياقات الواقعية لتطبيقها على الأرض في ظل التداخل بين الإنساني والسياسي.

إشكالية البحث: تتمثل إشكالية البحث في التساؤل الرئيسي الآتي:

إلى أي مدى تم استخدام الوسائل الدولية الخاصة بحقوق الإنسان كأدوات سياسية بعد عام ٢٠٠٣، وكيف انعكس ذلك على السيادة الوطنية في العراق؟

ومن هذه الإشكالية تتفرع تساؤلات فرعية، منها:

– ما هي أبرز الوسائل الدولية التي استُخدمت في العراق تحت عنوان حماية حقوق الإنسان؟

– هل كان توظيف هذه الوسائل يستند إلى اعتبارات إنسانية أم إلى مصالح سياسية؟

– ما الآثار التي خلفها هذا التوظيف على مؤسسات الدولة العراقية، وعلى وعي المواطن بالمفاهيم الحقوقية؟

فرضيات البحث:

الفرضية الأولى: إن الوسائل الدولية لحقوق الإنسان قد استُخدمت بعد عام ٢٠٠٣ في العراق بشكل انتقائي يخدم أجندات سياسية أكثر من كونه توظيفاً إنسانياً نزيهاً.

الفرضية الثانية: التوظيف السياسي لمبادئ حقوق الإنسان ساهم في تقويض السيادة العراقية وإضعاف مؤسسات الدولة الوطنية.

الفرضية الثالثة: هنالك ازدواجية في تطبيق المعايير الحقوقية من قبل المجتمع الدولي، تُبرزها مقارنة العراق بدول أخرى ارتكبت انتهاكات مماثلة دون تدخل مماثل.

منهجية البحث: استخدم في هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي لتوصيف وتحليل الوسائل الدولية المُستخدمة في التوظيف السياسي لحقوق الإنسان في العراق, ومنهج دراسة الحالة, حيث تُعدّ العراق نموذجاً مثالياً لفهم هذا التوظيف في سياق ما بعد الاحتلال, والمنهج النقدي للكشف عن التناقضات والازدواجية في الخطاب الحقوقي الدولي وتقييمه في ضوء المعايير الأخلاقية والقانونية, والمنهج المقارن (جزئياً): للمقارنة بين كيفية تعامل المجتمع الدولي مع العراق، وبين تعاملاته مع دول أخرى ارتكبت انتهاكات مشابهة.

أما هيكلية البحث فقد تمثلت بتقسيمه على ثلاث مباحث رئيسية, وكالآتي:

المبحث الأول: الإطار النظري والمفاهيمي

المبحث الثاني: التوظيف السياسي لحقوق الإنسان بعد عام ٢٠٠٣

المبحث الثالث: العراق انموذجاً – دراسة حالة

المبحث الأول

الإطار النظري والمفاهيمي

يضم هذا المبحث دراسة ما يتضمنه الإطار النظي والمفاهيمي من تعريفات بشأن حقوق الإنسان وتطوره وفق القانون الدوليو والتمييز بين التوظيف الإنساني والتوظيف السياسي, وماهية الوسائل الدولية للتأثير على الدول باسم حقوق الإنسان, وعلى أساس ذلك قُسم المبحث على مطلبين رئيسيين, ليهتم المطلب الأول

بدراسة المفاهيم العامة بشأن حقوق الإنسان, بينما يركز المطلب الثاني على دراسة الوسائل الدولية للتأثير على الدول باسم حقوق الإنسان.

المطلب الأول:

مفاهيم عامة حول حقوق الإنسان:

حقوق الإنسان تمثل جوهر الكرامة الإنسانية، وهي المبادئ التي تحكم علاقة الفرد بالمجتمع والدولة, فلم تكن هذه الحقوق ثابتة منذ الأزل، بل تطورت عبر الزمن، وصارت اليوم إحدى الركائز الأساسية في القانون الدولي الحديث، وتُستخدم كمعيار عالمي لقياس احترام الدول لحريات شعوبها, وعلى أساس ذلك يهتم المطلب بدراسة تعريف حقوق الإنسان وتطوره كجزء من القانون الدولي, فضلاً عن دراسة التمييز بين التوظيف الإنساني والتوظيف السياسي في إطار حقوق الإنسان, التي تمثل الأساس الأخلاقي والقانوني الذي يقوم عليه المجتمع الدولي الحديث, فهي تعكس كرامة الإنسان وتضمن حرياته الأساسية ضد أي انتهاك أو تسلط، وتعد من أهم الركائز التي نادت بها المجتمعات منذ النصف الثاني من القرن العشرين, ويُقصد بحقوق الإنسان تلك الحقوق اللصيقة بكل فرد لمجرد كونه إنسانًا، بغض النظر عن جنسيته أو دينه أو عرقه أو جنسه أو لونه أو رأيه السياسي, وقد عرفها المفوض السامي لحقوق الإنسان بأنها الضمانات القانونية العالمية لحماية الأفراد والجماعات من الأفعال أو الامتناعات التي تؤثر على كرامتهم الإنسانية الأساسية(١)، كما أنها مجموعة من الحقوق التي يتمتع بها البشر بالتساوي، لا تمنحها الدولة بل تعترف بها فقط، ويمكن المطالبة بها ضد الدولة (٢)، فهي تجلٍ لإرادة العدل، لا تخضع لهوى الحكام، بل تنبع من الفطرة الإنسانية ذاتها(٣).

تتميز حقوق الإنسان بعدة خصائص أساسية, أهمها أنها عالمية, فهي تخص كل إنسان في كل مكان دون تمييز, وأنها غير قابلة للتصرف, لا يمكن التنازل عنها أو سحبها قانوناً أو أخلاقياً, وأنها مترابطة ومتشابكة, إذ كل حق يدعم الآخر، فلا يمكن تطبيق بعضها دون البعض الآخر, وأنها غير قابلة للتجزئة, إذ لا يمكن تقسيم الحقوق إلى أساسية وثانوية, كما نصت الشرعية الدولية لحقوق الإنسان (الإعلان العالمي والعهدان) على تلك المبادئ كأساس مرجعي ملزم(٤)، وتعود جذور فكرة حقوق الإنسان إلى الفلسفة الطبيعية التي تقول بأن للإنسان حقوقاً يكتسبها من الطبيعة أو الخالق، لا من السلطة. وقد أرسى الفلاسفة مثل جون لوك وجان جاك روسو وإيمانويل كانت أسس هذا الفكر, إذ أن جون لوك اعتبر أن للإنسان حقوقًا طبيعية في «الحرية، الحياة، والتملك» لا يجوز للحكومة انتهاكها, أما روسو فقد نادى بالعقد الاجتماعي كضامن لهذه الحقوق(٥).

ويرتكز الأساس القانوني لحقوق الإنسان المعاصر على الوثائق الدولية التالية, كالإعلان العالمي لحقوق الإنسان عام ١٩٤٨, وهو أول وثيقة دولية جامعة تعرّف حقوق الإنسان، ويتضمن ٣٠ مادة, والعهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية عام ١٩٦٦, والعهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية عام ١٩٦٦, وقد نصت المادة الأولى من الإعلان العالمي على أن: «يولد جميع الناس أحراراً ومتساوين في الكرامة والحقوق»(٦)، وهذه المواثيق ملزِمة قانوناً وفقاً للقانون الدولي، خصوصاً بعد التوقيع والتصديق من قبل الدول, إذ أن دور الدولة في حماية حقوق الإنسان تتحمل مسؤولية حماية وضمان حقوق الإنسان من خلال سن القوانين الداخلية المتوافقة مع المواثيق الدولية, وإنشاء مؤسسات وطنية مستقلة مثل مفوضيات حقوق الإنسان, والتعاون مع المنظمات الدولية المختصة، مثل مجلس حقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة, فدور الدولة ليس فقط في عدم التدخل، بل في اتخاذ التدابير لحماية الأفراد من انتهاكات أطراف ثالثة(٧).

وفي إطار التمييز بين التوظيف الإنساني والتوظيف السياسي, تُعد حقوق الإنسان من المبادئ العالمية التي يفترض أن تُحترم بصرف النظر عن المواقف السياسية أو الأيديولوجية, إلا أن الممارسة الدولية كثيراً ما تكشف عن تداخل بين التوظيف الإنساني والتوظيف السياسي لحقوق الإنسان, وفي هذا السياق، يصبح من الضروري

التمييز بين المفهومين لفهم كيف تُستخدم الحقوق لأغراض نبيلة أو أحياناً، كأداة ضغط أو تدخل سياسي, إذ يشير التوظيف الإنساني إلى التمسّك بالمبادئ العالمية لحقوق الإنسان باعتبارها حقوقًا طبيعية وأخلاقية تنبع من كرامة الإنسان دون انتقائية أو تسييس, ويتمثل ذلك في حماية المدنيين في النزاعات المسلحة, ودعم ضحايا التعذيب والاختفاء القسري, والمطالبة بالعدالة والمساواة أمام القانون، بغضّ النظر عن المصلحة السياسية للدولة المتدخّلة, فقد أكدت ديباجة الإعلان العالمي لحقوق الإنسان ١٩٤٨ على: «الاعتراف بالكرامة المتأصلة في جميع أعضاء الأسرة البشرية» كأساس للحرية والعدل والسلام في العالم(٨).

أما التوظيف السياسي هو استخدام خطاب حقوق الإنسان كأداة للضغط السياسي أو التدخل الخارجي، لا انطلاقًا من التزام مبدئي، بل وفقاً للمصالح الجيوسياسية, وتظهر ملامح هذا التوظيف في انتقائية الإدانة, كأن تدين بعض الدول انتهاكات حقوق الإنسان في دولٍ معادية وتتجاهلها في دولٍ حليفة, واستخدام الحقوق لتبرير التدخل العسكري, كما حصل في العراق عام ٢٠٠٣، حين استُخدمت انتهاكات حقوق الإنسان ذريعة رئيسية للتدخل، رغم غياب التفويض الأممي الشرعي(٩)، وتبرز آثار الخلط بين التوظيفين في أن يؤدي الخلط بين التوظيف الإنساني والسياسي إلى تقويض مصداقية المنظومة الدولية لحقوق الإنسان, واستغلال معاناة الضحايا لتحقيق أهداف استراتيجية, وضعف الثقة بالمؤسسات الدولية كالأمم المتحدة ومجلس حقوق الإنسان, ومنح الأنظمة القمعية مبرراً لرفض الانتقادات بزعم التسييس(١٠).

المطلب الثاني

الوسائل الدولية للتأثير على الدول باسم حقوق الإنسان

أصبحت حقوق الإنسان بعد الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩-١٩٤٥ أداة مركزية في العلاقات الدولية، وقد شهد العالم توظيفاً متزايداً لهذه المبادئ من قبل الفواعل الدولية، خاصة الدول الكبرى للتأثير على سياسات الدول الأخرى, وتتمثل الوسائل الدولية في هذا الصدد بمجموعة من الأدوات القانونية والسياسية والاقتصادية والإعلامية التي تُستخدم تحت غطاء حماية أو تعزيز حقوق الإنسان, وهي كالآتي:

أولاً: الأطر القانونية الدولية لحقوق الإنسان: منذ الإعلان العالمي لحقوق الإنسان عام ١٩٤٨ تطورت منظومة حقوق الإنسان لتشمل عدداً من المعاهدات والاتفاقيات مثل العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية لعام ١٩٦٦, وقد وفرت هذه الوثائق مرجعاً قانونياً يُستخدم في تقييم أداء الدول ومساءلتها أمام الرأي العام الدولي(١١).

ثانياً: الوسائل الدبلوماسية والسياسية: تعمد بعض الدول، خاصة الغربية، إلى إصدار تقارير سنوية عن أوضاع حقوق الإنسان في الدول الأخرى، مثل تقرير وزارة الخارجية الأمريكية، مما يُسهم في تشويه صورة تلك الدول على الساحة الدولية. كما يمكن استخدام العقوبات السياسية أو سحب السفراء أو تجميد التعاون كوسيلة ضغط(١٢).

ثالثاً: العقوبات الاقتصادية والمالية: تُستخدم العقوبات الاقتصادية بوصفها وسيلة لإجبار الدول على تغيير سلوكها المرتبط بانتهاك حقوق الإنسان, وتشمل هذه العقوبات تجميد الأصول، وفرض الحظر التجاري، وتقييد التعاملات المالية, ومن الأمثلة على ذلك العقوبات المفروضة على إيران أو كوريا الشمالية بحجة انتهاكات حقوق الإنسان(١٢).

رابعاً: التدخل الإنساني العسكري: في بعض الحالات، يُستخدم مبدأ «مسؤولية الحماية» لتبرير التدخل العسكري في دولة ما، بزعم حماية المدنيين, ومن أبرز الأمثلة التدخل في ليبيا عام ٢٠١١، والذي تم تحت مظلة حماية حقوق الإنسان، لكنه أدى إلى نتائج كارثية على استقرار الدولة(١٤).

خامساً: دور المنظمات غير الحكومية ووسائل الإعلام: تلعب منظمات مثل «هيومن رايتس ووتش» و»العفو

الدولية» دوراً بارزاً في تسليط الضوء على انتهاكات حقوق الإنسان، مما يسهم في تهيئة الرأي العام العالمي ضد الدول المعنية، كما تؤدي وسائل الإعلام دورًا في تضخيم بعض القضايا وتوجيه الأنظار نحوها، أحياناً وفق أجندات سياسية(١٥).

المبحث الثاني

التوظيف السياسي لحقوق الإنسان بعد عام ٢٠٠٣

شهد النظام الدولي بعد عام ٢٠٠٣ تصاعداً في استخدام خطاب حقوق الإنسان كأداة في السياسة الخارجية، وخاصة من قبل القوى الغربية، وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية, وقد أصبح هذا التوظيف السياسي لحقوق الإنسان أحد أبرز ملامح التفاعلات الدولية، حيث يُستخدم لتبرير التدخلات، فرض العقوبات، وتشويه الخصوم السياسيين, وعلى أساس ذلك قُسم المبحث على مطلبين رئيسيين, ليهتم المطلب بدراسة الغزو الأمريكي للعراق تحت مبرر حقوق الإنسان, بينما يركز المطلب الثاني على دراسة تقييم فعالية التوظيف السياسي لحقوق الإنسان بعد عام ٢٠٠٣.

المطلب الأول

الغزو الأمريكي للعراق تحت مبرر حقوق الإنسان

مثّل الغزو الأمريكي للعراق عام ٢٠٠٣ نقطة تحول في تاريخ النظام الدولي، حيث استخدمت الولايات المتحدة الأمريكية وحلفاؤها مبررات متعددة لتبرير تدخلها العسكري، كان أبرزها حماية حقوق الإنسان وتحرير الشعب العراقي من الدكتاتورية, إلا أن هذا الخطاب الحقوقي لم يكن سوى غطاء لأهداف جيوسياسية واقتصادية أعمق, أهمها تبرير الغزو بخطاب حقوق الإنسان, فبعد أحداث ١١ أيلول ٢٠٠١، تبنّت الإدارة الأمريكية سياسة خارجية هجومية تحت شعار (الحرب على الإرهاب)، وبدأت تسوّق لتدخلها في العراق من خلال خطاب أخلاقي يرتكز على انتهاكات نظام صدام حسين لحقوق الإنسان، وعلى رأسها استخدام الأسلحة الكيماوية ضد الأكراد عام ١٩٨٨، وعمليات الإعدام والسجن السياسي, فقد قدّمت الإدارة الأمريكية خطاباً يربط بين إسقاط نظام صدام حسين وحماية العراقيين من جرائم حقوق الإنسان، وبهذا خلطت بين الاعتبارات الأخلاقية والمصالح الاستراتيجية(١٦).

كما أن التناقض بين الخطاب والممارسة كان أساسه ترويج الخطاب الحقوقي قبل الغزو، فإن واقع ما بعد الاحتلال كشف عن حجم التناقض؛ حيث شهد العراق انتهاكات واسعة لحقوق الإنسان ارتكبتها القوات الأمريكية نفسها، مثل التعذيب في سجن أبو غريب، والاعتقالات التعسفية، وتدمير البنية التحتية المدنية, فضلاً عن الصور التي خرجت من سجن أبو غريب عام ٢٠٠٤ دمّرت مصداقية المشروع الأمريكي، وكشفت أن من جاء لإنقاذ العراقيين أصبح هو المنتهك لحقوقهم, كما أن القوات الأمريكية لم تضع أي خطة جدية لإرساء حقوق الإنسان بعد الغزو، بل ركزت على السيطرة العسكرية، مما أدى إلى فوضى أمنية وانهيار القانون(١٧).

أما الأهداف الحقيقية للغزو, فتشير العديد من الدراسات إلى أن الغايات الحقيقية وراء الغزو لم تكن حقوق الإنسان، بل تتعلق بأمن الطاقة، توسيع النفوذ الأمريكي في الشرق الأوسط، وتغيير موازين القوى الإقليمية, فالعراق كان هدفاً استراتيجياً بسبب احتياطاته النفطية الضخمة وموقعه الجغرافي، وقد استُخدم الخطاب الحقوقي كأداة لتسويق مشروع الاحتلال للرأي العام العالمي(١٨)، بينما نتائج الغزو على وضع حقوق الإنسان, فقد أدى الغزو إلى انهيار مؤسسات الدولة، وانتشار العنف الطائفي، وولادة تنظيمات متطرفة، وهو ما فاقم الوضع الحقوقي بدلاً من تحسينه, إذ تشير تقارير الأمم المتحدة إلى تدهور كبير في الحقوق الأساسية بعد عام ٢٠٠٣، بما في ذلك الأمن والصحة والتعليم وحرية التعبير(١٩)، وبذلك مثّل الغزو الأمريكي للعراق عام ٢٠٠٣ نموذجاً واضحاً للتوظيف السياسي لحقوق الإنسان في تبرير التدخل العسكري, فقد

استُخدم الخطاب الحقوقي لإضفاء الشرعية الأخلاقية على مشروع جيوسياسي، في حين أن الواقع أثبت أن الانتهاكات ازدادت، وأن الكارثة الإنسانية تفاقمت، مما أدى إلى فقدان الثقة بمصداقية الخطاب الغربي بشأن حقوق الإنسان.

ثم بدأت مرحلة الخطاب الأمريكي الرسمي حول إسقاط النظام العراقي السابق, إذ روّجت إدارة الرئيس جورج بوش الابن لمفهوم «تغيير النظام» Regime Change منذ بداية عام ٢٠٠٢، وربطت وجود صدام حسين بالخطر على الأمن الإقليمي والدولي، وشددت على أن بقاء النظام العراقي يهدد الديمقراطية وحقوق الإنسان في الشرق الأوسط, فأُدرج العراق ضمن محور الشر, لأن نظامه يمثل تهديداً مباشراً لشعبه وجيرانه والعالم بأسره وفق ما تراه الادارة الأمريكية(٢٠)، لذا فإن تبرير إسقاط النظام عبر ملف حقوق الإنسان كان أحد أبرز المبررات التي استخدمتها واشنطن لتسويغ إسقاط النظام هو سجل العراق في انتهاك حقوق الإنسان, وقد رُكّز إعلاميًا على استخدام النظام الأسلحة الكيميائية ضد الأكراد، قمع انتفاضة الجنوب، والإعدامات السياسية, إذ قدّمت الإدارة الأمريكية صورة عن العراق كنظام قمعي يستحق السقوط، وذلك لخلق مبرر أخلاقي لتدخلها العسكري(٢١).

إزاء ذلك برز التناقض بين التبرير والواقع بعد إسقاط النظام, فبالرغم سقوط النظام في ٩ نيسان ٢٠٠٣، لم يتحقق الاستقرار أو الديمقراطية الموعودة, بل دخل العراق في دوامة من الانهيار الأمني، والعنف الطائفي، وانتشار الفوضى, كما ظهرت انتهاكات حقوق الإنسان على يد قوات الاحتلال، مثل فضيحة سجن أبو غريب, لذا فإن إسقاط النظام لم يكن نهاية لمعاناة العراقيين، بل بداية لفصل جديد من الانهيارات السياسية والإنسانية(٢٢).

المطلب الثاني

تقييم فعالية التوظيف السياسي لحقوق الإنسان بعد عام ٢٠٠٣

بعد الغزو الأمريكي للعراق عام ٢٠٠٣ أصبحت حقوق الإنسان جزءاً رئيسياً من الخطاب الدولي المتعلق بالشأن العراقي، إذ رُوّج لإسقاط النظام السابق بوصفه خطوة لتحرير الشعب العراقي وتعزيز الديمقراطية, إلا أن الواقع العراقي بعد الاحتلال شهد تحولات عميقة، طرحت تساؤلات حول فعالية التوظيف السياسي لحقوق الإنسان ومدى صدقيته وأثره الحقيقي في تحسين الوضع الحقوقي, وتمثل ذلك في الخطاب الحقوقي ما بعد الغزو, إذ قدّمت الولايات المتحدة الأمريكية والمجتمع الدولي حقوق الإنسان كأحد أهداف التدخل في العراق، وركز الخطاب السياسي والإعلامي على «تحرير العراقيين» من النظام القمعي، وبناء عراق ديمقراطي يحترم الحريات, لذا فقد استُخدم خطاب حقوق الإنسان لإضفاء الشرعية الأخلاقية على مشروع الغزو، لكنه لم يكن مصحوباً بخطة واضحة لضمان تلك الحقوق بعد الاحتلال(٢٣)، وفي الواقع الحقوقي في العراق بعد عام ٢٠٠٣, رغم وعود التحرير، تدهورت أوضاع حقوق الإنسان في العراق بعد الاحتلال نتيجة لانهيار مؤسسات الدولة، واندلا ع الصراعات الطائفية، وتفشي العنف المسلح والانتهاكات على يد قوات الاحتلال والسلطات المحلية, وأبرز مظاهرها الاعتقال خارج القانون والتعذيب في السجون العراقية بعد عام ٢٠٠٣, والانتهاكات الطائفية على يد المجاميع المسلحة, والتهجير القسري والانفلات الأمني, وما شهدته السجون العراقية بعد عام ٢٠٠٣ لم يكن بأقل فظاعة من سجون النظام السابق، مما يفضح فشل مشروع التغيير الحقوقي(٢٤)، كما أن أدوات التوظيف السياسي لحقوق الإنسان في العراق بعد عام ٢٠٠٣, تمثلت باستمرار توظيف ملف حقوق الإنسان سياسياً في العراق بعد الغزو، من خلال تقارير دولية متحيزة وُجهت أحياناً ضد أطراف دون أخرى, والضغط السياسي الخارجي لإحداث تغييرات داخلية, والدعاية الإعلامية الغربية لتبرير الفشل السياسي والأمني بعد الاحتلال, لذا فقد تحولت حقوق الإنسان في العراق إلى أداة

للضغط والمساومة السياسية، أكثر من كونها مشروعاً للإصلاح الحقيقي(٢٥).

إزاء ذلك أن تقييم فعالية التوظيف السياسي من حيث الإيجابيات تمثل بإسقاط نظام ديكتاتوري, وكتابة دستور يتضمن فقرات عن الحقوق والحريات, وإجراء انتخابات دورية, مقابل ذلك تمثلت السلبيات باستمرار الانتهاكات بصورة ممنهجة, وغياب المساءلة القانونية, واستغلال الملف الحقوقي لأغراض طائفية أو دولية, وأن الواقع الحقوقي من دون مؤسسات محايدة وقضاء مستقل، فإن الخطاب الحقوقي يبقى مجرد غطاء للنفوذ السياسي(٢٦)، وخلال ذلك كله يُظهر واقع العراق بعد عام ٢٠٠٣ أن التوظيف السياسي لحقوق الإنسان لم يحقق الأهداف المعلنة، بل أسهم في تعقيد المشهد الحقوقي وزيادة الانقسامات الداخلية, كما إن التغيير الحقيقي لا يتحقق بالشعارات، بل بوجود مؤسسات ديمقراطية وقضاء عادل، وهو ما افتقده العراق ما بعد الاحتلال.

المبحث الثالث:

العراق انموذجاً – دراسة حالة:

تبين المؤشرات الخاصة بحقوق الإنسان إلى أن الوسائل الدولية في توظيف حقوق الإنسان في العراق بعد عام ٢٠٠٣ قد انحرفت عن إطارها الإنساني لتغدو أداة سياسية في يد القوى الكبرى, وبالنظر إلى حالة العراق، فإن الخطاب الحقوقي استُخدم كمبرر لتدمير دولة دون التزام فعلي بإعادة بنائها وفق المبادئ التي رُوّج لها, وتبقى المعضلة في أن هذا التوظيف السياسي يضعف مصداقية حقوق الإنسان ويزيد من تعقيد الأزمات بدلاً من حلها, وعلى أساس ذلك قُسم المبحث على ثلاث مطالب رئيسة, ليهتم المطلب الأول بدراسة حال المنظمات الدولية وتقاريرها عن العراق, بينما يركز المطلب الثاني على دراسة استخدام حقوق الإنسان في التأثير على السيادة العراقية, بينما يهتم المطلب الثالث بدراسة ازدواجية المعايير الخاصة بحقوق الإنسان في العراق.

المطلب الأول

المنظمات الدولية وتقاريرها عن العراق

منذ سقوط نظام صدام حسين عام ٢٠٠٣، أصبح العراق محوراً لاهتمام المنظمات الدولية، خاصة في مجالات حقوق الإنسان والأمن والنزاهة والتنمية والحوكمة, وقد أصدرت العديد من هذه المنظمات تقارير دورية أو خاصة ترصد فيها الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية في العراق, وتسلط هذه التقارير الضوء على تحديات كبيرة مثل الانتهاكات الحقوقية، الفساد الإداري، ضعف مؤسسات الدولة وتدهور الوضع الإنساني, لذا تبرز رصد الانتهاكات من قبل المنظمات الحقوقية الدولية وتأثير هذه التقارير على المشهد السياسي الداخلي والخارجي للعراق في أن هذه المنظمات تمثل الوسائل الدولية للتأثير على العراق باسم حقوق الإنسان, ويمكن إجمالها بالآتي:

أولاً: منظمة الأمم المتحدة (UN): أصدرت بعثة الأمم المتحدة لمساعدة العراق (يونامي UNAMI) العديد من التقارير التي توثق أوضاع حقوق الإنسان في العراق, وتناولت هذه التقارير انتهاكات خلال النزاعات المسلحة, واستخدام العنف ضد المتظاهرين، وواقع السجون, على سبيل المثال: (تقرير حقوق الإنسان في العراق: حزيران – تموز عام ٢٠٢٠) الذي وثّق انتهاكات ضد المتظاهرين خلال احتجاجات تشرين الأول عام ٢٠١٩، مؤكّداً استخدام القوة المفرطة من قبل القوات الأمنية، والقتل خارج نطاق القضاء, كما أصدرت المفوضية السامية لحقوق الإنسان تقارير سنوية تتناول حالة حقوق الإنسان وممارسات الدولة العراقية تجاه الأقليات مثل الإيزيديين والمسيحيين والتركمان، خاصة بعد اجتياح تنظيم داعش الإرهابي عام ٢٠١٤(٢٧).

ثانياً: منظمة العفو الدولية (Amnesty International): أصدرت منظمة العفو الدولية عدة تقارير عن العراق، منها تقريرها السنوي لعام ٢٠٢٢، الذي أشار إلى استمرار التعذيب في السجون، وقمع حرية التعبير، واستمرار الإفلات من العقاب فيما يتعلق بانتهاكات الجماعات المسلحة, كما وثّقت المنظمة حالات الاختفاء

القسري لعشرات الناشطين منذ احتجاجات عام ٢٠١٩، إضافة إلى انتهاكات ارتكبها تنظيم داعش الإرهابي في الموصل وسنجار(٢٨).

ثالثاً: منظمة هيومن رايتس ووتش (HRW): تعد هيومن رايتس ووتش من أبرز المنظمات التي تتبعت الانتهاكات في العراق، وأصدرت تقارير متكررة عن واقع حقوق الإنسان، وأوضاع النساء، وتعامل الحكومة مع النازحين, ففي تقريرها الصادر عام ٢٠٢١، أشارت المنظمة إلى تدمير مخيمات النازحين قبل تأمين عودتهم الآمنة، وهو ما يُعد خرقاً لالتزامات العراق الدولية في حماية المدنيين, كما انتقدت المنظمة تعامل القوات الأمنية مع الصحفيين، وانتهاك حقوق المحتجين، وخاصة في بغداد والبصرة(٢٩).

رابعاً: منظمة الشفافية الدولية (Transparency International): صنفت منظمة الشفافية الدولية العراق في تقاريرها المتكررة ضمن الدول الأكثر فساداً في العالم، إذ احتل المرتبة (١٥٧) من أصل (١٨٠) دولة في مؤشر مدركات الفساد لعام ٢٠٢٢, وتربط المنظمة بين ضعف مؤسسات الدولة العراقية، وسيطرة الجماعات المسلحة، وعدم استقلالية القضاء، وبين تفشي الفساد الإداري والمالي(٣٠).

خامساً: البنك الدولي ومنظمة اليونيسف: تسلط تقارير البنك الدولي الضوء على هشاشة البنية الاقتصادية والحوكمة في العراق، إذ قدّر البنك في تقريره لعام ٢٠٢١ أن ما يقرب من (٢٥٪) من السكان يعيشون تحت خط الفقر بعد جائحة كوفيد-١٩ وانخفاض أسعار النفط, أما منظمة اليونيسف فقد ركزت على أوضاع الأطفال في العراق، مشيرة في تقريرها لعام ٢٠٢٢ إلى أن ١ من كل ٢ أطفال في العراق يعاني من الفقر المتعدد الأبعاد، خاصة في المناطق الريفية(٣١)، وإزاء ذلك تشكل تقارير المنظمات الدولية مرآة دقيقة للوضع في العراق، وتُظهر أن البلاد ما تزال تواجه تحديات كبيرة على مستوى الحقوق، العدالة والحوكمة، والتنمية, وتكمن أهمية هذه التقارير في كونها أدوات للضغط الدولي ووسائل لتشجيع الإصلاح الداخلي وتحقيق العدالة للضحايا، إلا أن استجابة السلطات العراقية لها ما تزال محدودة في كثير من الأحيان.

المطلب الثاني:

استخدام حقوق الإنسان في التأثير على السيادة العراقية

منذ عام ٢٠٠٣ أصبح ملف حقوق الإنسان في العراق من أبرز الأدوات التي استُخدمت في الخطاب الدولي لتبرير التدخلات السياسية والعسكرية, ومع أن حقوق الإنسان تُعد من المبادئ الإنسانية الأساسية، إلا أن القوى الكبرى، والمؤسسات الدولية أحياناً، استخدمتها أداة ضغط للتأثير على السيادة الوطنية للعراق، والتدخل في شؤونه الداخلية، تحت مبرر حماية الحريات أو محاسبة الجناة, وتتمثل عوامل استخدام حقوق الإنسان في التأثير على السيادة العراقية بالآتي:

أولاً: قرارات مجلس الأمن الدولي تحت الفصل السابع: بعد الغزو الأمريكي البريطاني للعراق عام ٢٠٠٣، أصدر مجلس الأمن القرار (٢٠٠٣/١٤٨٣) الذي اعترف بقوات الاحتلال كسلطة مؤقتة، ومنح الأمم المتحدة دوراً استشارياً في إعادة بناء العراق, وعلى الرغم من الإشراف الدولي على تشكيل الحكومة العراقية، إلا أن هذه القرارات قيدت الاستقلال الذاتي، لاسيما فيما يتعلق بحقوق الإنسان والقضاء والعدالة الانتقالية, ويذكر التقرير الأممي الصادر عن بعثة يونامي عام ٢٠٠٤ أن العراق دولة فاقدة للسيادة الكاملة، وأن منظومة العدالة وحقوق الإنسان تُدار في ظل بيئة انتقالية تهيمن عليها أطراف غير وطنية(٣٢)،كما استمرار الفصل السابع وتأثيره على إرادة الدولة في ملف حقوق الإنسان, ورغم إعلان خروج العراق من الفصل السابع في بعض الملفات، مثل القرار (٢٠١٣/٢١٠٧) المتعلق بإعادة الممتلكات الكويتية، إلا أن بعض القيود استمرت فعلياً في شكل إشراف خارجي على سياسات الدولة، خاصة في ملفات حقوق الأقليات، والعدالة الانتقالية، وتشكيل المحاكم الخاصة (مثل المحكمة الجنائية العراقية العليا التي تأسست بقرار من سلطة

الاحتلال), وأن استمرار بعض آثار الفصل السابع حتى بعد عام ٢٠١٣ جعل العراق خاضعًا لإملاءات دولية في قضايا العدالة وحقوق الإنسان دون اكتمال مؤسساته القانونية(٣٣).

ثانياً: التدخل في كتابة الدستور العراقي وتشكيل الحكومات: بعد الاحتلال الأمريكي للعراق عام ٢٠٠٣، أصبح مسار التحول السياسي في البلاد محاطاً بتدخلات خارجية مباشرة، لا سيما في صياغة الدستور وتشكيل الحكومات, ورغم أن هذه التدخلات كانت تبرر غالباً بأنها تندرج ضمن مساعي دعم حقوق الإنسان وبناء الديمقراطية، إلا أن نتائجها أثّرت بعمق على مفهوم السيادة الوطنية, وقد أفرز هذا الواقع حالة من التبعية السياسية والتشريعية، أثرت بشكل واضح في قدرة الدولة العراقية على صياغة سياسات مستقلة في مجال حقوق الإنسان والعدالة والمواطنة, فقد تمت صياغة الدستور العراقي الدائم لعام ٢٠٠٥ في ظل الاحتلال الأمريكي وبإشراف مباشر من سلطة الائتلاف المؤقتة، وبخاصة الحاكم المدني بول بريمر, في وقت أن العملية الدستورية افتقرت إلى الشروط الوطنية المستقلة، وأن الضغوط الدولية أثّرت على محتوى الدستور, وبحسب ما جاء في تقرير معهد كارنيغي، فإن الدستور العراقي ٢٠٠٥ تم التفاوض حوله في بيئة ضاغطة حددت فيها الولايات المتحدة الأمريكية جداول زمنية صارمة، وتدخلت مباشرة في صياغة بعض البنود, ومن أبرز آثار هذا التدخل كان إقرار مبدأ الفيدرالية المفتوحة دون إجماع وطني، مما أدى لاحقاً إلى انقسامات داخلية أثّرت على الوحدة الوطنية، وعلى مبدأ المساواة في الحقوق بين المواطنين(٣٤).

وكذلك الأمر في تشكيل الحكومات وتدخل الإرادة الخارجية, فمنذ عام ٢٠٠٥، لم تُشكَّل أي حكومة عراقية دون تأثير مباشر من أطراف خارجية، أبرزها الولايات المتحدة الأمريكية، إيران، وبدرجة أقل بعثة الأمم المتحدة (يونامي), ويظهر ذلك جلياً في مفاوضات تشكيل الحكومات بعد كل انتخابات، حيث لعبت العواصم الإقليمية والدولية دور الوسيط أو الحَكَم في تحديد الرئاسات الثلاث وتوزيع الوزارات, ففي تقرير منظمة هيومن رايتس ووتش عن العراق لعام ٢٠١٠، ورد أن تدخلات خارجية في تشكيل الحكومة العراقية أضعفت استقلاليتها، وأسهمت في تعميق المحاصصة الطائفية والإقصاء السياسي، مما انعكس سلبا على حقوق الإنسان, وقد أدى هذا التدخل إلى تقويض الإرادة الديمقراطية، إذ أصبحت مخرجات صناديق الاقتراع تُعدّل أو تُجمّد بقرارات توافقية خارجية، لا تعكس دائماً إرادة الشعب العراقي(٣٥).

أما التأثير على السيادة في قضايا حقوق الإنسان, فإن التدخل الخارجي في صياغة الدستور وتشكيل الحكومات انعكس بشكل مباشر على بنية الدولة العراقية، وأضعف من قدرتها على وضع سياسات وطنية في مجالات العدالة الاجتماعية، والمحاسبة، وحقوق الأقليات. فالمادة (٢) من الدستور العراقي، مثلاً، تنص على أن «الإسلام مصدر أساس للتشريع، لكنها لم تُفسَّر بما يضمن حقوق الأقليات غير المسلمة بشكل فعال، ما أفرز لاحقاً إشكالات في المساواة القانونية, كما أن التدخل في تشكيل الحكومات جعل قضايا حقوق الإنسان في العراق رهينة لمعادلات طائفية وجهوية، عوضاً عن أن تكون قضية وطنية شاملة(٣٦).

ثالثاً: انتقائية تطبيق المعايير الحقوقية: يشير مراقبون إلى أن الدول الغربية وبعض المنظمات الأممية تمارس ازدواجية المعايير في التعامل مع ملف حقوق الإنسان في العراق؛ حيث تُسلَّط الأضواء على قضايا معينة مثل الاحتجاجات والاختفاء القسري، بينما يتجاهل مثلاً القصف التركي والإيراني المتكرر للمناطق الحدودية العراقية, وإن «استدعاء الملف الحقوقي غالباً ما يُستخدم وفق مصالح الدول الكبرى، وليس وفق معيار عالمي محايد(٣٧).

رابعاً: ضغط سياسي عبر تقارير حقوقية: تُستخدم تقارير بعض المنظمات الحقوقية كوسيلة ضغط سياسي على السلطات العراقية لتغيير سياسات أو تشريعات داخلية, على سبيل المثال، انتقدت منظمة هيومن رايتس ووتش قانون جرائم المعلوماتية المقدم في البرلمان العراقي، واعتبرته تهديداً لحرية التعبير ومطالبة البرلمان بعدم تشريعه, وهذا الضغط أدى إلى تأجيل التصويت على القانون، مما يظهر تأثير العامل الحقوقي على التشريع الوطني(٣٨).

خامساً: السيادة العراقية بين الواقع والمأمول: رغم أهمية حماية حقوق الإنسان، إلا أن المبالغة في استخدامها أداة للضغط الخارجي يمكن أن تُضعف السيادة العراقية، خاصة حين ترتبط بتوصيات مشروطة بدعم مالي أو عسكري أو سياسي, وإن ما يجري في العراق من تدخلات تحت غطاء حقوق الإنسان هو نوع من الاستعمار الناعم الذي يُفرغ مفهوم السيادة من محتواه(٣٩)، ويتضح مما سبق إن استخدام حقوق الإنسان كأداة للتأثير على السيادة العراقية يعد أحد أبرز تجليات التوظيف السياسي للقيم العالمية, وبينما لا يمكن إنكار الانتهاكات داخل العراق، فإن التعامل الانتقائي مع هذه القضايا وربطها بأجندات دولية، يهدد استقلال القرار الوطني، ويجعل من حقوق الإنسان أداة هيمنة بدلاً من كونها مبدأ إنسانياً مشتركاً.

المطلب الثالث:

ازدواجية المعايير الخاصة بحقوق الإنسان في العراق

تُعد حقوق الإنسان مبدأ عالمياً يفترض تطبيقه دون تمييز، إلا أن الواقع في العراق يكشف عن ازدواجية واضحة في تطبيق هذه المبادئ، سواء من قبل المجتمع الدولي أو داخل الدولة العراقية ذاتها, وخارجها أيضاً يتجلى ذلك في التباين بين المواقف تجاه الانتهاكات بحسب الأطراف المنفذة أو انتماء الضحايا أو المصالح السياسية المتداخلة, وقد ساهمت هذه الازدواجية في تقويض العدالة وتراجع الثقة بمنظومة حقوق الإنسان وانعدام المساءلة, ويمكن تقسيم ازدواجية تلك المعايير داخلياً وخارجياً, وكالآتي:

أولاً: ازدواجية المعايير داخلياً وتأثيرها على السيادة العراقية في إطار حقوق الإنسان:

١. ازدواجية المجتمع الدولي تجاه العراق: منذ عام ٢٠٠٣ وثقت منظمات دولية مثل هيومن رايتس ووتش والعفو الدولية مئات الانتهاكات الجسيمة في العراق، لكن المجتمع الدولي غالباً ما تعامل بازدواجية في إدانة هذه الانتهاكات، بحسب الجهة المنفذة, وفي المقابل، لا يُلاحظ ضغط دولي مكافئ على الدول التي تنتهك السيادة العراقية مثل إيران وتركيا عبر القصف المستمر، رغم سقوط مدنيين، وهو ما يكشف عن معيار مزدوج تجاه انتهاكات حقوق الإنسان حسب الجهة الفاعلة(٤٠).

٢. ازدواجية المعايير داخل العراق: تعاني مؤسسات الدولة العراقية ذاتها من تطبيق انتقائي للعدالة وحقوق الإنسان، مما يعمق الفجوة بين فئات المجتمع، ويؤدي إلى الإقصاء والتمييز, فبعض المحاكمات تُسرّع عندما يكون المتهم من جهة سياسية معينة، بينما تؤجل أو تُغلق عندما تكون الجهة المتهمة مدعومة من أطراف نافذة, إذ يؤكد تقرير المفوضية العليا لحقوق الإنسان في العراق لعام ٢٠٢١ أن الاستجابة الحكومية لشكاوى الانتهاكات تختلف بحسب انتماء الضحية أو الجهة المنتهِكة، وهو ما يكرّس الإفلات من العقاب, كما أن الاحتجاجات في بغداد والجنوب (٢٠١٩–٢٠٢٠) قوبلت بقمع دموي، في حين سُمح لاحقاً باحتجاجات مسلحة لأنصار بعض القوى السياسية دون استخدام مماثل للقوة، ما يكشف عن ازدواجية داخلية في التعامل مع حرية التعبير(٤١).

٣. تسييس ملف حقوق الإنسان: تم استخدام ملف حقوق الإنسان كأداة سياسية، سواء من قبل القوى السياسية داخل العراق أو من قبل أطراف دولية، للتشهير بالخصوم أو كوسيلة للضغط وليس لتحقيق العدالة, ويُلاحظ أن تقارير بعض المنظمات الدولية تُبرز انتهاكات أطراف دون أخرى، مما يفقدها الموضوعية, فقد تحولت حقوق الإنسان في العراق إلى ساحة نزاع بين الفاعلين، كلٌّ يستخدمها كسلاح سياسي لا كقيمة أخلاقية أو قانونية(٤٢).

٤. أثر الازدواجية على ثقة المواطن: أدت هذه الازدواجية إلى تآكل الثقة العامة بمؤسسات الدولة، والمنظمات الحقوقية، وحتى بالقانون الدولي، حيث بات المواطن العراقي يرى أن العدالة لا تُطبق إلا انتقائياً، مما عزز ثقافة اليأس والانتقام واللجوء إلى العدالة الخاصة أو العشائرية, وقد أكدت بعثة يونامي في تقرير لها أن: «انعدام

المساواة في تطبيق حقوق الإنسان يقوّض جهود المصالحة الوطنية، ويضعف شرعية النظام الديمقراطي(٤٣).

وخلاصة ما سبق, إن ازدواجية المعايير في التعامل مع حقوق الإنسان في العراق – سواء من قبل المجتمع الدولي أو الدولة العراقية – تشكل أحد أخطر التحديات التي تواجه بناء دولة القانون, ولتحقيق العدالة والإنصاف، لا بد من ضمان حيادية المعايير، واستقلال القضاء، وتوحيد التعامل مع الضحايا بغض النظر عن الخلفيات، بما يعيد ثقة المواطن بالحقوق والدولة على حد سواء.

ثانياً: ازدواجية المعايير خارجياً وتأثيرها على السيادة العراقية في إطار حقوق الإنسان:

تبرز ازدواجية المعايير في تعامل المجتمع الدولي في إطار حقوق الإنسان مع العراق مقارنة بدول أخرى, لاسيما وأن حقوق الإنسان تُعد من المبادئ الأساسية التي يفترض بالمجتمع الدولي التعامل معها بموضوعية وحياد, ومع ذلك، تُظهر مقارنة تعامل المجتمع الدولي مع العراق من جهة، ومع دول كالمملكة العربية السعودية والصين من جهة أخرى، على سبيل المثال, ولاسيما في ظل وجود ازدواجية واضحة في المعايير تتأثر بالمصالح الجيوسياسية والعلاقات الاقتصادية أكثر من التزام حقيقي بحماية حقوق الإنسان, ويتمثل ذلك في أن العراق يعتبر ساحة تدخل وتشهير دائم, فمنذ عام ٢٠٠٣، أصبح العراق محوراً لتقارير حقوقية دولية متتالية، شملت الاحتلال الأمريكي وقمع التظاهرات والاختفاء القسري وتعذيب المعتقلين, فعلى سبيل المثال، قالت هيومن رايتس ووتش في تقريرها لعام ٢٠٢٢: أن «القوات العراقية استمرت باستخدام العنف المفرط ضد المتظاهرين، دون أي مساءلة واضحة», كما فرض مجلس الأمن قيوداً طويلة على العراق تحت الفصل السابع، وربط ملفات السيادة بإصلاحات حقوقية وأمنية، وهو ما لم يُطبق على دول أخرى ترتكب انتهاكات ممنهجة(٤٤)، بينما الحال مع المملكة العربية السعودية تمثلت بانتقادات محدودة وتأثير المصالح, فرغم وجود انتهاكات موثقة في المملكة العربية السعودية مثل التمييز ضد المرأة، وتقييد حرية التعبير، وأحكام الإعدام الجائرة، فإن المجتمع الدولي غالباً ما يتعامل معها بشكل محدود وانتقائي, وهذا ما أكدته منظمة العفو الدولية في تقريرها: إن «السلطات السعودية كثّفت استخدامها لقوانين مكافحة الإرهاب لملاحقة الناشطين، ومع ذلك، لم تواجه ردود فعل قوية من القوى الغربية», إذ تجنبت الولايات المتحدة الأمريكية مثلاً فرض عقوبات حقيقية على المملكة العربية السعودية بعد قضية مقتل الصحفي جمال خاشقجي عام ٢٠١٨، رغم تأكيد وكالة الاستخبارات تورّط مسؤولين سعوديين بذلك(٤٥)، وكذلك الحال في الصين تمثلت بانتهاكات جسيمة وحصانة سياسية, إذ تواجه الصين اتهامات بارتكاب انتهاكات واسعة بحق مسلمي الإيغور تشمل الاعتقال القسري والتلقين الأيديولوجي، لكن تعامل المجتمع الدولي معها يبقى ضعيفاً، بسبب قوتها الاقتصادية والسياسية, ففي تقرير مفوضية الأمم المتحدة لحقوق الإنسان عام ٢٠٢٢، وُصفت الانتهاكات في شينجيانغ: بأنها «قد ترقى إلى جرائم ضد الإنسانية»، ومع ذلك، لم تُفرض عقوبات دولية واسعة, وفي المقابل، لم تُطرح ملفات الصين في مجلس الأمن مثلما طُرحت ملفات العراق، بسبب الفيتو الصيني ودعم حلفاء آخرين(٤٦).

إزاء ذلك, فإن تفسير التباين يمثل معيار المصالح لا المبادئ, والسبب الأبرز وراء هذا التباين في التعامل الحقوقي هو النفوذ والمصالح الجيوسياسية: فالعراق دولة منهكة سياسياً وعسكرياً، مما يجعلها هدفاً أسهل للضغوط الدولية, أما المملكة العربية السعودية حليف اقتصادي وأمني مهم للغرب في الشرق الأوسط, بينما الصين قوة اقتصادية وعسكرية يصعب مواجهتها علناً, لذا فقد يتم تسليح حقوق الإنسان عند الحاجة، وتجاهلها عند تعارضها مع المصالح, لاسيما وأن العراق مثلاً يعاني رقابة لصيقة، بينما يُترك ملف الإيغور في الأدراج المغلقة(٤٧)، وتظهر المقارنة بين العراق والمملكة العربية السعودية والصين أن المجتمع الدولي لا يطبق معايير موحّدة لحقوق الإنسان، بل يتعامل بانتقائية تخضع للمصالح الاقتصادية والتحالفات السياسية, إن هذا النمط من الازدواجية يُقوّض مبادئ العدالة العالمية، ويضعف من مصداقية المنظمات الدولية، ويهدد بتسييس

أكبر للحقوق الأساسية للشعوب.

الخاتمة:

لقد سلطت هذه الدراسة الضوء على الطبيعة المعقدة للتوظيف السياسي لمبادئ حقوق الإنسان بعد عام ٢٠٠٣، مركزاً على حالة العراق كنموذج لكيفية تداخل الأبعاد الحقوقية مع المصالح الجيوسياسية, لقد أصبح من الضروري إعادة التفكير في البُنية الأخلاقية للقانون الدولي لحقوق الإنسان، والعمل على تقويتها لضمان ألا تتحول المبادئ السامية إلى أدوات انتقائية تخدم مصالح بعض الدول على حساب الشعوب, ومن هذا المنطلق فإن حماية حقوق الإنسان تتطلب استقلالها عن الأجندات السياسية، وتكريسها كمرجعية أخلاقية عالمية تُطبق على الجميع دون ازدواجية أو انتقائية.

– الاستنتاجات:

١. أظهرت دراسة حالة العراق أن مبادئ حقوق الإنسان لم تُوظف دوماً بدوافع إنسانية خالصة، بل استُخدمت كوسيلة لإضفاء الشرعية على التدخلات العسكرية والسياسية.

٢. شكل غزو العراق في عام ٢٠٠٣ نقطة فاصلة، حيث رُوّج له تحت ذريعة حماية حقوق الإنسان وإسقاط نظام ديكتاتوري، بينما كانت المصالح الجيوسياسية والاقتصادية هي الدافع الحقيقي.

٣. كما كشفت الدراسة أن الأدوات الدولية كالتقارير الأممية والمحاكم الخاصة فرضت أجندات خارجية، مما أدى إلى تآكل السيادة الوطنية وتشويه المفاهيم الحقوقية لدى المجتمع العراقي.

– التوصيات:

١. التمييز بين التوظيف الإنساني والسياسي لحقوق الإنسان: ينبغي على الباحثين والناشطين التمييز بين المساعي الصادقة لحماية حقوق الإنسان، وبين توظيفها كغطاء لتحقيق مصالح سياسية.

٢. تعزيز السيادة القانونية الوطنية: من الضروري العمل على تعزيز مؤسسات العدالة المحلية في العراق وتقويتها لتكون قادرة على حماية الحقوق دون الحاجة لتدخل خارجي, وإصلاح منظومة حقوق الإنسان الدولية من خلال السعي إلى إصلاح الآليات الدولية لضمان حيادها واستقلالها عن التأثيرات السياسية للدول الكبرى.

٣. إعادة بناء الثقة بالمفاهيم الحقوقية: لا بد من إعادة تعريف مبادئ حقوق الإنسان داخل العراق بما يتناسب مع خصوصيته الثقافية والاجتماعية، مع ترسيخها في الوعي العام كحقوق متأصلة وليست أدوات سياسية, ومراقبة الأداء الدولي, بضرورة تشكيل هيئات مستقلة لمراقبة أداء الدول والمنظمات الدولية في تطبيقها لمبادئ حقوق الإنسان، وتوثيق حالات التسييس والانحياز.

الهوامش:

(١) هيئة الأمم المتحدة, مقدمة حول حقوق الإنسان, المفوضية السامية لحقوق الإنسان, نيويورك, ٢٠٢١, ص٤.

(٢) Newman: Frank C, Human Rights and Constitutional Law: Essays, Cases, and Materials, Foundation Press, Westbury, New York ,١٩٩٣, p.٢٥.

(٣) الغزالي: محمد, حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة, دار الشروق, القاهرة, ١٩٩٤, ص٦١.

(٤) United Nations General Assembly. (1948). Universal Declaration of Human Rights (UDHR). Resolution 217 A (III), adopted 10 December 1948.

(٥) Rousseau: J.J, The Social Contract, translated by M. Cranston, Penguin Books, London, 1968, p89; Locke: J, Two Treatises of Government, Edited by Peter Laslett. Cambridge University Press, 1988, p.15.

(٦) United Nations: General Assembly, Universal Declaration of Human Rights, New York: United Nations, Date of adoption: 10 December 1948, General Assembly resolution 217 A (III), Article 1, p.1.

(٧) Tomushat: C., Human Rights: Between Idealism and Realism, Oxford

.University Press, 2008, p.58
(٨) United Nations, Universal Declaration of Human Rights, New York: UN .General Assembly, Preamble 1948,, p.1
(٩) Chomsky: N, Hegemony or Survival: America›s Quest for Global Dom– .inance, New York: Metropolitan Books, 2003, p.42
(١٠) .Keen: D, Complex Emergencies, Cambridge: Polity Press, 2008, p.118
(١١) United Nations. Universal Declaration of Human Rights, 1948, Article 1, p. 1
(١٢) Forsythe, David P. Human Rights in International Relations. Cam– .bridge University Press, 2012, p. 214
(١٣) Peksen, Dursun. «Better or Worse? The Effect of Economic Sanctions .on Human Rights.» Journal of Peace Research, Vol. 46, No. 1, 2009, p. 411
(١٤) Bellamy, Alex J. Responsibility to Protect. Polity Press, 2010, p. 143
(١٥) Keck, Margaret E., & Sikkink, Kathryn. Activists beyond Borders: Ad– vocacy Networks in International Politics. Cornell University Press, 1998, .p. 95
(١٦) Chandler, David. Empire in Denial: The Politics of State–Building. .Pluto Press, 2006, p. 117
(١٧) Danner, Mark. Torture and Truth: America, Abu Ghraib, and the War .on Terror. New York Review Books, 2004, p. 9
(١٨) Stokes, Doug. "Blood for Oil? Global Capital, Counter–Insurgency and the Dual Logic of American Energy Security." Review of International .Studies, Vol. 33, No. 2, 2007, p. 535
(١٩) Hashim, Ahmed S. Insurgency and Counter–Insurgency in Iraq. Cor– .nell University Press, 2006, p. 297
(٢٠) Bush, George W. State of the Union Address. Washington D.C., Janu– .ary 29, 2002, p. 4
(٢١) Chandler, David. Empire in Denial: The Politics of State–Building. .Pluto Press, 2006, p. 117
(٢٢) Hashim, Ahmed S. Insurgency and Counter–Insurgency in Iraq. Cor– nell University Press, 2006, p. 296
(٢٣) Chandler, David. Empire in Denial: The Politics of State–Building. .Pluto Press, 2006, p. 125
(٢٤) Human Rights Watch. At a Crossroads: Human Rights in Iraq Eight .Years After the US–led Invasion, 2011, p. 4
(٢٥) Tomuschat, Christian. Human Rights: Between Idealism and Realism. .Oxford University Press, 2008, p. 105
(٢٦) Neier, Aryeh. The International Human Rights Movement: A History. .Princeton University Press, 2012, p. 181
(٢٧) United Nations Assistance Mission for Iraq (UNAMI), Human Rights in .Iraq: January to June 2020 Report, Baghdad: UNAMI/OHCHR, 2020, p. 7
(٢٨) Amnesty International, Amnesty International Report 2022/23: The State of the World's Human Rights – Iraq, London: Amnesty, 2023, pp. .190–192
(٢٩) Human Rights Watch, "Iraq: Camp Closures Leave Displaced With Few .٣ .Options", HRW Report, October 2021, p

(٣٠) Transparency International, Corruption Perceptions Index 2022, Berlin: Transparency International, 2023, p. 12.

(٣١) World Bank, Iraq Economic Monitor: Seizing the Opportunity for Reforms, Fall 2021, p. 6; UNICEF Iraq, Child Poverty in Iraq: Multidimensional Overlap Analysis, Baghdad: UNICEF, 2022, p. 8.

(٣٢) UNAMI, The Human Rights Situation in Iraq, Special Report, December 2004, p.5.

(٣٣) كريم: حيدر، الفصل السابع ومأزق السيادة العراقية، المركز العراقي للدراسات القانونية، ٢٠١٩، ص ٨٩.

(34) Nathan Brown, The Final Draft of the Iraqi Constitution: Analysis and Commentary, Carnegie Endowment for International Peace, September 2005, p. 4.

(٣٥) Human Rights Watch, World Report ٢٠١١: Iraq, New York: HRW, ٢٠١١, p. ٥١٤.

(٣٦) دستور جمهورية العراق، ٢٠٠٥، المادة (٢)؛ زينة عدنان، حقوق الإنسان في الدستور العراقي: إشكالية التوازن بين الدين والمواطنة، مجلة القانون والسياسة، العدد ٤٧، ٢٠٢٠، ص ١٠٢.

(٣٧) أحمد: عبد الجبار، التدخلات الخارجية في العراق بعد ٢٠٠٣: دراسة في أدوات الهيمنة الدولية، مركز البيان، بغداد، ٢٠٢١، ص ٨٢.

(38) Human Rights Watch, "Iraq: Cybercrime Bill Threatens Free Expression", HRW, 2021, p. 2.

(٣٩) الموسوي: فالح، السيادة العراقية بعد ٢٠٠٣: الواقع والتحديات، مجلة الدراسات الدولية، العدد ٧٢، ٢٠٢٠، ص ١١٧.

(40) UNAMI/OHCHR, Report on the Protection of Civilians in the Context of the Ninewa Operations, Baghdad: UN, March 2017, p. 9.

(41) Amnesty International, "Turkey: Airstrikes Displace Civilians in Northern Iraq", Amnesty Report, August 2022, p. 3.

(٤٢) المفوضية العليا لحقوق الإنسان في العراق، تقرير الانتهاكات في سياق التظاهرات الشعبية ٢٠٢١، بغداد، ص ٦؛ عبد الحسين: علاء، حقوق الإنسان والعدالة الانتقائية في العراق بعد ٢٠٠٣، مجلة السياسة الدولية، العدد ٨٧، ٢٠٢١، ص ١١٩.

(٤٣) UNAMI, Human Rights Report on Iraq: Accountability and Justice, Baghdad, 2020, p. 11.

(٤٤) Human Rights Watch, World Report ٢٠٢٢: Iraq, New York: HRW, 2022, p. 493.

(٤٥) Office of the Director of National Intelligence (ODNI), Assessment of the Saudi Government's Role in the Killing of Jamal Khashoggi, 2021, p. 1.

(٤٦) OHCHR, Assessment of Human Rights Concerns in the Xinjiang Uyghur Autonomous Region, PRC, August 2022, p. 45.

(٤٧) OHCHR, Assessment of Human Rights Concerns in the Xinjiang Uyghur Autonomous Region, PRC, August 2022, p. 45.

المصادر:

أولاً: المصادر العربية:

١. أحمد: عبد الجبار، التدخلات الخارجية في العراق بعد ٢٠٠٣: دراسة في أدوات الهيمنة الدولية، مركز البيان، بغداد، ٢٠٢١.

٢. دستور جمهورية العراق، ٢٠٠٥، المادة (٢).

٣. زينة عدنان، حقوق الإنسان في الدستور العراقي: إشكالية التوازن بين الدين والمواطنة، مجلة القانون والسياسة، العدد ٤٧، ٢٠٢٠.

٤. عبد الحسين: علاء، حقوق الإنسان والعدالة الانتقائية في العراق بعد ٢٠٠٣، مجلة السياسة الدولية، العدد ٨٧، ٢٠٢١.
٥. الغزالي: محمد, حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة, دار الشروق, القاهرة, ١٩٩٤.
٦. كريم: حيدر، الفصل السابع ومأزق السيادة العراقية، المركز العراقي للدراسات القانونية، ٢٠١٩.
٧. المفوضية العليا لحقوق الإنسان في العراق، تقرير الانتهاكات في سياق التظاهرات الشعبية ٢٠٢١، بغداد.
٨. الموسوي: فالح، السيادة العراقية بعد ٢٠٠٣: الواقع والتحديات، مجلة الدراسات الدولية، العدد ٧٢، ٢٠٢٠.
٩. هيئة الأمم المتحدة, مقدمة حول حقوق الإنسان, المفوضية السامية لحقوق الإنسان, نيويورك, ٢٠٢١.

ثانياً: المصادر الاجنبية:

1. Amnesty International, "Turkey: Airstrikes Displace Civilians in Northern Iraq", Amnesty Report, August 2022.
2. Amnesty International, Amnesty International Report 2022/23: The State of the World's Human Rights – Iraq, London: Amnesty, 2023.
3. Bellamy, Alex J. Responsibility to Protect. Polity Press, 2010.
4. Bush, George W. State of the Union Address. Washington D.C., January 29, 2002.
5. Chandler, David. Empire in Denial: The Politics of State-Building. Pluto Press, 2006.
6. Chomsky: N, Hegemony or Survival: America›s Quest for Global Dominance, New York: Metropolitan Books, 2003.
7. Danner, Mark. Torture and Truth: America, Abu Ghraib, and the War on Terror. New York Review Books, 2004.
8. Forsythe, David P. Human Rights in International Relations. Cambridge University Press, 2012.
9. Hashim, Ahmed S. Insurgency and Counter-Insurgency in Iraq. Cornell University Press, 2006.
10. Human Rights Watch, "Iraq: Camp Closures Leave Displaced With Few Options", HRW Report, October 2021.
11. Human Rights Watch, "Iraq: Cybercrime Bill Threatens Free Expression", HRW, 2021.
12. Human Rights Watch, World Report 2011: Iraq, New York: HRW, 2011.
13. Human Rights Watch, World Report 2022: Iraq, New York: HRW, 2022.
14. Human Rights Watch. At a Crossroads: Human Rights in Iraq Eight Years After the US-led Invasion.
15. Keck, Margaret E., & Sikkink, Kathryn. Activists beyond Borders: Advocacy Networks in International Politics. Cornell University Press, 1998.
16. Keen: D, Complex Emergencies, Cambridge: Polity Press, 2008.
17. Nathan Brown, The Final Draft of the Iraqi Constitution: Analysis and Commentary, Carnegie Endowment for International Peace, September 2005.
18. Neier, Aryeh. The International Human Rights Movement: A History. Princeton University Press, 2012.
19. Newman: Frank C, Human Rights and Constitutional Law: Essays, Cas-

es, and Materials, Foundation Press, Westbury, New York, 1993.
20. Office of the Director of National Intelligence (ODNI), Assessment of the Saudi Government's Role in the Killing of Jamal Khashoggi, 2021.
21. OHCHR, Assessment of Human Rights Concerns in the Xinjiang Uyghur Autonomous Region, PRC, August 2022.
22. Peksen, Dursun. «Better or Worse? The Effect of Economic Sanctions on Human Rights.» Journal of Peace Research, Vol. 46, No. 1, 2009.
23. Rousseau: J.J, The Social Contract, translated by M. Cranston, Penguin Books, London, 1968, p89; Locke: J, Two Treatises of Government, Edited by Peter Laslett. Cambridge University Press, 1988.
24. Stokes, Doug. "Blood for Oil? Global Capital, Counter-Insurgency and the Dual Logic of American Energy Security." Review of International Studies, Vol. 33, No. 2, 2007.
25. Tomuschat, Christian. Human Rights: Between Idealism and Realism. Oxford University Press, 2008.
26. Transparency International, Corruption Perceptions Index 2022, Berlin: Transparency International, 2023.
27. UNAMI, Human Rights Report on Iraq: Accountability and Justice, Baghdad, 2020.
28. UNAMI, The Human Rights Situation in Iraq, Special Report, December 2004.
29. UNAMI/OHCHR, Report on the Protection of Civilians in the Context of the Ninewa Operations, Baghdad: UN, March 2017.
30. UNICEF Iraq, Child Poverty in Iraq: Multidimensional Overlap Analysis, Baghdad: UNICEF, 2022.
31. United Nations Assistance Mission for Iraq (UNAMI), Human Rights in Iraq: January to June 2020 Report, Baghdad: UNAMI/OHCHR, 2020.
32. United Nations General Assembly. (1948). Universal Declaration of Human Rights (UDHR). Resolution 217 A (III), adopted 10 December 1948.
33. United Nations, Universal Declaration of Human Rights, New York: UN General Assembly, Preamble 1948.
34. United Nations. Universal Declaration of Human Rights, 1948, Article 1.
35. United Nations: General Assembly, Universal Declaration of Human Rights, New York: United Nations, Date of adoption: 10 December 1948, General Assembly resolution 217 A (III), Article 1.
36. World Bank, Iraq Economic Monitor: Seizing the Opportunity for Reforms, Fall 2021.

السيناريوهات التنبؤية لاختبارات الجهد كأداة في تقييم قدرة المصارف على مواجهة مخاطر الائتمان المصرفي وأثرها على كفاية رأس المال «دراسة تحليلية في مصرف آشور الدولي»

م. م. ورود محمد حسين الخفاجي م. م. فاتن تايه حس ين الركابي
م. م. سارة مجبل كاظم العماري
الجامعة الامام جعفر الصادق / كلية العلوم الإدارية والمالية

المستخلص:
يهدف هذا البحث إلى توضيح دور سيناريوهات اختبارات الجهد التنبؤية في تقليل مخاطر كفاية رأس المال للمصارف العراقية الخاصة، مع التركيز على مصرف آشور كعينة. يتم استخدام هذه السيناريوهات كأداة لتحليل قدرة المصارف على مواجهة مخاطر كفاية رأس المال، من خلال تقييم السيناريوهات التي قد تؤثر على الأداء المالي، مثل تعثر الائتمان الممنوح بنسب معينة.
قام الباحثون بتحليل دور سيناريوهات اختبارات الضغط كمتغير مستقل، ومخاطر كفاية رأس المال كمتغير تابع، من خلال تطبيق دراسات على مصرف آشور، وتم جمع البيانات اللازمة وتطبيق سيناريوهات اختبارات الجهد لتحديد قدرة المصرف على الاستمرار في الأداء خلال فترات الضغوط المالية.
أظهرت النتائج أهمية بناء نظام فعال للإنذار المبكر للتنبؤ بالصدمات والأزمات المستقبلية، حيث تعد أنظمة اختبارات الجهد من بين أهم تلك الأنظمة.
ختاماً، قدم الباحثون توصيات تتضمن ضرورة زيادة الحد الأدنى لرأس المال المدفوع والمصرح به لتعزيز قدرة المصارف على تلبية الالتزامات الحالية والمستقبلية.
الكلمات المفتاحية: اختبارات الجهد، مخاطر الائتمان المصرفي، كفاية رأس المال.

Abstract:
This research aims to clarify the role of predictive stress testing scenarios in reducing capital adequacy risks for private Iraqi banks, focusing on Ashur Bank as a sample. These scenarios are used as a tool to analyze banks› ability to address capital adequacy risks by assessing scenarios that may impact financial performance, such as defaults on credit granted at certain rates.
The researchers analyzed the role of stress testing scenarios as an independent variable and capital adequacy risks as a dependent variable, applying studies on Ashur Bank. The necessary data was collected and stress testing scenarios were applied to determine the bank›s ability to continue performing during periods of financial stress.
The results demonstrated the importance of building an effective early warning system to predict future shocks and crises, with stress testing systems being among the most important of these systems.
Finally, the researchers made recommendations, including the need to increase the minimum paid-up and authorized capital to enhance banks› ability to meet current and future obligations.
Keywords: stress testing, bank credit risk, capital adequacy.

المبحث الأول: منهجية البحث

أولاً: المقدمة:

إن ممارسة المؤسسات المالية والمصرفية لأعمالها تحيطها بالكثير من المخاطر، ومخاطر الائتمان واحدة منها وإن ترك أنشطة وأعمال هذه المؤسسات المصرفية بدون عملية مراقبة وإدارة سيؤدي الى مشاكل كثيرة منها إخفاق

هذه المؤسسات في تأدية أعمالها وخسارتها لعملائها إضافة الى حالات المقاضاة التي قد تواجهها، ومن ثم وقوعها في أزمات مالية تهدد مكانتها وسمعتها أمام جمهور المتعاملين، نظراً لأن أزمة تعثر الائتمان تؤثر على الصناعة المصرفية في العراق وإن نقص السيولة يؤدي الى إفلاس المصرف وأصبحت مواجهة التعثر تحدياً، وتم إجراء البحث لغرض معرفة إمكانية التنبؤ بمخاطر الائتمان المصرفية من خلال إختبارت الجـهد.

ثانياً: مشكلة البحث

تعد مشكلة التعثر في تسديد الائتمان من المشكلات المعقدة التي تواجه المصارف التجارية والإسلامية بشكل عام، فإرتفاع مستويات التعثر يؤدي الى مشاكل إنخفاض العائد وإنخفاض توظيف الموارد المتاحة، في حين إرتفاع نسب تعثر الائتمان عن النسب المعيارية المحددة من قبل السلطات الإشرافية يؤدي الى تعرض المصارف لأزمة تتمثل بعدم قدرة المصرف عن الوفاء بإلتزاماته، وبناءً على ما تقدم يمكن تجسيد مشكلة البحث كالتالي:

«كيف يمكن لإختبارات الضغط كأداة للإنذار المبكر أن تساعد في تقييم قدرة المصارف على مواجهة مخاطر الائتمان التي يمكن التعرض لها مستقبلاً؟

ثالثاً: أهمية البحث

١. تسليط الضوء على جانب معرفي مهم في العمل المصرفي وواحدة من أهم أدوات إدارة المخاطر وهي إختبارت الجهـد.

٢. توضيح مفاهيم مخاطر الائتمان المصرفية ومؤشرات حدوثها.

٣. إستخدام نتائج الإختبارات في وضع وتطوير خطط الطوارئ لمواجهة المخاطر المختلفة وتفعيل إستخدام أدوات تخفيف المخاطر.

رابعاً: فرضية البحث

ينطلق البحث في سبيل تحقيق أهدافه من فرضية أساسية مفادها (إن تطبيق سيناريوهات إختبارت الجهد تمكن المصارف من معرفة الانكشافات والمخاطر التي يمكن التعرض لها، كما وتساهم في تقييم قدرتها على مواجهة مخاطر الائتمان المصرفي).

خامساً: أهداف البحث

يُعدّ فهم الأهداف مرتكزاً أساسياً عند بناء البحث ويتمثل الهدف الرئيسي للبحث في الكشف عن دور سيناريوهات إختبارات الضغط ذات المتغيرات المتعددة في الكشف عن مخاطر وأزمات السيولة المصرفية، فيما تتمثل الأهداف الفرعية لهذا البحث بالآتي:

١. التعرف على مراحل وخطوات تطبيق إختبارات الجهد المصرفي.

٢. معرفة إمكانية التنبؤ بمخاطر الائتمان وقدرة المصارف على مواجهتها إن حدثت مستقبلاً.

٣. التشخيص المبكر لنقاط الضعف من خلال دراسة وتحليل نتائج السيناريوهات للمصرف عينة البحث بعد الصدمات.

خامساً: منهج البحث

إتجه الباحثون الى إتباع المنهج الإستقرائي والمنهج الوصفي والمنهج التحليلي لغرض تحقيق أهداف البحث وإختبار فرضياته، الذي يتضمن إستعراض أهم الأفكار التي تتعلق بمفهوم وأهمية سيناريوهات إختبارات الجهد والإجراءات الواجب إتخاذها في ضوء النتائج إضافة الى المفاهيم الأساسية حول مخاطر الائتمان المصرفية وأسبابها.

وتم إستخدام إختبارات الضغط مدخل من أدنى الى أعلى (bottom-up)، كما تم إستخدام تحليل السيناريوهات المفردة؛ حيث تم إفتراض سيناريوهات مفردة المتغيرات بنسب مختلفة تم تصميمها لغرض البحث وحسب توجيهات البنك المركزي العراقي، عن طريق دراسة المتغير المستقل (إختبارات الجهد) ودوره في المتغير

التابع (مخاطر الائتمان المصرفية).

سادساً: حدود البحث

١- الحدود الزمانية: حُددت المدة الزمنية للبحث بسنة واحدة (٢٠٢٣) لمصرف آشور الدولي عينة البحث من خلال تحليل البيانات المالية وذلك بالإعتماد على التقرير المالي السنوي للمصرف عينة البحث.

٢- الحدود المكانية: تم تطبيق إختبارات الجهد على مصرف آشور الدولي لإجراء دراسة الجانب التطبيقي من البحث وتم إختيار العينة لتوفر البيانات المالية والتقارير السنوية لسنة (٢٠٢٣).

سابعاً: الأساليب والمقاييس المالية

ركز البحث على إستعمال مجموعة من المؤشرات ذات العلاقة بموضوع البحث، وتم التطرق إليها في الإطار النظري من أجل التوصل الى نتائجها في الإطار العملي لغرض بيان دور إختبارات الجهد في الحد من مخاطر الائتمان المصرفية.

المبحث الثاني: الإطار النظري لإختبارات الجهد المصرفي

تمهيد:

نتيجة لكثرة المخاطر والأزمات التي تتعرض لها المصارف وإن ما تشهده الأسواق المصرفية العالمية وما يحيط بالإقتصاد العالمي من أزمات مالية متعددة أثارت تساؤلات الباحثين بشأن إمكانية الأنظمة الرقابية والإشرافية للمصارف على الحد من المخاطر المصرفية التي أصبحت جزءاً لايتجزء من العمل المصرفي لاسيما مع إزدياد حدة المنافسة وتزايد حجم المعاملات المصرفية، وكان لابد من إيجاد وسيلة لتقييم قدرتها على مواجهة هذه المخاطر والأزمات، كما وركزت لجنة بازل٣ على حزمة من المعايير التي تجعل المصارف في وضع الإحتياط الدائم أمام الصدمات الإستثنائية، ولعل أبرز تلك المعايير إستعمال تقنيات إختبارات الجهد وهي إحدى أدوات الرقابة الإحترازية لقياس قدرة المصارف على مواجهة المخاطر المصرفية والأزمات بشكل أكثر كفاءة وفاعلية.

اولاً: مفهوم وتعريف إختبارات الجهد المصرفي

تم استخدام العديد من المصطلحات لترجمة مفهوم (Stress Testing) مثل اختبارات الضغط اختبارات التحمل واختبارات القدرة واختبارات الجهد واختبارات الاوضاع الضاغطة (عواد،٢٠٢٢:٣).

أعتمد صندوق النقد الدولي هذا الأسلوب في عام ١٩٩٩ على الرغم من إنّ هذه الاختبارات لم تكن معروفة للجمهور إلا بشكل محدود حتى وقوع الأزمة المالية العالمية عام ٢٠٠٨، فقد تم استخدامها لاستعادة الثقة في الأسواق.

تُعد اختبارات الضغط أسلوباً يهدف إلى قياس نقاط الضعف في محفظة أو نظام مالي في ظل أحداث أو سيناريوهات افتراضية متنوعة عادة ما تُجرى هذه الاختبارات كجزء من برنامج تقييم القطاع المالي(FSAP) وهو جهد مشترك بين صندوق النقد الدولي والبنك الدولي وقد تناولت التقييمات في إطار هذا البرنامج مجموعة واسعة من المخاطر بما في ذلك مخاطر الائتمان ومخاطر السوق ومخاطر السيولة، والمخاطر القانونية كما قدم البرنامج للدول الأعضاء سلسلة من التوصيات لتحسين الإطار المالي الخاص بكل منها (تريعة، حنان، ٢٠٢٠: ٧٥٠).

إنّ اختبارات الضغط ممارسة كمية تهدف إلى تقدير تأثير المخاطر المحتملة على رأس المال والأرباح والتدفقات النقدية للوحدات الاقتصادية بشكل عام، إذ تؤدي اختبارات الضغط دوراً حاسماً في قياس المخاطر ومراقبتها، كما توفر تحليلات للعمليات المصرفية وتسلط الضوء على الانحرافات (Chorafas,٢٠٠٧:٤٥).

ويقصد بإختبارت الضغط ((Stress-testing «إستخدام المصرف تقنيات مختلفة لتقييم قدرته على مواجهة الإنكشافات في ظل أوضاع وظروف عمل صعبة، وذلك من خلال قياس أثر هذه الإنكشافات في مجموعة المؤشرات المالية للمصرف، وبصفة خاصة الأثر في مدى كفاية رأس المال وفي الربحية » (p١ :BCBS)٢٠٠٩, .

ثانياً: أهداف اختبارات الضغط

يتمثل الهدف الرئيسي لاختبارات الضغط في تعزيز قدرة المصارف على امتصاص أي صدمات مالية أو اقتصادية كما تهدف هذه الاختبارات إلى التأكد من وجود نظام مصرفي سليم وآمن وقوي قادر على تلبية الاحتياجات التنموية الاقتصادية والاجتماعية بموجب الإطار القانوني والتشريعي الذي ينظم العمل المصرفي (صندوق النقد العربي، ٢٠٢١: ٩).

وتسعى اختبارات الضغط الى تحقيق مجموعة من الاهداف أهمها (حسين،٢٠٢٣: ٢٣):

١. تحديد المخاطر الرئيسية والسيطرة عليها: تعد اختبارات الجهد جزءاً أساسياً من إدارة المخاطر في المصارف على مختلف المستويات تهدف هذه الاختبارات إلى تحديد المخاطر التي تواجه المصرف من خلال تحليلها وبيان تأثيراتها المحتملة مما يجعلها أداة كمية لفهم منظومة المخاطر وقدرة المصرف على مواجهة أنواع الصدمات المختلفة.

٢. المساعدة في عملية التخطيط لرأس المال: تشكل اختبارات الجهد عنصراً هاماً في عملية التخطيط لرأس المال وتوفر أدوات لتقييم مدى كفاية رأس المال الداخلي لدى المصرف لمواجهة كافة المخاطر ذات الأثر المادي وأي صدمات مالية محتملة. (BCBS ١٧: ٢٠١٤)

٣. الهدف الأساسي: يكمن الهدف الأساسي من تنفيذ اختبارات الضغط في المصارف في تحسين ممارسات إدارة المخاطر في ظل سيناريوهات تعكس الأحوال غير الاعتيادية.

٤. توفير بيانات تفصيلية: توفر اختبارات الضغط بيانات اكثر معقولية عن تعرض المصرف للمخاطر ونموذج أعماله ومنظومة المخاطر كما تقدم تحليلاً شاملاً لنقاط الضعف وسبل مواجهتها.

٥. تعزيز ثقة الرأي العام باستقرار القطاع المصرفي: وذلك من خلال نشر نتائج اختبارات الضغط على مستوى اجمالي للقطاع المصرفي بشكل يطمئن الجمهور بإنّ هذا القطاع قادر على تحمل الصدمات والمخاطر حتى في ظل الظروف القاسية والآثار الكبيرة التي قد تنجم عنها.

ثالثاً: برنامج اختبارات الضغط

يُعد برنامج اختبارات الضغط الذي تنفذه المصارف لقياس قدرتها على تحمل الظروف الطارئة أداة حيوية تعكس مدى استعداد المصرف لمواجهة الأزمات المالية ومن الضروري ملائمة هذا البرنامج مع طبيعة البيئة الداخلية للمصرف ومتغيرات البيئة الخارجية، يوفر هذا البرنامج معلومات وتحذيرات تساعد ادارات المصارف في اتخاذ قرارات رشيدة.

ادناه الخطوات الأساسية اللازمة لتطبيق اختبارات الضغط من قبل ادارة المخاطر المصرفية (عواد، ٢٠٢٠: ٥٠):

١. تعتبر اختبارات الجهد جزءًا أساسيًا من عملية إدارة رأس المال الداخلي للبنوك، حيث تهدف إلى تقديم تحليل دقيق ومستقبلي للأحداث الحادة والمؤثرة، و تساهم هذه الاختبارات في تحديد سلسلة من الأحداث أو التغيرات المحتملة في ظروف السوق التي قد تترك أثرًا سلبيًا على البنك. ويتم ذلك من خلال تقييم المخاطر الرئيسية تدريجيًا بناءً على شدة الصدمة الافتراضية، مع اعتماد ثلاثة سيناريوهات افتراضية تتراوح بين منخفضة، متوسطة، وعالية الشدة.(Assefa, ٢٠١٧: ٢٠)

٢. يهدف برنامج اختبار الجهد العام للمصرف إلى تحقيق قابلية التطبيق من أجل دعم تطوير خطط فعّالة لتخفيف المخاطر في مواجهة مجموعة متنوعة من الظروف القاسية أو غير المواتية. كما يسهم هذا البرنامج في تعزيز عملية صنع القرار داخل المصرف، بما يشمل تقييم قدرة المصرف على تحمل المخاطر وتحليل الإجراءات الاستراتيجية المتعلقة بالتخطيط طويل الأجل للأعمال.

٣. تمنح القدرة والصلاحية لمجلس الإدارة والإدارة العليا في المصارف لتقييم ما إذا كانت مخاطر الأزمات تتوافق مع المخاطر التي تواجهها تلك المصارف.

رابعاً: سيناريوهات اختبارات الضغط

لتحقيق فعالية اختبارات الضغط من الضروري تطوير وتحديث سيناريوهات الاختبارات بما يتناسب مع التغييرات في انشطة المصرف ومتغييرات البيئة الاقتصادية والمالية، ضرورة إنّ تعتمد هذه السيناريوهات على أسس تعكس الواقع المصرفي والمالي مع التركيز على الأحداث والصدمات التي قد تسبب أكبر قدر من الأضرار.

ويفضل إنّ تشمل سيناريوهات اختبارات الضغط مستويات متنوعة من الآثار السلبية ويمكن تقسيمها إلى ثلاث فئات:

أ- مستوى منخفض (**Mild**).

ب- مستوى متوسط (**Medium**).

ج- مستوى شديد (**Severe**).

هناك أنواع متعددة من سيناريوهات اختبارات الضغط التي يمكن تطبيقها ويجب على كل مصرف إنّ يحدد مدى ملاءمة هذه السيناريوهات وفقاً للمخاطر التي يواجهها مع تطوير السيناريوهات بما يتماشى مع تلك المخاطر وفي الفقرات الاتية سيتم توضيح أمثلة على سيناريوهات بعض المخاطر المختلفة (البنك المركزي العراقي،٢٠١٨: ٩) **cbi.iq**/ .

أ- السيناريوهات ذات المتغير الواحد

يتم باستخدام هذا المنهج تحليل تأثير كل متغير بشكل منفصل على الوضع المالي للمصرف مع فرض ثبات المتغيرات الأخرى بهدف مدى تقييم حساسية الوضع المالي لمتغير معين ومقارنته مع حساسية المتغيرات الأخرى لتحديد العناصر ذات المخاطر العالية الاكثر تأثيراً على كفاية رأس المال ومستوى السيولة للمصرف، لذا يطلق عليها بسيناريوهات الحساسية وسيتم استعراض اهمها:

١. السيناريوهات المتعلقة بمخاطر الائتمان

قامت السلطة النقدية في العراق متمثلة بالبنك المركزي العراقي بإصدار تعليمات بشأن إعداد سيناريوهات مرتبطة بمخاطر الائتمان النقدي والائتمان التعهدي متضمنة احتساب الأثر السلبي لكل سيناريو على أرباح او خسائر المصرف وعلى كفاية رأس المال بما ينعكس على جميع انواع الديون غير المنتجة للعوائد والحفاظ على النسبة الفعالة لتغطية الضمانات المؤهلة لكل نوع من انواع الائتمان ويتم بناء المخصصات المطلوبة وفقاً لتعليمات احتساب مخصصات الديون غير المنتجة للعوائد بطريقة تعتمد على النسب المذكورة أدناه:

جدول (١)اختبارات الضغط لمخاطر الائتمان

	السيناريو	النسبة	المستوى
الأول	ارتفاع الديون غير المنتجة للعوائد	%٥٠	منخفض الشدة
		%١٠٠	متوسط الشدة
		%٢٠٠	عالي الشدة
الثاني	ارتفاع الديون غير المنتجة للعوائد الى إجمالي الائتمان النقدي	%١٠	منخفض الشدة
		%٢٠	متوسط الشدة
		%٣٠	عالي الشدة
الثالث	ائتمان تعهدي متعثر سدده المصرف الى الجهة المستفيدة ولم يتم استحصاله من الزبون	%١٠	منخفض الشدة
		%٢٠	متوسط الشدة
		%٣٠	عالي الشدة

المصدر: اعداد الباحثون بالاعتماد على تعليمات اختبارات الضغط الصادرة عن البنك المركزي العراقي/ دائرة مراقبة المصارف لسنة/٢٠١٨

اما عند تراجع تصنيف فئات القروض فئة واحدة فيتم قياس الأثر عند تراجع تصنيف جميع القروض (الائتمان النقدي والتعهدي) حسب تعليمات احتساب المخصص فئة واحدة كما يتم إضافة القروض المصنفة ضمن (الائتمان الخاسر) كما هي بدون تغيير تصنيفها.

١. مخاطر رأس المالCapital Risk

تعد مخاطر رأس المال من المخاطر المهمة التي تكون ذات تأثير مباشر على المصرف والعمليات التي يقوم بها لأنها تتعلق باستمرارية المصرف، إذْ يعد رأس مال المصرف ركيزة أساسية لتهميش الخسائر عند حدوثها، ولتأكيد أهمية رأس المال ومخاطره لاقى اهتماماً واسعاً من الدول، إذْ أكدت لجنة بازل٢ على العلاقة الطردية بين حجم رأس المال و درجة مخاطر العمليات المصرفية (موسى وآخرون,٢٠١٢: ٢٧٠-٢٧١). وإن هذه المخاطر ليست مستقلة عن باقي المخاطر المصرفية الأُخرى بل تتداخل معها ويكون تأثيرها واضحاً على رأس مال المصرف وملاءته، وإن زيادة احتمالات مخاطر رأس المال تجعل المصرف عديم الملاءة، ولهذا فإن مخاطر رأس المال قد تؤدي إلى انخفاض في القيمة السوقية. وتتمثل هذه المخاطر بقدرة ومتانة رأس مال المصرف على امتصاص الخسائر في الموجودات من دون أن تتعرض ملاءته المالية إلى أي خطر (الشمري,٢٠١٣: ٩٦-٩٧). وفي كانون الثاني من عام ٢٠٠٩ أصدرت لجنة بازل للإشراف والرقابة المصرفية وثيقة ركزت على إجراء أو تطبيق اختبار الجهد لتحديد رأس المال الواجب توافره من أجل امتصاص الخسائر المتوقعة وغير المتوقعة، وكذلك يهدف الاختبار إلى تقويم متانة رأس المال والاحتياطي التنظيمي للمصرف، وشملت الوثيقة وضع الإدارة العليا ومجلس الإدارة آلية لهذا الاختبار والسيطرة على مخاطر رأس المال لتوفير ملاءة مالية لمواجهة المخاطر المصرفية والحد منها(أمين والشمري٢٠١٤: ٤٦)، وأن الملاءة المالية للمصرف من الناحية الفنية تعني رأس المال الذي له القدرة على مجابهة المخاطر وجذب الودائع في الوقت نفسه مما يؤدي إلى الربحية ومن ثم نموه وتطوره

رابعاً: مفهوم مخاطر الائتمان المصرفي

بصورة عامة يقصد بالخطر: عدم التأكد من وقوع الخسارة)موسى واخرون، ٢٠١٢: ٢٥)، اما المخاطرة فيقصد بها: امكانية حدوث انحراف في المستقبل بحيث تختلف الأهداف المرغوب في تحقيقها عما هو متوقع، وتشير كلمة مخاطرة في اللغة الأجنبية «Risk» إلى أنها مخاطر التعرض للخسارة أو حدوث الضرر، وتعرف المخاطرة ايضا بانها الخسائر غير متوقعة وغير مخطط لها نتيجة تذبذب العائد المتوقع على الاستثمار اي انحراف الأرقام الفعلية عن المتوقعة. .(Jregory,٢٠١٠: ٢)

تعد المخاطرة جزء لا يتجزأ من العمل المصرفي خصوصاً مع ارتفاع حدة المنافسة والتطور التكنولوجي وزيادة حجم المعاملات المصرفية والحاجة الى مصارف ذات احجام كبيرة، لذا فإن المصارف أصبحت اليوم تواجه مخاطر مصرفية متنوعة تتفاوت في درجة خطورتها من مصرف الى آخر، حيث تمثل مخاطر الائتمان أقدم شكل من أشكال المخاطر في الأسواق المالية، وتعد هذه المخاطر اكثر انواع المخاطر مخاطرة تواجهها المصارف والتي تتأثر بها إيرادات المصرف ورأسماله والناتجة عن عدم قيام الزبون بالوفاء بالتزاماته بالوقت المناسب

وتعرف أيضاً خسائر محتملة يتعرض لها المصرف نتيجة تعثر أو فشل المقترضين او المستلفين أو الأطراف الأخرى المقابلة من الوفاء بسداد التزاماتهم بالمدة المتفق عليها بموجب العقد المبرم معهم .

المبحث الثالث: الإطار العملي لإختبارات الجهد ومخاطر الائتمان المصرفية

يؤدي التحليل المالي دوراً مهماً في تقييم أوضاع وسلامة المؤسسات المصرفية ويبرز الخلل في أداءها لأنشطتها ومن ثم يمكن وضع التصورات المستقبلية في ضوء ذلك، ومن الجدير بالذكر قامت الباحثتان بإختيار عدد من سيناريوهات مخاطر الائتمان وذلك تناسباً مع البيانات المتاحة في بنود الميزانية والإيضاحات في التقارير السنوية للمصرف عينة البحث، وسيتم إستخدام إسلوب التحليل الأُفقي، وذلك من خلال المقارنة لسنة (٢٠٢٣)

أولاً: دراسة وتحليل مصرف آشور الدولي

١. سيناريوهات مخاطر الائتمان

أ. تحليل نتائج سيناريو ارتفاع الديون غير المنتجة للعوائد ٥٠٪

يعدّ ارتفاع الديون غير المنتجة للعوائد، كما تحدده تعليمات اختبارات الجهد من قبل البنك المركزي العراقي، من الاختبارات الحاسمة التي تتيح للمصارف تقييم قدرتها على تحمل الضغوط المالية الناتجة عن أرباحها المحققة ونسبة كفاية رأس المال، بهدف مواجهة كافة المخاطر، لا سيما الائتمانية منها. وتشمل هذه الاختبارات سيناريوهات تدريجية تتراوح شدة تأثيرها من ٥٠٪ إلى ٢٠٠٪ وهو تصعيد يُعتبر مرتفعًا ولكنه يتناسب مع حجم المخاطر المحتملة في العراق. السيناريوهات تشمل:

- زيادة الديون غير المنتجة للعوائد بنسبة ٥٠٪
- بنسبة ١٠٠٪
- زيادة بنسبة ٢٠٠٪

مما يؤثر على كافة أنواع الديون غير المنتجة للعوائد، مع مراعاة الاحتفاظ بنسبة تغطية الضمانات المؤهلة الخاصة بكل نوع من أنواع الائتمان. وتُشكل المخصصات الضرورية بناءً على تلك النسبة، استناداً لتعليمات البنك المركزي العراقي بشأن احتساب مخصصات الديون غير المنتجة.

جدول (٢) سيناريو ارتفاع الديون غير المنتجة للعوائد بنسبة ٥٠٪

نوع الائتمان	قئة الائتمان	فترة التعثر	قبل الصدمة				الصدمة	بعد الصدمة	
			الرصيد	مقدار المخصص	نسبة المخصص	الاهمية النسبية لكل قئة من اجمالي الديون		الرصيد الجديد	مقدار المخصص الجديد
الائتمان المنتج (العامل)	الائتمان الممتاز		0	0%	0	0%	٠	0	0
	الائتمان الجيد	اقل من ٣٠ يوم	230,033,865	2%	4,600,677	95%	115,016,933	115,016,933	2,300,339
	الائتمان المتوسط	اكثر من ٣٠يوم واقل من ٩٠ يوم	13,261,217	10%	1,326,122	5%	6,630,609	6,630,609	663,061
مجمـــوع الائتمان المنتج (العامل)			243,295,082		5,926,799	100%	121,647,541	121,647,541	2,963,400
الائتمان غير المنتج (غير العامل)	الائتمان دون المتوسط	اكثر من ٩٠ يوم واقل من ١٨٠ يوم	4,223,602	25%	1,055,901	57%	73,808,658	73,808,658	18,452,165
	الائتمان الردئ	من ١٨٠ يوم واقل سنة	649,829	50%	324,915	9%	11,355,948	11,355,948	5,677,974
	الائتمان الخاسر	سنة فاكثر	2,510,206	100%	2,510,206	34%	43,866,571	43,866,571	43,866,571
مجموع الائتمان غير المنتج (الديون غير العاملة)			7,383,637		3,891,021	100%	129,031,178	129,031,178	67,996,710
مجموع الائتمان النقدي			250,678,719		9,817,820		250,678,719	250,678,719	70,960,109
الائتمان التعهدي			14,862,411	2%	297,248		14,862,411	14,862,411	297,248
المجمـــوع الكلي			265,541,130		10,115,068		265,541,130	265,541,130	71,257,358
المخصصات			10,115,068					71,257,358	
التغير في الديون غير المنتجة			١٢١,٦٤٧,٥٤١						
حجم التغير في المخصص			٦١,١٤٢,٢٨٩						

جدول (٣) التغيرات الحاصلة في كفاية رأس المال

التغير الحاصل في كفاية راس المال		
التفاصيل	قبل الصدمة	بعد الصدمة
رأس المال التنظيمي	250,000,000	188,857,711
الموجودات المرجحة بأوزان المخاطر	394,888,551	456,030,840
نسبة كفاية راس المال	63%	41%
مقدار الانخفاض في نسبة كفاية راس المال	٢١,٩%	

من اعداد الباحثون بالاعتماد على التقرير السنوي لمصرف اشور الدولي لسنة ٢٠٢٣

من اعداد الباحثون بالاعتماد على التقرير السنوي لمصرف اشور الدولي لسنة ٢٠٢٣

من خلال تحليل نتائج ارتفاع الديون غير المنتجة للعوائد بنسبة (٥٠٪) بافتراض ارتفاع رصيد الديون غير المنتجة بفارق (١٢١,٦٤٧,٥٤١) ألف دينار يتحول الائتمان المنتج إلى ائتمان غير مُنتج بالكامل بناءً على الأهمية

النسبية وبالتالي ستكون جميع المحفظة الائتمانية غير منتجة.

نظراً لتحول الائتمان المنتج الى ائتمان غير منتج فان نسبة كفاية رأس المال ستنخفض الى (٤١٪) مع ملاحظة انها لم تتجاوز النسبة المعيارية المحددة من قبل تعليمات البنك المركزي العراقي (١٢٪) ما يؤشر عدم تأثير ذلك على الملاءة المالية للمصرف لعام ٢٠٢٣.

ب. تحليل نتائج سيناريو ارتفاع الديون غير المنتجة للعوائد ١٠٠٪

جدول (٤) سيناريو ارتفاع الديون غير المنتجة للعوائد بنسبة ١٠٠٪

نوع الائتمان	فئة الائتمان	فترة التعثر	قبل الصدمة				الصدمة	بعد الصدمة	
			الرصيد	مقدار المخصص	نسبة المخصص	الاهمية النسبية لكل فئة من اجمالي الديون		الرصيد الجديد	مقدار المخصص الجديد
الائتمان المنتج (العامل)	الائتمان الممتاز		0	0%	0	0%	٠	٠	٠
	الائتمان الجيد	اقل من ٣٠ يوم	230,033,865	2%	4,600,677	95%	0	0	0
	الائتمان المتوسط	اكثر من ٣٠يوم واقل من ٩٠ يوم	13,261,217	10%	1,326,122	5%	0	0	0
مجمـــوع الائتمان المنتج (العامل)			243,295,082		5,926,799	100%	٠	٠	٠
الائتمان غير المنتج (غير العامل)	الائتمان دون المتوسط	اكثر من ٩٠ يوم واقل من ١٨٠ يوم	4,223,602	25%	1,055,901	57%	143,393,715	143,393,715	,848,429
	الائتمان الردئ	من ١٨٠ يوم واقل سنة	649,829	50%	324,915	9%	22,062,068	22,062,068	,031,034
	الائتمان الخاسر	سنة فاكثر	2,510,206	100%	2,510,206	34%	85,222,936	85,222,936	,222,936
مجموع الائتمان غير المنتج (الديون غير العاملة)			7,383,637		3,891,021	100%	250,678,719	250,678,719	,102,399
مجموع الائتمان النقدي			250,678,719		9,817,820		250,678,719	250,678,719	,102,399
الائتمان التعهدي			14,862,411	2%	297,248		14,862,411	14,862,411	97,248
المجمـــوع الكلي			265,541,130		10,115,068		265,541,130	265,541,130	,399,647
المخصصات			10,115,068				١٣٢,٣٩٩,٦٤٧		
التغير في الديون غير المنتجة			٢٤٣,٢٩٥,٠٨٢						
حجم التغير في المخصص			١٢٢,٢٨٤,٥٧٩						

من اعداد الباحثون بالاعتماد على التقرير السنوي لمصرف اشور الدولي لسنة ٢٠٢٣

جدول (٥) التغيرات الحاصلة في كفاية رأس المال

جدول (٥) التغيرات الحاصلة في كفاية رأس المال		
التغير الحاصل في كفاية رأس المال		
التفاصيل	قبل الصدمة	بعد الصدمة
رأس المال التنظيمي	250,000,000	127,715,421
الموجودات المرجحة بأوزان المخاطر	394,888,551	517,173,130
نسبة كفاية راس المال	63%	24.7%
مقدار الانخفاض في نسبة كفاية راس المال	٣٩%	

من اعداد الباحثون بالاعتماد على التقرير السنوي لمصرف اشور الدولي لسنة ٢٠٢٣

من اعداد الباحثون بالاعتماد على التقرير السنوي لمصرف اشور الدولي لسنة ٢٠٢٣

من خلال تحليل نتائج ارتفاع الديون غير المنتجة للعوائد بنسبة (١٠٠٪) بافتراض ارتفاع رصيد الديون غير المنتجة بفارق (٢٤٣,٢٩٥,٠٨٢) ألف دينار يتحول الائتمان المنتج إلى ائتمان غير مُنتج بالكامل بناءً على الأهمية النسبية وبالتالي ستكون جميع المحفظة الائتمانية غير منتجة.

نظراً لتحول الائتمان المنتج الى ائتمان غير منتج فان نسبة كفاية رأس المال ستنخفض الى (٢٤,٧٪) مع ملاحظة انها لم تتجاوز النسبة المعيارية المحددة من قبل تعليمات البنك المركزي العراقي (١٢٪) ما يؤشر عدم تأثير ذلك على الملاءة المالية للمصرف لعام ٢٠٢٣

ت. تحليل نتائج سيناريو ارتفاع الديون غير المنتجة للعوائد ٢٠٠٪

جدول (٦) سيناريو ارتفاع الديون غير المنتجة للعوائد بنسبة ٢٠٠٪

نوع الائتمان	فئة الائتمان	فترة التعثر	قبل الصدمة				الصدمة	بعد الصدمة	
			الرصيد	مقدار المخصص	نسبة المخصص	الاهمية النسبية لكل فئة من اجمالي الديون		الرصيد الجديد	مقدار المخصص الجديد
الائتمان المنتج (العامل)	الائتمان الممتاز		0	0%	0	0%	0	0	0
	الائتمان الجيد	اقل من ٣٠ يوم	230,033,865	2%	4,600,677	95%	-230,033,865	-230,033,865	-4,600,677
	الائتمان المتوسط	اكثر من ٣٠يوم واقل من ٩٠ يوم	13,261,217	10%	1,326,122	5%	-13,261,217	-13,261,217	-1,326,122
مجمـــوع الائتمان المنتج (العامل)			243,295,082		5,926,790	100%	-243,295,082	-243,295,082	-5,926,790
الائتمان غير المنتج (غير العامل)	الائتمان دون المتوسط	اكثر من ٩٠ يوم واقل من ١٨٠ يوم	4,223,602	25%	1,055,901	57%	282,563,828	282,563,828	70,640,957
	الائتمان الردي	من ١٨٠ يوم واقل سنة	648,829	50%	324,915	9%	43,474,307	43,474,307	21,737,153
	الائتمان الخاسر	سنة فاكثر	2,510,206	100%	2,510,206	34%	167,935,666	167,935,666	167,935,666
مجموع الائتمان غير المنتج (الديون غير العاملة)			7,383,637		3,891,021	100%	493,973,801	493,973,801	260,313,777
مجموع الائتمان النقدي			250,678,719		9,817,820		250,678,719	250,678,719	254,386,978
الائتمان التعهدي			14,862,411	2%	297,248		14,862,411	14,862,411	297,248
المجمـــوع الكلي			265,541,130		10,115,068		265,541,130	265,541,130	254,684,226
المخصصات			10,115,068				٢٥٤,٦٨٤,٢٢٦		
التغير في الديون غير المنتجة			٤٨٦,٥٩٠,١٦٤						
حجم التغير في المخصص			٢٤٤,٥٦٩,١٥٨						

نوع الائتمان جدول (٧) التغيرات الحاصلة في كفاية رأس المال

جدول (٧) التغيرات الحاصلة في كفاية رأس المال		
التغير الحاصل في كفاية رأس المال		
التفاصيل	قبل الصدمة	بعد الصدمة
رأس المال التنظيمي	250.000.000	5.430.842
الموجودات المرجحة بأوزان المخاطر	394,888,551	639,457,709
نسبة كفاية راس المال	63%	٠,٨%
مقدار الانخفاض في نسبة كفاية راس المال	٦٢,٥%	

من اعداد الباحثون بالاعتماد على التقرير السنوي لمصرف اشور الدولي لسنة ٢٠٢٣

من اعداد الباحثون بالاعتماد على التقرير السنوي لمصرف اشور الدولي لسنة ٢٠٢٣

من خلال تحليل نتائج ارتفاع الديون غير المنتجة للعوائد بنسبة (٢٠٠٪) بافتراض ارتفاع رصيد الديون غير المنتجة بفارق (٤٨٦,٥٩٠,١٦٤) ألف دينار وبذلك يصبح رصيد يتحول الائتمان المنتج إلى ائتمان غير مُنتج بالكامل بناءً على الأهمية النسبية وبالتالي ستكون جميع المحفظة الائتمانية غير منتجة.

نظراً لتحول الائتمان المنتج الى ائتمان غير منتج فان نسبة كفاية رأس المال تغيرت من (٦٣٪) الى (٠,٨٪) مع ملاحظة انها اقل من النسبة المعيارية المحددة من قبل تعليمات البنك المركزي العراقي البالغة (١٢٪) مما يؤشر تأثير للصدمة على الملاءة المالية للمصرف لعام ٢٠٢٣ ويدل على عدم قدرة المصرف على تجاوز هذا السيناريو.

المبحث الرابع: الإستنتاجات والتوصيات

أولاً: الإستنتاجات:

١. تعمل المصارف في بيئة أعمال تتميز بوجود مخاطر يمكن التقليل من حدتها ولايمكن تجنبها.

٢. الحرص على بناء نظام فاعل للإنذارالمبكر، يستطيع التنبؤ بوقوع صدمات وأزمات مستقبلية قبل حدوثها، وتُعد أنظمة إختبارات الضغط من بين أهم تلك الأنظمة.

٣. تمتلك المصارف العراقية قابلية وإمكانية لتطبيق كل السيناريوهات والفرضيات على بياناتها المالية وذلك

للتنبؤ بالصدمات ممكنة الحدوث.

٤. تُعد إختبارات الضغط من الأدوات المهمة التي تمكن المصرف من التوصل الى مؤشرات الأزمات المحتملة في ظل الظروف المختلفة.

٥. إنّ تعرض المصرف عينة البحث الى سيناريو ارتفاع الديون غير المنتجة للعوائد بنسبة (٢٠٠٪) تبين عدم قدرته على تجاوز الصدمة الناتجة عن هذا السيناريو والذي يُعد مؤشراً سلبياً قد يؤدي إلى انخفاض رأس المال التنظيمي بمقدار المخصص.

ثانياً: التوصيات:

١. تفعيل وتطوير أنظمة وبرامج الإنذار المبكر ومن أهم هذه الأدوات هي إختبارات الضغط للتنبؤ بالمخاطر والأزمات المصرفية قبل حدوثها وبالتالي يمكن الحد من آثارها السلبية أو منعها.

٢. دعم النظام القانوني والمحاسبي وزيادة الشفافية والإفصاح والإمتثال لتعليمات وضوابط البنك المركزي.

٣. زيادة الحد الأدنى لرأس المال المدفوع والمصرح به لتعزيز قدرة المصارف على تلبية الإلتزامات الحالية والمستقبلية التي يمكن أن يتعرض لها.

٤. الإلتزام بمعايير منح الائتمان وعليه يجب على المصارف التي تعاني من أزمة قروض متعثرة أن تتبع سياسة منح ائتمان على وفق الضوابط والتعليمات وتكثف من جهود المتابعة والإستحصال.

٥. الأخذ بالحسبان نتائج إختبارات الجهد ومناقشتها مع الأقسام ذوي العلاقة بإدارة المخاطر لوضع خطط مستقبلية للحد من آثار الأزمات التي من الممكن أن يتعرض لها المصرف والوقوف على نقاط الضعف ومعالجتها.

المصادر:

المصادر العربية

١. تريعة، حنان (٢٠٢٠). «تقييم الملاءة المالية للبنوك باستخدام اختبار الضغط– دراسة حالة المؤسسة العربية المصرفية الجزائر». مجلة الباحث:العدد٢٠ ،ص٧٥٠

٢. تعليمات أختبارات الضغط ، البنك المركزي العراقي / دائرة مراقبة الصيرفة، ٢٠١٨.

٣. التقرير المالي السنوي لمصرف آشور الدولي للاستثمار، ٢٠٢٣.

٤. جاسم، دعاء سعد. (٢٠٢٣) .»اثر إدارة الازمات في تحقيق السيولة المصرفية بحث تطبيقي في عينة من المصارف العراقية الخاصة».مجلة دراسات محاسبية ومالية: ١٨(٦٣): ٣٧١-٣٨١.

٥. حسين، ورود محمد. « دور اختبارات الضغط في الحد من الازمات المالية المصرفية_ دراسة تحليلية في عينة من المصارف العراقية الخاصة»، رسالة ماجستير، كلية الإدارة والاقتصاد، جامعة المستنصرية، العراق، (٢٠٢٣).

٦. الشمري ، صادق راشد وامين ، صلاح الدين محمد. (٢٠١٣) . « متطلبات إنموذج اختبارات التحمل وإمكانية التطبيق في المصارف العراقية ، دراسة إستطلاعية لآراء عينة من موظفي البنك المركزي العراقي « مجلة العلوم الاقتصادية والإدارية ,المجلد ١٩, العدد ٧١: ٣٥- ٥٥.

٧. صندوق النقد العربي «مبادئ إرشادية حول تطوير منهجيات إختبارات لأوضاع الضاغطة لقياس مخاطر القطاع المالي»، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة،٢٠٢١.

٨. عواد، عضيد شياع. «منهجية اختبارات الضغط المصرفية»، الطبعة الاولى، بغداد، (٢٠٢٢).

٩. موسى، شقيري نوري، نور، محمود ابراهيم، الحداد، وسيم محمد وذيب، سوزان سمير. «(إدارة المخاطر)»، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، الطبعة الاولى، عمان، الاردن، ص٣٠١، (٢٠١٢).

المصادر الاجنبية:

1. Basel Committee on Banking Supervision (2009), Principles for sound stress testing practices and supervision, p 01.

2. Basel Committee on Banking Supervision. (2017) . "Stress testing princi–ples, Consultative Document", Bank of international settlements Basel.

3. BSBC;Supervisory guidelines for identifying and Dealing with Weak Banks.(2014). issued by Basel Committee on Banking Supervision.

4. Chorafas, dimitris.(2007). «stress testing for risk control under basell». first edition , copyright published by Elsevier Ltd. All rights reserved the right of dimities chorafas, printed and bound in Great Britain.

5. Jregory,Jon.(2010). «Counterparty Credit Risk –The New Challenge For Global Financial Markets» First Edition– John Wiley & Sons Ltd.

فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية العدد(٨)
السنة الثالثة صفر الخير ١٤٤٦هـ آب ٢٠٢٥م

البنية الصرفية في شعر ابن شُهيد الأندلسي ودور الذكاء الاصطناعي في فهمها وتحليلها

م. مروه عبد الباسط حميد رشيد
جامعة النهرين/ رئاسة الجامعة قسم الشؤون العلمية

المستخلص:

لقد سلطنا الضوء على البنية الصرفية في شعر الشاعر ابن شُهيد الأندلسي، وعلى وجه الخصوص دور التكنولوجيا والذكاء الاصطناعي في فهمها وتحليلها.

إنَّ الهدف من البحث هو فهم كيفية تشكيل البنية الصرفية للشعر ودورها في فهم المعنى الحقيقي والتعبير عن الأفكار والمشاعر بصورة واضحة.

تُبرز أهمية البحث في تقديم نظرة جديدة على فهم وتحليل الشعر الكلاسيكي من خلال تطبيق التقنيات الحديثة، مثل الذكاء الاصطناعي، للوصول إلى تحليلات دقيقة وشاملة للبنية الصرفية وأثرها في الشعر.

إنَّ الفهم العميق للبنية الصرفية يساهم في فهم أعمق للشعر وثقافة الشاعر، وبالتالي يفتح المجال لاستكشاف جوانب جديدة وتحليلات متقدمة للأعمال الأدبية التي تعتمد على هذه البنية.

وبالتأكيد، إنَّ الدمج بين الدراسات الأدبية والتقنيات الحديثة مثل الذكاء الاصطناعي يمثل خطوة مهمة نحو إثراء الفهم والتحليل الأدبي، وقد يساهم في إلهام دراسات جديدة في هذا المجال.

الكلمات المفتاحية: (البنية، الصرف، ابن شُهيد الاندلسي، الذكاء الاصطناعي)

Abstract:

We have shed light on the morphological structure in the poetry of the poet Ibn Shahid Al-Andalusi, and in particular the role of technology and artificial intelligence in understanding and analyzing it.

The importance of the research is highlighted in providing a new look at understanding and analyzing classical poetry by applying modern technologies, such as artificial intelligence, to reach accurate and comprehensive analyzes of the morphological structure and its impact on poetry.

A deep understanding of the morphological structure contributes to a deeper understanding of poetry and the culture of the poet, and thus opens the way for exploring new aspects and advanced analyzes of literary works that rely on this structure.

Certainly, the combination of literary studies with modern technologies such as artificial intelligence represents an important step towards enriching literary understanding and analysis, and may contribute to inspiring new studies in this field.

Keywords: (structure, morphology, Ibn Shahid Al-Andalusi, artificial intelligence)

الخطة:

المقدمة:

١. التمهيد:

- البنية الصرفية لغةً واصطلاحًا.
- التعريف بالشاعر ابن شُهيد الأندلسي.

- دور الذكاء الاصطناعي في تحليل البنية الصرفية.

المحور الاول:

- البنية الصرفية في شعر ابن شُهيد الاندلسي.
- نماذج من قصائد ابن شُهيد تظهر الصيغة الصرفية.

المحور الثاني :

- تحليل للأبيات من حيث القافية والوزن والتوزيع الصوتي.
- تقنيات الذكاء الاصطناعي في تحليل البنية الصرفية:
- خاتمة البحث .
- اهم التوصيات.

المقدمة :

للشعر العربي مكانه خاصة في الأدب على مر الزمان، فهو ديوان العرب الذي حفظ أحداثهم وأيامهم والواقع الذي عاشوه ، والشعر مرآة صادقة تبين ما يدور في موطنه ولا يستطيع الشاعر أن ينفصل عن قضايا حياته ولو عاش في مكان قاسي ولو هاجر إلي أبعد بلاد العالم، وخير مثال على ذلك الشعراء المهاجرين الذين سافروا بأجسادهم، و بلادهم تعيش داخلهم لم ينفصلوا عنها ولو للحظة ويُعدّ ابن شهيد الاندلسي (١٠٠٩-١٠٧٤) من أبرز شعراء العصر الأموي في الأندلس، وقد تميّز شعره بالتنوع والثراء، واهتمّ بشكل خاصّ بالبنية الصرفية، واستخدمها ببراعة في مختلف أغراض الشعر، وسنناقش التركيب الصرفي في شعر ابن شُهيد الاندلسي ودور الذكاء الاصطناعي في تحليلها وفهمها.

ويتنوع الشعر بتنوع بيئته، فإذا كانت البيئة هنية و سهلة رغيدة العيش كان الشعر سهلاً نقياً ، وإذا كانت البيئة قاسية قاحلة صعبة العيش جاء الشعر غليظاً مواكباً لبيئته . و بلاد الأندلس من البيئات الفائقة الجمال، حيث انعكس جمالها على الأدب والشعر بشكل عام «، فقد كانت الأندلس مع نهاية القرن العاشر يسكنها الأمان ووفيرة بالخير ،أرضها خضراء نضرة وبيوتها مرتبة (مكي، ٢٠٠٤، صفحة ٩).

وقد استولت هذه المفاتن الطبيعية على نفوس الشعراء في الأندلس، فغذت قلوبهم وأفكارهم بالجمال ، ومنحتهم وسع الخيال ، وحكمت عقولهم بالرياض الرائعة و الجنان البديعة و الخمائل البهيجة ، و الجداول الفاتنة ، فسمعوا الأشجار المتهامسة ، و الأطيار المتناجية، و الألحان الرقيقة. هكذا كان مقام الطبيعة في الأندلس حيث فاضت على الأدب من روعتها ووفرت حصته من الخيال الدافئ، فازداد الشعر سحراً و جمالاً، وكاد النثر أن يصبح شعراً (حسين، صفحة ٤٠) .

- فكرة الموضوع:

يتطرق البحث الى دراسة التركيب الصرفي في قصائد الشاعر الأندلسي الكبير ابن شُهيد الاندلسي، وذلك باستخدام نظم حديثة وأدوات الذكاء الاصطناعي في تحليلها وفهمها بصورة دقيقة. مما يساعد في فهم الأساليب والأنماط المستخدمة من قبل الشاعر. بالإضافة إلى ذلك دور الذكاء الاصطناعي في تحليل المعاني الدلالية والثقافية في الشعر، وكيف يمكن لهذا التحليل المساهمة في فهم أعمق للنصوص الأدبية. سيساهم هذا البحث في توسيع فهمنا للشعر الأندلسي التقليدي ودور النظم الحديثة في تحليله وتفسيره.

- منهج البحث:

لقد اتبعت في كتابة البحث المنهج الوصفي التحليلي.

- أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في فهمنا للشعر الأندلسي، وذلك لان شعر ابن شُهيد الأندلسي جزءًا هامًا من التراث الأدبي العربي، وفهم بنيته الصرفية يساهم في فهم أعمق لهذا التراث، ويُعد استخدام التكنولوجيا في تحليل الأدب يمكن أن يفتح هذا البحث آفاقًا جديدة لاستخدام التكنولوجيا، مثل الذكاء الاصطناعي، في فهم وتحليل النصوص الأدبية، و يمكن أن يسهم فهم بنية الشعر في تطوير أدوات التحليل الأدبي للاستفادة من التكنولوجيا الحديثة، مما يفتح الباب أمام استخدامات عملية في مجالات مثل الترجمة الآلية وتعليم اللغات.

•أسباب اختيار البحث :

يقدم البحث إسهامًا مهمًا في المجال الأكاديمي والثقافي بالتحليل العميق لبنية الشعر ودور التكنولوجيا في فهمها، كما يساهم في الحفاظ على التراث الأدبي العربي ، ويفتح البحث آفاقًا جديدة للاستفادة من التكنولوجيا في مجالات الأدب واللغة، مما يمكن أن يكون له تأثير إيجابي في العديد من المجالات العملية ، ويسهم في توجيه الاهتمام نحو استخدام التكنولوجيا لحفظ وتفسير هذا التراث بطرق مبتكرة ومتطورة فبهذه الطريقة، يتبنى البحث عنوانًا يجمع بين القيمة الأكاديمية والعملية والثقافية، مما يجعله موضوعًا شيقًا ومهمًا للدراسة والتفكير المستقبلي.

•مشكلة البحث: إن مشكلة البحث تؤدينا الى سؤال مهم

–مادور الذكاء الاصطناعي في تحليل البنية الصرفية.

•حدود البحث:

انحصرت حدود البحث في شعر ومفردات ابن شُهيد الاندلسي.

التمهيد :

إنَّ دراسة الصيغة الصرفية من خلال الذكا ء الاصطناعي يستكشف تقاطعًا مثيرًا بين الأدب الكلاسيكي والتكنولوجيا المتطورة. ويسعى الباحث إلى تحليل البنية الصرفية في شعر ا لشاعر الأندلسي ابن شُهيد، وهو من أبرز شعراء العصر الأندلسي، ودراسة تأثير التطور الاستراتيجي ، و خاصة بالذكاء الآلي ، في فهم هذه البنية وتحليلها.

يمكن أن يتناول البحث عدة نقاط :

١ .البنية الصرفية في شعر ابن شُهيد: يتناول هذا القسم دراسة الأنماط الصرفية والتراكيب اللغوية في شعر ابن شُهيد، مثل القافية والوزن والتوزيع الصوتي للكلمات.

٢ .تطبيق العقل الاصطناعي في تفسير بنية شعر ابن شُهيد: يركز هذا القسم على كيفية استخدام الاساليب المتطورة في الذكاء الآلي لتحليل بنية ا لشعر الصرفية في أعمال ابن شُهيد ، بما في ذلك الكشف عن الأنماط المتكررة والتفاصيل الصرفية المميزة.

٣.استعمال ا لذكاء الاصطناعي في فهم و تحليل البنى الصرفية للشعر، مع التوصيات والاستنتاجات .

بهذه الطريقة، يمكن للبحث أن يجمع بين الدراسة التقليدية للأدب مع التكنولوجيا الحديثة المتطورة ، مما يثري فهمنا للشعر الكلاسيكي ويفتح آفاقًا جديدة للبحث والاستكشاف.

• البنية الصرفية لغة واصطلاحًا:

إنَّ هذا المصطلح اللُّغوي للبنية يدل على الهيئة، ذُكِر في لسان العرب : قيل بِنْيةٌ ، وهي مثلَ: رِشوة رِشًا ، كأن البنيةَ هي الهيئة التي بُني عليها، نحو: المشْية والرِّكْبة، و يقالُ : بنْية، وبنًى و بِنْية و بِنًى ((شنب)، صفحة ٣٦٥) ، أما في المعجم الوسيط فقد قيل عن البنية : البنية هي ما بُني، والجمع بِنًى ، وهيئة الكلمة (العربية، صفحة ٧٢) ، ومنه صيغة الكلمة ، أي: صيغتها « و المعنى اللغوي للفظة (البنية) يقود إلى معناها الاصطلاحي، فالبنية مفرد للأبنية ، وهي: ملاحظة هيئة الكلمة عن طريق الحركة ، أو السكونِ ، أو عدد الحروف ، وترتيب الكلمة، وهي لفظٌ مفرد وضعه الكاتب ، لِيدل

على معنى دقيق ، بِحيثُ متى ذُكِر ذلك اللفظ فُهِم منه ذلك المعنى الموضوع له (الحملاوي، صفحة ١٨) .
يرادف مصطلح البنية (الصيغة، والهيئة)، فقد ورد مصطلح «الهيئة» بمعنى البنية، وقد جاء ذلك في كتاب التطبيق الصرفي (الراجحي، صفحة ٧)، إن العلماء المحدثون في علم الصرف يروون أن هذه البنية لابد من دراستها في الصرف حتى ولو كانت في الجملة ، وذلك بِأنَّ: أيَّ دراسةٍ تتصل بالكلمة أو بإحدى أجزائها و تؤدي إلى خدمة الجملة والعبارة، فهي تؤدي إلى تغيُّر في المعاني النّحوية فكُلَّ دراسة من هذا الباب هي صرف في نظر العلماء المحدثون ، ومن ذلك: تقسيم الكلمة من حيثُ الاسمية و الفعلية (بشر، صفحة ٢٢١) .
وهذا الحديثُ ينبئ أن هذه البنية أنواع:

• بنية النص ، وبنية الجملة، وبنية الكلمة ، ونحن هنا ندرس بنية الكلمة التي تعني عند نُحاتنا صيغتها أو وزنها أو هيئتها المتمثلة في عدد حروفها المرتبة أصلية، و زائدة، و حركاتها ، وسكونها (شريف، صفحة ٢) «و مصطلح البنية الصرفية استخدمه كثير من الباحثين وهم يقصدون به الهيئة الصرفية، ومن أولئك : خديجة الحديثي، التي قالت : أنَّ الأبنية جمع (بناء) والمراد بها هيئة الكلمة التي وضعت عليها، و يمكن أن يشترك فيها غيرها. وهذه الصيغة هي مااشتركت فيها الكلمات من عدد الحروف المرتبة ، والحركات، من ضمة ، وفتحة، وكسرة ، والسكون ، مع الأخذ بعين الاعتبار الحروف الأصلية والزائدة، كل في موضعِهِ .
ففي لفظة (رجل (مثلًا: على (هيئة، وصِفة) يمكن أن يشاركها فيها غيرها من الكلمات مثل: كلمة (عَضُد) ، والفعل (كَرُم) أيضا على ثلاثة أحرف أصلية أولها مفتوح وثانيها مضموم وتدعى هذه البِنية» بناء «أو «هيئةً « أو « صيغة « أو «وزنًا»أو «زِنَةً». و على هذا النحو تكون الابنية مشتملة على : الأسماء المتمكنة، والأفعال المتصرفة .

• ومعنى النص السابق اللّفظة قد تُشَابِه أُخرى في الصيغة أو الوزن، وتختلف معها في المعنى، وهذا يقود إلى تعريف بالاقسام التي تدرسها البنية االصرفية ، وهما موضحان في نَص»خديجة» الأسماء المتمكنة والأفعال المتصرفة (الحديثي) (الرحمن(٢٠٠٢م)، الإنصاف في مسائل الخلاف)

• المبحث الأول: التعريف بالشاعر:

١- اسمه:

عرف بأبي عامر أحمد بن أبي مروان عبد الملك أحمد بن عبد الملك بن عمر بن محمد بن شُهيد بن عيسى بن الوضاح الأشجعي، وقد سمي على اسم جده أحمد ، وكنى بأبو عامر .

٢- ولادته:

لقد ولِدَ أحمد بن شُهيد في قرطبة عام (٣٨٢)هـ في عهد المنصور بن أبي عامر و تربى في الرفاه و النعمة والجاه ، فقد كان ينتمي إلى بيت ثراء ونفوذ وسلطان.

٣- أثر البيئة في ثقافته الأدبية:

كان جد ابن شُهيد وزيرا لعبد الرحمن الناصر، و أول من تسمى بصاحب الوزارتين، وكانت له قيمة كبيرة ومنزلة رفيعة عند عبد الرحمن الثالث ، فتصرف في الوزارة كيفما أراد واكتسب شهرة عظيمة (ضيف، ١٩٢٤، صفحة ٤٣).
وكانت صلتهم ببيت الحاجب قوية و وثيقة، فقد كان ابن شُهيد يسهر في مجالس المنصور، وكان يحمل على أكتاف ابنه عبد الرحمن، وإن كثرة التدليل والمبالغة في الترف ووفرة النعمة انعكست بشكل واضح في نشأة ابن شُهيد، فهو لم يجبر على التعليم، ولم يحمل بشكل جدي على الدرس ومن هنا لم يقبل كثيراً على الحديث والتفسير والفقه والنحو وغير ذلك من العلوم الدينية واللغوية كما كان يفعل معاصروه ، بل اتجه إلى ما يناسب ترفه وانطلاقه ويلائم طبعه وموهبته ، فأخذ يتزود من الأدب قديمه وحديثه ، شعرا ونثرا ، وغاص في بحر الإبداع الذي خلفه الجاهليون والإسلاميون والمشارقة

والمغاربة من الشعر والنثر، وحفظ منه كثيراً ، واكتنز من المعاني والأفكار والصور والأساليب ما منحه طلاقة اللسان ورشاقة القلم منذ صغره .

بدأ ابن شُهيد يقول الشعر في أول عمره وتواصل من خلاله مع الذين يفوقون عليه سناً وفناً، وذلك لمكانة والده ومكانة عائلته، وسرعان ما ذاع صيته، ولم يقتصر إبداعه على قول الشعر، بل كتبة النثر أيضا، و قد تلقى بعض قضايا النقد (جومس، ١٩٩٩، صفحة ٧٠) .

لكن النعم لا تدوم، فعندما بلغ الثالثة والعشرين من عمره ، سقطت قرطبة في يد الأعداء (الاندلسي، د.ت، صفحة ٢٨)، وتعرض ابن شُهيد لصدمة ولم يبلغ الرابعة والعشرين حيث تم زجه في السجن لأن وزيري ابن حمود تعمدا إفساد العلاقة بينه وبين ابن شهيد، وظل ابن شُهيد يستعطفه حتى اطلقه حرا (دحية، ١٩٥٤، صفحة ١٦٠)، وقد توفي بقرطبة ٤٢٦ هـ (دحية، ١٩٥٤، صفحة ١٦٠).

وكان ابن شُهيد من أكثر المتجهين نحو الطبيعة واصفاً سحرها ومصوراً لجمالها وقد انعكس ذلك بشكل واضح في شعره، كما تميز بصفات عُرف بها وضعته في منزلة تميزه عن غيره من الشعراء. وقد انتسب ابن شُهيد إلى مدرسة أدبية ضمت عدد من شباب قرطبة تشابهوا باهتمامهم بالفن وقيمه الجمالية، كما كانوا ينتمون إلى عائلات ذات منزلة اجتماعية عريقة عالية المستوى (جومس، ١٩٩٩)

٤- سمات شعر ابن شُهيد الفنية:

إنَّ طريقة ابن شُهيد تتمثل في عدم الافتخار بكثرة الأخذ عن الشيوخ ، وقد انتقد طرائق التعليم للمؤدبين الذين ساروا عليها ، وعارض النسخ عن الكتب لأنه يلغي شخصية الأديب ، وكانت مدرسة ابن شُهيد تناشد بأن تنفجر طاقة الأبداع الشعري وتكون حرة من القيود، وترى أن الشاعر يعطي ولا يأخذ، أي أن الشعر فطرة لا صنعة، حيث أن مدرسة ابن شهيد كانت أرستقراطية الفكر ، متمسكة جداً بالعروبة وبالتعبير العربي الفصيح، ونتج عن ذلك رفضها للأدب الشعبي المتمثل في الموشحة، و ذلك يرجع إلى الاعتداد بالعروبة وقد كانت دائما ملاحقة لكل ما ينشر في الشرق من تجديد في ساحة الإبداع والتألق الفكري، حيث أن وجه الاختلاف يكمن في أنها كانت تتكبر على هذه التغيرات وتهدف إلي تجاوزها والتميز عليها صابغة إبداعها بلون قومي خالص (دحية، ١٩٥٤، الصفحات ٧٠-٧١).

وتستشهد على ذلك بقول ابن شهيد :

تمنيْتُ أنّي ساكنٌ في غيابةٍ بأعلى مهبِ الريحِ في رأسِ شاهقِ

أدِر سقيطَ الحبِ في فضل عيشةٍ وحيداً وجسي الماء ثنى المفالق (دحية، ١٩٥٤، الصفحات ١٣٣-١٣٤) .

نلاحظ أن الأبيات تشبه الشعر الحديث ، وهي نمط جديد من غنائيات الشعر العربي الأندلسي ، وهو مزيج من موروثات الشعر الشرقي العربي الأندلسي فهو جدير بأن يكون عربياً أندلسيا.

إن عبقرية الشاعر تمكنت من أن تنفرد بالخيال الواسع والأسلوب الرائع ، إضافةً إلي الدقة في التعبير وإيصال المعنى المقصود الذي تشعر به القلوب ، كأنك ترى المعنى بعينك أو تحسه بيدك أو كأنك بجانبه ترى ما يراه وكأنك تنظر في لوحه عذبة تتوضح لك مكوناتها بألوانها المتنوعة.

وسوف نقوم بتحليل الهيئة الصرفية في شعر ابن شهيد الاندلسي، مع التركيز على دور العقل الصناعي في تحليلها وفهمها.

- دور الذكاء الاصطناعي في تحليل البنية الصرفية :

يمكن للذكاء الاصطناعي أن يلعب دورًا هامًا في تحليل البنية الصرفية في شعر ابن شهيد الاندلسي، وذلك من خلال:

- التّعرف على الأنماط الصرفية: إنَّ الذكاء الاصطناعي يمكنه التّعرف على الأنماط الصرفية المختلفة في شعر ابن شهيد، مثل التّنوين والصّفات والأفعال.

– تأويل المعنى: يمكن للذكاء الآلي تأويل المعنى المفهوم من كلّ جملةٍ أو كلمةٍ من شعر ابن شهيد، وذلك عن طريق فهم البنية الصرفية لهذه الكلمات والجمل.

– تصنيف الشعر: يمكن للذكاء الاصطناعي تصنيف شعر ابن شهيد حسب موضوعه أو غرضه أو أسلوبه، وذلك عن طريق تفسير البنية الصرفية لهذا الشعر.

• تطبيقات الذكاء الاصطناعي الخاصة بتوليد النصوص:

هناك تطبيقات تعمل عن طريق تقنية فهم اللغة الطبيعية المعروفة اختصارا بـ(NLG) و تقنية معالجة اللغة الطبيعية ((NLP وهما إحدى تقنيات الذكاء االصطناعي، و دورهما مساعدة الآلة على تعلم وفهم وتوليد ومعالجة اللغة البشرية واستخراج المعلومات منها) و تقنية(NLG) مسؤولة عن تحديد وتمييز نوع المحتوى وتغيير اسلوب كتابة وفقًا لمتطلبات التنسيق ·

يبرمج المطورون الحوكمة بالنسبة للذكاء الاصطناعي لفهم النتاجات الخاصة بالكلمات أو الجمل واتخاذ القرارات بناء على تلك المعلومات المدرجة (الجهني، ٢٠٢٣، صفحة ١٥٦) .

وهي الطريقة التي يتعلم بها الذكاء اتخاذ القرارات. وبذلك ستقوم أداة كتابة المحتوى بالبحث في قواعد البيانات تمر أداة كتابة المحتوى بالذكاء الاصطناعي عادة تحليل البيانات وتقديم الاقتراحات قيد وصولها إلى عملية الكتابة الفعلية . اولا، تبدأ الأداة بهذا التحليل وتعالج كميات كبيرة من المعلومات بناء على البيانات المدرجة مثل: الكلمات الرئيسة ، الجمل والعبارات التي نريد الكتابة عنها. بعد ذلك، ستقترح الأداة مجموعة من فقرات المحتوى لاختيار أفضل اقتراح متوفر لتبدأ الكتابة على هذا الأساس (الجهني، ٢٠٢٣، صفحة ١٥٧).

المبحث الأول:

البنية الصرفية في شعر ابن شُهيد الاندلسي: ومن أهمّ ميزات البنية الصرفية في شعر ابن شُهيد الاندلسي ما يلي: (الدين، ٢٠٠٧):

أولا: استعمال التّنوين: اهتمّ ابن شهيد باستخدام التّنوين بشكلٍ كبير، ممّا أضفى على شعره سلاسةً ونغمةً موسيقيةً جذابة.

• استعمال التنوين لزيادة التأكيد:

مثال: «وَلَا هَمَّ لِي إِلَّا مُكَابَدَةُ الْأَحْزَانِ» (الاندلسي، د.ت، صفحة ٢٨) (يتيمة الدهر، صفحة ٤٣)

لقد استعمل ابن شُهيد الاندلسي التنوين في كلمة «مُكَابَدَةُ» للتأكيد على شدة المعاناة والألم الذي يداهم الشاعر.

• استعمال التنوين لزيادة السهولة:

مثال: «يَتَمَايَلُ فِي أَغْصَانِهَا النَّسِيمُ»

في هذا البيت، يُستخدم التنوين في كلمة «أَغْصَانِهَا» لخلق شعور بالسلاسة والانسيابية في حركة النسيم بين أغصان الشجرة.

• استعمال التنوين لزيادة الإيحاء:

مثال: «وَأَنْتَ مِنَ الْحُسْنِ فِي أَوْجِهِ الْحُسْنِ»

في هذا البيت، يُستخدم التنوين في لفظة « الْحُسْنِ « للإشارة إلى الجمال الذي لا مثيل له، وكأنها تتجاوز حدود الجمال العادي.

وبشكل عام، يُعدّ ابن شهيد من أهمّ شعراء الأندلس الذين أبدعوا في استخدام التنوين، ممّا أضفى على شعره سحرًا خاصًا وتميزًا فريدًا ، ولكن من المهم الإشارة إلى أنّ ابن شهيد لم يخصص أيّ قصيدة أو مقطوعة شعرية كاملة لموضوع

«التنوين».

وإنّما نجد أمثلة على استعماله في مختلف قصائده، سواء كانت غزلية أو رثائية أو وصفية (الاندلسي، د.ت، الصفحات ٢٨,٨٢,٨٤) (يتيمة الدهر، صفحة ٤٣).

ثانيًا: استعمال الصّفات: لقد امتاز الشاعر ابن شُهيد بانتقائه للصّفات بشكلٍ دقيقٍ ومناسبٍ، ممّا أضفى على شعره غنىً في المعنى وجمالاً في التّعبير.

• وصف الجمال:

– من قصيدة «تُسْعدُني منكَ أُخْتُ النّدى»: (الاندلسي، د.ت)

عَيْنَاها مُقْلَتَا رَمْحٍ لِسَلْقٍ وَكَأَنَّ حاجِبَيْها قَوْسُ هَوَى
ثَغْرُها أَرْزَقُ مِنْ رَوْضِ قَطَرٍ وَخَدُّها الوردُ عَلَى الصَّبْحِ هَوَى

• من قصيدة «أَلاَ رَحْمَةٌ مِنْ أَيْقَظَتْ نَوْمَ أَحْشَائِي»: (الاندلسي، د.ت)

عَيْنَاها سَهمَانِ فِي قَلْبِي أَصَابَا وَكَأَنَّ حاجِبَيْها قَوْسُ هَوَى
ثَغْرُها بَرْقُ اللّيْلِ فِي عَتْمَةِ الظُّلْمَةِ وَخَدُّها الوردُ عَلَى الصَّبْحِ هَوَى

وصف الطبيعة: فقد يستنبط عناصر خياله الشعري من مظاهر الطبيعة المحيطة به.

• من قصيدة «أَلاَ رَحْمَةٌ مِنْ أَيْقَظَتْ نَوْمَ أَحْشَائِي»: (الاندلسي، د.ت)

أَفَقْهَا الْمُتَضَوِّعُ بِالشَّفَقِ كَأَنَّهُ أَقْرَحُ مِنْ وَسْمِ الحَسَدِ
أَشْجَارُهَا الْمُتَكَسِّبَةُ مِنْ نَدَى الصُّبْحِ كَأَنَّهَا أَيْدِي الْمُتَسَوِّلِينَ بِالمَوْتِ

• كما يصف السحاب في قوله:

ومرتجز القى بذي الأثل كلكلا وحط بجرعاء الأبارق ما حطا
سعى في قياد الريح يسمح للصبا فألقت على غير التلاع به مرطا (منظور، لسان العرب/المرط: كساء من خز أو صوف أو ك تان، والمرط : كل ثوب غير مخيط . لسان العرب (مرط))

وما زال يروي الترب حتى كسا الربى درانك (منظور، درانك : مفرده درنوك ودرنيك وهو ضرب من الثياب أو البسط، لسان العرب، (درنك)) والغيطان من نسجه بسطا

وعنت له ريح فأسقط قطره كما نثرت حسناء من جيدها سمطا
ولم أر درا بددته يد الصبا سواه فبات الزهر يجمعه لقطا (الاندلسي، د.ت، الصفحات ١٢١-١٢٢)

فهو يتعقب أثر السحاب الثقيل الذى يتحرك ببطء لكثرة مائه في المواقع التى مر بها، في ذي الإثل وجرعاء الأبارق، وكيف ساقته الريح حتى صار وكأنه يرمي ثوبه على هذه المواقع، ثم كيف هطل المطر فغطى الأرض بالوان بهيجة من الثياب والبسط، وكيف نشر رذاذه كما ترش الحسناء خرزات طوقها، إنه أشبه بالدر تنثره ريح الصبا، فيلتقطه النور أو الزهر.

وهكذا يرسم الشاعر هذه اللوحة، وهى لوحة لها صوت والوان وحركة، فالمطر يرافقه صوت الرعد، والالوان نتجت عن فعل المطر للأرض حيث كساها بثوابه ذات ألوان مبهجة، والحركة هي حركة السحاب ((شنب)) وحركة الريح، وحركة الحسناء تنثر لآلئها، والنور يلتقط قطرات المطر، كل ذلك في وصف يعتمد على الحذر في انتقاء عناصر هذه الصورة.

وصف المشاعر:

• من قصيدة «تُسْعدُني منكَ أُخْتُ النّدى»: (الاندلسي، د.ت)

أَسْقَيْتُ مِنْ عَيْنَيْها كَأْسَ الهَوَى وَأَذِقْتُ مِنْ ثَغْرِها رَحِيقَ الوَصْلِ

وَشَكَرْتُهَا عَلَى ما أَنْعَمَتْ فَأَذْكَرَتْنِي بِمَا قَدْ مَضَى مِنَ الوَصْلِ

لقد عرضت تحليل هذه الابيات على تطبيق الذكاء الاصطناعي (ChatGpt) وكانت النتيجة أنَّ الشاعر تميز شعره ببراعته في الوصف، واستخدامه للصور الحسية والمعنوية، وقدرته في تجسيد المشاعر والأحاسيس بكل دقة و روعة.

ثالثًا: استعماله الأفعال: نجد وبشكل دقيق ومناسب استعمال الافعال في شعر ابن شُهيد ممّا أضفى على شعره حيويةً وديناميكيةً.

نستعرض أبيات شعرية لابن شهيد الأندلسي في استعمال الأفعال:

١. من قصيدة «الحمامة»: (الاندلسي، د.ت)

يُسْرِعُ الطَّيْرُ وَيَمْنَعُهُ الشَّوْقُ فَيَرْجِعُ وَلَيْسَ لَهُ بُدٌّ وَيَرْقُصُ وَيَتَمَوّجُ وَيَتَغَنّى وَيَتَضَوّعُ وَيَتَحَدّثُ

صور الشاعر هنا(حالة الطائر) الذي يحاول السفر بسرعة ولكن يمنعه الشوق، فتجبره الرغبة في العودة، مما يؤدي الى حالة من الاضطراب والتوتر ، وقد عبر الشاعر عن طريق الافعال المضارعة التي تدل على الاستمرارية المتغيرة في حالة تخبط الطير بحركاته.

٢. من قصيدة «الزّهور»: (الاندلسي، د.ت)

تَتَفَتّحُ وَتَتَضَوّعُ وَتَتَكَسّى وَتَتَحَلّى وَتَتَكَسّى وَتَتَكَسّى وَتَتَكَسّى وَتَتَكَسّى وَتَتَكَسّى

في هذه الابيات اعطى الشاعر إيحاءً في الاستمرار والديمومة للطائر عن طريق استخدامه للأفعال المضارعة ، حيث يرقص ويتموج ويغني ويتضوع ويتحدث، مما عكس حالة من النشاط والحيوية.

٣. من قصيدة «النّجوم»: (الاندلسي، د.ت)

تَتَأَلّقُ وَتَتَرَنّمُ وَتَتَحَدّثُ وَتَتَكَسّى وَتَتَكَسّى وَتَتَكَسّى وَتَتَكَسّى وَتَتَكَسّى وَتَتَكَسّى

لقد عرضت هذه الابيات على تطبيق الذكاء الاصطناعي المعروف ب(ChatGpt) وقد كانت النتيجة أن الشاعر قد وصف حركة وأفعالًا متتالية، حيث تتألق النجوم، ثم تترنم، ثم تتحدث، وأخيرًا الفعل(تتكسى)، وهذا التكرار والاستمرارية في الفعل يعكسان حالة من الثبات أو الاستمرارية في الفعل.

٤. من قصيدة «الريح»: (الاندلسي، د.ت)

تَتَحَرّكُ وَتَتَسَاوَلُ وَتَتَنَفّسُ وَتَتَحَدّثُ وَتَتَغَنّى وَتَتَكَسّى وَتَتَكَسّى وَتَتَكَسّى وَتَتَكَسّى وَتَتَكَسّى

في هذه الأبيات تصف حركة ونشاطًا متتاليًا للشيء المذكور، حيث تتحرك، وتتساول، وتتنفس، وتتحدث، وتتغنى. يُلاحظ أن الأفعال تأتي مرتبطة بزمنية متوالية ، مما يشير إلى الحركة المستمرة أو النشاط. و يمكن فهم هذا الترتيب كتسلسل لا ينقطع من الأعمال أو الحالات التي يمر بها الموصوف، مما يعكس حالة من النشاط و الحيوية المستمرة .

نلاحظ تميز شعر ابن شُهيد بكثرة استعمال الأفعال، ممّا يضفي على شعره حيوية ووضوح .

المحور الثاني :

- تحليل للأبيات من حيث القافية والوزن والتوزيع الصوتي.

١. مثال على القافية:

قَدْ نَقَرْنَا فَرْقَ مَيْنَاكَ بِنَجْمٍ بَرْقَاءَ مِنْ عَوَالٍ قَدْ مَضَى عَوَالِ (الاندلسي، د.ت)

يظهر انتهاء كل بيت بنفس القافية «عَوَالِ» و»مَضَى عَوَالِ»، مما يبرز الاستخدام المتقن للقافية. (زيدان، صفحة ١٠٠)

٢. مثال على الوزن:

هُزْ لِلشَمْسِ لِلْأَرْضِ قُرُونَ كَزَبْدِ النَّجْمِ يُهْزِزُ الزَّجَرَ (الاندلسي، د.ت)

في هذا البيت يتم الالتزام بنمط الوزن المعروف بـ»كَزَبْدِ النَّجْمِ يُهْزِزُ الزَّجَرَ»، مما يظهر البنية الصرفية للبيت (زيدان).

٣. مثال على التوزيع الصوتي:

رَبِّ إِنَّ رَدْوِي مَا طَاوَلَ النَّاهِدُ إِنْ عَلَيَّ سِوَاكَ رَبَّ اتَّصِلْ (الاندلسي، د.ت)

في هذا المثال، يتم توزيع الأصوات بشكل دقيق لتحقيق الرنين والإيقاع، مما يسهم في البنية الصرفية للقصيدة. (زيدان، صفحة ٩٥)

٤. مثال على القافية والوزن معًا:

أَنَا الَّذِي عَشِقَتْهُ وَهُوَ لَمْ يُسَاوِمْ فِي حُبِّي وَمَا أَنَا بِهِ (الاندلسي، د.ت)

لقد عرضت تحليل هذه الابيات على تطبيق (Gemimi) وكانت النتيجة ، بإظهار الشاعر الالتزام بالوزن الصرفي والقافية في كل بيت، حيث تنتهي السطور الأولى بـ»هُوَ لَمْ» و»وَمَا أَنَا بِهِ»، وتتماشى مع الوزن الصرفي المناسب. (زيدان)

٥. مثال على استعمال الوزن والقافية والتوزيع الصوتي معًا:

أبيات في المديح:

وَلِسَانُهُ لَطِيفٌ كَاللُّؤْلُؤِ وَعَيْنُهُ عَذْبٌ كَاللَّمَرِّ فِي الطَّبُونِ

وَهُوَ الَّذِي بِهِ تَنْبَجِسُ الأَنْفُسُ وَفِي جَمَالِهِ تَبْهَجُ الْمُرُوءُ وَالسُّنُونِ (الاندلسي، د.ت)

التحليل: يتميز كل بيت في القصيدة بالقافية الداخلية، وتتماشى الالفاظ في نهاية كل سطر دون استثناء: «اللُّؤْلُؤِ» و»الطَّبُونِ» و»الأَنْفُسُ» و»السُّنُونِ». (زيدان)

وتتبع الأبيات الوزن الكامل، حيث تتألف كل منها من ستة أقدام، ويتكون كل قدم من وزن مقدّر، مما يعطي للقصيدة إيقاعًا وتناغمًا مميزين.

كما امتاز الشاعر باستعماله للتوزيع الصوتي بشكل دقيق وجميل، حيث يتم توزيع الأصوات والحروف بشكل يخلق انسجامًا وإيقاعًا، مما يضفي على النص جمالية ، وقوة تأثيره على السامع .

هذا التحليل كان نتيجة لعرض الابيات على تطبيق (Gemimi) مما يظهر كيف أن ابن شُهيد الأندلسي يتقن استخدام القافية والوزن والتوزيع الصوتي في شعره، مما يعكس مهارته الشعرية وقدرته على خلق قصائد جميلة ومؤثرة. (زيدان)

تحليل الذكاء الاصطناعي لأبيات ابن شُهيد الاندلسي:

- التعرف على الأجزاء الكلامية : تحديد نوع كل كلمة (اسم، فعل، حرف) ووظيفتها في الجملة.
- تقييم الأسلوب الصرفي: تقييم مدى براعة ابن شهيد في استخدام الأدوات الصرفية المختلف حيث يعالج هذا المستوى تركيب الكلمة العربية وذلك بالاعتماد على برامج التحليل الصرفي التي وفرها الذكاء الاصطناعي ، وهي برامج تعنى بتكوين الكلمات العربية وتميزها من ناحية رياضية تمكن من البناء بإخضاعها لقواعد حاسوبية رياضية تمكن من ضبط المستويات التي تولد البنى الصرفية ودلالاتها (الميساوي، ٢٠٢١، صفحة ١٨) .

البيت:

عَلِمَتْ مَا أُخْفِي مِنْ هَوَى وَأَخْبَرَتْ مَا أُكَلِّمُهَا سَرًّا (الاندلسي، د.ت)

- تقييم الأسلوب الصرفي:
  - استعمل ابن شُهيد الأفعال المضارعة والمبنية ببراعة لخلق شعور بالتفاعل والانسجام .
  - استعمل الضمائر المستترة بذكاء لربط الجمل ببعضها البعض.
  - استعمل الحروف بمهارة لتحديد المعنى وتوضيح العلاقات بين الكلمات (زيدان).

يا دارَ لَذَّاتٍ إِذْ كُنْتُ مُقْبِلاً إِلَيْكِ مِنْ بَعْدِ الهَجْرِ وَالْفِرَاقِ

وَكَانَتْ أَحْبَابِي فِيهَا مُقِيمِينَ وَأَيَّامُ الوصْلِ مَعَهُمْ حَقَاقِ

وَكَانَ الْوَصْلُ بَيْنَنَا مُتَصِلًا وَكَانَتْ أَيَّامُهُ كَلَّهَا بَهَا
فَأَصْبَحَتْ الدِّيَارُ بَعْدَ ذَلِكَ قَفْرًا وَأَصْبَحَ أَحْبَابِي فِيهَا أَشْبَاحًا (الاندلسي، د.ت)

التحليل الصرفي:

– استعمال الكثير من الأفعال الماضية لكي يعبر عن الأحداث التي وقعت في الماضي.

– استعمال بعض الأسماء الموصوفة نحو:«دار اللذات» و « أيام الوصل»، و«الديار القفر» لوصف مشاعره وأحاسيسه.

– استعمل الشاعر بعض الجمل الاسمية مثل: «كان الوصل بيننا متصلاً» و« أصبحت الديار بعد ذلك قفرًا» للتأكيد على معنى الجملة.

– استعمل الشاعر بعض الجمل الفعلية مثل «فأصبحت الديار بعد ذلك قفر

لقد دارت الأبيات حول حزن الشاعر على رحيل أحبّته من الديار التي كانت مسرحًا لذكريات جميلة بـ «يا دار لذّات». عاشها معهم ، وقد وظّف الشاعر بإسلوبٍ غنائيّ حزينٍ يعتمد على التكرار والتضاد والتجسي، وأكّد على حقيقة أيام الوصل الجميلة التي عاشها معهم.

و في البيت الثاني: لقد صوّر شاعرنا الوصل بينه وبين أحبّته كأنه كان متصلاً لا ينقطع «وكان الوصل بيننا متصلاً « ويُؤكّد على شمولية السعادة التي عاشها في هذه الدار «وكانت أيّامهُ كلّها بها».

أما في البيت الثالث فقد كان الشاعر يقلب المشهد رأسًا على عقب، فيُصبح الدار قفرًا بعد رحيل أحبّته «فأصبحت الديار بعد ذلك قفرًا». ويجسّد رحيل أحبّته بتحويلهم إلى أشباح «وأصبح أحبابي فيها أشباحًا».

• تقنيات الذكاء الاصطناعي في تحليل البنية الصرفية:

يمكن استخدامه في تطوير تطبيقات مختلفة لدراسة البنية الصرفية في شعر ابن شهيد، مثل:

• قاعدة بيانات شعرية: يمكن إنشاء قاعدة بيانات شعرية تحتوي على نصوص شعر ابن شهيد، مع تحليلها وتصنيفها حسب الأوزان والقوافي والظواهر الصرفية المختلفة.

• نظام لتصحيح الأخطاء الصرفية: يمكن تطوير نظام لتصحيح الأخطاء الصرفية في شعر ابن شهيد، وذلك من خلال تأويل النصوص الشعرية وتحديد الخطأ الصرفي فيها.

• نظام لترجمة شعر ابن شهيد: يمكن تطوير نظام لترجمة شعر ابن شهيد إلى لغات أخرى، وذلك عن طريق تحليل هذه النصوص وفهم معناها وترجمتها بدقة.

• ميله إلى استخدام الأسماء:

– يُضفي على شعره ثراءً وصوراً شعرية جميلة.

– تتنوع الأسماء من حيث الإعراب والنوع والعدد

مَرَّ بي في فَلَك من ربرَب قَمَرٌ مُبْتَسمٌ عن شَنَب
زَيَّنُوا أَعْلاه بالدُّرِّ كما ثَقَّلُوا أَسْفَلَهُ بِالكُثُب
فازْدَهَتْنِي أَرْيَحِيّاتُ الصِّبا واسْتَخَفَّتْنِي دواعِي طَرَبِي
فَتَعَرَّضْتُ لتَسْلِيمٍ له فإذا التَيَّاهُ لا يَعْبأُ بِي(الاندلسي، د.ت، الصفحات ٩١–٩٢) ((ت٥٤٢هـ)، صفحة ٣٠٩)

يتصف خيال ابن شهيد بنزعته القصصية وقد أكسب هذا البناء القصصي للقصيدة تماسكا، ومنح لأخيلته ارتباطا مع بعضها البعض بحيث أنه ينشئ عالما سحري متكامل، فإن كل بيت هو بمثابة (حجر) يسهم في بناء هذا العالم، فهو يتصور محبوبته ملكا جاء مع أنصاره، وحاشيته أو ملكة متوجة تسير بين جواريها، ونستلم على ذلك من قوله «مر بي في فلك من ربرب»، والربرب –كما جاء في لسان العرب _ القطيع من بقر الوحش، وقيل من الظباء ، وقيل الربرب:

ما كان من العشرة من بقر الوحش. ((ربب))

هكذا يبدأ مشهد الملكة الحسناء بين جواريها، وهذه صورة مطروقة في شعرنا العربي الموروث ، كما ذكر الشاعر: تتضح الصورة عند ابن شهيد في تشبيهه المرأة بالغزال أو ببقرة الوحش تمشي بين أترابها الجميلات، ثم يزيد صورة جمالها ويضاعفه، فيصور المرأة على هيئة جديدة، فهي « قمر « بسام بأسنان ذات « شنب» أي ذات برد وعذرية أو صفاء ونقاء . و في البيت التالي فيشبه أسنانها باللؤلؤ، وأردافها بكثبان الرمل، وهى الصورة الكلاسيكية التى تصف حسن المرأة ، وجمالها . ((شنب))

بعد أن صور الشاعر المرأة في موكب زينتها وصور جمالها، ما نراه يقترب منها، فتنهره، وتقلل من قيمته جاعلة منه مجرد « عبد».

تتتابع جملة من الصور في مطلع النص تندرج تحت مفهوم (الاستعارة التصريحية في الاسم الجامد) في قوله : « مر بي فلك من ربرب» ، « قمر» ، « الدر»، «الكثب» ، « العبد» ، ففي قوله – على سبيل المثال – : « قمر « نراه جاء في الاستعارة بما يناسب المستعار له، فأتت الاستعارة مجردة، وهى نوع أقل بلاغة من باقي أنواع الاستعارة باعتبار أنه يراعي ما يناسب أحد طرفيها، لأنه بذلك يضعف الاتحاد بين الطرفين، وأتى بما يناسب المستعار له، فبعدما جعل محبوبه قمرا قلل من كونه هو القمر نفسه، وجعله يشبه القمر، لأنه أتى بما يلائم . الإنسان، وهو الابتسام .

ورغم ذلك فإن القصيدة، لم تتألف من صور جزئية متباعدة عن بعضها بل إن عناصر الصورة تترابط لتقدم لوحة كاملة، فالمحبوبة عالية المقام، ولذلك هي لا تمشي بمفردها بل يسير معها موكب من الجميلات، لذلك هي بعيدة الوصول كالقمر ، مزينة باللؤلؤ الثمين ، وهذا دليل على ارتفاع مقامها وعلو شأنها.

و هي تنظر إلى الناس كأنهم عبيد، تعلن الحرب على من يمسها بسوء، ولذلك استعمل الشاعر هذه الاستعارة المكنية عندما تتجسد اللحاظ في هيئة إنسان تخاطبه المحبوبة وتطلب من أن يجرد أسلحته من)الظبا) لتحارب هذا « العبد»الذى تجرأ على اعتراض طريقة«الملكة»، وتغزل بها، إذا فالمرأة تتجسد في هيئة جديدة تغني هذا المعنى عندما شبهها الشاعر بجبار قوم.

ومنه فإن المحبوبة تجمع من خلال هذا الخيال المكثف بين أمرين متناقضين فهي من جهة، رقيقة منعمة، مرفهة، متزينة بالجواهر، وهى كذلك«جبار» يفر الرجال من أمامها.

إذن هي قدرة الخيال على جمع النقيضين في صورة واحدة، وهى قدرة الخيال على أن يطرح هذه العلاقة بأسلوب قصصي، أساسه وصف المحبوبة حتى يتمكن القارئ من الإلمام بمظهرها ، على أن الوصف لا يجعل النص ساكنا، ، فالمحبوبة تطل به في مركب ، وهو يعترض طريقها مسلما وهى مندهشة من جرأة هذا «العبد» ، فتأمر المحبوبة لحاظها أن تحاربه، فبدأت هذه اللحاظ تلاحقه، وهو يجري هربا منها محاولا مداراة المحبوبة ومداعبتها.

خاتمة البحث :

وسنورد فيما يأتي أهم النتائج التي عرج إليها الباحث ، وهي:

١– إنَّ البنية الصرفية هي جوهر الأدب ، وهي حجر الأساس في شعر ابن شهيد بشكل خاص، وهي مصدر التميز في شعره.

٢– يمتلك ابن شهيد رؤية نقدية تغني إبداعاته الشعرية و النثرية، وإن مصدر تلك الرؤية هو الوعى في كتاباته، و من خلالها يتم تقييم إبداع غيره من الشعراء والكتاب .

٣– إن ما تردد عند بعض النقاد والقدامى والمحدثين من « إغارة « ابن شهيد على أشعار من سبقه ليس صحيحا ،

لأنه أضاف إلى إلمامه بالتراث الشعري العربي نزعة إلى التجدد والابتكار

٤- اعتمد (ابن شُهيد) على أساليب في بناء صوره الشعرية مختلفة في التعامل مع المصادر الثقافية ، حيث كان يقلب تلك الصور، أو يختصرها، أو يقدمها على شكل صور مفصلة.

٥- تغوص قصائد ابن شهيد في الخيال عندما تستند في بنائها على مصادر غيبية تغني الشاعر بتعابير شعرية عندما تعجز إمكاناته الخاصة.

٦- اهتمام المستشرقين بقيمة المخيلة الشعرية لابن شهيد، وبموقعه المميز في تاريخ القصيدة العربية.

٧- سبق ابن شهيد شعراء الغرب في التعبير عن عالم الأحلام، مما يعتبر سابقا على اكتشافات علم النفس الحديث .

٨- يملك ابن شُهيد قدرة كبيرة على التعبير عن مشاعره الحزينة بأسلوب مُبهر، و يُجسّد ذلك من خلال تحويل رحيل أحبّته إلى أشباح، وهذا يبين قدرته التخيلية والقدرة على التعبير بإسلوب غني بالمعاني والصور لوصف مشاعره ، مما يُؤكّد على مكانته المرموقة بين شعراء العربية.

٩- يعد العقل الآلي الذكي (أداة قوية) في تحليل الأبيات الشعرية من الناحية الصرفية.(**Morphological Analysis**)بطرق متعددة وذلك عن طريق تحليل الألفاظ ، واستخراج الجذور، وتصنيف الكلمات مما يساعد في فهم تركيب الجملة، وتحليل البنية النحوية.

١٠- باستخدام تقنيات التعلم العميق (**Deep Learning**)، يمكن لنماذج الذكاء الاصطناعي تحليل اشتقاقات الكلمات وفهم كيف تطورت الكلمات من جذورها إلى صيغتها الحالية في الأبيات الشعرية.

١١- قد يكون هناك نسبة من الخطأ، حتى وإن استخدمنا الذكاء الاصطناعي ، وهذا يحدث في بعض الأحيان حتى مع الخبراء البشريين ، فهناك نماذج ونظم متطورة حالياً تستطيع تقديم تحليل صرفي جيد ودقيق للشعر العربي ، وقد تكون مساعدة للغاية في الأبحاث اللغوية والتعليمية ، ومع تطور العلوم الحديثة ، من المتوقع أن تتحسن دقة هذه النماذج بمرور الوقت، وتدعم اللغة العربية بصورة أدق .

التوصيات:

تم الوصول الى استنتاجات في تحليل البنية الصرفية في شعر ابن شُهيد الأندلسي باستعمال الذكاء الاصطناعي، يمكن اقتراح العديد من الاتجاهات ، والتوصيات للبحوث المستقبلية في هذا المجال. وإليك بعض الاقتراحات:

١ . توسيع الدراسات على مجموعة أوسع من الشعراء العرب والأدباء الكبار:

يمكن توسيع نطاق البحث لاستكشاف البنية الصرفية في شعراء وأدباء آخرين من العصور الذهبية للأدب العربي، مما يساعد في فهم التقنيات والاساليب الصرفية المتوفرة في فترات زمنية مختلفة.

٢ . تطوير أدوات التحليل الذكي للشعر العربي:

يمكن تطوير وتحسين الأدوات والتقنيات المستخدمة في تحليل البنية الصرفية في الشعر العربي، بما في ذلك تطبيق تقنيات التعلم الذكي، والمعالجة الطبيعية اللغوية بشكل أكثر دقة وفعالية.

٣ . دراسة تأثير التركيب الصرفي على المعاني الشعرية:

دراسة التأثير الذي يمارسُهُ التركيب الصرفي على المعاني، والرموز الشعرية في القصائد، و كيفية تأثير ذلك على تفاعل القراء، والمستمعين مع الشعر.

٤ . الاستفادة من التحليل الذكي لتوليد الشعر الجديد:

توجيه البحوث نحو أنواع (التحليل الذكي) لولادة جديدة للشعر ، باستخدام الأنماط والتوزيعات الصرفية التي تم اكتشافها في القصائد للشعراء الكبار، ودراسة الاساليب الصرفية الحديثة عبر العصور.

٥. دراسة مدى تأثير الذكاء الاصطناعي على النقد الادبي:

دراسة تأثير استخدام التحليل الذكي على عملية النقد الأدبي، وكيفية تغيير وتطور مقاربات النقاد في فهم وتقييم الشعر.

المصادر :

– أدبيات أندلسية، دراسة تاريخية أدبية نصية، د. عبد الله حسين، مكتبة بسملة، الإسكندرية، د.ت.

– الإيضاح، الخطيب القزويني، شرح وتعليق د. محمد عبد المنعم خفاجي، مكتبة الكليات الأزهرية، ط ثانية، ١٩٨٤.

– بلاغة العرب فى الأندلس، د . أحمد ضيف، مطبعة مصر، ١٩٢٤ .

– ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسي، اميليو جرسيه جومس وآخرين، ترجمة د. محمود على مكي، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة (١٠٨)، ١٩٩٩.

– خمسة قرون على خروج العرب من إسبانيا، د. الطاهر أحمد مكي، ضمن: الأندلس: صفحات مشرقة، الكويت، كتاب العربي، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤.

– ديوان ابن شهيد، جمعه وحققه بعقوب زكى، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، (د. ت).

– ديوان امرئ القيس، تحقيق محمد ابو الفضل إبراهيم، ط رابعة، دار المعارف، ١٩٨٤.

– ديوان عمر بن ابى ربيعه، دار القلم ، بيروت لبنان .

– الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، ابو الحسن علي بن بسام الشنتريني (ت ٥٤٢هـ)، تحقيق: إحسان عباس، الدار العربية للكتاب، ليبيا – تونس.

– رسالة التوابع والروابع، تحقيق بطرس البستاني، دار صادر، بيروت، ١٩٨٠.

– الشعر والشعراء، ابن قتيبة، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار المعارف، ١٩٨٢ ، ج/١

– عصر الدول والإمارات: الأندلس، د. شوقي ضيف، دار المعارف، الطبعة الثانية .

– لسان العرب لابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الافريقي المصري (ت٧١١هـ) ، دار صادر – بيروت ، الطبعة الاولى ، (د . ت).

– المطرب من أشعار أهل المغرب، ابن دحية، تحقيق: إبراهيم الأبياري وآخرين، إدارة نشر التراث بالمطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩٥٤.

– يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، ابو منصور عبد الملك الثعالبي النيسابوري، (ت ٤٢٩ هـ) ، شرح وتحقيق: مفيد محمد قميمة، ج/ ٢.

فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية العدد(٨)
السنة الثالثة صفر الخير ١٤٤٦هـ آب ٢٠٢٥م

اسم الفاعل في قصيدة « أمام باب الله» لبدر شاكر السياب
دراسة صرفيّة دلالية

م.د. مهند أحمد إبراهيم
الكلية التربوية المفتوحة / مركز البصرة الدراسي

المستخلص:
يهدف هذا البحث الموسوم (اسم الفاعل في قصيدة « أمام باب الله» لبدر شاكر السياب دراسة صرفيّة دلالية) إلى إظهار فاعلية البنية الصرفية في سياق النص الشعري، ومدى تأثر الدلالة وانزياحها إلى معاني نفسية يرمي الشاعر إليها عن طريق الوعي الشعوري أو اللاوعي، فكان لبنية (اسم الفاعل) دور بارز في إظهار تلك الدلالات السياقية.
سأحاول الوقوف – بداية– على مفهوم المشتقات التي تتوافر عليها لغتنا العربية، و من ثَمَّ الولوج في عالم القصيدة الحديثة نسبياً، الذي يمثل فضاء النَّص الشعريّ الحرّ المتمثل بقصيدة لـ (بدر شاكر السياب) من قصائد ديوانه (المعبد الغريق) و هي قصيدة (أمام باب الله) ، التي سوف يدور البحث في فضائها النَّصيّ .
الكلمات المفتاحية : اسم الفاعل، الدلالة الصرفية، .

Abstract:
This study, entitled «The Active Participle in the Poem ‹Before the Gate of God› by Badr Shakir al-Sayyab: A Morphological and Semantic Study,» aims to highlight the effectiveness of morphological structure within the poetic text, and how meaning is influenced and diverted toward psychological interpretations intended by the poet—whether consciously or unconsciously. The morphological structure of the active participle played a significant role in conveying these contextual meanings .
The paper will begin by addressing the concept of derivatives in the Arabic language, then transition into the relatively modern poetic space, particularly that of free verse poetry. The study centers on a poem by Badr Shakir al-Sayyab, selected from his collection The Drowned Temple, namely «Before the Gate of God», which provides the textual foundation for this research .
Keywords: Active Participle, Morphological(

المقدمــة

تُعَرَّفُ اللغةُ بأنَّها لغةٌ اشتقاقية، وهذه الميزة موجودة في اللغة العربية ومتأصلة فيها، حيث يسهم الاشتقاق اسهاماً فعَّالاً في توسيع آفاق اللغة و مفرداتها، وتنوع الأداء اللغوي بمختلف الألفاظ والأبنية الدالة على المعاني المكنونة في ألفاظها و كلماتها .
وفي هذا البحث الموجز سأحاول الوقوف – بداية– على مفهوم المشتقات التي تتوافر عليها لغتنا العربية، و من ثَمَّ الولوج في عالم القصيدة الحديثة نسبياً، الذي يمثل فضاء النَّص الشعريّ الحرّ المتمثل بقصيدة لـ (بدر شاكر السياب) من قصائد ديوانه (المعبد الغريق) و هي قصيدة (أمام باب الله) ، التي سوف يدور البحث في فضائها النَّصيّ؛ لاستظهار البعد الجمالي و الدلالي لواحد من أنواع المشتقات الصَّرفيّة المتمثل بـ (اسم الفاعل)، وكيفية توظيفه في بِنية النَّص الشعريّ السيابيّ، فكان عنوان البحث (اسم الفاعل في قصيدة « أمام باب الله» لبدر شاكر السياب دراسة صرفيّة دلالية) .
إنَّ التشريح الصَّرفيّ للقصيدة سوف يُخْضِعُ المباني الصَّرفيَّة المتمثلة بـ (اسم الفاعل) للتحليل الصذَرفيّ، وذلك عن طريق رصد المباني الاسمية التي تدلُّ على (اسم الفاعل)، عن طريق عقد علاقة علمية بين علمي الصَّرف و الدلالة في ضمن اطار محدد و هو مسار النَّص الشعريّ المحدد آنف الذكر.

اتخذت المنهج الوصفيّ طريقاً للدخول إلى تحليل القصيدة و رصد مبانيها، و تلك العملية تستند إلى الاحصاء الدقيق لما احتواه النَّص الشعريّ لقصيدة (أمام باب الله) من بِنىً اسمية دلَّت بصيغتها على (اسم الفاعل)، فكان الاحصاء و التحليل أداتين اجرائيتين اعتمدهما البحث .

اشتمل البحث على تمهيد و مبحثين، فالتمهيد كان مدخلاً اجرائياً دار فلكه حول مفهوم الاشتقاق؛ لكون البنية الاساسية التي اعتمدها البحث بنية صرفيّة اشتقاقية (اسم الفاعل) .

أمَّا المبحث الأول فقد كان يتناول الاحصاء و الوصف الدقيقين لما ورد من صيغة (اسم الفاعل) في القصيدة محط البحث، و تصنيف ذلك ، و بيان مورد اشتقاقه من الفعل، و وظيفته في سياق الجملة السيابيّة، فكان عنوانه (وظيفة اسم الفاعل في سياق الجملة) .

و تناول المبحث الثاني بُعْداً دلالياً، فكانت فكرته تدور حول ما يؤديه (اسم الفاعل) من دلالة ايحائية تضفي على النَّص الشعريّ ديمومة و حيوية، مستفادة مما يؤديه المشتق من أدوار من المعاني في توجيه دلالة النَّص السيابيّ ، فكان عنوانه (دلالة اسم الفاعل في قصيدة أمام باب الله) .

ثم جاءت الخاتمة التي تمثل أهم نتائج البحث التي مثلت احساس الشاعر وقلقه ونفسيته المتازمة و المتأرجحة بين الحياة و الموت .

و بعدها قائمة بالمصادر و المراجع، و قد استفدت كثيراً من جملة منها أغنت البحث ووسعت آفاقه، مثل كتاب (نزهة الطرف شرح بناء الأفعال في علم الصرف) لصادق بن محمد البيضاني، وكتاب (معاني الأبنية في العربية) للدكتور فاضل السامرائي، و كتاب (بدر شاكر السياب دراسة في حياته وشعره) للدكتور احسان عباس، و كتاب (بدر شاكر السياب حياته و شعره) لعيسى بلاطة ، و غير ذلك .

التمهيد:

(اسم الفاعل تعريفه ، و اشتقاقه)

اتفق اللغويون قديماً وحديثاً على أنَّ الاشتقاق هو نزع لفظ أو أخذ لفظ من آخر، ويشترطون الاشتراك في الجذر اللغوي لفظاً و معنىً، ويظهر ذلك في بنية اللفظ المشتق؛ ليدلَّ الثاني على معنى الأصل مع زيادة مفيدة أو دلالة جديدة تختلف عن دلالة الأوَّل (١) .

و باب المشتقات من الأبواب الصَّرفيّة التي شغلت مساحة دلاليّة واسعة؛ لتنوع بنيتها تبعاً لمعانيها المتعددة، ومن تلك المشتقات (اسم الفاعل) موضوع بحثنا، و قبل الدخول في صلب البحث لابُدَّ لنا من وقفة تعريفية لبيان ماهية (اسم الفاعل) .

اسم الفاعل :

لغـةً : قال ابن منظور : « الفعل : كناية عن كلِّ عملٍ متعدٍ أو غيرِ متعدٍ ، و قال الليث : و الفعال اسمٌ للفعل الحسن من الجود و الكرم ، قال المبرّد : الفَعال يكون في المدح و الذّم» (٢) .

و قال جار الله الزمخشري في معجمه اساس البلاغة ما نصه : « فعل : هذه فعلة من فعلاتك « ، و الحاصل مما ذُكِرَ إنَّ معنى (فعل) الذي يشتق منه لفظ (فاعل) هو عمل يقوم به الفاعل أو يتصف به .

اصطلاحاً : عُرِّفَ اسم الفاعل بتعريفات عدَّة منها، وقد تتفق جمعيها في المضمون و المصداق ، فهو «كلّ اسم اشتق من مصدره وصيغ على وزن من قام بالفعل» (٣) ، و يعرِّفه الأستاذ مصطفى الغلاييني بقوله :« صفة تؤخذ من الفعل المعلوم لتدلّ على معنى وقع من الموصوف بها أو قام به على وجه الحدوث لا الثبوت»(٤) .

إنَّ اسم الفاعل يقع في قسم الأسماء – في هذه المسألة خلاف بين العلماء – لذلك وضعوا له شروطاً لعمله في الجملة العربية؛ لأنَّ الأسماء ليست عاملة في الأصل، في حين أنَّ اسم الفاعل أكثر تشبثاً بالفعل، فهو يحتوي أحرف الفعل و معناه، و يقع موقع الاسم في الجملة؛ لذا فهو يتأرجح بين الفعلية والاسمية ، فهو يعمل عمل الفعل في الجملة بشروط

معينة، وقد بيّنَ ذلك الدكتور فاضل السامرائي بقوله : « يقع اسم الفاعل وسطاً بين الفعل و الصفة المشبهة، فالأول يدل على التجدد و الحدوث، وأمَّا اسم الفاعل فهو أدوم و أثبت من الفعل ، ولكنه يقصر إلى ثبوت الصفة المشبهة ، فكلمة قائم أدوم من قام يقوم، و لكن ليس ثبوتها مثل (طويل) أو (دميم) أو (قصير)، فإنَّه يمكن التخلص من الحال إلى حال أخرى، بمعنى أنَّ الحال متغيرة منتقلة من حال إلى حال، فالانتقال من القيام إلى الجلوس أو غيره، و لكن لا يمكن التخلص من الطول و القصر أو الدمامة»(٥) ، فالدكتور فاضل السامرائي توسط بين خلاف العلماء؛ لأنَّ صيغة اسم الفاعل تتضمن هذه المعاني و الدلالات، أعني الحدث و الحدوث و فاعله .

وهذا ما يبدو جليّاً من أنَّ الثبوت مختص بالصفة المشبهة ، و أمَّا الحدوث و التجدد فهو ألصق باسم الفاعل، و هذا ما ذهب إليه أكثر النحويين، فقد ورد اسم الفاعل بأنَّه يدل على الحدوث غالباً؛ لأنَّه يدل على المعنى الدائم ، وقد يدل على الحدوث ثم يصبح صفة ملازمة لصاحبه، و هذا ما سنبحثه عند شاعرنا السياب ؛ لنبيّن المعاني و الدلالات المستفادة من استعمال السياب اسم الفاعل في قصيدة (أمام باب الله) .

اشتقاقه :

وقع الخلاف بين العلماء في أصل اشتقاق(اسم الفاعل)، هل اشتقاقه من الفعل أو من المصدر ؟ (٦) ، و هذا الخلاف لا يعنينا شيئاً في هذا البحث ؛ لأنَّ الذي تمَّ التركيز عليه هنا هو دلالات اسم الفاعل و معانيها المستفادة من القصيدة موضع البحث، و هذا الخلاف لا يغيّر شيئاً و لا يؤثر على تلك الدلالات و المعاني.

أمَّا القول المتعارف عليه و الراجح بين العلماء، هو أنَّ (اسم الفاعل) يشتقُّ من الفعل اللازم و المتعدي على حدٍّ سواء، نحو (كاتب، و ظالم) و غير ذلك، و لكنَّ صياغته تتفاوت و تختلف تبعاً لبنية الأفعال، فصياغته من الفعل الثلاثي مختلفة عن صياغته من غير الثلاثي، فالصياغة هنا ترجع بحسب عدد أحرف الفعل، و هي على النحو الآتي :

١ – **صياغته من الفعل الثلاثي** : يشتق (اسم الفاعل) من الفعل الثلاثي على زنة (فاعل) ، نحو (نَصَر، نَاصِر) ، و (فَتَح، فَاتِح) ... و غير ذلك .

٢ – **صياغته من الفعل غير الثلاثي** : و بقصد بغير الثلاثي، هو كلّ فعل كانت عدد أحرفه الأصول تزيد على ثلاثة أحرف، فيشمل ذلك الرباعي و الخماسي و السداسي ، فالرباعي نحو (أَكْرَم – يُكْرِم)،اسم الفاعل منه (مُكْرِم)، والخماسي نحو (انْطَلَق – يَنْطَلِق)، اسم الفاعل منه (مُنْطَلِق) ، والسداسي نحو (اسْتَعْمَل – يَسْتَعْمِل)، اسم الفاعل منه (مُسْتَعْمَل) .

و القاعدة الكلية التي تنطبق على تلك الأبنية في صياغة (اسم الفاعل) هي : يشتق (اسم الفاعل) من غير الثلاثي على زنة مضارعه مع قلب أحرف المضارعة ميماً مضمومة و كسر ما قبل الآخر (٧) .

المبحث الأول

(التوظيف الدلالي لاسم الفاعل في قصيدة « أمام باب الله»)

وظَّفَ السَّياب مختلف البنى الصَّرفيّة عن طريق استعمالات متعددة، و هذه الاستعمالات لتلك البنى الصَّرفيّة تتنوّع تبعاً للوظائف النحوية التي تشغلها البنى الصَّرفيّة؛ لأنَّ التركيب النحويّ لأيّ جملة يعتمد في الدرجة الأساس على معطيات علم الصَّرف، فالأخير يوفر تلك البنى التي تتوافق و المعاني النحوية المراد تركيبها ، لتجتمع الدلالة الصَّرفيّة مع الدلالة النحوية لتكوين بنية كليّة لها دلالاتها الخاصَّة في التعبير عن مشاعر و أحاسيس أراد المتكلم التعبير عنها .

فالشاعر يلجأ لتلك البنى عن طريق الوعي التام أو شبه الوعي للتعبير عن خلجات نفسه و أحاسيسه، ومن تلك البنى صيغ المشتقات، ونخصُّ بالذكر منها – مجال البحث – (اسم الفاعل)، فقد احتل (اسم الفاعل) في قصيدة (أمام باب الله) النصيب الأوفر من تلك المشتقات، فقد ضمّنَ الشاعر السَّياب في قصيدته ستة عشر استعمالاً لـ (اسم الفاعل)، و قد تنوّع ذلك الاستعمال بين ما اشتقَّ من فعل ثلاثي أو غير ثلاثي ، ويمكننا احصاء ما ورد في القصيدة وهو على النحو الآتي :

اسم الفاعل من الفعل الثلاثي	اسم الفاعل من الفعل غير الثلاثي
راعي (يا راعيَ الغَمامِ في الرمال)	مُنْطَرِحاً وردت ثلاث مرات (مُنْطَرِحاً أمامَ بابِكَ الكبير) مرتين ، و (مُنْطَرِحاً أصيحُ، أنهشُ الحجَر)
سامِع (وسامعَ الحصاة في قرارة الغدير)	مُفْجِعُ (وساحِقِ النساءِ أنتَ يا مُفْجِعُ)
صائد (صائدَ الرجالِ)	مُهْلِك (يا مُهْلِكَ العبادِ بالرجومِ و الزلازلِ)
ساحِق (وساحِقَ النساءِ أنتَ يا مُفْجِعُ)	مُوْحِش (يا مُوْحِشَ المنازلِ)
زارِعون (سيوايَ زارِعون أو سيوايَ حاصِدون)	مُذْنِب (وهَلْ يثورُ في حِمَاكَ مُذْنِبُ)
سارِحَة (سارِحَةَ أسوانَا الكسيرة)	مُعَلَّل (كأنني مُعَلَّلٌ من عالَمِ الرؤى)
تائِهون (إليكَ يا مُفْجِرَ الجمالِ تائِهون)	مُفْجِرَ (إليكَ يا مُفْجِرَ الجمالِ تائِهون) (٨)

يلاحظ أنَّ الفعل غير الثلاثي، و هذا التساوي في العدد بين اشتقاقين مختلفين في عدد أحرف الفعل للصيغة نفسها – أعني اسم الفاعل– يؤشر مؤشراً دِلالياً يحيل أحياناً إلى تعمّد الشاعر في المقابلة و التناظر في المعنى و الدلالة التي جاء بها اسم الفاعل في سياق النّص الشّعريّ، أو صدرت تلك المساوات عن طريق مخيلة الشاعر و ما يخفيه العقل الباطن في اللاشعور للتعبير عن نفسيته المضطربة؛ بسبب المرض و نحو ذلك مما يحمله السّياب من أعباء تراكمت طوال مسيرة حياته فأصبحت حاجزاً نفسياً لا شعورياً يفصح عنه بين حينٍ و آخر .

أمَّا فيما يخصّ التركيب النحويّ (الاعرابي) واسهامه في تركيب الدلالة التي بدورها تحيل إلى المعنى المراد من تلك الأبنية، فقد تراوح (اسم الفاعل) بين تلك المواقع ليؤدي وظيفته التي أرا الشاعر الوصول إليها عن طريق التحام البنية الصَّرفيّة مع البنية النّحويّة (التركيبية) فكان الوظائف النّحويّة على النحو الآتي :

١ – الحال :

الحال في النحو: وصف يبيّن هيئة صاحب الحال في حال وقوع الفعل، أمَّا موقعه الاعراب فالنصب، ويعدُّ من الفضلات التي تأتي بعد تمام أركان الجملة، نحو : (جاءَ زيدٌ ضاحكاً)، فـ (ضاحكاً) حال منصوب بيّنَ هيئة صاحبه (زيدٌ) عند وقوع الفعل (جاءَ) (٩) .

وقد استعمل شاعرنا (اسم الفاعل) للدلالة على الحال، ومن وقوعه في الجملة السيابية قوله (مُنْطَرِحاً)، فقد ورد حالاً في ثلاثة أشطر شعريّة، أثنان منها في بداية القصيدة، وهما :

مُنْطَرِحاً أمَامَ بَابِكَ الكَبِيْر(١٠).

إذ كرره مرتين ، و الثالث في نهاية القصيدة، و هو :

مُنْطَرِحاً أَصِيْحُ ، أَنْهَشُ الحجارَ (١١).

إنَّ هذا الاستعمال ينبؤ عن حال السَّيّاب التي وصل إليها فهو منطرح أمام باب الله متضرع إليه متوسل به، يشكو ما وصل إليه حاله من مرض و داء ، وكلُّ هذا أثَّر في نفسيته فبدأ يتضرع، و الانكسار واضحاً في قصيدته، و هذه الحال مستمرة تدلُّ على الحدوث و التجدد ؛ لذا سرت على جسد القصيدة بأكملها حتى ختمها بتلك الحال، فقال :

مُنْطَرِحاً أَصِيْحُ ، أَنْهَشُ الحجارَ

أُرِيْدُ أَنْ أَمُوْتَ يا إلَه (١٢).

فقد قاسى بدر من مرضه و عانى ما عاناه، حتى أشرفت به الحال على الموت ، فحالة المرض و التعب و الإعياء بقيت متلازمة مع السّياب، و كأنَّها وصفٌ ثابتٌ، في حين أنَّ النحاة يقولون أنَّ الحال وصفٌ منتقل أي متغير(١٣) ، و لكنَّ

استعمال السّياب لها بهذه الطريقة جعلها وصفاً ثابتاً، و لكنّ الانتقال فيها نحو الأسوأ ، و هذا ما دلّت عليه شكواه التي يبثها عبر نصه الشّعري .

٢ – النداء :

من أساليب الطلب الذي يستدعي من المخاطب الإقبال أو الانتباه، وينادى عن طريق استعمال إحدى أدوات النداء وقد عدّها بعض النحاة ثمانية أحرف و لكنّها ترجع إلى هذه (يا ، هيا ، أي ،أيا، أ، وا) يتلوها المنادى (١٤) .

استعمل السّياب (اسم الفاعل) في مواقع اعرابية متعددة، غرضها النداء ، من ذلك تركيب النداء المباشر إذ نادى عن طريق الأداة (يا) مع الصفة (اسم الفاعل) فقال :

يَا رَاعِي النَّمَالِ فِي الرِّمَال
وَ سَامِعَ الحَصَاةِ فِي قَرَارَةِ الغَدِيْر
صَائِدَ الرِّجَالِ
وَ سَاحِقَ النِّسَاءِ أَنْتِ يَا مُفَجِّعُ
يَا مُهْلِكَ العِبَادِ بالرُّجُوْمِ وَ الزَّلازِلِ
يا مُوْحِشَ المَنَازِلِ (١٥).

استعمل السّياب (اسم الفاعل) في النّداء عن طريق استعمالات مختلفة ، فمرة يستعمله بذكر أداة النداء : (يَا رَاعِي ، يَا مُهْلِكَ ، يا مُوْحِشَ ...)، و أخرى بحذف الأداة (سَامِعَ الحَصَاةِ ، صَائِدَ الرِّجَالِ ، سَاحِقَ النِّسَاءِ)، فهو لا ينفكُّ عن استعمال صيغة (اسم الفاعل) في نداءاته كلّها، و يؤكد في ذلك أنَّه لا ينسى خالقه (الله تعالى) الذي أنعم على جميع المخلوقات من أصغرها (النّمَالِ) إلى أكبرها، فسبحانه يسمع مناجاة جميع المخلوقات، و لعله يشير إلى معانٍ اسلامية قال تعالى ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾ (إبراهيم : ٣٨) .

أمَّا أسماء الفاعلين الأخرى التي استعملها في النداء فقد استعملها و كأنَّه يريد أن يخبر أنَّ الموت الذي يصيب البشر وما يصيبه جرّاء ذلك من هلاك و فاجعة، كلُّ ذلك من الله تعالى؛ لذا أسند تلك الصفات لله تعالى ، وكل تلك الأحداث تصيب البشر فتوحشه لفراق الأحبة (صَائِدَ الرِّجَالِ ، سَاحِقَ النِّسَاءِ ، مُهْلِكَ العِبَادِ ، مُوْحِشَ المَنَازِلِ) .

٣ – الفاعل :

الفاعل هو من يقوم بالفعل أو يتصف به ، استعمل السّياب من اتصف بالفعل عن طريق صيغة (اسم الفاعل) ، جاء ذلك في قوله :

وَهَلْ يَثُوْرُ فِيْ حِمَاكَ مُذْنِبُ ؟

فقوله (مُذْنِبُ) اسم فاعل من الفعل غير الثلاثي (أذنب)، و هذا الاستعمال يؤشر استعمالاً ذكيّاً جاء به السّياب، و كأنَّه يخبر المتلقي أنَّ استعماله السابق لأسماء الفاعلين (صَائِد ، سَاحِق، مُفَجِع ، مُهلِك ، مُوحِش) هو ليس اعتراضاً أو ثورة على تقدير الله و حكمته، و هل يثور المذنب على سيده ؟ و هنا يخرج الاستفهام للإنكار، و المعنى أنَّ المذنب المعترف بتقصيره لا يثور؛ لأنَّ المرض و الموت هو من قضائه سبحانه و تعالى، فاستعمل (اسم الفاعل) (مُذْنِبُ) فاعلاً للفعل (يثور) و وظَّفه في سياق القصيدة أجمل توظيف .

٤ – الخبر :

الخبر هو الجزء الذي يتمم فائدة الجملة مع المبتدأ (١٦)، و قد استعمل السياب (اسم الفاعل) خبراً في قوله :

سِوايَ زارعون أو سِوايَ حَاصِدُون !
كأَنَّنِي مُمْثِلٌ من عَالَمِ الرَّدَى

فالخبر الأول (زارعون)، و الاستعمال الثاني (حَاصِدُون)، فكلا الاستعمال جاء على صيغو (اسم الفاعل) عن طريق جمع الصفة جمع مذكر سالم؛ لأنَّهما وصفان للعاقل ، والمعنى الدلالي الذي أشرّه السّياب عن طريق هذا الاستعمال أنَّ

غيره يستطيع العمل و الحركة (الزراعة و الحصاد)، فمن يتصف بهذه الصفات فهو في اتمّ صحة وعافية، بدلالة المخالفة و الاستثناء بسواي فهو لا تنطبق عليه الصحة و العافية، فهذه الصفات الحركية لسواه وليست له ؛ لأنَّه مريض مشرف على الموت و الهلاك .

أمّا الخبر المتمثل في الشطر الآخر بصيغة (اسم الفاعل) من الفعل غير الثلاثي (مَثّلَ) فهو قوله (مُمَثِلٌ)، يخبر به عن حاله و يشبّه وصول حاله و ضعفه كأنَّه مبعوث من عَالَم الأموات (عَالَمِ الرَّدَى)، و الرّدى هو الموت، و التشبيه هنا جاء عن طريق الحرف المشبه بالفعل كأنَّ، التي تفيد تشبيه اسمها (ياء المتكلم) المتمثلة بصوت الشاعر الحزين، بخبرها (اسم الفاعل – مُمَثِلٌ)، أمَّا وجه الشبه فهو الهلاك الذي يصيب الانسان عند موته وفنائه، و الشاعر متّجه نحو هذا كلّه، إذ أحسَّ بالموت البطيء الذي سيتحقق له بسبب سوء حاله الصحيّ الذي لا يُرْجى شفاؤه .

المبحث الثاني:

(دلالة اسم الفاعل السياقية في قصيدة « أمام باب الله»)

سياق الكلام هو الوحدة الجامعة لكلّ ما يحيط الخطاب من ظروف نصيّة و غير نصيّة، والذي يهمنا هنا هو العناصر اللغويّة الفعّالة التي تؤدي دوراً بارزاً في اظهار الدلالة اللغوية والمعاني الخفية الرمزية التي يضمرها الشاعر في نصّه الشعريّ، و من هنا جاء هذا المبحث لإظهار الدور السياقيّ الذي لعبه (اسم الفاعل) في توجيه الدلالة السياقيّة و انزياح المعنى نحو الغرض المقصود .

يحدثنا بدر شاكر السّياب عن تجربةٍ شعرية انسانية في قصيدته « أمام باب الله « ، وإذا انطلقنا من العتبة النَّصيّة لعنوان القصيدة لنتمكّن من الربط السياقيّ المباشر لما احتوته القصيدة من أسماء الفاعلين وما دلّت عليه، فالسيّاب لا يلغي فكرة وجود الله سبحانه وتعالى من حساباته، إنَّه مؤمن بقضاء الله و قدرته متيقن أنَّه خلف باب الله، يسمع لمن يقرع هذا الباب، أو هكذا ينبغي أن نفترض ما كان يعنيه السَّيّاب، فالسَّيَّاب نراه يخاطب الله سبحانه فيقول :

مُنْطَرِحَاً أمَامَ بَابِكَ الْكَبِير
أَصْرَخُ فِيْ الظَّلامِ أَسْتَجِير
يَا رَاعِيَ النِّمَالِ فِي الرِّمَال
وَ سَامِعَ الحَصَاةِ فِي قَرَارَةِ الغَدِيْر
أَصِيْحُ كَالرُّعُوْدِ فِي مَغَاوِرِ الجِبَال
كَآهَـةِ الهَجِيْر .
أَتَسْمَعُ النِّـدَاءَ ؟ يَا بُوْرِكْـتَ تَسْمَعُ ؟
وَ هَلْ تُجِيْبُ إنْ سَمِعْتَ ؟

تنتمي هذه القصيدة إلى المرحلة المأساوية التي مرَّ بها السَّيّاب (١٧)، لذا نجد عند السَّيّاب شعوراً قويّاً و كبيراً بالغربة و الوحدة النفسيّة، فالله سبحانه في نظره (راعي) فهو يرعى النمال في الرمال و (سامع) يسمع الحصاة في قرارة الغدير، إلا أنَّ هذا الإله قد نسي السَّيَّاب – على حدّ تفكير الشاعر– رغم صيحاته المستمرة و صراخه الذي وصفه كالرعود في مغاور الجبال، و هذا الصدى من صياح و صراخ لا يحدث إلا صدىً لنفسها أو أنَّها لا تسمع حتى صداها ، و قد عبّر الشاعر عن كلّ هذا بحشد مجموعة من أسماء الفاعلين التي دلّت على حاله و مناجاته (مُنْطَرِحَاً ، رَاعِيَ ، سَامِعَ) فاجتمعت هذه الصفات لتدلّ على حال المناجات و التضرع .

ففي بداية القصيدة يؤكد السَّيَّاب أنَّه منطرح أمام باب الله ، و هذا يعني التعبير عن صورة من صور التذلل و الانسحاق النفسي و إفلاس الذات ، و ها هو يستعرض معاناته و صراعه من أجل أن يكون ماثلاً أمام حضرة الله سبحانه، إلا أنَّه سرعان ما تساوره الشكوك عن طريق الصدى الذي يرجع إليه فهو صارخاً ولكنَّه لا يُسْمَعُ نداؤه و شكواه وإن سمع ! فهو غير مبالٍ به ، و هنا يدخل السَّيَّاب فيما يمكن أن نسميه بحالة الهجر النفسي أو الروحي، و هذا يعني أنَّه يعتقد أنَّه

مهجور من قبل الكون كلّه و مَنْ به ! و هو هنا يقارن بين حاله و بين الكائنات الصمَّاء، و يرى أنَّ تلك الكائنات تحيا بإرادته و رعايته في حين أنَّه يعيش في حالة هجرٍ و نبذٍ و رفضٍ لكلّ مقومات الحياة .

أمَّا في المقطع الثاني من القصيدة فنجد تحولاً و تغييراً في نبرته السابقة، لنرى إذن ما تلك النبرة التي يناجي بها بدر الإله ؟؟ ، إذ يقول :

صَائِدَ الرِّجَالِ
وَ سَاحِقَ النِّسَاءِ أَنْتَ يَا مُفَجِّعُ
يَا مُوْحِشَ المَنَازِلِ
مُنْطَرِحاً أَمَامَ بَابِكَ الْكَبِيْر
أَحُسُّ بِانْكِسَارَةِ الظُّنُوْنِ فِي الضَّمِير
أَثُوْرُ ؟ أَغْضَبُ ؟
وَ هَلْ يَثُوْرُ فِي حِمَاكَ مُذْنِبُ ؟ (١٨).

حين ننعم النظر في النصّ الشعريّ السابق يلحظ المتلقي تصاعد نبرة أخرى اختلفت شيئاً ما (١٩)، فهي في نظر السَّيَّاب صار الله عدواً للإنسان، فهو صائد للرجال، و هو ساحق للنساء، إنَّه إله سادي يتلذذ بتعذيب خلقه من البشر فحسب دون غيرهم، و قد جاءت هذا الدلالة مستوحاة من استعمال السياب أسماء الفاعلين واقحامها في نصّه الشعريّ.

و تستمر الدلالة العدوانية – في نظر الشاعر – لتنجرَّ حتى على الكوارث الطبيعية التي لا تأتي إلا للإنسان، إنَّه مهلكهم و غايته هي خلق الوحشة في المنازل (مُوْحِش المنازل)، لقد خابت كلُّ ظنون السَّيَّاب في الله، فهو لا يدري ما يفعل ، أيثور ؟ أيغضب ؟ فهو يعود إلى النتيجة المؤلمة و المحزنة ، وهي أنَّ المذنب ليس من حقِّهِ أن يثور في حمى الله سبحانه و تعالى ، إنَّه يسيطر عليه الشعور بالذنب، إذن ماذا يريد بدر من هذه الحياة ؟ و ماذا يريد من الإلهه أن يفعل له كي تكون حياته مستقرة ؟ أو بعبارة أخرى هل يريد أن يصل إلى ما نسميه بلغة علم النفس بـ (الشعور بالرضا)، فيقول بدر :

لَا أبْتَغِي مِن الْحَيَاةِ غَيْرَ مَا لَدَيَ
الهَوْي و الغِلَالُ يَزْحَمُ الظَّلَامَ في مَدَاه
وَ حَقْلِيَ الحَصِيْدِ نَامَ فِي ضُحَاه
نَفَضْتُ مِن تُرَابِهِ يَدَاي
لِيَأتِ فِي الغَدَاةِ
سِوَايَ زَارِعُوْنَ أوْ سِوَايَ حَاصِدُوْن !
لِتَنْشُرَ القُبُوْرَ و السَّنَابِلَ و السُّنُوْن !
أُرِيْدُ أنْ أعِيْشَ فِي سَلَام
كَشِمْعَةٍ تَذُوْبُ فِي الظَّلَام
بِدَمْعَةٍ أمُوْتُ وَ ابْتِسَام (٢٠).

تلك هي رغبات السَّيَّاب و حاجاته و طموحاته في حياته، يكشفها عن طريق انتمائه المتأصل بالأرض، الأرض التي يعبر عنها بمفهومه القروي إن صحَّ التعبير، الأرض ذلك الرمز الذي يعبر عن الحياة فهي المصدر الرئيس لحياة الريفيّ القرويّ، فبدونها و بدون ما تنتجه لا يمكنه البقاء أو العيش ، و بالنتيجة الحياة تنعدم و تتصحر عنده، و السَّيَّاب هنا يكشف عن هذا التعلق بالأرض وبشكل الحياة التي ترافقها، زراعة الغلال و مجاري الأنهار، فهي عصب الحياة في تلك الأرض التي تعلَّقَ بها، فالسَّيَّاب في هذا المقطع يصبُّ شكواه من أنَّه لم يتمكن من مزاولة أعماله التي أعتاد عليها !! و سواء أكان هذا المقطع صورة تمثل رغبته أم هي صورة تعبر عن حال آخرين غيره فالأمر سيَّان، إذ مثلت الثيمة الأساس في هذا المقطع أسما الفاعل في قوله (سِوَايَ زَارِعُوْنَ أوْ سِوَايَ حَاصِدُوْن) فهما الصورة النابضة في الحياة الريفية التي أكَّدَ عليها الشاعر

التي تظهر قضية الانتماء إلى الأرض، و سواء أكان الزارع أو الحاصد هو أو غيره فالمحصلة النهائية واحدة .
إنَّ طموح السَّيَّاب هو أنَّه لا يريد لهذه الأرض أن تتصحر و أن يعمل الانسان ما بوسعه من أجل استمرار الحياة، من هنا نلحظ رغبة بدر أن يكون شمعة تذوب في الظلام ، ومع كلّ هذه النرجسيّة الواضحة على عبارات الشاعر إلا أنَّها تعبر عن وجهة نظر خاصة بالشاعر و هي فكرة الفداء أو التضحية و الإيثار ، فالشمعة تذوب لتبدد الظلام ، ويستمر السَّيَّاب بإيصال مفهوم الرغبة التي تساوره و هي العيش على النحو الذي يؤمن السكينة و السلام ، إنَّه يريد أن يحيا بسلام و هي ما يعرف بعلم النفس الوصول إلى حالة الرضا عن الذات و الرضا عن الحياة، فهي صورة جميلة تحمل كلّ معاني القناعة في العيش .
ثمَّ يستطرد بدر في بثّ شكواه ووصف حاله منطرحاً أمام باب الإله، إذ قال :

تَعِبْتُ مِنْ تَوَقُّدِ الهَجِيْر
أُصَارِعُ العَبَابَ فِيْهِ والضَّمِيْر
وَمِن لَيَالِيَّ مَع النَّخِيْلِ وَالسِّرَاجِ وَالظُّنُوْن
أَتَابِعُ القَوَافِي
فِي ظُلْمَةِ البِحَارِ وَالفَيَافِي
وَفِي مَتَاهَةِ الشُّكُوْكِ وَ الجُنُوْن

إنَّ صورة الألم و التوجع و العذاب و التعب بادية على النص، واضحة المعالم بصريح العبارة، فهناك ثمة صراع يعيشه الشاعر، صراع بين رغبات الأنا و هيمنة الضمير و ضغوطات الحياة، فالسَّيّاب يعيش الاغتراب الدائم أو لنقل يراوده الهاجس الذي يدل على هذا الصراع، و هذا ما رحق السياق النصيّ مع كلّ نبضة من نبضات قلبه المتعب بالآلام ، فأصوات أمواج البحار لا تفارق سمعه، فهي تشبه طنيناً مملاً و مزعجاً ، فالشاعر في صراع معه، فهو يمكث بين مطرقة الأمواج و سندان الضمير، فالبحر يرمز لديه بالضياع الكبير، و المتاهة الكبرى، فهو يعيش في أكبر متاهة على وجه الأرض، و لا يعرف لها استقرار، و هذا ما انجرَّ على أحاسيسه و مشاعره، فهزال السَّيَّاب جاء جرَّاء ضمير قلق و مزعج، ضميره لا يهدأ أبداً، فهو يشبه المحرار الذي يؤشر ارتفاعاً و انخفاضاً حين تختل أنساق القيم خارج الذات أو في داخلها .
فالسَّيَّاب يصوّر حاله أنَّه دخل في عالم الجنون، أو الوقوع فيما يمكن أن نسميه بـ (فوبيا الجنون) Lyssophobia) ، و هو خوف أشد التصاقاً بالمرض ، يصاب به الانسان و هو يعتقد أنَّه سوف يلحقه الجنون، السَّيَّاب يخبرنا أو يجبرنا إلى تبني فكرة واضحة عنه، فجبروت الضمير ، والصراع مع العباب، و الليالي مع النخيل، تؤشر واحدة من مؤشرات الوحدة النفسية، و السراج صديق المتوحدين في غربة العالم التي تهيمن عليه ظلامية الظنون، و ما يدريك ما الظنون !! فهي تسبب الألم و الأوجاع، فهو في متاهة ملاحقة القوافي في ظلمة البحار و الفيافي، إنَّها متاهة الشكوك التي تؤدي إلى الجنون .
أليست هذه العبارات مؤشراً واضحاً على أنَّ بدراً اقترب من حافة الجنون و هو ذاهب إلى الطبيب، أو يفقد المريض احساسه بالصبر ويكون كلامه هذاءً Delusion من هذاءات العدم، Nihilism و هذا هو التعريف العلمي لهذا الاضطراب النفسي (٢١).
فالسَّيَّاب يضعنا أمام تجربته الشعورية و لكن عن طريق لغة شعرية تنبع في صميم هذا المعنى.
وحين ننتقل إلى المقطع الآخر الذي يصور فيه السَّيَّاب حاله في العودة إلى اليد الحنون، مستفيداً من أسماء الفاعلين حين ضمنها سياقات القصيدة فقال :

أَسْعَى إِلَى سَدَّتِكَ الكَبِيْرَة
فِي مَوْكِبِ الخُطَاةِ وَالمُعَذَّبِيْن
صَارِخَةً أَصْوَاتَنَا الكَسِيْرَة
خَنَاجِرًا تُمَزِّقُ الهَوَاءَ بِالأَنِيْن

وُجُوهُـنَاالـيَـبَـاب
كأنَّها مَا يرْسُمُ الأطْفَالُ فِي التُّـرَاب
لَـمْ تعْـرِفِ الجَـمَالَ وَ الوَسَامَة
تَـقَـضَّـتِ الطُفُـوْلَةُ، انْطَفَا سَـنَـا الشَّـبَـاب
وَ ذَابَ كالغَـمَـامَة
وَ نَحْنُ نَـحْـمِـلُ الوُجُوْهَ ذَاتَهَا
لَا تَـلْفِتُ العيونَ إذ تَـلُـوْحُ لِلعُـيُـوْن
وَلَا تَشِفُّ عِـنْ نُـفُـوسِنَا، وَلَيْسَ تعْكِسُ التِفاتَهَا

في هذا المقطع يرسم السياب معالم عذابه و يخط عذاب من شاكله، و هذا أنعمنا النظر في النصّ نلحظ الصورة الحركية التي يوظف فيها اسم الفاعل ، فصورة الموكب الذي سار بـ (الخُطَاةِ وَالمُعَذَبِيْن) يذكرنا بكلمات الصوفيّ حين تبدأ يقظته الروحية و يبدأ صراعه مع أناه و ذاته، المهم في هذا المقطع هو عطشه الروحي الذي يجتاح شعوره بأنَّه بعيد و مهجور، بل هو أوّل المهجورين في هذا العالم حسبما تصور، فلا طعم للحياة و لا رضا عنها، فهو الأجدب و هو اليباب و الصحراء نفسها، و لكن لا يوجد مَنْ يسمع أنينه و يحسُّ بشكواه، حينما يصدحُ بها (صَارِخاً) .

و في المقطع التالي يتوّج السَّيَّاب حيرته و ضياعه، إذ قال :

إلَيْكِ يَا مُفَجِّرَ الجَمَالَ، تَائِهُوْن
نَحْنُ تَهِيْمُ فِي حَدَائِقَ الوُجُوْه . آهْ
مِنْ عَالَمٍ يرَى زَنَابِقَ المَاءِ عَلَى المِيَاه
وَلَا يَـرَى المَحَارَ فِي القَـرَار
واللُؤْلُـؤُ الفَـرِيْـدُ فِي المَحَار
مُـنْـطَرِحًا أَصِيْحُ ، أَنْهَشُ الحِجَار
أُرِيْـدُ أَنْ أَمُوْتَ يَـا إلَـه

فالسَّيَّاب ينادي (مُفَجِّرَ الجَمَالَ) إنَّه تركيب مكون من اسم الفاعل (مُفَجِّرَ) وهو يدلُّ على القوة و الانفجار من جهة و الجمال و الفتنة من جهة أخرى بإضافة (الجمال)، فالذي لديه تلك القدرة هو الله سبحانه وتعالى فالتضرع بادياً عن طريق هذا التركيب، فالذي يحمل في حضوره قوة خارقة تعبر الحدود و تظهر كلَّ ما هو جميل هو الذي ينقذ الانسان التائه (تَائِهُوْن)، فالشاعر في هذا المقطع يركز على زيف العالم من حوله، فالوجوه التي حوله هي وجوه مزيفة و يقبع وراءها ألف وجه، لا يدري الشاعر إلى أي وجه يتكأ ليشعر بالخلاص أو الأمان، حتى أنَّه لا يرون اللؤلؤ في المحار، حتى المحار تائه في أعماق البحار فكيف باللؤلؤ الغائص فيه .

إنَّ الشاعر ينهش الحجار و هذا التركيب دال على عمق المأساة التي يعيشها بدر، لقد دبَّ اليأس به لدرجة أنَّه يصرخ و بدلاً من أن ينام في حماه تمنى الموت؛ لأنَّه لم يسمع الإله نداءاته و لم يرى كيف نهش الحجر(٢٢) .

وقد رأينا أنَّ تلك الدلالات المستفادة في النصّ الشعريّ السَّيَّابيّ قد انصبت مجتمعة في سياق القصيدة لتبرهن الدور الأساس الذي لعبه أسماء الفاعلين، إذ استطاع السَّيَّاب أن يتكأ على محاور متعددة المعاني في المقاطع السابقة ليبني لنا نصاً محكماً عبَّرَ فيه عن حاله، فهو يسبر غور أعماق نفسه المضطربة التي عانت من المرض ما عانت، فبث الشكوى و الدعاء و التضرع و الانكسار كان بادياً في أنساق القصيدة كلِّها .

الخاتمة:

تُعَدُّ قصيدة (أمام باب الله) من أروع قصائد السَّيَّاب في ضمن ديوانه (المعبد الغريق) ؛ لأنَّ هذا الديوان كتبه السَّيَّاب في أواخر حياته، فصائده تنتمي إلى ستينيات القرن الماضي، و هي المرحلة الأخيرة من حياة الشاعر إذ توفاه الله تعالى في

عام ١٩٦٤م ، فتُعدُّ من القصائد التي مثّلت مرحلة النضج الفكري و الفني لقصائده .

أمَّا أهم نتائج البحث فكانت على وفق الآتي :

١ – وصف السَّيَّاب حاله بأنَّه (مُنطرحاً) ليدلّ على الثبات عن طريق استعمال بنية (اسم الفاعل)، وهذا الوصف (اسم الفاعل) قد شابه دلالة الحال على التغيير نحو الأسوأ؛ بسبب حاله الصحية فهي لا تنتقل لحال الصحة و إنما تراجعت شيئاً فشيئاً .

٢ – استعمل شاعرنا (اسم الفاعل) في وظائف نحوية متعددة، وهي : (حال ، منادى ، فاعل ، خبر)، وهذه الاستعمالات المتعددة تنبؤ عن وظائف نحوية قد شغلتها بنية صرفيّة (اسم الفاعل) أدَّت دلالتها بكلِّ وضوح ، و هذا ما يدلُّ على مقدرة السَّيَّاب اللغوية في صياغة المعاني عن طريق البنية المناسبة لها .

٣ – دلَّ استعمال (اسم الفاعل) في سياق القصيدة دلالة لا تقبل الشكَّ عن حال السَّيَّاب النفسية المضطربة؛ وذلك بسبب المرض الذي سيطر على أركان جسده ومنعها من القيام بوظائفها على أكمل وجه، مما جعله يبث الشكوى عن طريق البنية الصرفيّة (اسم الفاعل) .

٤ – لم ينفكّ السَّيَّاب عن الأعراف الدينية ، فاستعمل (اسم الفاعل) في الدعاء و التضرع إلى الله، ثمَّ التسليم بقضاء الله و قدره ، فجاء (اسم الفاعل) في تراكيب عدّة ليدلّ على ذلك (وهلْ يثورُ في حماكَ مُذْنِبُ)، (يا سَامِعَ)، (يا راعِي)، إليكَ يا مُفَجِّر الجمال تائهون) .

٥ – وجَّه السَّيَّاب خطابه في اللاعي إلى الطبيب ، ولكنَّه لا يدري بسبب هذيانه ، أ هو الطبيب الذي يعالجه أم الإله القادر على كلِّ شيء .

٦ – ختم القصيدة بتكرار حاله، و من المعاني الدلالية التي يدلُّ عليها التكرار هو التوكيد؛ لذا فالسَّيَّاب يؤكد أنَّ حاله متضرعاً أمام باب الله عن طريق تكرار بنية اسم الفاعل (مُنْطَرِحاً) ، و هو مشرف على الموت (أريدُ أن أموتَ يا إله) .

الهوامش

١– ينظر : شرح ابن عقيل ٢ / ١٣٤ ، و ينظر : المفتاح في الصرف ، الجرجاني ٥٦ .

٢– لسان العرب (فعل) .

٣– نزهة الطرف شرح بناء الأفعال ١ / ٧٨ ، و ينظر : تصريف العِزّي ، الزنجاني ٩٥ – ٩٦ .

٤– جامع الدروس العربية ١ / ١٧٨ ، و ينظر : التحليل الصرفي ، ياسين الحافظ ١٢٢ .

٥– معاني الأبنية في العربية ٤١ .

٦– ينظر : المهذب في علم الصرف ٢٠٦ .

٧– ينظر: تصريف العِزّي ١٧٠ – ١٧١ .

٨– ينظر : المجموعة الكاملة ، السياب ، قصيدة (أمام باب الله) ١٢٩ – ١٣١ .

٩– ينظر : شرح ابن عقيل ٢/ ١٤٥.

١٠– المجموعة الشعرية الكاملة ١٢٩ .

١١– المصدر نفسه ١٣١ .

١٢– المصدر نفسه الصفحة نفسها .

١٣– ينظر : شرح ابن عقيل ٢ / ١٤٥ .

١٤– ينظر : أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ٤ / ١ – ٩ .

١٥– المجموعة الكاملة ١٣٠ .

١٦– ينظر : شرح ابن عقيل ١ / ١٦٨ .

١٧– ينظر : بدر شاكر السياب حياته و شعره ، عيسى بلاطة ١٣١ و ما بعدها .

١٨– المجموعة الكاملة ١٢٩ .

١٩– ينظر : بدر شاكر السياب شاعر عصر التجديد الشعري ٢٣ .
٢٠– المجموعة الكاملة ١٢٩ – ١٣٠ .
٢١– الموسوعة المختصرة في علم النفس و الطب العقلي ١٣٧ .
٢٢– هذه الدلالات الصوتية التي استعملها السياب تعدُّ من الوسائل التعبيرية فالصراخ له وقع تعبيري في نفسية السياب يبث الشكوى عن طريقه، وينظر : مفهوم الشعر عند السياب ٥٧ – ٦٣ ، و ينظر : بدر شاكر السياب دراسة في حياته و شعره ٢٧٦ .
٢٢ – ينظر : الأسماء المشتقة بين الدلالة الصرفية والوظيفية النحوية أسم الفاعل (أنموذجاً)٤١٥ وما بعدها، أ.م.د. موسى حسين الموسوي (بحث) مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والانسانية / جامعة بابل، نيسان ٢٠١٥م .

المصادر و المراجع

أولاً : القرآن الكريم .
ثانياً : الكتب :
• الزمخشري ، أبو القاسم جار الله ، تحقيق : محمد باسل عيون السود (١٩٩٨م) أساس البلاغة ، ط ١ ، لبنان – بيروت ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية .
• الأنصاري ، أبو محمد عبدالله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبدالله بن هشام ، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ومعه كتاب عدّة السالك إلى تحقيق أوضح المسالك وهو الشرح الكبير من ثلاثة شروح لمحمد محيي الدين عبد الحميد ، ط ١ ، لبنان – بيروت ، د ت .
• بلاطة ، عيسى ،بدر شاكر السياب حياته و شعره (١٩٨٧م)، ط٤ ، العراق – بغداد ، دار الشؤون الثقافي وزارة الثقافة و الإعلام العراقية .
• عباس ، إحسان ، (١٩٩٢م) ، بدر شاكر السياب دراسة في حياته و شعره ، ط ٦، الأردن – عمّان، المؤسسة العربية للدراسات و النشر .
• السامرائي ، ماجد صالح (٢٠١٢م) ، بدر شاكر السياب شاعر عصر التجديد الشعري ط ١، لبنان – بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية .
• الحافظ ، ياسين (١٤٣٩ هـ ، ٢٠١٨ م)، التحليل الصرفيّ ، ط ١ ، سورية – دمشق ، الناشر دار العصماء .
• الزنجاني ، عبدالوهاب بن ابراهيم (٢٠١٦م) ، تصريف العِزّيّ ، ضمن كتاب مجموعة الصرف و حواشيها، ط ١، لبنان – بيروت ، الناشر دار نور الصباح .
• جامع الدروس العربية ، مصطفى الغلاييني ، راجعه د . عبد المنعم خفاجة ، منشورات المكتبة العرية ، صيدا – بيروت ط ٣٠ ، ١٩٩٤ م .
• العقيليّ ، ابن عقيل (٢٠١٠م)،شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ومعه كتاب منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل لمحمد محيي الدين عبد الحميد، ط ٢ ،لبنان – بيروت ، الناشر شركة بهجة المعرفة .
• جعفر ، عبد الكريم راضي (٢٠٠٨م)،مفهوم الشعر عند السياب ، عبد الكريم راضي جعفر ، العراق – بغداد ، الموسوعة الثقافية ، دار الشؤون الثقافية العامة .
• السياب ، بدر شاكر (٢٠٠٣م)، المجموعة الكاملة ، د ط ، مصر – القاهرة ، دار الوحدة .
• الجرجاني ، عبد القاهر (٢٠١٦م)،المفتاح في الصرف ، ضمن كتاب مجموعة الصرف و حواشيها، ط ١، لبنان – بيروت ، الناشر دار نور الصباح .
• السامرائي ، فاضل صالح (٢٠٠٧م) ،معاني الأبنية في العربية ط ٢، الأردن – عمّان، دار عمّار للطباعة والنشر .
• شلاش ، طه هاشم وآخرون (٢٠١١م) ، المهذب في علم التصريف ، ط ١، بيروت – لبنان ، مطابع بيروت الحديثة .
• الموسوعة المختصرة في علم النفس والطب العقلي ط١، جمهورية مصر العربية – القاهرة ، دار المعارف للطباعة والنشر .
• الأفريقي ، ابن منظور (١٩٩٨م) ، لسان العرب ، تعليق علي شيري ،ط ١، لبنان – بيروت ، دار إحياء التراث العربي .
• البضاني ، صادق بن محمد (١٣٢١هـ) ، نزهة الطرف شرح بناء الأفعال في علم الصرف ، د ط ، لبنان – بيروت ، دار احياء التراث .
ثالثاً : الدوريات :
• الموسوي ، أ.م.د. موسى حسين (٢٠١٥م) ، الأسماء المشتقة بين الدلالة الصرفية والوظيفية النحوية أسم الفاعل (أنموذجاً)،(بحث) مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والانسانية / جامعة بابل .

فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية العدد(٨)
السنة الثالثة صفر الخير ١٤٤٦هـ آب ٢٠٢٥م

المسؤولية الجنائية الناشئة عن المخدرات الرقمية
«دراسة مقارنة»

م.د. محمد أسعد وهيب
الجامعة العراقية/كلية التربية للبنات

المستخلص:
يتناول هذا البحث ظاهرة المخدرات الرقمية من حيث نشأتها، طبيعتها، وخصائصها، مع بيان المسؤولية الجنائية المترتبة على استخدامها أو الترويج لها، كما يناقش دور الأسرة والإعلام وموقف التشريعات العربية والأجنبية من هذه الظاهرة الجديدة.
الكلمات المفتاحية: المخدرات،المسؤولية الجنائية، أثر الأسرة،الإعلام،موقف التشريعات.

Abstract :
This study examines the phenomenon of digital drugs, their origin, nature, and legal implications. It also explores criminal responsibility for their use and promotion, and discusses the role of families, media, and the stance of Arab and foreign laws on this emerging issue.
Keywords: drugs, criminal responsibility, family influence, media, legislative position.

المقدمة:
في ظل التطور السريع للتكنولوجيا ووسائل الاتصال، لم تعد الجرائم التقليدية وحدها هي ما يشغل اهتمام المشرّع ورجال القانون، بل ظهرت أنماط جديدة من الجرائم المرتبطة بالعالم الرقمي، ومنها ما يُعرف بـ»المخدرات الرقمية»، وهي ملفات صوتية يتم الترويج لها عبر الإنترنت بزعم قدرتها على التأثير في الحالة النفسية والعقلية للمستمع، تمامًا كما تفعل المواد المخدرة التقليدية، ولكن دون الحاجة إلى تعاطي مادة ملموسة.
وقد أثارت هذه الظاهرة جدلاً واسعًا في الأوساط القانونية والطبية والاجتماعية، خصوصًا مع تزايد استخدامها بين فئة الشباب والمراهقين، وسط غياب أو قصور في التشريعات التي تجرّمها صراحة في العديد من الدول، وهو ما يطرح تساؤلات جوهرية حول إمكانية مساءلة مروّجي هذه الظاهرة جنائيًا، وما إذا كان النظام القانوني، خاصة في الدول العربية، مستعدًا للتعامل مع هذا النوع المستحدث من الإدمان والجرائم الرقمية.
الكلمات المفتاحية: المخدرات الرقمية، المسؤولية الجنائية، الترددات الصوتية.
أولاً– أهداف البحث: يهدف هذا البحث إلى ما يلي:
١. تحديد الطبيعة القانونية للمخدرات الرقمية وبيان ما إذا كانت تدخل ضمن نطاق المؤثرات العقلية أو المواد المحظورة قانونًا.
٢. تحليل مدى توافر المسؤولية الجنائية لمتعاطي ومروجي المخدرات الرقمية من خلال دراسة الأركان القانونية للجريمة.
٣. اقتراح حلول قانونية وتشريعية لسد الفجوة القانونية في التعامل مع هذه الجرائم.
٤. تعزيز الوعي القانوني والمجتمعي بمخاطر الظاهرة وضرورة التكاتف في مواجهتها.
ثانياً– صعوبات البحث: واجه البحث عددًا من الصعوبات، من أبرزها:
١– حداثة الموضوع وقلة الدراسات الأكاديمية حول المخدرات الرقمية، مما قلّل من المصادر المرجعية المتخصصة.
٢– غياب تشريعات واضحة ومحددة في كثير من الدول العربية، مما فرض على الباحث الرجوع إلى التفسير الموسع للنصوص العامة.
٣– صعوبة إثبات الضرر الفعلي الناجم عن المخدرات الرقمية من منظور طبي وقانوني، نظراً لعدم وجود وسائل فحص دقيقة حتى الآن.
٤– تشابك الموضوع بين القانون والطب النفسي وعلوم التكنولوجيا، مما تطلب جمع معلومات متعددة التخصصات.

٥- قلة التقارير الرسمية أو القضائية التي تناولت وقائع حقيقية تتعلق بهذه الظاهرة في الوطن العربي.

ثالثاً- منهجية البحث: اعتمدنا في هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي لشرح ظاهرة المخدرات الرقمية وبيان أركان المسؤولية الجنائية عنها، بالإضافة إلى المنهج المقارن لدراسة مواقف التشريعات العربية والأجنبية تجاه هذه الظاهرة.

رابعاً - اشكالية البحث: تتمحور الإشكالية الرئيسية لهذا البحث في السؤال الآتي: إلى أي مدى يمكن إعمال أحكام المسؤولية الجنائية في مواجهة ظاهرة المخدرات الرقمية في ظل غياب نصوص قانونية صريحة في بعض التشريعات، وما هي حدود المواجهة الأسرية والإعلامية والقانونية لهذه الظاهرة؟.

المطلب الأول مفهوم المخدرات الرقمية ونشأتها التاريخية

شهد العالم في السنوات الأخيرة تحولًا نوعيًا في أنماط الإدمان، حيث لم يعد تعاطي المواد المخدرة محصورًا في الأشكال التقليدية كالمواد الكيميائية أو النباتات المخدرة، بل ظهر نوع جديد يُعرف بـ»المخدرات الرقمية»، وهو مصطلح بات يُثير الكثير من الجدل والاهتمام.

يناقش هذا المطلب أبعاد هذا المفهوم من خلال الوقوف على تعريف المخدرات الرقمية، والتعرف على ذاتيتها وخصائصها التي تميزها عن غيرها، مع بيان الأركان التي قد تشكل جريمة قانونية في حال استخدامها أو الترويج لها.

الفرع الأول: التعريف بالمخدرات الرقمية

في الواقع ليس المخدرات اَلرَّقْمِيَّة اختراعا جُدُيدً، بل نشأة ما قبل الإنترنت والثورة اَلتِّكْنُولُوجِيَّة الحاصلة، فقد عرف العرب ومنهم العالم أبو بكر الرازي فوائد الموسيقى منذ ألف سنة، إذ لاحظ أن بعض المصابين بأمراض تسبب لهم آلام مبرحة تهدأ وتسكن آلامهم وينعمون بالهدوء من خلال سماعهم للأنغام العذبة، فأدرك بهذه التجربة أن للموسيقى ميزة شفائية لبعض الأمراض وصار يعتمد عليه كأسلوب من أساليب العلاج الطبية (١).

كما أن تأثر الإنسان بالموجات السمعية قديم جدا، فالإنسان مؤلف على ضربات قلبه ولذلك نجده يتأثر بالموجات الصوتية بداخله أو في محيطه الخارجي، وهو ما تثبته الظواهر القديمة والبدائية التي كان يستمع فيها الإنسان إلى دقات معينة ويتفاعل معها وتخرجه من حالة إدراكية إلى أخرى مثل رقص المطر عند الأفارقة، ودقات الزار في الدول العربية وكذلك رقصة الليو الشعبية(٢).

وبعدها ظهرت محاولات عديدة من الدارسات في العالم الغربي عن فوائد الموسيقى، وهي ما كانت معروفة بالنقر بالأذنين، أو النقر متباين التردد (Binaural Beats))على يد العالم الألماني الفيزيائي هاينريش ويلهيلم دوف (Heinrich Wilhelm Dove) عام ١٨٣٩م عند اكتشافه أنه إذا تم تسليط ترددين مختلفين، أو ذبذبات مختلفة قليلا عن بعضها على الأذن فإن المستمع سيدرك صوت نبض سريع، مما يؤدي إلى إفراز مواد منشطة مثل الدوبامين وبيتا أندرفين، فتعطي هذه المواد مفعولا يماثل مفعول المخدرات، وقد اعتبرها المكتشف نوعا من الطب البديل؛ وذلك لحث الدماغ على الاسترخاء والصفاء الذهني والتأمل وغيرها من التأثيرات المرغوبة، وتم استخدام هذه التقنية كأداة لتعذيب الأسرى في الحرب العالمية الثانية ، من خلال تغطية عين السجين ، وإطلاق نوع من الموسيقى الرقمية المحفزة بترددين مختلفين يتراوح بين ٩٠٠ و ٩٤٠ هرتز ، مما يؤدي إلى الموت ؛ حيث يؤثر على النشاط الكهربائي للدماغ ويصيب نصفي الدماغ في نفس الوقت، في عام ١٩٥٠م، اكتشف الباحث جراي والتر التأثيرات العصبية لموجات الصوت والضوء وتأثيراتها على الدماغ(٣).

وقد تم اختبار هذا الاكتشاف على يد عالم الفيزياء الأمريكي «جيرالد أوستر»(٤).

في عام ١٩٧٣، داخل إحدى كليات الطب الأمريكية بولاية نيويورك بمزج نوعيات معينة من الموسيقى مع أصوات أخرى وضبطها على ترددات صوتية معينة على كلتا الأذنين، وجاءت النتائج مؤكدة على أن هذه الموسيقى تحدث تغييرات دماغية معينة لكل من يتعرض لها، وتم التعامل مع هذا التطوير باعتباره إمكانية لتطوير تقنية دماغية جديدة، يجب العمل على دراستها واختبارها عبر المراكز البحثية والطبية في الجامعات، للتأكد من سلامة الاعتماد عليها في

العلاج والطب البديل(٥).

«وعلى الرغم من ذلك لم تظهر هذه الظاهرة بشكل واضح الا في فرنسا في سنة ٢٠١١، وتجسدت في ملفات صوتية تتراوح مدتها ما بين ١٥ و٣٠ دقيقة ترتكز على النقر المزدوج للأذنين عن طريق طرح صوتين متقاربين بترددات مختلفة في كل أذن وهو ما يؤدي إلى تحفيز العقل البشري، وعمليا تتم مثلا بطرح صوت خام بقوة ٣١٣ هرتز ونفس الصوت يتم طرحه في الأذن الأخرى بقوة ٣٢٣ هرتز، وهنا يقوم العقل البشري بمعالجة الترددات الصوتية وتحليلها ودمجها في صوت ثالث يتمثل في الفارق ما بين الصوتين والمقدر بـ ١٠ هرتز»(٦).

الفرع الثاني: تعريف المخدرات الرقمية وذاتيتها

أولاً – تعريف المخدرات الرقمية لغة واصطلاحاً

تعرف المخدرات الرقمية، في اللغة : من خدر واخدر أي جعله خدراً، والخادر: الكسلان، والمخدر جمعه مخدرات اي الضعف والكسل(٧).

وتعرف المخدرات الرقمية : مصطلح مركب أو إضافي مكون من كلمتين «مخدرات» و «رقمية»، وكلمة مخبرات هي جمع مخدر وأصلها من «خبر» ويعني الفتور والاسترخاء والكسل والضعف والستر والبرودة.

وبناء على ما سبق «فإن المخدر هو ما يؤثر على الإنسان جسدياً أو عقلياً فيؤدى إلى شعوره بالفتور أو الاسترخاء أو هو ما يؤدى إلى شعوره بالكسل أو الضعف العام في جسده، ومن ثم فإن المخدر هو كل ما له تأثير غير سوى على الطبيعة البشرية فتقهر نشاطه وإدراكه وتجعله يشعر بالفتور والكسل والتي قد يشعر من خلالها بنشوة كاذبة غير حقيقيه.

وأما الرقمية فأصلها من (رَقَمَ) وَيَدْلُ عَلى خَطٌّ وَكِتَابَةٍ « ذَلِكَ أَن الرَّقْمُ : الْخَطْ وَالرَّقِيمُ : الْكِتَابُ وقيل بأن الرقم والترقيم تَعْجِيمُ الْكِتَابِ أي تبيينه فقوله تعالي « كتاب مرقوم « أي قد بينت حُرُوفة بِعَلَامَاتِهَا مِنَ التَّنْقِيطِ»(٨).

بينما في الاصطلاح: فقد عرفت المخدرات بأنها كل مادة يؤدي تعاطيها إلى تخدير أو فقدان وعي او تعطي شعورا بالنشوة والسعادة بحيث يكون المتعاطي في عالم الخيال(٩).

تُعرف «المخدرات الرقمية» أو ما يسمى بـ **Digital Drugs** بأنها مقاطع صوتية يتم الاستماع إليها باستخدام سماعات الأذن، بحيث تُبث ترددات مختلفة في كل أذن – تردد أعلى في الأذن اليمنى وتردد أقل في اليسرى. ويؤدي هذا التفاوت في الترددات إلى تأثير على الدماغ يُشبه ما تحدثه بعض أنواع المخدرات التقليدية مثل الهيروين أو الكوكايين، حيث تعمل هذه الترددات على التأثير في الذبذبات الدماغية الطبيعية، مما يُدخل المستمع في حالة من الاسترخاء أو الهروب من الواقع. وتُحدث هذه النغمات اضطرابًا في الإشارات الكهربائية داخل الدماغ، نتيجة محاولته توحيد الترددين المتباينين، وهو ما يسبب شعورًا معينًا لدى المتلقي، يختلف باختلاف طبيعة تلك الذبذبات ومدى تأثيرها على نشاط الدماغ(١٠).

ثانياً– الذاتية

١– خصائص المخدرات الرقمية

أ– ذات طبيعة افتراضية: أي انها تخرج عن طبيعة العنصر المادي الملموس، تكون على شكل نغمات صوتية، حيث سهلت التكنولوجيا الخاصة بالهندسة الصوتية على تركيب هذه الملفات الصوتية المخدرة التي تبث على مستويين، الأول يعمل على خلق نمط من الاستماع ينتج عنه تأثيرات في الأذنين، والثاني يخلق تأثيرات في الدماغ من خلال عملية النقر بالاذنين بنغمات معينة وبمستوى صوتي مختلف وتزايد في التردد الصوتي مما ينتج عنه أحداث تغييرات دماغية ومزاجية.

ب– وسيلة ادمان حديثة: كونها تكون متاحة بأسهل الطرق و لم يعد الادمان مقتصراً على المخدرات التقليدية حيث تمخض عن التكنولوجيا الحديثة نوع جديد من المخدرات تصل الى اقصى العالم في لحظات دون توقفها، بسبب الاستعمال الحر لشبكة الانترنت رغم المحاولات العديدة بغرض السيطرة على الجرائم الالكترونية، أدى ذلك

الى ظهور المخدرات الرقمية، عن طريق مواقع خاصة متاحة على الشبكة.

ت- تتميز بكونها عابرة للحدود: حيث يتم ترويجها وتحميلها وتعاطيها عبر الأنترنت، والأنترنت لا تحده حدود أو حواجز جغرافية تمنع من انتشاره أو إمكانية الوصول اليه والتصفح والاطلاع على ما يحتوي، مما يجعل العالم بأسره مسرحاً جرمياً في ظاهرة المخدرات الرقمية، حيث يكون التعاطي لها من قارة والمروج لها من قارة أخرى، فهي تعد شكلاً جديداً من الجرائم العابرة للحدود الوطنية أو الإقليمية أو القارية، كونها تتخذ لها الصبغة العالمية مما يتوجب التعاون الدولي لمكافحة هذه الظاهرة الخطيرة(١١).

ث- صعوبة إثبات المخدرات الرقمية: بالنظر إلى كون المخدرات الرقمية ترتكب وتروج بواسطة الانترنت، بحيث يقوم المتعاطي بتحميل الملف الصوتي وخزنة في الهاتف الذكي أو الاستماع المباشر والخروج من الموقع في حالة الجرعات المجانية، وجل هذه العملية بالإمكان محو الآثار التي تدل عليها وتدمير كافة الأدلة، ولكون المتعاطي في دولة والمروج في دولة أخرى يصعب عملية الأثبات والتحقيق أو المعاقبة(١٢).

ج- ظاهرة إجرامية بالغة الخطورة: تعد المخدرات الرقمية ظاهرة شديدة الخطورة كونها تفتك بفئة اساسية في المجتمع إلا وهي الشباب والمراهقين، كما يصعب معرفة حجم الضرر الذي يطال المجتمع الدولي جزاء ترويجها وتعاطيها، فهي تؤثر على المستوى الاقتصادي بتزايد نسب البطالة وتقليل الانتاج بالنسبة لمتعاطيها، وعلى المستوى الاجتماعي فإن تعاطي المخدرات الرقمية من شأنه ان يزيد من انطوائية الفرد على الجماعة وتساهم في إحداث التفكك الأسري، مما يزيد من عدد الجرائم المرتكبة أما على المستوى الصحي فإن المخدرات الرقمية لها تأثير يشابه تأثير المخدرات التقليدية على الناحية العقلية والجسدية لمتعاطيها مما يؤدي إلى انتكاس صحة المدمن لها والضعف والخمول وعزوفه عن العمل وظهور آثار الهلوسة والتشتت الذهني(١٣).

٢- تميزها عن يشتبه بها

أ- أوجه الشبه بينهما:

- اتفقوا على أن المخدرات مادة خطرة، تؤدي إلي تسم الجهاز العصبي
- اتفقوا الخبراء على أن المخدرات الصوتية الرقمية، تشترك مع المخدرات التقليدية في حصول حالة الإدمان، الذي يسبب الاضطراب النفسي والجسدي معا، عند محاولة الإقلاع عنه مع اختلاف بينهما، في أن المخدرات التقليدية تحدث الإدمان العضوي والنفسي معا، بخلاف المخدرات الرقمية التي تحدث الإدمان النفسي فقط.
- اتفقوا على أن كلا منهما يحدث تأثيرا على العقل، يتعود عليه ويغير موجاته ومزاجه، عن طريق حث المخ على فرز مواد معينة، تحث العقل على فرز هرمونات تتسبب في تغيير المزاج.
- اتفقوا على أن كلا منهما يدخل إلى الجسم وإن اختلفوا في طريقة الدخول، وكيفية الاستقبال له.
- اتفقوا أيضاد على أن من المخدرات ما يؤدي إلى الإدمان الجسمي عليها والنفسي معا، أو ما يؤدي إلى الإدمان النفسي فقط.
- اتفقوا أيضا، على أن المواد المخدرة تفقد الانسان وعيه، وتغيبه عن إدراكه، وتؤثر بالسلب على جسمه، كما أن المادة المخدرة ليست نوعا واحدا، بل إن منها المسكرات والمفترات والمرقدات.

- أوجه الاختلاف بينهما

- المخدرات التقليدية عبارة عن جوهر، مكون من مادة نباتية طبيعية أو مصنعة أو مادة تركيبية كيمائية، تسبب لمتعاطيها فقدانا كليا أو جزئنا للإدراك بصفة عامة، ويتم تعاطيها عن طريق الاحتساء أو البلع أو المضغ أو الحقن أو التدخين أو الشم أو غيرها.

بخلاف المخدرات الرقمية التي تخلو عن جوهر المادة، فهي مقطوعات موسيقية مؤلفة من نغمات معينة خصيصا، تدخل الجسد عن طريق السماع فقط، وتوثر على العقل، ويحصل بها الإدمان النفسي.

- اتفق أهل الخبرة على أن المخدرات التقليدية لها أثارها السلبية على صحة متعاطيها، سواء بدئيا أو فسيولوجيا أو

نفسيا، بخلاف المخدرات الرقمية التي اختلفوا في تأثيرها على جسم متعاطيها، بين مغال في القول بوجود أثر سيع الها على جسم متعاطيها الفسيولوجي والبدني والنفسي، وبين قائل بأنه أثرها وهمي نفسي.

– المخدرات التقليدية يمكن مكافحتها ورصدها، وتبع من يروج لها ومن يتعاطاها بسهولة؛ لطبيعتها المادية، واقتصار من يتجر فيها على اشخاص محددة، ويقومون بجلبها وبيعها بوسائل وطرق باتت معروفة لقوات المكافحة.

بخلاف المخدرات الرقمية التي يتم ترويجها عن طريق الوسيط الإعلامي (انترنت)، بواسطة أجهزة الحاسوب والهواتف الذكية داخل البيوت والغرف المغلقة، مما يجعل من مكافحتها أمر بالغ الصعوبة، وكذا رصد من يتعاطاها.

– المخدرات التقليدية مجرمة في القانون، ومذكورة على سبيل الحصر في جداول قوانين المخدرات لكل دولة، ومن ثم يسهل على أي شخص معرفة المادة التي يتعاطاها مجرمة أو غير مجرمة، فتتوافر لديه الحماية القانونية.

بخلاف المخدرات الرقمية التي تفتقر إلى الجزاء الجنائي، فهي حتى الآن لم يجرمها القانون، مما يجعل متعاطيها، يفتقر إلى الحماية القانونية، فهو لقمة سائغة في يد تجارها ومن يرجون لها(١٤).

ثالثاً– اركان الجريمة

١– الركن المادي لهذه الجريمة كسائر الجرائم من سلوك إجرامي، ونتيجة جرمية، وعلاقة سببية.

أ– السلوك الإجرامي

يتحقق السلوك الإجرامي بارتكاب الجاني أفعال الإنشاء والتأسيس، والإدارة والإشراف للموقع الإلكتروني، على الشبكة المعلوماتية التي تعمل على نقل المعلومات، والبيانات، والأفكار، والصور، والأفلام وغيرها ونشرها من خلال خدمة الاتصال المتاحة على الأنترنت عبر مواقع التواصل الاجتماعي التي تستخدم في تدفق المعلمات، لتهيل الاتصال بقيادات تلك المنظمات، أو أي من أعضائها بغرض الإتجار أو الترويج للمخدرات أو المؤثرات العقلية وما في حكمها، ويتصور ارتكاب الجريمة من شخص واحد، كأن يقارف الشخص سلوك التأسيس وتسهيل الإتجار أو الترويج للمخدرات أو المؤثرات العقلية معًا، أو يشترك عدة أشخاص في ارتكابها بتجزئة الأفعال فيما بينهما وتوزيع لأدوار، بأن يرتكب أحدهم أفعال التأسيس، بينما يقوم الآخر بالإتجار أو الترويج للمخدرات أو المؤثرات العقلية.

ويمكن القول بأن المساهمة التي تجعل من مرتكب الجريمة فاعلا أصليا في جرائم الإتجار أو الترويج للمخدرات أو المؤثرات العقلية معا تتحقق

في الحالات الآتية؛

- o إمداد الجاني بالمعلومات التي تمكنه من إنشاء، أو تأسيس الموقع الإلكتروني، إتاحة شبكة معلوماتية، أو تجهيز أو شراء حاسب آلي لكي يتسنى تأسيس الموقع عليها.
- o إتاحة موقع إلكتروني، أو حجز واختيار الدومين الخاص بالموقع، أو باختيار عنوان ال **url** الذي يمكن مستخدمي الموقع من الدخول إليه، أو تخزين، أو بث البيانات والمعلومات محل النشر والتي تنطوي على أساليب ووسائل الاتصال، أو معالجتها بإدخال عليها شفرات سرية تجعل اقتفاء أثرها، وتتبعها من جانب السلطات أمر بالغ الصعوبة.
- o تجهيز المكان المتواجد به جهاز الحاسب الآلي الذي سيتم الدخول من خلاله إلى الموقع الإلكتروني، أو الشبكة المعلوماتية لإرسال رسائل تنطوي على الإتجار أو الترويج للمخدرات أو المؤثرات العقلية مع البحث عن شركات استضافة للموقع الإلكتروني المراد استغلاله لصالح هذه التنظيمات الإرهابية في نشر وسائل الاتصال(١٥).

٢– النتيجة الإجرامية.

لا تدمج النتيجة الإجرامية في هذه الجريمة مع السلوك الإجرامي، بمعنى يلزم أن يترتب على فعل إنشاء وإدارة وتأسيس الموقع الإلكتروني على الشبكة المعلوماتية أو أحد أجهزة الحاسب الآلي، الإتجار أو الترويج للمخدرات أو المؤثرات العقلية.

مع ملاحظة أنه يتصور الشروع في هذه الجريمة كان يؤسس الجاني الموقع الإلكتروني ويعد الصور، ويقوم بالكتابة على الموقع ويتم ضبطه من قبل السلطات قبل وصول نبأ الجريمة إلى الغير وحينذاك سوف يعاقب بنصف العقوبة المقرة للجريمة التامة.

٣- العلاقة السببية

تتحقق علاقة السببية عندما يكون التأسيس والإنشاء والإدارة هو الذي أدى وتسبب في نشر وترويج المخدرات أو المؤثرات العقلية، فإذا أنشأ شخص الموقع وقام مشتري المواد المخدرة بشرائها بالطرق التقليدية فتقطع علاقة السببية بين السلوك والنتيجة بسبب أن الشراء لم يكن بسبب النشر على الموقع، وإنما لسبب آخر وعندئذ يسأل المروج أو التاجر اكتفاء بالشروع، ومن حيث طبيعة السلوك الإجرامي فيها، فالسلوك الإجرامي فيها بحسب الأصل يتصف غالباً بطابع الاستمرار، وعلة ذلك أن النشاط الإجرامي لأفعال الإنشاء والتأسيس وتسهيل الاتصال، يحتاج فترة من الزمن وهو متجدد ومستمر، ومضطرد لكونه يتطلب الدخول على الشبكة، واستخدام آليات معينة لإعداد الموقع، ومن ثم تعد من الجرائم المستعرة (١٦).

١- الركن المعنوي في الجريمة، يتمثل الركن المعنوي في القوة النفسية التي تسيطر على ماديات الجريمة، وهذه القوة هي الإرادة الإجرامية التي تتجه نحو ارتكاب فعل يشكل جريمة ويفترض الركن المعنوي توافر الأهلية الجنائية، فلا يسأل من انتفت لديه الأهلية الجنائية (١٧).

ويتخذ الركن المعنوي للجريمة صورتين، القصد الجنائي، والخطأ غير العمدي، فإذا اتجهت الارادة إلى الفعل، فالنتيجة تكون بصدد القصد الجنائي، وإذا اتجهت لفعل فقط، فذلك هو الخطأ غير العمدي تعد من الجرائم العمدية التي يلزم، لقيامها توافر القصد الجنائي بعنصريه؛ العلم والإرادة، فلا يمكن أن تقع عن طريق الخطأ غير العمدي.

ويتألف القصد الجنائي من عنصرين الأول؛ العلم بعناصر الواقعة الإجرامية، والثاني إرادة تحقيق النتيجة فيلزم أن يعلم الجاني بأمرين أساسيين، الأول؛ بأنه ينشئ موقعا إلكترونيا للإتجار أو الترويج للمخدرات أو المؤثرات العقلية، والثاني؛ العلم بخطورة فعله فمجرد إنشاء الموقع الإلكتروني لأغراض أخرى غير استخدام للتجار أو الترويج للمخدرات أو المؤثرات العقلية، فينتفي القصد الجنائي لهذه الجريمة ولا يمنع ذلك من أن يشكل الفعل جريمة أخرى حسب قصد منشئ الموقع الإلكتروني وغرضه من ذلك،

أما العنصر الثاني فهو إرادة تحقيق النتيجة غير المشروعة، فيجب أن تتجه إرادة الجاني إلى تحقيق النتيجة الإجرامية أي للإتجار أو الترويج للمخدرات أو المؤثرات العقلية سواء بشكل مباشر أو محتمل، حتى ولو لم تنصرف إرادته بشكل مباشر إلى تأسيس هذا الموقع من بادئ الأمر بغرض الإتجار أو الترويج للمخدرات أو المؤثرات العقلية.

وبناء على ذلك؛ نرى أنه إذا قام الجاني بتأسيس الموقع الإلكتروني للإتجار أو الترويج للمخدرات أو المؤثرات العقلية، وقام باستغلاله وتوقع دخول أي مستخدم على الشبكة فإن ذلك كافيًا في رأينا لوقوع الجريمة، وآية ذلك أن قوام القصد الجنائي العلم بعناصر الجريمة وإرادة متجهة إلى تحقيق هذه العناصر سواء بشكل مباشر، أو توقعها وقبلها كأثر محتمل للسلوك الإجرامي(١٨).

وتعد هذه الجريمة من الجرائم ذات القصد الخاص، لأن المشرع استلزم جزء أفعال التأسيس والأنشاء والإدارة غاية معينة وهي الإتجار أو الترويج للمخدرات أو المؤثرات العقلية.

وينتفي القصد الجنائي حتماً لمن يقوم بإنشاء موقع إلكتروني لأغراض مشروعة كالثقافة والتعليم والتدريب، إلخ فيقوم آخر باستغلاله للإتجار أو الترويج للمخدرات أو المؤثرات العقلية دون علمه لأنه يكون قد وقع في غلط في الوقائع وجهل ينفي لديه القصد الجنائي.

المطلب الثاني آثار المخدرات الرقمية وطرق المواجهة الجنائية لها

أصبحت المخدرات الرقمية تمثل تهديدًا متزايدًا بسبب آثارها السلبية على الفرد والمجتمع، خصوصًا في ظل سهولة الوصول إليها عبر الإنترنت. وتكمن خطورتها في تأثيرها النفسي والعقلي دون تعاطي مواد ملموسة، مما يصعب

رصدها ومواجهتها بالوسائل التقليدية، لذلك بات من الضروري بيان آثارها، وطرح سبل المواجهة الجنائية للحد من انتشارها وحماية المجتمع من مخاطرها.

الفرع الأول : اثار المخدرات الرقمية

يُسفر تعاطي الجرعات من المخدرات الرقمية عن آثار متعددة تمس الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والصحية، بالإضافة إلى انعكاساتها السلبية على الأسرة، فهذه المخدرات لا تقتصر آثارها على الفرد المتعاطي فحسب، بل تمتد لتطال أسرته ومن ثم المجتمع بأسره، إذ يعاني المتعاطي من الانعزال عن الواقع، في سعيه للوصول إلى مشاعر البهجة أو ما يُظن أنها «السعادة»، وهي حالة تفتقر إلى أي تأكيد علمي. بل إن الأثر الملموس يتمثل في شعور دائم بالاسترخاء المصحوب بالخمول، مما يؤدي إلى ضعف في النشاط وفقدان للطاقة المتجددة، وإلى جانب ذلك، تُحدث هذه المواد نوعاً من الإدمان الخفي الذي يصعب رصده في بداياته(١٩).

يندرج الإدمان الناتج عن المخدرات الرقمية تحت ما يُعرف بـ»الإدمان الخفي»، وهو ما تمت الإشارة إليه سابقًا، إذ لا تظهر أعراضه بشكل علني على سلوك الشخص المدمن، ولا يصاحبه مظاهر جسدية واضحة كما هو الحال في إدمان المخدرات التقليدية كالكوكايين أو الهيروين. ويكمن خطر هذا النوع من الإدمان في كونه سلوكياً بالدرجة الأولى، غالبًا ما يُمارَس في عزلة، إما بشكل فردي أو ضمن مجموعات صغيرة من الأصدقاء داخل غرف مغلقة، بعيدًا عن أعين الآخرين، مما يجعل من الصعب اكتشافه مبكرًا، ويستوجب التدخل النفسي العلاجي الفوري.

ويُضاف إلى ذلك أن المخدرات الرقمية تؤدي إلى شرود ذهني ملحوظ يؤثر سلبًا على القدرة على التركيز، ويُضعف الذاكرة بشكل واضح. كما أن الاستماع المتكرر إلى الملفات الصوتية ذات الترددات الثنائية (**Binaural Beats**) يسبب أضرارًا صحية بالغة للجهاز السمعي والعصبي، وقد يؤدي إلى ظهور أعراض مثل رعشة في الأطراف، وفقدان التوازن، بل ويزيد من حدة نوبات التشنج الصرعي في بعض الحالات. كما أن كثرة التعرض لهذه الترددات الصوتية يفاقم من مشاكل الدماغ والجهاز العصبي(٢٠).

أما على الصعيد الاقتصادي، فإن للمخدرات الرقمية آثارًا سلبية ملموسة، إذ تساهم بشكل غير مباشر في الإضرار باقتصاد الدول من خلال النشاطات المرتبطة بترويجها وبيعها عبر مواقع التواصل الاجتماعي، وهي وسائل باتت تُستخدم على نطاق واسع من قِبل مروجي هذه الأنواع من المخدرات، الأمر الذي يزيد من تعقيد مكافحتها ويستنزف الموارد الأمنية والاقتصادية.

يسعى مروجو المخدرات الرقمية إلى تحقيق أرباح طائلة من خلال استغلال الأفراد من مختلف الفئات العمرية، مع تركيز خاص على فئتي الأطفال والشباب. ويتم ذلك بأساليب خادعة تبدأ بتقديم مقاطع صوتية مجانية لجذب الضحايا، ثم يُعرض عليهم شراء المقاطع بأسعار تبدأ من ثلاثة دولارات للمقطع الواحد، وقد تزيد حسب التأثير المطلوب. ويصل الأمر إلى حد تصنيف هذه المقاطع وفق تأثيراتها، فيُروَّج لها على أنها تُحاكي مفعول الكوكايين أو الهيروين، أو تُحدث تأثيرات مشابهة للجنس أو الكحول، كما أُشير سابقاً، وذلك بهدف تعزيز الإقبال عليها وزيادة الأرباح(٢١).

ولا يخفى ما لهذا النشاط من آثار وخيمة على الاقتصاد القومي، فهو لا يختلف كثيرًا في نتائجه التخريبية عن تجارة المخدرات التقليدية. فمتعاطو المخدرات الرقمية يعانون من ضعف التركيز وقلة الإنتاجية، مما ينعكس سلباً على أدائهم في أعمالهم، ويؤدي إلى هدر وقت العمل وضياع طاقات بشرية قادرة على الإنتاج، وبالتالي يتسبب في تراجع معدلات النمو الاقتصادي وتقليص الثروات الوطنية.

أما من الناحية الاجتماعية، فتكمن الخطورة في التأثير المدمر لهذه المخدرات على بنية المجتمع، حيث إنها تهدد أمنه واستقراره من خلال ما تُحدثه من تغييرات سلبية في سلوك الأفراد. فالمدمنون يتحولون إلى أشخاص فاقدي الإرادة، منعزلين عن محيطهم، منغمسين في عوالم افتراضية داخل غرف مظلمة، مكتفين بما تبثه تلك المقاطع الموسيقية من شعور بالاسترخاء والخمول، هذا الانعزال يؤدي إلى تبديد الطاقات، وانهيار الروابط الاجتماعية، وتعطيل مشاركة

الأفراد الفعالة في مجتمعهم، مما يُسهم في إضعاف النسيج الاجتماعي ككل(٢٢).

إن تفشي ظاهرة المخدرات الرقمية أدى إلى انتشار مشاعر التوتر وخيبة الأمل، وأضحى أفراد المجتمع يعانون من الشقاء والانقسام والخذلان، بل ويصل الأمر إلى الشعور بالذل نتيجة الوقوع في المعاصي. وقد ساهم تزايد أعداد متعاطي هذه المخدرات—خصوصاً من فئة الأطفال والشباب—في اتساع الهوة الاجتماعية وازدياد الآثار السلبية، وهو أمر يدعو للقلق، لا سيما في ظل غياب تجريم واضح لترويج هذه الأنواع من المخدرات في معظم التشريعات العربية والغربية على حد سواء، مما شجع المروجين على استغلالها لتحقيق أرباحهم، كما أشرنا سابقاً(٢٣).

ورغم الجدل القائم حول مدى تأثير المخدرات الرقمية على صحة الإنسان بشكل عام، إلا أن عدداً من العلماء يعتبرونها أكثر خطراً من المخدرات التقليدية من الناحية الفسيولوجية، نظراً لتأثيرها العميق والخطير على الدماغ، والذي قد يصل إلى درجة التلف والموت. كما تشير الأبحاث إلى وجود شبه إجماع بين عدد من الخبراء حول تأثيراتها المدمرة على الجهاز السمعي ووظيفة التوازن في القناة السمعية، إضافة إلى اضطراب في الوظائف الدماغية المرتبطة بفرط تنشيط الخلايا العصبية.

وتتفاقم هذه الأضرار لدى المرضى النفسيين ومصابي أمراض القلب، حيث ثبت علمياً—من خلال دراسات حديثة—حدوث تغيرات بنيوية في أدمغة المدمنين على استخدام الشبكات الرقمية لأكثر من خمس عشرة ساعة يومياً. وقد تم رصد هذه التغيرات في شكل خلل في المادة البيضاء وضمور في المادة الرمادية داخل الدماغ، وصلت نسبته إلى ما بين ١٠٪ و٢٠٪(٢٤).

الفرع الثاني طرق المواجهة الجنائية للمخدرات الرقمية

أولاً– المواجهة الأسرية والإعلامية للمخدرات الرقمية

إن اتساع دائرة المخدرات الرقمية وانتشارها أصبح خطر جسيم يهدد المجتمعات كافة إذ أن الآثار السلبية للمخدرات الرقمية لا تقف عند حد التأثير بشكل كبير على صحة مستخدم تلك المواد الرقمية وما يسببه ذلك من آثار جسدية ونفسية وخيمة شأنها شأن باقي المخدرات بل أن استعمال المخدرات الرقمية يؤثر أيضا على المجتمع من حيث أنه يؤدي إلى خلق نوع من العزلة بين الشخص المتعاطي والمستعمل لتلك المواد المخدرة الرقمية وبين باقي الأفراد في المجتمع، مما يدمر أهم فئة في المجتمع وأساس أي دولة وهم فئة الشباب، بالإضافة إلى ما يؤدي إليها إدمان تلك المواد من تفشي للجرائم وتهديد للأمن العام في الدولة.

١– دور الأسرة في مواجهة المخدرات الرقمية.

إن مواجهة المخدرات الرقمية تستدعي أولاً وجوب التوعية المستمرة من قبل الأسرة، بحيث أنها إذا قامت كل أسرة بتوعية أولادها وشبابها بخطر المخدرات الرقمية، فيمكن أن تتفادي سقوطهم في شباك هذه المصائد السيئة.

كما يجب على الأسرة استخدام وسائل التواصل الاجتماعي بطريقة واعية بحيث تكون وسيلة لمراقبة الإباء والأمهات للأبناء والبنات، إذ يستطيع الوالدان أن يشكلا شبكة مع المعلمين في المدرسة ومع الأندية التي يرتادوها أبناؤهم وتحقيق متابعة يومية لسلوك الأبناء وسؤال المعلمين وغيرهم عن أي تصرفات غير مألوفة تصدر من أبنائهم، فالتوعية والرقابة تشكل إطار قوياً للمحافظة على الأبناء من خطر المخدرات الرقمية (٢٥)، فكل ذلك يجعل هناك التزاما يقع على عاتق كل أسرة في توعية أبنائهم بمخاطر المخدرات الرقمية ومراقبة استخدامهم للأنترنت ومعرفة المواقع التي يترددون عليهم حتى لا يقع أبنائهم فريسة لمروجي تلك المخدرات.

يأتي دور المدرسة بعد الأسرة بالدرجة الثانية في التوعية والتوجيه من اجل خلق جيل واعي لمخاطر الانحراف والتسيب حيث يأتي المعلم كمربي ثاني بعد الأب والأم وربما يفوق تأثير المدرسة تأثير الأسرة بما يستحوذ المعلم من تأثير على القلوب طلبتهم فالمعلم بصحة عميقة ويد بيضاء في التربية وقد يمتد تأثيره في طلبته الى المستقبل فالمدرسة تستطيع توجيه الطلبة بصدق واخلاص من خلال تقديم المواعظ الاخلاقية الحسنة وتقديم خلاصة التجارب العلمية النافعة وللمعلم دور في تقديم النصح النابع من القلب والفائض حبًا ورحمة وعطف.

٢– دور وسائل الإعلام في مواجهة المخدرات الرقمية

إذا كان الأسرة يقع عليها دور كبير في توعية أبنائهم بمخاطر المخدرات الرقمية فهناك دور أكبر يقع على عاتق الجهات الإعلامية المختلفة في الدولة، إذ يقع على عاتق تلك الجهات التوعية بمخاطر المخدرات الرقمية والحديث عن مخاطرها الصحية والنفسية والجسدية وتوعية الشباب وجميع الأفراد بتلك المخاطر.

بحيث يقع على عاتق تلك الجهات ضرورة تقديم مواد وبرامج رصينة وعلمية عبر الصحف ووسائل الأعلام المختلفة ومن خلال شبكة الأنترنت لتعريف المتلقي بخطورة تعاطي واستعمال المواد المخدرة بأنواعها المختلفة (٢٦).

إن وسائل الإعلام المختلفة لها تأثير نفسي كبير على الفرد، حيث يتأثر الفرد بكل وسائل الإعلام كالجرائد والمجلات والقنوات التلفزيونية والإذاعة والأنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي المختلفة، حيث تؤثر كل تلك الوسائل على الفرد وقراراته واختياراته وتوجهاته.

لذا يجب على جميع تلك الوسائل توجيه متابعيها لمخاطر الإدمان الرقمي واستعمال المخدرات الرقمية، وضرورة تحول تلك الوسائل الإعلامية من مجرد نقل المعلومات والأفكار إلى الإسهام الفعلي في تكوين الجوانب الاجتماعية والنفسية والثقافية لدى الأشخاص بما يساهم في مكافحة المخدرات الرقمية وغيرها من الأنواع الأخرى (٢٧).

وذلك من خلال إظهار الدور السلبي لإدمان المخدرات وارتباطها بانتشار جرائم السرقة والرشوة والاستغلال الجنسي وغيرها من الجرائم الأخرى، مما يوجب على تلك الوسائل مواجهة هذه الظاهرة بتغطية متميزة وديناميكية وباختيار دقيق للإنتاج الإعلامي الخارجي بما يتناسب وواقع المجتمع وعاداته وتقاليده ويساهم في القضاء على هذه الظاهرة الخطيرة(٢٨).

ثانياً– المواجهة القانونية للمخدرات الرقمية

١– موقف المشرع الفرنسي والامريكي من المخدرات الرقمية

ا– موقف المشرع الفرنسي

تتعد القواعد التشريعية التي تخضع لها الجرائم المعلوماتية في القانون الفرنسي، فهذا النمط من الجرائم تحكمه قواعد قانونية اعلى من القواعد القانونية في القانون الفرنسي، تتمل بقواعد القانون الأوربي في الوقت الذي عالج فيه قانون العقوبات الفرنسي الجديد رقم ٩٢_٣٣٦ الصادر في ديسمبر ١٩٩٢ الجرائم المعلوماتية بنصوص مستقلة في الفصل الثاني، وفي ثلاث محاور الأول يهدف إلى حماية نظم المعلوماتية ذاتها، أما المحور الثاني، فيتضمن حماية الوثائق من التزوير(٢٩).

في حين تضمن المحور الثالث الردع وتغليظ العقاب بهدف عدم الاقدام على مثل هذه الجرائم.

كما أضاف المشرع الفرنسي بمقتضى التعديل الصادر عام ١٩٩٤ م، فصلاً ثالثا لباب ثاني من القسم الثالث من قانون العقوبات تحت عنوان الاعتداءات على المعالجة الآلية جاءت بها المادة (٣٢٣/ف٤،٣،٢،١).

ولكن إلى الآن فإن المشرع الفرنسي لم يتطرق لمسألة (المخدرات الرقمية) بالتجريم أو بالعقاب، بل أنه إلى الآن لم يعترف بالمخدرات الرقمية كصورة من صور المخدرات(٣٠).

ب– موقف المشرع الأمريكي

صدرت عدة قوانين وتشريعات خاصة للتصدي لبعض الجرائم المعلوماتية من اهما قانون تقرير الأشخاص الصادر عام ١٩٧٠، وقانون الخصوصية الصادر عام ١٩٧٤، وقانون الخصوصية والحقوق الأسرية والتعليمية الصادر عام ١٩٧٤، وقانون حرية المعلومات الصادر عام ١٩٧٦، وقانون الحماية ضد السرقة، ١٩٨٠، وقانون سياسة الاتصالات السلكية واللاسلكية لعام ١٩٨٤، والذي يستهدف حماية الخصوصية المشتركين، في الخدمة التلفونية عبر الانترنت، أما قانون العقوبات الأمريكي فقد كان من أشد التشريعات مع نهاية القرن العشرين في شأن التشريعات التي تحكم المعاملات الالكترونية وتواجه الجريمة المعلوماتية سواء في تشريعاتها المحلية على مستوى الولايات أم الاتحادية على مستوى الدولة الفدرالية، ولعل أحدث هذه التشريعات هو قانون التوقيع الالكتروني

الصادر عام(٣١)٢٠٠٠.

٢ – موقف المشرع العراقي والمصري من المخدرات الرقمية

ا– موقف المشرع العراقي

بالرجوع إلى نصوص قانون المخدرات والمؤثرات العقلية رقم ٥٠ لسنة ٢٠١٧ نجد أنه قد أشار إلى بيان المقصود بالمخدرات والمؤثرات العقلية من خلال المادة الأولى والتي نصت على.

١)– المخدرات هي «كل مادة طبيعية أو تركيبية من المواد المدرجة في الجداول الأول والثاني والثالث والرابع من هذا القانون وهي قوائم المؤثرات العقلية التي اعتمدتها اتفاقية الامم المتحدة للمؤثرات العقلية لسنة ١٩٧١ وتعديلاتها».

٢)– المؤثرات العقلية: «هي كل مادة طبيعية أو تركيبية من المواد المدرجة في الجدول الخامس والسادس والسابع والثامن الملحقة بهذا القانون وهي قوائم المؤثرات العقلية التي اعتمدتها اتفاقية الأمم المتحدة للمؤثرات العقلية لسنة ١٩٧١ وتعديلاتها».

٣)– السلائف الكيميائية: «هي عناصر أو مركبات كيميائية تدخل في صنع العقاقير طبية ذات التأثير النفسي والمدرجة تفاصيلها في الجدولين التاسع والعاشر الملحقة بهذا القانون، وهي السلائف الكيميائية التي اعتمدتها اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الاتجار غير المشروع بالمخدرات والمؤثرات العقلية لسنة ١٩٨٨»(٣٢).

وان مصطلح المخدرات الرقمية يطلق على الحالة يقوم فيها الدماغ بإنتاج موجات أكثر سرعة وأكثر فاعلية وتأثيرات من الحالة الطبيعية، بسبب تعرضه لموجات صوتية موسيقية من خلال تعاطيها عبر سماعات الاذن بترددات مختلفة إلى كلا الأذنين وتكون هذه الحالة مصاحبة لحالات اليقظة مع فرط أو قلة في التركيز وحدوث تشنجات تشبه حالات الصرع بالإضافة إلى تأثيرات أخرى شديدة الخطورة من تشتت ذهني وعدم السيطرة على الحالة الشعورية للمدمن عليها.

يتضح من ذلك ان هذا النوع من المخدرات والمؤثرات العقلية لم تدرج ضمن القانون السالف الذكر مما يولد فراغ تشريعي يواجه هذه الحالة أو الظاهرة المستحدثة(٣٣).

وعلى الرغم من ان العراق لم يكن الا معبرا للمخدرات قبل عام ٢٠٠٣ إلا أنه خلال السنوات الأخيرة بسبب تدهور الوضع الأمني والاقتصادي والسياسي انتشرت المخدرات بشكل رهيب بين الشباب وأصبحت ظاهرة التعاطي منتشرة في الكافيات، فهرع المشرع العراقي إلى تدارك هذه الحالة بتعديل قانون مكافحة المخدرات رقم ٦٨ لسنة ١٩٥٦ بقانون مكافحة المخدرات والمؤثرات العقلية رقم ٥٠ لسنة ٢٠١٧ وهذا التعديل وان جاء متأخراً الا أنه عالج الكثير من الحالات المتعلقة بالمخدرات التقليدية.

ونلاحظ إن ما يعيب النص التشريعي هو انعدام النظر إلى المستقبل أو النظرة البعيدة لحدود القانون والجريمة، حيث يقف القانون عاجزاً امام ظاهرة المخدرات الرقمية وتداركها، وعلى اعتبار ان المخدرات الرقمية من الجرائم الإلكترونية التي ترتكب بواسطة الحاسب الآلي اللابتوب أو الهواتف الذكية أو اية وسيلة من وسائل تقنية المعلومات حيث طرح المشرع العراقي مشروع قانون الجريمة الإلكترونية لسنة ٢٠١٩ الذي بين اهداف هذا القانون والتي بينها من خلال نص المادة الثانية منه.

– حماية الأفراد والمجتمعات من الجرائم الإلكترونية.

– مكافحة الجريمة الإلكترونية والتي تشكل تهديداً لأمن الدولة وسلامتها.

– زيادة الوعي العام بمخاطر الجريمة الإلكترونية.

– تطور قدرات العاملين على تنفيذ وتقديم الدعم النفسي للسلطة القضائية لمواكبة اخر التطورات الحاصلة بمجال الجريمة الإلكترونية(٣٤).

٢– موقف المشرع المصري

لم «يصدر نص خاص بالجرائم الالكترونية، بل جاء المشرع الى تنظيم هذا الموضوع في بعض التشريعات بنصوص متفرقة، منها قانون الأحوال المدنية الجديد رقم ١٣٧ لسنة ١٩٩٤، وقانون حماية المؤلف الذي أدخلت عليه التعديلات بموجب قانون رقم (٢٩) لسنة ١٩٩٤ وقانون التوقيع الالكتروني والحماية الجنائية المقررة له، إضافة الى القوانين الأساسية لمكافحة المخدرات التقليدية، نص المشرع على تجريم أفعال الجلب والتصدير والاتجار والدفع الى التعاطي بالمخدرات التقليدية باستخدام الانترنت.

حيث نصت المادة الثانية من قانون المخدرات «يحظر على أي شخص أن يجلب أو يصدر أو ينتج أو يملك او يشتري او يبيع جواهر مخدرة أو يتبادل عليها أو يتنازل عنها أو يتدخل بصفته وسيطا في شيء من ذلك الا في الأحوال التي ينص عليها القانون»(٣٥).

يتبين من هذا النص أن المشرع المصري جرم جميع أفعال وصور المخدرات التقليدية التي يتم الاتفاق عليها بواسطة الانترنت (٣٦)، ولم يتطرق الى المخدرات الرقمية بصورة فعلية الإشكاليات وصعوبات تواجه التشريعات كافة وليس المشرع المصري وحسب.

– عدم الدراية القانونية الكافية بمعنى التجريم المعلوماتي لدى جهات الضبط والتحقيق والمحاكمة مع عدم قناعة البعض بذلك والاكتفاء بالجرائم التقليدية .

– مازال مبدأ الشرعية الجنائية من المشاكل الخطيرة التي تتعلق بها الجرائم المعلوماتية سواء في الجانب الموضوعي أو الجانب الاجرائي .

سرية الجريمة المعلوماتية فهي من الجرائم التي لا تكون واضحة وليس من السهل اكتشافها حيث

لا يعلمها الا الجاني الذي يرتكب جريمة المخدرات الرقمية فغياب الدليل المادي المثبت للواقعة، لان الدليل الالكتروني يسهل محوه ان وجد في مدة قصيرة عكس الدليل في الجرائم التقليدية وقد حاول المشرع معالجة هذه الحالة من خلال قانون رقم ١٧٥ لسنة ٢٠١٨ في المادة ١١ منه .

– اختلاف الدليل الجنائي لإثبات الجرائم المعلوماتية عنه في الجرائم التقليدية سواء من حيث كم البيانات المدونة من خلال الحاسب الآلي أو من حيث الوسيلة المستخدمة في الاثبات مع الوضع بعين الاعتبار ضرورة توافر الخبرة لدى القائمين على الاثبات.

وأسلوب الحصول على الدليل في الجرائم المعلوماتية محكوم بضابطين الأول: ضرورة وجود قاعدة قانونية تحدد الاجراء القانوني الواجب اتباعه ومراعاة الطبيعة الخاصة به والثاني: يتمثل في صورة المعرفة الفنية والتأهيل المهني لرجال الضبط والتحقيق الجنائي والمحاكم عند التعامل مع هذه النوعية من الجرائم (٣٧).

وعلى الرغم من هذه الصعوبات الا ان الأمر يتطلب التدخل التشريعي في ادخال بعض التعديلات والنصوص الجديدة على القوانين التي تعنى بجرائم المخدرات والجريمة المعلوماتية، لتساعد على تفسير وتطبيق نصوص التجريم، فاذا كان التشريع وليد الحاجة والتطور التقني الحديث أدى الى ظهور أنماط جديدة وارتكاب الجرائم باستخدام التكنولوجيا والعلوم الحديثة يجب على المشرع ان يواكبها بتعديلات تشريعية على جميع الأصعدة، تفاديا للتداعيات السلبية التي تلحق بالظواهر الاجرامية ومنها ظاهرة المخدرات الرقمية (٣٨) .

الخاتمة

بعد استعراض وتحليل الموضوع من مختلف جوانبه، يتبين لنا أن القضية المطروحة تمثل تحديًا حقيقيًا في الواقع العملي، وتتطلب تضافر الجهود القانونية والاجتماعية والثقافية لمواجهتها، وقد تناولنا في هذا البحث الإطار المفاهيمي والآثار المترتبة، إلى جانب الأبعاد القانونية المتعلقة بالموضوع، ما أتاح لنا الوقوف على عدد من النتائج المهمة التي تعزز فهمنا لهذه الظاهرة.

أولاً – الاستنتاجات:

١. المخدرات الرقمية تمثل مؤثرات عقلية رقمية قد تُسبب الإدمان النفسي والسلوكي، خاصة لدى فئة الشباب

والمراهقين.

٢. لا يوجد نص قانوني صريح يُجرّم إنتاج أو ترويج أو تعاطي هذه الترددات في معظم التشريعات، خصوصًا العربية.

٣. يمكن تكييف هذه الأفعال كجرائم معلوماتية أو كمؤثرات عقلية ضمن تفسيرات مرنة، لكن هذا لا يغني عن نصوص قانونية صريحة.

٤. أركان الجريمة (المادي والمعنوي) قد تتحقق بسهولة عند الترويج المتعمد أو الاستعمال المتكرر بهدف التأثير النفسي.

٥. لا توجد أدوات تشخيص أو فحوص طبية قادرة بشكل قاطع على إثبات تعاطي هذه الترددات، ما يخلق صعوبة في الإثبات الجنائي.

ثانياً – المقترحات

١. إصدار تشريع خاص يجرّم صراحة المخدرات الرقمية بصورها المختلفة، ويُحدد العقوبات المقررة لكل سلوك متعلق بها.

٢. تعديل قوانين العقوبات والمخدرات لتشمل المؤثرات السمعية الرقمية ضمن نطاق التجريم.

٣. تعزيز البنية القانونية الرقمية عبر تدريب القضاة وأعضاء النيابة على التعامل مع الجرائم الرقمية الحديثة.

٤. تفعيل الرقابة الإلكترونية وحجب المواقع التي تروج لهذا النوع من الترددات بالتعاون بين وزارتي الداخلية والاتصالات.

٥. إطلاق حملات توعية وطنية في المدارس والجامعات حول مخاطر هذه الظاهرة وآثارها النفسية والصحية.

٦. تشجيع البحث العلمي والطبي لتقديم تقارير موثقة يمكن أن يعتمد عليها القانون في إثبات التأثير النفسي لهذه الترددات.

٧. التعاون الدولي لتوحيد الجهود في مواجهة هذا النوع من الجرائم، خاصة أنها تنتشر عبر منصات دولية يصعب ضبطها محليًا فقط.

الهوامش:

١– ناهدة محمد أحمد، المسؤولية الجنائية عن المخدرات الرقمية، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية القانون جامعة كركوك، العراق، ٢٠٢٢، ص٤٢.

كما عرفت المجتمعات اليونانية اهتماما بالموسيقى بمثابة علاج صحي مبني على التفاعل مع الموسيقى من أجل تحقيق أهداف معينة في صحة الشخص ولكن يجب أن يكون الشخص مؤهلا لذلك، كما أنه لطرد الأرواح الشريرة، وقال أفلاطون إن الموسيقى يمكن أن تؤثر على العواطف وبالتالي يمكن أن تؤثر على طبيعة الفرد أما أرسطو فقد أعتقد أن الموسيقى تؤثر على الروح ووصفها كقوة تظهر المشاعر، للمزيد حول ذلك ينظر إلى، سامي أحمد الموصلي، الموسيقى والعلاج الطبي، دار المعتز للنشر والتوزيع، الأردن، ٢٠١٥، ص٣٧.

٢ – فريدة صغير عباس، تمثلات إدمان الشباب على المخدرات الرقمية دراسة تحليلية أثنوغرافية لعينة من حلقات برنامج تيك توك، مقال منشور بالمجلة الجزائرية للأبحاث والدراسات، جامعة محمد الصديق بن يحيى، جيجل، الجزائر، العدد الرابع، سنة٢٠٢١، ص٤٣٢.

٣ – جيهان صبري محمد، الحكم الشرعي للمخدرات الرقمية، دراسة فقهية مقارنة، بحث منشور بمجلة الشريعة والقانون، جامعة الأزهر فرع أسيوط، مصر، العدد ٣٤، ج٥، ٢٠٢٢، ص١٩٥٩ وما بعدها.

٤ – جيهان صبري محمد، الحكم الشرعي للمخدرات الرقمية، دراسة فقهية مقارنة، مرجع سابق، ص١٩٦٠.

– هاينريش ويلهيلم دوف، هو فيزيائي، وعالم أرصاد جوية، وأستاذ جامعي من ألمانيا، ولد في لغنيتسا، وكان عضواً في الجمعية الملكية، والأكاديمية الملكية ا لهولندية للفنون والعلوم، والأكاديمية الروسية للعلوم، والأكاديمية الأمريكية للفنون والعلوم، والأكاديمية البروسية للعلوم. توفي في برلين، عن عمر يناهز ٧٦ عام، للمزيد حول ذلك يراجع بهذا الشأن، هاينريش ويلهيلم دوف، تاريخ الزيارة ٢٠/٥/٢٠٢٥، https://www.wikiwand.com.

– جيرالد أوستر، وهو عالم فيزياء حيوية ولد عام ١٩١٣ وتوفي عالم ١٩٩٣، يراجع بهذا الشأن، نغمات أذنيه استخداماتها، تاريخ الزيارة ٢٠/ ٥/ ٢٠٢٥، https://arbyy.com.

٥– أحمد جلول وفوزي فرحات، المخدرات الرقمية، خطورتها وسبل الوقاية منها، مجلة الدارسات والبحوث الاجتماعية، جامعة الشهيد حمه خضر الوادي، العدد١، مجلد ٨، ٢٠٢٠، ص٦٧.

٦ – فاطمة الزهراء ليراتني، المخدرات الرقمية نمط مستحدث وقصور في المواجهة التشريعية، بحث منشور بمجلة العلوم الإنسانية، جامعة العربي بن مهيدي – أم البواقي، الجزائر، مجلد ٩، العدد، ٢٠٢٢، ص٨٥٧ومابعدها.
٧– ابن المنظور، لسان العرب ،ط٣ ، دار احياء التراث العربي – بيروت ، بدون سنة الطبع ، ص ٢٣٢.
٨– إبراهيم آليس و عبد الحليم منتصر و عطية الصوالحي ومحمد خلف الله أحمد المعجم الوسيط «الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ – ١٩٧٢م الناشر مجمع اللغة العربية بالقاهرة مادة «خبر» – ١/٢٢٠ ، أحمد بن محمد بن علي الفيومي: «المصباح المنير في غريب الشرح الكبير الطبعة الثانية – الناشر المكتبة العلمية – الروت مادة «خبر» ١/١٦٥.
٩– محمد الخطيب، حكم تناول المخدرات والمترات، بحث منشور في مجلة الهداية – وزارة العدل – البحرين، العدد١٥٢، لسنة ١٩٩٠، ص١٣.
١٠– عبد الرحيم محمد عبد الرحيم، التكييف الفقهي للميراث الرقمي، دراسة فقهية مقارنة، بحث منشور بمجلة البحوث الفقهية والقانونية الصادرة عن كلية الشريعة والقانون بدمنهور جامعة الأزهر العدد٣٦، ٢٠٢١، ص٢٠٤٢.
١١– عبد الاله محمد النوايسة، جرائم تكنولوجيا المعلومات، شرح الأحكام الموضوعية في قانون الجرائم الإلكترونية، ط(١) دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ٢٠١٧، ص٧٨ وما بعدها.
١٢– طارق نامق محمد رضا، المسؤولية الجزائية عن الابتزاز الإلكتروني عبر مواقع التواصل الاجتماعي، رسالة ماجستير، كلية القانون والعلوم السياسية، جامعة كركوك، دراسة مقارنة، ٢٠٢١، ص٤٥.
١٣– نوال أحمد سارو، المسؤولية الجنائية الناشئة عن تعاطي المخدرات الرقمية، بحث منشور في مجلة الحقوق، جامعة النهرين، العدد (٢٢) ٢٠١٧، ص٢٥٤.
١٤– خالد محمد شعبان، ظاهرة إدمان المخدرات الصوتية الرقمية بين الفقه الإسلامي وأهل الخبرة، بحث منشور على الشبكة المعلوماتية، بلا سنة، ١٣٧٨ وما بعدها.
١٥– هشام محمد فريد، الجوانب الإجرائية للجرائم المعلوماتية، مكتبة الآلات الحديثة، أسيوط، ١٩٩٤، ص١٤.
١٦– السعيد مصطفى السعيد، الاحكام العامة في قانون العقوبات، دار المعارف، الاسكندرية، ١٩٦٢، ص٤٣.
١٧– عبد الأحد جمال الدين، المبادئ الرئيسية للقانون الجنائي، النظرية العامة للجريمة ،ج١، ط١، ١٩٩٧، ص٥٤.
١٨– السعيد مصطفى السعيد، الاحكام العامة في قانون العقوبات، مرجع سابق، ص٤٣.
١٩– ياسين جبيري، المخدرات الرقمية، بحث منشور في مجلة الشريعة والاقتصاد، العدد ٨ ، المجلد ٤، ٢٠١٥، ص٥٩٨.
٢٠– يمينة بلغول، مخاطر المخدرات الرقمية وغياب التشريعات، بحث منشور في مجلة المجتمع والرياضة، العدد ١، المجلد ٥، الجزائر، ٢٠٢٢، ص٩١ وما بعدها.
٢١– محمود عفيفي حسن، المخدرات الرقمية ومدى مشروعية استخدامها، دراسة فقهية مقارنة، بحث منشور في مجلة البحوث الفقهية والقانونية، العدد ٤٠، ٢٠٢٣، ص٢٣٧.
٢٢– وجدان التاجي، التحديات التي تواجه الأسرة في الوقاية من المخدرات الرقمية، ورقة عمل مقدمة إلى للندوة العلمية للمخدرات الرقمية وتأثيرها على الشباب العربي، جامعة نايف للعلوم الأمنية، عام ٢٠١٦.
٢٣– ياسين جبيري، المخدرات الرقمية، مرجع سابق، ص٥٧٧.
٢٤– عادل محمد صادق و شرين حسن محمد، مستوى الوعي بالذات فيما يتعلق بالمخدرات الرقمية لدى الشباب، ودور الجامعة المقترح في مواجهتها، مجلة جامعة الفيوم للعلوم التربوية والنفسية، المجلد ٤ الجزء الثالث،
٢٥– عبد الله عويدات، الآثار النفسية والاجتماعية للمخدرات الرقمية ودور المؤسسات الضبط الاجتماعي في الحد منها، ورقة عمل مقدمة إلى ندوة المخدرات الرقمية وأثرها على الشباب العربي، جامعة نايف، المملكة العربية السعودية، ٢٠١٦، ص١٩.
٢٦– نزهت محمود الدليمي، فاعلية الاعلام الحر في معالجة المشكلات الاجتماعية « ظاهرة تعاطي المخدرات والإدمان أنموذجاً» مجلة الباحث العلمي جامعة بغداد، عدد، (٩–١٠) ٢٠١٠، ص١٢٧.
٢٧– خالد إبراهيم الكردي كيفية تناول وسائل الإعلام المشكلة المخدرات ورقة عمل مقدمة في الدورة التدريبية دور وسائل الإعلام في برامج الوقاية من المخدرات كلية التربية – جامعة نايف في الفترة من ٢٠١٦/١/١/٢٨٢٤، المملكة العربية السعودية، ص ٣ وما بعدها.
٢٨– أحمد مطهر عقبات، دور وسائل الإعلام في الوقاية من المخدرات، ورقة عمل مقدمة في ندوة « دور المؤسسات التربوية في الحد من تعاطي المخدرات جامعة نايف في الفترة من ٢–٢٠٠٧/٤/٤، المملكة العربية السعودية، ص ٧.
٢٩– أحمد خليفة المط، الجريمة المعلوماتية، دار الفكر الجامعي، الاسكندرية، ٢٠٠٦، ص١٦٨ وما بعدها.
٣٠– أحمد عبد الوهاب محمد عبد الوهاب، مدى كفاية التشريع الجنائي الحالي لتجريم المخدرات الرقمية، بحث مقدم إلى المؤتمر العلمي الدولي الأول، كلية الحقوق، جامعة مدينة السادات، ٢٠٢٠، ص٢٠.
٣١– أحمد خليفة المط، الجريمة المعلوماتية، مرجع اسابق، ص١٦٩ وما بعدها.
٣٢– لينا محمد الاسدي، القصور التشريعي في مواجهة المخدرات الرقمية، دراسة مقارنة في ظل مواجهة قانون المخدرات والمؤثرات

العلمية العراقي رقم (٥٠) لسنة ٢٠١٧، ص١٦وما بعدها.
٣٣- براء منذر وكمال عبد اللطيف وآخرون، دور القانون في مكافحة التطبيقات الخاصة بالمخدرات والمؤثرات الصوتية والرقمية، بحث مقدم على برنامج zoom، في أعمال المؤتمر الأول لكلية القانون، جامعة جدارا، بعنوان النام القانوني للأعمال الإلكترونية الواقع والمؤمل، والذي عقد من ١_٣، ٢٠٢٣.
٣٤- ينظر إلى نص المادة الثانية من مشروع قانون مكافحة الجريمة الالكترونية العراقي لسنة ٢٠١٩.
٣٥- ناهدة محمد أحمد، المسؤولية الجزائية عن المخدرات الرقمية، رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة كركوك، كلية القانون، ٢٠٢٢، ص١٠٥
٣٦- نفس المرجع، ص١٠٥.
٣٧- عبد الفتاح حجازي، الجرائم المستحدثة في نطاق التكنولوجية، الاتصالات الحديثة، منشاة المعارف، الاسكندرية، ٢٠٠٩، ص١٥.
٣٨- ناهدة محمد أحمد، المسؤولية الجزائية عن المخدرات الرقمية، مرجع سابق، ص١٠٦.

المصادر:

١)- ناهدة محمد أحمد، المسؤولية الجنائية عن المخدرات الرقمية، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية القانون جامعة كركوك، العراق، ٢٠٢٢، ص٤٢.
كما عرفت المجتمعات اليونانية اهتماما بالموسيقى بمثابة علاج صحي مبني على التفاعل مع الموسيقى من أجل تحقيق أهداف معينة في صحة الشخص ولكن يجب أن يكون الشخص مؤهلا لذلك، كما أنه لطرد الأرواح الشريرة، وقال أفلاطون إن الموسيقى يمكن أن تؤثر على العواطف وبالتالي يمكن أن تؤثر على طبيعة الفرد أما أرسطو فقد أعتقد أن الموسيقى تؤثر على الروح ووصفها كقوة تظهر المشاعر، للمزيد حول ذلك ينظر إلى، سامي أحمد الموصلي، الموسيقى والعلاج الطبي، دار المعتز للنشر والتوزيع، الأردن، ٢٠١٥، ص٣٧.
٢) – فريدة صغير عباس، تمثلات إدمان الشباب على المخدرات الرقمية دراسة تحليلية أثنوغرافية لعينة من حلقات برنامج تيك توك، مقال منشور بالمجلة الجزائرية للأبحاث والدراسات، جامعة محمد الصديق بن يحيى، جيجل، الجزائر، العدد الرابع، سنة٢٠٢١، ص٤٣٢.
٣) – جيهان صبري محمد، الحكم الشرعي للمخدرات الرقمية، دراسة فقهية مقارنة، بحث منشور بمجلة الشريعة والقانون، جامعة الأزهر فرع أسيوط، مصر، العدد ٣٤، ج٥، ٢٠٢٢، ص١٩٥٩ وما بعدها.
) – جيهان صبري محمد، الحكم الشرعي للمخدرات الرقمية، دراسة فقهية مقارنة، مرجع سابق، ص١٩٦٠.
– هاينريش ويلهيلم دوف، هو فيزيائي، وعالم أرصاد جوية، وأستاذ جامعي من ألمانيا، ولد في لغنيتسا، وكان عضواً في الجمعية الملكية، والأكاديمية الملكية ا لهولندية للفنون والعلوم، والأكاديمية الروسية للعلوم، والأكاديمية الأمريكية للفنون والعلوم، والأكاديمية البروسية للعلوم. توفي في برلين، عن عمر يناهز ٧٦ عام، للمزيد حول ذلك يراجع بهذا الشأن، هاينريش ويلهيلم دوف، تاريخ الزيارة ٢٠/٥/٢٠٢٥، https://www.wikiwand.com.
– جيرالد أوستر، وهو عالم فيزياء حيوية ولد عام ١٩١٣ وتوفي عالم ١٩٩٣، يراجع بهذا الشأن، نغمات أذنيه استخداماتها، تاريخ الزيارة ٢٠/ ٥/ ٢٠٢٥، https://arbyy.com.
٥)- أحمد جلول وفوزي فرحات، المخدرات الرقمية، خطورتها وسبل الوقاية منها، مجلة الدارسات والبحوث الاجتماعية، جامعة الشهيد حمه خضر الوادي، العدد١، مجلد ٨، ٢٠٢٠، ص٦٧.
٦) – فاطمة الزهراء ليراتني، المخدرات الرقمية نمط مستحدث وقصور في المواجهة التشريعية، بحث منشور بمجلة العلوم الإنسانية، جامعة العربي بن مهيدي – أم البواقي، الجزائر، مجلد ٩، العدد، ٢٠٢٢، ص٨٥٧ومابعدها.
٧)- ابن المنظور، لسان العرب ،ط٣ ، دار احياء التراث العربي – بيروت ، بدون سنة الطبع ، ص ٢٣٢.
٨)- إبراهيم آليس و عبد الحليم منتصر و عطية الصوالحي ومحمد خلف الله أحمد المعجم الوسيط «الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ – ١٩٧٢م الناشر مجمع اللغة العربية بالقاهرة مادة «خبر» – ١/٢٢٠ ، أحمد بن محمد بن علي الفيومي: «المصباح المنير في غريب الشرح الكبير الطبعة الثانية – الناشر المكتبة العلمية – الروت مادة «خبر» ١/١٦٥.
٩)- محمد الخطيب، حكم تناول المخدرات والمترات، بحث منشور في مجلة الهداية – وزارة العدل – البحرين، العدد١٥٢، لسنة ١٩٩٠، ص١٣.
١٠)- عبد الرحيم محمد عبد الرحيم، التكييف الفقهي للميراث الرقمي، دراسة فقهية مقارنة، بحث منشور بمجلة البحوث الفقهية والقانونية الصادرة عن كلية الشريعة والقانون بدمنهور جامعة الأزهر العدد٣٦، ٢٠٢١، ص٢٠٤٢.
١١)- عبد الاله محمد النوايسة، جرائم تكنولوجيا المعلومات، شرح الأحكام الموضوعية في قانون الجرائم الإلكترونية، ط(١) دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ٢٠١٧، ص٧٨ وما بعدها.
١٢)- طارق نامق محمد رضا، المسؤولية الجزائية عن الابتزاز الإلكتروني عبر مواقع التواصل الاجتماعي، رسالة ماجستير، كلية القانون والعلوم السياسية، جامعة كركوك، دراسة مقارنة، ٢٠٢١، ص٤٥.

١٣)– نوال أحمد سارو، المسؤولية الجنائية الناشئة عن تعاطي المخدرات الرقمية، بحث منشور في مجلة الحقوق، جامعة النهرين، العدد (٢٢) ٢٠١٧، ص٢٥٤.
١٤)– خالد محمد شعبان، ظاهرة إدمان المخدرات الصوتية الرقمية بين الفقه الإسلامي وأهل الخبرة، بحث منشور على الشبكة المعلوماتية، بلا سنة، ١٣٧٨ وما بعدها.
١٥)– هشام محمد فريد، الجوانب الإجرائية للجرائم المعلوماتية، مكتبة الآلات الحديثة، أسيوط، ١٩٩٤، ص١٤.
١٦)– السعيد مصطفى السعيد، الاحكام العامة في قانون العقوبات، دار المعارف، الاسكندرية، ١٩٦٢، ص٤٣.
–(١٧عبد الأحد جمال الدين، المبادئ الرئيسية للقانون الجنائي، النظرية العامة للجريمة ،ج١، ط١، ١٩٩٧، ص٥٤.
١٨)– السعيد مصطفى السعيد، الاحكام العامة في قانون العقوبات، مرجع سابق، ص٤٣.
١٩)– ياسين جبيري، المخدرات الرقمية، بحث منشور في مجلة الشريعة والاقتصاد، العدد ٨ ، المجلد ٤، ٢٠١٥، ص٥٩٨.
٢٠)– يمينة بلغول، مخاطر المخدرات الرقمية وغياب التشريعات، بحث منشور في مجلة المجتمع والرياضة، العدد ١، المجلد ٥، الجزائر، ٢٠٢٢، ص٩١ وما بعدها.
٢١)– محمود عفيفي حسن، المخدرات الرقمية ومدى مشروعية استخدامها، دراسة فقهية مقارنة، بحث منشور في مجلة البحوث الفقهية والقانونية، العدد ٤٠، ٢٠٢٣، ص٢٣٧.
٢٢)– وجدان التاجي، التحديات التي تواجه الأسرة في الوقاية من المخدرات الرقمية، ورقة عمل مقدمة إلى للندوة العلمية للمخدرات الرقمية وتأثيرها على الشباب العربي، جامعة نايف للعلوم الأمنية، عام ٢٠١٦.
٢٣)– ياسين جبيري، المخدرات الرقمية، مرجع سابق، ص٥٧٧.
٢٤)– عادل محمد صادق و شرين حسن محمد، مستوى الوعي بالذات فيما يتعلق بالمخدرات الرقمية لدى الشباب، ودور الجامعة المقترح في مواجهتها، مجلة جامعة الفيوم للعلوم التربوية والنفسية، المجلد ٤ الجزء الثالث،
٢٥)– عبد الله عويدات، الآثار النفسية والاجتماعية للمخدرات الرقمية ودور المؤسسات الضبط الاجتماعي في الحد منها، ورقة عمل مقدمة إلى ندوة المخدرات الرقمية وأثرها على الشباب العربي، جامعة نايف، المملكة العربية السعودية، ٢٠١٦، ص١٩.
٢٦) – نزهت محمود الدليمي، فاعلية الاعلام الحر في معالجة المشكلات الاجتماعية « ظاهرة تعاطي المخدرات والإدمان أنموذجاً» مجلة الباحث العلمي جامعة بغداد، عدد، (٩–١٠) ٢٠١٠، ص١٢٧.
٢٧)– خالد إبراهيم الكردي كيفية تناول وسائل الإعلام المشكلة المخدرات ورقة عمل مقدمة في الدورة التدريبية دور وسائل الإعلام في برامج الوقاية من المخدرات كلية التربية – جامعة نايف في الفترة من ٢٨٢٤/١/١/٢٠١٦، المملكة العربية السعودية، ص ٣ وما بعدها.
٢٨)– أحمد مطهر عقبات، دور وسائل الإعلام في الوقاية من المخدرات، ورقة عمل مقدمة في ندوة « دور المؤسسات التربوية في الحد من تعاطي المخدرات جامعة نايف في الفترة من ٢–٤/٤/٢٠٠٧، المملكة العربية السعودية، ص ٧.
٢٩)– أحمد خليفة المط، الجريمة المعلوماتية، دار الفكر الجامعي، الاسكندرية، ٢٠٠٦، ص١٦٨ وما بعدها.
٣٠)– أحمد عبد الوهاب محمد عبد الوهاب، مدى كفاية التشريع الجنائي الحالي لتجريم المخدرات الرقمية، بحث مقدم إلى المؤتمر العلمي الدولي الأول، كلية الحقوق، جامعة مدينة السادات، ٢٠٢٠، ص٢٠.
٣١)– أحمد خليفة المط، الجريمة المعلوماتية، مرجع اسابق، ص١٦٩ وما بعدها.
٣٢)– لينا محمد الاسدي، القصور التشريعي في مواجهة المخدرات الرقمية، دراسة مقارنة في ظل مواجهة قانون المخدرات والمؤثرات العلمية العراقي رقم (٥٠) لسنة ٢٠١٧، ص١٦وما بعدها.
٣٣)– براء منذر وكمال عبد اللطيف وآخرون، دور القانون في مكافحة التطبيقات الخاصة بالمخدرات والمؤثرات الصوتية والرقمية، بحث مقدم على برنامج zoom، في أعمال المؤتمر الأول لكلية القانون، جامعة جدارا، بعنوان النام القانوني للأعمال الإلكترونية الواقع والمؤمل، والذي عقد من ١_٣، ٢٠٢٣.
٣٤)– ينظر إلى نص المادة الثانية من مشروع قانون مكافحة الجريمة الالكترونية العراقي لسنة ٢٠١٩.
٣٥)– ناهدة محمد أحمد، مرجع سابق، ص١٠٥.
٣٦)– نفس المرجع، ص١٠٥.
٣٧)– عبد الفتاح حجازي، الجرائم المستحدثة في نطاق التكنولوجية، الاتصالات الحديثة، منشاة المعارف، الاسكندرية، ٢٠٠٩، ص١٥.
٣٨)– ناهدة محمد أحمد، المسؤولية الجزائية عن المخدرات الرقمية، مرجع سابق، ص١٠٦.

تعدد صور تعدية الفعل (دخل) في النص القرآني
« عرض وتوجيه»

م. م. إخلاص عبد الله خلف
الجامعة العراقية / كلية التربية للبنات

المستخلص:
يتناول هذا البحث ظاهرة تعدد صور التعدية للفعل (دخل) في القرآن الكريم، وهي من الظواهر اللغوية التي تعكس ثراء اللغة العربية ودقتها في التعبير عن المعاني الدقيقة. فالفعل (دخل) يُستخدم عادةً لازماً، إلا أنه ورد في القرآن بصور متعددة من التعدية، مثل: التعدية بالحرف (في)، أو التعدية بنفسه (متعديًا)، أو التعدية بحرف الجر (إلى)، أو تعديته بالهمزة (أدخل)، أو التضعيف (دخّل). يعرض البحث هذه الصور من خلال رصد الآيات التي ورد فيها الفعل (دخل) بمختلف صوره، ثم يوجه استعمال كل صورة من صور التعدية بحسب السياق والمعنى المقصود، موضحًا الدلالات البلاغية والبيانية لكل استعمال. ويسعى البحث إلى إظهار إعجاز النظم القرآني في اختيار الصورة الأنسب من صور التعدية لتؤدي المعنى بدقة، ولتكشف عن فروق دقيقة بين المواقف والسياقات المختلفة.
الكلمات المفتاحية :التعدية ، دخل ، دلالة ، النص القرآني

Abstract:
This research addresses the phenomenon of the multiple forms of transitivity of the verb «dakhala» (to enter) in the Holy Qur'an — a linguistic feature that reflects the richness and precision of the Arabic language in expressing subtle meanings. The verb «dakhala» is typically intransitive, yet in the Qur'an it appears in various transitive forms: transitive with the preposition «fi» (in), directly transitive without a preposition, with «ila» (to), through causative augmentation (adkhala), or through intensification (dakhkhala).
The study presents these forms by identifying the verses in which the verb «dakhala» appears in its different transitive forms, and then analyzes the use of each form according to its context and intended meaning, highlighting the rhetorical and expressive significance of each usage.
The research aims to demonstrate the miraculous eloquence of Qur'anic expression in selecting the most appropriate form of transitivity to convey the intended meaning precisely, revealing subtle distinctions between different contexts and situations.
alkalimat almuftahiatu: alquran alkarim, allughat alearabiatu, almaeani aldaqiqati, altaediatu.
Keywords: Transgression, income, meaning, Quranic text

المقدمة:
الحمد لله الذي أنزل القرآن الكريم بلسانٍ عربيٍّ مبين، وجعل فيه من البلاغة والبيان ما يُعجزالفصحاء والبلغاء، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، أفصح من نطق بالضاد، وعلى آله وصحبه أجمعين.
أما بعد:

فإن من مظاهر إعجاز القرآن الكريم، دقته في استخدام الألفاظ وتنوع الأساليب، ومن ذلك تعدد صور التعدية للأفعال، والتي تُعد من الظواهر الدلالية التي لها أثرٌ كبير في إيصال المعنى وتحديده. وقد وقع اختياري على الفعل (دخل) لما فيه من غنى لغوي وتنوع تركيبي، حيث ورد في القرآن الكريم بصور متعددة، منها ما هو لازم ومنها ما هو متعدٍّ، مع اختلاف أدوات التعدية مثل: (في، إلى، على)، وكذلك استعمال صيغتي التعدية بالهمزة والتضعيف.

ويهدف هذا البحث إلى:

عرض هذه الصور المختلفة للفعل (دخل) في القرآن الكريم.

توجيه هذه الصور لغويًا وصرفياً.

بيان أثر هذا التنوع في المعنى وسياق الآيات.

منهج البحث :

طبيعة موضوع البحث اقتضت اعتماد المنهج الوصفي التطبيقي ، و تركيزاً على خصوصية الفعل (دخل) في النص القرآني .

هيكلية البحث:

ويتكون البحث من مقدمة ومبحثين وبعدها خاتمة واهم المصادر يتكون المبحث الاول من مطلبين : الاول : الفعل بين لزومه وتعديته عند النحاة ، والثاني : تعدد صور تعدية الفعل (دخل) في النص القرآني .

أما المبحث الثاني يتكون من مطلبين : الاول : آيات الفعل دخل في القرآن الكريم ، والمطلب الثاني : تطبيقات صور تعدية الفعل (دخل) في القرآن الكريم .

أسأل الله الكريم التوفيق وأن يرشدني إلى طريق الهداية والصلاح ، وأن يسدد خطاي فيما حسنت فيه نيتي وأن ينفع بهذا العمل من بعدي ، والحمد لله أولا وآخرا .

المبحث الاول

المطلب الأول : الفعل بين لزومه وتعديته عند النحاة .

للفعل في الدراسات النحوية تقسيمات متعددة منها تقسيمه من حيث الإعراب والبناء إلى معرب ومبني ، ومنها باعتبار زمنه إلى ماض وحاضر ومستقبل ومنها باعتبار تعديه ولزومه إلى لازم ومتعد ، ويهمنا منها التقسيم الأخير لأنه موضع عناية هذه الدراسة.

ويعرف القدماء (الفعل) بقولهم:«الفعل ما دلّ على اقتران حدث بزمان)(١)، فالفعل يدل على الحدث(المعنى) من خلال مادة اشتقاقه ،كما يدل على الزمن من خلال مفهوم الجملة ، وليس من شكل الصيغة ، وبذلك نتحوّل من الزمن الصرفي كما كان عند القدامى ، إلى الزمن الدلالي .

« السمات الصرفية للفعل : حدث + زمن الدلالي + تجدد ، ويعني هذا أنه تعد الدلالة الزمنية عنصر تفريق صرفياً ؛ بل أضيف إليه عنصر الدلالة الفعلية وهو (التجدد)»(٢).

يقتضي (الفعل) فاعلاً بما يلحق صيغته الصرفية من زوائد ولواصق ، فالفعل (ندخل) يدل على أن الفاعل جمع متكلمين ، لما فيه حرف المضارعة (ن)، ويذكر سيبويه : « أن صيغة الفعل تدل على فاعله ، ويقع فيه الضمير الدال عليه لفظاً»(٣).

واللازم هو» الفعل الذي يكتفي برفع الفاعل ولا ينصب بنفسه مفعولا به أو أكثر وإنما ينصبه بمعونة حرف جر أو غيره مما يؤدى إلى التعدية»(٤)، والمتعدي : « هو الفعل الذي ينصب بنفسه مفعولا به أو اثنين أو ثلاثة من غير أن يحتاج إلى مساعدة حرف جر أو غيره مما يؤدي إلى تعدية الفعل اللازم»(٥).

وأن لكل حرف من حروف الجر معناه الذي يباين غيره ، وحين تدخل حروف الجر على الفعل لتوصل أثره في

الاسم المتعدي يكتسب معها الفعل من الدلالات التي تتنوع بتنوع معاني حروف الجر الداخلة عليه ، بل حسبك أن تعلم أن حرف الجر يستطيع أن يقلب دلالة الفعل إلى النقيض فيصير للفعل الواحد أكثر من معنى بسبب اختلاف دلالة حرف الجر الذي تعدى به الفعل ، وفي هذا الصدد يقول الراغب (ت ٤٢٥ هـ) « فإذا قيل : راغب فيه وإليه يقتضي الحرص عليه قال تعالى (إنا إلى ربنا منقلبون)(٦)، وإذا قيل : رغب عنه اقتضى صرف الرغبة عنه والزهد فيه نحو قوله تعالى (ومن يرغب عن ملة إبراهيم) (٧).

أرأيت كيف انقلبت دلالة الفعل إلى النقيض فحين عدى بإلى دل على الحرص عليه وحين عدى بحرف لمجاوزة « عن « دل على عدم الرغبة والزهد فيه ، وحين نتتبع مواطن ورود هذا الفعل في القرآن الكريم نجده قد جاء معدى بالباء وفي وعن فاكتسب من المعاني المختلفة بما خلعته عليه حروف الجر من معانيها ، « فهو حين عدى إلى المرغوب بفي الظرفية التي تقتضي أن المرغوب احتوى الرغبة كما يحتوى الظرف على المظروف ، أنبأ ذلك عن معنى الحرص وكأنه أفرغ كل رغبته فيه ، وحين عدى بالى التي تدل على أنتهاء الغاية ، أفاد انصراف الراغب إلى مرغوبه ، وتوجهه إليه ، وانصرافه عما عداها (إنا إلى ربنا راغبون)(٨)، وحين عدي بحرف المجاوزة ، دل بما اكتسبه من معنى هذا الحرف على الانصراف عن الشيء وتجاوزه كقوله تعالى (ومن يرغب عن ملة إبراهيم)(٩)، وحين عدي بالباء التي تفيد الالصاق كما في قوله تعالى : (ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه)(١٠). دل على الظن والبخل بها ، لأن إلصاق الرغبة بالأنفس يدل على شدة الارتباط بها وعدم التفريط فيها ، فهذه المعاني التي تواردت على فعل الرغبة إنما اتسع لها بحكم ما اكتسبه من معاني الحروف التي وصل بها ، وما أشاعته فيه من دلالاتها»(١١)، وإذا كانت تعدية الفعل حين يعدى بأكثر من حرف من حروف الجر . لكون تعديته بها مشهورة وشائعة على ألسنة الفصحاء أو كثر ورود تعديته بها في القرآن الكريم . قد خفيت على بعض العلماء وأخطأ فيها بعضهم لصعوبتها إذ إن الخطأ وإن وقع يكون في عدم إدراك بعض الفروق والدلالات التي تشي بها حروف الجر ، ومع ذلك كله فإن الأمر يظل مقدورا عليه ، بل وفي مكنة المتأمل الذي يصغي السمع لما تهمس به حروف الجر من المعاني المتنوعة التي تخلعها على الفعل المعدى بها ، وأن إدراك مثل هذه الفروق يكون صعبا للغاية حين يتعدى الفعل بحرف من حروف الجر ليس من شأنه أن يتعدى بنفسه ، وإما لشيوع تعديته بحرف آخر على ألسنة الفصحاء ، أو في البيان القرآني ، « فإذا ما خولف المعروف والمشهور من هذه التعدية فإن الآراء حينئذ تتباين ، والمذاهب تتعدد في تفسير هذه المخالفة ، وأكثرها لا يعني بالوقوف على أسرار المخالفة ، واستجلاء أغراض النظم بقدر ما يعنى بإيجاد تبرير لهذا الخروج ، والاستشهاد على صحته ، مما نطق به العرب ، أو نزل به الروح الأمين»(١٢).

ومن ثم نجد لعلماء النحو حين يتعدى الفعل بحرف ليس في أصل الاستعمال أن يتعدى به رأيين .

أولهما : رأى الكوفيين :

فلكوفيون ومن سار على نهجهم إلى القول بتناوب حروف الجر بعضها عن بعض فيقولون مثلا أن في بمعنى على ، وعلى تكون بمعنى في أو بمعنى مع وهكذا .

ويعد ابن قتيبة من أوائل العلماء الذين أشاروا إلى تناوب حروف الجر مواضعها حيث أفرد في كتابه تأويل مشكل القرآن « بابا أطلق عليه باب دخول بعض حروف الصفات مكان بعض»(١٣). ثم تعاقب العلماء من بعده على تأليف كتب في معاني الحروف ذكروا فيها للحرف الواحد معناه الأصلي المستعمل في كلام العرب ثم معانيه الأخرى التي يتناولها مع حروف الجر الأخرى .

ثانياً: رأي البصريين .

ذهب البصريون إلى القول بتضمين الفعل معنى فعل يتعدى بذلك الحرف ، وقد أشار المرادي (ت ٧٩٤ هـ) إلى هذين المذهبين بقوله : « مذهب الكوفيين، ومن وافقهم، في أن حروف الجر قد ينوب بعضها عن بعض. ومذهب البصريين إبقاء الحرف على موضوعه الأول، إما بتأويل يقبله اللفظ، أو تضمين الفعل معنى فعل آخر، يتعدى

بذلك الحرف. وما لا يمكن فيه ذلك فهو من وضع أحد الحرفين موضع الآخر على سبيل الشذوذ»(١٤).

ولا يخفى أن كلا الرأيين ما هما إلا محاولة من العلماء لبيان المعنى وتصحيح التعدية والوقوف عندهما يعد صرفاً لهمم الدارسين عن البحث في أعماق النصوص للوقوف على روائع البلاغة في تنوع المعاني التي يكتسبها الفعل بتنوع معاني الجر الداخلة عليه .

ومع يقيني بأن هذين الرأيين قد ذهب إليهما كثير من أئمة النحو والتفسير ووردا أيضا في كلام العرب شعره ونثره ، وفي البيان القرآني ، لأنهما من طرائق التعبير في لغتنا العربية ، فإني لا أذهب إليهما ولا أكتفي بالوقوف عندهما لأن الدارس لبلاغة القرآن ليس غايته الوقوف عند بيان المعنى وتصحيح التعدية بل غايته بيان الأسرار وإبراز الفروق الدقيقة من وراء تعدية الفعل بأكثر من حرف من حروف الجر .

وإذا كان هذا الحكم منسجما على القول بتناوب حروف الجر بعضها عن بعض فكذلك الشأن في القول بالتضمين لأنه لا يعدو أن يكون إلا محاولة من العلماء لتصحيح وجه التعدية وليس بحثا عن أسرار البلاغة في تنوع تعدية الفعل .

ولا يعني هذا أنني أرفض هذين الرأيين جملة وتفصيلاً ، بل إنني لا أميل إليهما ولا أرتضيهما لأن الوقوف عندهما دون البحث عن أسرار تنوع تعدية الفعل وما تشيعه حروف الجر من المعاني المتعددة على الفعل عند تعديته بها فيه دون شك. حيف على البيان العالي لعدم قدرتهما على الوفاء بأسرار البيان وروائع التعبير الكامنة في أعطافه .

ويلجأ بعض النحاة والمفسرين حين يكثر تعدية الفعل بحرف ما ، وتقل تعديته بحرف ما ، وتقل تعديته بحرف آخر إلى القول بأصالة تعديته بذلك الحرف ونيابته عن الحرف الآخر اعتمادا على كثرة تعديه وشيوعها أو قلة تعديه .

المطلب الثاني:

تعدد صور تعدية الفعل (دخل) في النص القرآني :

التعدية : الأصل في (الفعل) اللزوم ، ثم يتعدّى بأدوات متعددة (كالهمزة ، والتضعيف ، وألف المفاعلة ، وحروف الجر) وحين تزداد قوة الفعل يتعدى بنفسه إلى مفعول أو أكثر ، وهو تصاعد منطقي رأى أن درجة القوة الفعلية المتغيرة ، قد شكلت وظهرت في اللغة الإنسانية وفق قوة متصاعدة ، فوضعت أولاً الأفعال بلا قوة ، ثم الأفعال ذات قوة واحدة ، ثم الأفعال ذات قوتين ، وأخيراً الأفعال ذات الثلاث قوى»(١٥). لكن لا يوجد في اللغة العربية أفعال بدون قوة .

وبالنسبة للفعل (دخل) لاحظتُ أنه جاء متعدياً في كل مواضعه ، فقد يتعدى بحرف ، أو يتعدى بنفسه ، وقيل : إنه يتعدى بحرف الجر سواء ذكر أو قُدّر فهو مقدّر مع الظروف ، ظاهر مع الأسماء الجامدة « وأن قولهم (دخلتُ البيت) إنما هو على حذف حر الجر ،كأنه أراد (دخلتُ إلى البيت ، أو في البيت) فيحذف حرف الجر في الظروف . أما قولهم (دخلتُ الأمر ، أو دخلتُ السلم) وما جرى مجراه ، فلا يجوز حذف حرف الجر»(١٦).

ومن صور تعدية الفعل (دخل) :

أولاً : تعدي الفعل بحرف الجر :

أ. الحرف (على) : وآثر النص القرآني هذا التركيب ما بعد (على) إما ضمير (عليه) أو اسم ظاهر (على) نحو : قال تعالى: (وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ)، (وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ)(١٧).

ب . الحرف (في):(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً)(١٨). السلم يعني « الإسلام في جميع أحكامه»(١٩). تحوّلت الدلالة الحسية ، إلى الدلالة المعنوية ، أي طبقوا شرائع الإسلام .، وقوله تعالى : (وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا)(٢٠)

ت . الحرف (من) : (وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ)،(وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ) (٢١). كناية عن الأبواب .

ج . الحرف (الباء) : (وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ)(٢٢).

ثانياً : تعدي الفعل بنفسه :

أهمية الضمير : حينما تزداد قوة الفعل ؛ يتعدى بنفسه فيرفع فاعلاً ، ويكون في الغالب ضميراً متصلاً ، وينصب مفعولاً « الضمائر تكتسب أهميتها نائبة عن الأسماء والأفعال والعبارات والجمل المتتالية ولا تقف أهميتها عند هذا الحد ؛ بل تتعدا إلى كونها تربط بين أجزاء النص المختلفة ، شكلاً ودلالة داخلياً وخارجياً وسابقة ولاحقة»(٢٣)، فوظيفة الضمير تتمثل في :

أ. الإيجاز ، فلا نكرر الألفاظ « إن الضمير إذا اتصل ، فلربما أضاف إلى الخفة والاختصار عنصراً هو الاقتصار»(٢٤) .

ب . تحقق التماسك للجملة عن طريق :

١ . الإحالة الداخلية القبلية : والإحالة تعني : « استعمال كلمة أو تشير إلى كلمة أخرى أو عبارة أخرى ، سابقة في النص . فوظيفة الإحالة إذن هي الإشارة لما سبق من ناحية والتعويض عنه بالضمير من ناحية أخرى»(٢٥). ويرى د. سعيد بحيري أن « الإحالة رابطا دلاليا»(٢٦). (والداخلية) تعني العلاقات الإحالية داخل النص (سابقة أو لاحقة)،وهي إحالة نصية .

أثر الخطاب القرآني ذكر المسند إليه (الفاعل) في صورة الضمير المتصل بالفعل (دخل) وكان دائماً يأتي بالمسند إليه صريحاً سابقاً للحدث (الدخول) أو في سياق سابق نحو : (الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ)(٢٧)، (فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ)(٢٨) وغيرها .

٢. الإحالة الخارجية القبلية : « وإذا لم يذكر (المسند إليه) صراحة، بل فهم ضمنيا كانت خارجية»(٢٩)، وكانت (قبلية) أي ذكرت سابقة عن الحدث وهي إحالة سياقية .

قلت هذه الحالة ؛ لأن الله يؤثر الإبانة والوضوح للقائم بالفعل . نحو : الداخل إلى بيت الحرام (وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا)(٣٠)، الداخل بيت نوح (وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا)(٣١).

٣. الإحالة الداخلية البعيدة : حيث يأتي الفاعل (اسما ظاهرا) متأخرا عن المفعول ، وهذه الحالة لم ترد إلا مرة واحدة وقالوا : (وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى)(٣٢).

ثالثاً : تعدى الفعل إلى مفعولين:(للفعل ثلاث قوى) وينقسم ثلاثة أقسام :

القسم الأول : يتعدى إلى مفعولين بواسطة همزة التعدية، نحو : (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ)(٣٣).

وكذلك نرى هذه الآيات قال تعالى: (لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ)،(وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا)،(فأدخلوا ناراً).

(٣٤) نرى أن (يُدخل، نُدخل، أدخل) كلها تبدأ بحروف المضارعة ، وأصل الفعل متعدٍ بالهمزة . يأتي الفعل متعدٍ بالهمزة ، والفاعل : اسم ظاهر ، والمفعول الأول ضمير متصل .

القسم الثاني : يتعدى الفعل بنفسه إلى المفعولين : نحو ما جاء في سياق الآية قال تعالى : (وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ) ، (رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ) ، (قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ)(٣٥). نلحظ أن (فعل الأمر) كان الأكثر شيوعا في هذه الحالة .

القسم الثالث : يتعدى إلى المفعولين بحرف الجر : كما ورد في الآيات الكريمة منها : (قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ)(٣٦). نلحظ المفعول الأول (النار) وصل إليه بحرف الجر (في) على الرغم من كونه ظرفا حقيقياً ، وهو مخالف لآراء اللغويين ، وأرى أن الفعل (دخل) لما تضمن دلالة الفعل(خلد) تعدّى بالحرف ، وكذلك لتأخير موقع (النار) لأنها لو قدمت لحذف الحرف (ادخلوا النار) .

وقال الزمخشري :«(ادخلوا في أمم) في موضع الحال : أي كائنين في جملة أمم وفي غمارها مصاحبين لهم ، أي ادخلوا في النار مع أمم»(٣٧).

نلحظ : تعددت أشكال صور الفعل (دخل) المتعدي إل مفعولين ، وهذا يخالف ما قصره والنحاة في صورتين وهما : مفعولان أصلهما المبتدأ والخبر ، ومفعولين ليس أصلهما المبتدأ والخبر .

سمات حركة الدخول :

تعددت هيئات الدخول وأشكاه في القرآن الكريم ، فقد يدخل الداخل خائفاً أو مرحباً أو ضعيفاً منكسراً ... إلخ حيث يتأثر اتجاه الحركة ، أفقياً أو منحنياً ، كما يتغير الزمن من سرعة أو بطء ، وقوة الفعل أو ضعفه ، والبيئة التي تتم فيها الحركة (تراب ، ماء وغيرها) .

أولاً : الدخول بقوة .

الدخول هنا لا يعني الانتقال والمرور ؛ بل دخول قهر وعنوة ، وقد يصل إلى الاقتحام والاستيلاء على المدن ، وفية تبلغ السرعة أعلى معدلاتها ، حينئذ تضطرب الحركة لتبلغ كل الاتجاهات من أعلى ، وأسفل ، ومن جميع الجوانب ، قال تعالى : (يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ)(٣٨). لقد وعدهم الله بدخولها على لسان أبيهم إسرائيل ، فأمرهم الله بمحاربة الكنعانيين ، وفتحها . (قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ)(٣٩). يقول سيد قطب:« قاعدة في علم القلوب وفي علم الحروب : اقدموا اقتحموا فمتى دخلتم على القوم في عقر دارهم ؛ انكسرت قلوبهم ، بقدر ما تقوى قلوبكم ، وشعروا بالهزيمة في أرواحهم وكتب لكم الغلبة عليهم»(٤٠).

ونلحظ دلالة الفعل (دخل) في سياق الآية قال تعالى : (قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ)(٤١). جاء الفساد نتيجة لدخول الملوك القرية لتدميرها والاستيلاء عليها. وغيرها من الآيات التي تدل على الدخول بقوة .

ثانياً : دخول بضعف :

ورد في سياق الآية الكريمة قال تعالى : (فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ)(٤٢). يبين السياق دخول أخوة يوسف عليه ؛ ليسألونه وهم في أشد الحاجة للطعام ، وكان يوسف (عليه السلام). مسؤولاً عن خزائن مصر، فدخولهم بانكسار وضعف.

ثالثاً : دخول بخوف :

نلحظ في سياق الآية قال تعالى:(وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا)(٤٣). ولو لا خوف موسى (عليه السلام)، ما اختار وقت راحتهم ؛ ليأتي فيه .

وقال تعالى: (قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ)(٤٤) .يوضح السياق أن النملة أمرتهم بالعودة إلى مساكنهم خشية أن يحطمهم الجنود ، « أما أن تدرك النملة أن هذه الشخوص هي سليمان وجنوده ، فتلك هي الخارقة التي تخرج على المألوف وتحسب في عداد الخوارق»(٤٥).

رابعاً : دخول بأمان :

ارتباط دخول المسجد الحرام بالأمان والسكينة ، حيث تربو الروحانيات في ذلك المكان الطاهر .

يقول تعالى : (لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ)(٤٦)، وكذلك قوله تعالى : (إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا)(٤٧)،وجاء في تفسير السمر قندي : « قال تعالى: مُبارَكاً أي فيها بركة ومغفرة للذنوب وَهُدىً لِلْعالَمِينَ يعني قبلة لمن صلّى إليها»(٤٨). ثم تأتي (مصر) بلد الأمن ، قالها لأهله قال تعالى : (وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ)(٤٩). نلحظ مما ورد أن الدخول مكيفاً بالأمن ؛ لأن القصد إلى اتصافهم بالأمن في دخولهم ، فكأنه قيل لهم : أسلموا وأمنوا في دخولكم إن شاء الله .

خامساً : دخول تهنئة وترحيب :

اختص الدخول هناء بالملائكة ؛ لأنهم يهنئون أهل الجنة قال تعالى:(وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِّن كُلِّ بَابٍ سَلَامٌ) (٥٠)، أو يرحبون بالنبي إبراهيم (عليه السلام) قال تعالى : (هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلَاماً قَالَ سَلَامٌ)(٥١). فدخول الملائكة لما تحمله من اطمئنان وبشارة .

المبحث الثاني

المطلب الاول : آيات الفعل (دخل) في القرآن الكريم .

١. (كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا) آل عمران ٣٧ .
٢. (لَمَّا دَخَلَ يُوسُفُ السِّجْنَ) يوسف ١٢ .
٣. (وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ) الكهف ١٨.
٤. (وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا) القصص ١٥ .
٥. (رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا) نوح ٧١ .
٦. (كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا) الاعراف ٣٨ .
٧ . (وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ) الكهف ٣٩.
٨. (وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ) النساء ٢٣.
٩. (فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً) ٦١ .
١٠. (ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ) المائدة ٢٣ .
١١. (وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ) المائدة ٦١ .
١٢ . (وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ) يوسف ٦٨ .
١٣ . (وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ) يوسف ٦٩ .
١٤ . (فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ) ٨٨ .
١٥ . (فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ) يوسف ٩٩ .
١٦ . (إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ) الحجر ٥٢ .
١٧ . (دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً) النمل ٣٨ .
١٨ . (إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ) ص ٢٨ .
١٩ . (إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ) الذاريات ٢٥ .
٢٠ . (الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا) الاسراء ٧ .
٢١ . (لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ) الفتح ٢٧ .
٢٢ . (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ) البقرة ٢١٤ .
٢٢. (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا) آل عمران ١٤٢ .
٢٣ . (وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ) يوسف ٦٧ .
٢٤ . (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ) النور ٢٧ .
٢٥ . (لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا) النور ٢٩ .
٢٦ . (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ) الاحزاب ٥٣ .
٢٧ . (فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ) . النور ٢٨ .
٢٨ . (وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا) المائدة ٢٢ .
٢٩ . (قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا) المائدة ٢٤ .

٣٠ . (وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى) البقرة ١١١ .
٣١ . (إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ) الحج ١٤ .
٣٢ . (وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ) الشورى ٨ .
٣٣ . (إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي) محمد ١٢ .
٣٣ . (وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ) الحجرات ١٤ .
٣٤ . (أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ) المعارج ٣٨ .
٣٥ . (يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا) الانسان ٣١ .
٣٦ . (أَنْ لَا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ) القلم ٢٤ .
٣٧ . (وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا) الاسراء ٧ .
٣٨ . (فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا) النساء ١٢٤ .
٣٩ . (وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ) ١٢٤ .
٤٠ . (وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ) الرعد ٢٣ .
٤١ . (فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا) مريم ٦٠ .
٤٢. (فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ) غافر ٤٠ .
٤٣ . (وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا) النصر ٢ .
٤٤ . (جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ) الرعد ٢٣ .
٤٥ . (جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) النحل ٣١ .
٤٦ . (جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ) فاطر ٣٣ .
٤٧ . (مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ) البقرة ١١٤ .
٤٨ . (يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ) الاعراف ٤٦ .
٤٩ . (قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ) يس ٢٦ .
٥٠ . (وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ) التحريم ١٠ .
٥١ . (قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا) البقرة ٥٨ .
٥٢ . (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً) البقرة ٢٠٩ .
٥٣ . (وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ) ١٥٤ .
٥٤ . (يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ) المائدة ٢١ .
٥٥ . (مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ) المائدة ٢٣ .
٥٦ . (قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ) الاعراف ٣٨ .
٥٧ . (ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ) الاعراف ٤٩ .
٥٨ . (يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) النحل ٣٢ .
٥٩ . (قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ) النمل ١١٨.
٦٠ . (قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ) الزمر ٧٢ .
٦١ . (وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ) غافر ٤٦ .
٦٢ . (ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ) غافر ٧٦ .
٦٣ . (ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ) الزخرف ٧٠ .
٦٤ . (وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ) يوسف ٥٨ .

٦٥ . (فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ) النحل ٢٩ .
٦٦ . (فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ (الاحزاب ٥٣ .
٦٧ . (فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا) نوح ٢٥ .
٦٨ . (ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ) الحجر ٤٦ .
٦٩ . (ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ) ق ٣٤ .
٧٠ . (قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً) النمل ٤٤ .
٧١ . (فَادْخُلِي فِي عِبَادِي) الفجر ٢٩ .
٧٢ . (وَادْخُلِي جَنَّتِي) الفجر ٣٠ .
٧٣ . (وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا) الاحزاب ١٤.
٧٤ . (وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ) الانبياء ٧٥ .
٧٥ . (وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ) الانبياء ٨٦ .
٧٦ . (وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ) المائدة ٦٥ .
٧٧ . (وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) المائدة ١٢ .
٧٨ . (وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) آل عمران ١٩٥ .
٧٩ . (رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ) آل عمران ١٩٥ .
٨٠ . (وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا) النساء ٣١ .
٨١ . (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ) العنكبوت ٩.
٨٢ . (سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا) النساء ٥٧ .
٨٣ . (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) النساء ١٢٢ .
٨٤ . (إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ) الحج ٢٣ .
٨٥ . (لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) الفتح ٥ .
٨٦ . (لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ) الفتح ٢٥ .
٨٧ . (يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) الصف ١٢ .
٨٩ . (وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) التحريم ٦٦ .
٩٠ . (وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ)المائدة ٨٦ .
٩١ . (لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ) الحج ٥٩ .
٩٢ . (وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا) النساء ١٤ .
٩٣ . (وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) الفتح ١٧ .
٩٤ . (وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) الطلاق ١١ .
٩٥ . (وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا) التغابن ٩ .
٩٦ . (فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا) النساء ٤ .
٩٧ . (سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) التوبة ٩٩ .
٩٨ . (فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ) الجاثية ٣٠ .
٩٩ . (وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ) محمد ٦ .
١٠٠ . (وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ) المجادلة ٢٢ .
١٠١ . (قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ) يس ٢٦ .

١٠٢ . (وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) الاعراف ١٥١ .
١٠٣. (وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ) الاسراء ١٨ .
١٠٤ . (وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ) النمل ١٩ .
١٠٥ . (رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ) غافر ٨ .
١٠٦ . (أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ) المعارج ٣٨ .
١٠٧ . (حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ) المائدة ٢٢.
١٠٨. (وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ) التحريم ١٠ .
١٠٩ . (وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي) الاسراء ٨٠ .
١١٠ . (وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا) النساء ٣١ .
١١١. (لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلًا) التوبة ٥٧ .
١١٢ . (مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ) الحج ٥٩ .
١١٣ . (تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ) النحل ٩٢ .

المطلب الثاني : نموذج تطبيقات من صور تعدية الفعل (دخل) في النص القرآني :

الفعل دخل : تنوعت دلالاته تبعا لتعدد تعديته بحروف الجر التي يكتسب معها الفعل من معانيها الأصلية من الدلالات التي يعين على إبرازها السياق والمقام .

وقد جاء في القرآن الكريم متعديا بنفسه كما في قوله تعالى (وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ)(٥٢)، وقوله تعالى (قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا)(٥٣) وورد متعديا بعلى وفي ومن والباء تعدى فعل الدخول ومع فدل على معان متباينة طبقا للحرف المتعدى به .

وحين تعدى فعل الدخول بعلى دل حرف الاستعلاء على ارتفاع المكان وإشرافه وعلوه ، وأن الداخل أو المآمور بالدخول فيه مطالب بمزيد من التحمل والصبر على ما يلاقيه من الضرر والمشقة ، وإن بقي لكل سياق مزيد خصوصية بما تشيعه تراكيبه من الدلالات والأغراض التي لا تجدها في السياق الآخر .

وقد أوضح ابن السيد البطليوسي حقيقة حرف الاستعلاء بقوله « اعلم أن أصل على العلو اعلى الشيء وإتيانه من فوقه كقولك : أشرفت على الجبل ، ثم يعرض فيها إشكال في بعض مواضعها التي تتصرف فيها ، فيظن الضعف في هذه الصناعة أنها قد فارقت معناها ، فمن ذلك قول القائل : زرته على مرضي ، وأعطيته على أن شتمني ، وإنما جاز استعمال (على) ها هنا ، لأن المرضى من شأنه أن يمنع من الزيارة ، وكذلك الشتم يمنع المشتوم من أن يعطي شاتمه شيئا ، والمنع قهر للممنوع ، واستيلاء ، فهي إذن لم تخرج عن أصلها بأكثر من أن الشيء المعقول شبه بالشيء المحسوس ، فخفي ذلك على من لا دربة له في المجازات والاستعارات»(٥٤).

وبتأمل مواطن الدخول بعلى في القرآن الكريم نجد له الدلالة التي ذاكرناها آنفا في قوله تعالى:(وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا)(٥٥). فعلى بدلالته على الاستعلاء يشير إلى ارتفاع المكان الذي فيه مريم عليه السلام وعلوه وقد نص المفسرون على أن زكريا(عليه السلام). بنى لها محرابا في المسجد أي «غرفة يصعد إليها بسلم»(٥٦) أو أن على توحي بمشقة زكريا عليه وهو شيخ كبير في الوصول إليها ، ومعاناته في كفالته لها ، والقيام على رعايتها حق الرعاية على أكمل وجه .

ولنفس الغرض جاءت (على) حين تعدى بها فعل الدخول في قصة يوسف عليه السلام في أربعة مواطن ، منها قوله تعالى (وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ)، (وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ) (٥٧)، فهي تدل على ارتفاع مكان يوسف وعلوه ، وأنهم قد وجدوا من المشقة والصعاب ما وجدوه في سبيل الوصول إليه والدخول عليه .

أما على في قوله تعالى (قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ

غَالِبُونَ)(٥٨).

فإن الاستعلاء فيها مع دلالته على علو مكان العدو يدل على التمكن والقهر والغلبة ، وهو في الوقت نفسه يطالب المخاطبين بمزيد من التحمل والصبر على ملاقاة هؤلاء الأعداء .

وقد كشف السياق عن رغب هذين الرجلين اللذين أنعم الله عليهما في تشجيع قومهما على قتال العدو من خلال التعبير بحرف الاستعلاء ومن خلال تأكيد وعدهما لهم بالفوز والغلبة على العدو بقولهما كما حكاه القرآن (ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ).

وهل كنت تجد هذه المعاني والدلالات التي يشيعها حرف الاستعلاء في سياقاته المختلفة لو قيل : إن (على) بمعنى (من) في قوله تعالى : (ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ)(٥٩). أي ادخلوا من الباب أو أنه بمعنى (إلى) في قوله تعالى : (وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ) (٦٠). أي ولما دخلوا إلى يوسف ؟

وحين تعدى الفعل بفعل الدخول (في) دل حرف الظرفية على المكن والاستقرار كما في قوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ)(٦١). وذهب المفسرون إلى أن « المراد بالسلم الإسلام»(٦٢).«ومعنى الدخول في الإسلام كما يكشف عنه حرف الظرفية زيادة التمكن منه والتغلغل في فهم شرائعه وأحكامه ، كما أنه يوحي بأن الإسلام حصن منيع الداخلين في كنفه يحيط بهم من جميع الجوانب كإحاطة الظرف بمظروفه»(٦٣)،ونظيره قوله تعالى(يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا)(٦٤)، وفي قوله تعالى : (وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ)(٦٥). ذهب كثير من المفسرين والنحويين إلى القول بتناوب حروف الجر بعضها مكان بعض ، وأن (في) بمعنى (مع) وفي هذا الصدد يقول أبو حيان : « فَادْخُلِي فِي عِبادِي: أَيْ فِي جُمْلَةِ عِبَادِي الصَّالِحِينَ. وَادْخُلِي جَنَّتِي مَعَهُمْ ... ، فَادْخُلِي فِي عَبْدِي: أَيْ فِي جَسَدِ عَبْدِي. وَتَعَدَّى فَادْخُلِي أَوَّلًا بِفِي، وَثَانِيًا بِغَيْرِ فَاءٍ، وَذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا كَانَ الْمَدْخُولُ فِيهِ غَيْرَ ظرف حقيقي تعددت إِلَيْهِ بِفِي، دَخَلَتْ فِي الْأَمْرِ وَدَخَلْتُ فِي غِمَارِ النَّاسِ، وَمِنْهُ: فَادْخُلِي فِي عِبادِي. وَإِذَا كَانَ الْمَدْخُولُ فِيهِ ظَرْفًا حَقِيقِيًّا، تَعَدَّتْ إِلَيْهِ فِي الْغَالِبِ بِغَيْرِ وَسَاطَةِ فِي»(٦٦)؟

أن القول بتناوب حروف الجر لا يكشف عما بها حروف الجر من المعاني والأسرار في البيان القرآني لأنه ليس إلا محاولة لإيضاح المعنى وبيانه وليس مستساغا أن يقال باستواء الحرفين دون أن تكون لأحدهما دلالات بلاغة ينشرها على السياق ، نرى البليغ من أجلها يؤثر في كلامه التعبير بأحدهما دون الآخر ، فما بالك بالبيان المعجز .

وفي إيثار القرآن التعبير بحرف الظرفية دون كلمة المصاحبة (مع) من الأسرار البلاغية التي لا تستطيع الوفاء بأدائها كلمة المصاحبة .

ففي قوله تعالى : (يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي). (٦٧) ثناء وتطمين وتكريم من الله تعالى لهذه النفس المطمئنة إلى طريقها ونهايتها بسبب إيمانها وما قدمته من العمل الصالح ، وحسبها أن يستقبلها الله راضيا عنها راضيه عنه ، فإذا جاء أمر الله تعالى لها بالدخول كان نهاية التكريم ، وجاء في تفسير الطبري : « وقيل: إن ذلك قول الملك للعبد عند خروج نفسه مبشرة برضا ربه عنه، وإعداده ما أعدّ له من الكرامة عنده»(٦٨)، ومثله قوله تعالى في دعاء سليمان عليه السلام (وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ)(٦٩)، فإن منزلة سليمان عليه السلام ومقام الضراعة والرجاء يجعلانه في الصدر من عباده الصالحين وليس مصاحبا لهم ملحقا بهم . وجاء في تفسير الطبري : « يقول: وأدخلني برحمتك مع عبادك الصالحين، الذين اخترتهم لرسالتك وانتخبتهم لوحيك، يقول: أدخلني من الجنة مداخلهم»(٧٠).

أما قوله تعالى : (قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا). (٧١) فإن السياق ينبض بالإهانة والتحقير لهؤلاء الكافرين ، والسخرية منهم ، وممن أشركوهم مع الله آلهة ، وتعدية الفعل (ادخلوا) بحرف الظريفة بقوله (ادخلوا في امم) « يوحي بأن المخاطبين يتوارون في غمار الأمم التي كفرت بربها وألقى

الله بها في نار جهنم ، وهو غني عنهم وعن عبادتهم»(٧٢).

ولا يخفي أن التعبير القرآني (ادخلوا في أمم) يوضح شدة عذابهم ، وعظيم حقارتهم ، فهم في وسط تلك الجموع يقاسون العذاب ، والكل يراقبهم ويراهم ، « وأن عذابهم سيكون على تلك الصفة يوم القيامة مظروفين في وسط الأمم في وسط الأمم للدلالة على الكافرين وحقارة شأن الداخلين فيهم»(٧٣).

واذا كان حرف الظرفية .كما رأيت . قد نشر على سياقه من المعاني التي اقتضاها السياق والمقام ، فإن لكلمة المصاحبة ظلالا وأسرارا لا يستطيع أن يؤديها حرف غيره كما في قوله تعالى : (وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ)(٧٤). فدلت كلمة المصاحبة (مع) على أن دخول هذين الفتيين السجن كان بمعية يوسف مصاحبين له ملحقين به ، ولو رمت حذف (مع) من هذه الآية الكريمة فلن تجد هذه المعاني التي أومأت إليها كلمة المصاحبة من أن دخول الثلاثة السجن في آن واحد .

ونشرت الباء بدلالتها على الإلصاق والملابسة على فعل الدخول حين تعدى بها معنى الجماع في قوله تعالى : (وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ)(٧٥) يقال دخل بعروسه « جامعها ومعنى دخلتم بهن : جامعتموهن»(٧٦)، وهو كناية على الجماع ، وقد أعانت الباء على تحقيق الكناية في قوله (دخلتم بهن) بما لا يمكن أن تنهض به الحقيقة كما الزمخشري بقوله : « دخلتم بهن (قلت هي كناية عن الجماع كقولهم بني عليها وضرب عليها الحجاب يعني أدخلتموهن الستر والباء للتعدية واللمس ونحوه يقوم مقام الدخول».(٧٧) مما يدل على قدرة هذه اللغة على الوفاء بآداب الإسلام ، وما يوجبه من الترفع عن التصريح بما يستحسن الكناية عنه ، إلى جانب ما جسدته الباء بما فيها من اللصوق والملابسة من الدلالة على شدة الارتباط والقرب الروحي ، والمخالطة النفسية بين ، بما يحقق الغاية من قوله تعالى : (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)(٧٨)

الخاتمة وأهم النتائج

بعد هذه الرحلة المباركة التي عشنا فيها مع القرآن الكريم دراسة وتدبراً لبعض آياته الكريمات يمكن إيجاز أهم النتائج التي أسفرت عنها الدراسة منها .

١. أن لتعدية الفعل بحروف الجر في البيان القرآني أهمية عظمى وأثراً كبيرا في إبراز مقاصد التعبير القرآني .

٢. أن الفعل حين يتعدى في القرآن الكريم بحروف الجر المتعددة يكتسب معها الفعل الدلالات التي تتنوع بتنوع معاني حروف الجر الداخلة عليه .

٣. أن القرآن الكريم حين يؤثر تعدية الفعل بحرف ما من حروف الجر في موضع بعينه يكون هذا الرف قادراً على الوفاء بمقاصد القرآن الكريم بحيث لا يستطيع غيره من حروف الجر أن ينهض بما يؤديه ذلك الحرف .

٤. جاء الفعل متعدياً في كل المواضع بأساليب مختلفة منها متعدي بنفسه ، ومتعدي بحرف الجر وغيرها .

٥. أن إدراك ما تشي به حروف الجر المتنوعة من الأسرار واللطائف التي تخلعها الأفعال الداخلة عليها تحتاج من الدراس للوقوف عليها إلى جهود ومعاناة وطول وتأمل .

والحمد لله أولا وأخيراً وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه .

الهوامش:

( ) . المفصل في صناعة الاعراب : ٣١٩ /١ ، وينظر شرح المفصل لابن يعيش : ٢٠٥ / ٤ .

( ) . الزمن واللغة : ٥١ .

( ) . الكتاب : ٥٤ / ٢ .

( ) . الاقتضاب في شرح أدب الكاتب للبطلوسي : ٢/ ٢٩٥.

( ) . ينظر النحو الوافي : ١٥٥ / ٢ ، والمفصل للزمخشري : ٢٥٧ ، والتبصرة والتذكرة للصيمري : ١١٠ / ١ ، ومغني اللبيب

لابن هشام : ٦٧٨ .

(١) . المفصل في صناعة الاعراب : ٣١٩ /١ ، وينظر شرح المفصل لابن يعيش : ٢٠٥ / ٤ .

(٢) . الزمن واللغة : ٥١ .

(٣) . الكتاب : ٥٤ / ٢ .

(٤) . الاقتضاب في شرح أدب الكاتب للبطلوسي : ٢/ ٢٩٥.

(٥) . ينظر النحو الوافي : ١٥٥ / ٢ ، والمفصل للزمخشري : ٢٥٧ ، والتبصرة والتذكرة للصيمري : ١١٠ / ١ ، ومغني اللبيب لابن هشام :

(٦) . التوبة : ٥٩ ، مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني : ٣٥٨ .

(٧) . البقرة : ١٣٠ .

(٨) . التوبة : ٥٩ .

(٩) . البقرة : ١٣٠ .

(١٠) . التوبة : ١٢٠ .

(١١) . من أسرار حروف الجر الذكر الحكيم : ٨ ، الكشاف : ٢٤٦ / ٢ .

(١٢) . من أسرار حروف الجر : ١٤٦ ، ١٤٧ .

(١٣) . ينظر : تأويل مشكل القرآن : ٥٦٦ ، ٥٦٧ ، و أدب الكاتب : ٣٩٤ . ٤١٥ .

(١٤) . الجنى الداني في حروف المعاني : ٤٦ / ١ ، وينظر : الخصائص : ٣٠٦ ، ٣١١ / ٢ / وبدائع الفوائد : ٢١ / ٢ .

(١٥) . نظرية التبعية في التحليل النحوي : ١٩٠ .

(١٦) . المقتضب : ٦٠ / ٤ .

(١٧) . سورة يوسف : ٥٨ ، ٦٩ .

(١٨) . سورة البقرة : ٢٠٨ .

(١٩) . تفسير الصابوني : ١٣٣ .

(٢٠) . سورة النصر : ٢ .

(٢١) . سورة يوسف : ٦٧ ، ٦٨

(٢٢) . سورة المائدة : ٦١ .

(٢٣) . علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق : ١٣٧ .

(٢٤) . البيان في روائع القرآن (دراسة لغوية أسلوبية للنص القرآني : ١٣٧ .

(٢٥) . علم اللغة النصي .

(٢٦) . من أشكال الربط في القرآن : ١٤٦ .

(٢٧) . سورة الزخرف : ٦٩ ، ٧٠ .

(٢٨) . سورة الزمر : ٧٣ .

(٢٩) . علم اللغة النصي : ٣٨ .

(٣٠) . سورة آل عمران : ٩٧ .

(٣١) . سورة نوح : ٢٨ .

(٣٢) . سورة البقرة : ١١١ .

(٣٣) . سورة المائدة ٦٥ .

(٣٤) . سورة الحج : ٥٩ ، سورة النساء : ٣١ ، سورة نوح : ٢٥ .

(٣٥) . سورة الأسراء : ٨٠ ، سورة غافر : ٨ ، سورة الأعراف : ١٥١ .

(٣٦) . سورة الأعراف : ٣٨ .

(٣٧) . الكشاف : ٧٢ / ٢ .
(٣٨) . سورة المائدة : ٢١ .
(٣٩) . سورة المائدة ٢٣ .
(٤٠) . في ظلال القرآن : ٨٧٠ / ٦ .
(٤١) . سورة النمل : ٣٤ .
(٤٢) . سورة يوسف : ٨٨ .
(٤٣) . سورة القصص : ١٥ .
(٤٤) . سورة النمل : ١٨ .
(٤٥) . في ظلال القرآن : ٢٦٣٦ / ١٩ .
(٤٦) . سورة الفتح : ٢٧ .
(٤٧) . سورة آل عمران : ٩٧ .
(٤٨) . تفسير السمر قندي : ٢٣٢ /١ .
(٤٩) . سورة يوسف : ٩٩ .
(٥٠) . سورة الرعد : ٢٣ .
(٥١) . سورة الذاريات : ٢٤ .
(٥٢) . سورة الكهف : ٣٥ .
(٥٣) . سورة النمل : ٣٤ .
(٥٤) . الاقتضاب في شرح أدب الكتاب : ٢٧٢ / ٢ .
(٥٥) . سورة مريم :
(٥٦) . الكشاف : ١/ ٤١٧ .
(٥٧) . سورة يوسف : ٥٨ ، ٢٣ .
(٥٨) . سورة المائدة : ٢٣ .
(٥٩) . سورة المائدة : ٢٣ .
(٦٠) . سورة يوسف : ٦٩ .
(٦١) . سورة البقرة : ٢٠٨ .
(٦٢) . تفسير الطبري : ٥٩٣ / ٣ ، وينظر : تفسيرالسمر قندي : ١٦٤ / ١ .
(٦٣) . التحرير والتنوير : ٢٧٧ / ٢ ، وينظر : تفسير المنار : ٢٠٨ / ٢ .
(٦٤) . سورة النصر : ٢ .
(٦٥) . سورة النمل : ١٩ .
(٦٦)الاقتضاب في شرح أدب الكتاب : ٢٧٢ / ٢ .
(٦٧) . سورة الفجر : ٢٧ . ٣٠ .
(٦٨) . تفسير الطبري : ٤٢٤ / ٢٤ .
(٦٩) . سورة النمل : ١٩ .
(٧٠) . تفسير الطبري : ٤٤٠ / ١٩ .
(٧١) . سورة الأعراف :
(٧٢) . ينظر : من أسرر حروف الجر : ١٥٥.
(٧٣) . المصدر السابق : ١٥٦ .
(٧٤) . سورة يوسف : ٣٦ .

(٧٥) . سورة النساء : ٢٣ .
(٧٦) . ينظر : معجم ألفاظ القرآن الكريم : ٣٩٧ / ١ .
(٧٧) . الكشاف : ٥٢٩ / ١ .
(٧٨) . سورة الروم : ٢١ .

المصادر والمراجع :

. القرآن الكريم .
. الاقتضاب في شرح أدب الكتاب للبطليوسي ، تحقيق مصطفى السقا ، والدكتور حامد عبد المجيد ، الهيئة المصرية العامة للكتب (ط٢ ١٣٩٣ هـ . ١٩٧٣ م) دار التراث القاهرة .
. أدب الكاتب (أو) أدب الكتّاب : المؤلف: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)، المحقق: محمد الدالي.
. بحر العلوم: المؤلف: أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: ٣٧٣هـ).
. البحر المحيط في التفسير: المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر – بيروت
الطبعة: ١٤٢٠ هـ.
. بدائع الفوائد لابن قيم الجوزية (دار الكتاب العربي بيروت) بدون تاريخ .
. التبصرة والتذكرة للصيمري ، تحقيق د. فتحي أحمد على الدين ط١ (١٩٨٢ م) ، مطبوعات مركز البحث العلمي ، وإحياء التراث الاسلامي بجامعة ام القرى بمكة المكرمة .
. التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»
المؤلف : محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)
الناشر : الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ.
. تفسير المنار: المؤلف: محمد رشيد بن علي رضا (المتوفى: ١٣٥٤هـ)، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: ١٩٩٠ م
. جامع البيان في تأويل القرآن: المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة
الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م.
. الخصائص: المؤلف: أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (المتوفى: ٣٩٢هـ)، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: الرابعة.
. الكتاب: المؤلف: عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه (المتوفى: ١٨٠هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون ، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة ، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م.
. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل : المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ هـ.
. قطف الجنى الداني شرح مقدمة رسالة القيرواني : تأليف : عبد المحسن بن حَمَد العبّ
المحقق : د. ماهر ياسين الفحل.
. شرح المفصل للزمخشري : المؤلف: يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا محمد بن علي، أبو البقاء، موفق الدين الأسدي الموصلي، المعروف بابن يعيش وبابن الصانع (المتوفى: ٦٤٣هـ)
قدم له: الدكتور إميل بديع يعقوب ، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م.
. المفصل في صنعة الإعراب : المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، المحقق: د. علي بو ملحم، الناشر: مكتبة الهلال – بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٩٩٣ .
. مختصر مغني اللبيب عن كتاب الأعاريب : المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، الناشر: مكتبة الرشد ، الطبعة: الأولى ١٤٢٧هـ.
. النحو الوافي : المؤلف: عباس حسن (المتوفى: ١٣٩٨هـ) ، الناشر: دار المعارف، الطبعة: الطبعة الخامسة عشرة.
. من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم : د. محمد الأمين الخضري ، ط١ (١٩٨٩م) دار وهبة .
. مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني ، تحقيق صفوان عدنان داووي ، ط٢ (١٩٩٧ م) ، دار القلم . بيروت .

الخرائط الذهنية المستخدمة في تدريس مادة القرآن الكريم والتربية الاسلامية وعلاقتها بدافع الانجاز لطالباتهم

م.م. ساره حسن مظهور
الجامعة العراقية / كلية التربية للبنات

المستخلص

يهدف البحث الحالي التعرف على الخرائط الذهنية المستخدمة في تدريس مادة القرآن الكريم والتربية الاسلامية وعلاقتها بدافع الانجاز لطالباتهم، ومن أجل تحقيق أهداف البحث اختارت الباحثة منهج البحث الوصفي، وقد اشتمل مجتمع البحث على طالبات الدراسات الصباحية في كلية التربية للبنات / الجامعة العراقية ، للعام الدراسي (٢٠٢٤– ٢٠٢٥) من الطالبات اللواتي يدرسن باقسام علوم القران والتربية الاسلامية حيث يتكون المجتمع الأصلي من (٢٦٥) طالبة وقد اختيرت عينة البحث من المجتمع الأصلي بنسبة (٥٩,٢٤٪) بالأسلوب الطبقي العشوائي ، ولتحقيق اغراض البحث تم اعداد مقياساً لخرائط المفاهيم تكون من (٣٠) فقرة ، وقد قسمت الفقرات إلى سلبية وإيجابية واعطت كل فقرة خمسة بدائل هي (دائما, غالبا, احيانا, نادرا, ابدا) ،كما تم اعداد مقياساً لأخراً لدافعية الانجاز وتكون من (٣٠) فقرة ، وقسمت الى فقرات سلبية وايجابية واعطت كل فقرة خمسة بدائل هي (تنطبق دائما, تنطبق غالبا, تنطبق احيانا, تنطبق نادرا, لا تنطبق ابدا) ، وقد استخدمت لهذا الغرض الاستبانة ، بعد عرضها على مجموعة من المحكمين للتأكد من صدقها وثباتها تم تطبيقها على الطالبات ، وقد عولجت البيانات باستعمال الوسائل الإحصائية (الاختبار التائي، مربع كاي ، معامل الصعوبة والسهولة ،معامل التمييز ،معامل فعالية البدائل ، معادلة ارتباط سبيرمان ،الفاكرونباخ ، معادلة كوهن لعينتين مستقلتين ،مربع ايتا) .

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم، الخرائط الذهنية، الانجاز، المنهج الوصفي.

Abstract

The current research aims to explore «the use of mind maps in teaching the subject of the Holy Qur›an and Islamic Education and their relation to students› achievement motivation.» To achieve the research objectives, the researcher adopted the descriptive research method. The research population consists of female students from the College of Education for Women at the University of Iraq for the academic year (2024–2025), specifically second–year students in the Department of Qur›anic Sciences and Islamic Education. The original population comprised 265 students, from which a sample of 30 students was selected, representing approximately 11.32% of the total population. The sample was divided into two groups: 15 students representing the upper level and 15 representing the lower level, based on their academic performance, in order to calculate the discriminatory power of the research tool and its reliability.

To achieve the research objectives, the researcher developed a scale for achievement motivation consisting of 30 items, each with positive and negative statements. Each item was rated on a five–point Likert scale (Always applies, Often applies, Sometimes applies, Rarely applies, Never applies). The instrument was presented to a group of experts to verify its validity, and it was then applied to the sample students.

The data were processed using statistical methods such as the t-test for two independent samples, Pearson›s correlation coefficient, Cronbach›s alpha, ease and difficulty indices, item discrimination index, effectiveness of alternatives, and the equation for Cohen›s d for two independent means.

Keywords: The Holy Quran, mind maps, achievement, descriptive approach.

التعريف بالبحث

اولاً : مشكلة البحث:

في ضل التطور الذي يشهده العصر الحالي يتوجب علينا استخدام طرائق واستراتيجيات واساليب حديثة ومتطورة تسهم في رفع المستوى التعليمي للطالب الجامعي وهذا ما اشارت اليه العديد من المؤتمرات العلمية والندوات المحلية والعربية, التي اوصت بضرورة الاهتمام بالتعليم وطرائق التدريس بشكل عام ومنها طرائق تدريس المواد الشرعية والانتقال من الطرائق التقليدية التي تفتقر الى التشويق والاثارة الى طرائق أكثر أثارة وتشويق للطلبة , ومنها :

١- أنعقد المؤتمر العلمي السادس عشر الموسوم ((التأسيس العلمي الرصين ضمان لرقي المجتمع وتقدمه)) في بغداد –الجامعة المستنصرية ،٢٠١٥. (المؤتمر العلمي السادس عشر، ٢٠١٥)

٢- أنعقد المؤتمر الدولي العلمي الرابع الموسوم ((الاصلاح التربوي رؤية مستقبلية في التعليم العالي)) جامعة بغداد –أبن رشد ,ابريل ٢٠١٦. (المؤتمر الدولي العلمي الرابع ,٢٠١٦ : ١-٣)

وفي ضوء ما سبق تكمن مشكلة البحث هذا في الاجابة عن السؤال الآتي :

الخرائط الذهنية المستخدمة في تدريس مادة القران الكريم والتربية الاسلامية وعلاقتها بدافع الأنجاز لطالباتهم؟

ثانيا : اهمية البحث:

وتتلخص بالآتي :

١ . تكمن اهمية القرآن الكريم فيما أشتمل عليه من هداية الى العقائد الصحيحة، والعبادات الحقة، والتشريعات العادلة، وان المسلمين لو جددوا إيمانهم بأهمية هذا الكتاب الكريم وكانوا جادين في الطاعة والإلتزام بأوامره وتوجيهاته الالهية الحكيمة فانهم يجدون ما يحتاجون اليه من حياة روحية طاهرة ونعم لا تعد ولا تحصى . (البغا ،ومحيي الدين، ١٩٩٨: ٢٨)

٢ . تسهم كتب التربية الاسلامية في تنمية المتعلم جسمياً وروحياً وعقلياً وانفعالياً واجتماعياً ذلك انها الترجمة العملية لمنهاج التربية الاسلامية وهي القادرة على الاسهام الفعال في تطوير قدرة المتعلمين على بلوغ اهداف التربية الاسلامية. (العزيزي ،واخرون ،١٩٩٦: ١٦)

٣ . تساعد خرائط المفاهيم الذهنية المتعلم على البحث عن العلاقات بين المفاهيم ,والفصل بين المعلومات المهمة والمعلومات الاخرى ,وكذلك تجعل المتعلم مستمعاً ومصنفاً ومرتباً للمفاهيم. (الدعدي،٢٠٠٩: ٣٧)

٤ . تلعب الدافعية دوراً مهماً في رفع مستوى أداء الفرد وانتاجيته في مختلف المجالات والأنشطة التي يواجهها ,وقد أكد ماكليلاند ان مستوى دافعية الانجاز الموجودة في اي مجتمع هو حصيلة الطريقة التي ينشأ بها الاطفال في هذا المجتمع ,وهكذا فان لدافعية الانجاز أهمية بالنسبة للفرد وتحصيله الدراسي , وبالنسبة للمجتمع الذي يعيش فيه هذا الفرد. (أبو السل ,٢٠١٦ : ١٤٦)

٥ . قد يفيد البحث الحالي الجهات المعنية من خلال النتائج التي سيتم التوصل اليه.

أهداف البحث:-

يهدف البحث الحالي الى :

١ . تعرف مستوى استخدام الخرائط الذهنية لدى طالبات قسم علوم القران والتربية الإسلامية في كلية التربية للبنات الجامعة العراقية

٢ . تعرف مستوى استخدام الخرائط الذهنية لدى طالبات قسم علوم القران والتربية الإسلامية في كلية التربية للبنات الجامعة العراقية تبعا لمتغير المرحلة الدراسية (الأولى ،الثانية، الثالثة ،الرابعة)

٣ . تعرف مستوى دافع الانجاز لدى طالبات قسم علوم القران والتربية الإسلامية في كلية التربية للبنات الجامعة العراقية.

٤ . تعرف مستوى دافع الانجاز لدى طالبات قسم علوم القران والتربية الإسلامية في كلية التربية للبنات الجامعة العراقية تبعا لمتغير المرحلة الدراسية (الأولى ،الثانية، الثالثة ،الرابعة)

٥ . تعرف القدرة التنبؤية للخرائط الذهنية بدافع الانجاز لدى طالبات قسم علوم القران والتربية الإسلامية في كلية التربية للبنات الجامعة العراقية .

حدود البحث: حدود علمية : الخرائط الذهنية – دافعية الإنجاز .

–حدود بشرية : عينة من طالبات قسم علوم القرآن والتربية الاسلامية للمراحل الدراسية (الاولى, الثانية , الثالثة , الرابعة).

–حدود مكانية : كلية التربية – للبنات الجامعة العراقية.

حدود زمانية : العام الدراسي : الفصل الدراسي الثاني (٢٠٢٤–٢٠٢٥).

تحديد المصطلحات :

اولا: الخرائط الذهنية :–

عرفها النجدي (١٩٩٧) بأنها «مخطط تنظم فيه المفاهيم بداية بالمفاهيم العامة والشاملة وانتهاء بالمفاهيم الفرعية والعلاقات بين المفاهيم في كل مستوى من المستويات الهرمية وعادة ما يعبر عنها بخطوط متصلة يكتب فوقها نوع هذه العلاقة» (النجدي, ١٩٩٧: ١٨)

ثانياً: القرآن الكريم :

عرفه ,(البغا و، محي الدين، ١٩٩٨): بأنه «اللفظ العربي المعجز الموحى به الى محمد(صلى الله عليه واله وصحبه وسلم) بواسطة جبريل عليه السلام وهو المنقول بالتواتر المكتوب في المصحف المتعبد بتلاوته المبدوء بالفاتحة والمختوم بسورة الناس» (البغا ،و محي الدين، ١٩٩٨: ١٥)

ثالثاً: التربية الاسلامية

عرفها,(العياصرة، ٢٠١٠): بأنها «عملية تفاعل بين الفرد والبيئة الاجتماعية المحيطة به مستضيئة بنور الشريعة الاسلامية بهدف بناء الشخصية الانسانية المسلمة المتكاملة في جوانبها كلها وبطريقة متوازنة. (العياصرة, ٢٠١٠: ٤٤٩)

رابعاً: دافعية الانجاز:–

عرفها (خليفة,٢٠٠٠):بأنها «استعداد الفرد لتحمل المسؤولية ,والسعي نحو التفوق لتحقيق أهداف معينة , والمثابرة للتغلب على العقبات والمشكلات التي قد تواجهه والشعور بأهمية الزمن ,والتخطيط للمستقبل» (خليفة ,٢٠٠٠: ٩٦)

خلفية نظرية ودراسات سابقة

المبحث الأول : خلفية نظرية

أولاً: خرائط المفاهيم الذهنية:–

• نشأة خرائط المفاهيم :

هناك من يرجع ظهور خرائط المفاهيم إلى الفكر الإسلامي مدعماً ذلك بأمثلة من السنة النبوية ،أنه ليس من قبيل

الادعاء أن قلنا أن الفكر الإسلامي سبق جميع النظريات التربوية والاستراتيجيات الحديثة ومنها إستراتيجية خرائط المفاهيم « ، ولكن ظهور خرائط المفاهيم إستراتيجية تدريسية مستمدة أسسها العلمية من نظرية أزوبل كان في الستينات الميلادية وعلى يد «نوفاك وزملائه». (الأسمري،١٤٣١هـ :٣٢)

• مكونات خريطة المفاهيم :

١. المفهوم العام .

٢. المفاهيم , وتوضح داخل أشكال بيضوية أو دائرية أو صناديق مربعات أو مستطيلات .

٣. كلمات الربط وتستخدم لربط مفهومين أو أكثر, وتكتب على الخط الواصل بين المفهومين أو أكثر.

٤. الوصلات العرضية ،وهي عبارة عن وصلة (عرضية) بين مفهومين أو أكثر من التسلسل الهرمي ، وتمثل بصورة خط عرضي عادة .

٥. الأمثلة , وتمثل عادة أمثلة المفهوم إن وجدت ، ولا تحاط عادة بأشكال بيضوية أو دائرية ,إلا أنه يفضل وضعها في دوائر متقطعة لتميزها عن المفاهيم بوجه عام . (زيتون ،٢٠٠٧ : ٥٢٣)

• فوائد خرائط المفاهيم :-

١. تمثل خريطة المفاهيم أداة تعليمية جيدة يستعين بها المعلم لتسهيل مهمته التعليمية .

٢. تساعد المعلم على التخطيط لدروسه ، وذلك بإعداده خريطة مفاهيم تترتب فيها مفاهيم المادة الدراسية من الأكثر عمومية إلى الأقل عمومية بما يحقق لدى المتعلم التعلم ذا المعنى .

٣. تعد خريطة لمفاهيم أداة تقويمية لمعرفة مدى تحصيل الطلبة لمفاهيم المادة الدراسية ومراجعتها بعد دراستها . (ابو مرق ،٢٠١٣ : ٢٣-٢٤)

• أنواع خرائط المفاهيم :-

١. خريط المفاهيم الهرمية.

٢. خريطة المفاهيم العنكبوتية .

٣. خريطة المفاهيم المزدوجة .

٤. خريطة المفاهيم المعرفية . (الدعدي ،٢٠٠٩ :٣٥-٣٦)

ثانياً : دافعية الإنجاز:

• نشأة مفهوم الدافعية للإنجاز وتطوره :

بدأت الدراسات لدافعية الإنجاز في الثلاثينات على يد موراي في مجال الشخصية , ولكن يرجع الفضل إلى ماكليلاند في أبراز هذا النوع من البحوث وتطوره في العديد من الحضارات, وبدأت الدول المتقدمة منذ الخمسينات تعطي جل اهتمامها لدراسة الدافعية للإنجاز وتنميتها لدى أبنائها بغاية تحقيق المزيد من التقدم الاجتماعي والاقتصادي لمجمعاتها، ويعتبر دافع الانجاز أحد الجوانب المهمة في منظومة الدوافع الانسانية والتي اهتم بدراستها الباحثون في مجال علم النفس الاجتماعي والمهني ودوافع العمل,ويعد من أكثر الدوافع النفسية والاجتماعية التي حظيت بإهتمام الباحثين لأهميته وأسهامه في النمو الاقتصادي ,وبرز منذ الستينات من القرن العشرين وما بعدها بوصفة أحد المعالم المميزة للدراسة والبحث(خديجة وفاطمة الزهراء ،٢٠١٥: ٢٨-٢٩)

• خصائص دافعية الأنجاز :-

١. يميل الأفراد مرتفعي الانجاز إلى العمل بدرجة كبيرة في مواقف الخاطرة المعتدلة , والمواقف التي يتوافر فيها المعرفة بالنتائج أو العائد من الأداء ,والمواقف التي يكون فيها الفرد مسؤولاً عن أدائه .

٢. يميل الشخص ذو دافعية الانجاز المرتفعة الى انجاز شيء ما صعباً والى أن يعالج أو ينظم الاشياء أو الافراد أو الافكار ويفعل ذلك بسرعة واستقلال ما أمكنه ذلك .

٣. يتميز مرتفع دافع الانجاز بأن دافعه للنجاح يكون أقوى من دافعه للفشل .
٤. يهتم الأفراد مرتفعو الانجاز بالامتياز من أجل الامتياز ذاته وليس من أجل ما يترتب عليه من فوائد .
٥. ينسب ذوو الانجاز المرتفع نجاحهم بدرجة كبيرة الى قدرة المجهود وفشله والى عوامل عارضه أو عوامل خارجية .
٦. يختار مرتفعو الانجاز الخبراء لا الاصدقاء ليشتركوا معهم في الاعمال التي يقومون بها كما يقاومون الضغط الاجتماعي الخارجي لانجاز المهام .
٧. يحتفظ مرتفعو الانجاز بسجل يبين مدى تقدمه ونجاحاته في تحقيق اهدافه وذلك يساعد في أثارة دوافعه وتحريكه , كما يؤثر بدوره على افكاره وسلوكياته المستقبلية (الرابغي , ٢٠١٥: ١٥٨)

• أنواع دافعية الإنجاز :

١. دافعية الإنجاز الذاتية : ويقصد بها المعايير الداخلية أو الشخصية في مواقف الإنجاز .
٢. دافعية الإنجاز الاجتماعية :وتتضمن تطبيق معايير التفوق التي تعتمد على مقارنة أداء الفرد بالآخرين .
(أبو السل ,٢٠١٦ : ١٤٦)

-المبحث الثاني : دراسات سابقة-

استخدمت الباحثة مجموعة من الدراسات والأبحاث السابقة فيما يخص الخرائط الذهنية ودافعية الإنجاز ومنها على سبيل المثال :

أ-دراسات تناولت خرائط المفاهيم الذهنية :

١- دراسة العنزي (٢٠١٨)

اجريت هذه الدراسة في المملكة العربية السعودية- وهدفت التعرف على « اثر تدريس اللغة الانجليزية بأستخدام استراتيجية خرائط المفاهيم في تنمية مهارات القراءة الابداعية في اللغة الانكليزية لدى طلاب الصف الاول الثانوي»

ولتحقيق هدف الدراسة تم تطبيق المنهج شبه التجريبي على عينه قصدية من طلاب الصف الاول الثانوي من مدرسة ثانوية ابن العميد , حيث تم أختيار شعبتين وتوزيعهم بشكل عشوائي لتمثل المجموعة التجريبية والتي درست بأستخدام استراتيجية خرائط المفاهيم ، بينما الثانية المجموعة الضابطة والتي درست بالطريقة الاعتيادية . ولتحقيق هدف الدراسة تم بناء قائمة لمهارات القراءة الابداعية , وقد تم التحقق من صدقه وثباته بالطرق الاساسية والمنهجية الاساسية .وتم التوصل للنتائج التالية :

تفوق طلبة المجموعة التجريبية الذين درسو باستخدام استراتيجية خرائط المفاهيم على طلبة المجموعة الضابطة الذين درسو بالطريقة الاعتيادية .

٢- دراسة أبو عرار وآخرون (٢٠٢١)

اجريت هذه الدراسة في المملكة العربية السعودية –وهدفت الى التعرف على «مدى استخدام الخرائط المفاهيمية في مدارس عرعرة النقب الابتدائية كأداة تقييم وتعليم من وجهة نظر المعلمين «

ولتحقيق الهدف المنشود من هذه الدراسة، استخدم الباحثون المنهج الوصفي , وتم استخدام الاستبانة كأداة لجمع البيانات ، وتكونت العينة من ٢٨ معلم ومعلمة من معلمي المرحلة الابتدائية، في مدارس عرعرة النقب ، وتم التوصل الى النتائج التالية :

تبين ان استخدام معلمي المرحلة الابتدائية في مدارس عرعرة النقب للخرائط المفاهيمية كأداة تعليم يعد متدني جداً، وتبين ان استخدام معلمي المرحلة الابتدائية في مدارس عرعرة النقب للخرائط المفاهيمية كأداة تقييم يعد متدني.

ب-دراسات تناولت دافعية الانجاز:

١- دراسة العمري (٢٠١٧):

اجريت هذه الدراسة في المملكة العربية السعودية – وهدفت الى التعرف على «مستوى التكيف الاكاديمي وعلاقته بدافعية الانجاز لدى طالبات المرحلة الثانوية بمدينة الرياض «

ولتحقيق هدف البحث استخدمت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي, وقد تكونت عينة الدراسة (١٠٢) طالبة ، وقد تمت الاستعانة بمقياس التكيف الاكاديمي، ومقياس دافعية الانجاز كأدوات للدراسة , وقد تم التوصل الى النتائج الاتية :

ان مستوى التكيف الاكاديمي لعينة الدراسة جاء بدرجة كبيرة ،وان مستوى دافعية الانجاز لعينة الدراسة جاء بدرجة كبيرة ،مع وجود علاقة ارتباطية ايجابية ذات دلالة احصائية بين مستوى التكيف الاكاديمي ودافعية الانجاز لعينة الدراسة .

٢– دراسة حجة و سليمان (٢٠٢٢):

اجريت هذه الدراسة في السودان _وهدفت الى التعرف على «دافعية الانجاز وعلاقتها بأساليب مواجهة الضغوط المرتبطة بالتحصيل الدراسي لدى طلبة بعض الجامعات السودانية «

ولتحقيق هدف الدراسة استخدم الباحثان المنهج الوصفي ,اذ تم اختيار عينة البحث بشكل عشوائي من طلبة الجامعات السودانية وبلغ عددهم (٥٠٢) طالب وطالبة ، وقد تم استخدام مقياسي أساليب مواجهة الضغوط المرتبطة بالتحصيل الدراسي ودافعية الانجاز , وقد تم التوصل للنتائج التالية :

وجود علاقة ذات دلالة احصائية بين دافعية الانجاز وأساليب مواجهة الضغوط المرتبطة بالتحصيل الدراسي لدى طلبة الجامعات السودانية، وتوجد فروق في دافعية الانجاز تعزي لمستويات أساليب مواجهة الضغوط المرتبطة بالتحصيل الدراسي لدى طلبة الجامعات السودانية .

–جوانب الافادة من الدراسات السابقة –

- إبراز مشكلة البحث وأهميته.
- أعداد أداة البحث وتطبيقها.
- المساعدة في اعداد مقياسي اختبار (خرائط المفاهيم ، ودافعية الانجاز).
- تحديد حجم العينة.
- زودت الدراسات السابقة الباحثة بالعديد من المصادر التي رجعت اليها وافادت منها في تعزيز اهمية البحث
- الوسائل الإحصائية المستخدمة في الدراسات السابقة لاختيار الوسائل الإحصائية الملائمة للدراسة الحالية.

منهجية البحث وإجراءاته

يتضمن هذا الفصل عرضا لمنهجية البحث وإجراءاته من حيث تحديد مجتمع البحث واختيار عينته ووصف أدواته والوسائل الإحصائية المستخدمة فيه وعلى النحو الأتي :

أولا:– منهجية البحث :–

يعرف البحث الوصفي بأنه كل استقصاء ينصب على ظاهرة من الظواهر التعليمية أو النفسية كما هي قائمة في الحاضر بقصد تشخيصها وكشف جوانبها وتحديد العلاقات بين عناصرها أو بينها وبين ظواهر تعليمية او نفسية أو اجتماعية . ولا يقف البحث الوصفي كما يبدو من التسمية عند حدود وصف ظاهرة موضوع البحث، وانما يذهب ابعد من ذلك فيحلل ويفسر ويقارن ويقيم أملاً في التوصل الى تعميمات ذات معنى يزيد بها رصيد معارفنا

عند تلك الظاهرة ، وفي كل الأحوال فأن أهم خصائص البحث الوصفي الموضوعية في التشخيص (الزوبعي ، ١٩٨١، ص٥٣).

ثانياً: مجتمع البحث:

يشتمل مجتمع البحث الحالي على طلبة الدراسات الصباحية في كلية التربية للبنات الجامعة العراقية للعام الدراسي (٢٠٢٤– ٢٠٢٥) من الطالبات اللواتي يدرسن باقسام علوم القران والتربية الاسلامية حيث يتكون المجتمع الأصلي من (٢٦٥) طالبة وقد اختيرت عينة البحث الحالي من المجتمع الأصلي بنسبة (٥٩,٢٤٪) بالأسلوب الطبقي العشوائي وكما موضح في جدول (١).

جدول (١)يبين أعداد المجتمع الأصلي من طالبات قسم علوم القران والتربية الإسلامية /كلية التربية للبنات

المرحلة	المجتمع		العينة
	العدد	النسبة المئوية	
الأول	73	27.55%	43
الثاني	114	43.02%	68
الثالث	33	12.45%	20
الرابع	45	16.98%	27
المجموع	265	100.00%	157

رابعاً: أداتا البحث:

لما كان البحث الحالي يستهدف معرفة الخرائط الذهنيه المستخدمة في تدريس مادة القرآن الكريم والتربية الاسلامية وعلاقتها بدافع الانجاز لطالباتهم ، توجب ذلك توفر أداتين ملائمتين لقياس ((الخرائط الذهنية – دافع الانجاز)):-

اولا:- استبانة (الخرائط الذهنية)

ولما كان البحث الحالي يهدف الى معرفة الخرائط الذهنية المستخدمة في تدريس مادة القرآن الكريم والتربية الإسلامية ، لذا يمكن عد الاستبانة من اكثر وافضل الأدوات المناسبة في تحقيق ما يهدف اليه هذا البحث, و عليه أعدت الباحثة الاستبانة كأداة البحث الحالي وذلك بعد اطلاعها على الأدبيات و الدراسات السابقة المتعلقة بموضوع البحث الحالي وذات العلاقة به وكذلك الإفادة من أراء المحكمين في المناهج و طرائق التدريس و العلوم التربوية و النفسية و في ضوء ما تقدم أعدت الباحثة اداة بحثها التي تكونت من (٣٠) فقرة من خلال الاطلاع على المصادر و الأدبيات التي توفرت لها و التي تناولت ((الخرائط الذهنية)) أو الدراسات التي يبحث فيها أو في أحد مجالاته وصاغت الباحثة عدد من الفقرات بالاعتماد على مطالعاتها في هذا الميدان ، وحددت أمام كل فقرة خمسة بدائل هي (دائما, غالبا, احيانا, نادرا, ابدا) ، وتم تحديد أوزان الدرجات (٥، ٤، ٣، ٢، ١) لكل بديل من البدائل وعلى التوالي .

وقد اعدت الباحثة تعليمات للأداة لتوضيح الطريقة التي يجيب بها المفحوص على الفقرات و التي يمكن بوساطتها الحصول على أفضل استجابة لذا روعي عند إعدادها أنه تكون بسيطة و مفهومة و ملائمة لمستوى فهم العينة ، كما تم شرح البدائل بصورة مفصلة مع مثال يوضح كيفية الإجابة عن الفقرات ، و اختيار البديل المناسب الذي

يعبر عن رايه الفعلي ، و تم إخفاء الغرض الحقيقي من البحث و ذلك من أجل التقليل من التأثير المحتمل لعامل المرغوبية الاجتماعية Social desirability .

ومن اجل التحقق من صلاحية فقرات الاداة تم عرضها بصيغتها الأولية على مجموعة من أراء المحكمين في المناهج و طرائق التدريس و العلوم التربوية و النفسية وأخذت الباحثة بملاحظاتهم في هذا الجانب، لإبداء آرائهم حول مدى صلاحية وسلامة صياغة فقرات الاداة ، ومدى شمول الاداة ، وإضافة أو تعديل أو حذف أي فقرة من فقرات الأداة.

وفي ضوء آراء المحكمين تم اجراء تعديل طفيف لبعض الفقرات من قبل المحكمين وتم الإبقاء على (٣٠) فقرة تشكل الصيغة النهائية للأداة ملحق (١) ، واعتمد على معيار (٨٠٪) فأكثر كنسبة اتفاق في إبقاء أو حذف أو تعديل الفقرات وبناءً على ذلك استبقت الفقرات التي حصلت على نسبة اتفاق الخبراء (٨٠٪) عند مستوى دلالة (٠,٠٥) بأستعمال مربع كاي لعينة واحدة وعدت كل فقرة صالحة عندما تكون قيمة مربع كاي المحسوبة دالة عند مستوى (٠,٠٥) .

تصحيح الاداة:

يقصد بتصحيح الاداة الحصول على الدرجة الكلية للفرد ، و تحتسب الدرجة الكلية للمستجيب عن طريق جمع الدرجات على جميع فقرات الاداة , ومن اجل تحديدها, تم اعتماد مقياس ليكرت الخماسي(Likert Five Scale), أذ اصبح أمام كل فقرة من فقرات الاداة وزن متدرج من (٥) مستويات على النحو الاتي : (١,٢,٣,٤,٥) ، و تم حساب الدرجة الكلية لكل مستجيب بالجمع الجبري لدرجات استجاباته على جميع فقرات الاداة ، و من الناحية النظرية فأن أعلى درجة يمكن أن يحصل المستجيب عليها تكون (١٥٠) و أدنى درجة (٣٠) .

٢- التطبيق الاستطلاعي للأداة :

تم تطبيق الصورة الأولية على عينة استطلاعية من المجتمع الاصلي للبحث بلغ عددها (٢٠) طالبة لغرض التأكد من وضوح فقرات الأداة و بعدها عن الغموض ، و فهم تعليمات الاداة و كيفية الإجابة، و قد قامت الباحثة بنفسها بتطبيق الاداة تطبيقا فرديا ليتسنى لها الإجابة عن استفسارات المستجيبين . وضحت لهم طريقة الإجابة و ناقشت معهم وضوح التعليمات و الفقرات و صياغتها ، و تبين من خلال التطبيق وضوح الفقرات جميعها .

التحليل الإحصائي لفقرات الاداة :

قامت الباحثة بتحليل الفقرات احصائياً للكشف عن صدقها أو تجانسها ،لأجل إبقاء الفقرات الجيدة والكشف عن دقتها في الاداة في قياس ما وضعت لقياسه ، والتثبت من كفاءتها في تحقيق مبدأ الفروق الفردية لان الهدف من هذا التحليل هو إبقاء الفقرات الصالحة في الاداة واستبعاد أو تعديل الفقرات غير الصالحة.

وقد اتبعت الباحثة أسلوبين لأجراء عملية التحليل هما :

١-اسلوب العينتين المتطرفتين :

تمّ اعتماد (٥٠٪) من الاستمارات الحاصلة على الدرجات العليا والتي بلغ عددها (٧٨) استمارة و (٥٠٪) من الاستمارات الحاصلة على الدرجات الدنيا والتي بلغ عددها (٧٨) استمارة لكلّ مجموعة وبذا يكون لدينا مجموعتان بأكبر حجم ممكن وأقصى تباين ممكن بينهما (الزوبعي ,١٩٨١: ٧٤) .

ثم طبقت الباحثة الاختبار التائي(t –test) لعينتين مستقلتين، لاختبار دلالة الفروق بين المجموعة العليا والدنيا لكلّ فقرة من الفقرات ، وعدت القيمة التائية مؤشرا لتمييز كلّ فقرة من خلال مقارنته بالقيمة الجدولية (١,٩٦) وبدرجة حرية (١٥٤) ومستوى دلالة (٠,٠٥)، يوضحها الجدول(٢).

جدول (٢)معاملات تمييز فقرات الاداة بأسلوب المجموعتين المتطرفتين لاستبانة الخرائط الذهنية

ت	المجموعة العليا		المجموعة الدنيا		القيمة التائية		الدلالة الاحصائية
	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	المحسوبة	الجدولية	
١	4.2821	0.97897	3.4231	1.1226	7.180	1.96	دالة
٢	4.2692	0.86299	3.5256	1.19223	6.290	1.96	دالة
٣	4.0385	0.97291	3.6282	1.27013	3.193	1.96	دالة
٤	3.9615	0.84427	3.6282	1.27013	2.721	1.96	دالة
٥	3.6667	1.2449	2.4103	1.09824	9.422	1.96	دالة
٦	3.7821	1.10074	3.5	0.93628	2.430	1.96	دالة
٧	4.0769	1.04159	3.7436	1.08635	2.757	1.96	دالة
٨	4.1282	1.08543	3.7821	1.05249	2.850	1.96	دالة
٩	4	1.05683	2.7821	1.05249	10.166	1.96	دالة
١٠	4.0385	0.85951	3.7821	1.11247	2.271	1.96	دالة
١١	3.8846	1.11636	3.5513	1.18044	2.554	1.96	دالة
١٢	3.8205	1.14805	3.4744	1.2764	2.510	1.96	دالة
١٣	3.7564	1.13029	3.2179	1.16939	4.122	1.96	دالة
١٤	3.897	1.28362	3.4487	1.27562	3.084	1.96	دالة
١٥	3.7308	1.16967	3.2692	1.26566	3.335	1.96	دالة
١٦	3.8974	0.87668	3.359	1.12786	4.692	1.96	دالة
١٧	3.9615	0.94584	3.4487	1.15823	4.269	1.96	دالة
١٨	3.9359	1.06099	3.4744	1.13646	3.696	1.96	دالة
١٩	4.2564	0.93191	3.3846	1.21923	7.073	1.96	دالة
٢٠	4.1667	0.99892	3.5513	1.19139	4.928	1.96	دالة
٢١	3.8205	1.04127	3.2436	1.32102	4.270	1.96	دالة
٢٢	3.9744	1.12786	3.3718	1.30044	4.358	1.96	دالة
٢٣	4.1026	0.98811	3.359	1.18403	6.003	1.96	دالة
٢٤	3.9615	1.06225	3.3846	1.27137	4.335	1.96	دالة
٢٥	3.9615	1.01216	3.3077	1.09672	5.454	1.96	دالة
٢٦	4.0513	0.96561	3.1154	1.24818	7.384	1.96	دالة
٢٧	4.141	0.84859	3.5256	1.22447	5.143	1.96	دالة
٢٨	4.2051	0.91678	3.6154	1.26111	4.709	1.96	دالة
٢٩	4.1026	1.01405	3.5256	1.11337	4.770	1.96	دالة
٣٠	3.9103	1.14172	3.2538	1.13763	5.071	1.96	دالة

ومن خلال ملاحظة الجدول (٢) فقد تبين أنّ جميع الفقرات مميزة عند مقارنتها بالقيمة الجدولية عند مستوى (٠,٠٥) وبدرجة حرية (١٥٤)

– علاقة درجة الفقرة بالدرجة الكلية لأستبانة الخرائط الذهنية :

أحتسبت الباحثة معامل التمييز من العلاقة الارتباطية بين درجة كل فقرة والدرجة الكلية للمقياس وذلك عن طريق اعتماد البيانات التي حصلت عليها من استجابات افردا العينة في حساب معاملات الارتباط بأستعمال معامل ارتباط بيرسون بواسطة برنامج SPSS ، وعليه تحذف الفقرة التي يكون معامل ارتباطها بالدرجة الكلية واطئاً لان الفقرة لا تقيس الظاهرة التي يقيسها الاداة بأكمله . ولمعرفة الدلالة الإحصائية فقد تم مقارنتها مع قيمة معامل الارتباط الجدولية (٠,١٢٥) عند درجة حرية (١٥٥) وبمستوى دلالة (٠,٠٥) وكانت جميع القيم الخاصة بفقرات القائمة دالة كما في الجدول (٣)

جدول (٣)معاملات ارتباط درجة الفقرة بالدرجة الكلية لاستبانة الخرائط الذهنية

ت	معامل الارتباط	ت	معامل الارتباط	ت	معامل الارتباط	ت	معامل الارتباط	ت	معامل الارتباط
1	0.38	7	0. 53	13	0.82	19	0.49	25	0.46
2	0.46	8	0.31	14	0.56	20	0.42	26	0.33
3	0. 56	9	0.46	15	0.591	21	0.39	27	0.56
4	0. 36	10	0.7	16	0.31	22	0.43	28	0.37
5	0.35	11	0.63	17	0.63	23	0.41	29	0.47
6	0.84	12	0. 82	18	0.88	24	0.35	30	0.36

وبملاحظة جدول (٣) يتبين لنا وجود علاقة قوية بين جميع درجات الفقرات والدرجة الكلية للاداة عند مستوى الدلالة (٠,٠٥) ولهذا تعد فقرات البعد صادقة لما وضعت لقياسه .

– المؤشرات السايكومترية للأداة :

١– الصدق:

تم التحقق من نوعين من الصدق هما :

١– الصدق الظاهري : وقد اعتمدت الباحثة هذا النوع من الصدق للتحقق من صدق الاداة من خلال عرضها على مجموعة من المحكمين المختصين أذ بلغ عددهم (١٢) محكماً , في اختصاصات متنوعة و استنادآ الى راي الاغلبية في صلاحية الاداة لقياس الهدف الذي وضعت من اجله وقد تم الاخذ بالحسبان أهم الارشادات و التوجيهات التي أشاروا اليها , و قد تم اعداد الاداة بشكله النهائي اذ أصبح عدد الفقرات (٣٠) فقرة .

٢– صدق البناء او الاتساق الداخلي :هناك مؤشرات افتراضية يمكن أن تكشف عن صدق البناء، أذا تطابقت درجات الاداة معها فأن ذلك يؤشر صدق البناء,, عليه اعتمدت مؤشرات معاملات التمييز، بأسلوبي العينتين المتطرفتين ، و علاقة درجة الفقرة بالدرجة الكلية للاداة ، وثبات الاداة بطريقتي, التجزئة النصفية وتحليل التباين .

٢ – ثبات استبانة الخرائط الذهنية:

ويقصد به دقة المقياس في الملاحظة وعدم تناقضه مع نفسه واتساقه فيما يزودنا به من معلومات عن سلوك الفرد (ابوحطب,١٩٨٧,ص ١٠١) ولأجل الحصول على ثبات قامت الباحثة باستخراجه بطريقتين هما :

أ– طريقة تحليل التباين:

تم حساب معامل الثبات بهذه الطريقة باستخدام معامل ثبات الفا للاتساق الداخلي :**Alpha Coefficient for Internal Consistency**

والذي يمكن ان يعبر عن مدى قيام الفقرات الواردة في المقياس بقياس الشيء نفسه , وإذا كانت جميع فقرات تقيس فعلا نفس السمة ، فيجب ان تترابط مع بعضها ومعدل معاملات الارتباط الداخلية, بين الفقرات مع عدد الفقرات هو الذي يحدد معامل ألفا, (Costa & McCrae, ٢٠٠٣b,p٤٤) وتم حساب ثبات الاستبانة, فكان (٠,٨٧) ، ويعد معامل ثبات مقبول لأغراض البحث بالحك عليها منخلال أستعمال المعيار المطلق، وذلك بتربيع معامل الثبات المحسوبة . (البياتي واثناسيوس, ١٩٧٧: ١٩٤).

ب– طريقة التجزئة النصفية :

تعتمد هذه الطريقة على تقسيم الاختبار إلى جزئين, فقط فيكون الجزء الأول متكون من الدرجات الفردية للاختبار, والجزء الثاني من الدرجات الزوجية للاختبار، ثم يحسب معامل ارتباط بيرسون بين الجزئين ، فبلغ (٠,٦٨٢) ، وتم تصحيحه باستخدام معامل ارتباط سبيرمان –براون (٠,٨١١) .

الوصف العام لاستبانة الخرائط الذهنية :

بعد التحقق من صدق الاداة بأكثر من أسلوب، وتحديد معاملات ثباته، يمكن لنا تقديم وصف عام لاستبانة الخرائط الذهنية ، اذ تكونت الاداة بصيغته النهائية من (٣٠) فقرة ، وحددت أمام كل فقرة خمسة بدائل هي (دائما, غالبا, احيانا, نادرا, ابدا) وتم تحديد أوزان الدرجات (٥،٤،٣،٢،١) لكل بديل من البدائل وعلى التوالي .

ثانيا :- مقياس دافع الانجاز :

أعدت الباحثة مقياس دافع الانجاز بعد اطلاعها على الأدبيات، و الدراسات السابقة المتعلقة بموضوع دافع الانجاز، وذات العلاقة به ، وكذلك الإفادة من أراء المحكمين في المناهج و طرائق التدريس و العلوم التربوية و النفسية ، وفي ضوء ما تقدم أعدت الباحثة اداة بحثها التي تكونت من (٣٠) فقرة ، من خلال الاطلاع على المصادر و الأدبيات التي توفرت لها و التي تناولت ((دافع الانجاز))، أو الدراسات التي بحثت فيه أو في أحد مجالاته، وصاغت الباحثة عدد من الفقرات بالاعتماد على مطالعاتها في هذا الميدان ، وحددت أمام كل فقرة خمسة بدائل هي: (تنطبق دائما, تنطبق غالبا, تنطبق احيانا, تنطبق نادرا, لا تنطبق ابدا) ، وتم تحديد أوزان الدرجات (٥،٤،٣،٢،١) لكل بديل من البدائل وعلى التوالي .

وقد اعدت الباحثة تعليمات للأداة لتوضيح الطريقة التي يجيب بها المفحوص على الفقرات و التي يمكن بوساطتها الحصول على أفضل استجابة لذا روعي عند إعدادها أنه تكون بسيطة و مفهومة و ملائمة لمستوى فهم العينة ، كما تم شرح البدائل بصورة مفصلة ،مع مثال يوضح كيفية الإجابة عن الفقرات ، و اختيار البديل المناسب الذي يعبر عن رايه الفعلي ، و تم إخفاء الغرض الحقيقي من البحث و ذلك من أجل التقليل من التأثير المحتمل لعامل المرغوبية الاجتماعية **Social desirability** .

ومن اجل التحقق من صلاحية الفقرات تم عرضها بصيغتها الأولية على مجموعة من أراء المحكمين في المناهج و طرائق التدريس و العلوم التربوية و النفسية، وأخذت الباحثة بملاحظاتهم في هذا الجانب، لإبداء آرائهم حول مدى صلاحية وسلامة صياغة فقرات مقياس دافع الانجاز ، ومدى شمول الاداة ، وإضافة أو تعديل أو حذف أي فقرة من فقرات الأداة.

وفي ضوء آراء المحكمين تم اجراء تعديل طفيف لبعض الفقرات من قبل المحكمين، وتم الإبقاء على (٣٠) فقرة تشكل الصيغة النهائية للأداة ، واعتمد على معيار (٨٠٪) فأكثر كنسبة اتفاق في إبقاء أو حذف أو تعديل الفقرات وبناءً على ذلك استبقت الفقرات التي حصلت على نسبة اتفاق الخبراء (٨٠٪) عند مستوى دلالة (٠,٠٥) بأستعمال مربع كاي لعينة واحدة وعدت كل فقرة صالحة عندما تكون قيمة مربع كاي المحسوبة دالة عند مستوى (٠,٠٥) .

تصحيح مقياس دافع الإنجاز :

يقصد بتصحيح الاداة الحصول على الدرجة الكلية للفرد ، و تحتسب الدرجة الكلية للمستجيب عن طريق جمع الدرجات على جميع فقرات الاداة , ومن اجل تحديدها, تم اعتماد مقياس ليكرت الخماسي(**Likert Five Scale**), أذ اصبح أمام كل فقرة من فقرات الاداة وزن متدرج من (٥) مستويات على النحو الاتي : (١,٢,٣,٤,٥) ، و تم حساب الدرجة الكلية لكل مستجيب بالجمع الجبري لدرجات استجاباته على جميع فقرات الاداة ، و من الناحية النظرية فأن أعلى درجة يمكن أن يحصل المستجيب عليها تكون (١٥٠) و أدنى درجة(٣٠) .

٣- التطبيق الاستطلاعي لمقياس دافع الانجاز :

تم تطبيق الصورة الأولية على عينة استطلاعية من المجتمع الاصلي للبحث بلغ عددها(٢٠) طالبة لغرض التأكد من وضوح فقرات الأداة و بعدها عن الغموض ، و فهم تعليمات الاداة و كيفية الإجابة، و قد قامت الباحثة بنفسها بتطبيق الاداة تطبيقا فرديا ليتسنى لها الإجابة عن استفسارات المستجيبين . وضحت لهم طريقة الإجابة و ناقشت

معهم وضوح التعليمات و الفقرات و صياغتها ، و تبين من خلال التطبيق وضوح الفقرات جميعها .

التحليل الإحصائي لفقرات مقياس دافع الانجاز :

قامت الباحثة بتحليل الفقرات احصائياً للكشف عن صدقها أو تجانسها لأجل إبقاء الفقرات الجيدة والكشف عن دقتها في الاداة في قياس ما وضعت لقياسه والتثبت من كفاءتها في تحقيق مبدأ الفروق الفردية لان الهدف من هذا التحليل هو إبقاء الفقرات الصالحة في الاداة واستبعاد أو تعديل الفقرات غير الصالحة.

وقد اتبعت الباحثة أسلوبين لأجراء عملية التحليل هما :

١-اسلوب العينتين المتطرفتين :

تمّ اعتماد (٥٠٪) من الاستمارات الحاصلة على الدرجات العليا والتي بلغ عددها (٧٨) استمارة و (٥٠٪) من الاستمارات الحاصلة على الدرجات الدنيا والتي بلغ عددها (٧٨) استمارة لكلّ مجموعة وبذا يكون لدينا مجموعتان بأكبر حجم ممكن وأقصى تباين ممكن بينهما (الزوبعي ,١٩٨١: ٧٤) .

ثم طبقت الباحثة الاختبار التائي(t –test) لعينتين مستقلتين، لاختبار دلالة الفروق بين المجموعة العليا والدنيا لكلّ فقرة من الفقرات ، وعدت القيمة التائية مؤشرا لتمييز كلّ فقرة من خلال مقارنته بالقيمة الجدولية (١,٩٦) وبدرجة حرية (١٥٤) ومستوى دلالة (٠,٠٥)، يوضحها الجدول(٤).

جدول (٤)معاملات تمييز فقرات الاداة بأسلوب المجموعتين المتطرفتين لمقياس دافع الانجاز

ت	المجموعة العليا		المجموعة الدنيا		القيمة التائية		الدلالة الاحصائية
	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	المحسوبة	الجدولية	
1	4.3077	1.04828	3.1667	1.22121	8.826	1.96	دالة
2	4.2436	0.79259	3.5769	0.94689	6.722	1.96	دالة
3	2.8846	1.26881	2.0487	1.45849	5.383	1.96	دالة
4	4.6538	0.57721	3.8333	1.18887	7.729	1.96	دالة
5	4.4487	0.52589	3.5769	1.39125	7.298	1.96	دالة
6	4.4436	0.98279	4.0154	1.13855	3.544	1.96	دالة
7	4.7821	0.69595	3.6923	1.1085	10.366	1.96	دالة
8	3.9359	0.79511	3.5103	1.08336	3.943	1.96	دالة
9	3.7692	1.11569	3.4359	0.84653	2.963	1.96	دالة
10	3.8333	0.90334	2.9615	1.32354	6.773	1.96	دالة
11	4.5385	0.86328	3.1154	1.26881	11.545	1.96	دالة
12	3.4231	1.36295	3.1282	1.09733	2.098	1.96	دالة
13	4.5	0.96362	3.4744	1.18129	8.376	1.96	دالة
14	4.4872	0.87895	3.3462	1.19335	9.585	1.96	دالة
15	4.0513	1.03067	3.5128	1.10187	4.444	1.96	دالة
16	4.6667	0.75018	3.6795	1.35315	7.944	1.96	دالة
17	4.2051	0.90251	3.3974	0.79511	8.360	1.96	دالة
18	4.1154	0.85251	3.6282	1.00788	4.595	1.96	دالة
19	4.5256	0.89333	3.641	0.99315	8.245	1.96	دالة
20	3.9487	1.14979	2.8333	1.30351	7.989	1.96	دالة
21	4.5128	0.99013	3.7179	1.01799	6.969	1.96	دالة
22	4.2821	0.93832	3.4872	1.05367	7.014	1.96	دالة
23	4.2179	0.80012	3.6282	0.88434	6.156	1.96	دالة
24	3.9872	0.97359	3.359	1.22712	4.993	1.96	دالة
25	4.0897	0.99591	3.5128	1.39334	4.194	1.96	دالة
26	4.3333	0.80043	3.4615	1.20273	7.513	1.96	دالة
27	3.8077	0.91251	3.4359	1.19076	3.086	1.96	دالة
28	4.1923	0.79049	2.9744	1.15066	10.861	1.96	دالة
29	4.2051	0.93084	3.4744	1.15909	6.119	1.96	دالة
30	4.1923	1.04518	3.6154	1.27137	4.364	1.96	دالة

ومن خلال ملاحظة الجدول (٤) فقد تبين أنّ جميع الفقرات مميزة عند مقارنتها بالقيمة الجدولية عند مستوى (٠,٠٥) وبدرجة حرية (١٥٤)

– علاقة درجة الفقرة بالدرجة الكلية لمقياس دافع الانجاز :

أحتسبت الباحثة معامل التمييز من العلاقة الارتباطية بين درجة كل فقرة والدرجة الكلية للمقياس وذلك عن طريق اعتماد البيانات التي حصلت عليها من استجابات افردا العينة في حساب معاملات الارتباط بأستعمال معامل ارتباط بيرسون بواسطة برنامج SPSS ، وعليه تحذف الفقرة التي يكون معامل ارتباطها بالدرجة الكلية واطئاً لان الفقرة لا تقيس الظاهرة التي يقيسها الاداة بأكمله . ولمعرفة الدلالة الإحصائية فقد تم مقارنتها مع قيمة معامل الارتباط الجدولية (٠,١٢٥) عند درجة حرية (١٥٥) وبمستوى دلالة (٠,٠٥) وكانت جميع القيم الخاصة بفقرات القائمة دالة كما في الجدول (٤)

وبملاحظة جدول (٤) يتبين لنا وجود علاقة قوية بين جميع درجات الفقرات والدرجة الكلية للاداة عند مستوى الدلالة (٠,٠٥) ولهذا تعد فقرات البعد صادقة لما وضعت لقياسه وكما يوضحها الجدول (٥)

جدول (٥)معاملات ارتباط درجة الفقرة بالدرجة الكلية لمقياس دافع الانجاز

ت	معامل الارتباط	ت	معامل الارتباط	ت	معامل الارتباط	ت	معامل الارتباط	ت	معامل الارتباط
1	0.49	7	0.39	13	0.43	19	٥10.	25	0.57
2	0.57	8	0.42	14	0.67	20	0.53	26	0.44
3	0.68	9	0.57	15	0.41	21	0.5	27	0.67
4	0.57	10	0.41	16	0.42	22	0.54	28	0.48
5	0.46	11	0.64	17	0.54	23	0.52	29	0.58
6	0.35	12	0.44	18	0.39	24	0.46	30	0.47

– المؤشرات السايكومترية لمقياس دافع الانجاز:

١ – الصدق:

تم التحقق من نوعين من الصدق هما :

١ –الصدق الظاهري : وقد اعتمدت الباحثة هذا النوع من الصدق للتحقق من صدق الاداة ، من خلال عرضها على مجموعة من المحكمين المختصين، أذ بلغ عددهم (١٢) محكماً , في اختصاصات متنوعة و استناداً الى رأي الاغلبية في صلاحية الاداة لقياس الهدف الذي وضعت من اجله وقد تم الاخذ بالحسبان أهم الارشادات و التوجيهات التي أشاروا اليها , و قد تم اعداد الاداة بشكله النهائي اذ أصبح عدد الفقرات (٣٠) فقرة .

–صدق البناء او الاتساق الداخلي :

هناك مؤشرات افتراضية يمكن أن تكشف عن صدق البناء أذا تطابقت درجات الاداة معها فأن ذلك يؤشر صدق البناء ، عليه اعتمدت مؤشرات معاملات التمييز بأسلوبي العينتين المتطرفتين و علاقة درجة الفقرة بالدرجة الكلية للاداة ، وثبات الاداة بطريقتي التجزئة النصفية، وتحليل التباين .

٢ – ثبات الاداة :

اعتمدت الباحثة بيانات عينة البحث الاساسية للتأكد من ثبات فقرات الاداة ، باعتماد طريقتي التجزئة النصفية

فبلغ معامل ارتباط بيرسون بين الجزئين (٠,٧٢٢) وتم تصحيحه باستخدام معامل ارتبط سبيرمان –براون (٠,٨٤) ، وطريقة تحليل التباين بأستعمال معادلة معامل الفاكرونباخ فكانت (٠,٨٤) ، وتعد معاملات ثبات مقبولة لأغراض البحث بالحكم عليها من خلال أستعمال المعيار المطلق وذلك بتربيع معامل الثبات المحسوبة . (البياتي واثناسيوس, ١٩٧٧: ١٩٤) .

الوصف العام للأداة :

بعد التحقق من صدق الاداة بأكثر من أسلوب وتحديد معاملات ثباته، يمكن لنا تقديم وصف عام لاستبانة الخرائط الذهنية ، اذ تكونت الاداة بصيغته النهائية من (٣٠) فقرة ، وحددت أمام كل فقرة خمسة بدائل هي (دائما, غالبا, احيانا, نادرا, ابدا) وتم تحديد أوزان الدرجات (٥،٤،٣،٢،١) لكل بديل من البدائل وعلى التوالي .

التطبيق النهائي لاداتي البحث :–

من أجل تحقيق أهداف البحث الحالي وبعد تحديد حجم عينة البحث الحالي البالغة (٢٥٧) طالبة يتوزعن على (٤) مراحل دراسية ، تم تطبيق الصيغة النهائية لكل من استبانة الخرائط الذهنية ، و مقياس دافع الانجاز على أفراد العينة ، وتم تصحيح استمارات الإجابة لكل فرد من أفراد العينة بمفتاح التصحيح الخاص بكل أداة.

خامسا: الوسائل الإحصائية:–

استعانت الباحثة بالحقيبة الإحصائية للعلوم الاجتماعية (SPSS) في تحليل البيانات وقد استخدمت الوسائل الإحصائية الآتية:

١–الاختبار التائي لعينتين مستقلتين (T–test for two Intdepent samples) استعمل لإيجاد القوة التميزية لفقرات استبانة الخرائط الذهنية و مقياس دافع الإنجاز. (البياتي وأثناسيوس, ١٩٧٧: ٢٧٤)

٢– معامل ارتباط بيرسون (Pearson Correlation Coefficient) استعمل لحساب ثبات استبانة الخرائط الذهنية و مقياس دافع الانجاز بطريقة التجزئة النصفية ، وكذلك لمعرفة العلاقة بين درجة كل فقرة والدرجة الكلية للأداتين. (فيركسون : ١٩٩١، ١٤٥)

٣– معادلة ارتباط سبيرمان –بروان لتصحيح معامل ثبات الاداتين المستخرج بطريقة التجزئة النصفية. (أبو لبدة، ١٩٨٢: ٢٦٠).

٤– معادلة الفاكرونباخ (Cronbach Alpha Formula) استعمل لحساب الثبات بطريقة الاتساق الداخلي لاستبانة الخرائط الذهنية و لمقياس دافع الإنجاز. (عبد الرحمن، ١٩٩٨، ١٧٢)

٥– الوسط المرجح (طبية، ٢٠٠٨ : ٥٠).

٦– الوزن المئوي للفقرة لتحديد الاهمية النسبية لكل فقرة من الفقرات . (عدس، ١٩٧٨:١٣٣)

٧– تحليل التباين لايجاد الفروق الإحصائية تبعا لمتغير المرحلة الدراسية للاداتين.

٨– تحليل الانحدار البسيط .

عرض النتائج ومناقشتها

سيعرض في هذا الفصل النتائج ثم مناقشتها في اضواء اهداف البحث :–

أولاً: عرض النتائج:

تعرض الباحثة في هذا الفصل النتائج التي توصلت اليها وفق أهدافها , و اعتمدت الباحثة في تفسيرها على الدراسات السابقة و الأدبيات , كما اعتمدت الباحثة على الاستبانة في تحقيق هدفا البحث كأداة لجمع البيانات المرتبطة بعينة البحث , مستعملة سلم ليكرت الخماسي ، ومن اجل تحقيق أهداف البحث اعتمدت الباحثة الاستبانة كأداة لجمع البيانات المرتبطة بعينة البحث .

ومن اجل تفسير النتائج بحسب الحدود الدنيا والعليا لمقياس ليكرت والنسبة المئوية المقابلة لكل خلية ومستوى

الاداء كما يوضحها الجدول (٦):

الجدول(٦)الحدود الدنيا والعليا لمقياس ليكرت والنسبة المئوية المقابلة لكل خلية والتقدير

المتوسط	النسبة المئوية	التقدير
من ١-١,٧	%٢٠-%٣٥	قليلة جداً
من ١,٨-٢,٥	%٣٦-%٥١	قليلة
٢,٦-٣,٣	%٥٢-%٦٧	متوسط
٣,٤-٤,١	%٦٨-%٨٣	كبيرة
٤,٢-٥	%٨٤-%١٠٠	كبيرة جداً

وستعرض النتائج على وفق أهداف البحث المحددة بالفصل الأول

الهدف الاول:-

تحقيقا للهدف الأول من اهداف البحث الحالي , والذي ينص على (تعرف مستوى استخدام الخرائط الذهنية لدى طالبات قسم علوم القران والتربية الإسلامية في كلية التربية للبنات الجامعة العراقية) قامت الباحثة بحساب التكرار والوسط المرجح والوزن المئوي لجميع فقرات الاداة، وكما هو موضح في الجدول (٧):

الجدول(٧)التكرار والوسط المرجح والوزن المئوي لاستخدام طالبات قسم علوم القران والتربية الإسلامية للخرائط الذهنية

الرتبة	ت	البدائل					الوسط المرجح	الوزن المئوي	مستوى الاستخدام
		ابدا	نادرا	احيانا	عاليا	دائما			
1	7	1	20	31	45	60	3.91	78.22	كبيرة
1	10	2	13	34	56	52	3.91	78.22	كبيرة
2	8	0	24	33	34	66	3.90	78.09	كبيرة
2	28	4	18	31	40	64	3.90	78.09	كبيرة
٣	2	7	10	32	52	56	3.89	77.83	كبيرة
٤	9	1	17	40	40	59	3.89	77.71	كبيرة
٥	4	0	16	37	54	50	3.88	77.58	كبيرة
6	20	4	21	26	47	59	3.87	77.32	كبيرة
7	1	2	22	35	36	62	3.85	77.07	كبيرة
8	3	6	14	39	38	60	3.84	76.82	كبيرة
9	27	5	15	33	52	52	3.83	76.69	كبيرة
10	29	2	20	39	40	56	3.82	76.31	كبيرة
11	19	4	23	35	33	62	3.80	76.05	كبيرة
12	30	2	27	29	43	56	3.79	75.80	كبيرة
13	11	4	26	30	47	50	3.72	74.39	كبيرة
14	23	4	26	33	42	52	3.71	74.27	كبيرة
15	17	2	25	37	48	45	3.69	73.89	كبيرة
15	18	2	26	40	39	50	3.69	73.89	كبيرة
16	22	9	24	30	41	53	3.67	73.38	كبيرة
17	24	5	30	29	42	51	3.66	73.25	كبيرة
18	12	4	34	27	40	52	3.65	72.99	كبيرة
19	6	0	23	52	41	41	3.64	72.74	كبيرة
20	16	2	25	38	57	35	3.62	72.48	كبيرة
21	25	7	18	43	49	40	3.62	72.36	كبيرة
22	26	7	30	30	46	44	3.57	71.46	كبيرة
23	21	7	34	25	50	41	3.54	70.70	كبيرة
24	5	6	30	37	43	41	3.53	70.57	كبيرة
25	14	10	32	29	40	46	3.51	70.19	كبيرة
26	15	4	40	34	32	47	3.50	69.94	كبيرة
27	13	5	37	30	48	37	3.48	69.55	كبيرة

و بملاحظة الجدول (٧) يتبين ان جميع الفقرات حصلت على درجة استخدام كبيرة اذ تراوحت أوساطها المرجحة

(٣,٤٨ – ٣,٩١) واوزان مئوية (٦٩,٥٥ –٧٨,٢٢) ، وكانت المراتب الثلاثة الاولى كما يلي: الفقرتان(٧ و ١٠) وتنصان على (تسمح لي بالتعبير عن فهمي للمفاهيم الدينية بشكل ابداعي) و (تساعد على فهم مفردات المادة بصورة أسهل) بالرتبة الأولى بوسط مرجح (٣,٩١) وبوزن مئوي (٧٨,٢٢) ، بينما حصلت الفقرتان(٨ و٢٨) وتنصان على (تساعد على تلخيص الموضوع .) و(تبين أهم التفاصيل للموضوع الدراسي .) على المرتبة الثانية بوسط مرجح (٣,٩٠) وبوزن مئوي (٧٨,٠٩) ، بينما حصلت الفقرة (٢) وتنص على (يصعب أستخدامها لأنها معقده وغير واضحة بالنسبة لي) على المرتبة الثالثة بوسط مرجح (٣,٨٩) وبوزن مئوي (٧٧,٨٣).

اما المراتب الثلاث الأخيرة فكانت الفقرة (١٤) حصلت على المرتبة (٢٥) التي تنص على (تحسن قدرات الطالبات بطيئات التعلم) بوسط مرجح (٣,٥١) وبوزن مئوي(٧٠,١٩) ، الفقرة (١٥) حصلت على المرتبة (٢٦) التي تنص على (تحفز على تولد معاني جديدة في ذهني .) بوسط مرجح (٣,٥٠) وبوزن مئوي (٦٩,٩٤)، الفقرة (١٦) حصلت على المرتبة (٢٧) التي تنص على (تستخدم في التمهيد لموضوع جديد مما يجعلها جاذبة لانتباه الطلبة) بوسط مرجح (٣,٤٨) وبوزن مئوي(٦٩,٥٥).

الهدف الثاني:– تعرف مستوى استخدام الخرائط الذهنية لدى طالبات قسم علوم القران والتربية الإسلامية في كلية التربية للبنات الجامعة العراقية تبعا لمتغير المرحلة الدراسية (الأولى ،الثانية، الثالثة ،الرابعة)

لأجل معرفة الفروق في استخدام الخرائط الذهنية لدى طالبات قسم علوم القران والتربية الإسلامية وفقاً لمتغير المرحلة الدراسية , استخدمت الباحثة تحليل التباين الأحادي وكما موضح في الجدول (٨):–

الجدول (٨)تحليل التباين الأحادي لاختبار دلالة الفروق في استخدام الخرائط الذهنية لدى طالبات قسم علوم القران والتربية الإسلامية وفقاً لمتغير المرحلة الدراسية

مصدر التباين	مجموع المربعات	درجة الحرية	متوسط المربعات	النسبة الفائية	الدلالة الاحصائية
بين المجموعات	560.9967	3	186.9989	2.230	غير دالة
داخل المجموعات	12829.94	153	83.856		
الكلي	13390.94	156			

ولما كانت النتائج المعروضة في الجدول(٨) تشير إلى عدم وجود فروق دالة إحصائياً بين أفراد عينة البحث إزاء استخدام الخرائط الذهنية وفقاً لمتغيرالمرحلة الدراسية إذ كانت القيمة الفائية المحسوبة (٢,٢٣٠) اقل من القيمة الفائية الجدولية (٢,٦٠) عند مستوى دلالة(٠,٠٥) وبالتالي نخلص من ذلك أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في استجابات طالبات قسم علوم القران والتربية الإسلامية إزاء استخدام الخرائط الذهنية تعزى لاختلاف متغير المرحلة الدراسية .

الهدف الثالث:–تعرف مستوى دافع الانجاز لدى طالبات قسم علوم القران والتربية الإسلامية في كلية التربية للبنات الجامعة العراقية.

قامت الباحثة بحساب التكرار والوسط المرجح والوزن المئوي لجميع فقرات الاداة وكما هو موضح في الجدول (٩)

الجدول(٩)التكرار والوسط المرجح والوزن المئوي لفقرات مقياس دافع الانجاز لدى طالبات قسم علوم القران والتربية الإسلامية

الرتبة	ت	البدائل					الوسط المرجح	الوزن المئوي	التقدير
		ابدا	نادرا	احيانا	عالبا	دائما			
1	4	4	18	31	40	64	3.90	78.09	كبيرة
2	3	6	18	30	37	66	3.89	77.71	كبيرة
3	2	4	12	33	60	48	3.87	77.32	كبيرة
4	9	2	22	35	36	62	3.85	77.07	كبيرة
5	1	1	31	20	45	60	3.84	76.82	كبيرة
٥	5	12	8	29	52	56	3.84	76.82	كبيرة
٥	10	6	14	39	38	60	3.84	76.82	كبيرة
٦	7	8	8	40	48	53	3.83	76.6	كبيرة
6	11	5	15	33	52	52	3.83	76.6	كبيرة
7	6	12	6	40	40	59	3.82	76.31	كبيرة
7	12	2	20	39	40	56	3.82	76.31	كبيرة
8	13	4	23	35	33	62	3.80	76.05	كبيرة
9	14	2	27	29	43	56	3.79	75.80	كبيرة
10	8	6	19	45	30	57	3.72	74.39	كبيرة
11	15	4	26	30	47	50	3.72	74.39	كبيرة
12	16	4	26	33	42	52	3.71	74.27	كبيرة
13	17	2	25	37	48	45	3.69	73.89	كبيرة
13	18	2	26	40	39	50	3.69	73.89	كبيرة
14	19	9	24	30	41	53	3.67	73.38	كبيرة
15	20	5	30	29	42	51	3.66	73.25	كبيرة
16	21	4	34	27	40	52	3.65	72.99	كبيرة
17	22		23	52	41	41	3.64	72.74	كبيرة
18	23	2	25	38	57	35	3.62	72.48	كبيرة
19	24	7	18	43	49	40	3.62	72.36	كبيرة
20	25	7	30	30	46	44	3.57	71.46	كبيرة
21	26	7	34	25	50	41	3.54	70.70	كبيرة
22	27	6	30	37	43	41	3.53	70.57	كبيرة
23	29	4	40	34	32	47	3.50	69.94	كبيرة
24	28	5	37	38	31	46	3.48	69.68	كبيرة
متوسطة	30	37	37	16	30	37	2.96	59.11	متوسطة

و بملاحظة الجدول (٩) يتبين ان جميع فقرات دافع الانجاز حصلت على مستوى كبيرة ماعدا فقرة (٣٠) التي تنص على (أشعر بالارتياح عند الأجابة على السؤال الذي يوجهه الأساتذة لنا) بوسط مرجح (٢,٩٦) وبوزن مئوي (٥٩,١١) ، و كانت المراتب الثلاثة الاولى كما يلي: الفقرة (٤) وتنص على (أسعى ان أكون احد الأشخاص المنجزين في المجتمع) بالرتبة الأولى بوسط مرجح (٣,٩٠) وبوزن مئوي (٧٨,٠٩) ، بينما حصلت الفقرة(٣) وتنص على (أسعى في المستقبل الى تأليف العديد من الكتب التي تخص العلوم الشرعية) على المرتبة الثانية بوسط مرجح (٣,٨٩) وبوزن مئوي (٧٧,٧١) ، بينما حصلت الفقرة (٢) وتنص على (اواجه صعوبة في امتحانات مادة العلوم الشرعية لصعوبتها) على المرتبة الثالثة بوسط مرجح (٣,٨٧) وبوزن مئوي (٧٧,٣٢).

اما المراتب الثلاث الأخيرة فكانت الفقرة (٢٩) حصلت على المرتبة (٢٣) التي تنص على (أكره الذهاب الى المكتبة للأطلاع على معلومات اضافية تخص المحاضرة) بوسط مرجح (٣,٥٠) وبوزن مئوي(٦٩,٩٤) ، الفقرة (٢٨) حصلت على المرتبة (٢٤) التي تنص على (أن اسلوب أساتذة العلوم الشرعية هو من يجعلني أحب المادة وأتفوق بها (بوسط مرجح (٣,٤٨) وبوزن مئوي (٦٩,٦٨)، الفقرة (٣٠) حصلت على المرتبة (٢٥) التي تنص على (تستخدم في التمهيد لموضوع جديد مما يجعلها جاذبة لانتباه الطلبة) بوسط مرجح (٢,٩٦) وبوزن مئوي(٥٩,١١)

الهدف الرابع :-تعرف مستوى دافع الانجاز لدى طالبات قسم علوم القران والتربية الإسلامية في كلية التربية للبنات الجامعة العراقية تبعا لمتغير المرحلة الدراسية (الأولى ،الثانية، الثالثة ،الرابعة)

لأجل معرفة الفروق في استخدام دافع الانجاز لدى طالبات قسم علوم القران والتربية الإسلامية وفقاً لمتغير المرحلة الدراسية , استخدمت الباحثة تحليل التباين الأحادي وكما موضح في الجدول (١٠):-

الجدول (١٠)تحليل التباين الأحادي لاختبار دلالة الفروق بدافع الانجاز لدى طالبات قسم علوم القران والتربية الإسلامية وفقاً لمتغير المرحلة الدراسية

مصدر التباين	مجموع المربعات	درجة الحرية	متوسط المربعات	النسبة الفائية	الدلالة الاحصائية
بين المجموعات	34.701	3	11.567	0.104	غير دالة
داخل المجموعات	17019.604	153	111.239		
الكلي	17054.306	156			

ولما كانت النتائج المعروضة في الجدول(١٠) تشير إلى عدم وجود فروق دالة إحصائياً بين أفراد عينة البحث إزاء دافع الانجاز وفقاً لمتغيرالمرحلة الدراسية إذ كانت القيمة الفائية المحسوبة (٠,١٠٤) اقل من القيمة الفائية الجدولية (٢,٦٠) عند مستوى دلالة(٠,٠٥) وبالتالي نخلص من ذلك أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في استجابات طالبات قسم علوم القران والتربية الإسلامية إزاء دافع الانجاز تعزى لاختلاف متغير المرحلة الدراسية .

الهدف الخامس: تعرف القدرة التنبؤية للخرائط الذهنية بدافع الانجاز لدى طالبات قسم علوم القران والتربية الإسلامية في كلية التربية للبنات الجامعة العراقية .

لتحقيق هذا الهدف قامت الباحثة باستخراج معامل إرتباط بيرسون بين الدرجات الكلية التي حصلت عليها الطالبات، على استبانة الخرائط الذهنية ودرجاتهن على مقياس دافع الإنجاز فبلغ (-٠,٠٣٧) وهي أقل مقارنة مع قيمة معامل إرتباط بيرسون الجدولية البالغة (٠,١٣٨) ،عند مستوى (٠,٠٥) ودرجة حرية (١٥٦)، كما في جدول (١١).

الجدول (١١)العلاقة بين الخرائط الذهنية و دافع الإنجاز

المتغيرين	المؤشر	القيم
الخرائط الذهنية / دافع الإنجاز	معامل الإرتباط المحسوب	-٠,٠٣٧
	قيمة الإرتباط الجدولية	٠,١٣٨
	درجة الحرية	١٥٦

وبملاحظة الجدول (١١) يتبين عدم وجود علاقة إرتباطية بين الخرائط الذهنية و دافع الإنجاز، ولمعرفة إسهام الخرائط الذهنية في دافع الإنجاز تم استخدام تحليل الانحدار البسيط باعتبار الخرائط الذهنية (متغيرا متنبأ) و دافع الانجاز متغيراً تابعا (محك)، وجدول (١٢) بين نتائج تحليل الانحدار البسيط.

جدول (١٢)تحليل تبأين الأنحدار لتعرف الدلالة إلاحصائية لإسهام الخرائط الذهنية في دافع الإنجاز

مصدر التبأين

مصدر التبأين S.of.V	مجموع المربعات S.of.S	درجة الحرية D.F	متوسط المربعات M.S	القيمة الفائية F	الدلالة الاحصائية
الأنحدار	23.556	1	23.556	0.214	غير دالة
المتبقي	17030.749	155	109.876		
الكلي	17054.306	156			

من خلال الجدول (١٢) يتبين أن الخرائط الذهنية بمجموعها لاتسهم في دافع الإنجاز ، إذ بلغت القيمة الفائية المحسوبة لتحليل تبأين الأنحدار (٠,٢١٤) وهي اقل من القيمة الفائية الجدولية البالغة (٣,٨٤) عند مستوى (٠,٠٥) ودرجتي حرية (١– ١٥٥) .

تفسير النتائج:–

وجدت الباحثة من خلال النتائج التي تم التوصل اليها أن تدريسسي علوم القرآن والتربية الاسلامية يستخدمون خرائط المفاهيم الذهنية وبنسبة جيدة جداً ، كما اظهرت نتائج الدراسة أرتفاع مستوى دافع الانجاز لدى طالبات قسم علوم القرآن والتربية الاسلامية , وهذا يشيرالى الدافعية الداخلية اذ ان الكثير من الطالبات يمتلكن دافعية قوية للنجاح وتحقيق الذات .

التوصيات :

ضرورة قيام الجامعات العراقية في كلية التربية بصورة خاصة والقائمين عليها من المختصين في مناهج وطرق تدريس القرآن الكريم والتربية الاسلامية بألاهتمام بطلبتهم ، وتوعيتهم بأهمية دافع الانجاز وكيفية تنميته لدى الطلبة في المدارس .

أجراء دراسات مستقبلية حول موضوع الدراسة الحالية, بأستخدام مناهج بحثية مختلفة مثل المنهج التجريبي

المقترحات:

دراسة موضوع دافعية الانجاز وخرائط المفاهيم الذهنية لدى المرحلة الاعدادية .

التعرف على المشكلات التي تعيق دافعية الانجازلدى طلبة الجامعات العراقية .

المصادر:

١– البياتي، عبد الجبار توفيق (١٩٧٧): إلاحصاء الوصفي وإلاستدلالي في التربية وعلم النفس، الجامعة المستنصرية– بغداد.
٢– عبد الرحمن،سعد (١٩٩٨)، القياس النفسي النظرية والتطبيق، دار الفكر العربي، القاهرة .
٣– طبية ، أحمد عبد السميع :٢٠٠٨ ، مبادئ الإحصاء ، ط ١ ، دار البداية
٤– عدس، عبد الرحمن، (١٩٧٨ .(مبادئ الاحصاء في التربية وعلم النفس ، ط ١ ،مكتبة الاقصى، الاردن.
٥– الزوبعي ، عبد الجليل والغنام وآخرون :١٩٨١ الاختبا رات والمقاييس النفسية، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، العراق .

٦- فيركسون ، جورج ، أي(١٩٩١):التحليل الإحصائي في التربية و علم النفس ، ترجمة هناء العكيلي ، دار الحكمة ، بغداد .
٧- أبو لبدة، سبع :١٩٨٢ ، مبادئ القياس النفسي والتقييم التربوي، عمان: جمعية عمال المطابع التعاونية.
٨- ابو حطب، فؤاد وآخرون (١٩٨٧)، التقويم النفسي، ط٣، مكتبة الانجاد، القاهرة.
٩- Costa, A. & Kallick, B .(٢٠٠٣) . What are Habits of Mind ? . Retrieved at (٢٠٠٥/٤/٦) Fromhttp://www.Habits of mind.net/whatare.htm
١٠- (المؤتمر العلمي السادس عشر ،٢٠١٥) ، تحت شعار «التأسيس العلمي الرصين ضمان لرقي المجتمع وتقدمه» ، كلية التربية الاساسية ،الجامعة المستنصرية –ج٢ ، مكتبة الهدى للطباعة والاستنساخ ،بغداد ،العراق .
١١- العياصرة ،وليد رفيق ،(٢٠١٠)، «التربية الاسلامية واستراتيجيات تدريسها وتطبيقاتها العملية « ، ط١ ، دار الميسرة للنشر والتوزيع والطباعة ،كلية التربية الاساسية–الجامعة المستنصرية ، بغداد–العراق .
١٢- البغا، مصطفى ديب ،ومحي الدين ديب مستو ، (١٩٩٨) ، «الواضح في علوم القران « ، ط٢، دار الكتب كلم الطيب ، دمشق–سوريا .
١٣- العزيزي ،عزت خليل ، واخرون ،(١٩٩٦) ، «مناهج واساليب تدريس التربية الاسلامية» ، ط١ ،وزارة التربية والتعليم ، اليمن .
١٤- (المؤتمر الدولي العلمي الرابع ،٢٠١٦)،تحت شعار (الاصلاح التربوي رؤية مستقبلية في التعليم العالي)، كلية التربية للعلوم الانسانية ، جامعة بغداد .
١٥- النجدي ، احمد، (١٩٩٧)، (اثر ثلاثة اساليب تدريسية في تحصيل طلاب الصف الثاني الثانوي المفهوم الطاقة وتنمية القدرات الاستدلالية لديهم) ،بحث منشور، مجلة الدراسات التربوية الاجتماعية ،العدد١، كلية التربية جامعة حلوان –مصر .
١٦- أبو السل ،د. محمد شحادة ، (٢٠١٦) ،(بناء مقياس دافع الانجاز لطلبة المرحلة الثانوية في دمشق وفق نظرية الاستجابة للفقرة (IRT)، مجلة اتحاد الجامعات العربية للتربية وعلم النفس ، مج الرابع عشر ، العدد الرابع ، دمشق–سوريا .
١٧- الدعدي ، سها بنت دخيل الله بن عيضة ،(٢٠٠٩)،(فعالية استخدام خرائط المفاهيم وخرائط المفاهيم المعززة بالعروض التقديمية الحاسب الالي في تحصيل قواعد اللغة العربية لدى تلميذات الصف الرابع الابتدائي) ،جامعة ام القرى ،كلية التربية ، المملكة العربية السعودية .
١٨- خليفة ، د. عبد اللطيف محمد خليفة ،(٢٠٠٠) ، (الدافعية للانجاز) ،ط١ ،دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة –مصر .
١٩- الاسمري ،حاصل بن علي بن عبد الله ،(٢٠٠٩–٢٠١٠) ، (فاعلية استراتيجية خرائط المفاهيم في اكتساب تلاميذ الصف السادس الابتدائي مهارات الاملاء المضمنة في التقويم المستمر)،جامعة ام القرى –كلية التربية –المملكة العربية السعودية .
٢٠- زيتون ،عايش محمود، (٢٠٠٧) ، (النظرية البنائية واستراتيجيات تدريس العلوم) ،ط١، دار الشروق للنشر والتوزيع ،الجامعة الاردنية ، عمان –الاردن .
٢١- ابو مرق ، رنا حمزة ،(٢٠١٣) ، (اثر استخدام استراتيجيتي خرائط المفاهيم والشكل V في تنمية مهارات التفكير الاستدلالي في الجغرافيا لدى طالبات الصف التاسع الاساسي) ،كلية التربية ، قسم المناهج وطرق التدريس ، الجامعة الاسلامية ، غزة –فلسطين .
٢٢- الرابغي ، د. خالد بن محمد بن محمود ، (٢٠١٥) ، (عادات العقل دافعية الانجاز) ، ط١، مركز ديبونو لتعليم التفكير ،عمان – المملكة الهاشمية الاردنية .
٢٣- خليفة ، د. عبد اللطيف محمد ، (٢٠٠٦) ، (مقياس دافعية الانجاز) ، ط١ ، دار غريب للطباعة والنشر، جامعة القاهرة – مصر .
٢٤- خديجة وفاطمة الزهراء ، بن سعدية خديجة ومدياني فاطمة الزهراء ،(٢٠١٤–٢٠١٥) ، (الدافعية للانجاز وعلاقتها بالتحصيل الدراسي عند التلاميذ المقبلين على شهادة البكالوريا) ،كلية العلوم الاجتماعية والانسانية ،جامعة اكلي محند أو الحاج –البويرة – الجزائر .
٢٥–العمري ، د. نادية محمد ، (٢٠١٧) ، (التكيف الاكاديمي وعلاقته بالدافعية للانجاز لدى طالبات المرحلة الثانوية بمدينة الرياض) مجلة كلية التربية ، العدد ١٧٣، الجزء الاول ،جامعة الازهر– مصر .
٢٦- حجة وسليمان ، عبد الرحمن احمد حجة ،محمد محمد الهادي حسن سليمان ، (٢٠٢٢) ، (دافعية الانجاز وعلاقتها بأساليب مواجهة الضغوط المرتبطة بالتحصيل الدراسي لدى طلبة بعض الجامعات السودانية) مجلة التربية ،العدد ١٩٣ ، الجزء ٣ ، كلية التربية – جامعة الازهر ، القاهرة– مصر .
٢٧- العنزي ، فالح ضيف الله ، (٢٠١٨) ، (اثر استخدام استراتيجية خرائط المفاهيم في تنمية مهارات القراءة الابداعية في اللغة الانكليزية لدى طلاب الصف الاول الثانوي بمدينة تبوك) ، مجلة البحث العلمي ، العدد ١٩ ،كلية البنات ،جامعة عين الشمس –مصر .
٢٨- أبو عرار والاخرون ، منعم عليان ،ختام شحده ،هشام نايف ، (٢٠٢١) ، (مدى استخدام الخرائط المفاهيمية في مدارس عرعرة النقب الابتدائية كأداة تقييم وتعليم من وجهة نظر المعلمين) ، مجلة العلوم الانسانية والطبيعية ،مج ٢ ، العدد ٧ ، فلسطين .

الملاحق : الملحق (١)فقرات مقياس خرائط المفاهيم بالصورة النهائية

ت	الفقرات	دائماً	احياناً	قليلاً	نادراً	ابداً
١.	تسمح لي بالتعبير عن فهمي للمفاهيم الدينية بشكل ابداعي .					
٢.	تساعد على فهم مفردات المادة بصورة أسهل .					
٣.	تساعد على تلخيص الموضوع .					
٤.	تبين أهم التفاصيل للموضوع الدراسي .					
٥.	يصعب استخدامها لأنها معقده وغير واضحة بالنسبة لي .					
٦.	تكشف عن البنية المعرفية .					
٧.	تكشف عن مدى الاحتفاظ بالمعلومات .					
٨.	تساعد على تنظيم التفكير .					
٩.	تركز على الافكار الرئيسة للمفهوم .					
١٠.	تجعلني افكر بطريقة أوسع واعمق .					
١١.	تساعد الربط بين المفاهيم العامة والمفاهيم الفرعية .					
١٢.	تساعدني على تحفيز مهاراتي الابداعية .					
١٣.	تسهل عملية المراجعة حيث توفر طريقة مرئية وسهلة للمراجعة .					
١٤.	تشجعنا على المشاركة والتفاعل .					
١٥.	تكشف عن سوء الفهم والاخطاء المفاهيمية .					
١٦.	يصعب استخدامها في المواد الفرعية .					
١٧.	تعد طريقة فعالة في تدريس مواد العلوم الفرعية .					
١٨.	توضح العلاقات بين المفاهيم المختلفة بشكل مرئي .					
١٩.	تساعدني على تعلم كيفية ربط الآيات القرآنية بالاحكام الشرعية والاخلاق الاسلامية .					
٢٠.	تعزز الفهم وتقلل من التشوش بالارتباك مما يزيد دافعيتي نحو الانجاز .					
٢١.	يعد استخدامها في المحاضرة غير واضح ومفهوم .					
٢٢.	تساعدني في تحديد الموضوع الرئيس من الموضوعات الفرعية .					
٢٣.	تساعدني في تحليل المشكلات وايجاد الحلول لها .					
٢٤.	يساعد التمثيل البصري للمفهوم بجعل المعلومات اسهل في التذكر .					
٢٥.	تعد طريقة فعالة لعرض الافكار المعقدة بشكل مبسط .					
٢٦.	تحسن قدراتي على التصور والتنبؤ .					
٢٧.	تكشف لي عن الفروق الفردية بيني وبين زميلاتي في الحفظ .					
٢٨.	تحسن قدرات الطالبات بطريقات التعلم .					
٢٩.	تحفز على توالد معاني جديدة في ذهني .					
٣٠.	تستخدم في التمهيد لموضوع جديد مما يجعلها جاذبة لانتباه الطلبة .					

مقومات مشرف التربية الفنية الناجح والقائد التربوي

م.د. ماجد جاسم جليد
وزارة التربية/ المديرية العامة لتربية محافظة بابل

المستخلص:
يهدف البحث الحالي التعرف على:
اولاً: بيان واقع استخدام المشرف التربوي للإشراف لتنمية أداء المعلمين .
ثانياً : إبراز مقومات المشرف الناجح .
ثالثاً : إبراز المعوقات التي تواجه المشرف التربوي .
الفروق في مقومات مشرف التربية الفنية الناجح والقائد التربوي تبعاً لمتغيرات (ذكور – اناث و مدة الخدمة) تكونت عينة البحث من (٤٠) مشرفاً ومشرفه للمادة التربية الفنية اختيروا بالطريقة العشوائية , ولتحقيق اهداف البحث اعتمد الباحث منهج البحث الوصفي .ولتحقيق اهداف البحث الحالي قام الباحث ببناء اداة لقياس (مقومات مشرف التربية الفنية الناجح والقائد التربوي) اعتماد على النظرية البنائية ولقياس مقومات مشرف التربية الفنية الناجح والقائد التربوي تمت المعالجة الاحصائية باستخدام (المتوسط الحسابي , الإنحراف المعياري , التائي لعينة واحدة , الاختبار التائي لعينتين مستقلتين , معامل ارتباط بيرسون , تحليل التباين , الاختبار الزائي , والحقيبة الاحصائية spss وتم التوصل إلى النتائج الاتية:
– يمتلك مشرف التربية الفنية مقومات اشرافية ناجحة .
– لايوجد فرق ذو دلالة احصائية بين مشرفي التربية الفنية تبعاً لمتغير الجنس .
– لايوجد فرق دال احصائيا بين مشرفي التربية الفنية تبعاً لمتغير مدة الخدمة .
الكلمات المفتاحية : مقومات – التربية الفنية القائد التربوي

Abstract:
The current research aims to identify
First: Explaining the reality of the educational supervisor's use of supervision to develop teachers' performance.
Second: Highlighting the elements of a successful supervisor.
Third: Highlighting the obstacles facing the educational supervisor.
Differences in the components of a successful art education supervisor and an educational leader according to the variables (males – females and length of service). The research sample consisted of (40) male and female supervisors for the art education subject who were chosen randomly. To achieve the research objectives, the researcher adopted the descriptive research approach. To achieve the objectives of the current research, he The researcher built a tool to measure (the elements of a successful art education supervisor and educational leader) based on constructivist theory, and to measure the elements of a successful art education supervisor and educational leader, statistical treatment was done using (arithmetic mean, standard deviation, t-test for one sample, t-test for two independent samples, Pearson correlation coefficient, analysis Variance, pseudo-test, and statistical package (SPSS), and the following results were reached

the results are:-
the educational supervisors have successful supervised components-
-no stastical significant defference between the educational supervisors according to sex..
no stastical significant defference between the educational supervisors -
the research reach to some recommendation and suggestion-

keywords :lngredients, Art education, The educational leader

المقدمة :

يحتل الإشراف التربوي جانباً من جوانب النظام التربوي ويعد الركيزة الأساسية والذي يسهم في تطوير عناصر العمل التربوي ويهدف إلى تحسين وتطوير جميع عناصر العملية التعليمية والتربوية بكافة محاورها ، ويعتبر الإشراف التربوي من أهم عناصر العملية التعليمية والتربوية حيث يقع عليه دور كبير في مجال الإشراف التربوي ، حيث يعمل الإشراف التربوي على مراعاة حاجات المعلمين وعلى تنمية قدرتهم ، ويتم اختيار كل نمط من أنماط الإشراف وفق احتياجات المعلم الشخصية والمهنية .

ينطلق الإشراف التربوي من خلال النظر للمعلمين كأفراد ناضجين على مستوى عالي من النمو والتطوير ، وإن تنوع أنماط المعلمين واختلاف الفروق الفردية بين المعلمين لإداء المهام الموكلة لهم على أفضل درجة والالتزام تجاه المهنة .واقع الإشراف التربوي لم يتغير ولا يعمل على رفع كفاءة المعلمين بل مازالت الزيارات الصفية هي الإسلوب الشائع والتي تفتقر إلى المناقشة وتقوية العلاقات الاجتماعية وتطوير أداء المعلمين لأحداث التغير المطلوب ، وأن الأنماط التقليدية هي المستخدمة حالياً.

مشكلة البحث :

أشارت نتائج بعض الدراسات إلى وجود قصور في عمل وممارسة المشرفين في ظل الأساليب القديمة كما في دراسة (سلوى محمد الحسن ،٢٠٠٦) ودراسة (محمد صالح عبد الله ،٢٠١٠)

في المقابل استخدام المشرف التربوي للأساليب الإشرافية الحديثة التي تتناسب مع المعلمين الذي يشرف عليهم يجعل من الإشراف التربوي أن يكون خدمة متميزة ، شهدت ساحة الإشراف التربوي تطوراً في أساليب الإشراف التربوي ، أشارت كثيرا من الدراسات الفاعلية هذه الأساليب في تحسين الممارسات التدريسية لدى المعلمين كما في دراسات : يحيى شديفات والقادري سليمان (٢٠٠٥) القاسم ،(٢٠١٠) ، أحمد حسن اللوح (٢٠١٢) .

١. كثرة الأعمال الموكلة للمشرف التربوي وتراكمها مما لا يوفر له الوقت للاطلاع عليها .
٢. عدم قيام مديري المدارس بممارسة الإشراف التربوي وقلة الكتب في المدارس
٣. قصور التعاون بين المشرف التربوي ومديرالمدرسة
٤. قلة وجود حوافز مادية للمشرفين وللمعلمين
٥. غياب معايير واضحة ومحددة لاختيار المعلمين الأكفاء
٦. ضعف العلاقة بين كل من المشرفين والمديرين والمعلمين
٧. ظهور بعض المشاكل الشخصية وتاثيرها على العمل أحيانا
٨. عدم إلمام المشرف بنوعية السجلات التي يفترض أن يتعامل معها

ومن خلال ماتقدم يمكن صياغة مشكلة البحث في التساؤل العام التالي :

ماواقع مقومات مشرف التربية الفنية الناجح والقائد التربوي؟

فروض البحث

للمشرف التربية الفنية الناجح دور في تحسين الإدارة الصفية للمعلمين

اهداف البحث

يهدف البحث إلى التعرف على :

١- بيان واقع المشرف التربوي للإشراف لتنمية أداء المعلمين .

٢- إبراز مقومات المشرف الناجح .

٣- إبراز المعوقات التي تواجه المشرف التربوي .

تكتسب هذه الدراسة أهميتها من طبيعة الموضوع الذي نتناوله وهي مقومات مشرف التربية الفنية الناجح والقائد التربوي .

حدود البحث

الحدود الموضوعية : يقتصر البحث الحالي على واقع الإشراف التربوي الحديث الاعضاء الهيئة التعليمية من وجهة نظر مديرية المدارس

الحدود الزمانية : العام الدراسي ٢٠٢٢/ ٢٠٢٣

الحدود المكانية : يتم تطبيق الدراسة على عينة من مشرفي ومشرفات التربية الفنية

مصطلحات البحث

مقومات : السمات والخصائص الأساسية التي يجب أن يتصف بها المشرف التربوي والتي تمكنه من أداء مهامه بكفاءة وفعالية وتسهم في تطوير العملية التعليمية .(الردادى :٢٠١٨)

إجرائياً : أنها ضرورية لأداء المشرف التربوي في مجال التربية الفنية بشكل فعال , وتشمل الكفاءة الفنية , الخبرة التربوية , القدرة على التخطيط والتقويم , مهارات التواصل , ودعم المعلمين . ويتم قياسها من خلال استبانة أو أدوات تقييم تظهر مدى امتلاك المشرف لهذه الجوانب في الواقع الميداني .

التربية الفنية : تعرف التربية الفنية على أنها كافة البرامج التعليمية والمناهج الدراسية القائمة على الفنون الملموسة أو المرئية ، وتدرس من قبل معلمين مختصين باتباع نهج متسلسل قائم عللى معايير معينة ، وتشمل التربية الفنية عدة أنواع ومجالات ، وهي كالاتي : [١] الفنون البصرية :مثل الرسم ، وفنون النحت ، والأعمال الفخارية ، وأعمال التصميم ، والتي تشمل التصميم الداخلي ، وتصميم المجوهرات والملابس .[٢] الفنون الأدائية : مثل الرقص ، والموسيقى ، والمسرح ، وغير ذلك.

[٣] الفنون المعتمدة على استخدام الكمبيوتر : كالتصويرالفوتوغرافي ، والفيديو ، والأفلام ، والتصميم (Retrieved-٤:٢٠٢١)

إجرائياً : هي مادة تعليمية تهدف إلى تنمية القدرات الإبداعية والتعبيرية لدى التلاميذ من خلال ممارسة الأنشطة الفنية المختلفة , مثل الرسم والتصميم والتشكيل . ويقاس تأثيرها من خلال ملاحظة مستوى أداء التلاميذ في إنتاج الأعمال الفنية , وتطور مهاراتهم الفنية والإدراكية , وقدرتهم على التعبير البصري وفق معايير محددة في أداة القياس المعتمدة .

القائد التربوي : الشخص الذي يتولى توجيه العملية التعليمية والتربوية داخل المؤسسة التعليمية , ويعمل على تحفيز المعلمين والطلاب , وقيادة التغيير والتطوير ,بما يسهم في تحقيق أهداف التعليم ورفع جودة المخرجات التعليمية (تقار , ٢٠٢٤)

إجرائياً : هو الفرد الذي يمتلك القدرة على التأثير الإيجابي في المعلمين والمتعلمين داخل البيئة التعليمية , من خلال توجيه الجهود وتحفيز الاخرين , واتخاذ قرارات تربوية فاعلة تسهم في تطوير العملية التعليمية .ويقاس دوره

من خلال مستوى ممارسته لمهارات القيادة , مثل : التخطيط , التحفيز , التواصل , إدارة الأزمات , واتخاذ القرار .

الأطار النظري للدراسة

المبحث الأول : المفهوم الحديث للإشراف التربوي

الإشراف التربوي كمفهوم هو جميع الجهود المبذولة للتأثير على أداء المعلم من أجل تحسين التعلم . فالإشراف عمل تعليمي يضع المعلم أمام حقائق جديدة وتدريبي يدربه على مهارات جديدة وتنسيقي يحركه في إطار خطة منظمة موضوعه بالتعاون معه وتغييري لإحداث التغييرفي سلوكه وسلوك المتعلمين واستشاري يقدم مقترحات وبدائل للحلول . الإشراف التربوي عملية تساعد المعلمين على امتلاك القدرات لتنظيم تعلم الطلاب بشكل يحقق الإهداف التربوية عرفه بوردمان بأنه المجهود الذي يبذل من المشرف من المشرف التربوي الاستثارة وتنسيق وتوجيه النمو المستمر للمعلمين في المدرسة فرادى وجماعات وذلك لكي يفهموا وظائف التعليم فهما أحسن ويؤدوها بصورة أكثر فاعلية حتى يصبحوا أكثر قدرة على استثارة وتوجيه النموالمستمر بكل طالب نحو المشاركة الذكية العميقة في بناء المجتمع .(الإبراهيم ٢٠٠٢: ٧)

أن الزيارات الصفيه للمعلمين في صفوفهم وما يسبق تلك الزيارات وما يعقبها من لقاءات ومناقشات تدور بين المشرف التربوي والمعلم تعد الأسلوب التقليدي للإشراف التربوي ويشكل المشرف التربوي وما يتمتع به من براعة وكفايات إشرافية تتصل بتخصصه وخبراته محورالعملية الإشرافية التقليدية أما اليوم فصار المفهوم الحديث للإشراف التربوي عملية فعالة قادرة على تحسين نوعية التعلم والتعليم في غرفة الصف . وهو عملية ديناميكية ديموقراطية تؤكد على القيادة الحيوية العلمية المستديرة وهدفه الرئيسي هو إدراك القيمة الكامنة في الفرد لكي يتمكن من مساعدته على استثمار كل مايملك من مهارات ومعارف لقد أكدت المفاهيم الحديثة للإشراف التربوي على الاهتمام بكل جوانب العملية التربوية فهو عملية تعاونية تشخيصية تحليلية علاجية مستمرة من خلالها التفاعل البناء والمثمر بين المشرف والمعلم بهدف تحسين عمليتي التعليم والتعلم أكد المفهوم الحديث للإشراف التربوي على الاهتمام بالجانب الإنساني للمعلم وأصبح التوجيه والإشراف عملية تعاونية يشارك فيها المعلم بصورة إيجابية فعالة في وضع الأهداف والتخطيط والتنفيذ والتقويم , وهكذا صار التغيير في الدور الإشرافي الجديد قد قلل من قيمة الزيارات الصفية المفاجئة وأصبح يحدد موعدها مسبقاً فلا يفاجأ المعلم بها كما أصبحت عملية تقويم المعلم تهدف إلى تطوير أدائه وليس محاسبته فهو المسئول الأول عن تقويم نفسه وفق معايير محددة تتفق عليها مع الإشراف سلفاً وبالتالي أصبح المعلم والمشرف ينطلقان من إطار فكري موحد في النظر إلى ما يجرى داخل غرفة الصف . (الدريج ٢٠٠٦: ٧٦)

انواع الاشراف التربوي :

الإشراف التصحيحي :

إن من أهم المهام الموكلة إلى المشرف التربوي هو اكتشاف الأخطاء وتصويبها , فالإشراف التصحيحي هو قيام المشرف التربوي بإصلاح الأخطاء التي يقع فيها المعلم أثناء عمله التربوي , وذلك بتصحيح مساره بقدر الإمكان (السرحاني ٢٠٠٩: ٧٥)

الإشراف الوقائي : يمتلك المشرف التربوي خبرة كبيرة جراء عمله في مهنة التدريس وأثناء زيارته الإشرافية للمعلمين , وبذلك يكون المشرف التربوي قادراً على أن يتنبأ بالصعوبات التي يمكن أن تواجه المعلم الجديد (الطعاني ٢٠٠٥: ٦٦)

أن يتنبأ المشرف التربوي بالصعوبات والعراقيل التي تواجه المعلم وأن يعمل على تلافيها والتقليل من اثارها الضارة .

الإشراف الإبداعي : يتسم الإشراف الإبداعي بحرصه على تنمية قدرات ومهارات المعلم المهنية وتوجيهه توجيهاً

سليماً , حيث يكون المشرف التربوي دائماً على اطلاع واسع في كل ما هو مستحدث في مجال التربية (زايد ٢٠٠٨: ٣٤) .

أن يعمل المشرف التربوي على تحرير العقل والإرادة وإطلاق الطاقة عند المدرسين لا ستغلال قدراتهم ومواهبهم إلى أقصى مدى ممكن في تحقيق الأهداف التربوية

الأشراف البنائي :

تقوم فكرة الإشراف البنائي على تحسين العملية التعليمية وتطويرها , فهو عملية بناءة تقوم على أساس الحرية والانطلاق لجهود فردي أو جماعي مشترك (المقطرن ٢٠١٧: ٥٣) , فالإشراف البنائي يعمل على بناء الجديد وإحلاله مكان القديم , ويجعل تركيز كل من المشرف والمعلم على المستقبل , فيشتركون معاً في وضع رؤية في كيفية تطوير العملية التعليمية وإلى ماينبغي أن يكون عليه التدريس الجيد (إبراهيم ياسين الخطيب وأمل إبراهيم الخطيب ٢٠٠٣: ٨٧)

يرى السليطي والعتيبي (٢٠١٩) أن الإشراف البنائي يسعى إلى البناء وتجاوز مرحلة التصحيح والإصلاح , فيعتبر وسيلة يستطيع المعلم من خلالها تطوير نفسه بعيداً عن الرهبة والخوف من المشرف التربوي.

ويمكن إيجاز مهمات الإشراف البنائي , كما ورد في (عبد الهادي ٢٠٠٦) , بالأمور الأتيه :

العمل على تشجيع النشاطات الإيجابية .

تحسين الممارسات الجيدة وتطويرها .

إحلال أساليب أفضل محل الأساليب غير المستحبة وغير المجدية .

تشجيع النمو المهني للمعلمين , وإثار روح المنافسة الشريفة بينهم .

ويكون تركيز المشرف التربوي والمدرس هنا على المستقبل والعمل على النمو والتقدم ومهمات الإشراف البنائي وهي :

- أحلال أساليب أفضل محل الأساليب غير المستحبة .
- العمل على تشجيع النشاطات الايجابية وتطوير وتحسين الممارسات الجيدة .
- إشراك المدرسين في رؤية وتحديد مايجب ان يكون عليه التدريس الجيد .
- تشجيع النمو المهني للمدرسين وإثارة روح المناقشة بينهم ولكي يكون المشرف التربوي مبدعاً عليه أن

إعداد خطة إشرافية شاملة تلم بجميع الجوانب التربوية , ووضعها في صورة مراحل متتابعة وأن يحدد لكل مرحلة أهدافها , ومحتواها بالوسائل والأنشطة اللازمة لتحقيقها , والزمن المحدد وتقويمها الاطلاع على التعليمات واللوائح الإدارية ذات العلاقة بالعمل التربوي والتعليمي , والتي تهم المشرف التربوي وتساعده في أداء عمله الميداني دراسة لائحة الاختبارات و التصاميم الخاصة بها ومتابعة تنفيذها , وإعداد المعلمين بالتوجيهات اللازمة التي تعنهم على أداء عملهم عند وضع الأسئلة ذات الموصفات الجيدة دراسة التقاريرالإشرافية السابقة دراسة تحليلية بهدف

تعرف أنماط السلوك التعليمي الذي يحتاج المعلم إلى تطويره وتحسينه .مراجعة التوجيهات الفنية للمشرفين السابقين , حتى لا يحدث تكرار لها , وحتى يبدأ من حيث انتهي إليه سابقوه . إعداد النشرات التربوية وتعميمها على المدارس , والتي تشتمل عادة على توجيهات محددة سلبيات الأعوام السابقة مقابلة المعلمين الجدد والتعرف عليهم , والإلمام بظروفهم , وتزويدهم بالتوجيهات اللازمة وتوزيعهم على المدارس . التأكد من توافر الطاقة البشرية للمدارس , وتناسب المهام المسندة إلى كل منهم التأكد من الخطة المرحلية لزيارة المدارس والمعلمين , مع مراعاة المرونة وملاحظة عنصر الزمن ضمانا لما قد يحدث من الحاجة الماسة إلى المشرف في بعض المدارس الاطمئنان إلى توزيع الجداول على معلمي المادة حسب التخصص والمراحل الدراسية التي تحتاج ألى تخصصات ,

وتوزيع المناهج على أشهر العام الدراسي والتأكد من المام المعلمين بموضوعات المناهج , وتوزيع نشاط المادة , مع مراجعة التخطيط الزمني للمناهج والنشاط حث مديري المدارس والمعلمين على تدارس جميع اللوائح والأنظمة والتعاميم والنشرات التربوي وتفهمها والعمل على تطبيقها والتوعية بها تطبيق نظام القبول والتسجيل للتلاميذ , ومتابعة اللوائح والتعاميم الصادرة بهذا الشأن والإشراف على توزيع الطلاب على الفصول في بداية العام , مع مرعاة القدرة الاستيعابية للفصل حسب النسبه المقررة لذلك . إعداد حصر كامل لإمكانات المدارس من الكتب والمراجع والأدوات والأجهزة والوسائل التعليمية الأخرى , وإعداد بيان بالعجز منها والعمل على استكماله .

ب مهام خاصة فنية :

١– مهام تتعلق بالطالب :

الطالب هو محرر العملية التربوية وهدفها الأول , وعلى المشرف التربوي أن يوجه عملية التعليم وجهود المعلمين نحو تحقيق الاتي :

– العناية بالنمو المتكامل للطالب بدنيا وعلمياً واجتماعياً ....الخ) وعدم الاقتصار على النمو المعرفي فقط .

– العناية بالفروق الفردية ومراعاتها في التدريس وفي المناقشات والاختبارات , ورعاية الموهوبين وتنمية مواهبهم , ورعاية المتأخرين ومساعدتهم .

– إقامة علاقة طيبة مع الطلاب وتفهم مشكلاتهم , والعمل على حلها بأسلوب تربوي راقي

– تمني حوافز إيجابية التحقيق انضباط الطلاب . وملاحظة مدى التزامهم وانتظامهم , والعمل على تعديل سلوكهم .

– غرس قيمة العمل التطوعي وتنمية جانب المبادرة الذاتية والإيجابية في نفوسهم .

– تنمية الثقافة العامة لدى الطلاب , وإشراكهم في بحث القضايا المهمة , والاستماع إليهم برحابة صدر وسعة أفق مكافأة المجتهد الجاد الملتزم المنتج من الطلاب .

– تبني قيم تحقق واقعية التعلم لدى الطالب ومنها الاعتزاز الديني والانتماء الوطني وقيمة العلم للإنسان الخ (الزيان واسحق وإبراهيم ,٢٠١٨: ٦٦)

٢– مهام تتعلق بتقويم المعلم :

يقوم المشرف التربوي بتقويم المعلم من الجوانب التالية :

– إعداد الدروس إعدادا منتظما متكاملا , يراعي أصول الإعداد وتقيناته .

– التمهيد للدرس , وربط مكونات الدرس السابق بمعطيات الدرس الجديد , وتهيئة الطلاب له .

– تناول الدرس بأسلوب يحقق الأهداف المرغوبة .

– قياس استجابة الطلاب للمادة الدراسية , ومدى قدرتهم على ربط المادة الدراسية بالحياة وواقع المجتمع .

– قياس مراعاة المعلم للفوارق الفردية استخدام الأجهزة الحديثة الخاصة بالمادة وصيانتها .

– العمل بالتعاون مع جهة الاختصاص في إدارة التعليم على تزويد المكتبات المدرسية بالكتب المفيدة للطلاب والمعلمون ومتابعة تنظيم المكتبات والدعوة إلى الإفادة منها , مع إبلا غ الوزارة بالملاحظات الخاصة بالمكتبة .

– توجيه المعلمين إلى الاستفادة من جهود الطلاب الفردية والجماعية في إنتاج بعض الوسائل اليسيرة في جماعات النشاط المدرسي , ومنح المتفوقين جوائز تقديرية أو التنوية بجهودهم والإشادة بها في الاصطفاف الصباحي .

٣– مهام تتعلق بالتدريب :

– اقترح البرامج التدريبية اللازمة للمعلمين , وذلك بعد دراسة وتحليل واقعهم المهني , وتحديد المهارات التي يمكن تطويرها عن طريق التدريب .

– المشاركة في ترشيح المعلمين للألتحاق بالبرامج التدريبية , القاء المحاضرات والتدريب العملي

–تقويم البرامج التدريبية وتقديم الاقتراحات الهاددفة , لتطوير , أسلوب العمل فيها والاستفادة القصوى منها .
– متابعة المعلمين الذين حضروا برامج تدريبية وتوجيهم للاستفادة مما تدربو وتقويم أثر برامج التدريب على أدائهم .

٤– مهام تتعلق بالأنشطة المدرسية :

– توجيه المعلمين إلى أهمية النشاط المدرسي وضرورته , لنمو الطلاب نموا متكاملاً, وإعدادهم إعداد تربوياً سليماً
– دراسة أنواع النشاطات الخاصة بالمواد في جميع الصفوف الدراسية مع المعلمين بهدف وضع خطة عملية التنفيذ .
– توجيه المعلمين إلى المشاركة الفاعلة في الإشراف على البرامج المختلفة للأنشطة المدرسية ومنها برامج الإذاعة والصحف وعمل الوسائل والمسابقات الثقافية .....الخ وتوجيه هذه النشاطات لخدمة المادة ونشاطها التربوي والتعليمي .
– توجيه المعلمين إلى الاهتمام بتوثيق خطوات النشاط الذي يتولى كل منها الإشراف عليه في ضوء محاضر وتقارير ورسوم وإحصاءات .
– مساعدة المدارس على وضع الترتيبات اللازمة لإعداد المعرض السنوي العام , والإشراف على اخراجه بالصورة المناسبة .

٥– مهام تتعلق بالاختبارات :

– توعية المعلمين بما تضمنه اللائحة العامة للاختبارات , والمذكرة التفسيرية لها , وكل ما جد من تعاميم تتعلق بها , ودراسة ماطرأ من تعديلات عليها .
– إيضاح أساليب تقويم الطلاب بحيث يعطي هذا التقويم صورة صادقة عن تحصيل الطلاب وسلوكهم .
– الاطلاع على دفاتر أعمال السنة والاختبارات للاطمئنان على دقة تقويم المعلم لأعمال الطلاب ونشاطهم .
– إعداد توجيهات خاصة بالاختبارات تتضمن المواصفات الفنية للأسئلة في المراحل الدراسية المختلفة , وإرشادات خاصة بالتصحيح وتوزيع الدرجات والمراجعة والرصد في الكشوفات .
– دراسة نتائج الاختبارات وتقويمها ووضع الخطط العلاجية المناسبة لها .

الإشراف التربوي في حقيقته هو مجموعة من العمليات التي تسعى في تكاملها إلى تطوير وتجويد العملية التعليمية , وهو أحد العناصر المهمة في منظومة التربية التي تعتمد عليها باقي المنظومات في الدولة , ولكي يحقق الإشراف التربوي الأهداف المرجوه منه تعين على المشرف استخدام أساليب واستراتجيات شتى , يتنقل فيما بينهما ويتخير منها حسب الموقف التعليمي في الميدان التربوي .

اهداف الإشراف التربوي

إن للإشراف التربوي دوراً كبيراً في تعزيز عمليات التعليم والتعلم , وكفاءة مخرجات النظام التعليمي , لذا لم يعد للإشراف التربوي هدفاً واحداً ويتمثل في مساعدة المعلم على تطوير أساليبه ووسائله داخل غرفة الصف بل تعددت أهدافه لتتوافق مع مفهومه الحديث

ولقد أشارت (عيسان و العاني ٢٠٠٧) أن الاشراف التربوي يسعى من خلال أدواره والمهام الموكلة له إلى غاية أساسية , تتمثل في تحقيق جودة التعلم وتحسين نوعيته , كونه من العمليات التربوية الحيوية المصاحبة لعمليتي التعليم والتعلم في المدرسة , إلى جانب كونه حلقة اتصال فاعلة بين المدرسة والأجهزة الإدارية والفنية .

ومن أبرز أهداف الإشراف التربوي ما أشارت اليه مجموعة من الأدبيات منها (أسعد , ٢٠٠٥ , أبو غريبة , ٢٠٠٩, البستان وعبد الجواد وبولس , ٢٠١٠) وهي كالاتي :

- الارتقاء بمستويات الاداء المهني والفني والإداري للمعلمين , والأكثر ارتباطا بميول الطلبة وحاجات المجتمع .
- تحسين أداء النظام التعليمي أو تطويره نحو تحقيق مزيد من الفاعلية والكفاءة والانتاجية .
- حماية المعلمين من التعرض للنقد الظالم , أو من إعطائهم أعمالا تفوق قدراتهم وطاقاتهم .
- ترغيب أعضاء الهيئة التدريسية في مهنتهم ومدارسهم , ومعالجة الصعوبات التي يواجهونها .
- تشجيع المعلمين على القيام بعملية البحث العلمي والتربوي .

وفي ضوء الأهداف السابقة فإنه يمكننا القول أن الإشراف التربوي لا يمكن الاستغناء عنه , باعتباره أحد الركائز الأساسية للعمل التربوي .

المبحث الثاني :اساليب الإشراف التربوي

يسعى الإشراف التربوي إلى تناول جميع عناصر الموقف التعليمي , بغرض تقويمها وتطويرها , لتحسين العملية التعليمية , لذا تطورات أساليب الإشراف التربوي تبعاً لتطور مفهوم الإشراف التربوي

وقد أشار(القاسم ٢٠١٠) إلى نجاح الأسلوب الإشرافي المناسب يتوقف على مقومات أساسية , تساعد المشرف التربوي في اختياره ومنها ملائمة الأسلوب الإشرافي للموقف التربوي , وتحقيقه الهدف الذي يستخدم من أجله والمشاركة الإيجابية للمعلم في اختيار الأسلوب الإشرافي , وتخطيطه وتقويمه , ومرونة الأسلوب الإشرافي , بمراعاته لظروف المعلم والمشرف والمدرسة , ومعالجة الأسلوب لمشكلات تهم المعلمين , وتسد احتياجاتهم . ومن أهم واكثر الاساليب استخدما :

١– الزيارات الصفية :

إن تحسين العملية التربوية هي هدف من أهداف الإشراف التربوي , وتعد الزيارة الصفية من أكثر الأساليب الإشرافية شيوعاً واستخداماً , ويرى (أبو عابد ٢٠٠٥) بأن الزيارات الصفية هي عملية مخططة ومنظمة , يقوم بها المشرف التربوي , لمشاهدة كل مايصدر عن المعلم وطلابة , بهدف تحليله ومن ثم تزويد المعلم بتغذية راجعة تطويرية

يقوم المشرف التربوي بزيارة المعلم من أجل معرفة الصعوبات والتحديات التي تواجهه , فيقوم المشرف بالاطلاع على الطرائق والأساليب المتبعة في تعليم الطلاب , واكتشاف المهارات التي يتميز بها المعلم (المعايطة ,٢٠١٢ : ٩٧) وهي حضور المشرف التربوي أو مدير المدرسة حصة للمعلم في غرفة الصف أثناء قيامه بإعطاء حصة لملاحظة أدائه الصفي , بهدف تطوير الأداء وتقويمه (الخطيب والخطيب ٢٠٠٣ : ٣٥)

٢–المداولات الإشرافية : هي مقابلات تتم وجها لوجه بين المشرف التربوي والمعلم , بهدف مناقشة بعض الأمور التربوية , أو تبادل وجهات النظر , أو عرض وتحليل بعض الصعوبات لأجل حلها , وذلك لرفع كفاءة المعلم أحيانا , أو إمداده بالمستجدات التربوي , أو توجيهه حول أمر ما , وهي من أعظم الوسائل لمعاونة المعلمين , ورفع معنوياتهم , وأكثرها فاعلية لتحسين التدريس , وليس لها وقت محدد حيث لا يشترط أن تسبقها زيارة صفية (الحريري , ٢٠٠٦ , العياصرة: ٢٠٠٨)

٣–تبادل الزيارات بين المعلمين : يشير (المومني, ٢٠٠٨) أنها أسلوب إشرافي يجري في مواقف طبيعية غير مصطنعة , مما يزيد من ثقة المعلم بنفسه , وقد تتم الزيارات بين معلمي مدرسة واحدة , أو مدرستين متجاورتين , وبين معلمي مادة واحدة أو مواد مختلفة , وذلك تحت إشراف المشرف التربوي أو مدير المدرسة ولها مسميات مختلفة , مثل إشراف الزملاء , أو إشراف الرفاق أو الإشراف بالأقران , أو النمو المهني التعاوني .

٤– الدروس التطبيقية :هي نشاط عملي يهدف لتوضيح فكرة , أو طريقة , أو وسيلة , أو أسلوب تعليمي , يرغب المشرف التربوي في إقناع المعلمين بفعاليته وأهمية استخدامه , ينفذه المشرف التربوي أو معلم ذو خبرة (أمر الله , ٢٠١٣)

٥- المشغل التربوي (الورشة التربوية) : وهي لقاء تربوي عملي تعاوني , يخطط له المشرف التربوي لمجموعة من المعلمين , حسب الوقت المحدد , من أجل اكتساب معارف ومهارات تطبيقية , أو لمعالجة مشكلة تربوية أو تطبيقية , أو إنجاز مشروع أو نموذج تربوي محدد , وتنتهي بتقرير نهائي (عبد الحي , ٢٠١٣)

٦- النشرات الإشرافية: هي وسيلة اتصال كتابية يقوم أو يساهم المشرف التربوي في إعدادها وتوزيعها على المعلمين , بهدف توفير مصدر مكتوب يسهل الرجوع إليه وقت الحاجة لشرح أليه عملية معينة أو تعميم خبره أو خطة إرشادية لوسيلة تعليمية أو نظام اختبارات أو غير ذلك

٧- الندوات التربوية : هي نشاط جماعي هادف , يتولى فيه عدد من المختصين أو الخبراء – من ثلاثة إلى ستة – عرض الجوانب المختلفة لقضية تربوية , أو موضوع محدد , على مجموعة من المعلمين , ويتبعها نقاش هادف حول ما تم عرضه من أفكار وراء , ولضمان نجاح الندوة لا بد من الإعداد الجيد لها , والحرص على إبراز النقاط الرئيسية وتلخيصها , وضبط الزمن للعرض وللنقاش , فهي تتيح الفرصة لعرض خبرات مجموعة من الأشخاص وتبادل الاراء بينهم (الطعاني , ٢٠١٠)

٨- البحث الإجرائي : أحد أنماط البحث التربوي , يهدف إلى تطوير العملية التربوية , وتلبية الحاجات المختلفة لأطراف هذه العملية , من خلال المعالجة العلمية الموضوعية للمشكلة المباشرة التي يواجهونها , وقد يكون البحث فردياً يتولاه شخص واحد , كالمشرف أو المدير أو المعلم أو بحثاً جماعياً تعاونياً بين المعلم والمشرف التربوي , أو مجموعة من المعلمين (المومني ٢٠٠٨)

٩- التعلم المصغر : هو « أسلوب تدريبي ينقذه المشرف للمعلمين , للتدريب على مهارات تعليمية محددة , في موقف صفي مصغر (٤-٦ طلاب) , ولحصة مصغرة (٥-١٠ دقائق) , مع إجتماع أداء المتدرب للتقويم المضبوط , ثم تكرار الأداء المتبوع بالتقويم مرة أخرى , إلى أن يبلغ المتدرب المستوى المرضي عنه من حيث اكتساب المهارة « (العبد الجبار , ٢٠٠٨ :٨٤)

١٠-المعارض التعليمية : توجيه الأقران : يعتبر الأقران أسلوباً إشرافياً , يقوم على تهيئة الفرصة لدعم المعلمين ومساندة بعضهم البعض والتفاعل في نقاشات حقيقية حول التعليم والتعلم الخاص بهم وبطلبتهم , ويعتقد كل من بلقيس وعبد اللطيف (٢٠٠٢) أن توجيه الأقران عبارة عن أسلوب يستخدمه المعلمون في تنمية أنفسهم مهنياً معتمدين على استثمار خبراتهم الذاتية وتبادل هذه الخبرات بصورة تعاونية , وذلك من خلال قيام أحد المعلمين بملاحظة أداء زميله في أثناء قيامه بعملية التعليم , بهدف تقديم المساعدة التي تؤدي إلى تحسين هذا الأداء.

المبحث الثالث : اساس التربية

يعد الفن من أهم وسائل الإتصال البشري والذي من خلاله يتم نقل الفنان لعواطفه وأحاسيسه الى الاخرين باستخدام وسائل مختلفة تتمثل بالاعمال الفنية , والفن لغة بصرية يهذب حساسية الإنسان ويكسبه العديد من المهارات التي بدورها تساهم في الرؤية الجمالية .

ويعبر مصطلح التربية الفنية عن عنصرين أساسين هما التربية والفن , وهناك العديد من التعريفات التي قام بها الباحثون والعلماء عبر العصور , عرف افلاطون التربية الفنية على أنها تضفي على الجسم والنفس كل جمال وكمال , وعرفها ارسطو طاليس بأنها عملية إعداد العقل للتعليم , وفي تعريف رفاعي الطهطاوي أشار أنها تبني خلق الطفل على مايليق بالمجتمع الفاضل , وتنمي فيه جميع الفضائل التي تصونه من الرذائل , وتمكنه من مجاورة ذاته للتعامل مع أقرانه على فعل الخير , فالفرد أساس العملية التربوية ومحورها الاساسي , فلابد من تدريب وتهذيب سلوكه وتقديم المعلومات والمهارات الخبرات اللازمة التي يحتاجها (العتوم , ٢٠٠٧)

ان ما طرأ على الفكر التربوي من نظريات فلسفية معاصرة واتجاهات حديثة للفن أدى الى حدوث تغييرات كثيرة على التربية الفنية بالاضافة الى تطور البحوث والدراسات في إعداد البرامج والمناهج في ميدان التربية الفنية على

المستوى المحلي والعالمي للاعتراف بقيمة هذه المادة وأهميتها على مستوى التجارب البحثية والتطبيقية , حيث ان التربية الفنية هي احد العلوم الانسانية ومن مقررات المواد الدراسية في مراحل التعليم العام , التي بدورها تتيح الفرصة للتلاميذ للتفاعل مع الخبرات التربوية والتعليمية , والفنية وتنمي قدرات العقل من خلال دراسة المعلومات والحقائق والمفاهيم العلمية والفنية المرتبطة بفلسفة الفن التشكيلي , ولها القدرة على تنمية المدركات الحسية واكساب المهارات التقنية التي تعينه على التحكم باستخدام الخامات البيئية , وأساليب وطرق تشكيلها وتجهيزها , والربط بينها وبين التطور العلمي والتكنولوجي المعاصر (إبراهيم وفوزري , ٢٠٠٨)

يقع على عاتق معلم التربية الفنية دور كبير في قيادة وتصدر العملية التعليمية , وتوصيل الخبرات المناسبة للمتعلمين وتوجيه سلوكهم , فالمدرس الناجح يعتمد في التدريس على خليط من المهارات المختلفة , كالقدرات الشخصية والعوامل النفسية واستخدام طرق التدريس الملائمة للموقف التعليمية المختلفة ,والوسائل التعليمية وغيرها , وهناك العديد من الدراسات التي أكدت على أهمية تأهيل وتدريب المدرس من جميع النواحي وباستمرار , ومواكبة التطور العلمي والتكنولوجي وتطوير نفسه ليكون قادرا على تقديم الخبرات المختلفة والمناسبة للطالب الذي بدوره يخدم المجتمع الذي يعيش فيه على أكمل وجه (بشايره , ٢٠٠٩)

مقومات مشرف التربية الفنية الناجح :

أ- الخبرة الواسعة :

تأتي هذه الخبرة من خلال ممارسته للتدريس ثم الإشراف التربوي من خلال الإطلاع المستمر والقراءة المنظمة ويتدرج تحت ذلك ما يلي :

١. المعرفة الوافية في حقل تخصص التربية الفنية .

٢. مهارات تخطيط الدروس .

٣. معرفة حاجات المعلمين والبرامج المناسبة لتطويرها .

ب- الكفايات :

من خلال المقومات السابقة للإشراف التي تم عرضها يتضح أن مشرف التربية الفنية يجب أن يتسم بكفايات معينة لأنه يعمل في ميدان واسع , ويقوم بأدوار إشرافية تجعل منه قائداً تربوياً , يرتبط نجاحه بطريقة تعامله من الاخرين .

وتعرف كفاية المشرف التربوي بأنها « أن يتمتع المشرف بمقدرة عالية في المجال العلمي والمهني , وبقدر تعلق الأمر بمهنته مما يساعده على توجيه المعلمين ورفع مستواهم العلمي (الإبراهيم,٢٠٠٢: ١٢٧)

وتتمثل هذه الكفايات فيما يلي :

١. كفايات شخصية(ذاتية) ومن أبرزها : تتمثل الكفايات الشخصية للمشرف التربوي في الاتي)الذكاء وسرعة البديهة والقدرة على الإقناع , والتصرف بحكمة في تسير الأمور ,والقدرة على اتخاذ القرارات الفعالة الرشيدة , والحزم في مواطن الحزم والرحمة في مواطن الرحمة ,والانتماء إلى مهنة التربية والتعليم والقدرة على تحقيق العدالة بين المعلمين , واتخاذ مواقف تتصف بالنزاهة وعدم التحيز , والقدرة على استثمار الوقت إيجابياً موجها نحوتحقيق الأهداف التربوية والقدرة على إبداء المحلوظات دون سخرية أو انتقاص من قدر المعلمين أو التقليل من جهودهم (العاجز , حلس , ٢٠٠٩: ١٨)

٢. الكفايات العلمية وتتمثل في : المعرفة العميقة بمادة التخصص , متابعة كل مايستجد في مادة تخصصه وفي الإشراف التربوي , الثقافة الواسعة المتنوعة .(محمود مصطفى طافش –٢٠٠٤

٣. الكفايات الادائية :تتمثل في مقدرات المشرف التربوي على :» تصميم وإعداد خطة إشرافية سنوية مرنة ومتجددة , وذات أهداف شاملة ومتكاملة , مساعدة المعلمين على تصميم خطط سنوية ويومية , توظيف

مختلف أساليب الإشراف التربوي , قيادة الدورات التدريبية والمشاغل التربوية , تنمية ذاته ومهاراته بالمشاركة في الندوات والمؤتمرات , ومتابعة البحوث والدراسات المتعلقة بمادة تخصصه وبالإشراف التربوي , تقويم أداء المعلمين والتلاميذ والمناهج تقويماً علمياً موضوعياً , تصميم الاختبارات بحيث تتصف بالشمول والصدق والثبات والموضوعية , المشاركة في وضع المناهج التدريسية ونقدها وتقويمها وتعديلها , تصميم ومساعدة المعلمين على تصميم برامج تنمية التفكير الإبداعي عند الطلاب ورعاية الموهوبين منهم , ومعالجة مشاكل الضعاف (طافش ,٢٠٠٤: ٩٩)

المبحث الرابع : مهام المشرف التربوي لمادة التربية الفنية :

يقوم المشرف التربوي لمادة التربية الفنية بالعديد من المهام ويعد من أبرز هذه المهام (الشراري,٢٠١١). :

– القيام بأعداد خطتة الأشرافية العامة وفق خطة قسم التربية الفنية

– دراسة وتحليل أداء معلمي التربية الفنية في الميدان التربوي من خلال التقارير السابقة والزيارات الأستطلاعية وتشخيص و تحديد جوانب القصور و التميز لأقتراح الحلول لمعالجة القصور وحل المشكلات و تعزيز الأيجابيات.

– تنمية مهارات معلمي التربية الفنية التدريسية لتوظيف أستراتيجيات التدريس .

– أرشاد معلمي التربية الفنية الي الأنماط المختلفة في تنظيم البيئة التعليمية الصفية و تشجيعهم علي تطبيقها بما يحقق تعليم أفضل.

– تحفيز معلمي التربية الفنية للأستفادة من كافة الأمكانيات المتوفرة في المدارس فيما يخدم دور مادة التربية الفنية و أنشطتها الممتدة.

– توظيف الأساليب الأشرافية المناسبة لكل حالة تربوية تعليمية لتحقيق النمو المهني الشامل لمعلمى التربية الفنية.

– تحقيق مبدأ الشوري و المشاركة في الرأي بين معلمي التربية الفنية لحل جميع المشكلات الفنية التي تقابلهم أثناء التدريس.

– تحليل و دراسة محتوي منهج التربية الفنية بمشاركة معلمي التربية الفنية للتوصل الي حل المشكلات و التطوير الفعال للمنهج.

– العمل علي تفعيل أنشطة المادة من خلال أعداد و تنظيم البرامج و متابعتها و الأشراف علي تنفيذها.

– أعداد التقاير الفنية الدورية عن الزيارات الميدانية و الفعاليات المنفذة حسب الخطط الفنية المعتمدة.

مشكلات التربية الفنية

نظرا لأهمية التربية الفنية كمادة دراسية في تطوير ونمو الفرد جسميا و عقليا و أجتماعيا فهي عملية تربوية تقع علي عاتق المسئولين و المشرفين في تحقيق محاورها و تنظيم قواعد و أسس بناؤها ويواجه معلمي و مشرفي التربية الفنية عدة مشاكل يمكن لتقسيمها الي ثلاثه محاور :

مشكلات متعلقة بالمتعلم :

من المشكلات التي تتعلق بالطالب هي عدم قدرتة علي أستيعاب مفاهيم الفن الأساسية فيقوم الطالب بفهم الفن بأنه الحرية « عمل أي شيئ يريدة «

وهناك دور للفروق الفردية الواسعة بين الطلبة في الصف الدراسي الواحد وضعف المستوي التعليمي بسبب أنعدام دافعية التعلم بالأضافة الي عدم الأكتراث لحصة التربية الفنية لعد تفعيل سياسة الرسوب (موسى , ٢٠١١) و تركيز بعض الطلبة في المواد الدراسية الأخري يفوق تركيزهم علي مادة التربية الفنية ووجود اعداد كبيرة من الطلبة في الصفوف الدراسية وضعف تعاون و تجاوب بعض الطلبة مع مدرس و مشرف التربية الفنية بأعتبارها مادة ثانوية (مطارنة , ٢٠١٥)

مشكلات تتعلق بالمعلمين :

هناك بعض المشاكل الخاصة بالمعلم كنقص الكفائة المهنية وعدم رغبة بعض المعلمين في مهنتهم مع عدم وجود معلمين متخصصين في المواد الدراسية بالأضافة الي أفتقار المدرسة الي الوسائل التعليمية.

ويؤكد ريشاردسون بانه علي المعلم أن يعطي للطالب خيارات عدة و لا يحصرة في خيار واحد وذلك ليدفعة الي الأبداع في أختيار المواد و الأفكار فمن أهم المعوقات التي تواجه مشرفي التربية الفنية هو تحديد المعلم للخامات ومواد المشاريع وهذا بالطبع يقلل من تحفيز السلوك الأبداعي عند الطلبة (ريشاردسون ,٢٠١١)

بالأضافة الي قلة أستجابة بعض المعلمين لتوجيهات المشرف وذلك بأعتبارهم معلمي ميدان يفهمون الطلبة ويتعاملون معهم في كل يوم دراسي و خلال عام كامل وهم علي دراية بالعملية التعليمية أكثر من المشرف الذي يأتي الي المدرسة في زيارات محددة قليلة بالأضافة الي ثقل اعباء المعلم الدراسية وهذا يقلل من فرصة تواصل المعلم مع المشرف وهذا يعود الي الأنشغال الدائم خلال اليوم الدراسي وما يترتب علية من تعب جسدى و نفسي وهذا بالطبع ينعكس بشكل سلبي علي أداء المعلم بالحصص الدراسية أضف الي كل ذلك ضعف رغبة المعلم في تنمية نفسة مهنيا و بخاصة القريبين لسن التعاقد (السعايدة , ٢٠١٢)

مشكلات تتعلق بالمنهج الدراسي :

يعد المنهاج الطريق الواضح و المحدد للمعلم الذي يهدف الي تحقيق غايات محددة وهو وسيلة لتلبية حاجات مجتمع معين ولتحقيق التنشئة لأبنائة تنشئة تتوافق مع البيئة المحلية توافقا طرديا فلا بد أن يكون المنهج واضح الغايات و الأهداف و أن يواكب التطورات الحاصلة في مجالات الحياة و أن تراعي المراحل العمرية لنمو الطفل ومستويات النضج الجسمية و العقلية والأنفعالية وكذلك الأهداف العامة لكل مرحلة التي تكسب الطالب القيم والمهارات و الاهداف الخاصة المتعلقة بكل مادة علي حدة كما يذكر الغامدي في دراسة علي وجوب وجود طرق تدريس متنوعة تؤكد علي نشاط الطلبة في التعلم وتقوم علي أثارة أنتباه الطلبة بوجود مشكلة ما ويقوم المعلم بطلب أقتراحات وحلول لها وأحتواء المنهج علي أهداف واضحة ومحددة المعالم بحيث تقوم الأهداف بوصف المفاهيم والمدركات الفنية التشكيلية و التي يتم تحقيقها عمليا من قبل المعلم كالتكوين والتوافق اللوني و الأتزان (الغامدي , ٢٠٠٦)

الفصل الثالث:

الفصل الثالث (الإطار الإجرائي)

يتناول هذا الفصل عرضا للاجراءات التي اعتمدها الباحث لتحقيق اهداف البحث وقد اعتمد الباحث المنهج الوصفي لانه الانسب في وصف العلاقات الارتباطية بين متغيرات البحث والكشف عما بينها من فروق .

مجتمع البحث :

تحدد مجتمع البحث الحالي بمشرفي التربية الفنية بمحافظة بابل للعام الدراسي (٢٣-٢٤) مشرف ومشرفه

عينة البحث :

اختيرت عينة البحث الاساسية بالطريقة العشوائية وبلغ عددها (٤٠) من مشرفي تربية بابل ومن كلا الجنسين (ذكور – اناث) موزعه على جميع اقضية المحافظة وبنسبة (٥٠٪) من مجموع مجتمع البحث عينة البحث من مشرفي ومشرفات التربية الفنية التربين والاختصاص حسب الجنس

ت	نوع الإشراف	ذكور	اناث	المجموع
١	الإشراف الاختصاص	١٥	١٠	٢٥
٢	الإشراف التربوي	١٠	٥	١٥
	المجموع	٢٥	١٥	٤٠

منهج البحث : يستند البحث الحالي على المنهج الوصفي لانه الانسب في وصف العلاقات الارتباطية بين متغيرات البحث

اداة البحث :ومن اجل قياس مقومات مشرف التربية الفنية الناجح لدى افراد عينة الدراسة اتبع الباحث الخطوات التالية في بناء المقياس .

تحديد مفهوم الإشراف التربوي تم تحديد مفهوم الإشراف التربوي حسب النطرية البنائية والى جانب مايملك المشرف من خبرة واسعة تم تحديد مفهوم الإشراف التربوي على انه (مساعدة المعلم على الذاتي والاستفادة من التجارب السابقة لاحلال الجديد وان يكون تركيز المشرف والمدرس كليهما على المسقبل والعمل على النمو

تحديد مجالات المقياس :

تكون مقياس مقومات مشرف التربية الفنية الناجح بصيغة النهائية الذي اعده الباحث والمكون (١٥) فقرة موزعة على اربعة مجالات المجال الاول (٣) فقرات , والثاني (٤), فقرات والمجال الثالث (٦) فقرات المجال الرابع (٥) فقرات المجال الخامس (٦) فقرات وإمام كل فقرة عدت بدائل (اوافق بدرجة عالية , اوافق بدرجة متوسطة , اوافق بدرجة قليله ، يضع علامة صح امام البديل .

الفصل الرابع :

عرض نتائج البحث

– مستوى مقومات مشرف التربية الفنية الناجح في مديرية تربية بابل . لتحقيق هذا الهدف تم استعمال الاختبارالتائي لعينة وحده sample t.test لحساب الفرق بين متوسط الحسابي لدرجات العينة والمتوسط النظري لمقياس مقومات مشرف التربية الفنية الناجح .وكانت النتائج كما موضح في الجدول

– الفرق في العلاقة في مستوى مقومات مشرف التربية الفنية الناجح عند مديري المدارس تبعا للمتغيرات الاتية الجنس – مدة الخدمة

– تبعا لمتغيرالجنس : مقومات مشرف التربية الفنية الناجح تبعا لمتغير الجنس .

– كما تشير نتائج البحث الى انه لا اثر لمتغير الجنس (ذكور – اناث)

– ظهرت نتائج البحث الحالي لا اثر لمتغير الخدمة على مستوى مقومات مشرف التربية الفنية الناجح .

التوصيات :

يمكن تلخيص ما توصل اليه البحث بالتالي :

– التأكيد على التنمية الذاتية للمشرف من خلال :

وسائل النمو الفردي : دراسة الكتب والمقالات والبحوث التربوية .

وسائل النمو الجماعي مناقشة بعض القراءات التربوية واشراك المشرفين في مجموعات في انجاز عمل معين .

وسائل النمو المحلي : ويتم على مستوى مشرفي المبحث الواحد أو مشرفي المباحث المختلفة في المديرية أو في المنطقة الواحدة أو على مستوى القطر .

وسائل النمو قصيرة الأمد كالاجتماعات الرسمية .

وسائل المو طويل الأمد كالاجتماعات الدورية والندوات الإشرافية .

– يحتاج المشرف التربوي إلى التخطيط لأنه يتعامل مع مجموعة مختلفة من المعلمين والتلاميذ ولدراسة مشكلاتهم وإشباع حاجاتهم وتوجيه جهودهم للاهتمام ببرنامج تحسين التعليم .

– تطوير أساليب الإشراف التربوي , وتبني طرق ونماذج حديثة لمساعدة المعلمين على التنمية المهنية الموجهة والذاتية .

– العمل على تنمية العلاقات الإنسانية بين جميع العاملين في المدرسة من خلال ترسيخ المبادئ والأسس التربوية

العامة التي تعتمد على التواصل المستمر والاحترام المتبادل بينهم , وإعطائهم الفرص الكافية للتعبير عن ارائهم وملاحظاتهم بما يحقق التوافق والانسجام داخل البيئة المدرسية .

– التوسع في استخدام الأساليب التربوية الحديثة .

– شراك المشرفين التربويين في وضع المناهج .

– عقد دورات تدريبية للمشرفين التربويين , لا لطالع على كل المستجدات وإبلاغها للمعلمين .

– مشاركة المشرفين للمعلمين في وضع الأهداف وتحليل محتوى المنهاج وتقييمه ..

المقترحات

– إجراء بحوث علمية من قبل المشرفين لحل المشكلات التي تواجههم أثناء عملهم الإشرافي .

– العمل على تنويع الأساليب الإشرافية بحسب المواقف والحالات التي يوجهها المشرفون التربويون أثناء القيام بعملهم .

– العمل على توطيد العلاقة بين المدرسة والمجتمع المحلي , من خلال وضع الية تجعل البيئة المدرسية جاذبة لأولياء الأمور لتدارس المشكلات التي تواجه أبناء هم

المراجع:

– الإبراهيم , عدنان بدري (٢٠٠٢) الإشراف التربوي , أنماط وأساليب , أربد – الأردن :مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع .

– إبراهيم , ليلى حسني , وفوزي , ياسرمحمود .(٢٠٠٨). مناهج وطرق تدريس التربية الفنية بين النظرية والتطبيق . مكتبة الانجلو المصرية – القاهرة : مصر .

– أبو عابد , محمود (٢٠٠٥) المرجع في الإشراف التربوي والعملية الإشرافية , عمان : دار الكتاب الثقافي

– أبو غريبه , ايمان (٢٠٠٩) الإشراف التربوي مفاهيم – واقع – أفاق . عمان الأردن : دار البداية .

– أسعد , وليد احمد (٢٠٠٥) الإدارة المدرسية . عمان الأردن : مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع .

– أمر الله , سهام محمد (٢٠١٣) الإشراف التربوي .الإسكندرية :مؤسسة حورس الدولية للنشر والتوزيع.

– الباور , عفاف (٢٠٠٨) تقويم الأداء الوظيفي للمشرفة التربوية في ضوء كفايات الإشراف التربوي المعاصر . مجلة جامعة أم القرى , العلوم الإنسانية العدد ٢٠ , ص ١٥٩–٢١٤

– البستان , أحمد. عبد الباقي وعبد الجواد , عبد الله السيد وبولس , وصفي عزيز (٢٠١٠). الإدارة والإشراف التربوي – النظرية , البحث , الممارسة و الكويت : مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع .

– بشايرة , فؤاد حسن (٢٠٠٩) . علم النفس التربوي : أسسه النظرية وتطبيقاته العملية . عمان : دار المسيرة للنشر والتوزيع .

– تقار ,مبروك (٢٠٢٤) أنماط القيادة التربوية وعلاقتها بالدافعية للإنجاز لدى أساتذة التعليم الابتدائي ,دراسة ميدانية على أساتذة ولاية المغير.

– الحريري , رافدة عمر (٢٠٠٤) الإشراف التربوي والنظرة المستقبلية رسالة التربية , (٦) ص : ٨٩ –١٠٥.

– الخطيب ,إبراهيم ياسين والخطيب , أمل إبراهيم (٢٠٠٣) .الإشراف التربوي , فلسفة , أساليبه , تطبيقاته , عمان : دار قنديل للنشر والتوزيع .

– دراسة في قسم الإشراف الاختصاص ,مقومات المشرف الناجح في ضوء بعض المتغيرات من وجهة نظر المشرفين انفسهم , مجلة الجامعة العراقية العدد (٥٣ ج١) .

– الدريج ,محمد ا (٢٠٠٦) كفايات المشرف التربوي وأساليب تطويرها , مجلة تواصل , الجنة الوطنية العمانية للتربية والثقافة والعلوم , ٤ يونيو ٢٠٠٦.

– الدليمي ,طارق عبد احمد (٢٠٠١) الإشراف التربوي واتجاهاته المعاصرة (٢ط .

– الردادى ,منى سليمان ا (٢٠١٨) مقومات وكفايات المشرف التربوي ,مجلة البحث العلمي في التربية , ١٩(الجزء الثالث عشر) ٦٠٤,٥٩٤.

– زايد ,عاطف علي (٢٠٠٨): دور الإرشاد والإشراف في العملية التربوية , دار كنوز المعرفة عمان ط (١) .

– الزيان , قيطة واسحق , داليا بشير وإبراهيم , نهلة عبد القادر , درجة ممارسة المشرفين التربويين لأساليب الإشراف التربوي في غزة وجهة نظر المعلمين والمعلمات ٢٠١٨.

– السرحاني , محمد (٢٠٠٩) . واقع كفاية التخطيط لدى المشرف التربوي في ضوء الخطة الإشرافية ,(رسالة ماجستير غير منشورة) ,كلية التربية , جامعة أم القرى ,المملكة العربية السعودية .

– السليطي, عبدالله و العتيبي بندر (٢٠١٩) . واقع تطبيق المشرف التربوي لمهامه في برامج صعوبات التعلم بمحافظة عنيزة, المجلة التربوية بكلية التربية بسوهاج .٦٤)٦٤)١٣٤–٨٩.

– طافش , محمود مصطفى (٢٠٠٤) الإبداع في الإشراف التربوي والإدارة المدرسية , عمان : دار الفرقان للنشر والتوزيع .

– الطعاني حسن أحمد (٢٠٠٥) الإشراف التربوي مفاهيمه , أهدافه , اسسه , مراجعة : أحمد بطاح , عمان الأردن : دار الشروق للنشروالتوزيع

– العاجز , فؤاد وحلس , داود (٢٠٠٩) دليل المشرف التربوي لتحسين عمليتي التعليم والتعلم ,كلية التربية , الجامعة الإسلامية , غزة .

– العبد الجبار , عبد الرحمن عبد الله (٢٠٠٨) الإشراف التربوي وتمهين المعلمين (توطين الإشراف – مهنية المعلم – الإشراف التربوي المتنوع) السعودية : شركة مطابع نجد التجارية .

– عبد الحي, رمزي أحمد (٢٠١٢) الإشراف التربوي مفهومه وأساليبه ووظائفه .عمان ,الأردن مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع .

– عبد العزيز , المعايطة (٢٠١٢) اتجاهات حديثة في الإشراف التربوي . (الطبعة الاولى) عمان : دار وائل للنشر والتوزيع .

– العتوم ,منذر سامح (٢٠٠٧) طرق تدريس التربية الفنية ومناهجها , دار المناهج للنشر والتوزيع ,الأردن , عمان , الطبعة الأولى .

– عطاري ,عارف توفيق وعيسان ,صالحة عبد الله , ومحمود , نازيمان (٢٠٠٥) الإشراف التربوي اتجاهاته النظرية وتطبيقاته العملية , الكويت : مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع .

– الغامدي , حمدان بن أحمد (٢٠٠٦) أثر الأنشطة الصفية في تنمية المهارات الإبداعية لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية . مجلة التربية المعاصرة , ١٤(٣) , ٨٨–١٠٢.

– القاسم , منصور (٢٠١٠) دور مديري المدارس في تفعيل الإشراف التطوري بالمدارس الحكومية في محافظة جدة (رسالة ماجستير غير منشورة)كلية التربية – جامعة أم القرى.

– المعايطة , عبد العزيز (٢٠١٢) اتجاهات حديثة في الإشراف التربوي .(ط١) الأردن : دار وائل للنشر والتوزيع .

– المقطران , سوزان ن (٢٠١٧) الإشراف التربوي : أهميته , أهدافه , كفاياته , مهارات المشرف .(ط ١ ,عمان : دار الإعصار العلمي .

– موسى , فاتن فهمي (٢٠١١) .المشكلا التي تواجه معلمي التربية الفنية في مدارس وكالة الغوث بمحافظة غزة وسبل علاجها رسالة ماجستير .

– المومني , واصل جميل (٢٠٠٨) الإدارة المدرسية الفعالة . عمان الأردن دار الحامد للنشر والتوزيع .

vwww.-٢٠٢١ Art Education Law and Legal Definition «,.Edited . -definitons. Uslegal.com Retrieved

Components of asuccessful art education supervisor and educational leader

Majed jassam jaled D.M
Babylon Education Directorate
yahoo.com@gama١٨٣

فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية العدد(٨)
السنة الثالثة صفر الخير ١٤٤٦هـ آب ٢٠٢٥م

المخدرات وخطرها وتأثيرها الفعلي على النفس البشرية دراسة مقاصدية

م.د. محمد أحمد عطية
جامعة تكريت/ كلية العلوم الإسلامية

فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية العدد(٨)
السنة الثالثة صفر الخير ١٤٤٦هـ آب ٢٠٢٥م

المستخلص:
إن الله قد كرم النفس البشرية وحرم كل شيء يؤدي الى هلاكها, ومن ابرز مهلكات النفس البشرية في هذا الزمن المخدرات, إذ إن هذه الآفة يتم من خلالها ازهاق النفس بالموت السريع أو البطيء, وهذا يتم عن طريق الشياطين الإنسية العابثة في عقول الشباب، فإنها تدمرهم، وتصرف بهم عن الحق، إلى طريق الباطل, فهذه المخدرات والمؤثرات العقلية من الكوكايين والأفيون والهيروين وغيرها أصبحت كثيرة الدخول الى البلدان العربية والاسلامية, واصبحت خطراً يهدد أمن الاوطان والمجتمعات والأسر, فالخطر يكمن في التجارة والتعاطي, فأما التجارة فتكون عن طريق اناس ليس لديهم أي اعتبار للقيم الاسلامية والاخلاقية ولربما يقتلون من تعرض لهم, وأما التعاطي فإنه يهلك النفس عاجلاً او آجلاً, فمقاصد الشريعة أكدت على حفظ النفس البشرية من خلال الاحكام المستفيضة في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وغيرها من مصادر التشريع, ويتناول هذا البحث التأثير الفعلي لهذه السموم على النفس البشرية من خلال تحكيم مقاصد الشريعة لذلك.
الكلمات المفتاحية: المقاصد، الشريعة، النفس، المخدرات، الادمان

Abstract:
God has honored the human soul and prohibited everything that leads to its destruction. One of the most prominent killers of the human soul in this age is drugs. This scourge leads to the soul›s quick or slow death. This is done by human devils who play with the minds of young people, destroying them and diverting them from the truth to the path of falsehood. These drugs and psychotropic substances, such as cocaine, opium, heroin, and others, have become widespread in Arab and Islamic countries and have become a threat to the security of nations, societies, and families. The danger lies in their trade and abuse. Trade occurs through people who have no regard for Islamic and moral values and may even kill those exposed to them. Drug abuse, on the other hand, destroys the soul sooner or later. The objectives of Sharia emphasize the preservation of human life through its rulings. Extensive discussions are held in the Holy Quran, the Sunnah, and other sources of legislation. This study examines the actual impact of these toxins on the human psyche by applying the objectives of Islamic law. Keywords: objectives, Islamic law, psyche, drugs, addiction;
Keywords: objectives, Sharia, soul, drugs, addiction

المقدمة:
بسم الله والصلاة على رسول الله وعلى اله وصحبه ومن والاه, أكد سبحانه وتعالى على حفظ النفس البشرية, وحرم تعمد الاضرار بها وجعل لذلك حدوداً وقصاصاً, فالنفس البشرية هي خليفة الله في أرضه, فإذا ما تم هلاكها تتعطل الاحكام, وتنعدم الغاية المثلى ألا وهي عبادة الله تعالى, فحفظ النفس يأتي بعد حفظ الدين من خلال ترتيب الكليات الخمس, وربما في بعض الحالات يقدم حفظ النفس على حفظ الدين, فالخطر يكمن

فيما انتشر في هذا الزمن من سموم قاتلة دخيلة على المجتمعات الاسلامية سيتم التطرق عليها وعلى سبب انتشارها وتعاطيها كما سيتم معرفة طرق مكافحتها وعلاجها من خلال مقاصد الشريعة الاسلامية.

أهمية الدراسة:

الجزء الاهم في الدراسة هو طرق مكافحة والحد من انتشار المخدرات عن طريق مقاصد الشريعة الاسلامية لغرض حماية الفئة الشبابية للمجتمع المسلم فهذه الشريحة هي المستهدفة من هذه السموم, وكذلك التطرق لبيان مكانة المقاصد الشرعية في ايجاد الحلول للنوازل والمستجدات في كل عصر.

منهج الدراسة:

اتبعت في هذه الدراسة المنهج الوصفي(١)، حيث يتم وصف المشكلة وبيان علاجها من خلال مقاصد الشريعة, تم جمع المادة العلمية للبحث من كتب الاصول والفقه وبيان اراء الفقهاء ومناقشتها مع ذكر الادلة والترجيح, وتم الاعتماد على المصادر المعتبرة وذكر اسم الكتاب ومؤلفه ورقم الجزء والصفحة فقط في الهامش اما بطاقة الكتاب فذكرتها في قائمة المصادر لكي لا يثقل الهامش, وتم استخدام مصحف المدينة الالكتروني لكتابة الآيات القرآنية, وتخريج الاحاديث النبوية من كتب الحديث المعتبرة, والحكم على الحديث الذي ليس في الصحيحين من كتب التخريج المعتبرة, ومن ثم وضعت خاتمة ذكرت فيها نتائج وتوصيات ومقترحات, ثم وضعت بعد الخاتمة المصادر وفيها بطاقة الكتاب كاملة, وأسأل الله التوفيق والسداد.

المبحث الاول: التعريف بالمخدرات وبمقاصد الشريعة

المطلب الأول: تعريف المخدرات.

المخدرات لغةً: هي من لفظ (خدر)، ومصدره التخدير, والخدر من الدواء والشراب: فتور وضعف يصيب الشارب(٢).

والمخدرات في اللغة أيضًا: جمع مخدر وهو مأخوذ من الخدر وهو الفتور والكسل والاسترخاء, يقال خدر العضو إذا استرخى فلا حركة(٣).

واصطلاحًا: «المخدرات مواد نباتية او كيميائية لها تأثيرها العقلي والبدني على من يتعاطها , تصيب الجسم بالفتور والخمول وتغطي عقله كما يغطيه المسكر»(٤) .

وتعريف المخدرات عند الفقهاء : عرف المخدر عند الفقهاء بتعريفات متعددة منها :

قال الامام القرافي رحمه الله : ما كان مغيباً للعقل والحواس ولا يصحب ذلك نشوة وسرور(٥)

وقال الامام ابن حجر رحمه الله : «ما ترتب عليه التغطية على العقل وتخدير وفتور البدن»(٦)

و التعريف القانوني للمخدرات: «هي مجموعة من المواد التي تسبب الادمان وتسمم الجهاز العصبي المركزي ويحضر تداولها او زراعتها او تصنيعها»(٧)

المطلب الثاني: أنواع المخدرات.

تصنف وتسمى المخدرات بعدة تصنيفات واسماء، وسيتم التركيز في هذا البحث على أشهرها والتي تنتشر ويتم ضبطها في جميع دول العالم، وفي مقدمتها المخدرات الطبيعية وهي المستخلصة من النباتات التي يتم زرعها بطرق غير مشروعة مثل الحشيش والأفيون والماريجوانا, وهناك نوع آخر وهي المخدرات المصنعة التي يصنعها الانسان من مواد كيماوية ولكنها ذات أصل نباتي مثل الهيروين والكوكايين(٨).

أولاً: النوع الاول: المخدرات الطبيعية:

هي مجموعة من نباتية توجد في الطبيعة يستخلص من ثمارها واوراقها مواد مخدرة ينتج عن تعاطيها اضطراب في الجهاز العصبي ويحدث اثره فقدان كلي او جزئي في الوعي, ومن اشهر هذه المخدرات: « القنب الهندي أو الماريجوانا» « الافيون» الخشخاش» الكوكا»(٩).

ثانياً: النوع الثاني: المخدرات التخليقية

هي المواد المصنعة والمنتجة بطريقة كيميائية في المختبرات, ولا تستخرج من المواد الطبيعية ولكن لها اثاراً تشبه اثار المخدرات الطبيعية من ادمان وتأثير عصبي وبدني, ولها اسماء مثل المهدئات والمنشطات والمهلوسات, وبعضها يستخدم علاجاً لبعض الامراض فالمهدئات تكون صغرى وكبرى والاولى تعطى علاجاً للتوتر العصبي والغثيان والاضطرابات, والكبرى تعطى للأمراض العقلية الخطيرة كانفصام الشخصية والتوتر النفسي القلق(١٠).

المطلب الثالث: التعريف بالمقاصد

أولاً: المقاصد لغةً: جمع مقصد، وله معان عدة لغتاً يدور معظمها حول طلب شيء بعينه، يقال: قصدت شيء، وإليه قصدي "طلبته بعينه"(١١)، والمعاني التي صلتها بمقاصد الشريعة: هي الاستقامة، العدل, والتوسط ما بين افراط وتفريط(١٢).

ثانياً: المقاصد اصطلاحاً: العلماء الأوائل ممن كتبوا بالمقاصد لم يضعوا تعريفاً محدداً للمقاصد(١٣)، وإنما توجد كلمات ومرادفات وبعض التطبيقات(١٤)، وابرز هذه الالفاظ وعبارات بعض الفقهاء كالاتي:

١- «ومقصود الشرع من الخلق خمسة، وهو أن يحفظ عليهم دينهم، ونفسهم، وعقلهم، ونسلهم، ومالهم، فكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة وكل ما يفوت هذه الأصول فهو مفسدة ودفعها مصلحة»(١٥).

٢- «المقصود من شرع الحكم: أما جلب مصلحة، أو دفع مضرة، أو مجموع الأمرين بالنسبة إلى العبد لتعالي الرب تعالى عن الضرر، والانتفاع، وربما كان ذلك مقصوداً للعبد لأنه ملائم له وموافق لنفسه»(١٦).

ومن العبارات والألفاظ التي ذكرت في تعريف المقاصد هي: «تكاليف الشريعة ترجع إلى حفظ مقاصدها في الخلق، وهذه المقاصد لا تعدوا ثلاثة أقسام: أحدها: أن تكون ضرورية، والثاني: أن تكون حاجية، والثالث: أن تكون تحسينية»(١٧).

وتكلم عنها من الاولين فقال: «من تتبع مقاصد الشرع في جلب المصالح ودرء المفاسد حصل له من مجموع ذلك اعتقاد، أو عرفان بأن هذه المصلحة لا يجوز إهمالها، وان هذه المفسدة لا يجوز قربانها، وإن لم يكن فيها نص ولا إجماع، ولا قياس خاص، فإن فهم الشرع يوجب ذلك»(١٨).

أما تعريفها عند المعاصرين فأنها تتشابه في أمور وتختلف في أخرى، لذلك سأذكر بعض ما اشتهر من هذه التعريفات:

١- عرفها الطاهر بن عاشور(١٩): «هي: «المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع، أو معظمها»(٢٠).

٢- عرفها الأستاذ علال الفاسي(٢١)، بأنها: «الغايات منها والأسرار التي وضعها الشارع عند كل حكم من أحكامها»(٢٢).

٣- وعرفت ايضاً: «هي الغايات التي وضعت الشريعة لأجل تحقيقها لمصلحة العباد»(٢٣).

والذي يبدو من خلال التعريفات التي سبقت أن جميعها مشتركة في كون مقاصد الشريعة هي الحكم والمعاني والغايات التي وضعها الشارع لمصلحة عباده في الدنيا والآخرة، والله تعالى أعلم.

المبحث الثاني وجوب حفظ النفس وأهمية مقاصد الشريعة في المنظور الاسلامي وأثرها في الحد من انتشار وتعاطي المخدرات.

المطلب الاول: وجوب حفظ النفس

ان الله سبحانه وتعالى اوجب حفظ النفس البشرية وجعل هنالك حدوداً انزلها في كتابه وسنة نبيه من اجل الحفاظ على النفس وعدم التهاون في اضرارها بأي طريقة كانت, ومن الايات التي دلت على وجوب حفظ النفس البشرية قوله تعالى:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا)(٢٤)، وقال تعالى:(وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ

إِلَى التَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوا ۛ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ)(٢٥)، وفي هذه الايات دلالة على تحريم قتل الرجل نفسه وغيره وصيانة البدن والابتعاد عن كل ما فعل فيه تهلكة للنفس(٢٦) .

وقد روي عنه صلى الله عليه وسلم أَنَّ «رَجُلًا قَتَلَ نَفْسَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»(٢٧)،.

فالمقصد الشرعي من هذه الايات الكريمة والاحاديث الشريفة هو حفظ النفس البشرية والابتعاد عن كل ما يهددها بالتلف والفناء لأن تهديد النفس واتلافها يعاكس ارادة خالقها سبحانه وتعالى.

المطلب الثاني: أهمية مقاصد الشريعة في المنظور الاسلامي وأثرها في الحد من انتشار وتعاطي المخدرات

إن لمقاصد الشريعة اهمية كبرى وعظيمة وفوائد عديدة في الحد من انتشار المخدرات ومكافحتها ولكن قبل التطرق للعلاج فلابد ان نبين اسباب المرض, فالمخدرات لها اسباب أدت الى انتشارها ومن هذه الاسباب كالاتي:

١- غياب الواعز الديني عند بعض الشباب المسلم مع عدم ادراكهم بمقاصد الشريعة وذلك بسبب قلة المحاضرات والدروس والندوات الدينية الخاصة بتعليم الشباب المسلم مقاصد ومآلات الشريعة, فلو فطن المتعاطي لهذا الامر لما تجرء على الاقدام لمعصية الله سبحانه, فالدين الاسلامي الحنيف هو المتميز بإيجاد الحلول لكل شيء فهو الاداة الاساسية للتشريع والحكم والتربية والتعليم(٢٨).

٢- ضعف الرقابة الاسرية

٣- رفقاء السوء

٤- البطالة والعوامل الاقتصادية

٥- قلة الوعي والمعرفة باضرار المخدرات

٦- توفر المال مع وقت الفراغ

٧- استخدام المواد المخدرة للعلاج بشكل سيء

٨- الهجرة والتهجير القسري

٩- ضعف تطبيق القانون

١٠- وسائل الاعلام والاتصال(٢٩)

اضرار المخدرات كثيرة ومنها:

١- التدهور في الدين وفي الخلق: فالمتعاطي والمدمن على هذه السموم يصبح تاركاً لأمر الله تعالى ورسوله (صلى الله عليه وآله وسلم). مضيعاً لعبادته من صلاة وصوم وزكاة واعمال صالحة, وكذلك يفسد عنده الخلق فيصبح خائناً وكاذباً ومنافقاً فاقداً للشعور بالآخرين غير مبال بأهله واصدقائه واقربائه فهذا ضرر عظيم يصيب الانسان في دينه وخلقه(٣٠).

٢- التدهور الاجتماعي والصحي: فالمدمن يلتجئ الى أي وسيلة وطريقة من اجل الحصول على تلك السموم حتى وان اضطر الى ان يسرق معرضاً حياته وحياة غيره للخطر وهذا يؤثر على حالته الاجتماعية وأما بالنسبة لصحته فتكون الاعراض شديدة عند الادمان وعند العلاج منه فيعرضه للألآم في جسده وأضطرابات شديدة في القلب وخلل في المخ والجهاز العصبي فيصبح المدمن شبيهاً بالحيوانات من حيث تصرفاته, مع ضعف في المناعة فيكون في ذلك اكثر استهدافاً لجميع الامراض(٣١).

٣- زيادة الامراض النفسية السلوكية: من انفعالات واضطرابات مزاجية ومشاكل نفسية واكتئآب حاد وضيق في الشعور وخمول في الاحاسيس والمشاعر وانعدام الذكاء وعدم الاتزان وازدياد في نوبات الغضب المفاجيء والدخول في مرحلة اللا وعي(٣٢).

٤- التدهور الاقتصادي : وهذا يؤدي الى تراجعه من عدة أمور سواء كان طالباً فيضمحل مستواه العلمي, حيث اثبتت جميع الدراسات التي اجريت على الطلبة المتعاطين لهذه السموم يكونون اكثر انفعالاً وقلقاً من غيرهم كما يؤدي هذا ايضاً الى كثرة مراجعتهم للاطباء النفسيين, وان كان موظفاً فذلك يؤدي الى فقدان

انتاجيته في العمل وبالتالي يفقد الوظيفة(٣٣).

بعد بيان الاسباب والمسببات لانتشار المخدرات واضرارها نبين فيما يأتي الأهمية الكبيرة والعظيمة لمقاصد الشريعة للحد ومنع انتشار هذه السموم في المجتمعات الاسلامية, إن من المقاصد العظيمة التي جاءت الشريعة الإسلامية لحفظها: حفظ النفس البشرية، فقد حرص الإسلام على صيانة الإنسان من كل ما يؤدي إلى هلاكه أو إيذائه جسديًا أو نفسيًا، فحرّم الاعتداء على النفس بغير حق، ورتّب على ذلك عقوبات مغلظة(٣٤)، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ (٣٥).

ومن السلوكيات التي تهدد النفس البشرية وتفضي إلى إتلافها: تعاطي المواد المخدّرة، والمؤثرات العقلية، والمسكرات بمختلف أنواعها، حيث يؤدي الإدمان عليها إلى الاعتماد النفسي والجسدي الكامل، فتصبح تلك المواد ضرورة قهرية لدى المدمن، يطلبها باستمرار، ويصعب عليه الانفكاك عنها، ويميل إلى العزلة والانطواء، وتظهر عليه أعراض القلق، والانهيار العصبي، وفقدان السيطرة, ومع محاولة الإقلاع عن تلك المواد تظهر على الجسم أعراض انسحابية مؤلمة، منها: التعرق الشديد، والغثيان، وتسارع ضربات القلب، والرجفان، وقد تصل في حالات كثيرة إلى الإغماء أو الدخول في حالة هذيان, كما أن الاستمرار في تعاطي المخدرات يؤدي إلى أمراض جسيمة مثل: سرطان الرئة، السكتات الدماغية، الفشل الكبدي، ضعف المناعة، واضطرابات عقلية قد تؤدي في نهاية المطاف إلى الانتحار, ومما سبق يظهر أن المدمن يُعرّض نفسه للهلاك في كل لحظة، بل إن حياته تصبح فاقدة للمناعة والمقاومة، ويغدو جسده مهيّأً للمرض، وعقله هشًّا أمام التقلبات النفسية، مما يرفع احتمال إقدامه على الانتحار. وهذا ما يوضّح حكمة الشريعة الإسلامية في تحريم تعاطي هذه السموم، لما فيها من اعتداء على النفس وتضييع لها، وقد قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ (٣٦)، كما ورد التحذير الشديد من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في شأن من يُقدم على قتل نفسه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «من قتل نفسه بحديدة، فحديدته في يده يجأ بها في بطنه في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا، ومن شرب سُمًّا فقتل نفسه، فهو يتحسّاه في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا، ومن تردى من جبل فقتل نفسه، فهو يتردى في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا»(٣٧)، وهذا كله يدل على أن حفظ النفس مبدأ أصيل في التشريع الإسلامي، وأن كل ما يؤدي إلى تدميرها أو إزهاقها داخلٌ في دائرة التحريم، ومن ذلك المخدرات والانتحار، لما فيهما من اعتداء صريح على هذا المقصد العظيم, إن الإدمان على المواد المخدّرة والمنشطات العقلية يشبه تناول السم البطيء الذي يُقبل عليه الإنسان بإرادته، رغم كونه في حقيقته تدميرًا لذاته، وتضييعًا لصحته، وتعديًا على كرامته الإنسانية، مما يجعله مسؤولًا أمام الله عن ذلك الفعل. وقد أثبتت الدراسات أن الإدمان يُعدّ سببًا رئيسًا في الوفاة أو في الإصابة بأمراض خطيرة ومزمنة, وقد جاءت الشريعة الإسلامية ببيان شامل لمقاصدها، ومنها حفظ النفس البشرية، سواء من حيث احترام بنيتها الفطرية أو صيانة كيانها البدني والنفسي. فالنفس الإنسانية تتميّز عن سائر الكائنات بتركيبتها المعقدة التي تشتمل على الجسد والروح والعقل، ولذا فقد أُنيط حفظها بتشريعات تراعي ذلك التكامل. ولم يكن مقصد حفظ النفس مجرد صيانة لها من القتل المباشر، بل يمتد ليشمل وقايتها من كل ما يؤدي إلى إضعافها أو تدميرها، كالإدمان، والانتحار، والترويج للعادات المميتة(٣٨)، قال تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾(٣٩)، فجاء هذا النهي ليشمل صور الفساد كافة، ومنها تعاطي السموم العقلية والجسدية، لما لها من أثر هدام في بنية الإنسان وصحته وأمنه العقلي والسلوكي, وقد أشار بعض المفسرون إلى أن النهي في هذه الآية جاء عامًا يشمل كل صور الفساد، سواء كان قولًا أو فعلًا، ما دام يفضي إلى الخلل والضرر, ويُعدّ تعاطي المخدرات والمؤثرات العقلية من أبرز مظاهر الفساد الذي يهدد أمن الأفراد والمجتمعات، لما يسببه من آثار سلبية على الجوانب النفسية والعقلية والجسدية والاجتماعية والاقتصادية، بل إنه يضرب استقرار الأسرة، ويقوّض أمن المجتمع بأسره, أما مقصد حفظ النفس من حيث كونه أحد المقاصد الشرعية الأساسية، فإنه يتضمن تأمين متطلبات الحياة الضرورية للفرد، كالطعام والشراب واللباس والمسكن، وكذلك الرعاية الصحية والتعليمية

والأمن الاجتماعي. ولهذا اعتبر علماء الشريعة أن حفظ النفس لا يكون فقط بتوفير الضرورات، بل أيضًا بحمايتها من كل ما يعوق أداءها ويشوّه فطرتها, وقد نوّه علماء السلف إلى هذا المعنى، فقرّروا أن حفظ النفس يشمل صيانتها من التعدي أو الانحراف، والوقاية من أسباب الانهيار الجسدي والمعنوي، كالوقوع في الإدمان أو الانتحار أو الهروب من الواقع(٤٠).

فمقصد حفظ النفس يُعد أحد المقاصد الضرورية التي تُبنى عليها الشريعة الإسلامية، وقد جاءت الأحكام الشرعية لضمان سلامة النفس من كل ما يهدد بقاءها أو يُعرضها للهلاك، بدنيًا كان أو معنويًا، وذلك في إطار تحقيق مقاصد الشريعة الخمسة التي أجمعت عليها كتب الأصوليين والمقاصديين(٤١).

أولاً: طلب الرزق الحلال بديلاً عن الانحراف السلوكي

يُعد السعي لتحصيل الرزق المباح من مأكل ومشرب وملبس ومسكن من أهم وسائل تحقيق مقصد حفظ النفس، لما في ذلك من تلبية لحاجاتها الأساسية بطريقة شرعية، تقيها من الوقوع في المحرمات والانحرافات. قال تعالى: «﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾(٤٢) .

وقد شدّد العلماء على أهمية توفير فرص العمل والرزق الشريف، خصوصًا للشباب، للحدّ من الانحراف والانزلاق نحو المخدرات أو غيرها من المهلكات(٤٣)، وتندرج هذه المبادرات ضمن مقاصد الشريعة في تحقيق الكفاية وحماية الكرامة الإنسانية.

ثانيًا: الغذاء الحلال والاعتدال في الاستهلاك

أكدت النصوص الشرعية على ضرورة تناول الحلال من الطعام والشراب والبعد عن الإسراف، لما لذلك من أثر مباشر في سلامة البدن والعقل. قال تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾(٤٤), وجه الدلالة: «أمر الله بالأكل والشرب، وهو قدر الحاجة، ونهى عن الإسراف وهو مجاوزة الحد»(٤٥), ويُعد الاعتدال الغذائي من مقومات الصحة العامة، التي أكد عليها فقهاء المقاصد ضمن مطلب حفظ النفس من الآفات الجسدية والعقلية(٤٦).

ثالثًا: الوقاية والعلاج من الإدمان على المخدرات

من صور تحقيق حفظ النفس كذلك: الوقاية من المخدرات، ومعالجة آثارها النفسية والجسدية، عبر مؤسسات متخصصة تتعاون فيها الكوادر الطبية والنفسية والتربوية, وقد أفتى العلماء بحرمة المخدرات لما فيها من إضرار مؤكد بالنفس والعقل، ولما تؤدي إليه من تهلكة، وقالوا كل ما يُزيل العقل فهو حرام، سواء كثيره أم قليله(٤٧).

ويُعد إنشاء مراكز التأهيل وإعادة دمج المتعافين في المجتمع من مقتضيات السياسة الشرعية في علاج الآفات الاجتماعية، وقد نص أهل المقاصد على أن من وسائل حفظ النفس: «الوقاية من مسببات الهلاك، ومعالجة ما يطرأ عليها من خلل»(٤٨).

رابعًا: الصحبة الصالحة وأثر البيئة الاجتماعية

تمثل البيئة الاجتماعية الصالحة والصحبة الطيبة من أهم الوسائل التربوية التي تقي النفس من الانحراف، حيث تُشير الدراسات السلوكية إلى أثر الجماعة في توجيه السلوك، وهو ما سبق إليه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم).حين قال: «((المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يُخالل))(٤٩)».

وقد أكد علماء النفس والتربية على أن الصلاة والارتباط بجماعة مستقيمة تسهم في بناء التوازن النفسي، وتعزز من قوة الإرادة لدى الشباب، وهو ما أشار إليه قوله تعالى:»﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾(٥٠).

وقد ذهب الفقهاء إلى أن من مقاصد العبادات: تهذيب النفس وتزكيتها وإبعادها عن الرذائل، وهو ما يتحقق فعليًا بالمداومة على الصلاة والالتزام بالجماعة(٥١).

وأيضاً من الصور الوقائية لحفظ النفس ما حرمه الله تعالى من الاعتداء عليها وجعل زواجر لفعل ذلك من قصاص وحدود وتعازير, وكذلك التشريعات القانونية, والرقابة والاصلاح الاجتماعي وكما يأتي:

أولا: تحريم الاعتداء على النفس في ضوء النصوص الشرعية والمقاصدية

من صور حفظ النفس في الشريعة الإسلامية: تحريم الاعتداء عليها، سواء بقتل الغير أو بقتل الإنسان نفسه (الانتحار)، ويُستدل على ذلك بقوله تعالى:»﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾(٥٢), حيث جاء تشريع القصاص من أجل تحقيق الردع وحفظ حياة الأفراد داخل المجتمع. كما أكدت النصوص الشرعية على تحريم الانتحار صراحةً، قال تعالى:»﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾(٥٣)، وقد فسّرت هذه الآية بقوله: «نهي من الله للمؤمنين أن يُهلكوا أنفسهم بقتل بعضهم بعضًا أو بقتل أحدهم نفسه»(٥٤)، ويُعد تعاطي المخدرات والمؤثرات العقلية من الأسباب المؤدية إلى هذا النوع من الهلاك، لما تسببه من اضطرابات نفسية وسلوكية تقود إلى اليأس أو العدوان الذاتي. وجاء في الحديث الصحيح:»«من قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يجأ بها في بطنه في نار جهنم...»»(٥٥)، وعليه فإن الإقدام على الانتحار أو إدمان المخدرات يُعد اعتداءً مباشرًا على النفس، ومنافاةً صريحةً لمقصد الشريعة في حفظها، ويُرتب على ذلك العقوبة الأخروية بالإضافة إلى الآثار المجتمعية والنفسية الوخيمة.

ثانياً: التشريع القانوني للحدّ من تعاطي المخدرات

تُعد الأنظمة القانونية التي تُجرّم تعاطي المواد المخدرة أو المتاجرة بها من الوسائل المؤثرة في حماية المجتمع وتحقيق مقصد حفظ النفس. وقد تبنّت بعض الدول الإسلامية سياسة تجريمية صارمة تجاه تجار المخدرات ومروّجيها، بلغت في بعض الحالات تطبيق حد القتل تعزيرًا في حقّهم، نظرًا لما يسببه نشاطهم من تهديد مباشر على أرواح الأفراد وسلامتهم. وهذا الإجراء يندرج ضمن قاعدة: «درء المفاسد مقدم على جلب المصالح»(٥٦)، وله أثر ملموس في تقليص نسب التعاطي، ويُعتبر من الوسائل الوقائية ذات الفاعلية في حماية النفس والعقل من الانحراف والتدمير الذاتي.

ثالثاً: ضبط المحتوى الإلكتروني المروّج للمخدرات والمؤثرات العقلية

يُعد منع المحتويات الرقمية والإعلامية التي تُروّج لتعاطي المخدرات، أو التدخين، أو المشروبات المحرّمة من التدابير الضرورية في سبيل وقاية فئة الشباب من السقوط في هاوية الإدمان, ويستند هذا التدبير إلى قاعدة سدّ الذرائع، أي منع الوسائل المؤدية إلى الحرام، وهو أصل مقاصدي معتبر(٥٧)، كما أن تعريف الشباب بالمخاطر الصحية والنفسية لهذه المواد من خلال التوعية الوقائية، وفرض العقوبات الزاجرة (المالية والسجنية) على المروّجين، يسهم في الحدّ من انتشار هذه الآفة. وقد أكّد علماء الشريعة على أن الحفاظ على العقل شرط في صحة التكليف، وأي سلوك يُذهب العقل يُعد محرّمًا ويستوجب العقوبة.

رابعاً: خطورة مصاحبة رفقاء السوء على حفظ النفس

تُعد مصاحبة الأشرار ورفقاء السوء من العوامل المدمّرة لمقصد حفظ النفس من الهلاك الأخلاقي والنفسي، إذ غالبًا ما يكون لهؤلاء تأثيرٌ سلبيٌ مباشرٌ على الأفراد، خاصة في التحريض على تعاطي المخدرات أو الانحرافات السلوكية. وقد ورد في الحديث:«المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يُخالل» (٥٨)، كما بيّن الفقهاء أن النفس البشرية سريعة التأثر بالصحبة، وتميل إلى الاقتداء، سواء في الخير أو في الشر، وهذا ما يُعبّر عنه بالمحاكاة السلوكية والانجراف الاجتماعي, ولهذا، فإن من الواجب تحذير الشباب من الرفقة الفاسدة التي تزين لهم طريق الإدمان والانحراف، إذ أن طبيعة النفس البشرية تميل إلى التشبّه، خاصة في مرحلة المراهقة، وقد قيل: «الطبع يسرق من الطبع كما يسرق الحديد من النار»(٥٩).

الخاتمة:

بعد الفراغ من هذا البحث، توصل الباحث إلى جملة من النتائج والاستنتاجات التي يمكن إبرازها على النحو الآتي:

أولاً: نتائج البحث:

١ – إن الامتثال لأحكام الشريعة الإسلامية وتوجيهاتها يُعدُّ سبيلًا أساسيًا لتحقيق الفلاح الفردي والاجتماعي، إذ تسهم تلك التوجيهات في حفظ الكيان الإنساني من الانحراف، وتضمن له مسارًا قويمًا نحو التقدم والازدهار.

٢ – تتجلى خطورة المخدرات والمسكرات والمؤثرات العقلية من خلال آثارها المدمّرة على الأفراد والمجتمعات، وللوقاية منها لا بد من التمسك بالوحي الإلهي – القرآن والسنة – وفهمها على ضوء منهج السلف الصالح، لما فيه من توجيه رشيد وسلوك مستقيم.

٣– إن حفظ النفس يهدف إلى حفظ البنية الأساسية للمجتمع, وتُعدُّ حماية النفس البشرية من أخطار المخدرات والمسلكيات المنحرفة جزءًا جوهريًا من هذا المقصد.

٤ – لقد راعت الشريعة في تشريعاتها العقابية ضرورة حفظ النفس، فحرّمت كل ما يؤدي إلى فسادها، وشرعت العقوبة الرادعة – التي قد تصل إلى الإعدام تعزيرًا – لمتعاطي ومروّجي المخدرات، وذلك لتحقيق الردع العام والخاص، وصيانة وجود الإنسان جسدًا وعقلًا وروحًا.

٥ – حرصت الشريعة الإسلامية على صيانة النفس الإنسانية، فحرّمت القتل والانتحار والتعدي على النفس بأي وسيلة، وبيّنت أن المتعاطي للمخدرات يُعرض نفسه للهلاك، ويُشابه من يقتل نفسه بيده، وقد توعده الله تعالى بأشد العقوبات.

٦ – إن الشريعة الإسلامية شرعت أحكامًا لضبط التوازن النفسي والعقلي والخلقي، فنهت عن كل ما يخلّ بتوازن شخصية الإنسان أو يعوق نموه الاجتماعي والسلوكي، واعتبرت أن المواد المخدرة من معوقات الكمال الإنساني، لما فيها من إضعاف للإرادة وتغريب عن الذات.

٧– أثبتت الشريعة الإسلامية تفوقها التشريعي في التصدي لظاهرة المسكرات والمخدرات، بما سنّته من أحكام رادعة ووقائية، سبقت بها الأنظمة الوضعية والقوانين الأرضية، وحققت بذلك الريادة في حماية الإنسان ونفسه.

ثانيًا: التوصيات:

١ – ضرورة تعزيز الوعي الشرعي والمقاصدي بين الشباب، من خلال البرامج الدعوية والتعليمية، لبيان مخاطر المخدرات والمسكرات وآثارها على النفس البشرية، وتوضيح حفظها في الشريعة الإسلامية.

٢ – تفعيل دور المؤسسات الدينية والتربوية في التنسيق مع الجهات الطبية والاجتماعية، لتقديم برامج وقائية وتأهيلية متخصصة في معالجة الإدمان، وتيسير سُبل التعافي وإعادة الإدماج في المجتمع.

٣– إصدار تشريعات حازمة وتشديد العقوبات على مروجي المخدرات ومتعاطيها، بما يحقق الردع العام، ويقلل من انتشار الظاهرة، مع مراعاة أحكام الشريعة في تقدير العقوبة المناسبة وفق المصلحة العامة.

٤ – إعداد مناهج تعليمية وتثقيفية تتناول موضوع المخدرات من جميع جوانبه: الشرعية، والنفسية، والصحية، والاجتماعية، وتغرس في الناشئة مفهوم الوقاية الذاتية، وتنمّي فيهم المهارات الحياتية التي تحصّنهم من الانحراف.

٥ – دعم الأسرة وتمكينها من أداء دورها التربوي والتوجيهي، باعتبارها البيئة الأولى التي تساهم في بناء القيم، ومراقبة السلوك، وكشف بوادر التعاطي أو الانحراف مبكرًا.

٦ – تطوير الرقابة على وسائل الإعلام والمنصات الرقمية، لمنع المحتوى المروّج للمخدرات والمؤثرات العقلية، والتشديد على محاسبة من يتسبب في نشر هذه السموم الثقافية.

٧– الاهتمام بالجانب الوقائي أكثر من العلاجي، من خلال التركيز على البناء الأخلاقي والتربوي للشباب، وتوفير بيئات بديلة آمنة ومناسبة، تعزز من شعور الانتماء وتقدّم بدائل واقعية عن الانحراف.

٨ – تشجيع البحث العلمي في مجال الإدمان من زاوية الشريعة والمقاصد، لإنتاج أطروحات فقهية معاصرة تسهم في التصدي للظاهرة بوسائل علمية نابعة من روح الإسلام

الهوامش:

(١) المنهج الوصفي: ينظر مدخل في المعرفة والعلم والبحث العلمي, أ.د مفرح القوسي: ص١٩٨–٢٠١.

(٢) ينظر: مادة (خدر) معجم لسان العرب, لابن منظور, تحقيق : عبد الله علي الكبير + محمد أحمد حسب الله + هاشم محمد الشاذلي, دار المعارف, القاهرة, عدد الأجزاء : ٦, ٢/١١١٠.

(٣)معجم لسن العرب الجزء ٤/١٣٣ , ومعجم مقايس اللغة الجزء ٢ ص ١٦٠

(٤) المخدرات من القلق الى الاستبعاد د. محمد الهواري ص ٥.

(٥) ينظر: الفروق أنوار البروق في أنواء الفروق, أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي (ت: ٦٨٤هـ), عالم الكتب, عدد الأجزاء: ٤, ١/٢٠١٥.

(٦) الفتاوي الكبرى الفقهية لابن حجر الهيتمي, دار الفكر, عدد الأجزاء ٤, ٤/٢٣١.

(٧) جريمة تعاطي المخدرات في القانون, د. محمد فتحي عيد, ١/١٣٠.

(٨) ينظر: الموسوعة الحديثة في المخدرات, نبيل محمود حسين: ص ١١.

(٩) ينظر: جرائم المخدرات, محمد مرعي صعب, منشورات زين الحقوقية, بيروت, ط:١, ٢٠٠٧, ص ٤٩ وما بعدها.

(١٠) ينظر: الجريمة وقضايا السلوك الانحرافي بين الفهم والتحليل, د. عصمت علي, الاسكندرية, دار الجامعة الجديدة, ط:١, ٢٠٠٩, ص٣٢٩, الوجيز في خطر الانزلاق للمخدرات, اسامة محمد حسن, مكتبة دار النهضة العربية, القاهرة, ٢٠١٨, ص٢٧, حكم التداوي بالمحرمات, عبد الفتاح محمد ادريس, بحث فقهي مقارن, بدون دار نشر, سنة ١٩٩٣, ص ١٠٨–١٠٩.

(١١) ينظر: لسان العرب, مادة (قصد): ٣/٣٥٣–٣٥٤، المعجم الوسيط، (مادة قصد): ٢/٧٣٨, معجم مقاييس اللغة، (مادة قصد): ٥/٩٥، تاج العروس: ٩/٣٦–٣٧.

(١٢) ينظر: لسان العرب: ٣/٣٥٣، القاموس المحيط: ص٣١٠، تاج العروس: ٩/٣٥–٣٨.

(١٣) ينظر: علم المقاصد الشرعية، للدكتور نور الدين الخادمي: ص١٥، الشاطبي ومقاصد الشريعة، للدكتور حمادي العبيدي: ص١١٩، نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، للدكتور أحمد الريسوني: ص١٧، مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة الشرعية، د. محمد بن أحمد بن مسعود اليوبي: ص٣٣، مقاصد الشريعة عند الإمام العز بن عبد السلام، د. عمر بن صالح بن عمر: ص٨٧ .

(١٤) ينظر: المصادر السابقة.

(١٥) المستصفى من علم الصول، للإمام الغزالي ومعه كتاب فواتح الرحموت، للعلامة عبد المكي محمد بن نظام الدين الأنصاري: ١/٢٨٧.

(١٦) الإحكام في أصول الأحكام للآمدي: ٣/٢٧١

(١٧) الموافقات للشاطبي: ٢/١٧.

(١٨) قواعد الأحكام في مصالح الأنام للعز بن عبد السلام: ٢/٣١٤.

(١٩) الطاهر بن عاشور: هو الشيخ محمد الطاهر بن محمد الشاذلي بن عبد القادر بن محمد بن عاشور، نقيب أشراف تونس وكبير علماءها، ورئيس المفتين فيها وشيخ جامع الزيتونة، له مؤلفات منها: (التوضيح والتصحيح، ومقاصد الشريعة الإسلامية)، توفي سنة (١٣٩٣هـ-١٩٧٣م)، ينظر: الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد الزركلي (ت١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، ط١٥ / ٢٠٠٢م : ٦/١٧٤ .

(٢٠) مقاصد الشريعة الإسلامية للطاهر بن عاشور: ص٢١ .

(٢١) علال الفاسي: هو علال بن عبد الواحد بن عبد السلام بن علال بن عبد الله بن المجذوب الفاسي الفهري، سياسي وأديب وزعيم وطني من كبار الخطباء والعلماء، تولى وزارة الدولة للشؤون الإسلامية (١٩١٠ - ١٩٧٤م). ينظر: الأعلام، للزركلي : ٤/٢٤٦، وينظر: معجم المؤلفين، عمر بن رضا بن محمد، دار إحياء التراث العربي. بيروت : ٢/ ٣٨٤.

(٢٢) مقاصد الشريعة ومكارمها لعلال الفاسي: ص٧.

(٢٣) نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، أحمد الريسوني: ١٩.

(٢٤) سورة النساء, من الآية: ٢٩.

(٢٥) سورة البقرة, من الآية: ١٩٥.

(٢٦) ينظر: تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل), أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ), تحقيق: يوسف علي بديوي, راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو, الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت, الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م, عدد الأجزاء: ٣, ١/٣٥٢, محاسن التأويل, محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت: ١٣٣٢هـ), تحقيق: محمد باسل عيون السود, الناشر: دار الكتب العلميه – بيروت, ةالطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ, ٢/٦١.

(٢٧) سنن الترمذي, محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي, برقم: ١٠٦٨, باب من قتل نفسه, الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت, تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون, عدد الأجزاء: ٥, ٣/٣٨٠, قال الترمذي» هذا حديث حسن صحيح واختلف أهل العلم في هذا فقال بعضهم يصلي على كل من صلى إلى القبلة وعلى قاتل النفس وهو قول الثوري و إسحق وقال أحمد لا يصلي

الإمام على قاتل النفس ويصلي عليه غير الإمام».
(٢٨) ينظر: المخدرات والعقاقير النفسية أضرارها وسلبياتها السيئة على الفرد والمجتمع وطرق مكافحتها والوقاية منها, د. صالح غانم سدلان, مجلة البحوث الاسلامية, ٣٢/٢٨٥.
(٢٩) ينظر: اسباب تعاطي المخدرات لدى طلاب الجامعات من وجهة نظر طلبة جامعة الامير سطام بن عبد العزيز, د. محمد احمد شحاذة العمري, المجلد٣٣ العدد العاشر ٢٠١٧, ص٣٨٨, اسباب انتشار المخدرات في المجتمع العراقي ومخاطرها, مقال للدكتور: عمار احمد اسماعيل, شبكة النبأ المعلوماتية, ٢٠٢١/٤/٣,على الرابط: https://www.annabaa.org/arabic/print٢٦٦٣٥?utm_source=chatgpt.com., اسباب انتشار المخدرات, مقال للدكتور عادل عامر صحيفة حديث العالم الالكترونية, ٢٠١٥/٧/١٠, على الرابط: https://c٤wr.com/%D٨ utm_?B٩ source=chatgpt.com,
(٣٠) ينظر: المرجع العلمي للوقاية من المخدرات والمؤثرات العقلية, ص ٢٤-٢٥.
(٣١) ينظر: المصدر السابق: نفس الصفحات.
(٣٢) ينظر: الخمر والادمان الكحولي, د. ابو الوفاء عبد الاخر, مجلة الجامعة الاسلامية- العدد ٤٥, ١٩/١٣١.
(٣٣) ينظر: الادمان مظاهره وعلاجه, عادل الدمرداش, المجلس الوطني للثقافة في الكويت: ص١٦, تعاطي المخدرات في بعض دول مجلس التعاون الخليجي, الامير سيف الاسلام: ص٨٧, تعاطي المخدرات اثارها الاجتماعية والاقتصادية, سمير نعيم احمد, ص١٠٢.
(٣٤) ينظر: مقاصد الشريعة الاسلامية, لابن عاشور ٣/٢٣٨.
(٣٥) سورة الاسراء الاية: ٣٣.
(٣٦) سورة النساء, الاية : ٢٩.
(٣٧) صحيح البخاري, كتاب الطب, باب شرب السم والدواء به وبما يخاف منه والخبيث, برقم ٥٧٧٨, ١٤/٤٣٩.
(٣٨) ينظر: مقاصد الشريعة لابن عاشور, ٣/٢٣٦.
(٣٩) سورة الأعراف, من الاية: ٥٦.
(٤٠) ينظر: الموافقات للشاطبي, ٤/٣٤٧.
(٤١)ينظر: الموافقات للشاطبي, ٨/٢.
(٤٢) سورة الملك, الاية: ١٥ .
(٤٣)مقاصد الشريعة الإسلامية، لابن عاشور ص٢٣٥.
(٤٤) سورة الاعراف, الاية: ٣١.
(٤٥)[^٣]: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ٣/٣٧٣.
(٤٦) ينظر: أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، لابن عاشور ص١١٢.
(٤٧) الزواجر عن اقتراف الكبائر, لابن حجر الهيتمي, ١/٢١٢.
(٤٨) مدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، القرضاوي (القاهرة: مكتبة وهبة، ١٩٩٦م)، ص١٨٣ .
(٤٩) سنن أبو داود (٤٨٣٣)،.
(٥٠) سورة العنكبوت, الاية ٤٥.
(٥١) ينظر: الموافقات، للشاطبي ٢/١٤٩.
(٥٢) سورة البقرة, الاية: ١٧٩.
(٥٣) سورة النساء, الاية: ٢٩.
(٥٤)جامع البيان، للطبري تحقيق: شاكر، دار هجر، ٢٠٠١م، ٨/٤٠٨ .
(٥٥) صحيح البخاري، كتاب الطب، باب: من تداوى بشيء، رقم الحديث (٥٧٧٨)
.(٥٦) إعلام الموقعين، ٣/٤، الموافقات، للشاطبي, ٢/٢٠٢.
(٥٧) ينظر: الفروق، للقرافي ٢/٣٣, مقاصد الشريعة الإسلامية لابن عاشور، ص٢٠٤.
(٥٨)سنن أبو داود (٤٨٣٣).
(٥٩) إحياء علوم الدين، للغزالي ٢/١٨٣.

المصادر:

• القرآن الكريم
١- الإحكام في أصول الأحكام, لأبي الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي (المتوفى: ٦٣١هـ), المحقق: عبد الرزاق عفيفي, المكتب الإسلامي, بيروت- دمشق- لبنان, عدد الأجزاء: ٤.
٢ ٥٠٥هـ), دار المعرفة -

بيروت, عدد الأجزاء: ٤
٣– الادمان مظاهره وعلاجه, عادل الدمرداش, المجلس الوطني للثقافة في الكويت.
٤– اسباب انتشار المخدرات في المجتمع العراقي ومخاطرها, مقال للدكتور: عمار احمد اسماعيل, شبكة النبأ المعلوماتية, ٢٠٢١/٤/٣, على الرابط: https://www.annabaa.org/arabic/print/26635?utm_source=chatgpt.com.
٥– https://www.annabaa.org/arabic/print/26635?utm_source=chatgpt.com.
٦– اسباب انتشار المخدرات, مقال للدكتور عادل عامر صحيفة حديث العالم الالكترونية, ٢٠١٥/٧/١٠, على الرابط: https://D٨٪ c٤wr.com/?B٩ utm_source=chatgpt.com,
٧– اسباب تعاطي المخدرات لدى طلاب الجامعات من وجهة نظر طلبة جامعة الامير سطام بن عبد العزيز, د. محمد احمد شحاذة العمري, المجلد٣٣ العدد العاشر ٢٠١٧.
٨– أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، لابن عاشور, الشركة التونسية للتوزيع والنشر, الطبعة الثانية.
٩– الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد الزركلي (ت١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، ط١٥ / ٢٠٠٢م .
١٠– التداوي بالمحرمات, عبد الفتاح محمد ادريس, بحث فقهي مقارن, بدون دار نشر, سنة ١٩٩٣.
١١– تعاطي المخدرات اثارها الاجتماعية والاقتصادية, سمير نعيم احمد, مقال على الرابط: https://archive.alsharekh.org/Articles
١٢– تعاطي المخدرات في بعض دول مجلس التعاون الخليجي , الامير سيف الاسلام, على الرابط: https://www.first-book.net/book.php?n=19370
١٣– تفسير القرآن العظيم, لعماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي, المحقق : مصطفى السيد محمد + محمد السيد رشاد + محمد فضل العجماوي + علي أحمد عبد الباقي, مؤسسة قرطبة + مكتبة أولاد الشيخ.
١٤– تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل), أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ), تحقيق: يوسف علي بديوي, راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو, الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت, الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م, عدد الأجزاء: ٣.
١٥– جامع البيان، للطبري تحقيق: شاكر، دار هجر، ٢٠٠١م.
١٦– جرائم المخدرات, محمد مرعي صعب, منشورات زين الحقوقية, بيروت, ط:١, ٢٠٠٧.
١٧– الجريمة وقضايا السلوك الانحرافي بين الفهم والتحليل, د. عصمت علي, الاسكندرية, دار الجامعة الجديدة, ط:١, ٢٠٠٩.
١٨– حكم التداوي بالمحرمات, عبد الفتاح محمد ادريس, بحث فقهي مقارن, بدون دار نشر, سنة ١٩٩٣.
١٩– الخمر والادمان الكحولي, د. ابو الوفاء عبد الاخر, مجلة الجامعة الاسلامية– العدد ٤٥.
٢٠– الزواجر عن اقتراف الكبائر, لابن حجر الهيتمي. الزواجر عن اقتراف الكبائر, لأحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري، شهاب الدين شيخ الإسلام، أبو العباس (المتوفى: ٩٧٤هـ), دار الفكر, الطبعة: الأولى، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م, عدد الأجزاء: ٢.
٢١– سنن الترمذي, محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي, الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت, تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون, عدد الأجزاء: ٥.
٢٢– الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه, لمحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله, المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر, دار طوق النجاة, الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ.
٢٣– الفتاوي الكبرى الفقهية لابن حجر الهيتمي, دار الفكر, عدد الأجزاء ٤.
٢٤– الفروق أنوار البروق في أنواء الفروق, أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي (ت: ٦٨٤هـ), عالم الكتب, عدد الأجزاء: ٤.
٢٥– لسان العرب, لابن منظور, تحقيق : عبد الله علي الكبير + محمد أحمد حسب الله + هاشم محمد الشاذلي, دار المعارف, القاهرة, عدد الأجزاء : ٦.
٢٦– محاسن التأويل, محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت: ١٣٣٢هـ), تحقيق: محمد باسل عيون السود, الناشر: دار الكتب العلميه – بيروت, الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ.
٢٧– مدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، القرضاوي (القاهرة: مكتبة وهبة، ١٩٩٦م.
٢٨– مقاصد الشريعة الإسلامية, لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ), المحقق: محمد الحبيب ابن الخوجة, وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر, عام النشر: ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م, عدد الأجزاء: ٣.

برنهارد فون بولو ودوره السياسي ١٨٩٧-١٩٠٩م

م. د. مروه أحمد حميد أحمد
وزارة التربية/ المديرية العامة لتربية بغداد الكرخ الأولى

فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية العدد(٨)
السنة الثالثة صفر الخير ١٤٤٦هـ آب ٢٠٢٥م

المستخلص:
تتشكل اهمية البحث من الدور المحوري الذي لعبه فون بولو في السياسة الالمانية التي ركزت على توسيع النفوذ الالماني خارج القارة الاوروبية والحصول على مستعمرات والنهوض بالمانيا كدولة عظمى وكيف أسهم الاسلوب الدبلوماسي لبولو وسياسته الخارجية وتبنيه لمشروع بناء قوة بحرية المانية تضاهي القوة البحرية البريطانية الى زيادة التوترات مع الدول الكبرى وكانت احد العوامل التي ادت الى اندلا ع الحرب العالمية الأولى.
الكلمات المفتاحية: برنهارد فون بولو، الدور السياسي.

Abstract:

The significance of this study lies in the pivotal role played by Bernhard von Bülow in shaping German policy, particularly its focus on expanding German influence beyond the European continent, acquiring colonies, and elevating Germany to the status of a great power. Von Bülow's diplomatic approach, his foreign policy, and his advocacy for the construction of a German naval force to rival the British Royal Navy all contributed to mounting tensions with the major powers. These developments were among the key factors that ultimately led to the outbreak of the First World War.

Keywords:Bernhard von Bülow, political role.

المقدمة :

يعد برنهارد فون بولو من الشخصيات السياسية المهمة في التاريخ الالماني اواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين , شهدت هذه الفترة التوتر بالعلاقات بين القيصر وبسمارك والذي انتهت باقالة الاخير وشكلت نقطة تحول بالسياسة الاوروبية شغل بولو منصب المستشارية في فترة كانت حاسمة جداً في تاريخ المانيا السياسي اذ شهدت المانيا تغييرات اجتماعية واقتصادية وعسكرية سريعة تسعى الى تأكيد دور لنفسها في السياسة العالمية ووضع المانيا في مصاف الدول العظمى والتي أدت في النهاية الى اندلا ع الحرب العالمية الكبرى ...

قسمت بحثي هذا الى مبحثين ,تناولت في المبحث الاول حياته ومشاركته في الحرب البروسية الفرنسية ودوره في العمل السياسي وتعيينه وزيراً للخارجية , وبينت في المبحث الثاني تعيين بولو مستشاراً لالمانيا ودوره في السياسة العالمية ودوره في الازمة المغربية ١٩٠٥ واهم المشاكل التي ادت الى استقالته .

مشكلة البحث :

– هل استخدم بولو اسلوب دبلوماسي مع القيصر الالماني للوصول الى السلطة؟
– هل كان هناك دور لبولو في تحقيق اهداف القيصر بالسياسة العالمية الالمانية **Weltpolitik** ؟
– هل ادت التصرفات الغير مدروسة لبولو بتوتر العلاقة مع القيصر ؟

اهداف البحث :

دراسة طبيعة العلاقة مابين بولو والقيصر ومدى تأثيرها على رسم السياسة الخارجية في ظل التحولات التي شهدتها اوربا بعد استقالة بسمارك والتغيير في الستراتيجية الالمانية من التحالفات الدفاعية الى التوسع العالمي العسكري والتجاري , ويبين البحث دور الصداقات والعلاقات الشخصية في صياغة السياسة في البلد , وكيف تطور الفكر السياسي الالماني في مرحلة قبيل الحرب العالمية الاولى .

منهجية البحث :

استخدمت الباحثة منهج البحث التاريخي الذي يعتمد على تتبع الاحداث التاريخية وتحليلها في السياق الزمني للوصول الى رؤية موضوعية شاملة حول موضوع الدراسة.

المبحث الاول : نشأته ودوره في وزارة الخارجية

ولد فون بولو في ٣ آيار ١٨٤٩ في كلاين فلوتبيك بالقرب من هامبورغ في منزل جدته غرب ألتونا التي كانت في ذلك الوقت تابعة لدوقية هولشتاين التي كانت تحت السيادة الدنماركية وكان والده برنهارد إرنست فون بولو (١٨١٥-١٨٧٩) من عائلة ميسورة الحال , والدته لويز فيكتورينا من العائلات الاستقراطية وكان بولو الابن الاكبر وله سبعة اخوة نشأ بولو في مدينة فرانكفورت(١).

درس القانون في لوزان بسويسرا عام ١٨٦٧ , انضم الى جماعة الاخوان الموراڤيين عام ١٨٧٠ وهي الحركة التي كانت تقوم بأعمال تبشيرية في جميع انحاء أوروبا لنشر المسيحية أذ كان لهذه الحركة اثر في بناء شخصيته (٢).

مع اندلا ع الحرب الفرنسية البروسية في تموز ١٨٧٠ تطوع مع فوج الفرسان الملكي وهو فوج يحظى باحترام كبير وبعد انتهاء الحرب عام ١٨٧١ أخذ الملازم بولو اجازة من فوجه واكمل دراسة القانون في جامعة غرايفسفالد (٣) Greifswald وعمل في مجال القضاء والمجال الاداري لفترة وجيزة , وفي تشرين الثاني ١٨٧٣ ألتحق للعمل بوزارة الخارجية وكان والده يعمل وزيراً في تلك الفترة وحافظ على صداقته مع وأوتو فون بسمارك (٤) Otto von Bismarck (١٨١٥-١٨٩٨) ألامر الذي أفاد مسيرة ابنه المهنية (٥) .

بدأ بالعمل السياسي في عام ١٨٧٤ اذ شغل عدداً من المناصب الدبلوماسية , عمل سفيراً لألمانيا في روما بإيطاليا , وشغل منصب السكرتير الثاني في السفارة الالمانية في فيينا في عام ١٨٧٦ وتعرف على الزوجة المستقبلية ماريا بيكاديلي , وبعدها عمل بولو سكرتير ثاني في السفارة الالمانية في باريس الى عام ١٨٨٤ وكانت له علاقات اجتماعية مع كبار الساسة الفرنسيين (٦) .

العلاقة مع الملك وليم الثاني :

شهد عام ١٨٨٨ تولي الامبراطور وليم الثاني(٧) William II (١٨٥٩-١٩١٨) العرش الالماني كان رجلاً ذكياً ونشيطاً, وحينها بدأ التوتر والخلاف بين وليم وبسمارك على الرغم من اعجابه ببسمارك الا انه لم يرغب ان يحكم بسمارك حكماً مطلقاً وكان بسمارك قد بلغ سن الشيخوخة ومتمسكاً بآرائه الامر الذي ادى الى تزايد الخلافات بين الطرفين التي ادت الى الاصطدام بينهم وانتهز اعداء بسمارك الفرصة لتوسيع الخلاف بينهم الى ان حل موعد انتهاء معاهدة الضمان الالماني – الروسي (٨) عام ١٨٩٠ وكان بسمارك قد وعد القيصر الروسي بتجديدها رفض وليم الثاني ذلك ولم تجدد بالرغم من رغبة روسيا بذلك وحينها استقال بسمارك بطلب من وليم الثاني , وترجع اهمية عام ١٨٩٠ في التاريخ الاوربي عن انها تقطة تحول بالسياسة الاوروبية واعلن سولزبري (٩) Robert Salisbury (١٨٣٠-١٩٠٣) ان سقوط بسمارك مصيبة هائلة لان سياسة التحالفات التي اعتمدها بسمارك من اجل ضمان سلامة المانيا (١٠) لم تتماشى مع سياسة وليم «بناء مكان لالمانيا في البحار» فكانت انظاره نحو الدولة العثمانية والمستعمرات البريطانية والبحار وهي الاهم لدى وليم الثاني فقد كانت السفن هي ألعوبة القيصر المحببه الى نفسه (١١) .

تعيين فون بولو وزيراً للخارجية :

عين سكرتير لوزير الخارجية الالماني في حزيران ١٨٩٧ اثبت مهارته ثم بعد ذلك عينه وليم الثاني وزيراً للخارجية (١٢) في تشرين الاول ١٨٩٧ وكانت علاقته مع القيصر وليم جيدة أذ كان شقيق فون بولو «اودلف « يعمل المساعد الشخصي للقيصر من عام ١٨٩٠(١٣)، ولكن الذي لفت انتباه القيصر لمواهب فون بولو السياسية هو زميله فيليب يولنبرغ , حرص بولو على علاقته مع القيصر وكان القيصر من عادته ان يقوم بنزهة صباحية لوزير

خارجيته وكان القيصير يميل لزيارات فون بول وتناول الغداء معه وكان يغدق عليه الهدايا والتكريمات منها ترقيته الى رتبة كونت عام ١٨٩٩ وسرعان ما تم الاعتراف بان بولو كان من الشخصيات التي تؤثر على القيصر(١٤) .
في لقاء للقيصر مع بولو وافق بولو على اتباع الخطة التي رسمها تيربيتز (١٥) **Alfred Von Tirpitz** (١٨٤٩-١٩٣٠) لتحقيق مكانة عالمية لالمانيا (١٦) **Weltpolitik** والذي كان يهدف الى تحويل المانيا الى قوة عالمية من خلال توسع النفوذ السياسي والعسكري والاقتصادي والاستعماري و الابتعاد عن سياسة بسمارك والتي كانت تركز على الاستقرار الاوروبي والتحالفات الدفاعية, عمل بولو على ادارة السياسة الخارجية بما يتماشى مع هذه السياسة ومن الخطابات القصيرة لبولو فانه قال « نحن لانريد ان نضع احد في الظل لكننا ايضاً نطالب بمكاننا تحت الشمس « , وقد كتب يولنبرغ رسالة الى بولو عام ١٩٨٩ « لم يحقق احد منذ بسمارك نجاحاً مثلك»(١٧).

المبحث الثاني : مستشاريته ودوره في السياسة العالمية

دور بولو في السياسة العالمية **Weltpolitik** :

لم تكن هناك اعادة تنظيم كبيرة للموظفين في وزارة الخارجية في اعقاب تعيين بولو وزيراً لها وحافظ على علاقته الجيدة مع القيصر , ولم يواجه اي معارضة من داخل الوزارة على الرغم من ان صديقه يولنبرغ اخبره بذلك , واختار بولو وكيل وزير الخارجية الجديد ووقع اختياره على أوزوالد فون ريشتهوفن (١٨) **Oswald von Richthofen** (١٩٠٠-١٩٠٦) بتوصية من صديق بولو هربرت بسمارك **Herbert von Bismarck** وشقيق بوبو ألفريد وكتب ألفريد لبولو « ان ريشتهوفن اعتز بذكرى والدنا على مر السنين وانه سيكون وزير دولة مناصب اذا اصبح بولو مستشار للدولة الالمانية « , وقال بولو لريشتهوفن في تموز ١٨٩٩ « لن اسمح لك دائماً بالتحدث بحرية بل اطلب منك ان تخبرني برأيك دائماً دون تحفظ وكن على ثقة اني لاأسيء فهم الصدق ابدأ بل اضعه فوق كل الصفات الاخرى « اصبح ريشتهوفن احد اقرب مستشاري بولو وحظي على ثقته لسنوات عديدة حتى وفاته في عام ١٩٠٦ , أثبت بولو بانه وزير دولة يتمتع بشعبية كبيرة بين مسؤولي وزارة الخارجية وان اسلوبه لطيف في القيادة ونزاهته كرئيس, كان بولو يحافظ على الاتصال المباشر بينه وبين الدبلوماسيين ولايحب ان يرى رؤوساء البعثات يلجأون الى اي شخص اخر غيره ماعدا وكيل الوزير (١٩).
اهتم بولو بالقوات البحرية الالمانية والاهتمام بشرق اسيا (٢٠)، وساهم التناوب السريع لمجموعات القوى الأوروبية في صالح سياسة بولو، لاسيما العداء بين بريطانيا روسيا وسعت المانيا للحصول على مستعمرات واستغلت حادثة مقتل اثنين من المبشرين الالمان في اقليم شانتونغ على يد الصينين وارسلت الصين قوة عسكرية بحرية واحتلت ميناء كياوتشو الواقع جنوب جزيرة شاندونغ واستغرق احتلال خليج كياتشاو تخطيطاً سياسياً وعسكرياً طويل الامد وتم تحقيقه بتواطؤ دبلوماسي من روسيا التي كانت لها مصالح عسكرية مهمة في شمال منشوريا وشجعت الكنيسة الكاثوليكية والبعثات الدينية للصين هذا الاحتلال متمثلة بالاسقف جوهانس بابتيز أنزر **Johannes Baptise Anzer** (١٨٥١-١٩٠٣) والذي ساهم بصفته مستشار للقيصر تسهيل المهمة , وارسل بولو الى القيصر قائلاً « هاجم الصينيون البعثات الالمانية في شانتونغ ملحقين خسائر بالارواح والممتلكات ,آمل ان توافق على ارسالي قوة بحرية المانية الى كياتشاو لانه الميناء الوحيد المتاح للعمل..» واعطت القيادة العسكرية الالمانية ٤٨ ساعة للقوات الصينية لمغادرة المنطقة والتي احتلتها قوة عسكرية مكونة من حوالي ١٢٠٠ رجل من البحرية بقيادة أوتو فون ديريريش **Otto Von Diederichs** (١٨٤٣-١٩١٨) وتم توقيع اتفاقية بين الصين والمانيا في ٦آذار ١٨٩٨ واصبحت اراضي كياوشاو تابعة لالمانيا لمدة ٩٩ عام (٢١) .
كتب القيصر الالماني وليام الى بولو قائلاً : « لقد وصلنا الى نقطة تحول فيما يتعلق بهيبتنا ونفوذنا وآمالنا في تطوير التجارة وتتجه الينا جميع الانظار من الآسيويين والاوروبين ويتسائل الجميع : هل سنتحمل هذا ام لا»(٢٢) .

تعيين بولو مستشار للدولة الالمانية :

عقب استقالة شلودفيج من منصبه في ١٦ تشرين الاول ١٩٠٠ لم يتأخر وليم الثاني في اختيار سلفه ووقع اختياره على برنهارد فون بولو وزير خارجيته وتم تنصيبه في ١٧تشرين الاول ١٩٠٠ وكانت وجهات نظره تتوافق مع سياسة وليم الثاني الاستعمارية والتوسع الخارجي وبناء اسطول بحري قوي , ونصح يولنبرغ بولو واتضح ذلك من خلال الرسالة التي بعثها اليه قبل تسلمه المنصب ببضعة ايام وجاء فيها : « أن وليم الثاني يحب ان يأخذ كل شي ويتخذ القرار بنفسه ويحب ان يعلم الاخرين ولكنه لايحب ان يعلمه احد ويكره الملل ولايتحمل الاغبياء» (٢٣) .

بدأت العلاقات تتوطد مابين المانيا والدولة العثمانية بعد زيارات القيصر وليم الثاني للدولة العثمانية أذ تم منح المانيا عدداً من الامتيازات داخل الدولة العثمانية منها خط حديد بغداد – برلين (٢٤) وفي عام ١٩٠٣ منحت الحكومة العثمانية امتيازاً لدويتشه بنك لبناء خط سكة حديد يمتد الى الخليج العربي (٢٥) عمل بولو على اقناع الرايخستاغ (البرلمان الالماني) بتمويل المشروع والدفاع عنه في خطابه امام الرايخستاغ واعلن عن السعي وراء « مكان تحت الشمس»(٢٦) .

مهدت قوانين بناء السفن الحربية الالمانية لعامي ١٨٩٨و١٩٠٠ لسباق التسلح البحري الانكلو– ألماني , وتمت عملية بناء البحرية الالمانية بشكل ممنهج وبعناية ودعم من القيصر وبولو وتيربيتز وادرج الالمان بناء انواع من الطرادات الحربية «دريدنوت» ضمن برنامج قانون البحرية لعام ١٩٠٦ بمعدل بناء سنوي قدره ثلاث سفن كبيرة ثم انتلقوا الى معدل اربع سفن حربية على مدى الاربع سنوات التالية في قانون البحرية لعام ١٩٠٨(٢٧) .

كانت سياسة بولو متقلبة وانتهازية وهدفه هو الاستحواذ على مستعمرات وزيادة التجارة العالمية لالمانيا واتفاق الوفاق الودي بين بريطانيا وفرنسا (٢٨)عام ١٩٠٤سبب عزلة دبلوماسية لالمانيا بعد عام ١٩٠٥ فقد القيصر ثقته ب بولو بسبب فشل معاهدة بيوركو في ٢٤ تموز ١٩٠٥ التقى القيصر الروسي نيكولاس الثاني مع القيصر الالماني ووقعا المعاهدة وهي معاهدة دفاعية سرية بين الجانبين كان قد وضعها مع مستشار المانيا بولو ولكن القيصر اضاف لها ملحق نص على ان تكون الاتفاقية سارية المفعول داخل اوربا فقط ولذلك لم توافق حكومة روسيا على ذلك بسبب التحالف الروسي الفرنسي السابق ولم يتم استشارة رئيس الوزراء الروسي ولاوزير الخارجية واصرا ان لاتدخل المعاهدة حيز التنفيذ الا بعد موافقة فرنسا, ورفض بولو التعديل على الاتفاقية لانه رأى ضرورة دعم روسيا لالمانيا في الهند ضد الوجود البريطاني لكن القيصر رأى ان ذلك سيجر المانيا الى حرب عقيمة في تلك المنطقة على حساب مقف المانيا في اوربا ,وسقطت المعاهدة وفقد معها القيصر أمله الذي طال انتظاره في انشاء تحالف قاري بقيادة المانيا وفقد ثقته ببولو (٢٩)، وايضاً هزيمته في الانتخابات البرلمانية بسبب الاصلاح المالي مما ادى الى تدهور العلاقة مابين بولو والقيصر(٣٠).

وعلى اثر انعقاد الوفاق الودي مابين فرنسا وبريطانيا وصل القيصر الالماني وليام في ٣١آذار ١٩٠٥ الى طنجة واعلن دعمه لاستقلال المغرب من السيطرة الفرنسية باعتبارها مستعمرة فرنسية وبدعم من بريطانيا حليفة فرنسا , ونتيجة للتوترات السياسية تم انعقاد مؤتمر الجزيرة الخضراء في كانون الثاني في اسبانيا (٣١). حضر المؤتمر ١٣ دولة منها(بريطانيا والمانيا والولايات المتحدة واسبانيا والنمسا والمغرب ....) حصلت المغرب على استقلالها ولكن وضعت فرنسا يدها على الادارة , وان المؤتمر لم يحل الازمة المغربية لكنه حل الازمة التي نشأت بين المانيا وفرنسا بعد الاتفاق الودي (٣٢).

ارسل بولو رسالة الى القيصر واكد فيها على الاهمية الكبرى لزيارة فيينا في ظل العزلة السياسية لالمانيا وانه اتفق مع تشيرشكي على ان علاقة المانيا مع النمسا اصبحت اكثر اهمية لانها الحليف الوحيد الموثوق به وانه يجب ان نجعل عزلتنا السياسية اقل وضوحاً للنمساوويين انطباعاً بانهم يثقون بانفسهم مهما حدث (٣٣).

في عام ١٩٠٦ –١٩٠٧ وقعت سلسلة من الفضائح عرفت بقضية هاردن – يولنبرغ وان جوهر القضية يعود الى

ان يولنبرغ وبولو كانا ضد آراء فريدريش فون هولشتاين وزير خارجية المانيا الذي كان قد غضب من فشل مؤتمر الجزيرة الخضراء اذ تظاهر بالاستقالة وثم فوجيء بموافقة القيصر عليها بناءً على طلب يولنبرغ وسعى هولشتاين للانتقام وتحدى يولنبرغ في مبارزة رفضها الاخير واتجه الى التشهير الاجتماعي من خلال وسائل الاعلام , بدأ بتشجيع الصحفي ماكسيميليان هاردن على نشر مقالات في صحيفة «دي زوكونفت» حول مايسمى بـ»مائدة لينبرغ المستديرة» وهي طائفة من المثليين جنسياً سيطرت على القيصر وبلاطه على الرغم من عدم صحة ذلك الا ان هذه اثرت على القيصر وحكمه (٣٤) .

تزايدت الشائعات حول تواطؤ بولو مع قضية يولنبرغ اذ لم يفعل بولو شيئاً لتوعية القيصر بشأن هذه الادعاءات وحتى انه رفض ابلاغ القيصر عندما سأله ولي العهد وان القيصر كان مستاءً بشكل لسماعه اخبار اصدقائه من ابنه , ودافع بولو عن نفسه ضد الاتهامات الموجهة له في الرايسخستاغ في تشرين الثاني ١٩٠٧وأكد انه لايوجد يذهب الى القر بشأن هذه الامور دون ادله ملموسة , وان القيصر كان منزعجاً من بولو وحاول الاخير اقناع يولنبرغ بتبرئة شرفه من خلال المحاكم القانونية (٣٥).

أجرى القيصر وليام الثاني مقابلة مع الكولونيل ستيوارت وورتلي **Colonel Stuart-Wortley** الذي نشرها بصحيفة التلغراف (٣٦) في تشرين الاول ١٩٠٨ والهدف الرئيسي للمقابلة هو توضيح السياسة الخارجية الالمانية وتحسين العلاقات مع بريطانيا و وخلال المقابلة اعرب وليام عن اعجابه بالامبراطورية البريطانية ولكن تصريحاته حول طموحات المانيا وحاجتها للاسطول البحري القوي اثار قلل المسؤولين البريطانيين وزادت من التعقيدات السياسية التي سبقت الحرب العالمية الاولى (٣٧) .

حصل القيصر عل وثيقة المقابلة من مستشاره بولو ومن المفترض انه كان قد راجع الوثيقة بحثاً عن التعليقات الغير لائقة , وبسبب انشغال بولو فأنه حول الوثيقة الى مكتب المستشار في القسم السياسي رينهولد كليميت وان الاخير كان يظن ان القيصر يريد نشر الوثيقة مثل ما هي وحررها شكلياً واعاد الوثيقة الى بولو وارسلها الى ستيوارت كما هي وتم نشرها في ٨ تشرين الاول ١٩٠٨ , وهذه القضية التي ادت الى استقالة فون بولو في ٢٦ حزيران ١٩٠٩ وحل محله ثيوبالد فون بيثمان هولويج **Theobald von Bethmann-Holweg** وظل القيصر بعيداً عن الاعلام لاشهر عديدة (٣٨) .

الخاتمة :

تبين ان العلاقة مابين القيصر وبرنهارد فون بولو كانت اكثر من مجرد علاقة بين ملك ورئيس وزراء بل شكلت احدى الركائز الاساسية التي قامت عليها توجهات السياسة العالمية الالمانية والتي اتسمت بالثقة والتقارب الشخصي وتمكن بولو من المشاركة في صنع القرار لاسيما بالسعي لبناء امبراطورية بحرية ومستعمرات خارج اوربا ولذلك حرص بولو على الحفاظ على صداقته مع القيصر وسخر جميع طاقته لتجنب الصدام مع وليام .

السياسة العالمية **Weltpolitik** لم تكن مجرد توجه عام في السياسة الخارجية الالمانية بل كانت مشروع عملي قاده تيربيتز من الناحية العسكرية وتبناه بولو من الناحية الاداريو والسياسية ومن خلال تعاونهم الوثيق تحولت المانيا الى قوة تسعى للمنافسة العسكرية على مستوى العالم مما ادى الى توترات دولية ساهمت في النهاية الى اندلا ع الحرب العالمية الكبرى .

التدخل العسكري في الاراضي الصينية حقق للالمان الهدف المتمثل بوجود عسكري مستقر في اسيا على غرار القوى الاستعمارية الاوروبية الاخرى , وايضاً ان الاتفاق الودي بين بريطانيا وفرنسا يعتبر فشل استخباراتي ودبلوماسي لالمانيا .

الهوامش:

(١) **Peter Winzen , Reichskanzler Bernhard Von Bülow Mit Wltmachtphantasien**

.٧.p , ٢٠١٣ , in den Ersten Weltkrieg , Verlag Friedrich Pustet

(٢) Gerd Fesser , Reichskanzler Bernhard Fürst Bülow eine Biographie , Deutscher Verlag der Wissenschaften , ١٩٩١ , p.٢٩.

(٣) جامعة غرايفسفالد : هي جامعة المانية تقع شمال شرق المانيا تأسست عام ١٤٥٦ .

(٤) بسمارك : سياسي الماني ولد في شونهاوزن ببروسيا , أشرف على توحيد الولايات الالمانية وتأسيس الامبراطورية الالمانية او مايسمى ب» الرايخ الالماني الثاني « وأصبح اول مستشار لألمانيا في ٢١ اذار ١٨٧١ الى ان قدم استقالته بإصرار من وليم عام ١٨٩٠. للمزيد من المعلومات ينظر : Sulaiman Shafiq Tawfeeq , Otto Von Bismarck and German Politics (1862–1898) , Master Thesis , Graduate School of Educational Sciences – Near East University ,2020 ;Jonathan Steinberg , Bismarck A Life , Oxford University Press , New York , 2011.

(٥) Bernhard Fürst Von Bülow , Denkwürdigkeiten , Bd. IV (Jugend and Diplomatenjahre) , Berlin, ١٩٣١ , p.٢٩.

(٦) Peter Winzen , Op.Cit , P ٥٥ .

(٧) وليم الثاني : ولد فريدريك وليم في ٢٧ كانون الثاني ١٨٥٩ في القصر الملكي في برلين وهو اكبر ابناء الامبراطور فريدريك الثالث والاميرة فيكتوريا اديلايد و وكان يدعى ويلي , عينه جده نائب الامبراطور في ٢٧ تشرين الثاني ١٨٨٧ , وتم تنصيبه ولياً للعهد في آذار ١٨٨٨ , وبعد وفاة والده تم تنصيبه امبراطور في ١٥ حزيران ١٨٨٨ وكان يبلغ من العمر ٢٩ عاماً , وسمي عام ١٨٨٨ عام الاباطرة الثلاث . للمزيد من المعلومات انظر : شذى عبدالله علي , الامبراطور وليم الثاني ودوره السياسي في المانيا (١٨٥٩–١٩١٨) , رسالة ماجستير غير منشورة , كلية الآداب – الجامعة العراقية , ٢٠٢٠ .

(٨) معاهدة الضمان الالماني الروسي : وقعها بسمارك مع روسيا في ١٨ تموز ١٨٨٧ بشكل معاهدة سرية إذ وعدت كل من المانيا وروسيا الاخرى وعداً متبادلاً بالاحتفاظ بالحياد في حالة نشوب حرب مع دولة عظمى اذا كانت هذه الدول هي النمسا والمجر او فرنسا . ينظر : جلال يحيى , التاريخ الاوروبي الحديث والمعاصر حتى الحرب العالمية الاولى , ج٢ , المكتب الجامعي الحديث , الاسكندرية , د.ت , ص ٤٨٠.

(٩) سولزبري : سياسي بريطاني ولد في انكلترا من عائلة ارستقراطية ذات نفوذ سياسي, تلقى تعليمه في جامعة اكسفورد , شغل منصب رئيس وزراء بريطانيا ثلاث مرات , في مجال السياسة الداخلية سن قانون الاصلاح الزراعي , كان له دور مهم في مؤتمر برلين ١٨٧٨ , وسياسته الخارجية حافظ على سياسة بريطانيا الاستعمارية لاسيما في افريقيا مما ادى الى اندلا ع حرب البوير في جنوب افريقيا , استقال عام ١٩٠٢ بسبب مشاكل صحية توفي عام ١٩٠٣ . للمزيد من المعلومات , ينظر : منير عبود جديع , روبرت سالزبيري ودوره في سياسة بريطانيا الخارجية (١٨٩٥–١٩٠٣) , اطروحة دكتوراه غير منشورة , كلية التربية – جامعة بغداد , ٢٠١٢ .

(١٠) عمر عبد العزيز عمر ومحمد علي القوزي , تاريخ اوربا الحديث والمعاصر ١٨١٥–١٩٥٠ ط١ , دار النهضة العربية للطباعة والنشر , بيروت , ١٩٩٩ , ص ٢٣٥ .

(١١) هـ. أ. ل. فشر , تاريخ اوربا في العصر الحديث (١٧٨٩–١٩٥٠) و ترجمة : احمد نجيب هاشم ووديع الضبع , دار المعارف , ط٩ , ص ٤٠٥ .

(١٢) Kathy lerman , Kaiser Wilhelm II New Interpretations , Cambridge University Press , ٢٠٠٥ , p.٢٢١.

(١٣) Katharian Anne Lerman , The Chancellor as Courtier Bernhard von Bülow and the Governance of Germany ١٩٠٠–١٩٠٩ , Cambridge University Press , NewYork , P.٣١.

(١٤) John C.G.Röhl & Nicolaus Sombart , Kaiser Wilhelm II New Interpretations , Cambridge University Press , London , , ١٩٨٢ , P.٢٢٨.

(١٥) تيربيتز : ولد في ١٩ آذار ١٨٤٩ من عائلة بروسية والده قاضياً , التحق بالبحرية البروسية عام ١٨٦٥ كضابط بحري , وشارك في الحرب الفرنسية البروسية , عين سكرتير للدولة في وزارة البحرية عام ١٨٩٧ قاد عملية تحويل البحرية الالمانية الى اسطول قوي ينافس البحرية البريطانية , توفي عام ١٩٣٠ . ينظر : Frank N. Magill , The ٢٠th Century O–Z Dictionary of World Biography , Taylor&Francis , ٢٠١٣ , P.٣٦٨٨.

(١٦) السياسة الالمانية هي ستراتيجية اتبعتها المانيا اواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين في عهد القيصر وليام الثاني الذي كان يهدف الى توسيع نفوذ المانيا خارج اوربا . وللمزيد من المعلومات عن اهم القوانيين والخطط انظر : , Patrick J.Kelly , Tirpitz and the Imperial German Navy , Indiana University Press , ٢٠١١.

(١٧) Katharian Anne Lerman , Op.Cit , P ٣٢.

(١٨) ريشتهوفن : هو دبلوماسي الماني ولد عام ١٨٤٧ , شغل منصب وكيل وزير الخارجية عام ١٨٩٧ , ووزير الخارجية عام ١٩٠٠ . للمزيد من المعلومات ينظر : https://www.deutsche-biographie.de/pnd١١٦٥٣٠٢٠٠ html?language=en&utm.com.

(١٩) Katharian Anne Lerman , Op.Cit , P ٣٥.

(٢٠) Hugh Stretton , The Political Sciences General Principles of Selection in Social Science and History, Taylor & Francis , ٢٠١٣ , p.٧٧ .

(٢١) Orazio Coco , German Imperialism in China: The Leasehold of Kiaochow Bay (١٨٩٧-١٩١٤٠) Chinese Historical Review- The University of Hong Kong , DOI :, ١٠,١٠٨٠/١٥٤٧٤٠٢X.٢٠٢٠,١٧٥٠٢٣١, P.١-٢.

(٢٢) Orazio Coco, Op.Cit , P ٣. .

(٢٣) شذى عبدالله علي , المصدر السابق , ص ١٠٥-١٠٦.

(٢٤) فاطمة علي عبدالله العواد , تطور العلاقات العثمانية – الالمانية (١٨٨٣-١٩١٨م \ ١٣٠١-١٣٣٦هـ) , مجلة قطاع الدراسات الانسانية , مج ٣٣ , العدد١, حزيران ٢٠٢٤ , ص ١٣١٧.

(٢٥) Valerie H. Atwood , The Baghdad Railway , Report Presented to the Faculty of the Graduate School of the University of Texas at Austin in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of Master of Arts The University of Texas , 2013, P.18.

(٢٦) Steven Press, Buying Sovereignty: German "Weltpolitik" and Private Enterprise, 1884–1914, Published online by Cambridge University Press: 01 April 2022.

(٢٧) Dirk Bönker, Naval Race between Germany and Great Britain, 1898–1912 ., 2015

(٢٨) الوفاق الودي : بعد التحالف البريطاني الياباني عام ١٩٠٢ وانتصار اليابان في حربها مع روسيا واتضح لفرنسا ضعف روسيا رأت فرنسا انها بحاجة الى تحالف قوي وايضاً بدأت بريطانيا تخشى قوة المانيا البحرية
ان مصلحتها هي الاتفاق مع فرنسا وتصفية المشاكل بينهم للأطلاع عن اهم مانص عليه الاتفاق , ينظر : شوقي الجمل وعبدالله عبدالرزاق , تاريخ اوروبا , المكتب المصري لتوزيع المطبوعات , القاهرة , ٢٠٠٠, ص ٢٢٥.

(٢٩) John C.G.RÖHL ; Wilhelm II Into the Abyss of War and Exile١٩٠٠-١٩٤١ , Cambridge University Press , New York , ٢٠٠٨ , P.٣٥٤.

(٣٠) Kathy lerman , Op.Cit , p. 222 .

(٣١) John C.G.RÖHL , Op.Cit ,P.329.

(٣٢) فرنان بسمة وجودي مروة , الادارة الدولية في طنجة , رسالة ماجستير غير منشورة , كلية العلوم الانسانية والاجتماعية – جامعة ٨ ماي ١٩٤٥ قالمة , ٢٠٢٣ , ص ٣٨-٣٩.

(٣٣) John C.G.RÖHL , Op.Cit ,P.440.

(٣٤) Jonthan Spangler , Eulenbueg and Bülow Prince : two scandals that Shook the Prussian Court , Germany , 12April 2025 https://dukesandprinces.org/2025/04/12/eulenburg-and-bulow-princes-two-scandals-that-shook-/the-prussian-court

(٣٥) Katharian Anne Lerman , Op.Cit , P.197.

(٣٦) بصحيفة التلغراف : هي صحيفة يومية تصدر في لندن , تأسست عام ١٨٥٥ بأسم صحيفة ديلي تلغراف آندكورير , واعاد سسميتها إدوارد ليفي لوسون الى ديلي تلغراف . للمزيد من المعلومات ينظر : في ٧آيار ٢٠٢٥ https://www.britannica.com/topic/The-Daily-Telegraph

(٣٧) David Stevenson , Armaments and the Coming of War Europe 19041914 , Clarendon Press , 1996 , P.167.

(٣٨) Peter Winzen , Das Kaiserreich am Abgrund : Die Daily-Telegraph Affare und das Hale Interview VON 1908 , Franz Steiner Verlag , 2002 , 1-٢.

فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية العدد(٨)
السنة الثالثة صفر الخير ١٤٤٦هـ آب ٢٠٢٥م

الصورة الحسية في شعر المرأة العباسية

م.د. هبة محمد سلمان الجميلي
الجامعة المستنصرية/ كلية الآداب

المستخلص:
تناولت الدراسة مصادر الصورة الحسية الشعرية عند شاعرات العصر العباسي، مركزة على تميزهن في استلهام الصور الشعرية من بيئاتهن الاجتماعية والثقافية. وقد أظهرت الدراسة أن الصور الشعرية لدى الشاعرات تنوعت بين البصرية، الذوقية، الشمية، واللمسية، مما أضفى على أشعارهن جمالًا وحيوية. كما تأثرت الصور الشعرية بالخلفيات الثقافية والدينية للشاعرات، حيث انعكست الفطنة والالتزام الديني والرقة على تعبيراتهن الشعرية.
أوضحت الدراسة أن الشاعرات لجأن إلى تشبيهات مستمدة من الطبيعة والحياة اليومية، مما جعل أشعارهن قريبة من الواقع وبعيدة عن التعقيد. كما أكدت على أهمية الخيال والإبداع في تشكيل الصور الشعرية، حيث يُعد الخيال المحرك الأساسي للإبداع الأدبي.
خلصت الدراسة إلى أن شاعرات العصر العباسي تميزن بقدرة فريدة على التعبير عن مشاعرهن وأفكارهن بطرق مبتكرة ومؤثرة، عبر استلهام صور شعرية نابضة بالحياة تعكس بيئتهن وثقافتهن وتجاربهن الشخصية.
الكلمات المفتاحية:الصورة الشعرية، الحسية، الشاعرات،العباسيات.

Abstract:
The study addressed the sources of sensory poetic imagery among female poets of the Abbasid era, focusing on their uniqueness in deriving poetic imagery from their social and cultural environments. The study showed that the poetic images among the female poets varied between visual, gustatory, olfactory, and tactile, which added beauty and vitality to their poetry. The poetic imagery was also influenced by the cultural and religious backgrounds of the poets, where intelligence, religious commitment, and tenderness were reflected in their poetic expressions. The study clarified that the poets resorted to similes derived from nature and daily life, making their poetry relatable and straightforward. It also emphasized the importance of imagination and creativity in shaping poetic imagery, as imagination is considered the primary driving force behind literary creativity. The study concluded that female poets of the Abbasid era distinguished themselves with a unique ability to express their feelings and ideas in innovative and impactful ways, through drawing vibrant poetic images that reflect their environment, culture, and personal experiences.
Keywords:poetic imagery, sensory, female poets, Abbasid.

الفصل الأول:

مشكلة البحث: تتلخص مشكلة البحث بالسؤال التالي: ماهي مصادر الصورة الحسية في شعر المرأة العباسية؟
هدف البحث: استقصاء وبيان مصادر الصورة الحسية في شعر المرأة العباسية.
اهمية البحث: تسليط الضوء على موضوع الصور الحسية عند شاعرات العصر العباسي .

حدود البحث: النصوص الشعرية ذات الدلالة الحسية لشاعرات العصر العباسي.

الصورة لغة:

جاء في لسان العرب لابن منظور في مادة (ص.و.ر) أن «الصورة» تعني الشكل، وجمعها «صور». يُقال «صوّره فتَصوّر» وتصورت الشيء» بمعنى تخيلت شكله، و»التصاوير» تعني التماثيل. وذكر ابن الأثير أن «الصورة» تُستخدم في اللغة العربية بمعناها الظاهر، وكذلك لتعني حقيقة الشيء وهيئته أو صفته. يُقال: «صورة الفعل كذا وكذا» أي هيئته، و»صورة كذا وكذا» أي صفته(١).

اما التصور فهو (عملية مرور الفكر بالصورة الطبيعية التي سبق أن شاهدها وتأثر بها، ثم قام بتخزينها في ذاكرته ليستعرضها لاحقًا)(٢).

فيما إن معنى التصوير هو (عملية إبراز الصورة إلى الواقع بشكل إبداعي، حيث يكون التصوُّر عملية عقلية، بينما التصوير يتعلق بالشكل. التصوُّر يمثل العلاقة بين الصورة والتصوير، وأداته هي الفكر فقط، في حين أن التصوير يعتمد على الفكر واللغة واللسان)(٣).

أما في القرآن الكريم ليس فالصورة ليست مجرد تصوير سطحي، بل هي تصوير متكامل. فهي (تتضمن التصوير بالألوان والحركة والتخييل، وأيضاً بالنغمة التي تلعب دور اللون في التمثيل. وغالباً ما يتداخل الوصف والحوار وجرس الكلمات ونغم العبارات وموسيقى السياق لتشكيل صورة متكاملة)(٤).

اصطلاحاً:

تتباين رؤى الصورة وتختلف باختلاف نظرة النقاد، وقد برزت مسميات عدة مثل الصورة الأدبية، والصورة التشكيلية، والصورة البيانية. ومع ذلك، تجتمع هذه الرؤى في قدرتها على التأثير في المتلقي وجذب انتباهه؛ فالصورة عنصر أساسي في أي عمل إبداعي، وهي مقياس يميز الأعمال الأدبية والشعراء. تحمل الصورة في طياتها معاني متعددة، فهي توليفة من الحركة والظلال والألوان والأفكار والمشاعر. وقد وصف شوقي ضيف الصورة بأنها (من إنتاج مبدع يتمكن من دمج الخطوط والألوان والإضاءة والظلال في تناغم وانسجام)(٥).

الصورة الفنية، رحلةٌ متكاملة، ترتكز على التشبيه والاستعارة، وشتى زخارف البيان، لتجلية المعنى وإيضاحه للمتلقي. بذلك، تترك هذه الصورة أثرًا عميقًا في نفس المستقبِل، وترتبط هذه الصورة ارتباطًا وثيقًا بالخيال، وسعته اللامتناهية. في هذا الفضاء الرحب، يستطيع الشاعر أو الكاتب أن يزخرف، يقرب، يبعد، ويطلق العنان لخياله الفسيح.

فالصورة الفنية فهي (ابنة للخيال الشعري الممتاز الذي يتكون من قوى داخلية تفوق العناصر وتنشر المواد ثم تعيد ترتيبها لتصبها في قالب خاص لخلق فن جديد متحد ومنسجم)(٦). أما جابر عصفور فيعتبر الصورة طريقة خاصة للتعبير أو وجهًا من أوجه الدلالة، وهي وسيلة تحدد الدلالة وتبينها.

الصورة الفنية ليست مجرد تصوير للواقع كما هو، أو سرد له بشكل مباشر. بل هي انعكاس لوضع نفسي يمر به الكاتب، ثم يُنقَل هذا الإحساس إلى القارئ. الهدف هو أن يعيش القارئ هذه الحالة، ويستوعبها بكل تفاصيلها، لكي يفهم المعنى الذي يريده الكاتب حقًا. إذ إن (مفردات الصورة وعناصرها تشتمل اللفظ الذي يتناسب مع الغرض والعاطفة، النظم والتأليف بين الأجزاء، والعاطفة. وعناصر الصورة تشمل الحجم، الموقع، الشكل، اللون، الطعم، الحركة، والرائحة)(٧).

الفصل الثاني:

مصادر الصور الشعرية:

تتنوع مناهل الصورة الشعرية لدى الأدباء، وهذا نابع من تباين المشارب الثقافية والوضع الوجداني الذي يمر به الشاعر، بالإضافة إلى اختلاف طبيعة الأهداف الشعرية التي يسعون لتحقيقها. فعلى سبيل المثال، تتفاوت

صور شعراء المدن عنها لدى شعراء الصحراء، بسبب اختلاف البيئة والثقافة ومصادر المعرفة، وتتباين تطلعاتهم وملاحظاتهم وأساليب حياتهم الاجتماعية وما يتضمن ذلك من عادات وتقاليد وأخلاق تؤثر في كل منهم. وكذلك تتفاوت سمات تلك الصور بحسب الأزمنة وخصائص كل حقبة عن غيرها، و في هذه الدراسة سنتناول مصادر الصورة عند شاعرات العصر العباسي ومدى تميز مصادر صورهن عن مصادر صور الشعراء الذكور.

فالصور الشعرية الإبداعية الفريدة تستلزم مخيلة فسيحة، قادرة على استيعاب الأشياء والجماليات المحيطة بها، وتقديرها، واستخدامها ببراعة في تعبيراتها الشعرية. وقد تجلت معالم هذه الموارد في شعر الشاعرات العباسيات بناءً على اختلاف مصادر ثقافتهن، وعاداتهن، وتقاليدهن، وما يثيره خيال كل شاعرة. فمنهن من بلغت منزلة عالية من الثقافة، والفطنة، والبراعة، ومنهن من تميزت بالخُلق الحسن، والالتزام الديني الراسخ، ومنهن من اشتهرت بالرقة، والعذوبة، وسرعة البديهة. فلكل واحدة منهن إدراكاتها وعالمها الذي تستمد منه كلماتها، وأبياتها الشعرية، وصورها التي تعرضها. فقد كتبن في معظم مجالات الشعر من حب وزهد ورثاء وعتاب، في كلمات تعبر عنهن، وتقدم تعريفًا لشخصية كل شاعرة، وما تتصف به من أحوال.

إذ إن الصورة الفنية هي التي تترجم أحاسيس الشاعر ومشاعره وتجسد تصوراته للأشياء المحيطة به، (فالشاعر يلجأ إلى الصور التي تجسم المعاني، وتنقلها إلى درجة أرقى لتزداد قوة وجمالًا)(٨)، وبما أن الصورة الفنية تشكل جوهر الشعر، فإن العناية بها ومصادر إلهامها تظل ضرورية لتحقيق هذا الإبداع والتميز.

تنوعت مصادر الشاعرات العباسيات باختلاف واقع المواقف التي أنشئت فيها الأشعار أو المقطعات الشعرية القصيرة. فكانت الشاعرة العباسية تستلهم صورها الشعرية من بيئتها، حيث ترى ما يجذبها ويستوحي انتباهها، وما تحبه نفسها، أو ما تحمله من ثقافة وعلوم ومعارف، وما كسبته من مجتمعها من أخلاق وعادات وتقاليد وتراث وحضارة.

فعلى سبيل المثال الشاعرة عَلية بنت المهدي، وهي من أبدع النساء وألطفهن في صياغة الشعر الرصين. فقد أبدعت في نظم الغزل، وتبادلت القصائد مع من تحب، كما نظمت الكثير من الشعر في الهجاء واللوم، مستوحية مفرداتها وصورها الشعرية من مصادر مختلفة، كما في قولها(٩):

جَاءَنِي عَاذِلي بِوَجْهٍ مُشيح ... لامَ في حُبّ ذَاتِ وَجْهٍ مَليح
قُلْتُ واللهِ لَا أَطَعْتُكَ فِيْها ... هِيَ رُوحِي فَكَيْفَ أَتْرُكُ رُوحِي
ظَبْيَةٌ تَسْكُنُ القِبابَ وَتَرْعَى ... مَرتعَاً غَيْرَ ذِي أَرَاكٍ وَشِيح

تعبر الشاعرة عن ضيقها من العاذلين والنمامين بوجوههم العابسة ولومهم لحبها لمعشوقها، صاحب الوجه المشرق. ترفض تصديق أقوالهم، معتبرة محبوبها روحها التي تملأ حياتها. شبهت نفسها بظبية تعيش في ذرى القصور وتتغذى على نباتات لذيذة، بعيدة عن الأراك والشيح، إذ جعلت من حبها غذاءً لروحها، وميزت عشقها عن قصص الحب المعتادة. استوحت صورها من البيئة المحيطة، فجاءت نابضة بالحياة، تعكس ما تراه في طبيعتها الخلّابة.

وعندما انكشف أمرها وعُرف من علية أنها تلمح إلى رشأ بحلية قالت(١٠):

القلب مشتاق إلى ريبِ ... يا ربّ ما هذا من العيب
قد تيمت قلبي فلم أستطع ... إلاّ البُكا يا عالم الغيب
خَبأت في شعري اسم الذي ... أردته كالخبء في الجيبِ

تعكس هذه الأبيات شوق الشاعرة وحنينها لحبيبها (رشأ)، الذي تخفي اسمه مراعاة للتقاليد. تبرر تعبيرها عن مشاعرها بأنه لا يخالف العيب وتلجأ بالدعاء والبكاء لربها لتخفيف ألم الحب. تسعى جاهدة لستر اسم المحبوب في شعرها، كما أشارت بتشبيهه بـ «الخبء في الجيبِ» للإشارة إلى سرية مشاعرها. يتضح من مفرداتها تأثرها

ببيئتها الاجتماعية والقيم والتقاليد التي تشاركها مع غيرها من النساء الشاعرات، وقد عبّرت الشاعرة علية بنت المهدي عبر غنائها وهي تصف الخمر، وتتغنى في ذلك الغناء واللحن عن مشاعرها بقولها(١١):

الشأن في التّصابي واللهو والشرابِ
مِنْ قهوة شمولٍ في الكأس كالشّهابِ

لجأت الشاعرة إلى مجالس الطرب والشراب لتنسى أحزانها ومعاناتها مع أحبائها الذين أعاقتهم عنها عادات المجتمع وقيمه الصارمة. وأبدعت في وصف الخمرة، مشبّهةً صفاءها وبرودتها في القدح بالشهاب المضيء اللامع. وجسدت سرعتها في تهدئة آلامها كشهاب يلمع للحظات، مما منح الصورة جمالًا طبيعيًا مستوحى من دقة تنظيم الطبيعة. ومن شعر عُلية في وصف محبوها وزيارته لها(١٢):

بأبي من زارني مكتتماً حذراً مِنْ كُلِّ وَاشٍ جَزِعا
قَمَرٌ نَمَّ عَلَيْهِ نُورُهُ كيف يُخْفى اللَّيْلُ بدراً طَلَعَا
رصد الخلوة حتى أمكنت ورعى السامر حتى هَجَعَا
كابد الأهوال في زَوْرَتِهِ ثُمَّ ما سَلَّمَ حَتَّى وَدَعَا

تصوّر الشاعرة زيارة محبوبها ليلاً بأسلوب مبتكر، تعبّر فيه عن مشاعرها تجاهه مُمَثلة بفداء أبيها. يأتيها متخفيًا بحذر خشية أعين النمامين والمتربصين في مجتمع لا يخفى فيه شيء. شبّهته بالبدر الساطع الذي يفضحه الصباح الواضح، متسائلة كيف لليل أن يُخفي هذا النور المشع. خطّط لزيارته بعناية، منتظرًا سكون الليل، متحدياً المخاطر ليبقى بعيداً عن الأنظار. وصل سريعاً، ألقى التحية، وانصرف بالخفاء.

استلهمت الشاعرة صورتها في هذه المقطوعة من جمال الطبيعة من حولها، فشبهت محبوبها بالبدر في اكتماله، تعبيرًا عن شدة وسامته وروعته. اختارت القمر، أجمل رموز الطبيعة وأبلغها، مصدرًا للصور في شعرها. ولأن شاعرات العصر العباسي، كبقية الشواعر آنذاك، كنّ يعتمدن على تشبيهات بسيطة مأخوذة مما يعرفنه ويشعرن به، بعيدًا عن التعقيد، انعكس ذلك النمط في اختيارهن مفردات وتعبيرات قريبة من واقعهن، بما يناسب طبيعة الزمن المليء بالرفاهية واللهو.

وهذه الشاعرة دنانير تقول في وصف الطبيعة(١٣):

برية في البحر نابتة ... يجبى إليها البر والبحر
وسرى الفرات على مياسرها ... وجرى على أيمانها النهر
وبدا الخورنق في مطالعها ... فرداً يلوح كأنه الفجر
كانت منازل للملوك ولم ... يعمل بها لمملكٍ قبر

جالت الشاعرة دنانير بين معالم الطبيعة من قصور وبساتين وأنهار وبحيرات، فوصفها لعَين الماء الغزيرة بجوار النهر الذي يعانق القصر العظيم يبرز إعجابها بجمالية المشاهد. استحضرت في أشعارها منازل الملوك وأماكن ترفهم، مستلهمة مفرداتها من الطبيعة التي أذهلتها بروعتها. صياغتها المرهفة عبرت عن الحس الجمالي لمظاهر خلق الخالق وإبداعه الخلاب.

كما قامت علية بتنظيم قصائد شعرية في مجال العتاب، الذي يصنف ضمن الأصل الإنساني؛ وذلك لأن العتاب يصدر من إنسان إلى إنسان، سواء أكان هذا الإنسان شاعرًا أم خليفة. ويندرج هذا النوع كذلك تحت الأصل الاجتماعي، أي ضمن معطيات المجتمع وتقاليده. ومن أمثلة ذلك قولها في عتاب أخيها الرشيد، بعد أن هجرها(١٤):

مالِكَ رِقّي أَنتَ مَسرورُ وَبِالَّذي تَهواهُ مَحبورُ
أَوحَشتَني يا نورَ عَيني فَمَن يُؤنِسُني غَيرَكَ يا نورُ

أَنتَ عَلى الأَعداءِ يا سَيِّدي مُظَفَّرُ الآراءِ مَنصورُ

في هذا العتاب تكمن أبعادُ الرّقةِ والمحبةِ والشوق. إنّها تُعربُ له عن مدى وحشتها في غيابه، وتؤكّدُ له أنّه لا مُعينَ لها سواه، فهو السلوى والدّفء القريب. وقد شبّهته بالنور الذي يضيء الدرب، وتقدّم في كلامها بذكر مناقبه، وتفخر به وببصيرته ورأيه الصائب، وبكونه ظافراً منصوراً على خصومه. هذه المعاني الجميلة والمعبّرة في هذه الأبيات، استمدّت أبعادها من الإنسان (الأخ) والخليفة (الرشيد)، ومن مفردات مجتمعها وما يدور فيه. فأغلب شعر النساء في تلك الفترة كان رقيقاً، يفيض عاطفة، وقريباً من مفردات الطبيعة والمجتمع من حولهن، نابعاً من واقع حياتهن ووجودهن.

وفي هذا المقام، تتغنى الحجناء بنت نصيب بمدح الخليفة المهدي بقولها(١٥):

أمير المؤمنين ألا ترانا ... خنافس بيننا جعل كبير
أمير المؤمنين ألا ترانا ... كأنا من سواد الليل قير
أمير المؤمنين ألا ترانا ... فقيرات ووالدانا فقير؟!!
أضربنا شقاء الجد منه ... فليس يميرنا فيمن يمير!!
وأحواض الخليفة مترعات ... لها عرف ومعروف كبير
أمير المؤمنين وأنت غيث ... يعم الناس وابله غزير
يعاش بفضل جودك بعد موت ... إذا عالوا وينجبر الكسير

ظهرت براعة الشاعرة في إبراز ما تعانيه للخليفة المهدي، وذلك عبر وصف حالتها المزرية وشدة الفقر التي تعاني منها. بدأت بشكواها موجهة حديثها لأمير المؤمنين، مكررة هذه العبارة في كل بيت شعري، إصرارًا منها على لفت انتباهه. وصفت نفسها وأخواتها، وكأنهن خنافس بسبب الفقر، وكأنهن سواد الليل في ظلمة العوز والحاجة. جسدت الشاعرة فقرها بصورة إبداعية مستوحاة من البيئة المحيطة، وما تضمه من كائنات وجمادات وظواهر طبيعية. شبّهت الخليفة بالغيث، دلالة على كرمه وعطائه وسخائه الفياض. هذا الغيث، لا بد أن يشمل بركته جميع أفراد الرعية، فجوده لا ينضب، وهم في أمان ورفاهية تحت ظل عرشه، لا يظلم فيه أحد ولا يُهان. تجلت تشبيهات الشاعرة وصورها الشعرية مستمدة من مصادر طبيعية، والإنسان هو محور هذه الصورة البديعة. ومن قصائد عُلَيَّة في الأمين، وهي آخر ما أبدعته من شعر فيه. بعد وفاة الرشيد، أصابها حزن شديد عليه، وابتعدت عن الشراب والغناء. لم يزل الأمين يحاول معها، حتى عادت إليهما وهي كارهة لذلك بقولها(١٦).

أَطَلتِ عاذِلَتي لَومي وَتَفنيدي وَأَنتِ جاهِلَةٌ شَوقي وَتَسهيدي
لا تَشرَبَ الراحَ بَينَ المُسمِعاتِ وَزُر ظَبياً غَريراً نَقِيَّ الخَدِّ وَالجيدِ
قَد رَنَّحَتهُ شُمولٌ فَهوَ مُنجَدِلٌ يَحكي بِوَجنَتِهِ ماءَ العَناقيدِ
قامَ الأَمينُ فَأَغنى الناسَ كُلَّهُمُ فَما فَقيرٌ عَلى حالٍ بِمَوجودِ

أعلنت الشاعرة علية عن مُرها وبلائها الشديد على الرشيد، مُتجسدةً ذلك في حوار أقامته مع ذاتها، ومع من تعاتبها وتؤنبها على هذا الأسى. هذه العاتبة، تصف علية بالجهل بمقدار الشوق والسهر اللذين يغمرانها على أخيها الرشيد. تصوره كالغزال الصافي في الخدين والعنق، وتصوّر وجنتيه كماء العنب. هذه الصور مستمدة من الطبيعة التي تحيا فيها ومنها تتغذّى. والمحرّك الأساسي لهذا الشعر هو الإنسان، الرشيد، الذي أيقظ الحزن في أعماقها. وتذكّر أيضاً مدحها للأمين، وإحسانه على الفقير، وقضاء حوائجه، واستقامة حاله بفضل نعمة الخليفة.

استندت الشّاعرة في هذه اللمحة الموجزة على التصوير الخيالي لتجسيد ذاتها، وربطت ذلك بالطبيعة في هذه القصيدة؛ حيث (يُعتبر الخيال المحرك الأساسي لتكوين الصور، والشعر في جوهره يعتمد على الصور... فالصورة هي جوهر الإبداع الشعري وليست مجرد زينة سطحية، لأن المعنى الشعري يتشكل من خلال هذه الصور)(١٧)،

وبهذا، تنقل الشَّاعرة صورتها، كما تفعل في قصائدها الأخرى، من خلال عملية المحاكاة، مُجسدةً واقعها بكل ما يحتويه من عادات وتقاليد، صور، مواقف، وبيئة...إلخ.

الأنماط الحسية للصورة في شعر المرأة العباسية

تنوعت الصور في شعر المرأة العباسية وفقًا لطبيعة الموضوع ومصادر الصورة، ولغة الخطاب الشعري التي تحتويها أسلوب الشاعرة. يمكن تصنيف الأنماط على النحو التالي:

١- الصورة البصرية

تُعدّ الرؤية البصرية من أبرز الحواس، وأوثقها اتصالا بتحليل الواقع، واستيعاب تفاصيله. وفيها، يقدم الشاعر رؤيةً مبتكرة، بمنظورٍ فريد، يكون هو محورها الأساسي والوحيد، فيعيد صياغة المرئيات بصيغةٍ مغايرة، تألفها الروح، وتنساق إليها، وتتأثر بها بأقصى درجات التأثير. ويرجع ذلك إلى أن الصورة البصرية: «ليست سوى حصيلة لتضافر الحواس، وتكامل الملكات، وهي كالوحي، ينبع من قراءات الشاعر، ومشاهداته، وتفكراته، ومعاناته، إضافةً إلى قوة الذاكرة، واتساع الخيال، وعمق التفكير»(١٨).

استخدمت الشواعر العباسيات صورًا بصرية اتخذت أشكالًا مختلفة من الحركة والنشاط حينًا ومن اللون والصياغة حينًا آخر، فتستعين الشاعرات بهذه الصورة لتغيير مجرى الصور القديمة، ولإعطاء أبياتهن رونقًا جديدًا مليئًا بالحركة والصباغ والزخرفة. وتعتمد الشاعرات أيضًا على الصورة البصرية بوصف حاسة البصر «أدق الحواس وأكملها وأمتعها، فالبصر يمد العقل بأكبر قدر من الأفكار وأكثرها تنوعًا. فهذه الشاعرة عريب تصف معشوقها فتقول(١٩) :

بأبي كُلّ أصْهب أزرَقَ العْينِ أشقر
جُـنَّ قَلبي بـهِ وليسَ جُنوني بُـمنْكره

صورت الشاعرة هذه الأبيات القليلة عاطفتها القوية تجاه معشوقها التي أوصلتها حد الجنون، وهي تصف شكله الخارجي من أوصاف خلقه فهو بعيون زرقاء، وشعرٍ أشقر؛ فلجأت إلى تلك الصورة التي جعلت فيها تلاعب الألوان من الأزرق والأشقر (الأصفر) لتبين حرارة الحب الدفين في قلبها لذلك المعشوق، ولتخفف ما بها من وجد وعشق له.

وفي وجود اللون الأصفر، (تروي (فضل) مشهد غيرتها من جارية أخرى نالت إعجاب حبيبها واستحوذت على اهتمامه بنظراته المتوددة إليها)(٢٠).

يَـــا حَسَـــنَ الوجهِ سَـــيّء الأدبِ شِـبتَ وْانتَ الغُـلامُ في الطّـربِ
ويَحْـك إن القيَـانَ كالشّـركِ الـ ـنصوبِ بَـين الغُـرورِ والكَـذبِ
لا يَتَصدَّيْنَ للفَقيْرِ ولا يَطلَبْنَ إلاّ مَعادِنَ الذَّهَبِ
بَيْنَا تَشَكّي هَواكَ إذَ عَدَلَتْ عَنْ زَفَ ا رتِ الشُّكى إلى الطَّلَبِ
تَلْحَظُ هذا وذا وذاكَ وذا لَحْظُ مُحب بِعَيْن مُكْتَسِبِ

الشاعرة فضل توجه رسالة لوم إلى محبوبها بسبب نظراته المختلسة نحو الجارية، وتصفه بسوء الأدب وتعامله كأنه غلام في مجلس طرب. كما توضح له أن حب الجواري وعشقهن ليس حقيقيًا، لأنهن جبلنَ على الخيانة والغدر ولا يثبتنَ في الحب.

وتقول الشاعرة عائشة بنت المعتصم بن هارون الرشيد ترد على من يهوى جاريتها(٢١) :

قَرأتُ كِتَابَك فيما تسَألـ ـتَ وما أنْتَ عندي بالمُتَّهم
أتتكَ المَليحةُ في حُلّةٍ من النّور تَجلى سَوادُ الظُلَمَ
فَخُذْها هَنيئاً كما قدْ سألت ولا تشكُ شَكوى امرىءٍ قد ظُلم

أوضحت الشاعرة عائشة بنت المعتصم إدراكها لمشاعر وعواطف عشيق جاريتها، معتمدة على التصوير البصري من خلال قراءة كتابه. وقد منحت له جارية ستكون سببًا في تغيير حياته من الظلم والمعاناة والتعاسة إلى النور. حيث صورت الشاعرة حياته السابقة المليئة بالشقاء والتعب باستخدام تعبير «سوداء الظلم»، مستعينة باللون الأسود الذي يدرك بالبصر ليعبر عن الهموم والأسى والظلام المرتبط باليأس والحزن. وأشارت إلى أنها ستبدل هذه الحالة إلى النور الذي يرمز للحياة والسعادة والأمل والراحة. ومن خلال هذه اللوحة اللونية المبهجة، تدعوه الشاعرة إلى حياة هادئة ومليئة بالرخاء بجانبها. أما عريب المأمونية قد تجلى اللون البنفسجي سرّ لوحتها البصرية حين تقول(٢٢):

انزلوا، عِنْدَنَا نورٌ مُقيمُ وَحَديثٌ يطيْبُ للسُمأَرِ
وبِهِ زَهرةُ البَنفسجِ تَهْتَزُّ مَع الوردِ في عُراضِ النَهارِ
ونباتُ الأَترجِ قد قابل التُّـ فاح صلَى صغارُه للكبارِ

صورت الشاعرة الحياة الهانئة في عهد الخليفة المستعين، حيث تتفتح الأزهار وتنمو تحت ضوء النهار، وتبرز زهرة البنفسج التي ترمز إلى الحياة والنقاء والجمال. في زمن الخليفة، يسود الأمن والاستقرار، وتفوح الأزهار بعطرها الذي يضفي على الأجواء أملاً وطمأنينة.

ونجد الشاعرة الحجناء بنت نصيب تمدح الخليفة المهدي مستخدمة الصورة البصرية إذ تقول(٢٣):

أمير المؤمنين ألا ترانا ... كأنا من سواد الليل قير
أمير المؤمنين ألا ترانا ... خنافس بيننا جعل كبير
أمير المؤمنين ألا ترانا ... فقيرات ووالدانا فقير؟!!
أضربنا شقاء الجد منه ... فليس يميرنا فيمن يمير!!
وأحواض الخليفة مترعات ... لها عرف ومعروف كبير
أمير المؤمنين وأنت غيث ... يعم الناس وابله غزير
يعاش بفضل جودك بعد موت ... إذا عالوا وينجبر الكسير

يسيطر اللون الأسود على هذه الصورة البصرية ليعبر عن الحزن والفقر الذي تعاني منه هي وأخواتها، حيث ترفع شكواها إلى أمير المؤمنين الخليفة المهدي، متوسلة إليه أن ينظر إلى حالهن، واصفة وضعهن كأنه ظلام الليل بسبب الجوع والحاجة والفقر.

تثني بدعة الكبيرة على الخليفة المعتضد وتصفه بإعجاب، وقد بدأ الشيب يظهر في لحيته وشعر رأسه(٢٤).

ما ضَرّكَ الشيب شيئاً بَلْ زدتَ فيه جمالاً
قد هذبتكَ الليالي وزدت فيه كمالاً
فعش لنا في سرورٍ وانعم بعيشكَ بَالاً
تزيد في كل يومٍ وَلَيْلةٍ إقبالاً
في نعمةٍ وسرورٍ ودولةٍ تتعالى

في قصيدة الشاعرة بدعة الكبرى، تمزج مشاعر المدح مع لمسات الغزل في وصف الخليفة المعتضد. حيث تُبرز الشاعرة اللون الأبيض للشيب باعتباره عاملًا يُضفي عليه جمالًا ونقاءً. تُظهر القصيدة أن الليالي قد منحت الشيب كمالًا إضافيًا، مما يجعل الخليفة، على الرغم من تقدمه في السن وظهور الشيب في جذوره ولحيته، يبدو وكأنه بمظهر الشاب الوضّاء والمشع. وترى الشاعرة أن اللون الأبيض الذي يرمز للشيب يحمل معه دلالات على الطهارة والخُلاص، ليزود الخليفة بالحكمة والإخلاص.

كما تسجل الشاعرة ملاحظتها بأن هذا البياض يُضفي تألقًا وإشراقًا وأصالة، وهو ما يرمز إلى النعم والأخبار

السارة التي ترافق فترة حكم الخليفة كذلك. ووصفها للخليفة يوحي بتجدد الشخصية وتألقها، مما يجعله يبدو كزائر مثير للإعجاب يستحوذ بالاهتمام. وهكذا ترسم لنا الشاعرة صورة انطباعية ذات بعد بصري وفكري مرهف؛ صورة ترحب بالأمل وتشجع التفاؤل، مما يبث نشوة الحماس والإرادة.

٢- الصورة الذوقية

تُظهر الصور البلاغية المعتمدة على حاسة التذوق حضوراً مميزاً في شعر الشاعرات العباسيات. ويتجلى ذلك من خلال براعتهن في تجسيد المعاني وتقريبها إلى الذهن، عبر إسقاطها ضمن إطار التذوق بأسلوب رائع ومبتكر، الأمر الذي يمنح تلك القصائد طابعاً فريداً وقيّماً. وهذا ما نجده في قول عنان(٢٥):

هَيّجتَ بالقَولِ ثمراته قَدْ قلتهُ ... دَاءً بِقَلبي مَا يَزال كَميناً
قَدْ أَيْنَعتْ ثمراته في حِينها ... وسُقينَ مِنْ مَاءِ الهَوى فَرَوِينا
كَذِبَ الذينَ تَقَوَّلوا يَا سَيدِي ... إنَ القلوبَ إذا هَوينَ هَوينَا

أعلنت الشاعرة عن ردها على جرير، مُنطلِقةً من أحاسيسها الدفينة، تلك التي كانت كامنة في جوفها كـ "كنز» مصون. لقد نضجت هذه الأحاسيس، ثمّ أزهر هذا الحب، وسُقي بماء العشق حتى بلغ حد الإشباع. تجلّى الإحساس بالتذوق من خلال الفعلين (سقى، روى). شابهت الشاعرة قلبها بالأرض القاحلة التي ينبت فيها الداء، فيأتي الحب ليرويها، مُنهيًا عطشًا طويلاً، مرير المذاق. وبعد غياب، يعود القلب لينتعش، وتدب فيه الحياة الهانئة، وتزهو فيه السعادة. وبهذا، مُنحت أبياتها طابعًا ذوقيًا جليًا، كأنها تتذوق طعم الحب كما تتذوق طعم الماء.

و»تحدثت علية بنت المهدي عن شغفها بقولها(٢٦):

قَدْ ثبُتَ الخاتَمُ في بُنْصر ... إذ جاءَني مِنْكَ تَجَنّيكِا
حَرَّمْتَ شُربَ الراح إذ عِفتِها ... فَلسْتُ في شَيءٍ أُعاصيكِا
فَلَوْ تَطَوّعَتُ لَعَوَّضْتني ... مْنهُ رُضابَ الرِّيقِ من فِيكِا
فيا لَها ما عشتُ مِنْ نعمةٍ ... لَسْتُ بَها ما عِشْتُ أُجزيكِا
يَا زَيْنَباً قد أَرَّقْتِ من مُقْلَتي ... أَمْتَعَنِي اللهُ بِحبّيكِا

برزت معالم الصورة الذوقية عبر كلمات تتعلق بالذوق (رشف، لعق، الريق)، وذلك من خلال تذمر الشاعرة من حبيبها لعدم ارتشافه الخمر، إلا أنه يعوضها بقبلات من لعابه تعيد إليها الحياة، وفي ذلك منة كبرى لا تستطيع أن تنساها. بدت ملامح اللوحة الذوقية عبر احتساء الخمر، وعدم تذوقه طالما الهجران قائماً، كما تجسد الشاعرة بكلماتها الجريئة قبلات حبيبها على أنها تعوضها عما كانت تعانيه من الهجر ومرارة الخصام.

من الصور الحسية التي يتجلى فيها احتساء الشراب والتمتع به قول الشاعرة علية بنت المهدي(٢٧):

قُمْ يا نَديمي إلى الشَّمولِ ... قَدْ نِمتَ عَنْ لَيلِكَ الطَّويلِ
أَما تَرى النَّجْمَ قدْ تَبدَّى ... وَهمَّ بَهْرامُ بالأفولِ

تناشد الشاعرة ساقي الخمر أن يبادر بتقديم الشراب، إذ غفت، ولم تتذوقه بعد. لم تمضِ سهرًا في ليل طويل، بينما النجم ينصرف، ومن يتعاطى الخمر، يخرس. ولا يجيب على سؤال أو طرح، هنا تتجلى الصورة الجمالية، فيصير السَّكر مطلبًا، لتنسى ما يعتريها من أوضاع وأحزان. وفي التذوق واحتساء الخمر، متنفَّس لكل هم وشوق، تظهر حاسة الذوق واضحة في هذه اللوحة، والتي جلبتها الشاعرة بألفاظ توحي بتعلقها الشديد بالخمر.

وفي موضع آخر لعليّة بنت المهدي تتجلى الصورة الذوقية لكن بشكل آخر في الشرب وذلك في قولها(٢٨):

بَيْنَ الازازين مِنْ المُحْرِم ... تَدْليهُ عَقْلِ الرَّجُلِ المُسْلِمِ
في قَدِّ غُصْنِ البانِ لكنَّه ... من طيّباتِ الشجرِ المُطْعَمِ
مَّر إلى الرّكنِ فزاحَمْتُه ... فالتَمَسَ الرُّكنَ ولم يَلْتَمِ

وفاتَ بالسَّبقِ إلى زمزم وكانت اللَّذاتُ في زَمْزِم
شَرِبْتُ فَضلَ المَاءِ من بعدِه فلستُ أَنسَى طَعْمَه في الفَمِ

تصف الشاعرة محبوبها وهو يؤدي مناسك الحج مرتدياً إحرامَه، في صورةٍ مهيبةٍ تليق بالرجل المسلم، قامته كغصن البانِ من الأشجار الطيبة. تلاحقه في الركن، مُحاولةً البقاء بالقرب منه دوماً. تتجلى ملامح الذوق في لذة ماء زمزم، فقد ارتوَتْ من فضل ما تبقّى منه بعد أن ذاقَه هو، ولا تزال ذكرى طعمه عالقةً في فمها. وهذا يعكس أسمى معاني الذوق والشعور بالنشوة بعد الشرب وبوجود الحبيب.

وفي قول الشاعرة تتريف جارية المأمون في الحكمة(٢٩):

إن الزمان سقانا من مرارته بعد الحلاوة أنفاسا فأروانا
ابدى لنا تارة منه فأضحكنا ثم أنثنى تارة أخرى فأبكانا
إنا الى الله فيما لا يزال لنا من القضاء ومن تلوين دنيانا
دنيا نراها من تصرفها ما لا يدوم مصافاة واحزانا
ونحن فيها كأنا لا نزايلها للعيش أحياؤها يتلون موتانا

بدأت الشَّاعرة قصيدتها في أول الأبيات، متناولةً قضية الزمن الذي تسلّط عليها وظلمها. هو الزمن الذي قسا عليها بشدة، وسقاها من المرارة بعد حلاوة سابقة، حتى أصبحت مرتويّة. استخدمت الشَّاعرة الصورة الحسّية ببراعة، حين شبّهت الزمن بشخص يسقيها من الهم والتعب والأسى، جرعات ذات مذاق مرّ وقاسٍ. في سياق شكواها، تصوّر الشَّاعرة وكأنها تتجرّع مرارة الزمن في حلقها، بعد أن أذاقها في السابق الحلاوات. عبّرت عن تجاربها للحلاوة في صيغة الجمع «الحلاوات»، مشيرةً إلى العيش الهانئ والأيام الجميلة التي عرفتها. هذه التجربة التي أخذت منها حدّ الإشباع. وفي ختام هذه التجربة، تظهر الشَّاعرة وصولها إلى ذروة الارتواء، وهذا تعبير عن قسوة الزمان عليها. باستخدامها الصورة الحسّية، أبدعت الشَّاعرة في تصوير معاناتها من الآلام والأحزان والصعوبات التي واجهتها في حياتها.

وفي قول للشاعرة عريب(٣٠):

مَنْ صَاحبَ الدَّهرَ لَمْ يَحمدْ تصرفه غَيْاً وللدهر إحلاءٌ وامراء
وكلّ شَيءٍ وإنْ طَالتْ إقامتُهُ إذَا انْتَهَى فَلَهُ لا بُدّ إقْصَاءُ

تُداني الشاعرة رفيقتها، مُشيرةً إلى أن الزمان يمنح مُذاقاً مزدوجاً، فهو يجمع بين حلاوةٍ مُفرحة ومرارةٍ مُوجعة في آنٍ واحد. هذا التوصيف يشي بالخيانة والغدر الكامنين في طبيعة الزمان، فهو مُتقلّب الأحوال، دائم التغيير، ولا يثبت على حال. تحثُّ الشاعرة على المواظبة على قيام الليل، والتخلّص من غفلة النوم، والانتباه لصلاة القيام التي تبعث في النفس الأُنس والراحة. كما توصي بترك النوم والأحلام التي لا طائل منها. فالشاعرة قد صوّرت النوم كلذةٍ يتذوقها النائم، فيأنس بها ويستمتع، حتى أنها تُبعده عن مناجاة ربه، والقنوت له في الساعات التي تضاعف فيها الأجور. تتجلى الصورة الجمالية في هذا التشبيه، إذ صُوّر النوم بشيءٍ ملموس، له لذةٌ ومتعةٌ يضعف أمامها الإنسان.

٣- الصورة الشمية

تتشابك صور الشم بوجدان الشاعر، فحين تغمر السعادة والبهجة نفسَه، تتجلّى في التصورات الشمية صورُ أفراح وابتهاج، تكتظ بالأريج الفواح والعطر الزكي، تتجسّد بألفاظ معبرة عن عالم الشم (شذا، أريج، عطر، عبق). لكن إذا ما انقبضت نفسُه وتلبّدت بالضيق، تتغيّر معالم الصورة لتعبّر عن أحاسيس الألم والسلبية، فتظهر روائح الموت والدماء وغيرها.

من بين الصور الشمية الشعرية التي تعبق فيها نفحات الشوق والحنين، نجد قول الشاعرة علية بنت المهدي(٣١):

وَمُغتَرِبٍ بالَمرجِ يَبْكي لِشَجْوِهِ ... وَقَدْ غَابَ عَنْهُ المُسْعِدونَ عَلى الحُبِّ
إِ ذا مَا أَتاهُ الرَّكب مِنْ نحْوِ أرضِهِ ... تَنَشَّقَ يَسْتشَفْي برائحةِ الرَّكْبِ

قامت الشَّاعرة بتنسيق قصائدها ضمن سياق الحنين والشوق إلى وطنها وأحبائها في العراق، وهي تذرف الدموع في المرج على مَن افترقت عنهم، وحبهم في قلبها لا يزال حيًا، تستنشق عبق قافلة أهلها الطَّيبة، المفعمة بمشاعر الحب والعطف مع القافلة. وهي تتعافى ويعود إليها الأمل والحياة من جديد. فقد ظهرت مَظاهر الصورة الشميَّة في استنشاق وشم رائحة القافلة التي وصلتها على الرغم من بُعد المسافات من العراق إليها.

وفي قولها أيضاً في الوصف(٣٢):

كَأنَّها مِنْ طِيْبِها في يَدي ... تَشُمُّ في المَحْضَرِ أوْ في المَغيبْ
ريحَانةٌ طِينتُها عَنْبَرٌ ... تُسْقى مَعَ ال أ رح بماءٍ مَشوُبْ
عُرُوقُها مِنْ ذا وتُسقى بِذَا ... مَمْزوجةٌ يا صَاحِ طيبا بطِيبْ
تلكَ التَّي هامَ فُؤادَي بها ... مَا إن بدائي غَيْرُها مَنْ طَبيبْ

تَعرِضُ الشَّاعِرَةُ رَوائِحَها الفَوَّاحَةَ الَّتي تُستَنشَقُ طِيبُها في الإِقْبالِ والإِدْبارِ، وَكَأَنَّ عِجْنَتَها مِن عَنْبَرٍ تُسْقَى مَعَ الخَمْرِ بِماءٍ مَزِيجٍ وَكَأَنَّ في عَرَقِها الطِّيبَ، وَهِيَ الَّتي شَغَفَ بِها قَلْبُها وَلا يَزْكو إِلا بِها فَتَظْهَرُ صُورَةُ العَبَقِ الشَّذيِّ في فِعْلِ (تَشُمُّ) وَفِيهِ تَصِفُ طِيبَها؛ لِذَلِكَ تُشَمُّ في الحُضُورِ وَالغَيْبَةِ وَرَائِحَتُها عَنْبَرٌ كَأَنَّها تُسْقَى مَعَ الكَأْسِ.

وفي ذلك قول محبوبه(٣٣):

وَكَاتِبةٍ بالمِسْكِ في الخدِّ جَعْفَرا ... بنَفْسي مَخطُّ المسكِ مِنْ حَيثُ أَثَّرا
لَئِن كتبَتْ في الخَدِّ سَطرا بكِفِّها ... لَقَدْ أَوْدعتْ قَلْبي مِنْ الحُبِّ أَسْطُرا
فيَا مَنْ لِمملوكٍ لِملكِ يمنيه ... مُطيع لَهُ فيما أَسَرَّ وأَظهرا
ويَا مَنْ مُناهَا في السَّرِيرَ جَعفرٌ ... سَقَى اللهُ مِنْ سُقْيَا ثَنَايَاكَ جَعْفَرا

صوَّرت الشاعرة شغفها بالخليفة المتوكل، وذلك حينما دوَّنت بالمسك، نظراً لبقاء عطر المسك الفواح، مدة زمنية طويلة على وجنتها، وبهذا برزت إيماءات حاسة الشم، متجلية في عبق المسك المنبعث في كل مكان، نتيجة لانتشاره القوي، ولهذا العطر ذكريات طيبة.

وفي ذلك قول فضل(٣٤):

يَا مَنْ أَطَلّتْ تَفرُّسِي ... فِي وَجْهِهِ وَتَنفُّسِي
أَفْدِيكَ مِنْ مُتَدلِّلٍ ... يَزْهُو بِقَتْلِ الأَنْفُسِ
هَبْنِي أَسَأتُ وَمَا أَسَأ م ... تُبلى كإقرار المُسِيءِ
أَحْلَفْتَنِي أَنْ لَا أُسَام ... رِقَ نَظرَةً في مَجْلِسِي
فَنَظَرتُ نَظْرَةَ مُخطِئٍ ... أَتْبَعْتُها بتفرُّسِي
وَنَسيْتُ أنِّي قدْ حَلفت ... فَما عُقُوبَةُ مَنْ نَسَي؟

بدأت الشاعرة بإطالة النظر نحو حبيبها، مركزةً بصرها عليه، متأملةً وجهه. وتعاظم الأمر بزيادة تنفسها، بسبب قربه الروحي منها، حتى أخذت تتنفس أمامه بعمق، لتُبرز من خلال ذلك صورته الحسية، مستنشقةً عبيره الزكي من خلال أنفاسها المتتالية التي لا تُمحى رائحتها من ذاكرتها. لكنه، الحبيب غير المبالي، غير المتفهم لوضعها، يعاقبها على ما تراه من النسيان.

٤- الصورة اللمسية

ظهرت الصُّورة الحسيَّة كذلك عند الشَّاعِرات في العصر العبَّاسيّ، وهي صورةٌ تُبيّن صِلة الشَّاعرة بمن تمدَحه أو الموضوع الذي تُعبّر عنه، ومن أمثلة ذلك قول الشَّاعرة (عُليَّة بنت المهدي)(٣٥).

بَـــيْنَ الإزَارِيْـــنِ مِـــــنَ المُحْـرم تَدْليهُ عَقْل الرَّجُلِ المُسْلِم
فِيْ قَدِّ غُصْنِ البانَ لكَنَّه مِنْ طَيّباتِ الشجَرِ المُطعِم
مَرَّ إلَى الرُّكن فزاحَمْتُه فالْتَمَسَ الرُّكنَ وَلَمْ يَلْتَثِم
وَفاتَ بالسَّبْقِ إلى زَمْزَمٍ وَكَانَتْ اللَّذَاتُ فِي زَمْزَمَ
رِبْتُ فَضَلَ الماءِ مِنْ بعدِه شَفَلستُ أَنْسَى طَعْمَهُ فِي الفَمِ

تَصِفُ الشَّاعرةُ مَحْبُوبَهَا وَهُوَ يُؤَدِّي فَرِيضَةَ الحَجّ، جِسْمُهُ كَغُصْنِ البَانِ، مِنْ أَطْيَبِ أَصْنَافِ الشَّجَرِ. تَتَّبِعُهُ إِلَى الرُّكْنِ فِي زَحْمَةِ النَّاسِ، وَتُلاحِظُ لَمْسَهُ لِلرُّكْنِ وَلَمْ يَلْتُمْهُ. تَصِلُ إِلَى مَاءِ زَمْزَمَ، وَتَشْرَبُ مِنْ فَضْلِ مَائِهِ، وَلَمْ تَنْسَ طَعْمَهُ فِي فَمِهَا. نَرَى فِي هَذِهِ الصُّورَةِ، رَسْمًا لِمَنَاسِكِ الحَجِّ، تَتَّبِعُهُ وَهِيَ تُزَاحِمُهُ فِي لَمْسِ الرُّكْنِ.

وقولها أيضاً(٣٦):

تكاتبْنا برمزٍ في الحضور وَإيْحَاءٍ يَلُوحُ بِلاَ سُطُورِ
سِوَى مُقَلٍ تُخَبِّرُ مَا عَنَاهَا بِكَفِّ الوَهمِ فِي ورَقِ الصُّدورِ

تكشف الشاعرة عن صلتها بمن تحب، وهي علاقة مبنية على التلميح والإشارات. لا يدركها سواه، سوى العيون التي تنقل ما يعتريها من حزن وشوق وهيام. وكل هذا يحدث بلمسة من الوهم، تداعب القلوب. لقد بدت أسيفة، تحس بأثر اللمسة (تلك اللمسة الخيالية في الاقتراب من الحبيب).

الخاتمة:

بناءً على ما تم تناوله من تحليلٍ لصور الشعر في الأدب النسوي العبّاسي، يتّضح أن المرأة أثبتت جدارتها العقلية والإبداعية، وتحدّت الرجل في حقل صياغة الشعر بمختلف أهدافه، وجذبت الانتباه إليها عبر صورها الفنية التي عكست وقائع تلك الحقبة، وبيّنت ما في أعماقها من أحاسيس وتطلّعات وآمال، من جانب آخر. فقد ظهرت شاعراتٌ تميّزنَ بسرعة الخاطر، واتّساع المعرفة، وعذوبة الكلام، ورقّة الشعور، والعديد من السمات الأخرى؛ مثل: علية بنت المهدي، وعِنان جارية الناطفي، وعريب المأمونية. وفضل، فقد كان لهنَّ حضور مميز في عالم الشعر.

ومن خلال ما تقدم، فقد خلص البحث إلى مجموعة من النتائج والتي كانت على وفق الاتي:-

١. تنوع مصادر الصور الشعرية حيث استمدت الشاعرات العباسيات صورهن الشعرية من بيئتهن الاجتماعية والثقافية، إذ تأثرن بالعادات والتقاليد والقيم السائدة. واظهرن اعتمادهن على الطبيعة المحيطة، مثل الأنهار، الزهور، القمر، والبيئة الحضرية أو الصحراوية.

٢. التأثير الشخصي والثقافي إذ لعبت الخلفية الثقافية والدينية دورًا في تشكيل الصور الشعرية، حيث انعكست الفطنة والالتزام الديني والرقة على التعبيرات الشعرية، كذلك ساهمت حياة الرفاهية واللهو في العصر العباسي في صياغة صور بسيطة ومباشرة تعبر عن مشاعرهن.

٣. تنوعت الصور الحسية عند شاعرات العصر العباسي وجاءت وفق الاتي:

أ-الصورة البصرية: اعتمدت الشاعرات على وصف الألوان والحركات الطبيعية، مما أضفى جمالًا وحيوية على أشعارهن.

ب-الصورة الذوقية: ظهرت من خلال التشبيهات التي تعبر عن التذوق، مثل وصف الحب بالماء الذي يروي القلب.

ج-الصورة الشمية: استُخدمت لتعبر عن الحنين والشوق، كما في استنشاق عبق القوافل أو العطور.

د-الصورة اللمسية: ظهرت في تصوير التلامس مع الحبيب أو الأشياء المحيطة، مما يعكس مشاعر القرب والتواصل.

٤. الأسلوب الشعري:

أ- لجأت الشاعرات إلى تشبيهات مستمدة من الحياة اليومية والطبيعة، بعيدًا عن التعقيد.

ب- استخدمت الصور الشعرية كوسيلة للتعبير عن المشاعر الإنسانية مثل الحب، الفقد، الحنين، والعتاب.

٥. أهمية الخيال والإبداع:

أ- أكدت الدراسة أن الإبداع الشعري يعتمد على قدرة الشاعرة على استيعاب الجماليات المحيطة بها وتوظيفها بمهارة في شعرها.

ب- الخيال هو المحرك الأساسي لتكوين الصور الشعرية التي تشكل جوهر الإبداع الأدبي.

٦. تميزت شاعرات العصر العباسي بقدرة فريدة على استلهام صور شعرية تنبض بالحياة، مستمدة من بيئتهن وثقافتهن وتجاربهن الشخصية. وقد ساهمت هذه الصور في تقديم تعبيرات شعرية مبتكرة ومؤثرة تجسد مشاعرهن وأفكارهن بطرق إبداعية.

الهوامش:

١- ابن منظور : لسان العرب - دار لسان العرب- بيروت- مادة ص.و.ر. - د.ت - ٤٩٢/٢

٢- الخالدي، صلاح عبد الفتاح : نظرية التصوير الفني عند سيد قطب - المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية - الجزائر -١٩٨٨ ص٧٤

٣- مجلة الرسالة - المجلد الثاني - السنة الثانية - العدد ٦٤ -تاريخ ١٩٣٤/٠٩/٢٤ ص ١٧٥٦

٤- الخالدي، صلاح عبد الفتاح: المرجع نفسه - ص ٣٣

٥- شوقي ضيف، دراسات في الشِّعر العربي المعاصر، دار المعارف، القاهرة، ٢٠٠٣م، ص٢٣٩.

٦- الرباعي، عبد القادر، الصُّورة الفنيّة في شعر أبي تمام، منشورات جامعة اليرموك، ط١، إربد، الأردن، ١٩٨٠م، ص.١٦

٧- صبح، علي، البناء الفني للصورة الأدبية عند ابن الرومي، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ١٩٩٦ م، ص ٢

٨- عبد الله، محمَّد حسن، الصُّورة والبناء الشعري، دار المعارف، مصر، ١٩٩٨ م، ص ١٠.

٩- عُليّة بنت المهدي، الديوان، ص ٢٧؛ وينظر: الصُّولي، أشعار أ ولاد الخلفاء وأخبارهم، ص ٧٦.

١٠- الأصفهاني، كتاب الأغاني، ١٣٢/١٠

١١- عُليّة بنت المهدي، الديوان، ص ٢٥ ؛ وينظر: الصُّولي، أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم، ص ٨

١٢- الحلبي، شهاب الدِّين محمود بن سليمان، منازل الأحباب ومنا زل الألباب، تحقيق: عبد الرحيم محمَّد بن عبد الرحيم، مطبعة التيسير، القاهرة، (د.ت)، ص ٢٧٣ ؛ وينظر: ديوان عُلية،، ص ٧٨

١٣- مهنا، معجم النِّساء الشاعرات، ص ٨٨

١٤- الصُّولي، أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم، ص ٥٨؛ وينظر: الأصفهاني، كتاب الأغاني، .٣٣٩- ٣٣٨/ ١٠/١٨١؛ وكحالة، أعلام النِّساء،

١٥- السيوطي، نزهة الجلساء في أشعار النِّساء، ص ٨٢

١٦- الأصفهاني، كتاب الأغاني، ٣٦٨/١٠.

١٧- أبو شريفة، عبد القادر وقزق، حسين، مدخل إلى تحليل النص الأدبي، دار الفكر للنشر والتوزيع، ط ١، ١٩٩٠ ، ص ٥٨.

١٨- عبد الفتاح نافع: الصورة في شعر بشار بن برد، دار الفكر للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٣، ص٩٩.

١٩- مهنا عبد الأمير: معجم النساء الشاعرات، ص١٧٢، وينظر: العمروسي، فايد، الجواري المغنيات، ص١٧٨.

٢٠- السيوطي، جلال الدين: المستظرف من أخبار الجواري، تحقيق: د. صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت، ص٥٤.

٢١- المصدر السابق، ص٧٠.
٢٢- أبو الفرج الأصفهاني: الاماء الشواعر، تحقيق: د. جليل العطية، دار النضال للطباعة النشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٩٨٤، ص١٤٥.
٢٣- السيوطي، جلال الدين: نزهة الجلساء في أشعار النساء، مكتبة القرآن، بيروت، ٢٠٠٩، ص٣٤.
٢٤- الأصفهاني، الإماءً الشواعر، ص.٢٠٣
٢٥- الأندلسي، أحمد بن محمد ابن عبد ربه: العقد الفريد، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، بيروت، ٢٠٢٠، ص٢٦١.
٢٦-الصولي، محمد بن يحيى: أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم من كتاب الأوراق، مطبعة الصاوي، القاهرة، ٢٠٠٨، ص٧٧.
٢٧- ينظر: علية بنت المهدي: الديوان، ص٥٢.
٢٨- الصولي، أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم، ص.٧٣
٢٩- السيوطي، المستظرف من أخبار الجواري، ص١٨؛
٣٠- ابن المعتز العباسي، عبد الله بن محمد: طبقات الشعراء، دار المعارف – القاهرة، ص٤٢٦.
٣١- علية بنت المهدي: الديوان، ص٢١.
٣٢- الصُّولي، أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم، ص ٧
٣٣- الأصفهاني، كتاب الأغاني، ٢٠١-٢٢/٢٠٠
٣٤- السيوطي، المستظرف من أخبار الجواري، ص.٥٥
٣٥- علية بنت المهدي، الديوان، ص٥٧.
٣٦- نفس المصدر.

المصادر والمراجع:

١-ابن منظور : لسان العرب -دار لسان العرب -بيروت مادة ص.و.ر.-٢/٤٩٢
٢-الخالدي،صلاح عبد الفتاح: نظرية التصوير الفني عند سيد قطب -المؤسسة الوطنية للفنون المطبعة -الجزائر-١٩٨٨
٣-مجلة الرسالة -المجلد الثاني -السنه الثانية العدد٤٦-تاريخ ٢٤/٩/١٩٣٤
٤-شوقي ضيف دراسات في الشعر العربي المعاصر ،دار المعارف ،القاهرة ،٢٠٠٣
٥-الرباعي ،عبدالقادر ،الصورة الفنية في شعر ابي تمام ،منشورات جامعة اليرموك ،ط١،اربد ،الاردن،١٩٨٠
٦-صبحي ،علي ،البناء الفني للصورة الأدبية عند ابن الرومي ،المكتبة الأزهرية للتراث،القاهرة ١٩٩٦
٧-عبد الله ،محمد،الصورة والبناء الشعري،دار المعارف ،مصر١٩٩٨
٨-عليه بنت المهدي ،الديوان وينظر:الصولي ،اشعار اولاد الخلفاء واخبارهم
٩-الاصفهاني،كتاب الاغاني ١٠/١٣٢
١٠-الحلبي،شهاب الدين محمود بن سليمان ،منازل الاحباب ومنازل الألباب . تحقيق عبد الرحيم محمد بن عبد الرحيم ،مطبعة التيسير القاهرة (د.ت)
١١-مهنا ،معجم النساء الشاعرات
١٢-السيوطي ،نزهة الجلسات في أشعار النساء ،ابوشريفة ،عبد القادر وقزق ،حسين،مدخل إلى تحليل النص الأدبي ،دار الفكر للنشر والتوزيع ،ط١، ١٩٩٠
١٣-عبد الفتاح نافع ،الصورة في شعر بشار بن برد ،دار الفكر والتوزيع ،بيروت ١٩٨٣
١٤-السيوطي ،جلال الدين :المستطرف في اخبار الجواري تحقيق د.صلاح الدين المنجد ،دار الكتاب الجديد بيروت
١٥-ابو الفرج الأصفهاني:الاماء الشواعر تحقيق د.جليل العطيه،دار النضال للطباعه والنشر والتوزيع ،بيروت ،ط١ ،١٩٨٤
١٦-السيوطي جلال الدين: نزهة الجلساء في أشعار النساء
١٧-الاندلسي ،احمد بن محمد بن ابن عبد ربة : العقد الفريد ،مطبعة لجنة التأليف والترجمة ،بيروت ،٢٠٢٠
١٨- ابن المعتز العباسي ،عبد الله بن محمد: طبقات الشعراء ،دار المعارف ،القاهرة .

فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية العدد(٨)
السنة الثالثة صفر الخير ١٤٤٦هـ آب ٢٠٢٥م

ظاهرة الطلاق في المحاكم العراقية الأسباب والمعالجات

م.د. أروى نهاد إسماعيل م.د. انغام حاتم عبود
م.د. ورقاء جعفر مصحب
جامعة بغداد / كلية العلوم الإسلامية

فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية العدد(٨)
السنة الثالثة صفر الخير ١٤٤٦هـ آب ٢٠٢٥م

المستخلص:

يعتبر الطلاق من أكبر وأخطر المشاكل على صعيد الحياة الاجتماعية، رغم أن الطلاق جائز شرعاً بدليل قوله (صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم): «أبغض الحلال إلى الله الطلاق»(١)، لكنه ليس الأصل وانما الأصل في الزواج ، وانما شرع الطلاق لحل وعلاج المشاكل الزوجية التي يتعذر استمرار الحياة الزوجة معها والتي ستؤدي الى مشاكل ومفاسد كبيرة أعظم من الطلاق نفسه، وقد ازدادت حالات الطلاق في الآونة الأخيرة في المجتمع العراقي وبصورة ملحوظة ومخيفة بحسب الاحصائيات من محكمة الأحوال الشخصية في الكرخ ، ومحكمة الأحوال الشخصية في الرصافة .

وإن المشاكل الاسرية التي تنتهي عادة بالطلاق تتسبب في تشتيت الاسرة وتمزيقها التي بدورها تؤثر على المجتمع التي تفتت أواصره وآثاره السلبية المدمرة جداً على الزوجين والابناء والمجتمع عموماً ، فضلاً عن انه مكروه ومبغوض في الشريعة الإسلامية وقد بينا في هذا البحث خطورة أمر الطلاق واسبابه وآثاره وطرق علاج هذه الظاهرة في المجتمع وطرق تقليلها وعدم ازديادها، لما لها من الآثار السلبية العظيمة على المجتمع ، فهي دراسة الغاية منها تسليط الضوء عليها وعلى عواقبها وإيجاد الحلول والمقترحات المناسبة للحد من ازديادها .

الكلمات المفتاحية : ظاهرة، الطلاق، الأسباب، المعالجات، المحاكم، العراقية .

المقدمة :

إن الشريعة الإسلامية كانت ولا تزال تعالج كل مشاكل الإنسان الاجتماعية حيث وضعت وشرعت لتنظيم حياة الإنسان، وقد شرعت له الحلول لأعقد المشاكل وأصعبها، ولم تترك صغيرة ولا كبيرة من شؤون الحياة إلا وقد وضعت لها الحكم والحل المناسب، ومن بين هذه الأمور المشاكل الأسرية والنزاعات التي تحصل بين الزوجين وتنتهي عادة بالطلاق، وتسبب تشتت الأسرة وتمزيق المجتمع وأواصره، وما ينتج عنها من آثار سلبية مدمرة، فقد بين القرآن الكريم في آياته وبعض سوره –كسورة الطلاق – أحكام وتفصيل هذا الأمر وهو الطلاق، وكذا السنة المطهرة للنبي (صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم)، وقد بينت وفصلت هذا الموضوع، وبما أن ظاهرة الطلاق وحالاته ازدادت في الآونة الأخيرة في المجتمع – لاسيما العراقي – بصورة ملحوظة ومخيفة جداً، لذا ارتأينا أن نبحث هذه الظاهرة المتزايدة في المجتمع ونبين أسبابها وآثارها وعلاجها ما أمكن لذلك سبيلاً.

فقد أشارت الأرقام الصادرة عن مجلس القضاء العراقي الأعلى أن حالات الطلاق بشكل إجمالي وصلت إلى (٦٣٧٩٩٤) حالة خلال الأعوام من ٢٠٢٠ إلى ٢٠٢٣ م، في وقت كان مجموع حالات الزواج خلال نفس المدة (٢٣٣٤٩٩٥) حالة، ما يعني أن حوالي ٢٥ من هذه الزيجات انتهت بالطلاق، وتشير تلك الأرقام إلى حوالي ١٨٠ حالة طلاق يومياً وثمان حالات كل ساعة، ما يعني حالة طلاق كل ٥ دقائق، ولا زالت الحالات في تزايد بحسب الأرقام والإحصائيات الرسمية المعلنة لمجلس القضاء الأعلى العراقي – فقد أشارت إحصائية شهر واحد وهو شهر شباط لسنة ٢٠٢٠ على سبيل المثال أن عدد حالات الزواج هو (١٠٤٥٢) وعدد حالات الطلاق هو (٩٥٠٩) ما يعني أن نسبة الطلاق ٩،٩٩ كما مبين أدناه في الجداول:

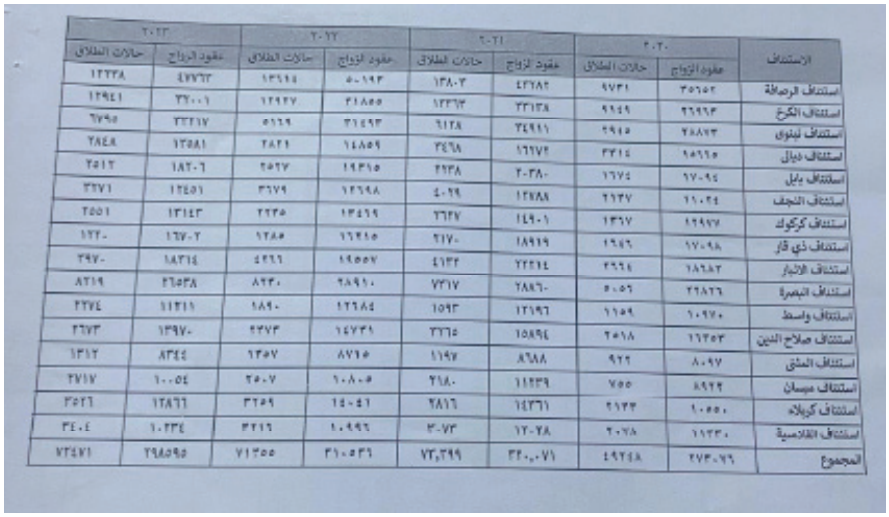

الاستئناف	٢٠٢٠		٢٠٢١		٢٠٢٢		٢٠٢٣	
	عقود الزواج	حالات الطلاق	عقود الزواج	حالات الطلاق	عقود الزواج	حالات الطلاق	عقود الزواج	حالات الطلاق
استئناف الرصافة	٣٥٦٥٢	٩٧٣١	٤٢٦٨٢	١٣٨٠٢	٥٠٦٩٣	١٣٥٦٤	٤٨٧٦٣	١٢٣٣٨
استئناف الكرخ	٢٦٩٩٣	٩٩٤٩	٣٣١٣٨	١٣٣٦٣	٣١٨٥٥	١٢٩٢٧	٣٧٠٠١	١٢٩٤١
استئناف نينوى	٢٨٨٩٣	٩٩٤٥	٣٤٩٩١	٦١٢٨	٣١٤٩٣	٥١٦٩	٣٢٢١٧	٦٧٩٥
استئناف ديالى	٩٥٩٦٥	٣٣١٤	١٦٦٧٢	٣٤٦٨	١٤٨٥٩	٣٨٢١	١٣٥٨١	٢٨٤٨
استئناف بابل	٧٠٠٩٤	١٦٧٤	٢٠٣٨٠	٢٠٣٨	١٩٣١٥	٢٥٢٧	١٨٢٠٦	٢٥١٢
استئناف النجف	٢١٠٣٤	٢٦٢٧	١٢٨٨٨	٤٠٩٩	١٢٦٩٨	٣٦٧٩	١٢٤٥١	٢٢٧١
استئناف كركوك	١٩٩٧٧	١٣١٧	١٤٩٠١	٢٦٢٧	١٣٤٦٩	٢٢٣٥	١٣١٤٣	٢٥٥١
استئناف ذي قار	١٧٠٩٨	١٩٤٦	١٨٩١٩	٢١٧٠	١٦٢٤٥	١٢٨٥	١٦٧٠٢	١٢٢٠
استئناف الانبار	١٨٩٨٢	٢٩٦٤	٢٢٣١٤	٤١٣٢	١٨٥٥٧	٤٩٦٦	١٨٣١٤	٣٩٧٠
استئناف البصرة	٢٦٨٦٦	٥٠٥٦	٢٨٨٦٠	٧٣١٧	٢٨٩١٠	٨٢٣٠	٢٦٥٣٨	٨٢١٩
استئناف واسط	١٠٩٧٠	١١٥٩	١٢١٩٦	١٥٩٣	١٢٦٨٤	١٨٩٠	١١٢١٦	٢٢٧٤
استئناف صلاح الدين	١٦٣٥٣	٢٠١٨	١٥٨٩٤	٢٦٦٥	١٤٧٣١	٢٢٧٣	١٣٩٧٠	٢٦٧٣
استئناف المثنى	٨٠٩٧	٩٢٢	٨٦٨٨	١١٩٧	٨٧١٥	١٣٥٧	٨٣٤٤	١٣١٢
استئناف ميسان	٨٩٢٢	٧٥٥	١١٤٣٩	٢١٨٠	١٠٨٠٩	٢٥٠٧	١٠٠٥٤	٢٧١٧
استئناف كربلاء	١٠٠٥٠	٢٠٢٣	١٤٣٦١	٢٨١٦	١٤٠٤٦	٣٦٢٩	١٢٨٦٦	٣٤٢٦
استئناف النجف الاشرف	١٢٣٣٠	٢٠٧٨	١٢٠٧٨	٣٠٧٣	١٠٩٩٦	٣٢١٩	١٠٣٣٤	٣٤٠٤
المجموع	٢٧٣٠٦٩	٤٩٢٤٨	٣٢٠٠٧١	٧٣٢٩٩	٣١٠٥٣٦	٧١٣٥٥	٢٩٨٥٩٥	٧٢٤٧١

وسوف تكون خطة بحث هذا الموضوع كالآتي : المحور الأول: أركان الطلاق واقسامه وأدلة مشروعيته ويتضمن ثلاثة مطالب: فكان الأول منها : تعريف الطلاق لغة واصطلاحاً، اما الثاني : مشروعية الطلاق، والمطلب الثالث : اركان واقسام الطلاق، اما المحور الثاني : أسباب الطلاق ويتضمن ثلاثة مطالب فكان الأول : أسباب اجتماعية، اما الثاني : أسباب ثقافية، والثالث : أسباب أخلاقية، اما المحور الثالث : الآثار السلبية للطلاق ويتضمن أربعة مطالب ، فكان المطلب الأول : مشاكل عاطفية اما الثاني : مشاكل اجتماعية ، والثالث : مشاكل الأطفال، والرابع : مشاكل الزوجين، وخاتمة تتضمن النتائج والحلول والمقترحات.

المحور الأول : أركان الطلاق واقسامه وأدلة مشروعيته

لابد لنا ونحن في صدد هذه الدراسة ان نوضح عن كثرة الطلاق وأسبابه ومعالجاته أن يكون لنا إلمام بحقيقة الطلاق ومفهومه وأدلة مشروعيته وأركانه وتقسيماته، بحيث تكون لنا نظرة شاملة حول الطلاق، ولذلك لا بد لنا من الخوض في هذا المحور، وعبر المطالب الآتية :

– المطلب الأول : تعريف الطلاق لغة واصطلاحاً :

الطلاق لغة: الحل ورفع القيد، وهو اسم مصدره التطليق ، ويستعمل استعمال المصدر ، وأصله : طلقت المرأة تطلق فهي طالق بدون هاء، وروي بالهاء (طالقة) إذا بانت من زوجها ، ويرادفه الإطلاق ، يقال : طلقت وأطلقت بمعنى سرحت ، وقيل : الطلاق للمرأة إذا طلقت ، والإطلاق لغيرها إذا سرح ، فيقال : طلقت المرأة ، وأطلقت الأسير، وقد اعتمد الفقهاء هذا الفرق ، فقالوا : بلفظ الطلاق يكون صريحا ، وبلفظ الإطلاق يكون كناية(٢).

الطلاق اصطلاحاً : رفع قيد النكاح في الحال أو المآل بلفظ مخصوص أو ما يقوم مقامه(٣).

المراد بالنكاح هنا : النكاح الصحيح خاصة ، فلو كان فاسدا لم يصح فيه الطلاق ، ولكن يكون متاركة أو فسخا . والأصل في الطلاق أنه ملك الزوج وحده، وقد يقوم به غيره بإنابته، كما في الوكالة والتفويض، أو بدون إنابة، كالقاضي في بعض الأحوال(٤).

– المطلب الثاني: مشروعية الطلاق :

أولاً من القرآن الكريم : قال تعالى :

أ. { الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ..}(٥).

ب. { يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لا تُخْرِجُوهُنَّ مِن بُيُوتِهِنَّ وَلا يَخْرُجْنَ إِلا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ ..}(٦).

ت. { وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ وَلا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ..}(٧).

ثانياً :من السنة النبوية المطهرة :

أ– قال رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم): « ما أحل الله شيئا أبغض إليه من الطلاق»(٨).

ب– عن عمر بن الخطاب : أن رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم). طلق حفصة ثم راجعها(٩).

ت– وروي عن الرسول محمد(صلى الله عليه وآله وسلم): « خمسة لا يستجاب لهم، رجل جعل الله بيده طلاق أمرأته فهي تؤذيه وعنده ما يعطيها ولم يخل سبيلها ....»(١٠).

ثالثاً :من الاجماع : فقد أجمعت الامة من زمن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم). على ضرورة جواز الطلاق بين المسلمين فلا يبقى بعد ذلك حاجة الى دليل بل الضرورة نفسها دليل على الجواز(١١).

– المطلب الثالث: اركان واقسام الطلاق

أولاً: أركان الطلاق: وهي أربعة أركان عند جميع المسلمين وإنما اختلف جمهور المسلمين مع الامامية في الركن الرابع حيث قالوا أنه القصد، وقالت الإمامية أن الركن الرابع هو الإشهاد على الطلاق، وهذه الأركان هي كما يلي:

أ- الركن الأول: المطلق وهو الزوج : ويجب أن تتوفر فيه الشروط الآتية : وهي البلوغ والعقل والاختيار والقصد فلا اعتبار بطلاق الصبي، فلا يصح طلاقه وكذا المجنون والسكران، ولا المكره ولا المغضب مع ارتفاع القصد .

ب- الركن الثاني: المطلقة وهي الزوجة : ويشترط فيها الزوجية والدوام والطهارة من الحيض والنفاس، إذا كانت مدخولاً بها، وزوجها حاضراً معها ولو كان غائباً صح الطلاق(١٢).

ت- الركن الثالث: في الصيغة (صيغة الطلاق): وهو اللفظ الدال على حل عقدة النكاح، ويقتصر على طالق تحصيلا الموضع الاتفاق عند الإمامية، ولا يقع بخلية ولا برية، ويضاف عند جمهور المسلمين ولو كتابة.

ث- رابعاً: الركن الرابع (القصد): وهو عند الامامية الاشهاد وعند الجمهور القصد حيث قالت الإمامية لابد من شاهدين يسمعانه ويعتبر فيهما العدالة والبعض يقول يكفي فيهما الإسلام، ولا تقبل فيه شهادة النساء، وقال الجمهور بأن يقصد النطق بلفظ الطلاق فإذا أراد أن ينادي امرأته بأسمها طاهرة، فقال لها يا طالقة خطأ لم يعتبر طلاقه ديانة(١٣).

ثانياً: اقسام الطلاق : قسم الفقهاء الطلاق الى ثلاثة اقسام وهي كالآتي :

أ- الطلاق باعتبار الحل والحرمة: طلاق سني وبدعي.

ب- الطلاق باعتبار الرجعة وعدمها: رجعي وبائن.

ت- الطلاق باعتبار الصيغة: صريح وكنائي.

أ- الطلاق باعتبار الحل والحرمة: طلاق سني وبدعي.

الطلاق السني : الطلاق السني هو الطلاق الذي يكون موافقاً لسنة النبي(صلى الله عليه وآله وسلم). في كيفية طلاق الزوج لزوجته، وقد جعل الشارع له عدة ضوابط في وصفه بالسنية، وهي:

أولاً: أن يكون الطلاق لسبب، .

ثانياً: أن يقع الطلاق في حالة طهر لم يجامعها فيه.

ثالثاً: أن يكون مرة واحدة .

وأما الطلاق البدعي : فهو الطلاق الذي يكون مخالفاً لسنة النبي(صلى الله عليه وآله وسلم). في كيفية إيقاع الطلاق، والإجماع منعقد على حرمة الطلاق البدعي، ولكن الخلاف قائم في وقوعه، والذي يترجح وقوعه(١٤)، وقيوده تعرف من مقابلتها لقيود الطلاق السني:

أولاً: فيكون الطلاق البدعي لغير سبب يبيح إيقاعه.

ثانياً: أن يكون في طهرٍ جامعها فيه أو في حيض، والعلة في حرمة الطلاق في الحيض أو الطهر الذي جامعها فيه زيادة العدة على المرأة باعتبار أن زمن إيقاع الطلاق فيهما لا يكون معدوداً في العدة سواء قلنا إن العدة بالأطهار أو الحيضات، وفي هذا ظلم ظاهر للمرأة(١٥).

ثالثاً: أن يكون أكثر من مرة، كأن يطلق مرتين أو ثلاثاً أو أكثر، ومرجع الحرمة في الزيادة، أن الشارع متشوف لإبقاء العلاقة الزوجية وعدم تفككها؛ لإدراكه أن الرجل قد يلحقه الندم بعد إيقاعه الطلاق.

ب- الطلاق باعتبار الرجعة وعدمها: رجعي وبائن.

الأول: الطلاق الرجعي: وهو الذي يملك الزوج فيه مراجعة زوجته ما دامت في العدة بمحض إرادته سواء رضيت الزوجة أو لم ترض دون الحاجة إلى عقد ومهر جديدين، والطلاق الرجعي من حيث أحكامه أنه يبقي تعلق الزوج بزوجته، فلو توفي أحدهما ورثه الآخر، ويجوز أن تتزين المرأة لزوجها عند بعض الفقهاء من أجل الدفع بالرجل إلى إرجاع زوجته، كما لا يشرع خطبة المرأة المعتدة من طلاق رجعي، وإذا أراد الرجل إرجاع زوجته فقد وقع الخلاف بين الفقهاء بما تثبت الرجعة، والراجح أن الرجعة تصح بكل ما يدل عليها قولاً وعملاً، فلو قال رجل لمطلقته الرجعية أنت زوجتي أو أرجعتك إلى عقدي، أو أنا زوجتك، فإن ذلك يثبت الرجعة، كما أن الرجل لو جامع مطلقته

الرجعية وهي في العدة فإن ذلك يعد رجعة على الصحيح من قولي العلماء(١٦)

الثاني: الطلاق البائن: وينقسم على قسمين: طلاق بائن ببينونة صغرى، وطلاق بائن ببينونة كبرى، فأما الأول فيقصد به: ما لا يملك الزوج فيه أن يرجع مطلقته إليه إلا بعقد ومهر جديدين، وفيه ثلاث صور:

الصورة الأولى: أن تنتهي عدة المطلقة طلاقاً رجعياً، فتنتقل إلى الطلاق البائن ببينونة صغرى.

الصورة الثانية: أن يطلق زوجته التي عقد عليها قبل الدخول بها.

الصورة الثالثة: أن يقع فراق بينهما بخلع.

وأما الطلاق البائن ببينونة كبرى، فهو الذي لا يملك فيه الزوج إرجاع مطلقته لا في عدتها ولا بعد انتهاء عدتها إلا بعقد ومهر جديدين، وبعد أن تكون قد نكحت زوجاً آخر ودخل بها هذا الزوج بعقد شرعي صحيح، ثم فارقها بموته أو طلاقه، ثم انتهت عدتها منه(١٧)

ت- الطلاق باعتبار الصيغة: صريح وكنائي.

الأول: الطلاق الصريح: هو الطلاق الذي يدل لفظه صراحة على الطلاق من غير دلالته على معنى آخر، والألفاظ التي يقع بها الطلاق الصريح على الراجح هي: «الطلاق والسراح والفراق»، ووجه جعل هذه الألفاظ صريحة والاقتصار عليها دون غيرها من الألفاظ أنها ألفاظ جاء التنصيص عليها في كتاب الله، قال تعالى: {الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ } (١٨)، الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ(١٩).

الثاني: الطلاق الكنائي: ويقصد به كل لفظ يستعمل في الطلاق وغيره، بمعنى أن هذا اللفظ يتضمن الطلاق وغيره، والألفاظ الكنائية تفتقر إلى النية، فإذا تلفظ الرجل به وقصد الطلاق يقع الطلاق به، وإن لم يقصد فلا يقع، وقد ثبت في السنة استعمال لفظ كنائي في واقعتين اختلف فيها الحكم، الأولى: لما دخل النبي عليه الصلاة والسلام على ابنة الجون قاصداً نكاحها قالت: أعوذ بالله منك. فقال لها: لقد عذت بمَعاذ، الحقي بأهلك. والثانية في قصة كعب بن مالك عند تخلفه عن غزوة تبوك مع الرسول صلى الله عليه وسلم وأمر النبي له باعتزال زوجته دون طلاقها، قال لها: الحقي بأهلك. فالواقعة الأولى كان اللفظ دالاً على الطلاق لاقترانه بنية الطلاق، واللفظ في الواقعة الثانية لم يدل على الطلاق لعدم اقترانه بالنية.

والألفاظ الكنائية متعددة، من أمثلتها: أنت خلية، أنت بائن، أمرك بيدك، الحقي بأهلك، أخرجي إلى أهلك، لا أريدك في البيت.. إلخ. وقد أخذ قانون الأحوال الشخصية بما قرره الفقهاء في وقوع الطلاق بالصيغ الصريحة والكنائية، فنص في المادة الرابعة والثلاثين ما يأتي: «ولا يقع الطلاق إلا بالصيغة المخصوصة له شرعاً»، والنص دال كما هو ظاهر على أن الطلاق يقع باللفظ الصريح واللفظ الكنائي(٢٠).

المحور الثاني : أسباب الطلاق :

إن للطلاق –كأي ظاهرة اجتماعية أخرى – له جذوراً مختلفة وأسباباً متعددة ينبغي معرفتها ودراستها بشكل دقيق ومواجهتها لنستطيع تجنب حدوث الطلاق في مجتمعنا . ولهذا يجب علينا أن نتعرف على هذه الأسباب والعوامل المساعدة على هذه الظاهرة ونحاول أن نعالجها ونستأصلها. من اهم أسباب بينتها على ثلاث مطالب :

– المطلب الأول : أسباب اجتماعية : تنوعت الأسباب الاجتماعية على النحو الآتي :

أولاً: تدخل الأقرباء في الشؤون الخاصة للزوجين، وخاصة تلك التدخلات في حالات الاختلاف بين الزوجين ويعد ذلك من الأسباب المهمة التي تساعد على الطلاق. وقد أثبتت التجربة أن خلافات الزوجين إذا ما تركت لشأنها دون تدخل من الأقارب فسوف تتلاشى وتنطفئ شيئاً فشيئاً. أما إذا تم دخول طرف من الأقارب والمتملقين دخولاً متحيزاً متعصباً، فإنه سيؤدي إلى إشعال هذه الخلافات وتعميقها وتعقيدها أكثر مما هي عليه. ولكن هذا لا يعني أن يبتعد الأقرباء عن هذه الخلافات دائماً ودون استثناء، فإن دخولهم حينما تكبر المشكلة وتخرج عن كونها خلافاً جزئياً جانبياً يكون لصالح العلاقة الزوجية ودوامها، خصوصاً إذا كان تدخلا خاليا من التعصب والانحياز

للإصلاح بين الأزواج.

ثانياً: التوقعات والآمال المفرطة التي يبنيها كل واحد منهما على الطرف الثاني، فلو أنهما جعلا توقعهما في دائرة محدودة ومعقولة وتجنبا التوغل في عالم الخيال وأدرك كل واحد منهما الطرف الآخر جيداً، وحصرا التوقع في المجالات الممكنة، فحينئذ يمكن الحيلولة دون وقوع الكثير من حالات الطلاق.

ثالثاً: عدم القناعة واستحكام روح طلب الماديات ووسائل الرفاه المختلفة يجعل الإنسان – وخاصة النساء – في حالة عدم قناعة مستمرة، مما يسهل حصول عملية الشقاق والطلاق والإنفصال عند مواجهة أبسط الحوادث والمشاكل تحت ذرائع وحجج متنوعة.

رابعاً: عدم التفات كل من الزوج والزوجة إلى رغبات وطلبات أحدهما للآخر، ففي الوقت الذي يحب الزوج أن تكون زوجته مطيعة جذابة ونظيفة وأنيقة دائماً، كذلك تحب الزوجة لزوجها أن يكون كذلك، ولكن غالباً هذه الرغبات ما تكون مكبوتة لا يحاول كل منهما إبرازها والإعلان عنها. وإن عدم اهتمام الأزواج بالترتيب والاهتمام بالملبس وترك التزيين وعدم الاهتمام بالنظافة وغيرها من أمور التجمل، كل تلك الأمور تمنع الزوج أو الزوجة من الاستمرار(٢١).

– المطلب الثاني : أسباب ثقافية منها :

أولاً: عدم التكافؤ والتناسب في المستوى الثقافي بين الأزواج، كون الزوج يعيش نوعاً من الثقافة العائلية لا تنسجم مع ثقافة الزوجة العائلية، ولذا ينبغي التدقيق في هذا الأمر قبل الإقدام على الزواج، فالمطلوب ليس فقط الكفاءة الشرعية أي الإسلام والتزاماته، وإنما يجب أن تتوفر – أيضاً – الكفاءة والتناسب الثقافي، أي التشابه والتماثل والتقارب في الأمور الأخرى بين الطرفين، وإلا فحدوث انهيار الأسرة والطلاق غير مستبعد في هكذا زواجات.

ثانياً: عدم التكافؤ والتناسب في باقي المستويات بين الزوجين، سواء على المستوى الاجتماعي أو العلمي أو الأخلاقي أو الديني والمذهبي أو العمري، وهذه الاختلافات تخلق فجوة بين الزوجين في عدم الانسجام في الأفكار والأخلاق والعادات والتقاليد والتعامل والطموح والأهداف مما يزيد في اختلافاتهم وعدم إنسجامهم مما يؤدي إلى الطلاق آخر المطاف.

ثالثاً: الأزمات التي تمر بها البلاد نتيجة الحروب والبطالة والفقر وغيرها، هذه الأزمات انعكست على واقع الأسر العراقية ، وكذا أزمة السكن واجتماع عوائل كثيرة في بيت واحد وعدم إمكانية الاستقلال بالسكن أو الرأي نتيجة الاشتراك في الماكل والمسكن وما ينتج من ضعف في دخل الفرد وضعف اقتصاد البلد كل هذا انعكس على واقع الأسر ومعاشها وسلوكها مما يؤدي إلى انهيار بعض الأسر وظهور كثير من المشاكل التي تؤدي إلى الطلاق(٢٢).

– المطلب الثالث : أسباب أخلاقية منها ما يلي :

اولاً: إنهيار المنظومة الخلقية بصورة مفاجئة نتيجة الانفتاح السريع على العالم وتأثر الشعب العراقي والمسلم بالمجتمعات الغربية من خلال الفضائيات ووسائل التواصل الاجتماعي والانترنت مما سبب هذا الانفتاح والتأثر بالغرب والثقافات الاخرى الى تقليدهم في عاداتهم وادى الى الخيانة الزوجية وعدم الاهتمام بالآخر نتيجة الانشغال عنه وعن أداء حقوقه مما زاد بالنتيجة إلى إنهيار الأسر والطلاق.

ثانياً: أسباب تتعلق بالسلوك الشخصي للأزواج الناتج عن اختلاف طباع الزوجين أو أخلاقهم أو استخدام العنف ضد الآخر أو الإدمان على الخمر والقمار والمخدرات وغيرها مما لا يمكن معه الاستمرار بالزواج والحال هكذا مما يؤدي إلى الطلاق.

ثالثاً: أسباب أخرى كثيرة لا يمكن حصرها بعدد معين جلها ناشئ من الجهل بالثقافة الإسلامية كالزواج من الثانية وسوء الخلق وعدم الإنجاب أو ظهور أمراض مزمنة في أحد الزوجين أو عمل المرأة واستقلالها المادي وغير ذلك من الأسباب التي يمكن أن نجملها كلها بأسباب خارجية كالفقر والبطالة وأسباب داخلية كعدم التكافؤ وأسباب

اجتماعية كتدخل الأقارب وأسباب دينية كالاختلاف المذهبي وأسباب أخرى كوسائل التواصل والخيانة وسوء الخلق واستخدام العنف ضد الآخر وعدم الانسجام الجنسي(٢٣).

اما المحور الثالث : الآثار السلبية للطلاق ويتضمن أربعة مطالب :

مما لاشك فيه أن عقد الزواج من جملة العقود والمواثيق التي تقبل الفسخ، فهناك حالات من الخلاف لا يمكن استمرار العلاقة الزوجية، لانها ستؤدي إلى مشاكل ومفاسد خطيرة وعديدة، ولهذا نجد الإسلام قد شرع الطلاق من الناحية المبدئية ، وقد ذكر الطلاق على أنه أبغض الحلال إلى الله بدليل قوله – (صلى الله عليه وآله وسلم). «أبغض الحلال إلى الله الطلاق»، ويمكن تقسيم الآثار السلبية للطلاق الى :

الآثر الأول: المشاكل العاطفية

إن انتهاء العلاقة الزوجية بالطلاق ، بعد حياة مشتركة كانت بين الزوجين، ستترك آثراً سيئة على الصعيد العاطفي على كلا الطرفين، وإذا أقدم أحدهما على الزواج مرة أخرى فسيبقى ينظر بشيء من القلق والارتياب إلى الطرف الآخر، وربما أعرض بعضهم عن الزواج نهائيا تحت تأثير التجربة الأولى الفاشلة.

الآثر الثاني: المشاكل الاجتماعية:

غالباً ما تحرم النساء المطلقات من الحصول على الزوج الكفوء مرة أخرى كما قد يواجه الرجال نفس المسألة حينما يبدأون يفكرون بالزواج مرة أخرى، وقد يضطر هؤلاء إلى الزواج بالرغم من عدم قناعتهم، الأمر الذي يؤدي إلى فقدان السعادة والراحة إلى الأبد خصوصاً مع وجود أطفال من الزواج الأول.

الآثر الثالث: مشاكل الأطفال:

هو أهم المشاكل حيث يحرم الأطفال من حنان ورعاية الأم، ويعيشون في كنف زوجة أبيهم التي لا تنظر إلى هؤلاء الأطفال أو تعاملهم كما تعامل أطفالها الحقيقيين. وبهذا سيعيش الأبناء فراغاً عاطفياً من هذا الجانب لا يعوضه شيء، وتتكرر نفس الصورة فيما إذا حملت المرأة أطفالها معها إلى الزوج الجديد، فإن هذا الزوج الجديد لا يحل غالباً محل الأب الحقيقي.

وهذا لا يعني أنه لا يوجد نساء أو رجال يمتلكون المحبة والشفقة التي تمتلكها الأمهات أو الآباء تجاه أطفالهم، ولكن مثل هؤلاء الناس قليلون في المجتمع ويندر الحصول عليهم وبناء على ذلك سيعيش هؤلاء الأطفال المحرومون من حب الأم والأب عقداً معينة على الصعيد الروحي والعاطفي، وربما يؤدي إلى فقدانهم السلامة الروحية، ولهذا سيعاني المجتمع بأجمعه – وليس العائلة فقط – من هؤلاء الأطفال الذين يشكلون في المجتمع بعض الأحيان ظاهرة خطيرة عندما يعيشون حالة النقص وحب الانتقام من المجتمع.

الأثر الرابع : مشاكل الزوجين

فمما لا شك فيه أن الطلاق له أثر سلبي في نفس كل من المرأة والرجل، إن كان الطلاق رغبة كليهما، ولكن الألم النفسي لدى المرأة أشد، وذلك بسبب نظرة المجتمع – غير المنصفة – التي لا تغفر للمرأة المطلقة بسبب تركها لزوجها وتنازلها عن حياتها الزوجية فضلاً عن أن المجتمع يحملها المسؤولية في فساد حياتها الزوجية حتى لو كان السبب في الطلاق سلوك الزوج، أن المرأة يصعب عليها – بسبب هذه النظرة غير المنصفة – الزواج مرة أخرى، بخلاف الرجل.

وأيضا الطلاق له تأثير سلبي على نفسية الرجل، فقد انتهت الحياة التي كان يرغب فيها بالاستقرار والعيش وسط أبنائه، ولكن عزاءه الوحيد هو نظرة المجتمع التي تسمح له بالزواج مرة أخرى دون إلقاء اللوم عليه فيكون حضه أوفر من المرأة في ذلك .

وخاتمة تتضمن النتائج والحلول والمقترحات

أولاً : النتائج :

١ – إن الطلاق لغة هو بمعنى عدم القيد وإطلاق السراح وشرعاً واصطلاحاً هو إيقاع يتضمن إنشاء الزوج للفرقة بعد تحقيق الزوجية الدائمية، وهو إزالة قيد النكاح بغير عوض بصيغة طالق.

٢ – إن الطلاق أمر جائز عند انتفاء الحلول لاستمرار الحياة وإن كان أبغض الحلال الى الله تعالى لكنه الحل الوحيد .

٣ – ان الطلاق قد بين حكمه القرآن الكريم بل توجد سورة كاملة مسماة بالطلاق .

٤ – إن الالتزام بحدود الله واجب وتعدي حدود الله ظلم للنفس وإن فلسفة العدة وحكمة تشريعها هي إصلاح الأمور وذهاب فورة الغضب والعصبية

٥ – للطلاق أسباب كثيرة جداً، لعل من أهمها سوء الاختيار وعدم التكافؤ بين الزوجين والجهل وعدم الالتزام بالشرع وتدخل الأهل والأقارب السلبي والثقافات المتنوعة على مجتمعاتنا ووسائل التواصل الاجتماعي وانتشار المخدرات والبطالة .

ثانياً: الحلول:

١ . توفر النية الصادقة لدى الزوجين من البداية والتوكل على الله في إحياء سنة النبي(صلى الله عليه وآله وسلم). في زواجهما، وأن يعامل كل منهما شريكه كما يتمنى أن يعامله أو يعامل أخاه أو أخته حفاظاً للمودة والمحبة بينهما.

٢ . حسن الاختيار لشريك وشريكة الحياة المفتاح الأساسي لنجاح الحياة الزوجية.

٣ . أن لا يتوقع الزوجان أشياء غير واقعية من الطرف المقابل كأن يكون كاملاً ومثالياً ومضحياً أكثر من الحد المعقول.

٤ . الاعتراف بالخطأ وطلب العفو من الطرف الآخر والعمل على عدم تكرار الخطأ من الأمور الهامة في تنمية العلاقة ين الزوجين واستمرار الحياة الزوجية .

٥ . التزود بالمعارف بالحياة الزوجية، من ثقافة شرعية وواقعية، وأن يعرف الزوج والزوجة واجباتهما ومسؤولياتهما، وأن يلتزم كل طرف بما له وما عليه.

٦ . الإلتزام بضوابط حسن المعاشرة ومد جسور الود والثقة، والحرص على فهم الطرف المقابل فهماً صحيحاً، ومحاولة اكتشاف إيجابياته.

٧ . لابد من تقريب وجهات النظر، فالاختلاف بالرأي لابد من وجوده ولكن لابد من استعداد كلا الطرفين للتغيير والتنازل أو الالتقاء في منتصف الطريق. فلا بد من السعي الجاد لتحقيق التواصل.

ثالثاً: المقترحات :

١ – على الجهات المسؤولة والدوائر المعنية بالأمر وضع حلول وبرامج ومؤسسات تخصصية لدراسة ظاهرة كثرة الطلاق ووضع الحلول المناسبة بما يمكن لها من الحد والتقليل من الطلاق وكيفية الحفاظ على أواصر الأسرة.

٢ – نقترح على المؤسسات التعليمية والمدارس والجامعات والمراكز البحثية وضع مناهج تثقيفية للحفاظ على الأسرة وللآثار السلبية من تدميرها وتفرقها بالطلاق.

٣ – على المؤسسات الإعلامية والفضائيات وكافة الأصناف الإعلامية بكافة مستوياتها أن تقوم بالدور البناء لعلاج كل ما يهدد الكيان الأسري والترويج لكل ما يحافظ على ديمومة هذا الكيان.

٤ – مبادرة الأهل والأقارب والحكماء منهم للإصلاح بين الأطراف المتنازعة والمتخاصمة والمتشاجرة بما يصلح سوء التفاهم الحاصل بين الزوجين والوصول إلى الوئام والوفاق بدلاً من الفراق والعناد.

٥ – ولا ننسى دور المؤسسات الخيرية التركيز على الشباب المتزوجين وتوفير الدعم اللازم لهم بما يؤمن لهم العيش الكريم والسكن اللائق وتذليل الصعاب والحلول المناسبة كل بما يناسبه وعلى الدولة القيام بذلك أولاً.

الهوامش:

١. أخرجه ابن ماجه في سننه، سنن ابن ماجة : ٢٠١٨/٦٥٠/١.

٢. ينظر : المصباح المنير : ٣/ ٢٢٦، ومختار الصحاح : ٣/ ٢٢٥.

٣. ينظر : حاشية ابن عابدين : ٣/ ٢٢٧، و الشرح الكبير : ٢/ ٣٤٧، ومغني المحتاج : ٢٧٩/٣، والمغني : ٧/ ٢٩٦.

٤. ينظر : مغني المحتاج : ٣/ ٢٧٩ .

٥. سورة البقرة من الآية (٢٢٦) .

٦.سورة الطلاق من الآية (١) .

٧. سورة البقرة من الآية (٢٢٨) .

٨. أخرجه البيهقي في سننه ، السنن الكبرى للبيهقي : ١٤٦٧٢/٣٢٢/٧ ، وأخرجه الدراقطني في سننه ، سنن الدراقطني : ٩٦/٣٥/٤ .

٩. أخرجه ابن حبان في صحيحه، صحيح ابن حبان : ٤٢٧٥/١٠٠/١٠ .

١٠. وسائل الشيعة، محمد بن الحسن الحر العاملي ، تحقيق : محمد الرازي، وتعليق الشيخ ابي الحسن الشعراني، كتاب الطلاق / باب مقدمات الطلاق : ٢٢٦/١٥

١١. ينظر بداية المجتهد ونهاية المقتصد : ٤٦/٢.

١٢. ينظر : حاشية ان عادين : ٢٣٠/٣ ، و حاشية الدسوقي : ٣٦٥/٢ ، ومغني المحتاج : ٣/ ٢٧٩.

١٣. ينظر : حاشية ان عادين : ٢٣٠/٣ ، و حاشية الدسوقي : ٣٦٥/٢ ، ومغني المحتاج : ٣/ ٢٧٩.

١٤. ينظر : البحر الرائق : ٣/ ٢٦٢، والشرح الكبير : ٢/ ٣٦١ ، و المجموع : ١٧/ ٧٨ ، والاقناع : ٢/ ١٠٣، وفقه الامام جعفر : ١٣٢/٣، وشرائع الإسلام : ٣/ ٢٣١.

١٥. كتاب الفقه على المذاهب الأربعة : ٢٣٧/٤ .

١٦. ينظر : البحر الرائق : ٣/ ٣٢٥ ، و بدائع الصنائع : ٣/ ١٣٤، و حاشية الدسوقي : ١٠/ ١٤ ، و الحاوي الكبير : ١٠ / ٤٤٨، والفروع : ٢/ ١٥٦، و والمغني : ٨/ ٢١٤، والمحلى : ١٠ / ٢٣٩.

١٧. ينظر : البدائع : ٣ / ٨٩ ، والقوانين الفقهية : ص ٢٢٧ ، ومغني المحتاج: ٣ / ٣٠٧ ، وروضة الطالبين : ٨ / ٣ ، والمغني لابن قدامة: ٧ / ٩٨ .

١٨.سورة البقرة من الآية (٢٢٩) .

١٩. ينظر : تفسير القطبي : ٣ / ٨٨ ، و أحكام القرآن للجصاص : ١ / ٤١١ .

٢٠. ينظر : البدائع : ٣ / ٨٩ ، والقوانين الفقهية : ص ٢٢٧ ، ومغني المحتاج: ٣ / ٣٠٧ ، وروضة الطالبين : ٨ / ٣ ، والمغني لابن قدامة: ٧ / ٩٨ .

٢١. ينظر الطلاق والفاظه المعاصرة في ضوء الفقه الإسلامي : ١٢٣.

٢٢. ينظر : المتغيرات الاجتماعية والثقافية لظاهرة الطلاق ، لأيمن الشبول ، مجلة جامعة دمشق ، العدد ٣– ٤، ص : ٦٨.

٢٣. الطلاق في شريعة السماء وقانون الأرض خلال أربعة الف سنة ، مطبعة العاني / بغداد، ١٩٨٤، ط١، ص: ١٦٧.

٢٤. أخرجه ابن ماجه في سننه، سنن ابن ماجة : ٢٠١٨/٦٥٠/١.

٢٥. ينظر : جواهر الكلام في شرح الإسلام . محمد حسن النجفي، مؤسسة المرتضى العالمية، بيروت / لبنان ، دار المؤرخ العربي ، ط ١ ، ١٤٠١هـ، و

المصادر والمراجع :

١. البحر الرائق شرح كنز الدقائق .لزين الدين ابن نجيم الحنفي (ت ٩٧٠هـ) ، دار المعرفة – بيروت ، ط ٢ .

٢. بداية المجتهد ونهاية المقتصد. للإمام القاضي أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي الأندلسي (ت ٥٩٥هـ) ، دار الفكر – بيروت/لبنان ، ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م.

٣. بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع .لعلاء الدين الكاساني (ت ٥٨٧هـ) ، دار الكتاب العربي – بيروت ، ١٩٨٢م ، ط ٢ .

٤. تفسير القرطبي .لأبي عبد الله بن محمد أحمد الأنصاري القرطبي (ت ٦٥٦هـ) ، دار الشعب – القاهرة .
٥. جواهر الكلام في شرح الإسلام . محمد حسن النجفي، مؤسسة المرتضى العالمية، بيروت / لبنان ، دار المؤرخ العربي ، ط ١ ، ١٤٠١هـ.
٦. حاشية ابن عابدين على الدر المختار شرح تنوير الإبصار. لمحمد أمين بن عمر بن عبد العزيز بن عابدين الدمشقي (ت ١٢٥٢هـ) ، دار الفكر – بيروت ، ١٩٦٦ ، ط ٢.
٧. حاشية الدسوقي على الشرح الكبير. لشمس الدين الشيخ محمد عرفة (ت ١٢٣٠هـ) ، دار إحياء الكتب العربية – مصر.
٨. الحاوي الكبير . لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي (ت ٤٥٤هـ) ، تحقيق : د. محمود مطرجي مع مجموعة من الأساتذة ، دار الفكر للطباعة – بيروت ، ١٩٩٤
٩. الفروع وتصحيح الفروع .لمحمد بن مفلح المقدسي (ت ٧٦٢هـ) ، تحقيق : أبو الزهراء حازم القاضي ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ١٤١٨هـ ، ط ١.
١٠. روضة الطالبين .محي الدين النووي (ت٦٧٦هـ) ، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر – بيروت ١٤٠٥هـ ، ط ٢ .
١١. سنن ابن ماجة .لمحمد بن زيد أبو عبد الله القزويني (ت ٢٧٥هـ) ، محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الفكر – بيروت .
١٢. سنن الدارقطني. لعلي بن عمر أبو الحسن الدارقطني البغدادي (ت ٣٨٥هـ) ، تحقيق : السيد عبد الله هاشم يماني المدني ، دار المعرفة – بيروت ، ١٣٨٦هـ – ١٩٦٦م.
١٣. سنن الكبرى للبيهقي. لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (ت ٤٥٨هـ) ، مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند ببلدة حيدر آباد ، ١٣٤٤هـ ، ط ١.
١٤. شرائع الإسلام في مسائل الحلال والحرام .لأبو القاسم نجم الدين جعفر بن الحسن ، مطبعة أمير– قم ، ١٤٠٩هـ ، ط ٢.
١٥. الشرح الكبير. لسيدي أحمد الدردير (ت ١٢٠١هـ) ، تحقيق : محمد عليش ، دار الفكر – بيروت.
١٦. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان. محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي (ت ٣٥٤ هـ) ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط ، ط مؤسسة الرسالة – بيروت ، ١٤١٤ – ١٩٩٣ ، ط ٢.
١٧. الطلاق في شريعة السماء وقانون الأرض خلال أربعة الف سنة ، مطبعة العاني / بغداد، ١٩٨٤، ط١، ص: ١٦٧.
١٨. فقه الإمام جعفر الصادق .لمحمد جواد مغنية ، اعداد : عباس الساور الكاساني ، مؤسسة الشيخ مظفر الثقافية – بيروت / لبنان .
١٩. الفقه على المذاهب الأربعة . لعبد الرحمن الجزري ، المكتب التجارية الكبرى – مصر .
٢٠. القوانين الفقهية في تلخيص مذهب السادة المالكية .لمحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن جزي الكلبي الغرناطي (ت ٧٥٧هـ) ، تحقيق : د.يحيى مراد ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع – القاهرة ، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م ، ط ١ .
٢١. كشاف القناع عن متن الإقناع. لشيخ منصور بن يونس بن إدريس البهوتي (ت١٠٥١هـ) ، تحقيق : محمد أمين الضناوي ، ١٤٠٢هـ .
٢٢. المتغيرات الاجتماعية والثقافية لظاهرة الطلاق ، لأيمن الشبول ، مجلة جامعة دمشق ، العدد ٣– ٤ .
٢٣. المجموع بشرح المهذب .للإمام أبي زكريا محي الدين بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ) ، إدارة المطبعة المنيرية – بمصر .
٢٤. المحلى . لأبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي الظاهري (ت ٤٥٦هـ) ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .
٢٥. مختار الصحاح. لمحمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، ط جديدة، تحقيق : محمود خاطر، ١٤١٥ – ١٩٩٥.
٢٦. المصباح المنير. لمحمد بن علي المقري القيوحي (ت ٧٧٠هـ) ، المكتبة العلمية – بيروت.
٢٧. مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج. لمحمد الخطيب الشربيني (ت ٧٤٣هـ) ، تحقيق : محمد عيتاني ، دار المعرفة – بيروت ، ١٩٩٧ ، ط١.
٢٨. المغني. لعبد الله بن أحمد بن قدامه المقدسي (ت ٦٢٠هـ) ، دار الفكر – بيروت ، ١٤٠٥ هـ ، ط ١.
٢٩. وسائل الشيعة، محمد بن الحسن الحر العاملي ، تحقيق : محمد الرازي، وتعليق الشيخ ابي الحسن الشعراني، ط ١.

فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية العدد(٨)
السنة الثالثة صفر الخير ١٤٤٦هـ آب ٢٠٢٥م

الدلالة الصوتية وارتباط علاقات الجُمَل في سورة العاديات

م. د. أيمن حوري ياسين
جامعة الأنبار/ كلية التربية للبنات

فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية العدد(٨)
السنة الثالثة صفر الخير ١٤٤٦هـ آب ٢٠٢٥م

المستخلص:
يهدف هذا البحث إلى التناسق والترابط بين دلالات الجُمَل في سورة العاديات، وذلك لما فيها من تصوير لعدو الخيل وإيراءها مع الإغارة في الإصباح، وإثارة النقع. كل ذلك جاء بدلالات جمل تصور المشهد تصويرا بليغًا حتى في الحركة والسكون. ثم بعد ذلك تناول الباحث العلاقات والارتباط بين مفتتح السورة مع علاقته بكنود الإنسان وحبه للمال، ثم بيّنت بعض آراء المحدثين في معاني الواو المستهلة بالقسم مع ذكر مناسبتها، ثم ختمتُ بذكر المناسبات بين مفتتح السورة وخاتمتها من حيث آراء المحدثين في هذه العلاقات، ثم جاء ذكر أهم ما توصل إليه البحث، مع خاتمة للمصادر.
الكلمات المفتاحية:العاديات، المناسبة، المثيرة، التصوير، تناسق، دلالة.

Abstract:
This research aims to explore the coherence and connection between the meanings of the verses in Surah Al-Adiyat, due to its depiction of the enemy of horses and their charging at dawn, stirring up dust. All of this is presented through phrases that vividly illustrate the scene, both in motion and stillness. The researcher then addressed the relationships and connections between the opening of the surah and its relation to human ingratitude and love for wealth. Additionally, some opinions of contemporary scholars regarding the meanings of the initial «wa» in the oath were discussed along with its relevance. Finally, the study concluded with a discussion of the connections between the beginning and end of the surah based on the scholars› views on these relationships, followed by the most important findings of the research and a conclusion with references.
Keywords:habitual, appropriate, exciting, depiction, harmony, significance.

المقدّمة:
الحمدُ للهِ ربّ العالمينَ، والصلاةُ والسلامُ عل أشرفِ المرسلين، سيّدنا محمّدٍ وعلى آلهِ وصحبهِ أجمعينَ،
أمّا بعد: فمنذ أن رغبتُ في تعلّم اللغة العربية من حيث أساليبها ودلالاتها وأنا مولعٌ بدلالة الجمل وبيان الألفاظ والتركيز على السياق الذي يرشد للمعنى السليم، فأحببت أن يكون لي بحثٌ أبيّن فيه بعض تلك الخصائص التي خصّ الله. تعالى. بها اللغة العربية من بين سائر اللغات الأخرى، فبدأتُ بالبحث والتنقيب عن تلك الدرر المخفيّة فوقع اختياري على ما في سورة « العاديات» كي أسلّط الضوء على ما فيها من تناسق في الألفاظ ودلالة الحركات والسكنات وارتباط الجمل. وفي الحقيقة لا يستطيع الإنسان مهما بلغ من الفصاحة والبلاغة واستقراء لكلام العرب أن يوفي حقّ آية واحدة من القرآن الكريم، ولكن حسبي أني فتشتُ في كتب العلماء المهتمين ببيان ما في القرآن من أسرار وجمال فاستطعتُ أن التقطَ بعضًا منها لأضعه بين يدي القارئ الكريم ليكون بحثًا لي بعنوان « الدلالة الصوتية وارتباط علاقات الجُمَل في سورة العاديات» ولأنّ بحثي كان في سورة من سور القرآن الكريم فكان واجبًا عليَّ أن أذكر مكان وزمان السورة مع عدد آياتها وفضلها ومقصدها وأقوال العلماء فيها، فبدأت بتمهيد يسير أسميته « بين يدي السورة» ثم قسّمته على مبحثين: الأول تضمّن معاني الألفاظ وإعراب مشكلها، والثاني كان في صلب الموضوع إذ تحدثتُ فيه عن ما جاء من تصوير عام لجوّ السورة من مفتتحها حتى نهايتها مع ذكر دلالة الألفاظ وحركاتها التي تعبّر وتصوّر حركة وسرعة الخيل الضابحة، والمغيرة في الإصباح

مع إثارة الغبار فالمشهد وحده حافلا بإخافة وإذلال العدو من دون أن يكون ثمَّة قتال فكان المبحث الثاني متضمّنًا التصوير العام لجوّ السورة، والتصوير الدلالي لمفتتح السورة، ودلالة الواو في مستهل السورة، ورأي لأحد الباحثين في فيي معنى الواو في السورة، والتصوير الفني والموسيقي من خلال الأصوات مع دلالة الحركات والسكون لمقام السورة، وختمت البحث بذكر آراء للباحثين عن المناسبات في السورة. ثم أهم ما تضمّن البحث من نتائج مع قائمة المصادر.

وأودّ أن أبيّن للقارئ الكريم أنّي لم أحط بهذا البحث كلّ ما حوته السورة من أسرار لغوية وتعبيرية وبيانية، ولكن حسبي أنّي سلطتُ الضوء على ما اشتملت عليه السورة من بعض الأوجه الدلالية لغوية كانت أم بيانيّة لنطلعَ القارئ الكريم على الأسرار والأساليب والدلالات التي جاء بها القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين.

تمهيد يسير ويتضمن (بين يدي السورة) سورة العاديات دراسة بيانية

سورة العاديات

(مكيَّة أم مدنية)

فيها قولانِ:

أحدهما أَنَّها مَكِّيَّةٌ. قاله ابْنُ مَسْعُودٍ وَجَابِرُ بْنُ زَيْدٍ وَعَطَاءٌ وَالْحَسَنُ وَعِكْرِمَةُ، والآخر أَنَّها مَدَنِيَّةٌ. قاله أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ وَابْنُ عَبَّاسٍ وَقَتَادَةُ: هِيَ مَدَنِيَّةٌ. وآياتها إحدى عشرة آية. (الدر المنثور، السيوطي،٨/٥٩٩)

(سبب نزولها)

ذكر الواحدي في سبب نزولها أنَّ رسولَ الله. صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ. بَعَثَ سَرِيَّةً إِلَى حَيٍّ مِنْ كِنَانَةَ وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمُ الْمُنْذِرَ بْنَ عَمْرٍو الْأَنْصَارِيَّ، فَتَأَخَّرَ خَبَرُهُمْ، فَقَالَ الْمُنَافِقُونَ: قُتِلُوا جَمِيعًا، فَأَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا} يَعْنِي: تِلْكَ الْخَيْلَ. (أسباب نزول القرآن،الواحدي،٤٦٣).

(مقصد السورة)

تصف سورة العاديات الحرب بين كفّار مكّة والمسلمين، وتبدأ بمشهد الخيل العادية الضابحة، القادحة للشرر بحوافرها، المغيرة مع الصباح، المثيرة للنقع وهو الغبار، الداخلة في وسط العدوّ فجأة تأخذه على غرّة، وتثير في صفوفه الذعر والفرار، يليه مشهد ما في النفس، من الكنود والجحود والأثرة والشّحّ الشديد، ثم يعقبه مشهد لبعثرة القبور، وتحصيل ما في الصدور وفي الختام ينتهي النقع المثار، وينتهي الكنود والشّحّ، وتنتهي البعثرة والجمع، الى نهايتها جميعا.

ويعود الأمر إلى الله سبحانه: إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ. (أهداف كلّ سورة ومقاصدها، شحاتة)

وفي سورة (العاديات) يشير الشيخ أبو حسن الندوي إلى وجه لم يسبق إليه في الحكمة من القسم بالخيل وربطها بمحور السورة (الإنسان الكنود) فيقول: إن الله سبحانه وتعالى يصف الخيل في هذه السورة بأوصاف، ويذكر لها أعمالاً، كلها ترجع إلى نقطة وهي (الوفاء والفداء والإيثار لسيدها) فهي التي تفديه بنفسها وتشقى لنعيمه، وتموت لحياته، ولا تعرف لنفسها ولا لحياتها حقاً، ترمي بنفسها في الخطر، وفي النار والبحر، وتصبر على الجوع والعطش، وتتحمل المشاق، تعدو ضبحاً، وتوري قدحاً، وتغير صبحاً، فتثير به نقعاً، وتوسط به جمعاً. تفعل كل هذا مع ربها، وهو ليس لها رب. والذي هو من غير جنسها، والذي يستخدمها أكثر مما يخدمها، وهو الحيوان غير الناطق، غير العاقل، فكيف الإنسان العاقل الشريف مع ربه الحقيقي وولي نعمه، إن الإنسان لربه لكنود!! فللإنسان عبرة في دواجنه وفي عبيده المسخرة. فهذه السورة قد اشتملت على بيان المرض وهو قوله تعالى (إن الإنسان لربه لكنود) وعلى علته وهو قوله تعالى (وإنه لحب الخير لشديد) وعلى علاجه وهو قوله تعالى (أفلا يعلم إذا بعثر ما في القبور ...). فإن الإيمان بالآخرة وتذاكر الموت يكشف الغطاء عن العين، ويفيق من سكرة الدنيا، (منهج الشيخ أبي الحسن الندوي في التفسير،٢٦٣)

ويشير المعنى الإجمالي للسورة إلى القسم بخيل الغزاة والمجاهدين، وبيان حال الإنسان، إذا خلا قلبه من الايمان، وذمّ الشّح والبخل وجحود النعمة، وعرض صورة من مشاهد البعث والحساب والجزاء. (الموسوعة القرآنية، شرف

الدين،١٢/١١٢).

المبحث الأول: (معاني الألفاظ وإعراب مشكلها في السورة).

(بسم الله الرحمن الرحيم)﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾

قالَ الزَّجَّاج: ((يعني بالعاديات ههنا الخيل، وهذَا قسم جوابه: (إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ)، وقوله: (ضَبْحًا) معناه والعاديات تضبح ضبحاً، وضبحها صوت أجوافها إذا عَدَتْ. (معاني القران، الزجاج٥/٣٥٣).

{والعاديات}: جمعُ «عادِيَة» وهي الجاريَةُ بسُرعةٍ، من العَدْوِ، وهو المَشْيُ بسُرْعةٍ. والياءُ عن واوٍ لكَسْرِ ما قبلها نحو: الغازِيات من الغَزْوِ. يُقال: عَدا يَعْدُوا عَدْواً، فهو عادٍ وهي عادِيَةٌ، وقد تقدَّمَ هذا في المؤمنين. (الدر المصون، السمين الحلبي١١/٨١)

والعاديات» جر بواو القسم، علامة الجر كسرة التاء. و»ضبحا» الضَبْح الصوت، أعني صوت أنفاس الخيل، وهو نصب على المصدر في موضع الحال. (اعراب ثلاثين سورة، ابن خالويه،١٥٥). وفيه أوجه إعرابية أخرى.

ومعنى الآية أنَّ الْأَفْرَاسُ تَعْدُو. كَذَا قَالَ عَامَّةُ الْمُفَسِّرِينَ وَأَهْلُ اللُّغَةِ، أَيْ: تَعْدُو فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَضْبَحُ. قَالَ قَتَادَةُ: تَضْبَحُ إِذَا عَدَتْ، أي تحمحم. (القرطبي٢٠/١٥٤).

﴿فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا﴾

قال ابن قتيبة: أي أوْرَتِ النار بحوافرها. (غريب القرآن، ابن قتيبة،٥٣٦). وذكر غيره أنها الخيلُ تُورِي النارَ وَتَقْدَحُهَا بِحَوَافِرِهَا إذا سَارَتْ مُسْرِعَةً في أرضٍ ذاتِ حِجَارَةٍ، وَالمُورِيَاتُ: جَمْعُ مُورِيَةٍ، والإيراءُ: إخراجُ النارِ. (تفسير غريب القران، كاملة الكواري،١٠٠).

{قَدْحًا} مصدر مؤكّدٌ لأن الموري القادح. (التبيان في إعراب القرآن، ٢/١٣٠٠)

وتفسيرها: أنَّ الله ـ تعالى ذكره ـ أقسم بالموريات التي توري النيران قدحاً فالخيل توري بحوافرها، والناس يورونها بالزند، واللسان – مثلا – يوري بالمنطق، والرجال يورون بالمكر مثلا، وكذلك الخيل تهيج الحرب بين أهلها أي: إذا التقت في الحرب، ولم يضع الله دلالة على أن المراد من ذلك بعض دون بعض فكل ما أورت النار قدحا، فداخلة فيما أقسم به، لعموم ذلك بالظاهر. (تفسيرالطبري،٢٤/٥٦١)

﴿فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا﴾

هي الخيلُ التي تُغِيرُ عَلَى العَدُوِّ في الصباحِ، والإغارةُ: سرعةُ السَّيْرِ. (تفسير غريب القران، كاملة الكواري،١٠٠).

وقوله تعالى {صُبْحاً}: هو ظرفٌ، أي: التي تُغير وقتَ الصبح يقال: أغارَ يُغير إغارةً باغَتَ عَدُوَّه لنَهْبٍ أو قَتْلٍ أو أَسْرٍ. (الدر المصون، السمين الحلبي ،١١/٨٤).

وتفسيرها أن الْخَيْلُ تُغِيرُ عَلَى الْعَدُوِّ عِنْدَ الصُّبْحِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَأَكْثَرِ الْمُفَسِّرِينَ. وَكَانُوا إِذَا أَرَادُوا الْغَارَةَ سَرَوْا لَيْلًا، وَيَأْتُونَ الْعَدُوَّ صُبْحًا، لِأَنَّ ذَلِكَ وَقْتُ غَفْلَةِ النَّاسِ.(تفسير القرطبي،٢٠/١٥٨).

﴿فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا﴾

قيل: إنَّ النقع هو الغبار، ويقال: الترابُ، فقال « بِهِ « ولم يتقدم ذكر المكان، ولكنْ في الكلام دَليلٌ عليه، والمعنى فَأَثَرْنَ بمكان عَدْوِهَا نَقْعًا أَيْ غباراً. (معاني القرآن، الفرّاء،٣/٢٨٤).

وتفسيرها أنَّ الْخَيْلَ تُثِيرُ الْغُبَارَ بِشِدَّةِ الْعَدْوِ فِي الْمَكَانِ الَّذِي أغارت به. (تفسير القرطبي٢٠/١٥٨)

﴿فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا﴾

قال ابن قتيبة: ((أي توسَّطن به جمعًا من الناس أغارتْ عليهم)) (غريب القران ابن قتيبة،٥٣٦).

وجاء في الدر المصون: ((قوله: {فَوَسَطْنَ}: العامَّةُ على تخفيفِ السينِ، أي: تَوَسَّطْنَ. وفي الهاءِ في «به» أوجهٌ، أحدُها: أنها للصبح، كما تقدَّم. يقصد قوله تعالى: {فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا} . والثاني: أنها للنَّقْعِ، أي: وَسَطْنَ بالنَّقْعِ الجَمْعَ، أي: جَعَلْنَ الغبارَ وَسْطَ الجمع، فالباءُ للتعدية، وعلى الأولِ هي ظرفيةٌ، الثالث: أنَّ الباءَ للحالية، أي: فتوَسَّطْن مُلْتبساتٍ بالنقع،

أي: بالغبار جمعاً من جموع الأعداء. وقيل: الباءُ مزيدةٌ، نقله أبو البقاء و «جَمْعاً» على هذه الأوجهِ مفعولٌ به. الرابع: أنَّ المرادَ ب جَمْع المزدلفةُ وهي تُسَمَّى جَمْعاً. (الدر المون، السمين،١١/٨٧).

وتفسيرها أَيْ فَوَسَطْنَ بِرُكْبَانِهِنَّ الْعَدُوَّ، أَيِ الْجَمْعَ الَّذِي أَغَارُوا عَلَيْهِمْ. وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعاً: يَعْنِي مُزْدَلِفَةَ، وَسُمِّيَتْ جَمْعًا لِاجْتِمَاعِ النَّاسِ. (تفسير القرطبي،٢٠/١٦٠).

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾

قيل إنَّ الْكَنُودُ، بِلِسَانِ كندة وحضر موت: الْعَاصِي وَبِلِسَانِ رَبِيعَةَ وَمُضَرَ: الْكَفُورُ وَبِلِسَانِ كِنَانَةَ: الْبَخِيلُ السيّء الْمَلَكَةِ. البحر المحيط، أبو حيان،١٠/٧٢٥). وقيل: أرضٌ كَنُودٌ، إذا لم تُنبتْ شيئًا. (المفردات في غريب القرآن، الراغب،٤٤٢).

وقد جمعَ ابنُ الجوزي ما جاء من أقول في تفسير «الكَنُود» فكانت في ثلاثة أقوال، وهي كما يأتي:

١. أن «الكنور» الذي يأكل وحده، ويمنع رِفْده، ويضرب عبده. وهذا ما جاء في الأثر، ويُنسب إلى النبيّ(صلّى اللهُ عليه وآله وسلَّمَ).

٢. أنه الكفور، قاله ابن عباس.

٣. لَوَّام لِرَبِّهِ يَعُدُّ المصيبات، وينسى النِّعَم، قاله الحسن البصري. (زاد المسير، ابن الجوزي،٤/٤٨١).

﴿وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ﴾

أَيْ: وَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ ثَنَاؤُهُ عَلَى ذَلِكَ مِن ابْنِ آدَمَ لَشَهِيدٌ. كَذَا رَوَى مَنْصُورٌ عَنْ مُجَاهِدٍ، وَهُوَ قَوْلُ أَكْثَرِ الْمُفَسِّرِينَ، وَهُوَ قَوْلُ ابْنُ عباس. وقال الحسن وقتادة ومحمد ابن كَعْبٍ: وَإِنَّهُ أَيْ وَإِنَّ الْإِنْسَانَ لَشَاهِدٌ عَلَى نَفْسِهِ بِمَا يَصْنَعُ. (تفسير القرآن، القرطبيّ،٢٠/١٦٢).

وهذا يعني أنَّ في عود الضمير في قوله تعالى «وَإِنَّهُ» قولين: أحدهما يرجع إلى الله. تعالى. ويكون حينئذٍ التقدير: وإنَّ اللهَ على ذلكَ لشهيدٌ، والثاني: يرجع الضمير على الإنسان فيكون المعنى: وَإِنَّ الإنسانَ على ذلك لشهيدٌ. ورُبَّما كان الثاني أكثر انسجامًا مع تمام النظم، ولا سِيَّما أن كلمة «الإنسان» ذُكِرَت في الآية التي قبلها في قوله تعالى: وَإِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ.

﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾

الضمير في «إنَّه» يعود على الإنسان، و» لِحُبّ الخير» أي: من أجل حُبِّ الخيرِ، فاللام للعِلَّةِ، والخير بمعنى المال. (معاني القرآن وإعرابه للزجاج،٣/٢٦٢).

واخْتُلِف في قوله « لشديد « عل أقوال منها: أنه بمعنى: البخيل، والقويّ. ويرى الفراء أنّ معنى الآية على التقديم والتأخير، والتقدير عنده: وإنَّه للخيرِ لشديدُ الحُبِّ. والخير هو المال. (معاني القرآن للفراء،٣/٢٨٥)

﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: (أَفَلا يَعْلَمُ) أَيِ ابْنُ آدَمَ «إِذا بُعْثِرَ» أَيْ: أُثِيرَ وَقُلِبَ وَبُحِثَ، فَأُخْرِجَ مَا فِيهَا. قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: بَعْثَرْتُ الْمَتَاعَ: جَعَلْتُ أَسْفَلَه أَعْلَاه. (تفسير القرطبي،٢٠/١٦٣). وهذان المعنيان «أُثيرَ وبُحِثَ» قدْ يعطيان دليلا على أن أصلَ الفعل «بَعْثَر» قد يكون مُرَكَّبًا من كلمتين هما: بَعث وأثير، كما قالوا «بَسْمَلَ في «بِسْمِ الله «. (مفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني،١٣٣). ومعنى الآية: أفلا يعلم هذا الإنسان الذي هذه صفته إذا أثير ما في القبور وأخرج ما فيها من الموتى.

﴿وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾

أي: مُيِّز ما فيها من الخير والشر. (غريب القرآن لابن قتيبة،٥٣٦٥). وحُصِّلَ: جُمِعَ وَأُحْصِيَ. وَمَا فِي الصُّدُورِ: هُوَ مَا فِي النُّفُوسِ مِنْ ضَمَائِرَ وَأَخْلَاقٍ، أَيْ جُمِعَ عَدُّهُ والحساب عَلَيْهِ. (التحرير والتنوير، لابن عاشور،٣٠/٥٠٦)

والحاصِلُ من كلِّ شيءٍ: ما بَقِيَ وثَبَتَ وذَهَبَ ما سِواهُ يكونُ من الحِسَابِ والأَعْمالِ ونَحْوِهما. وَقَالَ الراغِبُ: التَّحصيلُ: إخراجُ اللُّبِّ مِن القُشُور، كإخراج الذَّهب مِن حَجَر المَعْدِن، والبُرِّ مِن التِّبْنِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ أَي

أظْهر مَا فِيهَا وجُمِع، كإظهار اللُّبِّ مِن القَشْر وجَمْعِه، أَو كإظهار الحاصِلِ مِن الحِساب. (المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، ٢٤٠).

﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾

قال الزجاج: ((الله عزَّ وجلَّ خبير بهَم في ذلك اليوم وَفي غيره، ولكن المعنى إن الله يجازيهم على كفرهم في ذلك اليوم، وليس يجازيهم إلا بِعِلْمِهِ أعمالهم)). (معاني القرآن وإعرابه للزجاج،٥/٣٥٤). وذكر الطبريُ أنَّ ربهم بأعمالهم، وما أسرّوا في صدورهم، وأضمروه فيها، وما أعلنوه بجوارحهم منها، عليمٌ لا يخفى عليه منها شيءٌ، وهو مجازيهم على جميع ذلك يومئذ. (تفسير الطبري،٢٤/٥٦٩).

المبحث الثاني:

أوّلًا: التصوير العام في جوّ السورة

يقول الدكتور سليم فرحان ((إن الأبنية في العربية تعلم تصنيف المعاني وربط المتشابه منها برباط واحد، ويتعلم أبناء العربية المنطق والتفكير المنطقي مع لغتهم بطريقة ضمنية طبيعية فطرية. وللأبنية وظيفة فنية، فقوالب الألفاظ وصيغ الكلمات في العربية أوزان موسيقية، أي أن كل قالب من هذه القوالب وكل بناء من هذه الأبنية ذو نغمة موسيقية ثابتة... وتتميز اللغة العربية بالموسيقية فجميع ألفاظها ترجع إلى نماذج من الأوزان الموسيقية، والكلام العربي نثراً كان أم شعراً هو مجموع من الأوزان ولا يخرج عن أن يكون تركيباً معيناً لنماذج موسيقية.

وقد استثمر الشعراء والكتاب العرب هذه الخاصة الموسيقية فقابلوا بين نغمة الكلام وموضوعه مقابلة لها أثر من الوجهة الفنية. فمثلاً يقول النابغة الذبياني:

مِيلُوا إلى الدَارِ مِنْ لَيْلَى نُحَيِّيها... نَعَمْ وَنَسْأَلُها عَنْ بَعْضِ أَهْلِيْها.

حيث ينقلك إلى جو عاشق يهيم ويتأمل وتهفو نفسه برقة وحنان إلى آثار الحبيب بما في البيت من نعومة الحروف وكثرة المدود وحسن توزعها وجمال تركيب الألفاظ... وقد بلغت هذه الخاصة الموسيقية ذروتها في التركيب القرآني، فأنت تحس، مثلاً في سورة العاديات، عدو الخيل: ((والعاديات ضبحاً. فالموريات قدحاً. فالمغيرات صبحاً. فأثرن به نقعاً. فوسطن به جمعاً)). (اللغة العربية ومكانتها بين اللغات، الأستاذ الدكتور سليم فرحان، ص٧).

قوله تعالى: ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا﴾

أ: التصوير الدلالي لمفتتح السورة:

يرى بعض الباحثين أنّ افتتاح «سُورة العاديات» بهذه المطالع له صورةٌ فنيّةٌ مُنسجِمةٌ من خلال تصويرها للخيول الضابحة القادحة بحوافرها، والمغيرة صباحًا، والمثيرة للغبار، إلى أن ينتهي ذلك التصوير بجحود الإنسان الكنود المحبّ للمال. وبين صورة الإنسان وتلك المطالع علاقة وارتباط ن خلال سرعة الإنسان في جحود نعمة ربّه ولهثه وراء المال، وسرعة حركة الخيول في جريها.

يقول الأستاذ عبد السلام راغب: ((قد تُفتتح السورةُ بمفردة، وأحيانا تكون متنوّعة أو متعددة، وهذا الإفراد في الافتتاحية أو التنويع فيها، مرتبطٌ بجوّ الصورة الفنية. كما أن التنويع في الافتتاحية يعتمد على العلاقات المتوازنة التي تمتد إلى أجزاء الصورة وجوّها، وما فيها من صور متقابلة أيضا. مثلا سورة «العاديات» تعتمد على مطلع واحد، تجتمع فيه عناصر التصوير من حركة ولون وإيقاع في وحدة فنية منسجمة، يقول تعالى: ﴿ وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾، فصورة الخيول الضابحة القادحة بحوافرها، والمغيرة في الصباح، والمثيرة للغبار، والمفزعة للعدو، تتّخذ مطلعا ممهّدا للذهن، لتأمل صورة الإنسان الجحود الكنود، الشحيح، المحب للمال، وبين صورة الإنسان والمطلع علاقة وارتباط. فالإنسان في حركته السريعة لجحود نعمة ربه، وحركته اللاهثة وراء المال، تشبه حركة الخيول السريعة في جريها، الضابحة بأصواتها، القادحة بحوافرها، والمثيرة للغبار من حولها، فكما أنّ

صورة الخيول تشبه حركة الإنسان في الدنيا، كذلك تشبه علاج هذا المرض فيه، وذلك بتذكيره، ببعثرة القبور، وتحصيل ما في الصدور يوم القيامة. (وظيفة الصورة الفنية في القرآن، عبد السلام أحمد الراغب، ص٤١١).

ب: دلالة «الواو» في مستهل السورة.

«الوَاوُ» في مستهلّ السورة قوله تعالى: ﴿وَالْعَادِيَاتِ﴾ هي للقسم. جاء في روح المعاني: ((وَالْعادِياتِ الجمهور على أنه قسم بخيل الغزاة في سبيل الله تعالى التي تعدو أي تجري بسرعة نحو العدو)). (روح المعاني، للآلوسي،١٥/٤٤١)

وتكاد تجتمع كلمةُ المفسّرين عل أن القسم في مثل هكذا موضع يكون من باب التعظيم، أي: تعظيم المُقْسَمِ به.

قال ابن القيّم الجوزية: ((اعلم أنَّ الله –سبحانه– يُقْسِمُ بأمورٍ على أمورٍ، وإنَّما يُقْسِم بنفسِهِ المُقَدَّسَةِ الموصُوفَةِ بصفاتِه، أو آياتِه المستلزِمة لِذَاتِه وصفاتِه، وإقسامه – تعالى – ببعض مخلوقاته، دليل على أنها من عظيم آياته)).

(التبيان في أيمان القرآن، لابن القيّم الجوزية،١/٥).

ويمضي أكثر المفسرين ملتمسين عظمة المُقْسَمِ به بالواو. جاء في تفسير ابن عطيّة عن سبب القسم بالخيل: ((لأنها تعدو ضابحة قديما وحديثا، وهي حاصره البلاد وهادمة الممالك، وفي نواصيها الخير إلى يوم القيامة)). تفسير ابن عطيّة،٥/٥١٣).

ج: رأيٌ في معنى :الواو» المستهلة بالقسم .

إنَّ للدكتورة «عائشة بنت الشاطئ» رأيًا آخرَ يعطي تصويرًا فنيًّا في العلاقة بين المُقْسَم به، والمقسم عليه، فهي ترى أنّ جوّ السورة لا يوحي بشيء من عظمة الخيل وفوائدها كما ذهب إليه المفسرون. وهذا الرأي يُخرِجُ «الواوَ» عن أصل وضعها اللغوي في القسم للتعظيم إلى معنى بياني آخر، فـ«الواو» في رأي بنت الشاطئ في مستهلّ السور مثل قوله تعالى: ((والضحى، والنازعات، والعاديات)) وغيرها من السور المستهلّة بـ«الواو» تكاد تُسمّى المواطئة، وهي تأتي توطئة لتوضح حسّيات مدركة غير قابلة للجدل، بحسّيات أو غيبيّات لا تدرك بالحسّ.

تقول الدكتورة بنت الشاطئ: ((ويلاحظ كذلك، أنهم في آية الضحى، وفي أكثر آيات القسم بالواو، خلطوا بين الإعظام، والحكمة في خلق المقسم به، وما من شيء من مخلوقات الله لم يخلق لحكمة. ظاهرة أو خفية. أما الإعظام فلا يهون القول به، لمجرد بيان وجه لظاهر الحكمة في المقسم به. والذي اطمأنتُ إليه بعد طول تدبر وتأمل في السور المستهلة بهذه الواو، هو أنّ القسم بها يمكن أن يكون، . والله أعلم . قد خرج عن أصل الوضع اللغوي في القسم للتعظيم، إلى معنى بياني، على نحو ما تخرج أساليب الأمر والنهي والاستفهام عن أصل معناها الذي وضعت له، لملحظ بلاغي. فالواو في هذا الأسلوب تلفت لفتاً قويا إلًى حسيات مدركة ليست موضع غرابة أو جدل، توطئة إيضاحية لبيان معنويات أو غيبيات لا تدرك بالحس. فالقسم بالواو، في مثل (والضحى) غالباً، أسلوب بلاغي لبيان المعاني، بالمدركات الحسية. وما يلمح فيه من الإعظام، إنما يقصد به إلى قوة اللفت. واختيار المقسم به تراعى فيه الصفة التي تناسب الموقف. وحين نتتبع أقسام القرآن في مثل آية الضحى، نجدها تأتي لافته إلى صورة مادية مدركة وواقع مشهود، توطئة بيانية لصورة أخرى معنوية مماثلة، غير مشهودة ولا مدركة، يماري فيها من يماري)). (التفسير البياني، الدكتورة عائشة بنت عبد الرحمن المعروفة ببنت الشاطئ ،١/٢٥).

د: معنى «الواو» المستهلة في سورة العاديات.

وعن الواو في سورة العاديات تقول بنت الشاطئ: ((ولو خلينا فكرة التعظيم بالقسم جانباً، لبدا لنا بوضوح أن جو السورة لا يوحي – من قريب أو بعيد – بشيء من بيان عظمة الخيل وفوائدها، والحث على التسابق إلى قنيتها، والإغراء بفن السباق...، وإنما هو مشهد مثير، لغارة مفاجئة تصبح القوم بغتة على غير انتظار. وموقف المباغتة، يلائمه قصر الآيات بما فيه من حسم، وسرعة الانتقال، وتلاحق الأحداث ما بين العدو، وإيراء القدح، وإثارة النفع، إلى توسط الجمع، فما إن تعدو الخيل ضبحاً، موريات قدحاً، مغيرات صبحاً، حتى تكون قد توسطت الجمع في النقع المثار)). (التفسير البياني،

١٠٦/١).

وعن الصورة البيانية التي مهّدت لها «واو القسم» في «سورة العاديات» تقول: ((تأتي هذه الصورة العنيفة بعد واو القسم، لافتة إلى ما عهد القوم من مثل تلك الغارات المفاجئة المصبحة، وما تحدث من بعثرة وحيرة وارتباك. ثم تأتي بعدها صورة أخرى لغيب غير مشهود، ولكنه واقع حتماً: البعث يفجأ على غير موعد، فإذا هم في حيرة وبعثرة وارتباك، قد لفظتهم القبور لليوم الآخر ما لفراش المبثوث، وإذا كان ما في صدورهم قد حصل، لم تفلت منه خافية مضمرة، مطوية في أعماق الصدر ومستكن الضمير. وفي كل كلمة، بل في كل حرف منها، سره البياني الباهر فيما قصد إليه القرآن من إحضار مشهد ليوم البعث شاخصاً مجسماً، وتأكيداً وقوعه، والإنذار بما ينتظر الإنسان فيه من حساب دقيق عسير)). (التفسير البياني، لبنت الشاطئ، ١٠٣/١).

وهكذا تتضح الصورة البيانية من خلال مفتتح السورة «سورة العاديات» ليتجلى لنا سِرٌّ من أسرار الصور البيانية جاء ملائمًا مع الحسم والسرعة والانتقال والعَدْو، وإيراء القَدْح، وإثارة النقْع، إلى توسُّط الجمع الذي من أجله جاء مفتتح السورة بهذا النسق المنسجم مع المعنى المرام.

ثانيًا : التصوير الفني والموسيقي من خلال الأصوات:

لا شكّ أن للأصوات دلالةً في المعنى تكون من خلال تأثير ذلك الصوت في نفس السامع ليكون منسجمًا مع المعنى المراد، كدلالة المدّ والغنّةِ وغيرها، وللألفاظ كذلك موسيقا خاصّة بها. وقد أشار الرافعي إلى العلاقة بين مدلول الصوت والجانب النفسي لما فيه من تأثير. قال الرافعي: ((ليس يَخفى أنّ مادّة الصوت هي مظهرُ الانفعال النفسي، وأنّ هذا الانفعال بطبيعته، إنّما هو سببٌ في تنويع الصوت، بما يخرجه فيه مدّا أو غنّة أو لينا أو شدّة، وبما يهيّئ له من الحركات المختلفة في اضطرابه وتتابعه على مقادير تناسب ما في النّفس من أصولها)) (إعجاز القرآن، لمصطفى صادق الرافعي، ص٢١٥).

وقد تكلّم الدكتور محمد المبارك عن دلالة تلك الأصوات ومناسبتها لمعانيها فيما يخصّ سورة العاديات فقال: ((يلاحظ أن لبعض ألفاظ السورة جرسا موسيقيا واضحا مناسبا لمعناها، مثل «قدحا ونقعا» المناسبة لوقع حوافر الخيل، و «بعثر» المناسبة لانتشار أجساد الموتى بعد خروجها من الأرض، ومثل «حصّل» الدالة بصادها المشدّدة على شدّة التقصّي والجمع)). (دراسة أدبية، محمد مبارك، ص٢٣).

والآن يتجه تسليط الضوء الى ظهور التصوير الصوتي للآيات الخمس الأولى في السورة، ليتبيّن ما فيها من صور بيانيّة تعبيريّة، فقد يكون لِقِصَر بعض الآيات مع تساويها في الطول والوزن والنغمة ملحظٌ صوتيٌّ ينسجم مع الدلالة المرادة منها.

أ: رأي في دلالة السكون والتنوين على مقام الزجر والوعيد والغضب.

قال تعالى: {وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا* فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا* فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا* فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا* فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا}.

لمح بعض الباحثين أن في السورة جرسًا موسيقيًا متناسبًا مع مقام الغضب، ومعاني الزجر والوعيد في السورة فذكر : ((أن صيغة الفواصل في السورة بسكون الوسط والتنوين «ضبحا قدحا نقعا جمعا» ما يناسب مقام الغضب، ومعاني الزّجر والوعيد، فكأن الكلمات قذائف تختم بها الآيات قصيرة المدى: ﴿وَالْعادِياتِ ضَبْحاً، فَالْمُورِياتِ قَدْحاً، فَالْمُغِيراتِ صُبْحاً، فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعاً، فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعاً﴾ وهذا المشهد العنيف لا يصوّره لنا الفنّ الزّمني، وربما يستعصي على الفن المكاني، والجدير بالذّكر أنّ الفاصلة لا تقف على المدّ كما هي الحال في سورة مريم، بل على قوة التنوين، ولعلّه يريد من تكرار قوّة التنوين في الفواصل تكرار وقع الحوافر)) (جماليات المفردة القرآنية، أحمد ياسوف،ص٢٣١)

ب : رأي في تصوير دلالة المدّ وعدمه.

يقول الدكتور عادل أبو شعر عن الآيات الثلاث الأولى في سورة العاديات وهي قوله تعالى :{ وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا فَالْمُغِيرَاتِ} يقول: ((الآيات الثلاث الأولى : قصيرة سريعة متساوية في الطول وفي الوزن والنغمة،

وتتألّف كلّ واحدة منها من الكلمة الأولى المشتملة على مَدَّينِ والثانية لا مَدّ إلا في آخرها، وفي كلٍّ منها تصويرٌ لارتفاع الخيل ثمّ هبوطها واصطدامها بالأرض، وتأتي الآيتان الأخيرتان لتصوّر بانعدام المدّ فيها وتوالي الحركات سرعة جري الخيل وتتابع حركاتها حتى تصل إلى هدفها {فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا} العاديات: (التأثير الصوتي للقرآن الكريم ١٣،د.عادل أبو شعر)

ج: رأي في المناسبة بين اللفظ ومعناه.

وقد خصّص المبارك فقرة في دراسة كل سورة للجمال الموسيقي، وذلك في كتابه الذي فسّر فيه بعض قصار السور، فقال عن سور العاديات: «يلاحظ أن لبعض ألفاظ السورة جرسا موسيقيا واضحا مناسبا لمعناها، مثل « قدحا ونقعا» المناسبة لوقع حوافر الخيل، و «بعثر» المناسبة لانتشار أجساد الموتى بعد خروجها من الأرض، ومثل «حُصّل» الدالة بصادها المشدّدة على شدّة التقصّي والجمع» (المبارك، د. محمد، دراسات أدبية، ص ١٩، ٤٠.)

ويرى سيّد قطب أن هذه الموسيقى فيها خشونة وفرقعة فيقول: ((والآن استمع إلى موسيقى أخرى، وانظر إلى إطار آخر، لصورة تقابل هذه الصورة هي أشد وأعنف، وفيها خشونة ودمدمة وفرقعة، وهي تناسب الجو الصاخب المعفر الذي تنشئه القبور المبعثرة، والصدور المحصل ما فيها بقوة. وجو الجحود وشدة الأثرة.. فلما أراد لهذا كله إطارًا مناسبًا، اختاره من الجو الصاخب المعفر كذلك، تثيره الخيل الضابحة بأصواتها، القادحة بحوافرها، المغيرة مع الصباح، المثيرة للغبار؛ فكان الإطار من الصورة، والصورة من الإطار، لدقة التنسيق وجمال الاختيار)). (التصور الفني في القرآن سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي المتوفى: ١٣٨٥هـ، ص١٢٦).

ثالثًا: المناسبة بين مفتتح السورة وخاتمتها

وآلان ننتقل إلى الجزء الآخر من السورة لنبيّن الصورة البيانية منها من خلال جهود العلماء المحدثين في إخراج المناسبات البيانية في الآيات القرانية.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ * وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ * وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ * أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ * وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ * إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ﴾

قوله تعالى: {إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ} هو جواب القسم لقوله: {وَالعَادِيَاتِ} وما يعنينا هنا أن نبيّن أو نهتدي من خلال اهتمامات العلماء إلى المناسبة بين ذكر صفات الخيول، وإيراء القدح، والإغارة صباحًا، وذكر الإنسان الكنود، وذكر حبّه للمال الكثير، مع ما خُتمت به السورة من مشاهدة بعثرت القبور، وجمع ما في الصدور. فقد ذكر العلماء أكثر من صورة بيانيّة ومناسبة دلاليّة تشير إلى وجود صلة بيانية بين ذكر صفات الخيول وصفات الإنسان الكنود المحبّ للمال الكثير.

أ. المناسبة بين بعثرة القبور مع الإغارة العنيفة في مستهل السورة.

ذكرتْ بنت الشاطئ أنّ هناك تناسقا بين المشهد العنيف للبعثرة في القبور، وتحصيل ما في الصدور، مع مشهد الإغارة العنيفة في مستهل السورة عل وجه باهرٍ من البيان المعجز. ولم ترَ أن أحدا من المفسرين حاول أن يلمح التناسق بين المشهدين، وما بينهما من صلة بيانية فقالت: ((وهذه الوقفة الحاسمة، يبلغ بها القرآن ذروة المشهد العنيف لبعثرة ما في القبور وتحصيل ما في الصدور، تتسق مع مشهد الإغارة العنيفة في مستهل السورة، على وجه باهر من البيان المعجز. ولا أعرف أن أحداً من المفسرين حاول أن يربط بين المشهدين أو لمح ما بينهما من صلة هي معقد القسم ومجلى دقته البيانية. فالسورة، كمت قلنا آنفناً تبدأ بواو القسم لافتة في قوة إلى المشهد المألوف، لإغارة عنيفة مفاجئة، تبغت القوم صبحاً فلا ينتبهون إلا وقد توسطت جمعهم ومزقت شملهم وبعثرتهم وسط النقع المثار. ويتمثل القوم ما عهدوا من مثل هذه الغارات المصحبة المباغتة، وما يعقبها من بعثرة وحيرة وارتباك، توطئة بيانية لمشهد غيب لم يقع يستطيعون أن يدركوا صورة منه في ذلك الذي ألفوه وعاينوه.....، ذلك هو مشهد البعث، يباغت القوم – وقد طال ما جحدوا نعمة الله وغرتهم الأماني – فإذا هم بعثروا من القبور حيارى ممزقين، وصدروا أشتاتاً مفرقين، ثم إذا بالأحداث تتلاحق سراعاً، مترابطة متدافعة، فليس بين بعثرة ما في القبور، وهول الموقف بين يدى الخبير، إلا أن يحصل ما في الصدور، لا تفلت منه خافية مضمرة، ولا غائبة مطوية مستورة في الأعماق، كما ليس بين العاديات ضبحاً، وتوسط الجمع، وتدبير الأمر، إلا

أن تنطلق في إغارتها صبحاً، موريات قدحاً، مثيرات نقعاً!)). (التفسير البياني،١/١١٩).

ب: المناسبة بين سرعة جحود الإنسان ولهثته على حب المال وسرعة الخيل في جريها.

ويرى الدكتور عبد السلام الراغب أنّ هناك تشابها بين حركة الانسان السريعة في جحوده لنعمة ربّه وحركته اللهثة وراء المال، وحركة الخيل السريعة في جريها الضابحة بأصواتها القادحة بحوافرها، والمثيرة للغبار من حولها.

يقول الدكتور عبد السلام: ((الإنسان في حركته السريعة لجحود نعمة ربه، وحركته اللاهثة وراء المال، تشبه حركة الخيول السريعة في جريها، الضابحة بأصواتها، القادحة بحوافرها، والمثيرة للغبار من حولها، فكما أنّ صورة الخيول تشبه حركة الإنسان في الدنيا، كذلك تشبه علاج هذا المرض فيه، وذلك بتذكيره، ببعثرة القبور، وتحصيل ما في الصدور يوم القيامة. فنلاحظ امتداد المطلع بجوّه المعفّر بالغبار والتراب، وحركة نبش الأرض بحوافر الخيل، ليصل إلى حركة بعثرة القبور، وحركة البعثرة تتمّ من الداخل إلى الأعلى، كذلك حوافر الخيل تنبش التراب من تحت حوافرها بحركة شديدة عنيفة مماثلة في اتجاهها، لحركة بعثرة القبور. وحركة تحصيل ما في الصدور شديدة أيضا. مرتبطة بالشدة والعنف في المطلع، كما أنّ حركة التحصيل تتمّ من الداخل إلى الخارج، وكذلك حركة حوافر الخيول في نبشها الأرض من الداخل إلى الخارج أيضا)). (وظيفة الصورة الفنية في القرآن،٤١١).

ج: المناسبة بين جوّ المطلع للسورة وخاتمتها.

ويرى أيضا الدكتور عبد السلام أن ثمّة علاقةً بين جوِّ المطلع للصورة وما فيه من حركة عنيفة ، وخاتمة السورة التي تتسم بالهدوء والاستقرار بعد الحركة السريعة. يقول الدكتور: ((وبعد هذه الحركة العنيفة في المطلع وجوّ الصور، تأتي الخاتمة هادئة بعد العنف، مستقرة بعد الحركة السريعة وكأنها اللازمة الباقية إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ)) . (وظيفة الصورة الفنية في القرآن،٤١١).

أهم ما توصّل إليه البحث من نتائج:

١. من الممكن دراسة السُوَر المفتتحة بواو القسم دراسة بيانية تدلّ على معاني هذه الواو ودلالتها من حيث صلتُها بالمقسم به والمقسم عليه.

٢. ثمّة صلة تشابهيّة منسجمة بين ذكر عدْو الخيل وإيراء القدْح والإغارة في الصباح التي تتمثّل في سرعة المطلع، وجحود الإنسان وكفرانه في قوله تعالى: {إِنَّ الإنسانَ لربّهِ لَكَنُودٌ}.

٣. هناك ألفاظ في السورة فيها جرس منسجم مع الجوّ العام والغرض للسورة من حيث حسن توزيعها وجمال تركيبها. مثل ((قدحا ونقعًا) المناسبة لوقع حوافر الخيل، و(بعثر) المناسبة لانتشار أجساد الموتى.

٤. دلالة الحركة والسكون المتمثّلة في سكون الوسط والتنوين في مثل (ضَبْحًا، قَدْحًا، نَقْعًا، جَمْعًا) تتناسب مع مقام الغضب ومعاني الزجْر والوعيد، فكأنّ الكلماتِ قذائفُ تُختمُ بها الآيات قصيرة المدى.

٥. ثمّة رأيٌ لأحد الباحثين يرى من خلاله أن الواو المستهلّة بالقسم في السورة قد خرجت عن معناها اللغوي إلى معنيين آخرين، أحدهما محسوس والآخر غير محسوس لتدلّ على أمر مشاهد وآخر غائب.

المصادر:

. أسباب نزول القرآن
المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨ هـ)
الناشر: مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع
. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية
المؤلف: مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي (المتوفى: ١٣٥٦هـ)
الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت
الطبعة الثامنة – ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٥ م
. إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم
المؤلف: الحسين بن أحمد بن خالويه، أبو عبد الله (المتوفى: ٣٧٠هـ)

الناشر: مطبعة دار الكتب المصرية (١٣٦٠هـ-١٩٤١م)
. أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم، محمد عبد الله شحاتة، المكتبة المصرية العامة،١٩٧٦م.
. البحر المحيط في التفسير
المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)
المحقق: صدقي محمد جميل
الناشر: دار الفكر – بيروت
الطبعة: ١٤٢٠ هـ
. التأثير الصوتي للقرآن الكريم
المؤلف: د. عادل أبو شعر
المصدر: الشاملة الذهبية
. التبيان في أيمان القرآن
المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (٦٩١ – ٧٥١)
المحقق: عبد الله بن سالم البطاطي
الناشر: دار عالم الفوائد – مكة المكرمة
الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ
. التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»
المؤلف : محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)
الناشر : الدار التونسية للنشر – تونس
سنة النشر: ١٩٨٤ هـ
. التصوير الفني في القرآن
الملف: سيد قطب.
الناشر: دار الشروق. القاهرة.
سنة النشر: ٢٠٠٤م.
. التفسير البياني للقرآن الكريم
المؤلف: عائشة محمد علي عبد الرحمن المعروفة ببنت الشاطئ (المتوفى: ١٤١٩هـ)
دار النشر: دار المعارف – القاهرة
الطبعة: السابعة
. تفسير غريب القرآن
المؤلف: كاملة بنت محمد بن جاسم بن علي آل جهام الكواري
الناشر: دار بن حزم
الطبعة: الأولى، ٢٠٠٨
. جامع البيان في تأويل القرآن
المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)
المحقق: أحمد محمد شاكر
الناشر: مؤسسة الرسالة
الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م
. الجامع لأحكام القرآن
المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)
تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش
الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة
الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م
. جماليات المفردة القرآنية
المؤلف: أحمد ياسوف
الناشر: دار المكتبي – دمشق
الطبعة: الثانية، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٩م
. دراسة أدبية

الملف: محمد مبارك
الناشر: دار الفكر. بيروت.
الطبعة: الخامسة،١٤١٩هـ.١٩٩٨م.
. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون
المؤلف: أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (المتوفى: ٧٥٦هـ)
المحقق: الدكتور أحمد محمد الخراط
الناشر: دار القلم، دمشق
الدر المنثور
المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)
الناشر: دار الفكر – بيروت.
. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني
المؤلف: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)
المحقق: علي عبد الباري عطية
الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت
الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ
. زاد المعاد في هدي خير العباد
المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)
الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت – مكتبة المنار الإسلامية، الكويت
الطبعة: السابعة والعشرون , ١٤١٥هـ /١٩٩٤م.
. اللغة العربية ومكانتها بين اللغات
المؤلف: أ.د. فرحان سليم.
. معاني القرآن
المؤلف: أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (المتوفى: ٢٠٧هـ)
المحقق: أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي
الناشر: دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر
الطبعة: الأولى.
. معاني القرآن وإعرابه
المؤلف: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ)
المحقق: عبد الجليل عبده شلبي
الناشر: عالم الكتب – بيروت
الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م
. المفردات في غريب القرآن
المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: ٥٠٢هـ)
المحقق: صفوان عدنان الداودي
الناشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت
الطبعة: الأولى – ١٤١٢ هـ
. منهج الشيخ أبي الحسن الندوي في التفسير،
الملف: د. مصطفى مسلم محمد.
. الموسوعة القرآنية، خصائص السور.
المؤلف: جعفر شرف الدين، ت: عبد العزيز بن عثمان التويجزي،
الناشر: دار التقريب بين المذاهب الإسلامية – بيروت.
الطبعة: الأولى – ١٤٢٠ هـ
. وظيفة الصورة الفنية في القرآن
المؤلف: عبد السلام أحمد الراغب
الناشر: فصلت للدراسات والترجمة والنشر – حلب
الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ .

تعدد الآفاق» دراسة إستدلالية»

م.د. جلال دشر هلال
جامعة الكوفة / كلية الفقه

فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية العدد(٨)
السنة الثالثة صفر الخير ١٤٤٦هـ آب ٢٠٢٥م

المستخلص:
يسلط البحث الضوء على مسألة مدار للبحث والنقاش بين الفقهاء ولها تأثيرها العملي على أرض الواقع وهي وحدة الافاق وتعددها في رؤية الهلال ، فعرض البحث لتحرير محل النزاع وشرح لبعض المفاهيم الدخيلة في الموضوع وعرض أدلة الفريقين ومناقشتها ومن ثم الترجيح بينهما.
الكلمات المفتاحية :الهلال ، القمر ، وحدة الأفاق ، تعدد الافاق ، الارتكاز ، الرؤية.

Abstract:
This research sheds light on an issue that is the subject of research and debate among jurists and has practical implications on the ground: the unity and multiplicity of horizons in the sighting of the crescent moon. The research aims to clarify the point of contention, explain some of the concepts involved in the topic, present and discuss the evidence of both sides, and then weigh the evidence between them.
Keywords: Crescent, Moon, Unity of Horizons, Multiplicity of Horizons, Foundation, Sighting

المقدمة:
عرف الانسان الوقت منذ القدم ومعرفته تلك كان مدعاة لتنظيم حياته على وفق ازمنة واضحة جلية له وكان «لا بد له من حيث الخلقة من أن يقدر أفعاله واعماله التي جميعها من سنخ الحركة بالزمان ، ولازم ذلك أن يتقطع الزمان الممتد الذي ينطبق عليه أمورهم قطعا صغارا وكبارا مثل الليل والنهار واليوم والشهر والفصول والسنين بالعناية الإلهية التي تدبر أمور خلقه وتهديهم إلى صلاح حياتهم ، والتقطيع الظاهر الذي يستفيد منه العالم والجاهل والبدوي والحضري ويسهل حفظه على الجميع انما هو تقطيع الأيام بالشهور القمرية التي يدركه كل صحيح الادراك مستقيم الحواس من الناس دون الشهور الشمسية التي ما تنبه لشأنها ولم ينل دقيق حسابها الانسان الا بعد قرون وأحقاب من بدء حياته في الأرض وهو مع ذلك ليس في وسع جميع الناس دائماً»(١).
وحينما جاءت الشريعة الاسلامية لحظت هذا الجانب وأقرته , وربطت كثيراً من الاحكام الشرعية برؤية الهلال فصار الاساس في المواقيت الشرعية لذا اهتم المسلمون قديماً وحديثا به, وبين أيدينا دراسة عن تعدد الافاق لرؤية الهلال ،وجاءت الخطة في تمهيد ومبحث يتضمن مطالب ثم ختمت بخلاصة للبحث ,وهي مساهمة متواضعة ، ونسال الله العفو والقبول.

التمهيد:
أولاً :الهلال في اللغة والاصطلاح
الهلال في اللغة : غرة القمر حين يهله الناس في غرة الشهر(٢)،و(هَلَّ) الْهَاءُ وَاللَّامُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى رَفْعِ صَوْتٍ ... فَالْهِلَالُ الَّذِي فِي السَّمَاءِ، سُمِّيَ بِهِ لِإِهْلَالِ النَّاسِ عِنْدَ نَظَرِهِمْ إِلَيْهِ مُكَبِّرِينَ وَدَاعِينَ(٣)، ويطلق على شعاع القمر في الليلة الاولى والثانية والثالثة(٤).
وقال الراغب الاصفهاني : سمي هلالاً لان الناس يرفعون اصواتهم بالإخبار عنه من الاهلال الذي هو رفع الصوت ومثله استهل الصبي إذا صرخ عند الولادة واهل الناس بالحج اي رفعوا الصوت بالتلبية

والجمع الأهلة..(٥).

الهلال في الاصطلاح: لم يبتعد المعنى الاصطلاحي للهلال عن المعنى اللغوي كثيراً ، فهو الجزء المضيء من القمر في أول ليلة من الشهر(٦)، ولا يصير الهلال هلالا ما لم يخرج عن الشعاع(٧)، والهلال قد وقع في الشريعة متعلقا للأحكام الشرعية وموردا للبحث عنه في الفقه، قال تعالى {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ}(٨)، وفيه يوقت ويؤرخ كل حادثة احتاجت إلى التوقيت والتأريخ، كالمواليد، والوفيات، والديون، والعقود، والإيقاعات وغير ذلك(٩).

ثانياً :اطوار القمر(١٠)، هي المراحل التي يمر بها القمر فيتغير شكله المرئي من مرحلة الهلال مروراً بالبدر ثم ينتهي بالمحاق، نتيجة دورانه حول الأرض على شكل قطع ناقص بيضوي يدور خلال شهر عربي كامل تختلف أطوار القمر بشكل دوري أثناء دوران القمر حول الأرض اعتمادا على تغير المواقع النسبية لكل من القمر، الأرض والشمس. يكون النصف الأول من القمر مضاء بواسطة الشمس (ما عدا حالات الخسوف القمري)، ويكون بذلك ساطعا أو مشرقا، إلا أن جزءا من نصف الكرة المضاءة والذي يكون مرئيا للمراقب يمكن أن يتغير من ١٠٠٪ (البدر) إلى ٠٪ (المحاق) ، ويعتبر الهلال أول منزل من أطوار القمر إذ يكون القمر يومها قد ابتعد عن (نقطة الصعود) وهو في طريقه إلى سماء نصف الكرة الشمالي فيرى يومها في الأفق الغربي بعد غروب الشمس بقليل وقرب المكان الذي تغرب فيه الشمس على شكل هلال دقيق لامع وخلال فترة قصيرة إذ لا يلبث أن يغيب بعدها تحت الأفق وتختلف هذه الفترة القصيرة من شهر لآخر وتسمى بالمكث .

المبحث الأول:

رؤية الهلال:المطلب الأول : موضوعية الهلال للإحكام الشرعية

في النصوص الشرعية وأقوال الفقهاء وقع الهلال ورؤيته ،باعتباره –علامة على أول الشهر– موضوعا لكثير من الاحكام الشرعية ، قال سبحانه: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(١١).

ورُوِيَ أَنَّ مُعاذَ بْنَ جَبَلٍ وثَعْلَبَةَ بْنَ غَنْمة قالا يا رَسُولَ اللَّهِ: ما بالُ الهِلالِ يَبْدُو دَقِيقًا مِثْلَ الخَيْطِ ثُمَّ يَزِيدُ حَتّى يعظم ويَسْتَوِيَ ويستدير، ثُمَّ لا يَزالُ يَنْقُصُ حَتّى يَعُودَ كَما كان، لا يَكُونُ عَلى حالَ واحِد، فَنَزَلَتْ« يسألونك عن الآهلة»(١٢)، فالاية بينت للسائلين الحكمة من إختلاف أطوار القمر والهلال كمواقيت للصيام والحج والعدة وغيرها من الاحكام ،وقال تعالى : ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾(١٣)، (فالشهادة هي الحضور مع تحمل العلم من جهته ، وشهادة الشهر إنما هو ببلوغه والعلم به)(١٤)، وكذلك الروايات أشارت الى الهلال كمتعلق للاحكام: ففي صحيحة الحلبي ، عن أبي عبد الله(عليه السلام)قال : (إنه سئل عن الأهلة ؟ فقال : هي أهلة الشهور ، فإذا رأيت الهلال فصم ، وإذا رأيته فأفطر)(١٥).

وعن محمد بن مسلم ، عن أبي جعفر(عليه السلام)، قال : (إذا رأيتم الهلال فصوموا ، وإذا رأيتموه فأفطروا ،وليس بالرأي ولا بالتظني ولكن بالرؤية...)(١٦)، وموثقة عبد الله بن بكير بن أعين ، عن أبي عبد الله(عليه السلام). قال : (صم للرؤية وأفطر للرؤية) (١٧)، ودلالة الروايات واضحة في حجية الرؤية لامتثال التكاليف الشرعية ، ومما تقدم أستفاد الفقهاء وجعلوا الهلال موضوعاً للإحكام الشرعية، ولإجله ذكروا طرقاً عدة لثبوت الهلال ومن أهمها ، العلم الحاصل بالرؤية .

قال المحقق الحلي :(يعلم الشهر برؤية الهلال , فمن رآه وجب عليه الصوم ، ولو انفرد برؤيته)(١٨) .

وذكر النراقي : ان دخول شهر رمضان يعلم برؤية الهلال سواء انفرد بالرؤية او شاركه غيره (١٩).

وقال اليزدي في العروة : يثبت الهلال برؤية المكلف نفسه وبالتواتر وبالشياع المفيد للعلم(٢٠).
وقال السيد الخوئي: (يثبت الهلال بالعلم الحاصل من الرؤية)(٢١)، وعلى ذلك فتوى المعاصرين (٢٢)، فاتفاق الفقهاء على ان العلم الحاصل بالرؤية حجة في اثبات الهلال .

المطلب الثاني : اتحاد الافاق واختلافها

لم يقع شك وخلاف في إن الرؤية حجة في اثبات دخول اول الشهر القمري انما وقع الخلاف بينهم في إن رؤية الهلال في بلد ما هل تكفي لثبوتها في جميع البلدان ام ان لكل أهل بلد رؤية خاصة بهم ، وتوضيح الكلام يكون في امور :

الأمر الأول : المقصود بوحدة الافق وتعددها (اتحاد الافاق واختلافها)

من المعلوم ان الهلال في اول الشهر لا يرى في جميع بلدان المعمورة في وقت واحد وزمان واحد بل الامر مختلف فبعض البلدان قد تراه في الليلة الاولى بينما البعض الاخر لا يراه الا في الليلة الثانية أو يراه في نفس الليلة لكنه متأخر عنه زماناً ، وهذا الاختلاف ينشأ من عوامل عدة كالارتفاع عن الافق و حجم القسم المنار وزاوية الهلال وغيرها . « فلا شبهة في أن إمكان رؤية الهلال من بلد إلى بلد آخر معنى نسبي يختلف فيه بلد عن بلد وافق عن أفق»(٢٣).

ومحل النزاع هنا ان دخول الشهر القمري لاي بلد هل يتبع امكان رؤية الهلال في أفق هذا البلد؟ أو يكفي إمكانية رؤيته في بلد ما لدخول الشهر القمري في جميع البلدان والصورة الاولى يعبرون عنها بالافاق المتعددة وان لكل بلد افق رؤيته الخاص به وان رؤية الهلال في بلد ما علامة على دخول الشهر لذلك البلد ولمن كان معه في الافق ولا أثر لامكان الرؤية في افق مكان اخر ، والصورة الثانية يعبرون عنها بوحدة الافق وان رؤية الهلال في بلد علامة على دخول الشهر فيه وفي غيره من البلدان لان الشهر القمري واحد، وبدايته في جميع البلدان تتحقق في رؤية الهلال ولو في بعضها .

وعليه « إن المراد من البلدان المتحدة الآفاق ما اتفقت مشارقه ومغاربه أو تقاربت بحيث تلازم رؤية الهلال في بعضها رؤيته في البلد الآخر لولا الموانع . والمراد من البلدان المختلفة الآفاق ما تخالفت مشارقه ومغاربه اختلافاً كبيراً ، والتي لا تلازم رؤية الهلال في بلد ما منها رؤيته في البلد الآخر ، فقد يُرى وقد لا يُرى»(٢٤).

الامر الثاني : توضيح الضابطة في وحدة الأفق

إنّ البلاد التي تكون مشارقها وزوالها ومغربها متحدة أو متقاربة جداً تكون هذه البلاد متحدة في الأفق، أما البلاد التي تختلف فيها المشارق والمغارب ولا تتقارب تكون بلاداً مختلفة الأفق ،وحيث أن الأرض تدور حول نفسها دورة كاملة أمام الشمس خلال ٢٤ ساعة في اليوم وقد تقدم أن الأرض يرسمها ٣٦٠ خط طولي – انصاف دوائر – فعند توزيع ٢٤ ساعة عليها يكون نصيب كل ١٥ درجة طولية ساعة تقريباً ، ونصيب كل درجة طولية ٤ دقائق ، أما المسافة بين خطوط الطول بدءاً من خط الاستواء وحتّى القطبين حيث أنها تختلف في المقدار من جهة زيادة احدودابها عند خط الاستواء فيزداد تباعدها فيما بينها وعلى العكس كلما اتجهت إلى القطبين نجد أن المسافة تصبح أقل من ذلك ، ومع بلوغ القطب تصبح المسافة صفر...ومن كل ذلك ننتهي إلى أن الضابطة في الاشتراك في الأفق القمري ووحدته أو تقاربه هي مقدار مكث القمر فوق أفق بلد الرؤية فبذلك المقدار أو يقلّ عنه قليلا بالدقة بالمقدار المزبور وهو جزء من ٣٠ جزء تتحد النقاط الأخرى المتقدمة عليه في الأفق الشمسي ، فمقدار المكث هو مقدار الاشتراك – إلاّ يسيرا بنسبة جزء من ثلاثين جزء – مع الآفاق الشمسية المتقدمة

، فإذا رصد الهلال في بلد بالعين المجردة رصداً دقيقاً فرؤي لمدة خمس دقائق مثلا ، فالدول التي في شرق هذا البلد إذا كانت مشارقها ومغاربها – أي أفقها الشمسي – يتقدم بمقدار يزيد على خمس دقائق فلا يثبت لها الهلال وإن كانت أقل من ذلك فيثبت لها الهلال ، فيلاحظ مدة بقاء الهلال فوق الأفق ، وتكون البلاد الشرقية متحدة في الأفق القمري بمقدار هذه المدة التي مكث فيها الهلال(٢٥).

الامر الثالث: تنبيه في تاريخية المسألة : لم تبحث مسألة اتحاد الافاق واختلافها في كتب المتقدمين من فقهاء الامامية ما قبل زمن الشيخ الطوسي ، كالصدوق والمفيد والسيد المرتضى ، وابن الجنيد وابن ابي عقيل العماني وغيرهم، وقد نبه على ذلك السيد الخوئي(٢٦).

المطلب الثاني: الاقوال في المسالة

في محل البحث قولان ، عليهما فتوى الفقهاء ،وفيما يلي تفصيل القولين مع بيان المستند:

القول الأول: اختلاف الافاق(تعدد الافاق)

وهو رأي مشهور الفقهاء من زمن الشيخ الطوسي, قال الطوسي :»و متى لم ير الهلال في البلد ورأي خارج البلد على ما بيناه وجب العمل به إذا كان البلدان التي رأي فيها متقاربة بحيث لو كانت السماء مصحية والموانع مرتفعة لرأي في ذلك البلد أيضا لاتفاق عروضها وتقاربها مثل بغداد وواسط والكوفة وتكريت والموصل فأما إذا بعدت البلاد مثل بغداد وخراسان ، وبغداد ومصر فإن لكل بلد حكم نفسه . ولا يجب على أهل بلد العمل بما رآه أهل البلد الآخر» (٢٧)، ونفس الحكم ذكره القاضي ابن البراج وابن حمزة (٢٨).

وقال المحقق الحلي :(إذا رؤي في البلاد المتقاربة كالكوفة وبغداد، وجب الصوم على ساكنيهما أجمع ، دون المتباعدة كالعراق وخراسان، بل يلزم حيث رؤي)(٢٩) .وقال الشهيد الاول)) والبلاد المتقاربة كالبصرة وبغداد متحدة لا كبغداد ومصر...)(٣٠)، وغيرهم من الفقهاء وعلى ذلك فتوى كثير من المعاصرين ، فقال السيد السيستاني: (إذا رؤي الهلال في بلد كفى في الثبوت في غيره مع اشتراكهما في الأفق بمعنى كون الرؤية الفعلية في البلد الأول ملازما للرؤية في البلد الثاني لولا المانع من سحاب أو غيم أو جبل أو نحو ذلك)(٣١).

مستند القول الأول:

اولاً: استدلّ على القول المنسوب إلى المشهور بالأصل ، وبأنّه مقتضى ما دلّت عليه الروايات المستفيضة ومفادها : (صُم للرؤية وافطر للرؤية)(٣٢). الظاهرة في شرطية الرؤية ودخلها في دخول الشهر وحصره فيها ، خرجنا عن ذلك فيما ثبت خلافه بالدليل وهو قيام شاهدين عدلين على الرؤية أو مضي ثلاثين يوما ، إلاّ أنّ روايات ثبوت الشهر بشهادة عدلين على رؤيته ظاهرة أو منصرفة إلى رؤيته في نفس البلد أو خارجه مما هو قريب منه لا البلاد البعيدة المختلفة معه في الآفاق (٣٣).

ثانياً :معتبرة محمد بن عيسى : (كتب إليه أبو عمرو اخبرني يا مولاي انه ربما أشكل علينا هلال شهر رمضان فلا نراه ونرى السماء ليست فيها علة فيفطر الناس ونفطر معهم ، ويقول قوم من الحُساب قبلنا انه يرى في تلك الليلة بعينها بمصر وإفريقية والأندلس فهل يجوز يا مولاي ما قال الحساب في هذا الباب حتى يختلف الفرض على أهل الأمصار فيكون صومهم خلاف صومنا وفطرهم خلاف فطرنا ؟ فوقع عليه السلام : لا تصومن الشك أفطر لرؤيته وصم لرؤيته)(٣٤).

وتقريب الاستدلال بها : ان هناك ارتكاز فكرة اختلاف الافاق في ذهن السائل فلم يكن يشك في انه على تقدير صحة قول الحساب من رؤية الهلال في تلك الليلة بمصر وأفريقية والاندلس سيختلف الفرض على اهل الامصار اي يكون صيام رمضان واجباً على خصوص من كان الهلال قابلاً للرؤية في بلدانهم ولم يخطر بباله احتمال انه

يجب الصيام على اهل بلده بالرغم من عدم قابلية الهلال فيه للرؤية وان رئي في بلد آخر(٣٥)

ثالثاً :وهو مركب من مقدمتين :

المقدمة الاولى: ان العرب اعتمدوا على الأشهر القمرية وان العبرة عندهم في ابتداء الشهر في كل مكان هو بقابلية الهلال للرؤية في ذلك المكان لأنه امر في متناول الجميع؛ فلو كان المعتمد عندهم هو كفاية رؤية الهلال ولو بالبلدان البعيدة عن بلد المكلف لكان معناه انهم سوف لا يحكمون بعدم دخول الشهر الجديد في بلدانهم بمجرد عدم ظهور الهلال في افقهم –حال صفا الجو– الا بشكل مؤقت لحين ما يأتي لهم خبر من خارج بلدانهم ويخبر بحال ظهور الهلال من عدمه في تلك البلدان البعيدة , وهو مقطوع البطلان بل هم يعتمدون على ظهور الهلال في افقهم في دخول الشهر .

المقدمة الثانية: لما جاء الاسلام أقر العرب على طريقة اعتمادهم على الشهر القمري ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ﴾ ،ولم يرد منه ما يصلح ان يكون رادعاً عن سيرتهم تلك, فلو ورد لاشتهر وذاع لشدة الابتلاء به(٣٦).

رابعاً : لو كان المناط في دخول الشهر هو رؤية الهلال ولو في بلد اخر بعيد عنه لكان لازم ذلك ان صيام النبي والائمة ع وفطرهم وحجهم كانت غير مطابقة للواقع في كثير من الحالات؛ لأنهم كانوا يعتمدون في في تعيين بداية الشهر على الرؤية في بلدانهم او ما كان قريباً منهم , مع ان الرؤية كانت ممكنة في بعض البلدان البعيدة عنهم كما يتضح ذلك بمراجعة البرامج الكمبيوترية الحديثة(٣٧).

خامساً :انّ الموضوعات العرفيّة الّتي هي موضوعات للأحكام الشّرعيّة ، لا بدّ وأن يؤخذ معناها ... وسائر خصوصيّاتها من العرف كالبيع مثلا فإذا قال الشّارع (يَسْئَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرامِ) و(شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ) و (فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْه) وغيرها من الآياتُ ، يريد تشريع هذا الأحكام مترتّبة على ما هو شهر عند العرف .ونحن نرى أنّ العرف ، كان يسمّي الشّهر ، وابتداؤه الّذي هو أوّل دخول اللّيل عند ما وجد الهلال المرئيّ فوق الأفق ، ولو بعد ساعات من خروجه عن تحت الشعاع .فبناء عليه ، ليلة أوّل رمضان ، هو أوّل ليلة لم يسبق برمضان ولو بساعة واحدة(٣٨).

القول الثاني : اتحاد الافاق (وحدة الافاق)

وبه قال جملة من الفقهاء منهم الفيض الكاشاني :(الظاهر انه لا فرق ان يكون ذلك البلد المشهود برؤيته فيه من البلاد القريبة من هذا البلد او البعيدة منه)(٣٩).

ومنهم المحقق البحراني(٤٠) والنراقي(٤١) في المستند وصاحب الجواهر (٤٢)، والسيد الخوئي إذ قال:

(إذا رؤي الهلال في بلد كفى في الثبوت في غيره مع اشتراكهما في الأفق ، بحيث إذا رؤي في أحدهما رؤي في الآخر ، بل الظاهر كفاية الرؤية في بلد ما في الثبوت لغيره من البلاد المشتركة معه في الليل وإن كان أول الليل في أحدهما آخره في الآخر)(٤٣).

وذكر السيد محمد سعيد الحكيم ذلك بقوله :(وجود الهلال في بلد يوجب دخول الشهر فيه وفي جميع البلدان الغربية بالإضافة إليه . بل وكذا في البلاد الشرقية بالإضافة إليه ، إذا كان البلد الذي ظهر فيه الهلال من بلدان العالم القديم – وهو القارات الثلاث آسيا ،إفريقيا ، أوربا – دون بلاد الأمريكيتين ، فإن ظهور الهلال فيها لا يوجب ثبوت الشهر في البلاد الشرقية بالإضافة إليها)(٤٤)،غير انه خص كلامه في القارات الثلاث

وقال الشيخ الفياض : (إذا رؤي الهلال في بلد كفى في الثبوت في غيره مع اشتراكهما في الأفق ،بحيث إذا رؤي في أحدهما رؤي في الآخر ، بل الظاهر كفاية رؤية الهلال في بلد ما في ثبوته للبلدان الأخرى وإن كانت متفاوتةً

معه في خطوط الطول والعرض ، بأن يكون الغروب في تلك البلدان قبل الغروب فيه بمدَّة طويلة)(٤٥)

مستند القول الثاني : استدل اصحاب هذا القول بأدلة عدة :

الدليل الاول: اطلاق النصوص العامة : إن (إطلاقات نصوص البيّنة الواردة في رؤية الهلال ليوم الشك في رمضان أو شوال وأنّه في الأوّل يقضي يوما لو أفطر ؛ فإنّ مقتضى إطلاقها عدم الفرق بين ما إذا كانت الرؤية في بلد الصائم أو غيره ؛ المتّحدة معه في الأفق أو المختلفة . ودعوى الانصراف إلى أهل البلد كما ترى ، سيّما مع التصريح في بعضها بأنّ الشاهدين يدخلان المصر ويخرجان ، فهي تشمل الشهادة الحاصلة في غير البلد على إطلاقها)(٤٦).

مثل معتبرة زيد الشحام عن أبي عبد الله(عليه السلام). أنه سئل عن الأهلة ؟ فقال :هي أهلة الشهور ، فإذا رأيت الهلال فصم ، وإذا رأيته فأفطر ، قلت : أرأيت إن كان الشهر تسعة وعشرين يوما أقضي ذلك اليوم ؟ فقال : لا إلا أن يشهد لك بينة عدول ، فان شهدوا أنهم رأوا الهلال قبل ذلك ، فاقض ذلك اليوم)، ومثلها معتبرة ابن سنان(٤٧).

ويلاحظ عليه:

ان تلك الروايات ليست في مقام الاطلاق من جهة ان البينة سواء كانت من بلد المكلف او من بلد بعيد عنه والتي تقتضي ثبوت الهلال في بلده المكلف في حال عدم رؤيته ان قامت عنده بينة برؤيته في بلد اخر مختلف عنه في الافق , بل الظاهر انها كانت في مقام البيان من جهة ان من صام شهر رمضان تسعة وعشرين يوماً ثم رأى هلال شوال لا يلزمه ان يقضي يوماً بناءاً على انه فاته يوم من اول الشهر الا اذا ثبت ذلك بطريق شرعي كالبينة , فالامام ع اراد دفع التوهم السائد بان شهر رمضان لايكون اقل من ثلاثين يوماً(٤٨).

فالاطلاق المدعى صحيح حيث يعم بلد الرؤية وغيرها في الأفق الواحد، وأمّا إطلاقه بالنسبة إلى المتحد في الأُفق أو المختلف فهذا بعيد جداً ..فهذه النصوص منصرفة إلى البلاد التي ممكن يقطعها الإنسان في يوم أو يومين وهذا لا يخرج البلدين من وحدة الأُفق(٤٩).

الدليل الثاني : النصوص الخاصة وبعض الشواهد على وحدة الافاق ، لذا نذكر أهمها :

أولاً : صحيحة هشام بن الحكم عن أبي عبد الله (عليه السلام) أنه قال فيمن صام تسعة وعشرين قال : « إن كانت له بينة عادلة على أهل مصر أنهم صاموا ثلاثين على رؤيته قضى يوماً»(٥٠).

فإن هذه الصحيحة باطلاقها تدلنا – بوضوح – على أن الشهر إذا كان ثلاثين يوما في مصر كان كذلك في بقية الأمصار بدون فرق بين كون هذه الأمصار متفقة في آفاقها أو مختلفة إذ لو كان المراد من كلمة مصر فيها المصر المعهود المتفق مع بلد السائل في الأفق لكان على الإمام (عليه السلام) أن يبين ذلك ، فعدم بيانه مع كونه(عليه السلام). في مقام البيان كاشف عن الاطلاق(٥١).

والمناقشة في ذلك: ان المقصود هو التركيز على قيام الحجة والتأكد من ثبوتها عند اهل ذلك المصر فلا يكفي ثبوت شاهدين منهم على الرؤية مطلقاً كما لو انفردا بادعاء الرؤية مع كثرة المستهلين(٥٢). كما «إنّ الاستدلال بهذه الإطلاقات مع العلم بأنّ الوسائل النقلية المتاحة آنذاك كانت محدودة جداً، فالمسافر الذي ينقل الخبر يأتي من بلد إلى بلد تكون المسافة بينهما خمسين كيلومتراً أو قريباً منه، وهذا المقدار من المسافة بل أكثر منها بكثير كما عرفت لا تؤثر في وحدة الأُفق»(٥٣).

ثانياً: صحيحة أبي بصير عن أبي عبد الله (عليه السلام). أنه سئل عن اليوم الذي يقضى من شهر رمضان فقال: « لا تقضه إلا أن يثبت شاهدان عدلان من جميع أهل الصلاة متى كان رأس الشهر، وقال لا تصم

ذلك اليوم الذي يقضى إلا أن يقضي أهل الأمصار فإن فعلوا فصمه»(٥٤).

الشاهد في هذه الصحيحة جملتان:(الأولى) قوله (عليه السلام) « لا تقضه إلا أن يثبت شاهدان عدلان من جميع أهل الصلاة « فيدل على أن رأس الشهر القمري واحد بالإضافة إلى جميع أهل الصلاة على اختلاف بلدانهم باختلاف آفاقها ولا يتعدد بتعددها ، (الثانية) قوله (عليه السلام) : « لا تصم ذلك اليوم إلا أن يقضي أهل الأمصار « فهذه الجملة تدل على أن رؤية الهلال في مصر كافية لثبوته في بقية الأمصار من دون فرق في ذلك بين اتفاقها معه في الآفاق أو اختلافها فيها فيكون مرده إلى أن الحكم المترتب على ثبوت الهلال – أي خروج القمر عن المحاق – حكم تمام أهل الأرض لا لبقعة خاصة(٥٥).

والمناقشة فيه:أما الجملة الاولى تدل على كفاية شهادة المسلم في رؤية الهلال وعدم اعتبار الايمان به ولا دلالة على قبول الشهادة من اي بلد من بلاد المسلمين(٥٦).

فالحكم ناظر إلى عمومية الحكم لجميع المسلمين على اختلاف مشاربهم ومذاهبهم لا على اختلاف بلادهم في الآفاق(٥٧).

وربما يرد على هذه المناقشة « أن السؤال عن اليوم الذي يقضى من شهر رمضان – لا عن الشاهد – هو كون الشاهد مسلماً أو مؤمناً ؟ ! فهذه الدعوى خلاف الظاهر جزماً»(٥٨).

ويمكن الجواب على ذلك : إن استفادة كفاية شهادة المسلم كان من جواب الامام ع وهو المعتمد ، وليس من سؤال السائل ، حتى نصرف الرواية عن اهل الافاق الى كفاية الإسلام في الشاهد.

واما الجملة الثانية : فظاهرها لا يلتزم به وهو وجوب صوم ذلك اليوم بقضاء جميع الامصار المغيمة من بلاد المسلمين(٥٩).

ثالثاً : أن خروج القمر من هذا الوضع– المحاق– هو بداية شهر قمري جديد لجميع بقاع الأرض على اختلاف مشارقها ومغاربها ، لا لبقعة دون أخرى ، وإن كان القمر مرئيا في بعضها دون الآخر ، وذلك لمانع خارجي كشعاع الشمس ، أو حيلولة بقاع الأرض أو ما شاكل ذلك ، فإنه لا يرتبط بعدم خروجه من المحاق ، ضرورة أنه ليس لخروجه منه أفراد عديدة بل هو فرد واحد متحقق في الكون لا يعقل تعدده بتعدد البقاع ، وهذا بخلاف طلوع الشمس فإنه يتعدد بتعدد البقاع المختلفة فيكون لكل بقعة طلوع خاص بها)(٦٠)، وعليه رؤية الهلال في بلد علامة على خروج القمر من المحاق فيكون بداية شهر لكل اهل الارض.

ويلاحظ عليه :

١– أنّ هذا التفكيك بين طلوع الأهلّة وطلوع الشمس وغروبها وإن كان صحيحا من الناحية العلمية إلاّ أنّه لا يكفي لجعل عنوان الشهر وواقعه أمرا دفعيا بالنسبة إلى الكرة الأرضية بتمامها وإن لا يتعقل له أفراد متعددة ؛ وذلك لأنّ عنوان الشهر القمري قد لا يكون اسما لهذه الحادثة الكونية الدفعية ، بل يمكن أن يكون اسما لأمر واقعي آخر أيضا ، وهو نسبي وله أفراد متعددة باختلاف بقاع الأرض ، وهو إمكان رؤية الهلال في نفسه في بلد الرؤية ؛ بمعنى بلوغه مرتبة من النضج والتكوّن نتيجة سيره بحيث يكون قابلاً للرؤية في غروب ذلك البلد ، وهذا أمر واقعي الرؤيةُ طريق إليه ولكنه في نفس الوقت نسبي ؛ أي يختلف من بقعة إلى أُخرى على الكرة الأرضية(٦١).

٢– ما ذكر من الفرق بين حالات القمر وبين الليل والنهار مسلم به ولكن لا يعني ذلك انه بخروج القمر من المحاق بصورة الهلال يلزم منه دخول شهر قمري لجميع اهل الارض الا اذا قلنا ان الشرع امضى ذلك واتخذ من خروج القمر من المحاق بداية لشهر قمري وهو غير صحيح والا لزم ان تكون بداية الشهر لنصف

الكرة الارضية الاخر اثناء النهار وهو امر لا يقبله العرف فان الشهر يبدا بالليلة (٦٢).

رابعاً : مضافا إلى سكوت الروايات بأجمعها عن اعتبار اتحاد الأفق في هذه المسألة ،ولم يرد ذلك حتى في رواية ضعيفة(٦٣).

ويلاحظ عليه :

ان السكوت بصلح دليلا على العكس بان يكون تعويلا على المرتكز في اذهان الناس والمرتكز هو ان لكل بلد رؤيته الخاصة به (٦٤).

خامساً : ويشهد على ذلك ما ورد في عدة روايات في كيفية صلاة عيدي الأضحى والفطر وما يقال فيها من التكبير من قوله (عليه السلام) في جملة تلك التكبيرات : « أسألك في هذا اليوم الذي جعلته للمسلمين عيدا « .فإن الظاهر أن المشار إليه في قوله (عليه السلام) في هذا اليوم هو يوم معين خاص جعله الله تعالى عيدا للمسلمين لا أنه كل يوم ينطبق عليه أنه يوم فطر أو أضحى على اختلاف الأمصار في رؤية الهلال باختلاف آفاقها ...ويدل أيضا على ما ذكرناه الآية الكريمة الظاهرة في أن ليلة القدر ليلة واحدة شخصية لجميع أهل الأرض على اختلاف بلدانهم في آفاقهم(٦٥).

يلاحظ عليه :

١- إن الوحدة الشخصية ليوم العيد وليلة القدر لا تتم حتى على مسلكه لانه اختار لاحقاً اختصاصه بالبلاد المشتركة في اول الليل في جزء من الليل فهي التي تشترك باول الشهر واما البلاد غير المشتركة في جزء الليل فيكون اول الشهر فيها في اليوم اللاحق , وبالتالي سوف لا يكون العيد واحد لكل اهل الارض ولا ليلة قدر واحدة فلا محيص من القول بان الوحدة هنا نوعية لا شخصية كما هو المفروض في الاستدلال(٦٦).

الخاتمة:

الى هنا نطوي سجل البحث في موضوع شيق في معارفه عميق في ادلته مهم في بابه, صار محلاً لتدارس آراء الفحول من علماء الطائفة أعلى الله كلمتهم , وقد عرضته في مطالب مهمة ، ومما تقدم من عرض الادلة ومناقشتها يبدو ان الكفة تميل الى المبنى القائل باختلاف الافاق وان لكل بلد – أوما يقاربه في الافق– حكمه الخاص به ، وآخر دعوانا الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد و اله الطاهرين.

الهوامش:

(١) الطباطبائي , محمد حسين : الميزان في تفسير القران, ج٢ ص ٥٦
(٢)الفراهيدي، الخليل بن أحمد : العين ،الناشر : دار الهجرة ، تح : د. مهدي المخزومي ، ط٢– ١٤٠٩م– ج٣ ص ٣٥٢
(٣)ابن فارس ، أحمد بن فارس بن زكريا ، أبو الحسين (ت: ٣٩٥هـ): معجم مقاييس اللغة ، الناشر : دار الفكر : تح : عبد السلام محمد هارون ، – ١٩٧٩م ج١١ ص٦
(٤)ظ, الجوهري : الصحاح ج٥ ص١٨٥١
(٥)ظ , الراغب الاصفهاني : المفردات في غريب القران , ص٥٤٤ . الطريحي : مجمع البحرين , ج٦ ص٣٤٩ .
(٦) ظ, كشاف اصطلاحات العلوم والفنون: ج ٢، ص ١٧٤٣
(٧)ظ، البهبهاني ، محمد باقر : الرسائل الفقهية ، ج١ ص ١٢٣.
(٨)البقرة: ١٨٩
(٩)المشكيني : مصطلحات الفقه ، ٥٥٣
(١٠) ظ , موقع علوم الفضاء , تاريخ ٢٥ / ١/ ٢٠٢١
(١١)البقرة / ١٨٩
(١٢)السيوطي ، جلال الدين (ت : ٩١١هـ): أسباب النزول ، مؤسسة الكتب الثقافية ، ط١–٢٠٠٢ م ، ج١ص٣٤
(١٣) البقرة : ١٨٥
(١٤) الطباطبائي: الميزان في تفسير القران , ج٢ ص ٢٤.

(١٥) الحر العاملي : تفصيل وسائل الشيعة الى تحصيل مسائل الشريعة , ج١٠ باب ٣ من أبواب احكام شهر رمضان , ص٢٥٢ ح١
(١٦) الحر العاملي : تفصيل وسائل الشيعة الى تحصيل مسائل الشريعة , ج١٠ باب ٣ من أبواب احكام شهر رمضان , ص٢٥ح٢
(١٧) الحر العاملي : تفصيل وسائل الشيعة الى تحصيل مسائل الشريعة , ج١٠ باب ٣ من أبواب احكام شهر رمضان , ص٢٥ح٢ ح١٩
(١٨) المحقق الحلي : شرائع الاسلام في مسائل الحلال والحرام ,ج١ ص١٤٨
(١٩) النراقي : مستند الشيعة , ج١٠ ص٣٩٥
(٢٠)ظ، اليزدي ، محمد كاظم : العروة الوثقى والتعليقات عليها ، ج١٠ ص٢٦٥
(٢١) الخوئي : منهاج الصالحين , ج ص ٢٧٨
(٢٢) ظ . السيستاني : المسائل المنتخبة , ص١٦٢ , الحكيم , محمد سعيد : منهاج الصالحين ج١ ص٣٤٦ص , الزنجاني : المسائل الشرعية , ص ٣٧٥
(٢٣)الفياض : منهاج الصالحين ج١ ص٤٢٣
(٢٤)الجواهري : محمد : الواضح في شرح العروة الوثقى، ج١٥ ص ٢٢٨
(٢٥) الماحوزي : هيويات فقهية , ٠ تقرير بحث الشيخ السند ص ١٢٣-١٢٩
(٢٦)ظ، الخوئي : منهاج الصالحين ، العبادات ، ج١ ص٢٧٢
(٢٧) الطوسي : المبسوط في فقه الامامية , ج ١ص٢٦٨
(٢٨) ظ, ابن البراج : المهذب , ج١ ص١٩٠ , ابن حمزة : الوسيلة الى نيل الفضيلة ص١٤١
(٢٩) المحقق الحلي : شرائع الاسلام في مسائل الحلال والحرام ج١ ص١٤٨
(٣٠) الشهيد الاول : الدروس الشرعية في فقه الامامية , ج١ ص ٢٨٥
(٣١) السيستاني : منهاج الصالحين : ج١ ص٣٣٥
(٣٢) الحر العاملي : و سائل الشيعة ١٠: ٢٥٧، ب ٣ من أحكام شهر رمضان ، ح ١٩.
(٣٣) ظ, الهاشمي , محمود : مجلة فقه أهل البيت , العدد ٣١ ص٦٤, بحث بعنوان (ثبوت الشهر برؤية الهلال في بلد أخر)
(٣٤) الطوسي : تهذيب الاحكام , ج٤ ص١٥٩
(٣٥) اسئلة حول رؤية الهلال مع اجوبتها , ص١٩
(٣٦) ظ, اسئلة حول رؤية الهلال مع اجوبتها، اصدار مكتب السيد علي السيستاني ص١٢
(٣٧) ظ, المصدر نفسه ,ص١٤
(٣٨) الطهراني , محمد حسين : رسالة حول مسألة رؤية الهلال , ص٤٦
(٣٩) الكاشاني : الوافي , ج١١ ص١٢٠
(٤٠) البحراني : الحدائق الناظرة في احكام العترة الطاهرة ,ج١٣ ص٢٦٦
(٤١) النراقي : مستند الشيعة في احكام الشريعة ,ج١٠ ص ٤٢٤
(٤٢) الجواهري :جواهر الكلام في شرح شرائع الاسلام < [١٦ w٣٦١
(٤٣) الخوئي : منهاج الصالحين , ج١ ص٢٧٨
(٤٤) الحكيم ,محمد سعيد : منهاج الصالحين , ج١ ص٣٤٦
(٤٥) الفياض : منهاج الصالحين , ج١ ص ٤٢٠
(٤٦) البروجردي : المستند في شرح العروة الوثقى , ج٢٢ ص١٢٠
(٤٧) الحر العاملي : وسائل الشيعة , ج١٠ ص٢٦٢ ب٥ ح٤, ١٩
(٤٨) السيستاني , محمد رضا : اتحاد الافاق واختلافها , ص٢٥
(٤٩)السبحاني ، جعفر : رسائل فقهية ، رؤية الهلال واختلاف الافاق ، نشر : مؤسسة الامام الصادق ، ط١ -١٤٢٣هـ ، ج١ص٤٣
(٥٠) المصدر السابق ص ٢٦٥ح١٣
(٥١) البروجردي : المستند في شرح العروة الوثقى , ج٢٢ ص١٢٠
(٥٢) السيستاني ، محمد رضا : اتحاد الافاق أو اختلافها في بداية الأشهر القمرية ، ص٤٠
(٥٣)السبحاني : رؤية الهلال واختلاف الافاق ، ج١ ص٤٥
(٥٤)الطوسي : تهذيب الاحكام ، ج٤ص١٥٧
(٥٥) الخوئي : منهاج الصالحين , ج١ ص٢٨٢

السيستاني ، محمد رضا : اتحاد الافاق أو اختلافها ،ص٤٦
السبحاني : رؤية الهلال واختلاف الافاق ،ج١ ص٤٦
الجواهري ، محمد : الواضح في شرح العروة الوثقى ، ج١ص٣٩
( ) ظ , اسئلة حول رؤية الهلال مع اجوبتها , ص ٢٦
( ) الخوئي : منهاج الصالحين ، ج١ ص٢٨٠
( ) الهاشمي : ص٣٩
( ) ظ, اسئلة حول الهلال مع اجوبتها , ص٨
( ) الخوئي : منهاج الصالحين , ج١ ص٢٨٣
( ) ظ , اسئلة حول رؤية الهلال مع اجوبتها , ص٣٣
( ) المصر السابق , ٢٨٢
( ) ظ , اسئلة حول رؤية الهلال مع اجوبتها ص٣٣

المصادر والمراجع:

القران الكريم
١- ابن البراج, عبد العزيز(ت:٤٨١هـ) : المهذب , تحقيق : إعداد : مؤسسة سيد الشهداء العلمية / إشراف : جعفر السبحاني ١٤٠٦- الناشر : مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة
٢- ابن حمزة , الطوسي (٥٦٠هـ): الوسيلة الى نيل الفضيلة تحقيق : الشيخ محمد الحسون / إشراف : السيد محمود المرعشي , ط١- ١٤٠٨هـ , مطبعة الخيام – قم ،الناشر : منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي
٣- ابن فارس ، أحمد بن فارس بن زكريا ، أبو الحسين (ت: ٣٩٥هـ): معجم مقاييس اللغة ، الناشر : دار الفكر : تح : عبد السلام محمد هارون ، - ١٩٧٩م
٤- البحراني , يوسف (ت: ١١٨٦هـ): الحدائق الناظرة في احكام العترة الطاهرة لوفاة : ١١٨٦ ,الناشر : مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة
٥- البروجردي, مرتضى : المستند في شرح العروة الوثقى , ط٤- ١٤٣٠هـ مؤسسة الامام الخوئي الإسلامية
٦- البهبهاني ، محمد باقر(ت: ١٢٠٥م) : الرسائل الفقهية ، مؤسسة العلامة البهبهاني، ط ١/ ١٤١٩م
٧- الجواهري ، محمد : الواضح في شرح العروة الوثقى ، دار العارف للمطبوعات
٨- الجوهري ، إسماعيل بن حماد (ت: ٣٩٣هـ) : الصحاح تاج اللغة و صحاح العربية، الناشر دار العلم للملايين ، ط٤ -١٤٠٧هـ
٩- الحكيم ,محمد سعيد : منهاج الصالحين , ط٢- ١٤١٨هـ ,الناشر : مكتب السيد الحكيم
١٠- الحر العاملي ، محمد بن الحسن (ت: ١١٠٤هـ): تفصيل وسائل الشيعة الى تحصيل مسائل الشريعة، نشر مؤسسة ال البيت لإحياء التراث، ط٢- ١٤١٤هـ
١١- الخوئي : (ت: ١٤١٣هـ) : منهاج الصالحين , مؤسسة احياء اثار الامام الخوئي , ط٣٢
١٢- الراغب الاصفهاني : (ت:٤٢٥هـ): مفردات الفاظ القران , تحقيق: صفوان عدنان داوودي, ط٢ -١٤٢٧هـ , الناشر : طليعة النور
١٣- الزنجاني , موسى : المسائل الشرعية, ط١- ١٤٢٨هـ, مؤسسة نشر الفقاهة.
١٤- السبحاني ،جعفر : رؤية الهلال واختلاف الافاق ، نشر : مؤسسة الامام الصادق ، ط١ -١٤٢٣هـ
١٥- السيستاني , محمد رضا : اتحاد الافاق واختلافها ,ط١- ٢٠١٦م دار المؤرخ العربي, بيروت لبنان
١٦- -السيستاني , علي : منهاج الصالحين ,الناشر : دار المؤرخ العربي-١٤٣٣هـ- بيروت – لبنان دار البذرة
١٧- السيوطي ، جلال الدين (ت : ٩١١هـ): أسباب النزول ، مؤسسة الكتب الثقافية ، ط١-٢٠٠٢
١٨- الشهيد الاول محمد بن مكي (ت: ٧٨٦هـ): : الدروس الشرعية في فقه ، تحقيق :مؤسسة النشر الإسلامي التابعة

لجماعة المدرسين بقم المقدسة , ط٢– ١٤١٧هـ
١٩– الطباطبائي , محمد حسين : الميزان في تفسير القران , ا لناشر : مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.
٢٠– الطهراني , محمد حسين(ت: ١٤١٦هـ) : رسالة حول مسألة رؤية الهلال
٢١– الطوسي ، محمد بن الحسن :
– تهذيب الاحكام , : تحقيق وتعليق : السيد حسن الموسوي الخرسان , ط٣–١٣٦٤ هـ ش الناشر : دار الكتب الإسلامية – طهران
–المبسوط في فقه الامامية : المطبعة : المطبعة الحيدرية – طهران الناشر : المكتبة المرتضوية لإحياء آثار الجعفرية
٢٢– الفياض , محمد اسحاق: منهاج الصالحين ,ط١المطبعة : أمير – قم نشر ,مكتب الشيخ الفياض
الفراهيدي، الخليل بن أحمد : العين ،الناشر : دار الهجرة ، تح : د. مهدي المخزومي ، ط٢– ١٤٠٩م–
٢٣– الكاشاني, محسن (١٠٩١هـ) : الوافي , تحقيق : ضياء الدين الحسيني « العلامة » الأصفهاني, ط١– ١٤٠٦ هـ .الناشر : مكتبة الامام أمير المؤمنين علي (ع) العامة – أصف
٢٤– كشاف اصطلاحات العلوم والفنون
٢٥– الماحوزي : هيويات فقهية , ٠ تقرير بحث الشيخ السند
٢٦– المحقق الحلي : (ت: ٦٧٦هـ): شرائع الاسلام في مسائل الحلال والحرام ,تعليق : صادق الشيرازي ,ط٣–١٤٠٣هـ , انتشارات استقلال.
٢٧– المشكيني، علي : مصطلحات الفقه، الناشر : مكتب الهادي ، ط١–١٤١٩هـ
٢٨– النجفي , محمد حسن(ت: ١٢٦٦ هـ) :جواهر الكلام في شرح شرائع الاسلام تحقيق : الشيخ عباس القوچاني , ط٢– سنة الطبع : ١٣٦٥ هـ ش الناشر : دار الكتب الإسلامية – طهران
٢٩– اليزدي , محمد كاظم(ت: ١٣٣٧هـ): العروة الوثقى , تحقيق : مؤسسة النشر الإسلامي, ط١–١٤١٧هـ –الناشر : مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة يعة في احكام الشريعة
٣٠– الهاشمي , محمود : مجلة فقه أهل البيت , العدد ٣١ ص٦٤, بحث بعنوان (ثبوت الشهر برؤية الهلال في بلد أخر)
٣١– مركز البحوث والدراسات الفلكية : اسئلة حول رؤية الهلال مع اجوبتها , وفق فتاوى السيد السيستاني,

الحرية المالية ضمن المنهاج النبوي الشريف

أ.م. د. مرفت نواف عبود مشعان
الجامعة العراقية – كلية العلوم الاسلامية

فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية العدد(٨)
السنة الثالثة صفر الخير ١٤٤٦هـ آب ٢٠٢٥م

المستخلص:

يتناول هذا البحث مفهوم الحرية المالية في ضوء المنهج النبوي، من خلال استقراء الأحاديث النبوية والسيرة العطرة للنبي محمد(صلى الله عليه وآله وسلم)، والتي أرست أسس متينة لتحقيق الاستقلال المالي للفرد والمجتم ، ويبرز البحث كيف شجع الإسلام على العمل والكسب الحلال، وحث على الزهد دون الدعوة إلى الفقر، وربط المال بالمسؤولية الأخلاقية والاجتماعية، ويستعرض نماذج نبوية لتشجيع الإنتاج، ومحاربة الكسل، وبناء اقتصاد متوازن يخدم الفرد والأمة ويخلص البحث إلى أن المنهج النبوي قد قدم تصور متكامل للحرية المالية باعتبارها وسيلة للكرامة الإنسانية، والاستغناء عن الخلق، والتفرغ لعبادة الله وخدمة المجتمع.

الكلمات المفتاحية:الحرية المالية، الاستقلال المالي،الكسب الحلال، الزهد،بناء اقتصاد.

Abstract:

This research explores the concept of financial freedom within the framework of the Prophetic methodology, drawing upon the sayings and life of Prophet Muhammad ﷺ. The study highlights how Islam encourages lawful earning, hard work, and financial independence while promoting moderation and ethical responsibility. It demonstrates that the Prophet's approach did not advocate poverty but rather self-sufficiency and dignity through productive effort. The paper also presents examples from the Prophet's life that fostered economic empowerment, discouraged laziness, and promoted a balanced financial system serving both the individual and society. The study concludes that the Prophetic methodology offers a comprehensive vision of financial freedom as a means to uphold human dignity, achieve independence from others, and devote oneself to worship and community service.

Keywords: financial freedom, financial independence, lawful earnings, asceticism, building an economy.

المقدمة:

الحمد لله الذي خلق الإنسان في أحسن تقويم، وأكرمه بالعقل والتكليف، وجعل له في المال أمانة وابتلاءاً، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، نبينا محمد(صلى الله عليه وآله وسلم)، الذي أرشد الأمة إلى مكارم الأخلاق، ووضع لها منهجاً في التعامل مع الدنيا والآخرة، وعلى آله وصحبه ومن سار على هديه إلى يوم الدين.

أما بعد،

فإن المال أحد المقومات الأساسية في حياة الإنسان، وبه قِوام معيشته واستقراره وكرامته، وقد جعله الله تعالى وسيلةً للأستخلاف في الأرض، لا غاية للتكالب والاستئثار، كما قال سبحانه وتعالى :﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾(١)، وقوله تعالى في موضع آخر:﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ﴾(٢)، وفي ذلك دلالة واضحة على أن التفاوت في الرزق امتحان للمسؤولية والتكافل، لا لإذلال الفقير أو استعباده ، وقد أولى

الإسلام الحرية المالية أهمية كبرى، لأنها تتصل اتصالاً وثيقًا بكرامة الإنسان واستقلاله، وقد نهى النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) عن المسألة والتذلل للناس، وحث على الكسب الحلال والعمل الشريف، حتى يكون المسلم غني النفس، قوي الإرادة، حر في إتخاذ قراراته بعيداً عن ذل الحاجة وسؤال الناس.

إن هذا البحث يسلط الضوء على الحرية المالية في المنهج النبوي، فيكشف عن مفهومها وأهميتها وأبعادها، ويستعرض الوسائل النبوية التي دعا إليها لتحقيق الاكتفاء المالي، سواء على مستوى الفرد أو المجتمع، من خلال الحث على العمل، وتنظيم الإنفاق، والتدبير المالي، والوقاية من الاستغلال والديون المُذِلّة، وكل ذلك في إطار من التوازن بين الكسب المادي والنقاء الروحي ، ويأتي هذا الموضوع في وقت تتزايد فيه مظاهر التبعية المالية، والفوارق الطبقية، مما يجعل من العودة إلى المنهج النبوي ضرورة لإحياء كرامة المسلم وتمكينه من العيش بحرية واستقلال دون خضوع أو تبعية.

أولاً : مشكلة البحث

تعد الحرية المالية من أهم مقومات الكرامة الإنسانية، ومنطلق لتحقيق الاستقرار النفسي والاجتماعي والاقتصادي للفرد، إذ لا يمكن للإنسان أن يمارس خياراته بحرية أو أن يعيش باستقلال وكرامة وهو رازح تحت وطأة الحاجة، أو مرتهن للغير في معاشه ورغم أهمية هذا الجانب، فإن تناول المنهج النبوي في تعزيز الحرية المالية لم ينل ما يستحقه من الدراسة والتحليل، لا سيما في زمنٍ تتفاقم فيه صور الاستعباد الاقتصادي وتضييق سبل العيش وازدياد التبعية المالية.

ومن هنا تنبع مشكلة البحث في السؤال الآتي:

إلى أي مدى أسهم المنهج النبوي في ترسيخ مفهوم الحرية المالية في حياة الفرد المسلم؟ وما هي الوسائل التربوية والاجتماعية والاقتصادية التي اعتمدها النبي(صلى الله عليه وآله وسلم). لضمان استقلال الإنسان المالي وحمايته من ذل الحاجة والتبعية؟

ثانياً : أهمية البحث

تبرز أهمية هذا البحث من خلال ما يلي:

يسلط الضوء على جانب حيوي من السيرة النبوية لم يتناول بالقدر الكافي، وهو البعد المالي في تكوين الإنسان المسلم، وربط ذلك بمفهوم الحرية الذي يعد من القيم العليا في الإسلام ، ويبرز البحث كيف سعى النبي(صلى الله عليه وآله وسلم). إلى تربية المسلمين على الكفاية المالية والاستغناء عن الناس، وغرس مفاهيم العمل، والادخار، والإنفاق الواعي، بما يعزز الشخصية الحرة القادرة على النهوض بمسؤولياتها ، تأتي هذه الدراسة في الإطار عالمي تتعاظم فيه التحديات الاقتصادية، وتزداد فيه التبعية المالية بسبب البطالة والديون والفقر، مما يجعل من العودة إلى المنهج النبوي في إدارة المال حاجة ملحة لتعزيز الاستقلال المالي للأفراد والمجتمعات ، ويسعى البحث إلى استلهام معالم المشروع النبوي في ترسيخ قيم العزة والكرامة، وبيان أن التحرر من الحاجة لا يقل أهمية عن التحرر من الاحتلال أو الطغيان، بل هو أحد مداخله.

ثالثاً : أهداف البحث

يسعى هذا البحث إلى تحقيق جملة من الأهداف، أبرزها:

١- بيان مفهوم الحرية المالية في المنظور الإسلامي، من خلال تحليل المفردة لغوياً واصطلاحاً، وربطها بالكرامة الإنسانية.

٢- استقراء التوجيهات النبوية التي تعزز مبدأ الاستقلال المالي لدى الفرد، من خلال النصوص النبوية والسلوك العملي للنبي(صلى الله عليه وآله وسلم).

٣- تحليل الوسائل التربوية والاقتصادية التي اعتمدها المنهج النبوي لتحقيق الحرية المالية، مثل الحث على العمل،

النهي عن السؤال، والتحذير من الديون والتبعية.

٤- إبراز العلاقة بين الحرية المالية والقدرة على اتخاذ القرار في ضوء الهدي النبوي، وبيان كيف أن الاكتفاء المالي يحقق للإنسان حرية الإرادة ويصون كرامته.

٥- استخلاص أطر تطبيقية من المنهج النبوي يمكن الاستفادة منها في الواقع المعاصر لمواجهة الفقر والتبعية الاقتصادية.

رابعاً:منهج البحث

اعتمد الباحث على المنهج الوصفي التحليلي من خلال استقراء النصوص القرآنية والحديثية التي تناولت المال، والتعاملات المالية، والعمل، والاستغناء، والسؤال، والدين، وغيرها من المفاهيم ذات الصلة بالحرية المالية وتحليل المواقف والسلوكيات النبوية المتعلقة بالمال والاستقلال المالي، واستنباط المبادئ المستخلصة منها وربطها بالواقع المعاصر ، في عرض المفاهيم والتعريفات وتوصيف أبعاد الحرية المالية ، وتقديم صورة متكاملة عن هذا المفهوم من خلال الهدي النبوي.

التمهيد:

الحرية ليست قيمة نظرية مجردة، بل هي حاجة فطرية وسلوك يومي يمارسه الإنسان في تفاصيل حياته، وتتجلى في أسمى صورها حين يكون المرء قادراً على إتخاذ قراراته بإرادة حرة، دون خضوع لقسرٍ خارجي أو تبعية داخلية ومن بين أبرز مظاهر هذه الحرية ما يعرف بـ الحرية المالية، التي تمكن الإنسان من تسيير شؤونه الاقتصادية دون حاجة ماسة للغير، أو اضطرار يدفعه إلى التنازل عن كرامته، أو التورط في مسالك تخل بمروءته.

وقد جاءت الشريعة الإسلامية شاملة في تناولها لشؤون الإنسان، فلم تقتصر على تنظيم العبادات، بل شملت المعاملات والعلاقات الإنسانية والمالية، وحرصت على أن تصون للإنسان حريته في كسبه وإنفاقه ضمن ضوابط الشرع، بما يحفظ له دينه ونفسه وماله وكرامته ، وقد كانت السنة النبوية بتوجيهاتها العملية نموذج تطبيقي لهذه القيم، حيث نجد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم). يحث على الكسب الشريف، وينهى عن المسألة، ويعلم على الاعتماد على الذات، ويربط بين اليد العليا والعزة، وبين اليد السفلى والمذلة، في قوله: اليد العليا خير من اليدِ السفلى.

إن التبعية المالية، التي قد تبدو في ظاهرها مسألة شخصية أو اقتصادية بحتة، تمس في حقيقتها جوهر حرية الإنسان، وتنعكس سلباً على إرادته وموقفه وموقعه داخل مجتمعه ، لا يمكن إغفال الدور المحوري للمنهج النبوي في تحقيق هذا النوع من الحرية، ولا سيما أن النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) لم يكتفِ بتقديم النصائح المجردة، بل جسدها واقعاً في سيرته، وعلّمها لأصحابه في مواقف شتى، بدءاً من توفير العمل للعاطل، وصولاً إلى النهي عن التورط في الديون والاقتراض دون ضرورة.

ومن هذا المنطلق يسعى هذا البحث إلى استجلاء معالم الحرية المالية في المنهج النبوي، بوصفها أداة لصيانة الكرامة الإنسانية، ووسيلة لتحقيق التوازن النفسي والاجتماعي للفرد، ونقطة انطلاق نحو بناء مجتمع متكافل، مستقل، وعزيز النفس، ينهض أفراده بشؤونهم دون ارتهان أو إذلال.

المبحث الأول

المفهوم العام للحرية المالية وأهميتها

تعد المفاهيم حجر الأساس لأي دراسة علمية جادة، إذ لا يمكن الخوض في أي موضوع بصورة تحليلية دون الوقوف أولًا على حدوده المفهومية وتحديد دلالاته اللغوية والاصطلاحية. وحين يكون الموضوع متعلق بمصطلحين مركبين ومتشعبين مثل «الحرية» و»المال»، تزداد الحاجة إلى ضبط التعريفات وضبط علاقتها ببعضها، ليتضح بعد ذلك

مضمون الحرية المالية بوصفها مركب دلالي ذا أبعاد اجتماعية واقتصادية وأخلاقية ، وقد أولى الإسلام ومن خلال هديه النبوي أهمية كبرى لكل من هذين الجانبين، فحرية الإنسان مقصد شرعي أصيل، والمال أمانة واختبار، والربط بينهما في ضوء التوجيه النبوي يكشف عن مبدأ جوهري يتمثل في أن الحرية الحقيقية لا تكتمل إلا بالاستغناء عن الناس، سنتناول في هذا المبحث بتأصيل مفهوم الحرية المالية تأصيل لغوي واصطلاحي وتحليلي، مع بيان أبعادها، ثم يبرز أهميتها في ضوء ما تضمنه المنهج النبوي من قيم وممارسات تؤكد مركزيتها في بناء الفرد والمجتمع.

المطلب الأول: مفهوم الحرية المالية وأبعادها

عند تناول مصطلح الحرية المالية ، نجد أنفسنا أمام مركب دلالي يتألف من عنصرين رئيسيين، هما: الحرية و المال، وهما من المفاهيم التي شغلت حيز واسع في الفكر الإنساني عامة، وفي الرؤية الإسلامية خاصة ومهما اختلفت العصور وتبدلت السياقات، فإن هذين المفهومين يظلان في مركز البحث عن كرامة الإنسان واستقلاله وسلامه النفسي والاجتماعي ، فإن بناء هذا المفهوم وتحديد ملامحه يقتضي الوقوف على دلالاتهما اللغوية والشرعية .

أولاً : مفهوم الحرية لغةً واصطلاحاً

الحرية في اللغة : هي الخلاص من الشوائب او الرق او اللوم(٣)، والحرية في الاصطلاح : هي سلطة التصرف في الأفعال عن إرادة ورؤية ، وهي الملكة الخاصة التي تميز الكائن الناطق عن غيره ، ليتخذ فقراره دون إكراه او إجبار او قسر خارجي ، وإنما يختار أفعاله عن قدرة وأستطاعة على العمل او الاقناع فيه ، دون ضغط خارجي ، ودون الوقوع تحت تأثير قوة أجنبية عنه ، فالحرية قدرة وحق للإنسان تجاه أخيه الانسان من جهة ، وبما يصدر عنه بأختياره من جهة أخرى(٤).

ثانياً : مفهوم المال لغةً واصطلاحاً

أما المال، فهو في اللغة كل ما يقتنى ويملك ويرغب فيه. يقول الفيروزآبادي: المال: ما ملكته من كل شيء، يقال: ماله درهم ولا دينار، أي لا يملك شيء(٥)، والمال في الثقافة العربية كان يطلق غالباً على الإبل، لأنها كانت أكثر ما يملك، ثم توسّع استعماله ليشمل كل ذي قيمة مادية يمكن تملكه.

وفي الاصطلاح الفقهي، عرف الفقهاء المال بأنه: ما يمكن حيازته والانتفاع به على وجه معتاد، ولا يكون محرم شرعاً(٦). وهذا التعريف يربط المال بالمصلحة المشروعة، لأن ما لا يجوز الانتفاع به لا يعد مالاً شرعاً، وإن كانت له قيمة في نظر بعض الناس. وقد شغل المال مكانة كبيرة في الشريعة الإسلامية، فهو أحد مقاصدها الكبرى الخمسة التي شرعت لحفظها الأحكام، إذ لا يستقيم العمران ولا تقوم حياة الأفراد والمجتمعات إلا بحسن تدبيره وحمايته. ومع ذلك، حذرت النصوص الشرعية من التعلق المفرط به، لأن المال وسيلة لا غاية، ومتى ما صار غاية في ذاته، أفسد النفس والعقل والقلب.

أبعاد مفهوم الحرية المالية في المنهج النبوي

إذا كانت الحرية المالية تدل على الاستقلال المالي الذي يحرر الإنسان من التبعية والحاجة، فإن المنهج النبوي لم يقتصر على التوصية بها، بل عمل على ترسيخها من خلال جملة من التوجيهات العملية والتشريعات السلوكية والاجتماعية، لتكون الحرية المالية جزء من الكيان الإيماني للفرد المسلم. ولما كانت المقاصد الشرعية تهدف إلى حفظ الكليات الخمس، ومنها النفس والمال والعقل، فإننا نلاحظ أن النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)ز أدار المنظومة المالية في حياة الصحابة بطريقة تحميهم من ذل الفقر، وتسعى إلى تمكينهم اقتصادياً، وذلك عبر مجموعة من الأبعاد الأساسية(٧).

فإن أول ما يرسخه الإسلام في نفوس أتباعه أن المال ليس غاية، بل وسيلة، وأن العبودية لله تعالى تقتضي التحرر من عبودية المادة. وقد ترسخ هذا المعنى في حياة النبي(صلى الله عليه وآله وسلم). حينما كان يدعو إلى الاستغناء عن الخلق، ويجعل العز في الاستغناء، كما جاء في الحديث:

((من يستعفّ يعفه الله، ومن استغنى أغناه الله، ومن تصبّر صبّره الله، وما أعطي أحد عطاءً خيراً وأوسع من الصبر))(٨).

وهذا يبرز لنا كيف أن الإسلام لا يقدس الفقر، بل يحذر من آثاره النفسية والاجتماعية إذا كان مقعدًا أو مذلًا. لذلك فإن التوجيه النبوي يدعو إلى الكسب والعمل والتخطيط المالي باعتبارها وسائل لتحرير الإنسان نفسياً وعقدياً، حتى لا يجعل حاجته بيد غيره، ولا يرتهن في قراراته أو قناعاته بسبب فاقة. ومن أبرز أبعاد الحرية المالية في الهدي النبوي، الدعوة إلى العمل اليدوي والرزق الحلال، واعتباره شرفًا لا منقصة. فعن النبي(صلى الله عليه وآله وسلم). أنه قال: ((لأن يأخذ أحدكم أحبله فيأتي الجبل، فيحتطب، فيبيع، فيأكل ويتصدق، خير له من أن يسأل الناس، أعطوه أو منعوه))(٩).

وهذا الحديث يضع قاعدة صلبة في الاقتصاد الإسلامي: لا حرية مالية من دون عمل، ولا استقلال من دون إنتاج. ولذلك، شجع النبي(صلى الله عليه وآله وسلم). كل مظهر من مظاهر الاكتفاء الذاتي، حتى في أضيق الظروف. ونقل عنه أنه مرّ على رجل يسأل الناس فقال له: ((أما في بيتك شيء؟)) قال: نعم، كساء، وقدح نشرب فيه. فقال النبي: ((ائتني بهما)) . ثم باعهما بدرهمين، وقال: ((اشترِ بدرهم طعاماً لأهلك، وبالآخر اشترِ قدوماً فاحتطب به))(١٠).

وفي هذه القصة النبوية نجد أن الحرية المالية ليست مفهوما مجرد بل ممارسة عملية تبدأ من تشجيع الفرد على تحمّل مسؤوليته الاقتصادية مهما كانت إمكانياته بسيطة ، فقد تميز المنهج النبوي في الجمع بين التربية الروحية والتحفيز الاقتصادي، ليكون الفرد قادر على إعالة نفسه ومن يعول، دون اعتماد دائم على الصدقات أو المساعدات.

و يعد جانب العفة عن المسألة من أهم مقومات الحرية المالية في السنة النبوية، حيث دعا النب(صلى الله عليه وآله وسلم). إلى الحياء من الناس، والاعتماد على النفس، وبن أن من تعفّف أعفّه الله، وفي حديث آخر قال(صلى الله عليه وآله وسلم): ((من فتح على نفسه باب مسألة، فتح الله عليه باب فقر))(١١).

فالأصل أن المسلم يسعى إلى الكفاف، ولا يتكئ على الآخرين في معيشته، لأن الحاجة المذلة تضعف النفس، وتفقد الإنسان عزته، وقد تدفعه أحياناً إلى التصرف ضد مروءته أو دينه. لذلك كان النبي(صلى الله عليه وآله وسلم). يحث على تنمية الموارد، وتنظيم الإنفاق، وتجنب الإسراف أو الاستدانة غير المبررة، بل ورد في السنة النهي عن كثرة الاستدانة، لما فيها من ذل التبعية وقلة الحرية، حيث قال: ((إن الرجل إذا غرم حدّث فكذب، ووعد فأخلف)) (١٢). .

وهذا يكشف أثر التبعية المالية على السلوك الأخلاقي، مما يبين لنا أن الحرية المالية لا تنفصل عن منظومة القيم، بل هي ضرورة لحماية الكرامة الإنسانية، ولتمكين الفرد من الإسهام البناء في مجتمعه من موقع الفاعل لا المستهلك فقط.

ومن الجوانب المهمة التي أبرزها المنهج النبوي في تحقيق الحرية المالية: ضرورة التوازن في الإنفاق، والتخطيط للمستقبل، والاقتصاد في الاستهلاك. فقد ورد في القرآن الكريم، في وصف عباد الرحمن: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾(١٣).

وهو نهج رسخه النبي(صلى الله عليه وآله وسلم). في سلوكه العملي، فقد كان يقتصد حتى في استخدام الماء، ويحث على عدم التبذير ولو في الموارد المتاحة وهذا يعد مبدأ أساسي في بناء الحرية المالية، لأن الإفراط في الإنفاق، دون موازنة مع الدخل، هو من أهم أسباب العجز المالي والتبعية الاقتصادية وبذلك يتضح لنا أن الحرية المالية في المنهج النبوي ليست حالة طارئة أو مفهوم عصري ، بل هي مبدأ متجذر في الرؤية الإسلامية، يجمع بين الإيمان والعمل، وبين العفة والتخطيط، وبين حفظ الكرامة وتحصيل الكفاية. وهو ما سيمهد لنا الانتقال إلى المبحث الثاني، لنرى كيف جسد النبي(صلى الله عليه وآله وسلم). هذا المفهوم في سيرته، وطبقه عمليًا في مجتمعه النبوي(١٤).

المطلب الثاني: ضوابط الحرية المالية في المنهج النبوي

رغم ما أولاها المنهج النبوي من عناية كبيرة، لم تكن الحرية المالية – في التصور الإسلامي – مطلقة بلا قيود، ولا متروكة للأهواء أو النزعات الفردية ، بل أحاطها النبي(صلى الله عليه وآله وسلم). بجملة من الضوابط التي تنظم ممارستها

وتمنع انحرافها عن المقصد الشرعي، حفاظاً على توازن الفرد والمجتمع، وحماية للمال من أن يكون سبب للظلم أو الفساد أو الترف المفسد للنفوس ، فالحرية المالية في الإسلام ليست حق أناني يسعى من خلاله الإنسان إلى تراكم الثروة دون اعتبار لحقوق الله والناس، بل هي مسؤولية متكاملة تندرج تحت مفاهيم الأمانة والاستخلاف والعدل. ولذلك، جاء المنهج النبوي بمجموعة من المبادئ السلوكية والقانونية التي تكبح جموح الطمع، وتنظم الكسب والإنفاق، وتوجه المال ليكون أداة تعمير وإعمار لا أداة تدمير واستغلال ، وفي هذا الإطار، يمكن إبراز أهم الضوابط التي أرساها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم). للحرية المالية من خلال عدة محاور(١٥).

أولاً : ضبط الكسب الحلال وتحريم مصادر المال غير المشروعة

أول ضابط من ضوابط الحرية المالية في الإسلام هو الالتزام بالكسب الحلال، والابتعاد عن مصادر المال المحرمة، وهو ما يظهر جلياً في الأحاديث النبوية الكثيرة التي تشدد على طهارة المورد المالي ، وقال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾(١٦)، وقال سبحانه : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾، ثم ذكر الرجل يطيل السفر، أشعث أغبر، يمد يديه إلى السماء: ((يا رب، يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغُذِّي بالحرام، فأنّى يُستجاب لذلك؟))(١٧)، وروي أن رجلاً قال لرسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) ، يارسول الله ، أحب أن يستجاب دعائي ، فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) :((طهر مأكلتك ولا تدخل بطنك الحرام))(١٨)، فالنبي(صلى الله عليه وآله وسلم). لم يجعل حرية الكسب والثراء مطلقة، بل قيدها بقيد الحلال، بل جعل المال المحرم سبب لرد الدعاء، وفساد القلب، وتعطيل القربات. ومن هنا نفهم أن الحرية المالية التي لا تقوم على الضوابط الشرعية ليست حرية بالمعنى الحقيقي، بل هي باب من أبواب الهلاك والتعدي.

ثانياً: تنظيم الإنفاق ومنع التبذير والإسراف

كما شدد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم).على ضبط مصادر المال، فقد دعا كذلك إلى الانضباط في الإنفاق، فالمال أمانة، والمبالغة في الاستهلاك أو التبذير هو شكل من أشكال خيانة هذه الأمانة. وقد نهى الله سبحانه عن التبذير فقال: ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾(١٩).

وجاءت السنة النبوية مؤيدة لذلك، حيث قال (صلى الله عليه وآله وسلم): ((كُلُوا، واشربوا، وتصدّقوا، والبسوا، ما لم يُخَالِطْهُ سرفٌ أو مخيلةٌ))(٢٠)، فالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لا يمنع من الإنفاق على النفس، بل يحب للعبد أن يظهر نعمة الله عليه، ولكن من غير مبالغة ولا رياء وهذه الوسطية في الصرف تُعدّ من أهم ضوابط الحرية المالية، إذ تحمي الإنسان من الأنجرار وراء النزعة الاستهلاكية، وتجعله أكثر وعيا بإدارة ماله(٢١).

ثالثاً: أداء الحقوق المالية الواجبة

من الضوابط المهمة في المنهج النبوي أن الحرية المالية لا تعفي المسلم من واجباته تجاه الآخرين، بل تجعله مسؤولاً عن أداء الحقوق المالية، سواء كانت زكاة أو نفقات واجبة أو ديوناً معلّقة. فقد جاء في الحديث: ((من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدّى الله عنه، ومن أخذها يريد إتلافها أتلفه الله))(٢٢)، فالمال في الإسلام لا يعتبر ملكية مطلقة لصاحبه، بل هو خاضع لمبدأ الاستخلاف، وهناك حقوق يجب تأديتها تجاه الله (كالزكاة) وتجاه العباد (كالنفقات والديون والوصايا). ومن يهمِل هذه الحقوق يفقد حرية التصرف، ويتحول ماله من نعمة إلى نقمة.

رابعاً : التوازن بين الحرية الفردية والمصلحة العامة

من الملامح البارزة في المنهج النبوي أنه لم يطلق يد الفرد في التصرف بماله إن ترتب على ذلك ضرر عام. فالحرية المالية في الإسلام مقيدة بعدم الإضرار بالغير وهو ما عبر عنه الحديث النبوي: ((لا ضرر ولا ضرار))(٢٣).

وقد قال النبي(صلى الله عليه وآله وسلم). لمن أراد أن يوصي بماله كله صدقة عند موته: ((الثلث، والثلث كثير،

إنك إن تذر ورثتك أغنياء، خير من أن تذرهم عالة يتكفّفون الناس))(٢٤).

خامساً : محاربة الربا والاحتكار والتلاعب في السوق

ومن أشد الضوابط التي شدّد عليها النبي(صلى الله عليه وآله وسلم). حماية السوق من الاستغلال. فقد حرم الربا وبين خطورته، وحذر من الاحتكار، ومنع التلاعب في الأسعار، وعد ذلك ظلماً يهدد استقرار المجتمع. فقد قال(صلى الله عليه وآله وسلم): ((من احتكر فهو خاطئ))(٢٥).

وقال في شأن السوق: ((لا يَبع حَاضرٌ لِبَادٍ، دَعوا الناسَ يَرزق اللهُ بعضَهم من بعض))(٢٦).

فهذه التوجيهات النبوية تقيد الحريات المالية في السوق بضوابط العدالة والنزاهة، وتمنع الاحتكار والوساطة الفاسدة والتضليل، مما يخلق بيئة مالية سليمة تحقق الاستقلال الحقيقي. يتبين لنا مما تقدم أن الحرية المالية في المنهج النبوي ليست حرية مطلقة ولا انتقائية، بل هي مشروطة بالإيمان، ومحكومة بالضوابط الأخلاقية والاقتصادية التي ترعى مصلحة الفرد وتحافظ على التماسك الاجتماعي فالنبي(صلى الله عليه وآله وسلم) أرسى مبدأ التوازن بين الحقوق والواجبات، وبين الطموح المالي والالتزام الشرعي، وهو ما يجعل من هذا المفهوم أحد دعائم الاقتصاد الإسلامي العادل والمستقر(٢٧).

الضوابط الاجتماعية والاقتصادية للحرية المالية في المنهج النبوي

إن من أبرز ما يميز المنهج النبوي في تنظيم الحرية المالية أنه لم يكتفِ بالضوابط الفردية كالكسب الحلال وضبط الإنفاق، بل توسع ليشمل منظومة من الضوابط الاجتماعية والاقتصادية التي ترسخ التكافل وتحفظ الاستقرار وتمنع التفاوت المخل بين طبقات المجتمع ، فالمال في التصور النبوي وسيلة لتحقيق العدالة الاجتماعية، لا أداة لتعميق الفوارق بين الناس. والنبي(صلى الله عليه وآله وسلم). سعى في حياته وسنته إلى ترسيخ هذا التوازن، فكان يحث على التكافل، وينهى عن تراكم المال عند فئة دون أخرى، ويؤسس لاقتصادٍ قائم على الأخلاق والإنصاف.

أولاً : الحرية المالية مقيدة بحقوق الفقراء والمحتاجين

من أبرز الضوابط الاجتماعية التي أرسيت في العهد النبوي أن المال ليس ملكاً ذاتي محض، بل يتعلق به حقّ للآخرين، خصوصًا الفقراء ، ويتجلى هذا المعنى في فرض الزكاة، وهي عبادة مالية فرضت على الأغنياء واعتبرت ركناً من أركان الإسلام، تؤدى كل عام للمستحقين من ذوي الحاجة(٢٨). قال الله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾(٢٩).

فالرسول(صلى الله عليه وآله وسلم). لم يترك الحرية المالية بدون قيود، بل جعلها مرتبطة بتأدية الحقوق المالية للمجتمع. وقد جاء في الحديث الصحيح: ((ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها، إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار، فأُحمي عليها في نار جهنم، فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره))(٣٠)، وهذا يوضح أن المال الذي يحتكر دون إخراج الحقوق الواجبة، إنما يعد سبباً للهلاك في الآخرة، وسبباً لتفكك المجتمع في الدنيا وهكذا، يكون الالتزام بحقوق الفقراء من أهم ضوابط الحرية المالية، لأن فيه تحقيق للعدالة الاجتماعية والتوازن الاقتصادي.

ثانياً : منع تراكم الثروة في أيدي فئة قليلة

من القواعد الاقتصادية التي ظهرت في المنهج النبوي ، أن المال لا ينبغي أن يتداول بين الأغنياء فقط، دون أن يصل إلى المحتاجين وهذه القاعدة صرح بها القرآن الكريم، في قوله: ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾(٣١)، وقد سار النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)على هذا النهج، فلم يكن يعطي المال للمقربين دون المستضعفين، بل كان يراعي المصلحة العام، ففي يوم حنين، وزع الغنائم بما يرضي القلوب ويعيد التوازن، لا بما يعزز الفوارق الطبقية.

ثالثاً : محاربة الاستغلال المالي والربا والاحتكار

أحد أهم الضوابط الاقتصادية في السنة النبوية هو التحذير من استغلال حاجة الناس، سواء عبر الربا أو الاحتكار

أو الغش التجاري. وقد حارب النبي(صلى الله عليه وآله وسلم). هذه الظواهر بكل وضوح، لأنها تعطل مبدأ الحرية العادلة، وتجعل السوق وسيلة ظلم بدل أن تكون وسيلة نماء. قال رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم): ((من احتكر فهو خاطئ))(٣٢).

وقال أيضا: ((من غشنا فليس منا)(٣٣).

فمن خلال هذه النصوص، يدرك الباحث أن الحرية المالية لا تعني إطلاق العنان للاستغلال أو التلاعب، بل يجب أن تكون منضبطة بقيم النزاهة والشفافية، و إلا تتحول إلى وسيلة للإضرار بالضعفاء. لقد أرسى المنهج النبوي مفهوم راقي للحرية المالية، يتمحور حول تحقيق التوازن الاجتماعي والعدالة الاقتصادية، ويمنع الاستغلال والتفاوت الطبقي والترف المفرط. فالنبي(صلى الله عليه وآله وسلم) لم يكن يتعامل مع المال كغنيمة شخصية، بل كأمانة واستخلاف ومن هنا تتجلى عظمة هذه المنظومة التي راعت حاجات الفرد، دون أن تغفل عن مصالح الجماعة، وهي التي ينبغي أن تستلهم في عصرنا الحالي لبناء اقتصاد متوازن يحقق الرفاهية دون أن يهمش أحداً .

المبحث الثاني

تجليات الحرية المالية في المنهج النبوي

عندما نتأمل في السيرة النبوية الشريفة يكشف عن حقيقةٍ راسخة، مفادها أن الحرية المالية لم تكن في الإسلام مجرّد مبدأ نظري يتداول في كتب الفكر والفقه، بل كانت قيمة عملية متجذرة في سلوك النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)، وتعاملاته اليومية، وفي بنيان الدولة الإسلامية التي أقامها. لقد جسد الرسول الأكرم(صلى الله عليه وآله وسلم). معاني التوازن والعدل والكرامة المالية في حياته الشخصية، وفي إدارته للمال العام، وفي توجيهاته لأصحابه، وفي تعامله مع الأغنياء والفقراء على السواء. ولا نستطيع القول بأن الحرية المالية في الإسلام تعني الانفلات من كل قيد، أو إطلاق يد الإنسان في ماله بلا حدود. بل إنها، كما رأينا، حرية مسؤولة، منضبطة بالشرع، محفوفة بالواجبات الأخلاقية والاجتماعية، ومحكومة بمقاصد عليا تحفظ الفرد وتخدم الجماعة وهذا المنهج لم يكن تنظيراً مجرداً ، بل ظهر ذلك جلياً في مواقف نبوية حية، تشهد له بالدقة في توجيه الموارد، والرشد في ضبط السوق، والرحمة في التعامل مع الفقراء، والحزم في مواجهة الظلم والاستغلال. في هذا المبحث، سنتناول تجليات هذه الحرية من خلال نماذج تطبيقية من حياة النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)، ثم من حياة أصحابه رضي الله عنهم، لنقف على الأسلوب النبوي المتفرد في معالجة المسائل المالية بأسلوب متوازن، يجمع بين الروح والقانون، وبين الفرد والمجتمع، وبين الحقوق والواجبات. فبهذا النهج الإلهي، ارتقت الأمة في تعاملها المالي، وأسست نظامًا يقوم على العدل والكرامة الإنسانية والاستقلال الاقتصادي.

المطلب الأول: التوجيهات النبوية لتحقيق الحرية المالية

لقد تميز المنهج النبوي في تحقيق الحرية المالية بجملة من التوجيهات العملية الحكيمة التي خاطبت الإنسان في واقعه، لا في مثاليته، وراعت حاجاته الروحية والمادية على حداً سواء ولم يكن الرسول محمد(صلى الله عليه وآله وسلم) يعظ الناس من برجٍ عاجٍ، بل عاش في وسطهم، وعلمهم كيف يملكون دون أن يستعبدهم المال، وكيف يعملون دون أن يُنهكهم الطمع، وكيف يوازنون بين الكسب المشروع والاعتماد على الله. لقد كانت توجيهاته قائمة على تحرير الإنسان من الفقر، ومن التبعية، ومن المذلة المالية، وكل ما يسلبه كرامته.

أولاً : الحث على العمل والكسب الحلال

من أبرز التوجيهات النبوية التي ترسخ الحرية المالية في المجتمع: الحثّ على العمل والكسب الذاتي، والابتعاد عن الاتكال والتسول. فقد ربط النبي(صلى الله عليه وآله وسلم). بين الكسب وكرامة الإنسان، وجعل اليد العليا (التي تعطي) خيراً من اليد السفلى (التي تأخذ). قال(صلى الله عليه وآله وسلم): ((لأن يأخذ أحدكم أحبله فيأتي الجبل، فيحتطب، فيبيع،

فيأكل ويتصدق، خيرٌ له من أن يسأل الناس، أعطوه أو منعوه))(٣٤).

هذا التوجيه لا يقتصر على رفض التسول، بل يؤسس لثقافة الاستقلال المالي، ويربط بين العمل والإنتاج وبين احترام الذات وهكذا، تكون الحرية المالية ثمرة للعمل لا للتواكل، ومحصلة للسعي لا للكسل، وهو مبدأ جوهري في المنهج النبوي.

ثانياً : التحذير من التعلق بالمال والافتتان به

رغم أن الإسلام لا يحرم الغنى، إلا أن النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) نبّه إلى خطورة التعلق المفرط بالمال، لما لذلك من أثر في العبودية لغير الله. فالحرية المالية في الإسلام لا تعني تكديس الأموال، بل في التوازن بين الامتلاك والتحرر من عبودية المال(٣٥). قال(صلى الله عليه وآله وسلم): ((تعِس عبدُ الدينار، تعِس عبدُ الدرهم، تعِس عبدُ الخميصة...))(٣٦).

فهذا التعبير القوي يظهر أن المال قد يتحول إلى صنم يعبد من دون الله إن لم يضبط بالنية السليمة والاستعمال المشروع ، كانت التوجيهات النبوية تركز على التحرر النفسي من المال، حتى في حال امتلاكه، لأن الحرية الحقيقية تبدأ من القلب.

نماذج من مواقف النبي(صلى الله عليه وآله وسلم). العملية في ترسيخ الحرية المالية

نلاحظ أنه لم تقتصر العناية النبوية بتحقيق الحرية المالية على الجانب التوجيهي اللفظي، بل تمثلت في مواقف عملية واقعية جسدها النبي محمد(صلى الله عليه وآله وسلم) في حياته وسيرته، فكانت كل خطوة من خطواته الاقتصادية تعبر عن منهج متكامل يرسي قواعد الكرامة والاستقلال المالي، سواء على مستوى الفرد أو المجتمع ونستعرض في هذا الجزء بعضاً من تلك النماذج التطبيقية التي تعكس روحه الإصلاحية ووعيه الاقتصادي والإنساني العميق.

أولاً : منع الاستغلال المالي في المعاملات

من أبرز المواقف النبوية التي تجسد تحقيق الحرية المالية، موقفه(صلى الله عليه وآله وسلم).من تحريم الربا، وهو نظام اقتصادي جائر يفضي إلى استعباد الفقراء وتضخيم أزمات المحتاجين ففي خطبته في حجة الوداع، أعلن النبي(صلى الله عليه وآله وسلم). إلغاء كل رباً في الجاهلية، وبدأ بربا عمه العباس بن عبد المطلب، فقال: ((ألا إن كل ربا موضوع، ولكن لكم رؤوس أموالكم، لا تَظلمون ولا تُظلمون. قضى الله أنه لا ربا، وإن أول ربا أبدأ به ربا العباس بن عبد المطلب، فإنه موضوع كله))(٣٧).

في هذا الموقف نلاحظ أن القيادة النبوية تتجلى في التحرر من القيود الاقتصادية الظالمة، والتي تنتج التبعية والإذلال المالي، فكان تحريمه للربا خطوة جذرية لتحرير الفقراء من دائرة الاستغلال وإرساء نظام مالي يقوم على العدل والمساواة.

ثانياً : تشجيع المبادرات الاقتصادية الذاتية

في سعيه لترسيخ مبدأ الاعتماد على النفس في الكسب المشروع، شجع النبي(صلى الله عليه وآله وسلم).أصحابه على المبادرة الاقتصادية، حتى ولو كانت متواضعة. ويروى أنه جاءه رجل يسأله، فقال له النبي(صلى الله عليه وآله وسلم): ((أما في بيتك شيء؟))

قال: بلى، حِلس نلبس بعضه ونبسط بعضه، وقعب نشرب فيه من الماء.

قال: ((ائتني بهما)).

فجاء بهما، فأخذهما النبي(صلى الله عليه وآله وسلم). بيده، وقال: ((من يشتري هذين؟))

فقال رجل: أنا آخذهما بدرهم.

قال: ((من يزيد على درهم؟))

فقال رجل: أنا آخذُهما بدرهمين.

فباعهما، وأعطى الرجل درهمين، وقال: ((اشترِ بأحدهما طعامًا لأهلك، واشترِ بالآخر قَدوما وائتني به)).
فجاءه به، فشدّ النبي عليه عودًا بيده، ثم قال: ((اذهب فاحتطب وبع، ولا أرينّك خمسة عشر يوماً)) .
فذهب الرجل فاحتطب وباع، فجاء وقد أصاب عشرة دراهم.
فقال النبي(صلى الله عليه وآله وسلم): ((هذا خيرٌ لك من أن تجيء المسألة نكتة في وجهك يوم القيامة))(٣٨).
هذا الموقف يعلمنا أن الحرية المالية تبدأ من المبادرة والعمل مهما صغر حجمه، وأن الإسلام لا يستصغر أي جهد شريف يعين الإنسان على كف نفسه عن السؤال، وهو درس بالغ في النهوض الاقتصادي(٣٩).

ثالثاً : تنظيم الأسواق وحمايتها من الاحتكار والغش

من مظاهر تجليات الحرية المالية في المنهج النبوي أيضاً، حرصه(صلى الله عليه وآله وسلم). على حماية السوق من الظلم، ومنع الاحتكار والغش، وهي سلوكيات تقيد حرية الناس في التملك والتجارة. فقد ورد في الحديث: ((من احتكر فهو خاطئ))(٤٠).
كما أنه(صلى الله عليه وآله وسلم)زكان يتفقد الأسواق بنفسه، ويمنع الغش، ويأمر بالشفافية في المعاملات، ومن أشهر مواقفه أنه مر برجل يبيع طعام ، فوضع النبي(صلى الله عليه وآله وسلم).يده في الطعام فوجد بللاً في أسفله، فقال:
((ما هذا يا صاحب الطعام؟))
قال: أصابته السماء (أي المطر).
فقال: ((أفلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس؟ من غش فليس مني))(٤١).
بهذه الرقابة النبوية، تم تحرير السوق من التلاعب، وصارت حرية التملك والبيع قائمة على الصدق والثقة، لا على الحيلة والمكر، وهو من أهم أسس الاستقرار المالي في المجتمع.

رابعاً : ترسيخ مبدأ التكافل دون المساس بالكرامة

أرسى النبي(صلى الله عليه وآله وسلم). مبدأ التكافل الاجتماعي، لكنه حرص على ألا يكون ذريعة للمذلة أو التبعية ، فقد شرع الزكاة كحق للمحتاج، لا كمنة من الغني، ونظم توزيعها لتكون وسيلة لـ تحقيق الاكتفاء والاستغناء، وقال في ذلك: ((إن المسألة لا تحلّ إلا لأحد ثلاثة: لذِي فقرٍ مُدقع، أو لذِي غُرم مُفظع، أو لذِي دم موجع))(٤٢).

خامساً : حماية أموال الضعفاء

من صور ترسيخ الحرية المالية في حياة النبي(صلى الله عليه وآله وسلم). أيضًا، حرصه على حماية حقوق القُصّر والأيتام والنساء، وعدم السماح لأي جهة باستغلال ضعفهم المالي. فقد ورد قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾(٤٣).
وكان النبي(صلى الله عليه وآله وسلم). يوصي أصحابه مرارا بحفظ أموال اليتامى، وعدم أكلها بغير حق.
إن السيرة النبوية زاخرة بمواقف تطبيقية تؤكد أن الحرية المالية ليست تنظير أخلاقي فحسب، بل هي ممارسة يومية ترتكز على قيم العمل والعدالة والتكافل والرقابة ، وقد مثل النبي محمد(صلى الله عليه وآله وسلم).النموذج الأعلى في بناء مجتمعٍ لا يستعبد فيه الفقير، ولا يطغى فيه الغني، بل تسود فيه قيم الإنصاف والمسؤولية والتوازن المالي.

المطلب الثاني: الوسائل النبوية للوقاية من التبعية المالية

لقد أدرك النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم).أن الحرية المالية لا تبنى فقط بالتوجيه أو الإنفاق المؤقت، بل

تتطلب تأسيس تربوي عميق في النفس والسلوك، يقوم على تأصيل معاني العزة، والاعتماد على الذات، والانضباط في الكسب، والبعد عن التواكل والسؤال. فكان من أبرز الوسائل النبوية التي تعين المسلم على التحرر من التبعية الاقتصادية: غرس قيمة الكسب الحلال، والتحذير من سؤال الناس، وتعليم مهارات الكفاية والاكتفاء.

أولاً : التحذير الشديد من سؤال الناس من غير حاجة

جعل النبي(صلى الله عليه وآله وسلم). السؤال سلوك مذموم إلا للضرورة القصوى، لما فيه من مساس بكرامة الإنسان، وتعويده على التبعية للغير وقد ربط النبي بين السؤال وبين فقدان الهيبة يوم القيامة، حيث قال:

((لا تزال المسألة بأحدكم حتى يأتي يوم القيامة وليس في وجهه مزعة لحم))(٤٤).

((من سأل الناس أموالهم تكثُّراً، فإنما يسأل جمراً، فليستقل أو ليستكثر))(٤٥).

هذا النهي لم يكن يقصد به قطع باب الرحمة على الفقراء، وإنما منع أن تتحول الحاجة إلى عادة، ووسيلة إلى المهانة والانقياد للناس، بدل التوكل والعمل ، و دعا النبي(صلى الله عليه وآله وسلم).من له قدرة على العمل أن يصون نفسه بالكسب الشريف، مهما كان بسيط.

الوسائل النبوية للوقاية من التبعية المالية / نظام التكافل الاجتماعي والاقتصادي

إن من أبلغ الوسائل التي انتهجها النبي محمد(صلى الله عليه وآله وسلم). في بناء مجتمع حرّ مالياً وغير خاضع للتبعية، هو تأسيس نظام تكافلي متكامل يحقق الاكتفاء الذاتي، ويضمن الكرامة المالية للفرد والمجتمع. فلم يكن العلاج النبوي قائماً فقط على التوجيه الفردي، بل تجاوزه إلى بناء بيئة اقتصادية تتضامن فيها طاقات الأمة، ويتكافل فيها الناس بعضهم مع بعض، على قاعدة «الحق» لا المنّة، والمسؤولية لا الشفقة.

أولاً : تشريع الزكاة كأداة للعدالة والتوازن المالي

شرع الإسلام الزكاة كفريضة مالية مفروضة على الأغنياء لصالح الفقراء، وجعلها أحد أركان الدين، وأداة لضمان الأمن المالي العام. لم تكن الزكاة مجرد عبادة، بل أداة اقتصادية كبرى لتوزيع الثروة، وتقليص الفجوة بين الطبقات، ومنع الاحتكار، وكسر الاحتياج المزمن. قال تعالى:

{خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا} (٤٦).

والنبي(صلى الله عليه وآله وسلم). جعل من مصارف الزكاة ما يضمن الاستقلال المالي للفقراء، لا مجرد إطعامهم مؤقت ، إذ قال: «تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم(٤٧).

وهكذا، تتحول الزكاة إلى أداة وقائية من التبعية الاقتصادية، إذ ترفع الفقير ليصبح منتج بدل أن يكون مستهلك معتمد على غيره دائماً .

ثانياً : السنن العملية في بناء مجتمع منتج لا مستهلك

النبي(صلى الله عليه وآله وسلم). لم يكتفِ بالكلام، بل أسس بمواقفه اليومية قاعدة مجتمع الإنتاج لا الاستهلاك(٤٨)، فكان يحث الناس على الزراعة والتجارة والحِرف، ويفتح لهم الأبواب للتمكين الاقتصادي الذاتي، وقد تجلى ذلك في قصته مع الرجل الذي طلب الصدقة، فأمره أن يأتي بفأس، ثم قال له: «اذهب فاحتطب ولا أرينك خمسة عشر يوماً))(٤٩).

هذه القصة الشهيرة تبين مدى جدية النبي في تحفيز الناس نحو الكسب وعدم انتظار المعونة ما أمكن.

ثالثاً : بناء العلاقات الاقتصادية على قاعدة التعاون لا الاستغلال

المنهج النبوي حرص على أن تكون العلاقات المالية مبنية على العدل، والصدق، والتيسير، ومنع الربا والاحتكار

والغش، فذلك كله من مظاهر الاستغلال التي تسهم في إضعاف الفقير وتكريس التبعية المالية. قال(صلى الله عليه وآله وسلم): ((من أنظر معسراً أو وضع له، أظله الله في ظله))(٥٠).

وجعل الصدق في البيع والشراء سبب للبركة، فقال: «البيعان بالخيار ما لم يتفرقا، فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما...))(٥١).

وكل هذه التشريعات تؤسس لمنظومة اقتصادية قائمة على التراحم والتعاضد، لا على الاستغلال والهيمنة، مما يعزز مناعة الأفراد ضد التبعية والإفلاس ، وإن الوقاية من التبعية المالية في المنهج النبوي لم تكن فردية فقط، بل جاءت من خلال بناء نظام اقتصادي تضامني شامل، يجمع بين العدالة والتراحم، وبين العطاء المؤسسي والعلاج المجتمعي. الزكاة، الوقف، تشجيع الإنتاج، مكافحة الاستغلال، كلها أدوات نبويّة تؤسس لحرية مالية أصيلة، يمارسها الفرد داخل مجتمع قوي مستقل(٥٢).

الخاتمة:

الحمد لله ، والصلاة والسلام على من أرسله الله هادياً ومبشراً ونذيراً ، فهدى به القلوب، وأصلح به النفوس، وبنى به أمة متكاملة في دينها ودنياها.

لقد سعى هذا البحث إلى إبراز ملامح الحرية المالية في المنهج النبوي، من خلال تتبع الأسس النظرية التي أرساها النبي محمد(صلى الله عليه وآله وسلم)، والتوجيهات العملية التي رسم بها معالم الاستقلال الاقتصادي للفرد والمجتمع. وقد تبين من خلال الدراسة أن الحرية المالية في التصور النبوي ليست مفهوماً مجرداً، بل هي قيمة عملية تسهم في تحقيق الكرامة الإنسانية، والاستقرار النفسي، والتنمية الشاملة.

فالنبي(صلى الله عليه وآله وسلم). دعا إلى الكسب الحلال، والبعد عن التواكل، والتخطيط المالي السليم، كما حث على الإنفاق المتوازن والاقتصاد في المعيشة. وفي المقابل، شرع منظومة من الوسائل المجتمعية، كالتكافل والوقف والزكاة، لحماية الأفراد من الوقوع في شِراك الفقر أو التبعية ، ولقد عكست النصوص النبوية وعلاقاته اليومية بالصحابة، بل وطبيعة بناء السوق في المدينة، رؤية حضارية متكاملة تسعى إلى إنتاج إنسان حر في قراره، مكتفٍ بجهده، كريم في حاجته، وعزيز في تعامله المالي.

التوصيات

في ضوء ما تقدم، يوصي الباحث بما يلي:

١ – إحياء ثقافة الكسب الحلال والعمل المنتج في الخطاب الديني والتربوي، بما يرسخ مفهوم الحرية المالية من منظور إسلامي عملي.

٢ – تعزيز التعليم المالي والاقتصادي الشرعي من خلال المناهج الإسلامية، مع التركيز على النماذج النبوية في التدبير والمعيشة.

٣ – إعادة تفعيل مؤسسة الوقف بصيغ حديثة تلائم تحديات العصر، بحيث يسهم في تمكين الفقراء والعاطلين عن العمل من خلال مشاريع تنموية مستدامة.

٤ – الربط بين مفهوم الحرية المالية والكرامة الإنسانية في خطاب العلماء والدعاة، لتجاوز ثقافة الاتكال والاستسلام للحاجة.

٥ – تشجيع البحوث التطبيقية التي تدرس النموذج النبوي في إدارة المال مقارنةً بالأنظمة الاقتصادية الحديثة، لإبراز فاعليته وأثره.

٦ – بناء مبادرات ومراكز مجتمعية تتبنى الفقراء مالي وتعيد دمجهم في النشاط الاقتصادي بكرامة وكفاءة، مستلهمة من

التجربة النبوية في التكافل والإعفاف.

الهوامش:

(١)سورة القصص ، الآية ٧٧.
(٢)سورة النحل ، الآية ٧١.
(٣)المعجم الوسيط ، ١ /١٦٥ .
(٤)محمد الزحيلي ، الحرية الدينية في الشريعة الاسلامية ابعادها وضوابطها ، مجلة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية– المجلد ٢٧ – العدد الاول ، ٢٠١١ ، ص٣٧٣ .
(٥)مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ، القاموس المحيط ، الجزء الاول ، ص٩٧٧ .
(٦)وهبة الزحيلي ، الفقه الإسلامي وأدلته ، الجزء الرابع ، ص٤٠ .
(٧)كيندة حامد التركاوي (٢٠١٦/٩/١٧)، ادخار المال وتوفيره ، الألوكة، اطلع عليه بتاريخ ٢٠٢٢/٥/١٥.
(٨)أخرجه البخاري (١٤٦٩) ومسلم (١٠٥٣) ، ورواه الإمام احمد (١١٠٩١) وأسناده حسن .
(٩)رواه البخاري، حديث ١٤٧٠ .
(١٠)رواه أبو داود، حديث ١٦٤١ .
(١١)رواه الترمذي، حديث ٢٣٢٥
(١٢)رواه البخاري، حديث ٨٣٢
(١٣) رسورة الفرقان ، الآية :٦٧.
(١٤)البشير عدي ،فلسفة الثروة في التشريع الاقتصادي الاسلامي ، بحث منشور على المجلة الالكترونية (انفاس نت) ، ٢٠٢٠/٦/١٢ ، https://www.anfasse.org/ .
(١٥)رفعت السيد العوضي ، في الاقتصاد الاسلامي (المرتكزات – التوزيع – الاستثمار – النظام المالي) ، المكتبة الاسلامية ، ص٩٨ .
(١٦)سورة المؤمنون ، الآية : ٥١ .
(١٧)رواه مسلم، حديث ١٠١٥.
(١٨)الحر العاملي ، وسائل الشيعة ، الجزء السابع ، ص ١٤٥.
(١٩)سورة الاسراء ، الآية :٢٧
(٢٠)رواه النسائي، حديث ٢٥٥٩.
(٢١)رانيا محمد زيز نظمي ، الاسراف في القرآن الكريم ، مجلة كلية الدراسات الاسلامية والعربية للبنات – دمنهور ،د.ت ، ص٦١٦.
(٢٢)رواه البخاري، حديث ٢٣٨٧ .
(٢٣)رواه ابن ماجه، حديث ٢٣٤٠ .
(٢٤)رواه البخاري، حديث ٢٧٤٢ .
(٢٥)رواه مسلم، حديث ١٦٠٥
(٢٦)رواه البخاري، حديث ٢١٦٣
(٢٧)عبد السلام نعمان رشيد الجميلي ، الربا واثاره على الاقتصاد الاسلامي (دراسة مقارنة) مجلة الجامعة الوطنية ، العدد ١١ ، ٢٠٢٠ ،ص١٤٥ .
(٢٨)محمد الريشهري ، ميزان الحكمة ، الجزء الثاني ، ص١١٤٧.
(٢٩)سورة التوبة ،الآية :١٠٣.
(٣٠)رواه مسلم، حديث ٩٨٧ .
(٣١)سورة الحشر ، الآية :٧.
(٣٢)رواه مسلم، حديث ١٦٠٥
(٣٣)رواه مسلم، حديث ١٠٢
(٣٤)رواه البخاري، حديث ١٤٧٠
(٣٥)محمد طه جلال الطعمة ، المال والبنون مفاضلة بين الفناء والبقاء (دراسة قرآنية موضوعية) ، اطروحة دكتوراه في الاقتصاد الاسلامي ، جامعة كاي ، ٢٠٢٠، ص٢١١.
(٣٦)رواه البخاري، حديث ٢٨٨٧
(٣٧)رواه مسلم، حديث ١٢١٨ .
(٣٨)رواه أبو داود، حديث ١٦٤١، وصححه الألباني
(٣٩)يوسف احمد محمد ، ظاهرة التسول المجتمعية في ميزان السنة النبوية (دراسة موضوعية) ، رسالة ماجستير ، الجامعة الاسلامية – غزة

، كلية اصول الدين ، ٢٠١٩ ،ص٩١.
(٤٠)رواه مسلم، حديث ١٦٠٥ .
(٤١)رواه مسلم، حديث ١٠٢ .
(٤٢)رواه الترمذي، حديث ٦٨١، وصححه الألباني .
(٤٣)سورة الانعام ، الآية : ١٥٢.
(٤٤)رواه البخاري، حديث ١٤٧٤
(٤٥)رواه مسلم، حديث ١٠٤١ .
(٤٦)سورة التوبة ، الآية ١٠٣ .
(٤٧)رواه البخاري، حديث ١٣٩٥
(٤٨)عبد الحي الصالح ، السنن الكونية في الانبعاث الحضاري : تأسيس المنج العلمي التجريبي عند المسلممين انموذجا، مركز معارف ، ٢٠٢٠
(٤٩)رواه أبو داود، حديث ١٦٤١ .
(٥٠)رواه مسلم، حديث ٣٠٠٦.
(٥١)رواه البخاري، حديث ٢٠٧٩ .
(٥٢)إقبال الحاج إبراهيم محمد ، أسس وضوابط نظام الاقتصاد الاسلامي ، (اقتصادنا الاسلامي) مجلة محكمة ، العدد السابع ،٢٠٢٥ ،د.ص.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم
– سورة القصص ، الآية ٧٧.
– سورة النحل ، الآية ٧١.
– سورة الاسراء ، الآية :٢٧ .
– سورة المؤمنون ، الآية : ٥١ .
– سورة الفرقان ، الآية :٦٧.
– سورة التوبة ، الآية ١٠٣ .
– سورة الانعام ، الآية : ١٥٢.
– سورة الحشر ، الآية :٧.
الأحاديث الشريفة
– أخرجه البخاري (١٤٦٩) ومسلم (١٠٥٣) ، ورواه الإمام احمد (١١٠٩١) وأسناده حسن .
– رواه ابن ماجه، حديث ٢٣٤٠ .
– رواه أبو داود، حديث ١٦٤١، وصححه الألباني .
– رواه البخاري، حديث ١٣٩٥.
– رواه البخاري، حديث ١٤٦٩ .
– رواه البخاري، حديث ١٤٧٠ .
– رواه البخاري، حديث ١٤٧٤.
.– رواه البخاري، حديث ٢٠٧٢ .
– رواه البخاري، حديث ٢٠٧٣ .
– رواه البخاري، حديث ٢٠٧٩ .
– رواه البخاري، حديث ٢١٦٣.
– رواه البخاري، حديث ٢٣٨٧ .
– رواه البخاري، حديث ٢٧٤٢ .
– رواه البخاري، حديث ٢٨٨٧.
– رواه البخاري، حديث ٦٤٤٦ .

– رواه البخاري، حديث ٨٣٢.
– رواه الترمذي، حديث ٢٣٢٥.
– رواه الترمذي، حديث ٢٣٥٢ .
– رواه الترمذي، حديث ٢٤١٧، وصححه الألباني.
– رواه الترمذي، حديث ٦٨١، وصححه الألباني .
– رواه النسائي، حديث ٢٥٥٩.
– رواه النسائي، حديث ٢٥٥٩، وصححه الألباني.
– رواه مسلم، حديث ١٠٢.
– رواه مسلم، حديث ١٠٤١ .
– رواه مسلم، حديث ١٠٥٤,٧
– رواه مسلم، حديث ١٢١٨ .
– رواه مسلم، حديث ١٦٠٥ .
– رواه مسلم، حديث ٣٠٠٦.
– رواه مسلم، حديث ٩٨٧ .

الكتب:

– المعجم الوسيط ، ١ /١٦٥ .
– محمد الزحيلي ، الحرية الدينية في الشريعة الاسلامية ابعادها وضوابطها ، مجلة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية– المجلد ٢٧ – العدد الاول ، ٢٠١١ ، ص٣٧٣ .
– مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ، القاموس المحيط ، الجزء الاول ، ص٩٧٧ .
– وهبة الزحيلي ، الفقه الإسلامي وأدلته ، الجزء الرابع ، ص٤٠ .
– كيندة حامد التركاوي (٢٠١٦/٩/١٧)، ادخار المال وتوفيره ، الألوكة، اطلع عليه بتاريخ ٢٠٢٢/٥/١٥.
– رفعت السيد العوضي ، في الاقتصاد الاسلامي (المرتكزات – التوزيع – الاستثمار – النظام المالي) ، المكتبة الاسلامية ، ص٩٨ .
– الحر العاملي ، وسائل الشيعة ، الجزء السابع ، ص ١٤٥.
– رانيا محمد زيز نظمي ، الاسراف في القرآن الكريم ، مجلة كلية الدراسات الاسلامية والعربية للبنات – دمنهور ،د.ت ، ص٦١٦.
– عبد السلام نعمان رشيد الجميلي ، الربا واثاره على الاقتصاد الاسلامي (دراسة مقارنة) مجلة الجامعة الوطنية ، العدد ١١ ، ٢٠٢٠ ،ص١٤٥ .
– محمد الريشهري ، ميزان الحكمة ، الجزء الثاني ، ص١١٤٧.
– محمد طه جلال الطعمة ، المال والبنون مفاضلة بين الفناء والبقاء (دراسة قرآنية موضوعية) ، اطروحة دكتوراه في الاقتصاد الاسلامي ، جامعة كاي ، ٢٠٢٠، ص٢١١.
– إقبال الحاج إبراهيم محمد ، أسس وضوابط نظام الاقتصاد الاسلامي ، (اقتصادنا الاسلامي) مجلة محكمة ، العدد السابع ،٢٠٢٥ ،د.ص.
– عبد الحي الصالح ، السنن الكونية في الانبعاث الحضاري : تأسيس المنح العلمي التجريبي عند المسلمين انموذجا، مركز معارف ، ٢٠٢٠ .
– يوسف احمد محمد ، ظاهرة التسول المجتمعية في ميزان السنة النبوية (دراسة موضوعية) ، رسالة ماجستير ، الجامعة الاسلامية – غزة ، كلية اصول الدين ، ٢٠١٩ ،ص٩١.

مواقع الانترنت

– البشير عدي ،فلسفة الثروة في التشريع الاقتصادي الاسلامي ، بحث منشور على المجلة الالكترونية (انفاس نت) ، ٢٠٢٠/٦/١٢ ، https://www.anfasse.org/

أساليب الطلب في سورة الفرقان
«جمعًا ودراسةً»

م.د. رشيد كريم مجيد علي
وزارة التربية / المديرية العامة لتربية محافظة صلاح الدين

فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية العدد(٨)
السنة الثالثة صفر الخير ١٤٤٦هـ آب ٢٠٢٥م

المستخلص:
تناولتُ في هذا البحث دراسة الأساليب الإنشائية الطلبية في سورة الفرقان، باعتبارها من الوسائل البلاغية المهمة التي اعتمدها القرآن الكريم في إيصال رسالته ، وإحداث التأثير العاطفي والعقلي في المتلقين.
وقد تميزت سورة الفرقان بكثرة الأساليب الإنشائية الطلبية التي تنوعت بين الأمر، والنهي، والاستفهام، والنداء، والتمني.إذا جاء أسلوب الأمر موجهاً إلى دعوة الناس إلى الإيمان بالله، واتباع الرسول، والتمسك بالحق، وترك الباطل، واستخدم أسلوب النهي للتحذير من الشرك، والنهي عن اتباع الهوى، والبعد عن الظلم.
كما ورد أسلوب الاستفهام بكثرة في السورة، موظفًا لأغراض بلاغية متعددة كالتقريع، والتوبيخ، والإنكار، والإثارة الذهنية، وظهر النداء في مواضع مختلفة، غالبًا في مواقف حسرة والندامة للكافرين ونحيبهم يوم القيامة.
أما التمني فقد استخدم للتعبير عن ندم العصاة حين لا ينفع الندم، فقد أسهم البحث في تنوع هذه الأساليب في بناء خطاب قرآني مؤثر يجمع بين الإقناع العقلي ، والتأثير الوجداني، مما يعكس إعجاز القرآن البلاغي، وقدرته الفائقة على مخاطبة فئات مختلفة من الناس بحسب أحوالهم النفسية والعقلية.
الكلمات المفتاحية: الأساليب الإنشائية، التأثير العاطفي، التأثيرالعقلي.

Abstract:
In this research, I examined the imperative constructional styles in Surat Al–
Furqan, as they are among the important rhetorical devices used by the Holy Quran to convey its message and create an emotional and intellectual impact on the recipients.
SuratAl–Furqanisdistinguishedbyitsmanyimperativeconstructional styles, which vary between commands, prohibitions, interrogations, calls, and wishes.
The imperative style is directed at calling people to believe in God, follow the Messenger, adhere to the truth, and abandon falsehood.
The prohibition style is used to warn against polytheism, forbid following whims, and avoid injustice.
The interrogative style also appears frequently in the surah, employed for various rhetorical purposes such as rebuke, rebuke, denial, and mental stimulation.
The call appears in various places, often in situations of regret and remorse for the unbelievers and their wailing on the Day of Judgment.
The wish, on the other hand, is used to express the remorse of sinners when remorse is of no avail. The research has contributed to the diversity of these methods in constructing an influential Qur'anic discourse that combines rational persuasion and emotional influence, reflecting the Qur'an's rhetorical miracle and its superior ability to address different categories of people according to their psychological and mental states.
Keywords:constructionalmethods,emotionalimpact,mental impact.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الكريم وعلى أصحابه الغر الميامين . أما بعد :

فإن من الأسباب التي دعتني إلى اختيار هذا الموضوع لما في هذه السورة (سورة الفرقان(من أساليب للإنشاء الطلبي ملفتة للنظر؛ ولأن السورة تعالج الكثير من الموضوعات منها على سبيل الذكر لا الحصر ، وأهمها تصوير حالة الإيناس اللطيف الذي أحاط به نبينا الكريم ، وكذلك تصور السورة المعركة العنيفة مع البشرية الضالة الجاحدة المشاقة لله ولرسوله وغيرها من الموضوعات الأخرى.

وأما بالنسبة للمنهج الذي اعتمدته في هذا البحث فهو المنهج البلاغي في تحليل الآيات القرآنية ، وكذلك على المستوى النظري في معالجة أساليب الإنشاء الطلبي.

وأما بالنسبة لأهم المصادر التي اتكأ عليها البحث فهي تتوزع ما بين المصادر البلاغية القديمة ، والحديثة ، وكذلك تفاسير القرآن الكريم ، ومن الصعوبات التي واجهتني في هذا البحث ، أهمها : صعوبة التعامل مع الخطاب القرآني كونه خطاباً إلاهياً مما يتطلب مني الدقة في التحليل.

وأما بالنسبة لخطة البحث ، فقد تضمنت مقدمة وتمهيد وأربعة مباحث ، فقد تضمن التمهيد خمسة محاور ، وهي : أسباب نزول السورة ، وتسمية السورة ، وأغراض السورة ، ومدخلاً إلى علم المعاني وأربعة مباحث يتضمن المبحث الأول : أسلوب الاستفهام، أما المبحث الثاني: أسلوب الأمر ، والمبحث الثالث : أسلوب النداء ، والمبحث الرابع : أسلوب النهي.

وختاماً لا يسعني إلا أن أتقدم بالشكر الجزيل إلى اللجنة الموقرة التي أقيمت هذا المؤتمر العلمي ، أسأل اللهَ أن يوفق الجميع لما يحبه ويرضاه وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

التمهيد:

أولاً : أسباب النزول:

إن لنزول سورة الفرقان أسباب بحسب آياتها، فمن هذه الآيات قوله تعالى :((تَبَارَكَ الَّذِي إِن شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا)) ، [سورة الفرقان : ١٠]

ذكر النيسابوري روي ابن عباس (رضي الله عنهما) أنه : لمّا عيّر المشركون رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، بالفاقة ، وقالوا : مال هذا الرسول يأكل الطعام، ويمشي في الأسواق ، حزن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فنزل عليه جبريل عليه السلام من عند ربّه معزياً له ، فقال : السلام عليك يا رسول الله رب العزة يقرؤك السلام ، ويقول لك وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا أنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق يبتغون المعاش في الدنيا ، قال : فبينا جبريل عليه السلام والنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) . يتحدثان إذ ذاب جبريل عليه السلام حتى صار مثل الهدرة ، قيل يا رسول الله وما الهدرة ؟ قال : العدسة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك ذبت حتى صرت مثلا الهدرة ، قال : يا محمد فتح باب من أبواب السماء ولم يكن فتح قبل ذلك اليوم وأن يعذب قومك عند تعييرك إياهم بالفاقة (النيسابوري ، ١٩٨٥ : ٢٣)

ومن أسباب نزول الآية ((وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا اخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ)) [سورة الفرقان :٥٨] ، عن ابن عباس (رضي الله عنهما)، قال :((أتى وحشي إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) . قال : يا محمد أتيتك مستجيراً فأجرني حتى أسمع كلام الله ، قال رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) : قد كنت أحب أن أراك على غير جوار ، فأما إذا أتيتني مستجيراً فأنت في جواري حتى تسمع كلام الله ، قال : فإنّي أشرك بالله وقتلت النفس التي حرم الله تعالى وزنيت ، هل يقبل الله مني التوبة ؟ فصمت رسول الل(صلى الله عليه وآله وسلم) حتى نزل قوله تعالى:(النيسابوري ،١٩٨٥ : ٢٣٧).

ثانياً: سبب تسمية السورة :

ذكر القرطبي في تفسيره قيل : هو القرآن ، وقيل أنه اسم لكل منزل ،كما قال تعالى : ((وَلَقَدْ اتيْنَا مُوسَى وَهَرُونَ الْفُرْقَانَ)) [سورة الأنبياء ، الآية : ٤٨] ، وفي تسمية فرقاناً وجهان ، أحدهما ؛ لأنه فرق بين الحق والباطل ، والمؤمن والكافر ، والثاني : لأن فيه بياناً ما شرع من حلال وحرام ، حكاه النقاش على عبده يريد محمد(صلى الله عليه وآله وسلم) ((لِيَكُونَ لِلْعَلَمِينَ نَذِيرًا)) ،[سورة الفرقان ، الآية : ١] . اسم (يكون) فيها مضمر يعود على عبده ، وهو أولى ؛ لأنه أقرب إليه ، ويجوز أن يعود على الفرقان .. قرأ عبد الله بن الزبير على عباده ، ويقال أنذر إذا خوف ، وقد تقدم في أول البقرة ، والنذير المحذر من الهلاك الجوهري، والنذير المنذر والنذير المراد بـ (العالمين(هنا الإنس والجن؛ لأن النبي(صلى الله عليه وآله وسلم). قد كان رسول إليهما ونذير إليهما ، وأنه خاتم الأنبياء، ولم يكن غيره عام الرسالة إلا النبي نوح ، فإنه عم برسالته جميع الأنس بعد الطوفان ؛ لأنه بدأ به الخلق (القرطبي ، ١٩٩٥ : ٤/١٣).

ثالثاً : أغراض السورة :

ذكر سيد قطب إنَّ هذه السورة مكية تبدو كلها وكأنها إيناس لرسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) ، وتسرية وتطمين له وتقوية وهو يواجه مشركي قريش وعنادهم له وتطاولهم عليه، وتعنتهم معه وجدالهم بالباطل ووقوفهم في وجه الهدي وصدهم عنه ، فهي في لمحة منها تُصور الإيناس اللطيف الذي يحيط به عبده ورسوله ، وكأنما يمسح على آلامه ومتاعبه مسحاً رفيقاً ويهدأ قلبه ويفيض عليه من الثقة والطمأنينة ، وينسم عليه من أنسام الرعاية واللطيف والمودة . وعي في اللمحة الأخرى تصور المعركة العنيفة مع البشرية الضالة الجاحدة المشاقة لرسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) ، وهي تجادل في عنف وتشرد في جموح وتطاول في ضجّة وتتغيب في عناد وتجنح عن الهدى الواضح الناطق المبين .

إنها البشرية التي تقول عن هذا القرآن العظيم : ((إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكُ افْتَرَيْهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ)) [سورة الفرقان : ٤] أو تقـــول : ((أَسَطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً)) [سورة الفرقان : ٥] التي تقول عن محمد(صلى الله عليه وآله وسلم) :((إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا)) [سورة الفرقان: ٤٧] ، أو تقول في استهزاء : ((أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا)) [سورة الفرقان : ٤١]، والتي لا تكتفي بهذا الضلال ، فإذا هي تتطاول في فجور على ربها الكبير في قوله تعالى:((وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا)) [سورة الفرقان: ٦٠] ، أو تتعنت ((لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَيكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا))،[سورة الفرقان : ٢١]، (سيد قطب : ٢٥٤٤)

رابعاً : مدخل إلى علم المعاني :

قال السكاكي إن علم المعاني يُعرف على أنه :((تتبع خواص وتراكيب الكلام في الإفادة وما يتصل بها من الاستحسان))(السكاكي ،١٩٣٧: ص ٧٧ (وقد عرف على أنه : ((علم يُعرف به أحوال اللفظ العربي والتي يطابق مقتضى الحال)) (كريمة ، ١٩٨٨: ٣٥) ، ويقصد باللفظ هنا أنه لا يعني الكلمة الواحدة ، وإنما قصد بله الجملة ، أي: تراكيب الألفاظ والنظر إلى التراكيب (علوان ، ١٩٨٨: ص ٢٠)، وأعني بالتراكيب ما يسبق منه إلى الفهم عند سماع ذلك التركيب جارياً مجرى اللازم له ، لكونه صادراً عن البليغ لا لنفس ذلك التركيب (السكاكي ، ١٩٣٧ : ٧٧) ، وبعد ذلك تعريف علم المعاني وشرحه نقوم بتلخيص الكلام على علم المعاني أنه : علم يجمع به كل فنون المعاني التي تعرف به الألفاظ العربية التي بها يطابق الحال ومقتضاها ، وأما مباحثه فهي منحصرة في ثمانية أبواب ، وهي : ١ . أحوال الإسناد الخبري

٢ . أحوال المسند إليه

٣ . أحوال المسند .

٤. احوال متعلقات الفعل
٥. القصر.
٦. الإنشاء .
٧. الفصل والوصل.
٨. الإيجاز والإطناب والمساواة . (السبكي ، ٢٠٠٣ : ١٠٠)

اقتصرت في هذا البحث (مبحث الإنشاء) وتحديداً الإنشاء الطلبي في سورة الفرقان ، فالإنشاء عند البلاغيين ((الكلام الذي لا يتحمل الصدق والكذب لذاته ، لأنه ليس لمدلول لفظه قبل النطق به وجود خارجي يطابق هذا لا يطابقه))، (عتيق ، ١٩٧٤ : ٧٤– ٧٥)

وبيَّنَ أبو موسى إن الإنشاء لا يتحمل الصدق والكذب، ليس معناه أنت غير صالح؛ لأنه يُوصف بالصدق والكذب ، وإنما معناه أن المقصود بأساليبه ليس هو الحكاية (أبو موسى ، د.ت : ١٩٠)، وذكر إن كان طلب استدعى مطلوباً غير حاصل وقت الطلب (ابو موسى ، د.ت : ١٩٠) ، وقد نظر البلاغيون إلى الأساليب الإنشائية فلم يجدوها على ضرب واحد ، وإنما تمضي على حالين ، فوضّح سعد الدين التفتازاني فمنهما ما تقتضي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب ومنها مالا يطلب فيه (التفتازاني، ٢٠٠٥: ١٩٣)، وقد عُرف أيضاً على أنه ((مالا يصح أن يُقال لقائله أنه صادق فيه أو كاذب ، ولكل جملة من جمل الخبر والإنشاء أركان : محكوم عليه ، محكوم به ، ويسمى الأول مسنداً إليه ، والثاني مسنداً ، وما زاد على غير المضاف إليه والصلة فهو قيد (أمين ، ٢٠٠٠ : ١٢٩) .

وأشار السبكي هو إن كان طلب استدعى مطلوباً غير حاصل وقت الطلب ، وإنَّ أنواعه كثيرة منها:

١. أسلوب الاستفهام.
٢. أسلوب الأمر.
٣. أسلوب النداء.
٤. أسلوب النهي.
٥. أسلوب التمني . (السبكي ، ٢٠٠٣ : ٤٢١–٤٧٤)

المبحث الأول: أسلوب الاستفهام

المطلب الأول: تعريفه اصطلاحاً:

الاستفهام من أساليب الإنشاء الطلبي، وهو يعني في اصطلاح البلاغيين « العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبل بأداة خاصة وأدوات الاستفهام كثيرة (عتيق ،١٩٧٤ : ٩٦) ، وهو كذلك طلب الفهم والاستخبار عن الشيء الذي لم يتقدم لك به علم، وبعضهم كان يفرق بين الاستفهام والاستخبار ، وليس في ذلك عناء في علم البلاغة (عباس ، ١٩٩٢ : ١٦٨) .

وقد عُرف بأنه ((حصول صورة الشيء في الذهن بأدوات مخصوصة)) (قلقيلة ،١٩٧٤ : ١٦٣) ، وذكر السيوطي وهو كذلك الفهم عن الشيء ، وهو بمعنى الاستخبار وقبل الاستخبار ما سبق أولاً ، ولكن لم يفهم حق الفهم فإذا سألت عنه ثانياً كان استفهاماً (السيوطي : ٦٣٦).

المطلب الثاني: أدوات الاستفهام:

أما أدوات الاستفهام فإنها عديدة ، حرفان وأسماء ، فأما الحرفان فهما (الهمزة– وهل) ، وتستعمل الهمزة للتصديق والتصور، وأما (هل فتستعمل للتصديق فقط ، ولهذا امتنع أن يأتي بعدها أم المعادلة (علوان ، ١٩٨٥ : ٩٥) ، وذكر أنَّ التصديق هو إدراك النسبة ويكون الجواب فيه بـ (نعم) في حالة الإيجاب ، وبـ (لا) في حالة السلب، أما التصور فهو إدراك المفرد أي تعيينه (علوان ، ١٩٨٥ : ٩٥) . وأما الأسماء فهي

: (من) (ما) (متى) (إيانَ) (كيف) (أين) (أنى) (كم) (أي) (علوان ، ١٩٨٥ : ٩٥)

المطلب الثالث: أغراضه المجازية:

وردت أغراض عدة بخصوص أسلوب الاستفهام في سورة الفرقان منها:

١ . التعجب: كقوله تعالى: ((مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الأَسْوَاقِ)) [سورة الفرقان: ٧]. حزن النبي –صلى الله عليه وسلم– لذلك، فنزلت تعزيةً له، فقال جبريل –عليه السلام–: السلام عليك يا رسول الله، الله ربك يقرئك السلام ويقول لك: {وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ} [سورة الفرقان: ٢٠] أي يبتغون المعايش في الدنيا.

يعني كغيرهم من البشر، فهم بشر ينتابهم ما ينتاب البشر، ويحتاجون ما يحتاج إليه البشر.

فقوله تعالى: {إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ} [سورة الفرقان: ٢٠] إذا دخلت اللام لم يكن في (إن) إلا الكسر، ولو لم تكن اللام ما جاز أيضاً إلا الكسر؛ لأنها مستأنفة.

إذا دخلت اللام وهي تفيد التأكيد لم يكن إلا الكسر –كسر النون التي تكون للتأكد المحض– أما لو دخلت اللام وفتحت الهمزة –همزة أن– صار فيه شيء من التنافر، تأكيد وعدم تأكيد، فلا بد من أن يتسق الحرف مع جوابه،(القرطبي:١٥/٧)

وذكر الزمخشري وقعت اللام في المصحف مفصولة عن هذا خارجة عن أوضاع الخط العربي. وخط المصحف سنة لا تغير. وفي هذا استهانة وتصغير لشأنه وتسميته بالرسول سخرية منهم ، كأنهم قالوا: ما لهذا الزاعم أنه رسول. ونحوه قول فرعون ((إنّ رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون)) أى: إنّ صحّ أنه رسول الله فما باله حاله مثل حالنا يَأْكُلُ الطَّعامَ كما نأكل، ويتردد في الأسواق لطلب المعاش كما نتردد، يعنون أنه كان يجب أن يكون ملكا مستغنيا عن الأكل والتعيش. ثم نزلوا عن اقتراحهم أن يكون ملكا إلى. اقتراح أن يكون إنسانا معه ملك، حتى يتساندا في الإنذار والتخويف. ثم نزلوا أيضا فقالوا: وإن لم يكن مرفودا بملك، فليكن مرفودا بكنز يلقى إليه من السماء يستظهر به ولا يحتاج إلى تحصيل المعاش. ثم نزلوا فاقتنعوا بأن يكون رجلا له بستان يأكل منه ويرتزق كما الدهاقين والمياسير. أو يأكلون هم من ذلك البستان فينتفعون به في دنياهم ومعاشهم. وأراد بالظالمين: إياهم بأعيانهم: وضع الظاهر موضع المضمر ليسجل عليهم بالظلم فيما قالوا(الكشاف : الزمخشري: ٣/ ٢٥٦)

٢ . تعجبي ضمني: في قوله تعالى :((انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلا))[سورة الفرقان : ٨].

٣ . استفهام ذاتي ندامي: قال تعالى : ((وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً))،[سورة الفرقان : ٢٧] ، يحتمل قوله: (يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ) وعلى التمثيل، والكناية عن الندامة والحسرة؛ لأن من اشتد به الندامة والحسرة والغيظ على شيء كاد أن يعض يديه غيظًا منه على ذلك؛ كما كنى بغل اليد عن ترك الإنفاق، وبالبسط عن كثرة الإنفاق والمجاوزة فيه؛ وكما كنى بالنبذ وراء الظهر عن ترك الانتفاع وقلة النظر فيه والاكتراث إليه(الماتريدي : تفسير الماتريدي: ٨/ ٢٢)..، وذكر النسفي عض اليدين كناية عن الغيظ والحسرة لأنه من روادفها فتذكر الرادفة ويدل بها على المردوف فيرتفع الكلام به في طبقة الفصاحة ويجد السامع عنده فى نفسه من الروعة مالا يجده عند لفظ المكنّى عنه واللام في الظالم للعهد وأريد به عقبة لما تبين أو للجنس فيتناول عقبة وغيره من الكفار {يقول يا ليتني اتخذت} فى الدنيا {مع الرسول} محمد عليه الصلاة والسلام {سبيلا} طريقا إلى النجاى والجنة وهو الايمان،(النسفي : تفسير النسفي: ٢/ ٥٣٤)

٤ . تعجبي توبيخي: قال تعالى((أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلهَهُ هَواهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً))[سورة الفرقان : ٤٣]

استفهام تعجبي يراد به التعجب من حال من يعبد هواه ، وتوبيخ له على ضلاله، هو استفهام يراد به الإغراء برؤية هذا الأمر العجيب المنكر، الذي يتلبس به ذلك الإنسان الضال، الذي اتخذ إلهه هواه، وجعله معبودا، يعطيه ولاءه، ويسلم إليه إرادته(التفسير القرآني: يونس الخطيب: ١٠/ ٣٠)

٥. انكاري توبيخي : قال تعالى :((أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً)) [سورة الفرقان : ٤٤]

٦. النفي : كقوله تعالى : ((هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ) [سورة الفرقان :٧]، أي : على معنى ما جزاء الإحسان إلا الإحسان(حامد عوني: ٢/ ١٠٣)

٧. استفهام للتنديد : نجد في هذا المعنى ، والغرض في قوله تعالى : ((قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاء وَمَصِيرًا)) [سورة الفرقان: ١٥] . ذكر القرطبي في تفسيره إنَّ الاستفهام في هذه الآية الكريمة ليس مساقاً من باب التفضيل بين ما هو خير وبين ما هو شر، وإنما السؤال عن أيهما هو الخير وأيهما هو الشر ، ومن البديهي أن الاستفهام ليس مساقاً على حقيقته ، وإنما هو التنديد والتعريض بجهل المشركين وعدم تفريقهم بين الخير والشر (القرطبي ، ١٩٩٥ : ١٣ /٨).

المبحث الثاني: أسلوب الأمر

المطلب الأول: تعريفه اصطلاحاً

ان الأمر من أساليب الإنشاء الطلبي وهو مكمل لأنواعه مع الاستفهام الذي ذكرناه سابقاً، فهو في اصطلاح البالغين:((طلب الفعل على جهة الاستعلاء)) (عباس ، ١٩٩٢ : ١٤٩)،وقد عرفه آخرون بأنه:((طلب إيجاد الفعل)) (الآلوسي ، ١٩٨٨: ٨٣)، وهو طلب الفعل على جهة الاستعلاء والالزام ويقصد بالاستعلاء أن ينظر الأمر بنفسه على أنه أعلى منزلة من المتكلم معه أو يوجه طلب الأمر إليه سواء أكان أعلى منزلة في الواقع أو لا . (عتيق ،١٩٧٤: ٨١) .

المطلب الثاني : الأغراض المجازية

من أهم الأغراض المجازية لأسلوب الأمر :

١. الدعاء : هو طلب الأدنى من الأعلى ، والصغير من الكبير ، والضعيف من القوي ، والمخلوق من الخالق.

٢. الالتماس : وهو طلب الند من الند والصديق من الصديق ، وفي هذا الطلب لا يكون الأمر أمراً بمعناه الأصلي وإنما ينقلب الأمر الظاهري إلى التماس رقيق .

٣. الإرشاد : وهو طلب خلا من كل تكليف وإلزام يحمل بين طياته معنى النصيحة والإرشاد .

٤. التمني : هو طلب أمر محبوب لا يُرجى الحصول عليه لاستحالته أو لتعذر تحقيقه .

٥. التخيير : هو طلب لا يُقصد به إلا تخيير المخاطب بين أمرين.

٦. الإباحة : وتكون الإباحة حيث يتوهم المخاطب أنم الفعل محظور عليه ، فيكون الأمر إذا بالفعل ولا حرج عليه في الترك

٧. التعجيز : هو طلب المخاطب تنفيذ أمر أشبه بالمستحيل ليظهر عجزه ويبين ضعفه.

٨. التحقيق : هو طلب يحمل بين ثنايا التحقير والإهانة والإذلال.

٩. التسوية : هو طلب يُوحي بأنّ الشيئين فعلهما على حد سواء وتخلف عن التخيير والإباحة في هدفه.
(أمين ، ٢٠٠١ : ١٠٠)

المطلب الثالث : أسلوب الأمر في سورة الفرقان

وردت عدة أغراض للأمر في السورة ، وتنوعت ومنها :

١. التعظيم والتنويه بشأن القران العظيم: ورد ذلك ضمنا في قوله تعالى :((تَبَارَكَ الَّذِي نزلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ

لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا))،[الفرقان : ١] يفهم الأمر للناس في هذا السياق المبارك ضمنا باتباع القرآن الكريم .

٢. التعجب والتوبيخ: ورد في قوله تعالى : ((انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلا))، [سورة الفرقان : ٩]، وهذا التعجب اتضح من سوء تشبيهات الكفار ، ذكر الطبري معنى النص الكريم يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: انظر يا محمد إلى هؤلاء المشركين الذين شبهوا لك الأشباه بقولهم لك: هو مسحور، فضلوا بذلك عن قصد السبيل، وأخطؤوا طريق الهدى والرشاد، فلا يستطيعون يقول: فلا يجدون سبيلا إلى الحقّ، إلا فيما بعثتك به، ومن الوجه الذي ضلوا عنه.(الطبري : ١٩/ ٢٤١)

٣. النهي والتحذير الشديد : ورد أذا الغرض البلاغي في قوله تعالى :((لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولا)) [الفرقان : ٤٦]، فهنا وردت صيغة الأمر (لا تجعلْ) لا الناهية مع الفعل المضارع صحيح الآخر ، الذي ينهي عن الشرك وعبادة غير الله سبحانه وتعالى .

٤. الاظهار والرد على المشركين وتثبيت العقيدة : ورد هذا في قوله تعالى :((قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ))،[سورة الفرقان: ٢٩].

٥. الاعلام والتوبيخ: ورد هذا المعنى في قوله تعالى: ((قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلاَ دُعَآؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَاماً))[الفرقان : ٧٧]، أي: أخبرهم أن الله لا يعبأ بهم إن أعرضوا عن دعائهم وطاعته .

٦. الحث على التثبت من صفات الله وأسمائه : ورد المعنى في قوله تعالى :((الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ وَما بَيْنَهُما فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمنُ فَسْئَلْ بِهِ خَبِيراً))، [سورة الفرقان: ٥٩]، نلحظ أن صيغة الأمر المستعملة في الآية المباركة هي فعل الأمر(فسْئل) لما وصف الله عز وجل نفسه بـ (الرَّحْمَنُ) وهو خبر مبتدأ محذوف أي سر الرحمن ، وهذا من حذف المسند إليه الغالب في الاستعمال عندما تتقدم أخبار أو أوصاف لصاحبها ، ثم يراد الإخبار عنه بما هو إفصاح عن وصف جامع لما مضى أو أهم في الغرض بما تتقدمه ، وفرع على وصفه بـ (الرَّحْمَنُ) قوله : (فَسئلْ بِهِ خَبِيرًا) حيث جاء الأمر (أسأل) للدلالة على أن في رحمته من العظمة والشمول مالا تفي فيه العبارة فيعدل عن زيادة التوصيف إلى الحوالة على العليم بتصاريف رحمته مجرب لها متلق أحاديثها ممن علمها وجربها.(بن عاشور ،٢٠٠٠: ٦٠-٦١)

المبحث الثالث: أسلوب النداء

المطلب الأول: تعريفه اصطلاحاً:

تعريفه في اصطلاح البلاغيين هو « طلب إقبال المدعو على الداعي بأحد حروف مخصوصة (الآلوسي ، ١٩٨٨ : ٢١٧) ، وإن النداء كذلك يعني « طلب الإقبال حقيقة قال تعالى:((ياويلتى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاَناً خَلِيلاً))[سورة الفرقان : ٢٨]، وطلب الإقبال يتم بحرف من حروف النداء نائب عن فعل هو (أدعو)(أو أنادي) أو (طلب) ونحوها(قلقيلة ،١٩٧٤ :١٨٦)، وهو يعني أيضاً الدعوة إلى المخاطب وتنبيهه للإصغاء وسماع ما يريد المتكلم وأن للنداء حروف مخصوصة(د. قصي علوان :١٠٤)، وهو كذلك طلب إقبال المدعو إلى الداعي بحرف من الحروف النائبة مناب (أدعو) ويصحب في الأكثر الأمر والنهي ، والغالب تقدمه ، نحو قوله تعالى:((يَأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ))[سورة البقرة ، الآية : ٢١] . (السيوطي ، ٦٤٤) ومن هذه التعريفات تستطيع أن تعرف النداء في الاصطلاح على أنه « طلب إقبال المدعي إلى الداعي أي المتكلم وتوجه الدعوة إليه للإصغاء إلى ما يريد بحروف مخصوصة.

المطلب الثاني: أدوات النداء

وللنداء حروف مخصوصة هي : الهمزة ، ويا، وأي ، ووا ، وأيا ، وهيا ، والهمزة للنداء القريب ، وبقية الحروف لنداء البعيد ، أو الذي في حكم البعيد كالساعي والنائم و (وا) للمنادى المندوب وهو المتفجع عليه أو

المتوجع منه ، وتستعمل له (با) أيضاً حين لا يلتبس مع غير المندوب ، فإن التبس امتنع ذلك (علوان ، ١٩٨٥: ١٠٤) . وإن معنى المتفجع عليه : هو الذي يُصاب الناس بفاجعة فقده مثل : (وازيداه) والمتوجع منه : هو البلاء أو الداء الذي يكون سبباً في تألم المتكلم وتوجعه مثل (واظهراه) (علوان ، ١٩٨٥: ١٠٤).

وأدوات النداء تنقسم إلى قسمين ، للنداء القريب والنداء البعيد.

أدوات النداء القريب : وهي (الهمزة ، أي) ، أدوات النداء البعيد : هي :

١. (يا) : وهي أكثر الأدوات استعمالاً .

٢. (وا) : وهي أكثر ما تستعمل في الذنبة .

٣. وبقية الحروف (هيا) (أ) (أي) ، وهي أقل استعمالاً من سابقاتها.(عباس ، ١٩٩٢ : ١٦٤)

المطلب الثالث: أغراضه المجازية

بعد أن انتهيتُ من ذكر تعريف النداء وأدوات النداء ، وذكرتُ خصائص كل حرف من هذه الحروف ، وأذكر أغراض النداء المجازية وما مضى كان النداء الحقيقي ومداره نداء القريب بالهمزة وأي، ونداء البعيد بالأدوات الأخرى . أما النداء البلاغي فله صورتان :

الصورة الأولى : وهي تتحقق لمناداة القريب بأداة البعيد للدلالة على علو شأن المنادي أو على انحطاطه أو على غفلته .

الصورة الثانية : ومنها يخرج أسلوب النداء عن معنى الإقبال كلية ، وينسى القريب والبعيد جملة ، النداء هنا صورة مفرغة عن معناها الحقيقي ومن مضمونها الأصلي ثم هي تختلف عن السورة البلاغية الأولى، فالصورة البلاغية فيها روح النداء ونكهته ولها هويته. (قلقيلة ، ١٩٧٤ :١٨٦)

الندبة : كقول الزوجة في تشييع زوجها أو ولده:(وا زوجي) ، (وا ولدي)، الاستغاثة : تقول : يا لأهل الحي لمن التهمت النار بيوتهم وشردت أطفالهم ونساءهم .

الاختصاص : والمراد هنا تخصيص الحكم المنصب على الضمير السابق باسم ظاهر لاحق صورته المنادى وليس منادى حقيقة مثل : نحن الأساتذة نحب الطلبة (قلقيلة ، ١٩٧٤ : ١٨٨ – ١٨٩)

المطلب الرابع: أسلوب النداء في سورة الفرقان

١. الندم الشديد والتحسر : ورد هذا المعنى في قوله تعالى :((وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلى يَدَيْهِ يَقُولُ يا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً)) [سورة الفرقان : ٢٧] قال السمعاني :((يَأْكُل يَدَيْهِ ندما، وَفِي بعض التفاسير: أَنه يَأْكُل يَدَيْهِ حَتَّى يبلغ مرفقيه، ثمَّ تنْبت ثمَّ يَأْكُل، ثمَّ تنْبت هَكَذَا))(السمعاني : تفسير السمعاني : ١٧/٤) ، (يَا وَيْلَتَا) دُعَاءٌ بِالْوَيْلِ وَالثُّبُورِ عَلَى مُخَالَفَةِ الْكَافِرِ ومتابعته. (ليتني لم أتخذ فلانا خليلا) يَعْنِي أُمَيَّةَ، وَكُنِّيَ عَنْهُ وَلَمْ يُصَرِّحْ بِاسْمِهِ لِئَلَّا يَكُونَ هَذَا الْوَعْدُ مَخْصُوصًا بِهِ وَلَا مَقْصُورًا، بَلْ يَتَنَاوَلَ جَمِيعَ مَنْ فَعَلَ مِثْلَ فِعْلِهِمَا(القرطبي : تفسير القرطبي : ١٣/ ٢٦). وقوله (يَلَيْتَنِي) نداء للكلام الدال على التمني بتنزيل الكلمة منزلة العاقل الذي يطلب حضوره؛ لأن الحاجة تدعو إليه في حالة الندامة ، كأنه يقول : هذا مقامك فاحضري ، وهذا النداء يزيد المتمني استبعاداً للحصول(بن عاشور ، ٢٠٠٠: ٣٣٢)

٢. الندم واللوم : قال تعالى : ((وَيَوْمَ يَعَضُّ الظالم على يَدَيْهِ يَقُولُ ياليتني اتخذت مَعَ الرسول سَبِيلاً ياويلتى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاَناً خَلِيلاً))[سورة الفرقان : ٢٧–٢٨].(عبد الرحمن حَبَنَّكَة: ١/ ٢٤٧).

المبحث الرابع: أسلوب النهي:

المطلب الأول: تعريفه اصطلاحاً:

ولتنوع الإنشاء ، فقد شمل في طياته النهي الذي عرف بأنه : ((محذوّ به حذو الأمر في أصل الاستعمال: لا تفعل ، أن يكون على سبيل الاستعلاء بالشرط المذكور)) (السكاكي ، ١٩٣٧: ٢٥٢ – ٢٥٣)، و قد عرف على أنه طلب الكف عن الفعل والفرق بينه وبين الأمر وهو أن الأمر طلب الفعل ، أما النهي فهو طلب ترك الفعل (قلقيلة ، ١٩٧٤ : ١٥٦) ، وكذلك النهي هو « طلب الكف عن فعل ، على وجه الاستعلاء والإلزام (علوان ، ١٩٨٥ : ٩٢) ، فإن صادف ذلك أفاد الوجوب ، وإلا طلب الترك فحسب، ولذلك فإن النهي هو طلب الكف عن الشيء وتركه والامتناع عن فعل ذلك الفعل على وجه الإلزام والاستعلاء. (مراد عبد حسن،٢٠٢٤).

المطلب الثاني: أدوات النهي

ان للنهي صورة واحدة نجدها في المضارع المقرون بلا الناهية مثل : (لا تلقَ التبعية فيما أصابك على غيرك) ، والنهي نهيان: نهي حقيقي ونهي بلاغي : فالنهي الحقيقي : هو ما كان من الأعلى إلى الأدنى ، على سبيل الاستعلاء والإلزام كقول القائد لجنوده : لا تتركوا أماكنكم ولا تغفلوا عن عدوكم ولا يكون النهي بلاغياً إلا إذا تخلف الشرطان السابقان وهما الاستعلاء والإلزام كلاهما أو أحدهما (قلقيلة ، ١٩٧٤ : ١٦٠) ، وإن للنهي صيغة واحدة فقط هي : الفعل المضارع المقترن بلا الناهية مثل : قال المدرس للطالب : لا تنسى المحافظة على نظافة قاعة الدرس . قال رب العمل للعامل : لا تبدأ بتشغيل الماكنة قبل طلب ذلك منك. (علوان ، ١٩٨٥ : ٩٢)

المطلب الثالث: أغراضه المجازية

وقد يخرج النهي كما مر بنا الأمر إلى أغراض مجازية منها

١ . الدعاء : مثل قوله : ((رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ)) [سورة الفرقان :٧٤] ، وهو الصادر من الأدنى إلى الأعلى.

٢ . الإلتماس : وذلك حينما يكون النهي صادر من شخص إلى آخر يساوه قدراً ومنزلة .

٣ . التمني : عندما يكون النهي موجهاً إلى مالا يعقل،

٤ . النصح والإرشاد : عندما يكون النهي يحمل بين ثناياه معنى من معاني النصح والإرشاد ، قال تعالى : ((فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا))[سورة الفرقان : ٥٢]

٥ . التوبيخ : عندما يكون المنهى عنه أمر لا يشرف الإنسان ولا يليق أن يصدر عنه .

٦ . التحقير : عند الغرض من النهي الازدراء بالمخاطب والتقليل من شأنه وقدراته.

٧ . التيئيس : ويكون في حال المخاطب الذي يهم بفعل أمراً لا يقوى عليه أو لا نفع له فيه من وجهة نظر المتكلم

٨ . التهديد : وذلك عندما يقصد المتكلم أن يخوف من هو دونه قدراً ومنزلة كافية القيام بفعل لا يرضى عنه المتكلم . (العتيق ، ١٩٧٤ : ٩١ – ٩٥)

المطلب الرابع: أسلوب النهي في سورة الفرقان

جاء أسلوب النهي في مواطن كثيرة ضمن سورة الفرقان ، حيث تنوعت أغراضه ودلالاته منها ، قوله تعالى :((لَا تَدْعُوا اليومَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا)) [سورة الفرقان: ١٤] ، وجاء أسلوب النهي في الآية الكريم بـ (لَا)الداخلة على الفعل(تَدْعُوا) . وأفاد تيئيس الكفار ، حيث يُقال لهم :(لَّا نَدْعُوا اليومَ ثُبُورًا وَاحدًا) إلى آخر الآية ، ووصف الثبور بالكثير ، إما لكثرة ندائه بالتكرير ، وهو كناية عن عدم حصول الثبور ؛ لأن انتهاء النداء يكون بحضور المنادى ، أو هو يأس يقتضي تكرير التمني أو التحسر.(بن عاشور ،٢٠٠٠: ٣٣٤)

وورد النهي في قوله تعالى :((فَلَا تُطِعِ الكَفِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا))[سورة الفرقان : ٥٢]، بين الزمخشري المراد في قوله تعالى ((فَلاَ تُطِعِ الْكَافِرِينَ))، فيما يريدونك عليه ، وإنما أراد بهذا تهييجه وتهييج المؤمنين وتحريكهم ، والضمير للقرآن أو لترك الطاعة الذي يدلّ عليه (فَلاَ تُطِعِ) والمراد أن الكفار يجدون ويجتهدون في توهين أمرك ، فقابلهم من جدّك واجتهادك وعضك على نواجذك بما تغلبهم به وتعلوهم ، وجعله جهاداً كبيراً لما يحتمل فيه من المشاق العظام ، ويجوز أن يرجع الضمير في (بِهِ جِهَاداً كَبِيراً) إلى ما دلّ عليه : ((وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلّ قَرْيَةٍ نَّذِيراً)) من كونه نذير كافة القرى ، لأنه لو بعث في كل قرية نذيراً لوجبت على كل نذير مجاهدة قريته ، فاجتمعت على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) تلك المجاهدات كلها ، فكبر جهاده من أجل ذلك وعظم ، فقال له : (وَجَاهِدْهُمْ) ؛ بسبب كونك نذير كافة القرى (جِهَاداً كَبِيراً) جامعاً لكل مجاهدة (الزمخشري : الكشاف : ٢٩٢/٣)

الخاتمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الكريم سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد .. يطيب لي بعد إتمام هذا البحث أن أبين أهم ما توصلت إليه من نتائج وهي :

١. عالج البحث في التمهيد سورة الفرقان من خلال بيان تسمية السورة ، فقد سميت فرقاناً لسببين ، الأول : لأنه فرّق بين الحق والباطل والمؤمن والكافر . والثاني : لأن فيه بيان ما شرع بالحلال والحرام ، وقد ذكر البحث أيضاً أغراض السورة لما فيها من إيناس لرسول (صلى الله عليه وسلم)

١. أظهر البحث ثراء سورة الفرقان من الناحية البلاغية ، وبخاصة الأساليب الإنشائية الطلبية التي هي مدار بحثنا ، وهذا يدل بمجمله على عظم ما في كتاب الله عز وجلّ من أسرار بلاغية متنوعة.

٢. أظهر البحث أن أكثر الأساليب الإنشائية وروداً هو الاستفهام قياساً بأساليب أخرى ، إذ تكرر إحدى عشر مرة في السورة ، وجاء هذا الأسلوب بهذه الكثرة لما فيه من حجة وبيان في أسلوب المحاججة والإقناع .

٣. أظهر البحث أن ورود الأمر بصيغ متنوعة في سورة الفرقان عشرة مرات ، مرده مقامات الدعوة التي تقتضي التكرار والتأكيد لتثبيته (صلى الله عليه وسلم) وأصحابه في مواجهة المشركين.

٤. حاول البحث إظهار بلاغة النداء وبيان سر إيثار صيغة النداء قوله عز وجلّ: (يَلَيتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا) [الفرقان : ٢٧] ، يا وليتي ، ليتني ، يا ربي ، وغيرها من الصيغ ، إذ ورد النداء خمس مرات في السورة وكلها بصيغة (يا ، ربنا) التي فقيها زيادة في التنبيه للمُنادى.

٥. وأخيراً لقد ذكر البحث أسلوب أخير ، وهو أسلوب النهي ، فقد ورد ثلاث مرات ، وجاءت هذه بصيغة لا في مواضع من السورة .

وختاماً فهذا ما أعانني الله عليه من الدراسة البلاغية في سورة الفرقان ، وأسأل الله تعالى أن ينفع به المسلمين ويجعله خالصاً لوجهه الكريم .

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

١. الإتقان في علوم القرآن ، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت ٩١١ هـ) ، تحقيق : فؤاد أحمد زمرلي ، دار الكتاب العربي ، بيروت – لبنان ، (د . ط) ، (د . ت).

٢. أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين ، د . قيس اسماعيل الآلوسي ، بيت الحكمة، بغداد – العراق ، (د . ط) ، ١٩٨٨ م.

٣. أسباب النزول ، أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري ، (٤٦٨ هـ) ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت – لبنان ، ط ٢ ، ١٩٨٥م
٤. البلاغة الاصطلاحية ، د . عبدة عبد العزيز قلقيلة ، دار الفكر العربي ، الرياض – السعودية ، (د . ط) ، ١٤٠٧ هـ ١٩٤٧ م
٥. البلاغة العربية في ثوبها الجديد ، د . بكري شخ أمين ، دار العلم للملايين ، بيروت – لبنان ، ط ٧ ، ٢٠٠١ م
٦. البلاغة الواضحة – البيان والمعاني والبديع، على الجارم ومصطفى أمين ، المؤسسة العربية ، بيروت – لبنان ، ط ١ ، ٢٠٠٠م .
٧. البلاغة فنونها وأفنانها – علم المعاني ، د . فضل حسن عباس ، دار الفرقان ، ط ٣ ، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢ م.
٨. التحرير والتنوير ، محمد الطاهر بن عاشور ، مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت– لبنان ، ط ١ ، ١٤٢٠هـ ،٢٠٠٠م.
٩. تفسير القرآن : أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: ٤٨٩هـ)، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، الناشر: دار الوطن، الرياض – السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ– ١٩٩٧م.
١٠. تفسير النسفي مدارك التنزيل وحقائق التأويل : أبو البركات عبد الله بن أحمد حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م.
١١. جامع البيان في تأويل القرآن : محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م.
١٢. الجامع لأحكام القرآن ، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، (٦٧١ هـ) ، صححه : الشيخ هشام سمير البخاري ، ط ١ ، ج ٣ ، دار إحياء التراث العربي .بيروت – لبنان ، ١٩٩٥ م.
١٣. دلالات التراكيب – دراسة بلاغية ، د . محمد محمد أبو موسى ، مكتبة وهبة ،القاهرة – مصر ، (د . ط) ، (د . ت)
١٤. عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح ، رجاء الدين السبكي ، تحقيق : د. عبد الحميد هنداوي، ط ١ ، المكتبة العصرية ، صيدا – بيروت ، ٢٠٠٣م.
١٥. علم المعاني – دراسة وتحليل ، د. كريمة محمود أبو زيد ، دار التوفيق النموذجية ، ط ١ ، القاهرة – مصر ، ١٤٠٨ هـ. ١٩٨٨ م
١٦. علم المعاني ، د . عبد العزيز عتيق ، دار النهضة العربية ، بيروت – لبنان ، ط ١٠ ، ١٩٧٤م
١٧. علم المعاني ، د . قصي سالم علوان ، جامعة البصرة – العراق ، (د . ط) ، ١٩٨٥م.
١٨. في ظلال القرآن ، سيد قطب ، دار الشروق ، (د . ط ١)
١٩. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، دار النشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، تحقيق: عبد الرزاق المهدي.
٢٠. مختصر السعد شرح تلخيص كتاب مفتاح العلوم ، سعد الدين التفتازاني ، تحقيق:د . عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية ، صيدا – بيروت ، (د . ط) ، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م.
٢١. مفتاح العلوم ، أبي يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي (ت ٦٢٦ هـ) ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، (د . ط) ، ١٣٥٦ هـ – ١٩٣٧م
الملامح الدلالية لقوله تعالى :((فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون)) الدكتور مراد عبد حسن أحمد بحث منشور في مجلة جامعة كركوك للدراسات الانسانية المجلد(١٩) العدد الثاني الجزء الثاني كانون الأول ٢٠٢٤ .

التكرار وأثره في سبك النص

م.د. رغد ماجد ثابت
الجامعة المستنصرية / كلية التربية الأساسية

المستخلص:

يهدف البحث إلى بيان مظاهر السبك النصي من خلال استراتيجية التكرار وأهم وسائله .

وقد جاءت الدراسة في : مقدمة ، ومبحثين ، وخاتمة ، فكان المبحث الأول في التعريف بالتكرار لغة واصطلاحاً ، والتكرار عند علماء العرب القدامى ، وعلماء اللغة النصيين .

وتضمن المبحث الثاني أنواع التكرار ، وأهم تفرعاته : (التكرار الصريح المحض ، والتكرار بالمرادف ، والتكرار الاشتقاقي الجزئي) ، ثم الخاتمة والنتائج ، والمصادر والمراجع .

الكلمات المفتاحية : التكرار، استمرارية المعنى، السبك، النصية، السبك المعجمي، التكرار المحض.

المقدمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، محمد الامين ، وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وعلى صحبه الغرّ الميامين ، وبعد ..

يبين هذا البحث أثر التكرار في تماسك النص ، فهو وسيلة من وسائل معيار (السبك) وهو المعيار الاول من المعايير النصية السبعة ، ويعد عنصراً أساس يساعد المتلقي للنص على تتبع الفكرة الرئيسية واسترجاع العناصر المحورية التي تعزز من ترابط المعاني وقوة الاثر ، ومتى ما أحسن استعماله أصبح من عناصر جمال النص وبلاغته . فالنص حدث اتصالي تتحقق فيه النصية اذا اجتمعت فيه المعايير السبعة فيكتمل النص بوجودها وهي : (السبك ، الحبك ، والقصدية ، المقبولية ، والمقامية، والاخبارية ، والتناص) (١) .

وينصب الجهد في هذا البحث على كيفية نمو النص ، ومعرفة وسائل السبك فيه من خلال ظاهرة التكرار .

وقد جاءت هذه الدراسة في مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة .

وقف التمهيد عند مفهوم التكرار في علم اللغة النصي ، وكان المبحث الأول في التعريف بالتكرار لغة واصطلاحاً ، والتكرار عند علماء العرب القدامى وعلماء اللغة النصيين ، وتضمن المبحث الثاني : أنواع التكرار وأهم تفرعاته ، (التكرار الصريح المحض ، والتكرار بالمرادف ، والتكرار الاشتقاقي الجزئي) . ثم ذُيل بالخاتمة ، والنتائج ، وقائمة بالمصادر والمراجع .

التمهيد :

التكرار من وسائل (السبك المعجمي) ، فهو تشاكل لغوي يعمل على لفت الانتباه فيقوم ببناء شبكة من العلاقات داخل النص ، يتحقق بالعناصر المكررة فيه والتي تحافظ على بنية النّص وتعزز الجانب الدلالي ، وهي تعدّ وسيلة من وسائل السبك المعجمي(٢) ، الذي يقوم على العلاقة المعجمية ، ويكون الربط على مستوى المعجم ، ولا يمكننا الحديث عن وسيلة شكلية نحوية تربط بين عناصر النص فيه(٣)، فيحدث السبك بواسطة استمرارية المعنى ، ويمنح النص صيغة (النصية)(٤) . وهو « وسيلة لفظية من وسائل السبك التي تقع بين مفردات النص وعلى مستوى البنية السطحية فيه ، التي تعمل على الالتحام بين أجزائه معجمياً ، ومعاني جمله وقضاياه من خلال احكام العلاقات الدلالية القريبة والبعيدة فيه ، فيؤدي ذلك الى تلازم الاحداث وتعالقها من بداية النص حتى آخره مما يحقق للنص نصيته » (٥) . وان وسائل الربط المعجمي ؛ هي بنيات معجمية تمهد لانسجام الجمل والتفاهم ، فتحقق التماثل أو التكافؤ والانسجام للنص بتمامه (٦). والسبك من أهم طاقات اللغة ؛ الذي ترتبط فيه الصورة السمعية بالفكرة(٧) . والمتلقي للنص هو الذي يحكم على سبك النص من عدمه ، من خلال فك رموز النص ، لذا توجب على المتلقي المثالي معرفة الادوات التي تعمل على سبك النص(٨) ، والسبك ينقسم على قسمين : الاول هو : (السبك النحوي) ، والثاني هو : (السبك المعجمي)(٩) .

ومن ذلك يتضح لنا أهمية السبك في بنية النص ، التي تعمل بدورها على الربط النصي على مستوى البنية السطحية ؛ فالنص وحدة شاملة متكونة من أجزاء مختلفة تكون على مستوى (أفقي) من الناحية النحوية ، وعلى مستوى (عمودي) من الناحية الدلالية ، يتمثل المستوى الافقي من وحدات نصية صغرى للنص ؛ الذي يمثل (الوحدة الكبرى) ويربط بين الوحدات النصية الصغرى علاقات نحوية ، أما المستوى العمودي فيتكون من تصورات كلية تربط بينها علاقات السبك الدلالية المنطقية(١٠) .

المبحث الأول

التكرار مظهر من مظاهر (السبك المعجمي) يحقق ترابط النص بالعناصر المكررة التي تحافظ على بناء النص ودلالته .

• التكرار لُغةً واصطلاحاً :

– التكرار لُغةً :

مأخوذ من (الكّر) وهو : الحبل الغليظ ، والحبل الذي يُصعد به على النَّخل ، والرجوع عليه ، ومنه التكرار(١١) .

والتكرار من مادة (ك ر ر) الكر : الرجوع ، والكرة المرّة(١٢) .

و(كر) : الكاف والراء أصلٌ صحيحٌ يدل على جمع وترديد ، ومنها (كّرَّرت) وهو رجوعك إليه مرة أخرى بعد المرَّة الأولى(١٣).

فالتكرار في المعجم العربي يدور حول المعاني الآتية : (الحبل الغليظ ، الرجوع ، والجمع ، والترديد) . وجميعها تدل على التكرار ، ولعل تسمية الحبل (بالكّرَّ) آتية من التكرار والتغليظ للأمر والتوكيد والتشديد ، وهذا المعنى متوافر في الحبل الغليظ، وهذه الغلظة تكون بتكرار الفتل وتكرار اجتماع نسجه بعضه الى بعض ، وفي ذلك دلالة مادية هي التردد والاجتماع ، والدلالة الاخرى معنوية وهي القوة والاحكام والتوكيد .

• التكرار اصطلاحاً :

« هو عبارة عن الإتيان بشيء مَرَّة بعد أُخرى»(١٤) .

وهو يشمل مستويات متعددة منها ؛ (تكرار الحروف ، والكلمات ، والعبارات ، والجمل ، والفقر ، والقصص ، والمواقف) ، ويعد التكرار من الظواهر المهمة في ميدان النَّص(١٥) .

١– التكرار عند العلماء العرب في الدراسات العربية القديمة :

أهتم لعلماء العرب بظاهرة التكرار ، فنجده مذكور في مؤلفاتهم ، مدركين أثره في سبك الكلام ، فكان في باب التوكيد في النحو العربي .

وقد ذكر ذلك سيبويه (ت١٨٠هـ) في باب (ما يكون المصدر فيه توكيداً لنفسه نصباً) وقال فيه:اعلم أنَّ هذا الباب أتاه النصبُ كمنصوب بما قبله من المصادر في أنَّه ليس بصفة ولا من اسمٍ قبله وإنَّما ذكرته لتوكِّدَ به ولم تحمله على مضمر يكون بعده رفعاً وهو مفعول به) ومثل نصب هذا الباب قول الشاعر :

ذأبْتُ إلى أن يَنبُتَ الظِّلُّ بعدما
تَقَاصَرَ حتّى كاد في الآل يَمْصَحُ
وجيفَ المطَايَا ثُمَّ قلتُ لصحبتي
ولم يَنْزِلوا أَبرَدتُمُ فَتروَّحُوا

؛ لأنه قد عُرف أن قوله : (دأبتُ) سرت ، لما ذُكر في صدر قصيدته ، فصار (دأبت) بمنزله (أوجفت) عنده ، فجعل وجيفَ المطايا توكيداً لأوجفت الذي هو ضميراً» (١٦) .

ومن العلماء الذين اهتموا باسلوب التكرار هو أبو عثمان الجاحظ (ت٢٥٥هـ) الذي قال : « وليس التكرار عيباً

، ما دام لحكمه ، كتقرير المعنى ، أو الخطاب الغبي ، أو الساهي كما أن ترداد الألفاظ ليس بعيب ما لم يجاوز مقدار الحاجة ويخرج الى العبث»(١٧) .

وقال ابن جني (ت٣٩٢هـ) :« اعلم أن العرب إذا أرادت المعنى مكَّنته ، واحتاطت له . فمن ذلك التوكيد ، وهو على ضربين : احداهما تكرير الأوّل بلفظه ، وهو نحو قولك : (قامَ زيدٌ ، قام زيدٌ) ، ... والثاني تكرير الأوّل بمعناه . وهو على ضربين : أحدهما للاحاطة والعموم ، والآخر للتثبيت والتمكين .

الاول كقولنا : قامَ القومُ كلّهُم ، ورأيتهم اجمعين ... والثاني نحو قولك : قام زيدٌ نفسُهُ»(١٨) .

ووصفه ابن الاثير (٦٣٧هـ) ، بأنه دقيق المأخذ وعرفه بأنه : دلالة اللفظ على المعنى مردداً (١٩) .

نلحظ من استعراضنا لمفهوم التكرار عند العلماء العرب ، أنه مصطلح ظهر في الدراسات القديمة بنوعيه (اللفظي ، والمعنوي) ، فكان في حدود اعادة كلمة ، أو أكثر باللفظ ، أو المعنى .

٢- التكرار عند علماء لغة النص :

يُعدُّ التكرار اسلوباً من أساليب (السبك المعجمي) عند علماء لغة النص ، وعرَّفه هاليدي ، ورقية حسن بقولهما : « إن أي حالة تكرير يمكن أن تكون :

أ) الكلمة نفسها

ب) مرادفاً لها أو شبه مرادف

ج) كلمة عامة

د) أو اسماً عاماً»(٢٠) .

وعرّفته عزة شبل بأنه : يقصد به الإعادة المباشرة للكلمات ، وأطلق عليه دي بوجراند مصطلح (Recurrence) والتعبير المتكرر يستمر بالاشارة الى الكيان ذاته في النّص ، وهذا الاستمرار ، يدعم ثبات النّص ، فيعمل تعدد التكرار ؛ أساساً مشتركاً بين الجمل الأمر الذي يُسهم في وحدة النص وتماسكه (٢١)، فالتكرار عند دي بوجراند هو إعادة اللفظ نفسه ، ويعمل لأجل تحقيق علاقة متبادلة بين العناصر التي تكوّن منها النص (٢٢) .

ومن أمثلة التكرار عند هاليداي ورقية حسن هي : (اغسلي وانزعي نوى ست تفاحات للطبخ ، ضعي التفاحات في صحن يقاوم النار) نلحظ السبك في المثال تمَّ عن طريق تكرار كلمة (التفاحات)(٢٣) .

وقال الدكتور تمام حسان في التكرار : « أنَّ الأصل في الربط أن يكون بالتكرار ؛ لأنَّ التكرار خير وسيلة للتذكير بما سبق»(٢٤) .

وفي ضوء التحليل النصّي المعاصر نلحظ أن وظيفة التكرار هي إنجاز تدعيم التماسك النصي ، وتحقق العلاقة المتبادلة بين العناصر المكونة للنص(٢٥) .

المبحث الثاني:

- أنواع التكرار :

١- التكرار اللفظي الصريح (المحض)Full Recurrence : وهو تكرار الكلمة ، أو العبارة في النصّ دون تغيير ؛ لأجل استمرار الاشارة الى العنصر المعجمي وبالتالي استمرار ترابط المعنى في النَّص (٢٦) . فيعاد اللفظ في سياق النصّ بدون أي تغيير ، لا في الشكل ولا الدلالة ، والهدف منه التوكيد ، أو لغايات جمالية(٢٧). ويحقق التكرار المحض عدة وظائف وهي : تحقيق السبك ، فهو يسهم في ربط أجزاء النص من خلال المفردة المكررة(٢٨). ويستعمل في الخطاب للفت الانتباه ، وتقوية الحجة(٢٩) ، فضلاً عن تحقيق وظيفة ايقاعية جمالية في الشعر والنثر الفني(٣٠).

ومن أمثلة التكرار المحض في قوله تعالى : (كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٣) ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ) (التكاثر :٣-٤)

والتكرار هنا محض لهدف التوكيد والتهويل .

والتكرار المحض يُعد آلية أساسية في تحقيق السبك النصي وله تأثير بلاغي ، فضلاً عن أنه يحمل وظائف دلالية متعددة ، في النصوص الادبية ، أو التأثيرية ، لذا اولاه علماء اللغة النّصّيون اهتماماً خاصاً ضمن وسائل السبك النصي .

٢- التكرار بالمرادف :

الترادف هو شكل من أشكال التكرار ، يسهم في امتداد المعنى داخل النَّص(٣١) .

والترادف في اللغة من (ر د ف) يدل على اتّباع الشيء ، وهو التتابع ، والرديف : الذي يرادفك(٣٢) .

وهو ما كان واحداً واسماؤه كثيرة ، نحو:(الليث والأسد)(٣٣)، وأطلق عليه دي بوجراند تسمية اعادة الصياغة (Paraphrase) والمراد به تكرار المحتوى بوساطة تعبيرات مختلفة ، تسهم في تماسك النَّص ، وسبب استعمال كلمات لها معنى واحد (الترادف) بدلاً من التكرار للكلمة نفسها ، هو التنوع في محتوى النص ، والابتعاد عن الضجر والملل(٣٤).

وإن اعادة الصياغة (للمرادف) ليست عملية لقول ما بطريقة مختلفة فقط ، وانما هي خلق شيء ما مختلف في عالم النَّص ، وهو بدوره محاكاة أو تخيّل للعالم الفعلي(٣٥).

٣- التكرار الاشتقاقي (الجزئي) : Partial Recurrence :

ويقصد به استعمال (الجذر الصرفي) لكلمة معينة ونقلها إلى فئة أخرى مثل : (يحكم، حكم ، حكام ، حكومة) ، (ينفصل ، انفصال)(٣٦) . وهو شكل من اشكال الربط ، يعطي النص سمة التنوع واجتناب الرتابة(٣٧) .

ويعمل هذا النوع من التكرار على تركيز الدلالة في ذهن متلقي النص ، وهو يعتمد على جذر الألفاظ المتكررة ، فيشتق الكلمات من الجذر نفسه ، ويكون الاختلاف في بنية الكلمة التصريفية (٣٨) ، وهذا النوع من التكرار يحمل طاقة وظيفية مهمة تتمثل في دعم المفردات الدلالي ، وتكرار هذه المفردات يؤكد محوريتها واهميتها في بناء المعنى ، فهي بؤرة تعبير ظاهرة للمتلقي(٣٩).

وفي (البسملة) مثال للتكرار الاشتقاقي (بسم الله الرحمن الرحيم) فـ (الرحمن) و(الرحيم) فيها تكرار باللفظ والمعنى ، وهما مشتقتان من الجذر (رحيم)(٤٠) .

الخاتمـــــة:

وختاماً يتضح لنا أن التكرار ليس ترفاً لغوياً أو حشواً لفظياً ، بل هو أداة فاعلة في سبك النص وبنائه ، وتربط اجزاءه بخيوط دقيقة من المعاني ، فالتكرار يعيد تشكيل الكلمات والعبارات ليجعل منها نغمة متكررة تُطرب القارئ وتُرسخ الفكرة ، وتشدّ المعنى . فهو أداة تغوص في العمق التركيبي والدلالي ، متجاوزة الظاهر اللفظي ، فتسهم في إحكام النص ، وتعزيز تأثيره ، وبناء نسجه اللغوي المتماسك .

وتوصلنا عبر البحث إلى نتائج علمية هي :

- التكرار في اللغة هو الاعادة والرجوع والتأكيد .
- التكرار اسلوب فني يستعمل لإبراز المعنى وتأكيده في النص .
- يعمل التكرار إحداث تماسك في النص وسبك اجزائه .
- التكرار هو ورود عبارة أو لفظ بشكل متكرر في النص لهدف بلاغي أو جمالي أو معنوي .
- اهتم العرب القدامى بالتكرار في كلامهم ، وعدّوه وسيلة للتوكيد والتأثير .
- الغرض من التكرار عند علماء لغة النص هو تحقيق ترابط وانسجام النص .
- يجب أن يوظف التكرار لطريقة فنية مدروسة لخدمة اهداف النص ، ولا يكون مجرد حشو .

• لا يكون التكرار نسخاً حرفياً فقط ، فقد يتنوع كما في الترادف ، أو اعادة الصياغة ، التي هي شكلاً من اشكال التكرار المعنوي .

الهوامش:

١- ينظر : علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق : ١٣٣/١ ، وعلم لغة النص ، سعيد بحيري : ١٤٦ .

٢- ينظر : لسانيات النص مدخل الى انسجام الخطاب : ٢٤ .

٣- ينظر : علم لغة النص ، عزة شبل : ١٤١ .

٤- ينظر : المصدر نفسه : ١٠٢ .

٥- أثر التكرار في التماسك النصي :بحث : ١٧ .

- ينظر : البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية : ١٠٩ .

٧- ينظر : علم اللغة العام : ٣٣ .

٨- ينظر : علم اللغة النّصي :١١٢/١.

٩- ينظر : بلاغة النص ، مدخل نظري ودراسة تطبيقية :١٦-١٧ .

١٠- ينظر : المصطلحات الأساسية في لسانيات النص :١٤١ .

١١- ينظر :كتاب العين ، مادة (كرر) : ١٩/٤ .

١٢- ينظر : لسان العرب مادة (كرر) : ١٣٥/٥ .

١٣- ينظر : مقاييس اللغة : ١٢٦/٥ .

١٤- معجم التعريفات : ٥٩ .

١٥- علم اللغة النصي ، صبحي ابراهيم الفقي : ١٧/٢ .

١٦- الكتاب : ٣٨٣/١.

١٧- البيان والتبيين : ٧٩/١ .

١٨- الخصائص : ١٠٣-١٠٧ .

١٩- ينظر : المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر : ٣/٣ .

٢٠- لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب : ٢٣٧ .

٢١- ينظر : علم لغة النص ، عزة شبل : ١٠٥ .

٢٢- ينظر : علم اللغة النصي ، صبحي ابراهيم الفقي : ٢١/٢ .

٢٣- ينظر : نحو النصّ اتجاه جديد في الدرس النحوي : ١٠٦ .

٢٤- مقالات في اللغة والأدب : ١٩٥/١ .

٢٥-ينظر : علم اللغة النصّي ، صبحي ابراهيم الفقي : ٢١/٢ .

٢٦- يُنظر : علم لغة النصّ ، عزة شبل : ١٤١

٢٧- ينظر : لسانيات النص مدخل الى انسجام الخطاب : ١١٣ .

٢٨- ينظر : مدخل الى علم النص : ١٥٧ .

٢٩- علم الاسلوب ، مبادئه واجراءاته : ٢٠٢ .

٣٠- الاسلوبية وتحليل النص الأدبي : ٩٣ .

٣١- ينظر : علم لغة النص ، عزة شبل : ١٠٦ .

٣٢- ينظر : مقاييس اللغة : مادة (ردف) : ٥٠٣/٢ .

٣٣- ينظر : معجم التعريفات : ١٦٧ .

٣٤- ينظر : علم لغة النص ، عزة شبل :١٠٧ .

٣٥- ينظر : نظرية علم النص : ١٠٩ .

٣٦- ينظر : علم لغة النص ، عزة شبل ، ١٠٦ .

٣٧- ينظر : المصدر نفسه : ١٤٥ .

٣٨- ينظر : اساليب التكرار في ديوان (سرحان يشرب القهوة في الكافتريا) :٩٩ .

٣٩- ينظر : نظرية علم النص : ١٠٨ .

٤٠- ينظر : علم اللغة النصي : صبحي ابراهيم الفقي : ٢/٢٥-٢٦.

المصادر:

• القرآن الكريم .

١- الاسلوبية وتحليل النص الأدبي ، فالح عبد الجبار الحجية الكيلاني ، دار دجلة ، عمان – الاردن ، ط١، ٢٠٠٧م .

٢- البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية ، جمال عبد المجيد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مكتبة الاسرة ، ٢٠٠٦م .

٣- بلاغة النص ، مدخل نظري ودراسة تطبيقية ، جميل عبد الحميد ، دار غريب للطباعة والنشر ، ٢٠٠٣م .

٤- البيان والتبيين ، الجاحظ ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٩٩٨م .

٥- الخصائص ، أبو الفتح عثمان بن جنّي ، تحقيق ، محمد علي النجار ، تقديم عبد الحكيم راضي ، طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ، ط٥ ، ٢٠١٠م .

٦- علم الاسلوب مبادئه واجراءاته ، صلاح فضل ، دار الشروق ، القاهرة – مصر ، ط٢ ، ٢٠٠٣م .

٧- علم اللغة العام ، فرديناند دي سوسير ، ترجمة : يوئيل يوسف عزيز ، مراجعة النص العربي : مالك يوسف المطلبي ، دار آفاق عربية ، ١٩٨٥م .

٨- علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ، صبحي ابراهيم الفقي ، دار قباء للطباعة والنشر ، القاهرة .

٩- علم لغة النصّ المفاهيم والاتجاهات ،سعد حسن بحيري ، كلية الألسن ، جامعة عين شمس ، لبنان – ناشرون ، ط١ ، ١٩٩٧م .

١٠- علم لغة النصّ النظرية والتطبيق ، عزة شبل محمد ، تقديم سليمان العطار، القاهرة ، مكتبة الآداب ، ط٣ ، ٢٠١٨م .

١١- الكتاب ، أبو بشر عمرو عثمان بن قنبر (ت١٨٠هـ) ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ،مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط٣ ، ٢٠٠٦م .

١٢- كتاب التعريفات ، الشريف علي بن محمد الجرجاني ، تحقيق : عبد المنعم خفاجي ، دار الرشاد ، ط١ ، القاهرة .

١٣- كتاب العين ، الخليل بن أحمد الفراهيدي ، تحقيق : مهدي المخزومي ، وابراهيم السامرائي ، منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، بيروت – لبنان، ط١ ، ١٩٨٨م .

١٤- لسان العرب ، ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الافريقي المصري ، دار صادر ، بيروت .

١٥- لسانيات النص مدخل الى انسجام الخطاب ، محمد خطابي ، المركز الثقافي العربي ، ط١ ، بيروت .

١٦- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، ضياء الدين بن الاثير ، قدمه وعلق عليه : احمد الحوفي ود. بدوي طبانه ، دار النهضة ، القاهرة – مصر.

١٧- مدخل الى النص ، دي بوجراند ، فان دايك ، ترجمة : صبحي حديدي ، دار ابن رشد ، بيروت – لبنان ، ١٩٨١م .

١٨- المصطلحات الاساسية في لسانيات النصّ وتحليل الخطاب ، دراسة معجمية ، نعمان بوقرة ، علم الكتب الحديث ، مكتبة مومن قريش ، جدار للكتاب العالمي ، عمان – الاردن ، ط١ ، ٢٠٠٩م .

١٩- مقالات في اللغة والأدب ، تمام حسان ، عالم الكتب ، ط١ ، ٢٠٠٦م .

٢٠- مقاييس اللغة ، أبو الحسن احمد بن فارس بن زكريا (ت٣٩٥هـ) ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر ، ١٩٧٩م .

٢١– نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي ، احمد عفيفي ، كلية دار العلوم – جامعة القاهرة ، مكتبة زهراء الشرق ، ٢٠٠١م .
٢٢– نظرية علم النّصّ ، رؤية منهجية في بناء النص النثري ، حسام احمد فرج، تقديم : سليمان العطار ، ومحمود فهمي حجازي ، مكتبة الآداب ، ط١ .

– وألرسائل والدوريات :

١– أثر التكرار في التماسك النصّي مقاربة معجمية تطبيقية في ضوء مقالات د. خالد المنيف ، ود. نوال ابراهيم ، مجلة ام القرى لعلوم اللغات وآدابها، العدد١٢ ، ٢٠١٤م .
٢– أساليب التكرار في ديوان سرحان شرب القهوة في الكافتريا ، مقاربة اسلوبية لمحمود درويش ، عبد القادر رزوقي ، اشراف : علي خذري ، جامعة الخضر باتنة ، الجزائر ، كلية الآداب ، رسالة ماجستير ، ٢٠١١م–٢٠١٢م .

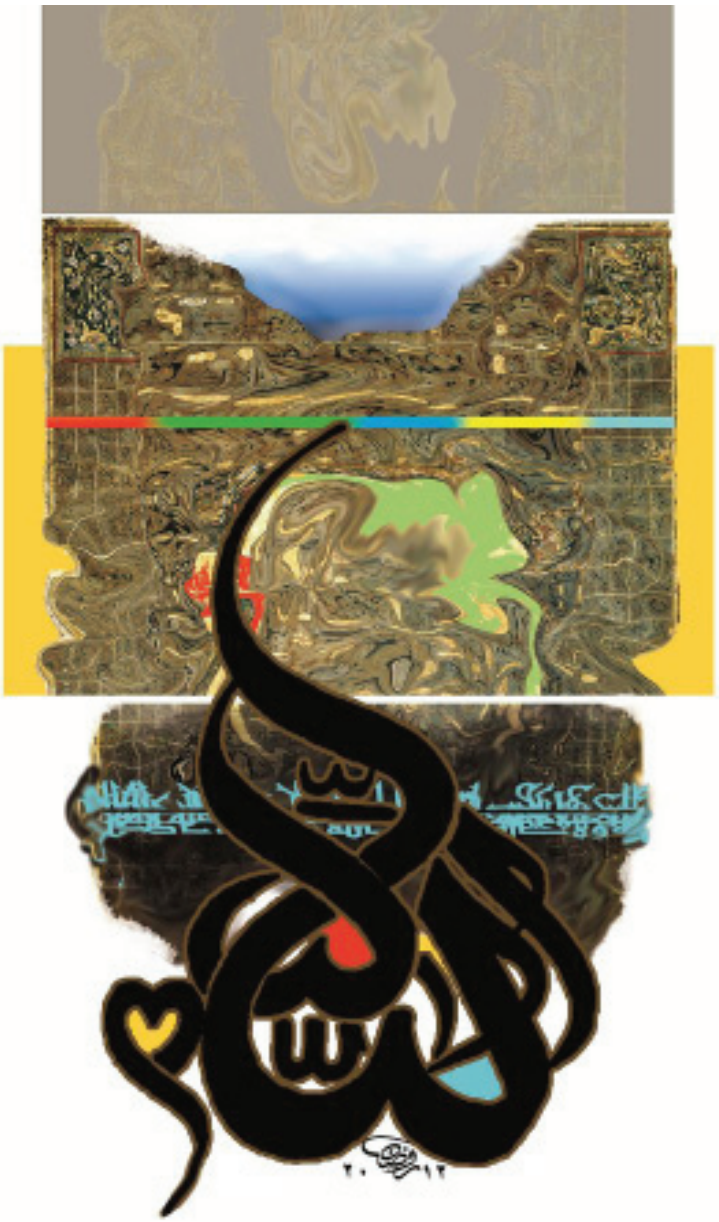

فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية العدد(٨)
السنة الثالثة صفر الخير ١٤٤٦هـ آب ٢٠٢٥م

العددُ عشرةٌ في القرآنِ الكريمِ دراسةٌ نحويةٌ سياقية

م. م. ملاك شاكر محمود
الجامعة المستنصرية/ كلية التربية الأساسية/ قسم اللغة العربية

المستخلص:

وقع اختياري على بحثي الموسوم بـ:(العدد عشرة في القرآن الكريم دراسةٌ نحويةٌ سياقية)؛ ولأنَّ الأعداد مُتَداوَلَةٌ في لغة الإنسان، والعدد عشرة ينقسمُ على أربعةِ أقسامٍ وهي: (المفرد، المركَّب، ألفاظ العقود، والمعطوف)، وقد ورد العدد عشرة في القرآن الكريم خمسَ عشرةَ مرّة، فجاءَ مفردًا في ثمانيةِ مواطن بسورٍ وسياقاتٍ مختلفة كسورة البقرة، والمائدة، والأنعام، والأعراف، وهود، وطه، والقصص، كما جاء في كلِّ مرَّةٍ بمواقعَ إعرابيةٍ مختلفة، فمرةً يردُ خبرا مرفوعاً، وأُخرى معطوفًا، ومنصوبًا، ووردَ مضافًا إليه، ومجرورًا، وظرفًا للزمان، وقد وردَ مركَّبًا في ستَّةِ مواطن كسورةِ البقرة، والأعراف، والتوبة، ويوسف، والمدثِّر، أمَّا مواقعُهُ فقد جاء جزءَ عدديًّا مبنيًّا على الفتح لا محل له، وفي محل نصب مفعولًا به، وفي محل رفع مبتدإٍ مؤخَّر، ومفعولًا به ثانيًا، وفاعلًا هذا ما جاء في الدراسةِ النحويَّة، أمَّا الدراسةُ السياقيَّة فكانَ لكُلِّ آيةٍ موضوعًا حسب المقطع السياقي الذي وردت فيه وكذا السورة، فقد جاءَ العددُ عشرة ضمنَ سياقِ آياتِ الأحكام كصيامِ الأيامِ العشر في الحج لمن لم يستطع ذبحَ الهدي، كما ورد أيضًا في سياق آيات الأحكام ولكن الأحكامُ التي تخصُّ المرأةُ المتوفى زوجُها عنها، والتي تكون عدتُها أربعةَ أشهرٍ وعشرةُ أيام، ورد أيضًا في أحكام الحنثِ باليمين إذ له كفارةٌ تخصُّه وهي إطعامُ عشرةِ مساكين أو كسوتهم أو عتقُ رقبة، فإن لم يستطع فلهُ صيام عشرة أيام تلك كفارةُ الحانثِ بيمينه، وقد جاء في بيان الجزاء لمن عَمِلَ حسنةً واحدةً لهُ عشرُ أمثالِها، وجاء في سياق الحديث عن قصة موسى (عليه السلام) وفرعون لبيانِ الزمن وهو عدد الأيام التي واعد (الله تعالى) بها سيدنا موسى(عليه السلام)، والتي هي ثلاثون ليلةٍ وعشرُ ليال حتى تمت أربعون ليلة، ويقال أنَّها ثلاثين من ذي القعدة، وعشر من ذي الحجة، وجاء أيضًا في سياق التحدي عندما كُذِّبَ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كيف ينزلُ القرآنُ على رجلٍ دونَ أن يكون معه كنزٌ أو يأتي معهُ مَلَك، وأنَّ القرآن مفترىً فتحداهم بأن يأتوا بعشرِ سورٍ مثله مفترياتٍ كافترائهِ الذي نعتوه به، ولم يأتِ أحدٌ بمثلهِ أبدًا، كما ورد في بيان المُدَّة حال تخافُت المجرمين فيما بينهم إذ يعتقدون أنهم لم يلبثوا في جهنم إلا عشرُ ليال على الرغمِ منَ المدةِ الطويلةِ فيها، أما في سورة القصص فجاء سياق الآيةِ في سلسلةٍ من آياتِ الحديث عن قصة موسى (عليه السلام)، وقتلَهُ الرجلَ بوكزِهِ، وورودِهِ ماءَ مدينَ، وسقايتهِ الفتاتين ابنتي شعيب (عليه السلام) حيث جاءَ العددُ عشرة في بيان الزمن المُسمَّى بينَ شعيب وموسى (عليهما السلام) حالَ قضاءِ الأجلِ تزويجه إحدى ابنتيه شرط أن يعملَ عنده هذه المدة والتي هي ثمانِ سنوات، فإن أتمّها عشرًا فمن عنده، وأما سورة البقرة الآية ستون، فأيضًا في الحديثِ عن قصة موسى (عليه السلام) عندما استسقى لقومه فأوحى (الله تعالى) إليه أن يضربَ بعصاه الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينًا، أما في سورة الأعراف فجاء في بيان العدد واستمر السياق بعدها في الحديث عن قصة موسى (عليه السلام) وعن أصحاب السبت، فنرى أن العدد عشرة المركب قد ذُكر في سياق بيان العدد وهو أنه قوم موسى(عليه السلام) قُسّموا إلى عدة فرق وعدد هذه الفرق اثنتي عشرة فرقة، وكذا في سورة الأعراف جاء في بيان عدد العيون التي انفجر الماءُ منها ولكن جاء بلفظة انبجست وهناك فرقٌ بين الانفجارِ والانبجاس إذ أنَّ الانفجار يكون خروجه من مكان ضيّق، أما الانبجاس فيكون ما يخرج من شيءٍ واسع، أي: أنَّ الماء قد خرج من العيون الضيقة قبل الواسعة والتي كان عددها اثنتا عشرة عينًا، أما في سورة التوبة فجاء أيضًا لبيان عدد الشهور عند الله ثابتةٌ حتى يرث الأرضَ ومن عليها عددها اثنا عشر شهرًا لا غير، أما في سورة يوسف (عليه السلام) فقد جاء العدد عشرة مركبًا في سياق الحديث عن قصته والرؤية التي أراه الله إياها إذ رأى أحد عشر كوكبًا قد سجدوا له مع الشمس والقمر والتي تحققت عند دخول إخوته مصر مع والديه فكان إخوته الكواكب الإحدى عشر، ووالديه الشمس والقمر، أما سورة المدثر فجاءت في سياق بيان عدد خزنة جهنم (سقر) والذي هو تسعة عشر ملكًا وقد سبقتها آيات الحديث عن النبي (صلى الله عليه وسلم) والوليد بن المغيرة الذي ادّعى أنه نبي مرسل وكذّب بالقرآن وبما جاء به النبي(صلى الله عليه وسلم) وأنه ليس من (الله تعالى) بل أنه قول البشر فتعهّد (الله تعالى) بعذابه عذابًا أليمًا في (سقر) والتي يكون عدد خزنتها موضوع مبحثنا هذا وهو تسعة عشر، وقد ذكرت الآيات السابقة واللاحقة لكل آيةٍ في الدراسة السياقية ولا يتسع المقام لذكرها

في الملخص فالتفصيل هناك.

الكلمات المفتاحية: العدد عشرة، المفرد، المركب، المعطوف، ألفاظ العقود.

Abstract:

Knowing that the title of the conference is: "Modern Trends in Human, Educational, and Psychological Sciences for Sustainable Development", I chose to present my research entitled: "The Number Ten in the Holy Qur'an: A Syntactic and Contextual Study."

Since numbers are commonly used in human language, I selected the number ten as the subject of my study for this conference. The number ten in Arabic is categorized into four grammatical forms: singular, compound, collective expressions, and conjunction-based forms. The number ten appears in the Holy Qur'an fifteen times. It is used in the singular form in eight places across different chapters (Surahs) such as Al-Baqarah, Al-Ma›idah, Al-An›am, Al-A›raf, Hud, Ta-Ha, and Al-Qasas. In each instance, it takes on different grammatical roles—sometimes as a predicate in the nominative case, sometimes in the accusative as a conjunction or object, and sometimes as a genitive or adverb of time.

It also appears in compound form in six verses (e.g., in Surahs Al-Baqarah, Al-A'raf, At-Tawbah, Yusuf, and Al-Muddaththir), where its syntactic positions include being a built-in numerical component with no syntactic role, in the accusative as a direct object, or in the nominative as a delayed subject or second object, and even as a subject.

From a contextual perspective, the study addressed each verse based on its surrounding context and the theme of the Surah. For instance, the number ten appears in:

Legal verses related to fasting ten days during Hajj for those unable to offer a sacrifice.

Legal contexts regarding the waiting period (‹iddah) of a widowed woman: four months and ten days.

Penitential laws such as the expiation for breaking an oath, which includes feeding or clothing ten needy people or fasting ten days.

Rewards for good deeds: whoever does a good deed receives tenfold the reward.

The story of Prophet Musa (Moses) and Pharaoh, where the number refers to the ten nights added to thirty to complete forty nights of div-

ine appointment (30th of Dhul–Qa›dah + 10 of Dhul–Hijjah).
A challenge to those who disbelieved the Prophet Muhammad (peace be upon him) to produce ten fabricated Surahs like the Qur'an.
A depiction of criminals in Hell believing they stayed only ten nights despite its eternity.
The story of Musa and the time he spent working for Prophet Shu'ayb in return for marrying one of his daughters—eight years minimum, extended to ten.
The story of the twelve springs that gushed forth when Musa struck the rock (Surah Al–Baqarah and Al–A›raf), with a distinction between the terms "explode" and "gush."
The fixed number of months in a year as twelve (Surah At–Tawbah).
The vision of Prophet Yusuf (Joseph), where he saw eleven stars (his brothers), the sun (his father), and the moon (his mother) prostrating to him.
The mention of nineteen angels guarding Hell (Surah Al–Muddaththir) as part of the challenge to disbelievers.
Each verse's broader and immediate context is analyzed in detail in the main study, though not fully included here for brevity.
Keywords: Number ten, singular, compound, conjunction, numerical expressions.

المقدّمة:

الحمدُ لله ربِّ العالمين والصلاةُ والسَّلامُ على سيّد الأوّلين والآخرين سيّدِنا محمد الصّادق الوعد الأمين وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحابته الغرِّ الميامين ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أمّا بعد...

فمن المعلوم أنَّ القرآن الكريم أنزله الله كتابًا عربيًا قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف:٢]، وقد خلّد القرآن اللغة العربية، وحفظها من الضّياع، ثم سخّر جمهرة من العلماء دوّنوا هذا العلم بابًا بابًا بكلِّ تفاصيله وجزئيّاته قديمًا وحديثًا، وتنوّعت أبوابه، ومنه باب العدد الذي ورد في كثيرٍ من مواطن القرآن بألفاظٍ متعدّدةٍ كثيرة، جاءت بصيغٍ ووجوهٍ إعرابيةٍ متعدّدة، وبسياقاتٍ متنوّعة، وقد اخترت من باب العدد كلّه عددًا واحدًا ألا وهو العدد (عشرة– مفردًا ومركبًا)، فكان موضوع بحثي بعنوان: (العدد عشرة في القرآن الكريم– دراسة نحويّة سياقية)،إذ أنَّ العدد يشكلُ أحد أبواب علم النحو الأساسية في اللغة العربية على اختلاف فروعها، ومما لاشك فيه أنّ من سبقني في كتابة هذا الموضوع قد وفّوا حقّه، لكن أرجو أن يكون جهد بحثي موّفقًا في جمع ما تفرق من مفردات الموضوع ودراسته نحوًا وسياقًا.

وكان هدف بحثي أن أوسّع معلوماتي في بابٍ من أبواب النحو كوني متخصصة في اللغة العربية.

أمّا خطّة البحث فقد كانت على النّحو الآتي:

قسمته على مقدّمةٍ وخاتمةٍ وثلاثة مباحث:

أمّا المبحث الأوّل: فأفردته للتعريف بالعدد وقسمته على ستّةِ مطالب:

المطلب الأوّل: تعريف العدد وبنيته الصرفية.

المطلب الثاني: اشتمل على أنواع العدد الأربعة وهي (المفرد، والمركب، وألفاظ العقود، والمعطوف).

المطلب الثالث: فكان على قسمين: القسم الأوّل في تذكير العدد، وتأنيثه، والقسم الثاني: في ألفاظ العدد.

المطلب الرابع: فكان في مميّز الأعداد.

المطلب الخامس: جعلته لتعريف العدد بـ (أل).

المطلب السّادس: كان في أسماء العدد التي على وزن فاعل.

أمّا المبحث الثاني: فقد خصّصته للدراسة النحويّة للعدد عشرة مفردًا، ومركبًا في القرآن الكريم، وفيه مطلبان:

المطلب الأوّل:العدد عشرة مفردًا،وقد اشتمل على آيات القرآن التي ذُكر فيها العدد عشرة مفردًا وهنّ ثمانِ آيات وهي:

قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ عَشَرَةٌ كامِلَةٌ﴾ [البقرة:١٩٦].

قوله تعالى: ﴿ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْراً ﴾ [البقرة:٢٣٤].

وقوله تعالى: ﴿ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعامُ عَشَرَةِ مَساكِينَ ﴾ [المائدة:٨٩].

وقوله تعالى: ﴿مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثالِها ﴾ [الأنعام:١٦٠].

وقولهى تعالى:﴿وَواعَدْنا مُوسى ثَلاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْناها بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾[الأعراف١٤٢].

وقوله تعالى: ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَياتٍ ﴾ [هود:١٣].

وقوله تعالى: ﴿ يَتَخافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلاَّ عَشْراً ﴾ [طه:١٠٣].

وقوله تعالى: ﴿ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْراً فَمِنْ عِنْدِكَ ﴾ [القصص:٢٧].

المطلب الثاني: فكان في العدد عشرة مركبًا وهنَّ ستُّ آيات وهي:

قوله تعالى: ﴿ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتا عَشْرَةَ عَيْناً ﴾ [البقرة:٦٠].

وقوله تعالى: ﴿ وَقَطَّعْناهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْباطاً ﴾ [الأعراف:١٦٠].

وقوله تعالى: ﴿ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتا عَشْرَةَ عَيْناً﴾ [الأعراف:١٦٠].

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنا عَشَرَ شَهْراً ﴾ [التوبة:٣٦].

وقوله تعالى: ﴿ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً ﴾ [يوسف:٤].

وقوله تعالى: ﴿ عَلَيْها تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ [المدثر:٣٠].

أمّا المبحث الثالث: فقد جعلتهُ للدراسة السياقيّة وجاء على أربعة عشر مطلبًا، إذ أفردتُ لكلِّ آيةٍ مطلبًا خاصًّا بها وآياته هُنّ التي ذُكرتُ آنفًا.

وختامًا، اللهَ أسألُ الرِّضى والقبول وأن يوفقني لمزيدٍ من العلم والمعرفة ،وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المبحث الأول: تعريف العدد

المطلب الأول: تعريف العدد عشرة وبنيته الصرفية:

أولًا: حدُّهُ:

١. لغةً:

قال ابن فارس: «عشر: العين والشين والراء أصلان صحيحان: أحدهما في عدد معلوم ثم يحمل عليه غيره، والآخر يدل على مداخلة ومخالطة»(١).

قال الجوهري: «عددت الشيء، إذا أحصيته، والاسم العدد والعديد، يقال هم عديد الحصى والثرى، أي: في الكثرة، وفلان عديد بني فلان، أي: يُعدُّ فيهم، وعدّه فاعتدّ، أي: صار معدودًا، واعتدّ به»(٢).

٢ . اصطلاحًا:

يقصد به: «الكلمات المصطلح عليها في اللغة للدلالة على كميات الأشياء التي يرمز إليها الرياضيون بالأرقام الحسابية»(٣).

ثانيًا: البنية الصرفية للعدد عشرة:

قال النّحاس:» ((اثنتا عَشِرة عينًا)) هذه لغة بني تميم، وهذا من لغتهم نادر لأن سبيلهم التخفيف، ولغة أهل الحجاز ((عَشْرَة)) وسبيلهم التثقيل»(٤).

وقال صاحب علل النحو: «واعلم أن (عشرة) المؤنّث فيها لغتان:

إحداهما كسر الشين، فهي لغة بني تميم

والثانية: إسكانها، وهي لغة الحجازيين، واختاروا كسر الشّين لثقل المؤنّث

في اللفظ والمعنى، فأمّا اللفظ فلزيادة الهاء، وأمّا المعنى فوقوعه للمؤنّث»(٥).

وقال صاحب شرح التصريح: «إذا كانت «العشرة» مختومة بالتاء سكنت «أنت» شينها في لغة «الحجازيين» فإنّهم ينطقون بها ساكنة كراهة توالي أربع متحركات فيما هو كالكلمة الواحدة، وكسرتها في لغة أكثر بني «تميم» تشبيهًا بتاء كيف، «وبعضهم» وهم الأقلّون من بني تميم يفتحها إبقاء لها على أصلها من الفتح، وبذلك قرأ يزيد بن القعقاع(٦).

﴿ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً ﴾[البقرة: ٦٠] وبعضهم يسكن العين من عشرة فيقول: أحد عْشَرَ عبدًا، احترازًا من توالي المتحركات قاله في المفصّل. وقد تبيّن بما ذكرنا أنّك تقول: «عندي» أحد عشر عبدًا، واثنا عشر رجلًا، بتذكيرهما «أي»: النيّف والعقد من المثالين، وإنّما جمعوا بين تأنيثين في: إحدى عشرة لاختلاف لفظي العلامتين، وفي اثنتا عشر إما لأن التاء بدل من الياء، وليست للتأنيث أو لأنّها زائدة للإلحاق بـ»أصبهان» وإمّا لأن» اثنان واثنتان» معربان، وعشرة مبنية، والمبني غير المعرب فكأنّهما اسمان: مضاف ومضاف إليه، وإمّا لأنّهما متضايفان حقيقة بدليل حذف النّون»(٧) .

المطلب الثاني: أنواع العدد:

ينقسم العدد على أربعة أقسام: (المفرد، المركب، ألفاظ العقود، المعطوف)

أولًا: المفرد:

قال صاحب النحوّ الوافي: «فالعدد المفرد يشمل «الواحد والعشر» وما بينهما. ويلحق به: لفظتا: «مائة، وألف» ولو اتصلت بهما علامة تثنية أو جمع، «كمائتين، وألفين، ومئات، وألوف،...؛ لأن معنى إفراد هذا القسم أنه ليس من الأقسام الثلاثة الأخرى؛ وليس المراد أنه غير مثنّى، وغير جمع»...كما يلحق به بعض كلمات أخرى؛ أما إعرابه وإعراب ملحقاته السابقة فبالحركات الظاهرة على آخره، إلّا ما كان داخلًا في حكم المثنّى أو الجمع؛ فيعرب إعرابهما، كاثنين، ومئتين، وألفين، ومئات، وكذا: مئون، في بعض الحالات»(٨).

ثانيًا: المركب:

قسم سيبويه المركب على قسمين: المذكر، والمؤنث:

فقال في المذكر: «إذا جاوز المذكر العشرة فزاد عليها واحدًا قلت: أحد عشر، كأنك قلت أحد جمل. وليست في عشر ألف، وهما حرفان جعلا اسمًا واحدًا، ضموا أحد إلى عشر ولم يغيّروا أحد عن بنائه الذي كان عليه مفردًا حين قلت: له أحدٌ وعشرون عامًا، وجاء الآخر على غير بنائه حين كان منفردًا والعدد لم يجاوز عشرة، فإن زاد المذكر واحدًا على أحد عشر قلت: له اثنا عشر، وإن له اثني عشر، لم تغير الاثنين عن حالهما إذا أثنيت الواحد غير أنك حذفت النون لأن عشر بمنزلة النون، والحرف الذي قبل النون في الاثنين حرف إعراب، وليس خمسة عشر، وإذا زاد العدد واحدًا على اثني عشر فإن الحرف الأول لا يتغير بناؤه عن حاله وبنائه حيث لم تجاوز العدّة ثلاثة والآخر بمنزلته حيث كان بعد أحدٍ واثنين. وذلك قولك: له ثلاثة عشر عبدًا، وكذلك ما بين هذا العدد إلى تسعة عشر.

أما المؤنث فقد قال فيه: «وإن جاوز المؤنث العشر فزاد واحدًا قلت: إحدى عشرة بلغة بني تميم، كأنما قلت: أحدى نبقة.

وبلغة أهل الحجاز: أحدى عشرة كأنما قلت: إحدى تمرة. وهما حرفان جعلا اسمًا واحدًا ضموا إحدى إلى عشرة ولم يغيّروا إحدى عن حالها منفردة حين قلت: له إحدى وعشرون سنة، وإذا زاد المؤنث واحدًا على إحدى عشرة قلت: له ثنتا عشرة واثنتا عشرة، وإن له ثنتي عشرة واثنتي عشرة. وبلغة أهل الحجاز: وبلغة أهل الحجاز: عشرة كما فعل ذلك بالمذكر وقد يكون اللفظ له بناء في حال فإذا انتقل عن تلك الحال تغيّر بناؤه. فمن ذلك تغييرهم الاسم في الإضافة، قالوا في الأفق أفقيٌّ، وفي زبينة زبانيّ ونحو هذا كثير في الإضافة، وإذا زاد العدد واحدًا فوق ثنتي عشرة فالحرف الأول بمنزلته حيث لم تجاوز العدّة ثلاثًا والآخر حيث كان بعد إحدى وثنتين وذلك قولك: ثلاث عشرة جارية و عشرة بلغة أهل الحجاز. وكذلك ما بين هذه العدّة إلى تسع عشرة، ففرقوا ما بين التذكير والتأنيث»(٩).

وقال ابن مالك:

وأحد اذكر، وصلنه بعشر — مركبًا قاصد معدودٍ ذكر
وقل لدى التأنيث إحدى عشره — والشين فيها عن تميمٍ كسره
ومع غير أحدٍ وإحدى — ما معهما فعلت فافعل قصدا
ولثلاثةٍ وتسعةٍ وما — بينهما إن ركّبا ما قدّما
وأولِ عشرة اثنتى وعشرا — ثنى، إذا أُنثى تشا أو ذكرا
واليا لغير الرفع، وارفع بالألف — والفتح في جزأي سواهما ألف(١٠).

ثالثًا: ألفاظ العقود:

قال ابن السَّرَّاج: «إذا ضاعفت أدنى العقود وهو عشرة كان له اسم من لفظه ولحقته الواو والنون والياء والنون، نحو: عشرون وثلاثون، إلى تسعين والذي يبين به هذه العقود لا يكون إلا واحدًا نكرة، تقول: عشرون ثوبًا وتسعون غلامًا، فإذا بلغت المائة تركت التنوين وأضفت المائة إلى واحد مفسر ووجب ذلك في المائة لأنها تشبه عشرة وعشرين أما شبهها بعشرة فلأنها عشر عشرات فوجب لها من هذه الجهة الإضافة، وأما شبهها بعشرين وتسعين فلأنها العقد الذي يلي تسعين، فوجب أن يكون مميّزها واحدًا، فأضيفت إلى واحد لذلك إلا أنك تدخل عليه الألف واللام إن شئت، لأن الأول يكون معرفة، وكذلك ألف حكمه حكم مائة وتثنيتها فتقول: مائة درهمٍ وألفا درهمٍ»(١١).

وقال ابن مالك:

وميّز العشرين للتسعينا — بواحدٍ كأربعين حينًا(١٢).

وقال صاحب النحو الوافي: «العدد العقد: ينحصر اصطلاحًا في الألفاظ: عشرين، ثلاثين، أربعين، خمسين، ستين، سبعين، ثمانين، تسعين. وحكم هذه العقود أنها تعرب إعراب جمع المذكر السالم في جميع أحوالها؛ لأنها ملحقة به؛ إذ هي اسم جمع مذكر، وليس جمع مذكر حقيقيًا، ومن الأمثلة قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفاً مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ [الأنفال: ٦٥]، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنا نُوحاً إِلى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلاَّ خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفانُ وَهُمْ ظالِمُونَ﴾[العنكبوت: ١٤]، ...هكذا. فحيثما توجد كلمة من ألفاظ العقود فإنه يتحتم إعرابها إعراب جمع المذكر، مهما اختلف موقعها الإعرابي»(١٣).

رابعًا: المعطوف:

وقال صاحب العدد في اللغة: «إذا زدت على العشرين نيفًا أعربته، وعطفت العشرين عليه، كقولك: أخذت خمسة وعشرين، وهذه ثلاثةٌ وعشرون»(١٤).

قال ابن مالك:

وميز العشرين للتسعينا — بواحدٍ كأربعين حينا(١٥).

وقال صاحب النحو الوافي: «العدد المعطوف: وينحصر بين عقدين من العقود الاصطلاحية السالفة كالأعداد المحصورة

بين عشرين وثلاثين، أو: بين ثلاثين وأربعين وخمسين، وهكذا...وكل عقد محصور بين عقدين على الوجه السالف لا بد أن يشتمل على معطوف، ومعطوف عليه، وأداة عطف((هي: الواو، ومنه: واحد وعشرون، اثنان وعشرون، ثلاثة وعشرون،...أربعة وثلاثون،...خمسة وأربعون، ...ستة وخمسون...سبعة وستون...ثمانية وسبعون،...))ومن هذه الأمثلة يتبين أن المعطوف لا بد أن يكون من نوع العقود، وأن المعطوف عليه ويسمى النيّف لا بد أن يكون من نوع المفرد((أي: المضاف))أو ما ألحق به من كلمة بضع وبضعة وأن أداة العطف هي الواو، دون غيرها، وحكم هذا القسم أن المعطوف عليه((وهو المفرد))، المسمى: بالنيّف لا بد لابد أن يتقدم دائمًا، وأن يعرب على حسب حاجة الجملة مع خضوعه لحكم إعراب نوعه المفرد الذي سبق في القسم الأول فيعرب فاعلًا، أو مفعولًا، أو مبتدأ، أو خبرًا، أو غير هذا على حسب السّياق، ويكون إعرابه بحركاتٍ ظاهرة على آخره إلا ما كان منه دالًا على تثنية؛ فيعرب إعراب المثنّى وأن المعطوف– ويكون بالواو خاصة– تبعه في الإعراب، ولكن بالحروف التي يعرب بها جمع المذكر السالم. ففي مثل: الحاضرون واحد وعشرون...تعرب كلمة((واحد)) خبرًا مرفوعًا، والواو حرف عطف، ((عشرون))معطوف على : ((واحد)) مرفوعة بالواو ونقول: كان الحاضرون واحدًا وعشرين...وأنست بواحدٍ وعشرين...وهكذا سائر الأعداد المعطوفة. إلا إن كان المعطوف عليه هو،((اثنان، واثنتان))؛ فيعربان كالمثنّى؛ نحو: الحاضرون اثنان وعشرون رجلًا، ومثل كانت الحاضرات اثنتين وعشرين؛ فاثنان واثنتان، إما مرفوعة بالألف، وإما منصوبة أو مجرورة بالياء.. في جميع حالات الأعداد المعطوفة»(١٦).

المطلب الثالث: وفيه قسمان:

أولًا: تذكير العدد وتأنيثه:

قال سيبويه:» اعلم أن ما جاوز الاثنين إلى العشرة مما واحده مذكر فإن الأسماء التي تبين بها عدته مؤنثة فيها الهاء التي هي علامة التأنيث. وذلك قولك: له ثلاثة بنين، وأربعة جمالٍ، وخمسة أُفراسٍ إذا كان الواحد مذكرًا، وستّة أحمرةٍ، وكذلك جميع هذا تثبت فيه الهاء حتى تبلغ العشرة، وإن كان الواحد مؤنثا فإنك تخرج هذه الهاءات من هذه الأسماء وتكون مؤنثة ليست فيها علامة التأنيث. وذلك قولك: ثلاثُ بناتٍ، وأربعُ نسوةٍ، وخمسُ أينقٍ، وستّ لبنٍ، وسبعُ تمراتٍ، وثماني بغلاتٍ. وكذلك جميع هذا حتّى تبلغ العشر»(١٧).

وقال ابن مالك:

ثلاثة بالتاء قل للعشرة ... في عدّ ما آحاده مذكرة
في الضد جرّد والمميز اجرر ... جمعًا بلفظ قلة في الأكثر
ومائة والألف للفردِ أضف ... ومائة بالجمع نزرًا قد رُدف(١٨).

وقال صاحب النحو الواضح:

«١. العدد عشرة يكون على عكس المعدود إن كان مفردًا، وعلى وفقه إن كان مركبًا.
٢. العددان واحد واثنان يوافقان المعدود مفردين، أو مركبين، أو معطوفًا عليهما.
٣. مائة وألف وألفاظ العقود تلزم صورة واحدة، سواء أكان المعدود مذكرًا أم مؤنثًا.
٤. الأعداد من ثلاثة إلى تسعة تكون على عكس المعدود مفردة، أو مركبة، أو معطوفًا عليها»(١٩).

ثانيًا: ألفاظ العدد:

قال علي الجارم «اعلم أن ألفاظ العدد على ثلاثة أقسام:

أحدهما: ما يجري دائمًا على القياس في التذكير والتأنيث، فيذكر مع المذكر، ويأنث مع المؤنث، وهو الواحد والاثنان، وما كان على صيغة فاعل، تقول في المذكر: واحد، واثنان، وثانٍ، وثالث، ورابع،– إلى عاشر، وفي المؤنث: واحدة، واثنتان، وثانية، وثالثة ورابعة– إلى عاشرة.

والثاني: ما يجري على عكس القياس دائمًا، فيؤنث مع المذكر، ويذكر مع المؤنث، وهو الثلاثة والتسعة وما بينهما؛ تقول:

ثلاثةُ رجالٍ وثلاثُ نسوةٍ، قال تعالى: ﴿ سَخَّرَها عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيالٍ وَثَمانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً فَتَرَى الْقَوْمَ فِيها صَرْعى كَأَنَّهُمْ أَعْجازُ نَخْلٍ خاوِيَةٍ ﴾ [الحاقة:٧].

وقال ابن هشام «والثالث: ماله حالتان، وهو((العشرة)) فإن استعملت مركبة جرت على القياس؛ تقول: ((ثلاثة عشر عبدًا)) بالتذكير،((وثلاث عشرة أمة)) بالتأنيث، وإن استعملت غير مركبة جرت على خلاف القياس، وتقول : ((عشرةُ رجالٍ)) بالتأنيث، و ((عشرُ إماءٍ)) بالتذكير»(٢٠).

المطلب الرابع: مميّز الأعداد:

قال صاحب شرح المغني في النحو:» قوله: والمميّز [أي] : ومميّز الأعداد على ضربين: مجرور ومنصوب فالمجرور [أي] [فالمميّز المجرور] على ضربين:

الضّرب الأوّل: مفرد أي: مميّز مجرور مفرد، وهو مميّز المئة والألف نحو: مئة دُرهمٍ، وألفُ دينارٍ وإنّما كان مميّزهما مجرورًا بالإضافة لإضافتهما إليه، ومفردًا لحصول الغرض به مع كونه أخفّ من الجمع وسنين في قوله تعالى: في سورة الكهف ﴿ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعاً ﴾ بدل [من ثلاثمائة] لا مميّز لمئة.

والضرب الثّاني: مجموع أي: مميّز مجرور مجموع، وهو مميّز الثلاثة إلى العشرة نحو: ثلاثة أبوابٍ، وعشرةُ غلمةٍ وعشرُ نسوةٍ، وإنّما كان مميّزهما مجرورًا لإضافتهما إليه و مجموعًا لفظًا كما ذُكر، ومعنى نحو: ثلاثة نفرٍ(أي طائفة) ليوافق العدد المعدود، أي: المميّز لكونه إياه في المعنى ففي قوله: فالمجرور مفرد إلى قوله عشرُ نسوةٍ لفٌ ونشر.

قوله: وقد شذّ إلى آخره جواب [عن] سؤال مقدّر، وهو أن يقال: قد ذكرت أن مميّز الثلاثة إلى العشرة مجموع فما تقول في ثلاثمائة و أربعمائة إلى تسعمائة فإن (مئة) مميّزة لثلاث، وأربع، إلى تسع وليست بجمع [لا] لفظًا ولا معنى لكون المئة موضوعة لعدد معيّن ولا شيء من الجمع كذلك؟ فأجاب بقوله: وقد شذ ثلاثمائة وأربعمائة إلى تسعمائة، وكان القياس أن يضاف إلى (مئين) إن أريد المذكر العاقل، وإلى مئات إن أريد غير المذكّر العاقل ويقال: ثلاثُ مئين، وثلاثُ مئات، وإنّما جوّزوا إضافتها إلى لفظ المئة لوجود[معنى] الكثرة فيها فأشبهت الجمع.

قوله: والمميّز المنصوب هذا عطفٌ على قوله: فالمجرور مفرد، أي: والمميّز المنصوب هو مميّز الأعداد التي هي من أحدَ عشر إلى تسعةٍ و تسعين ولا يكون ذلك المميّز المنصوب إلا مفردًا نحو: أحدَ عشرَ درهمًا إلى تسعةٍ وتسعين درهمًا، وإنّما كان مميّز أحدَ عشر لكراهيتهم أن يجعلوا ثلاثة أسماء كالاسم الواحد إذ يكون المضاف والمضاف إليه كشيء واحد ولتعذّر الإضافة في باب عشرين[كما في أحد عشر] أيضًا، إذ لا يجوز إبقاء النون لأنه مؤذن بالانفصال والإضافة [مؤذنة] بالاتصال وهما ضدّان فلا يجتمعان، ولا يجوز حذف النون لأنّها من أصل الكلمة فلما تعذّرت الإضافة فيهما تعذّر أن يكون مميّزهما مجرورًا فتعيّن أن يكون [مميّزهما] منصوبًا، وإنّما كان مميّز أحدَ عشر إلى تسعةٍ وتسعين مفردًا لحصول الغرض به مع كونه أخف من الجمع وإنّما لم يذكر مميّز واحد ولا مميّز اثنين لأن الواحد والاثنين لا يستعملان مع معدودهما أي: مع مميّزهما للاستغناء بلفظ معدودهما، أي: مميّزهما عنهما فإن [رجلًا] يدلُ على الواحد و رجلين [يدلُ] على الاثنين بخلاف الجمع نحو: الرجال فإنّه لا يدلُ على عددٍ معين.

قوله ومميّز العشرة، وما دونها حقّهُ، أي: حقُّ ذلك المميّز أن يكون جمع قلّة ليطابق المميّز العدد في القلّة وهو العشرة فما دونها نحو: ثلاثةُ شسوع، والشُّسوع: جمع الشّسع[وهو جمع كثرة]، ولم يجيء للشّسع جمع على (أشسع، أفلس ولا أشساع) قال الجوهري في الصّحاح : ((الشّسع، واحد شسوع النّعل التي تشدُّ في زمامها، تقول منه: شسعتُ النّعل وقال أبو الغوث: شسعتُ النّعلَ بالتشديد وكذلك أشسعتُها))» (٢١).

المطلب الخامس: تعريف العدد بـ (أل):

قال ابن جني في اللُّمع» فإن أردت تعريف شيء من العدد وكان غير مضاف جئت باللّام في أوّله فقلت قبضتُ الأحدَ عشرَ درهمًا وحصلت عندي الثلاثَ عشرةَ جارية واستوفيتُ العشرون درهمًا والخمسةَ والسِّتّون ألفًا ولا يجوز العشرون الدرهم ولا الخمسةَ عشرَ الدِّينار ولا نحو ذلك لأن المميّز لا يكون إلّا نكرة على أن الكتاب الآن على طريقة البغداديين

فيه وفيه من القبح ما ذكرته فإنّ كان العدد مضافًا عرّفت الاسم الآخر فتعرّف به المضاف إليه وذلك قولك قبضتُ خمسَ المائة التي تعرف وما فعلتُ في سبعةِ الآلافِ التي كانت على فلان وكذلك إن تراخى الآخر نحو قولك قبضتُ خمسَ مائة ألف الدرهم وما فعلتُ أربع مائة ألف الدينار التي كانت لفلان تعرّف الآخر فتعرّف به الأول»(٢٢).

وقال صاحب النحو الواضح: «إذا أريد تعريف عدد ((بأل)) فإن كان مضافًا أدخلت ((أل)) على المضاف إليه، وإن كان مركبًا أدخلته على صدره، وإن كان معطوفًا عليه أدخلت على الجزأين»(٢٣).

المطلب السادس: أسماء العدد التي على وزن فاعل:

قال سيبويه: «كم هي مع تمامها الّذي هو من ذلك اللفظ فبناء الاثنين وما بعده إلى العشرة فاعلٌ، وهو مضاف إلى الاسم الّذي به يبيّن العدد. وذلك قولك: ثاني اثنين. قال الله عزّ وجلّ: ، وكذلك ما بعد هذا إلى العشرة. وتقول في المؤنث ما تقول في المذكر، إلّا أنّك تجيء بعلامة التأنيث في فاعلةٍ وفي ثنتين واثنتين، وتترك الهاء في ثلاثٍ وما فوقها إلى العشر. وتقول هذا خامسُ أربعةٍ؛ وذلك أنك تريد أن تقول: هذا الّذي خمس الأربعة، كما تقول : خمستهم و ربعتهم. وتقول في المؤنّث: خامسةُ أربعٍ، وكذلك جميع هذا من الثلاثة إلى العشرة. إنّما تريد هذا الّذي صيّر أربعة خمسة وقلّما تريد العرب هذا وهو قياس. ألا ترى أنك لا تسمعُ أحدًا يقول: ثنّيتُ الواحد ولا ثاني واحدٍ. و إذا أردت أن تقول في أحدَ عشر كما قلت خامس قلت حادي عشر وتقول: ثاني عشر، وثالث عشر. وكذلك هذا. إلى أن تبلغ تسعة عشر و يجري مجرى خمسةَ عشر في فتح الأول والآخر، وجعلا بمنزلة اسم واحد كما فعل ذلك بخمسة عشر. وعشر في هذا أجمع بمنزلته في خمسةَ عشر. وتقول في المؤنّث كما تقول في المذكّر، إلّا أنك تدخل فاعلة علامة التأنيث، وتكون عشرة بعدها بمنزلتها في خمس عشر، وذلك قولك حادية عشرة وثانية عشرة وثالثة عشرة، وكذلك جميع هذا إلى أن تبلغ تسع عشرة. ومن قال: خامس خمسةٍ قال: خامس خمسة عشر، وحادي أحد عشر، وكان القياس أن تقول: حادي عشر و خامس عشر بمنزلة خامس و سادس، ولكنّه يعني حادي ضمّ إلى عشر، بمنزلة حضرموت. قال: تقول حادي عشر متبيّنة وما أشبهه كما قلت: أحد عشر وما أشبهه، فإن قلت: حادي أحد عشر فحادي و ما أشبهه معها صارت ثلاثة أشياء اسمًا واحدًا. و قال بعضهم: تقول ثالث عشر ثلاثة عشر ونحوه. وهو القياس، ولكنّه حُذِف استخفافًا؛ لأن ما أبقوا دليل على ما ألقوا، فهو بمنزلة خامس خمسةٍ في أن لفظ أحد عشرًا كما أن في خامس لفظِ خمسةٍ لما كان من كلمتين ضمّ أحدُهما إلى الآخر، وأُجري مجرى المضاف في مواضع، صار بمنزلة قولهم حادي عشر بمنزلة خامس خمسة ونحوه. وإنّما حادي عشر بمنزلة خامسٍ. وليس قولهم ثالثُ ثلاثة عشر في الكثرة كثالث ثلاثة؛ لأنّهم قد يكتفون بثالث عشر و تقول: هذا حادي أحد عشر إذا كنّ عشر نسوةٍ معهنّ رجل؛ لأن المذكّر يغلب المؤنّث، ومثل ذلك قولك: خامس خمسةٍ إذا كنّ أربعُ نسوةٍ فيهن رجل، كأنّك قلت: هو تمام خمسة. وتقول: هو خامسُ أربعٍ إذا أردت أنّه صيّر أربعُ نسوةٍ خمسة. ولا تكاد العرب تكلّم به كما ذكرتُ لك. وعلى هذا تقول: رابع ثلاثة عشر، كما قلت: خامس أربعة عشر. وأمّا بضعة عشر فبمنزلة تسعة عشر في كلّ شيء، وبضع عشرة كتسع عشرة في كلّ شيء»(٢٤).

المبحث الثاني: الدراسة النحويّة

المطلب الأوّل: العدد عشرة مفردًا:

ورد العدد عشرة مفردًا في ثمان آيات وهي حسب ترتيب المصحف كالآتي:

أوّلا: [سورة البقرة:١٩٦]:

قال تعالى: ﴿ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ﴾.

قال النحّاس: «ابتداء وخبر» (٢٥).

وقال الصافي: «تي اسم إشارة مبني على السّكون الظاهرة على الياء المحذوفة لالتقاء الساكنين في محل رفع مبتدأ، و(اللام) للبعد و(الكاف) للخطاب، و(عشرة) خبر مرفوع، و(كاملة) نعت لعشرة مرفوع مثله»(٢٦).

ثانيًا: [سورة البقرة:٢٣٤]:

قوله تعالى: ﴿ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْراً ﴾.

قال الصافي: «(أربعة) ظرف زمان منصوب متعلق بفعل يتربصن(أشهر) مضاف إليه مجرور (الواو) عاطفة (عشرًا) معطوف على أربعة منصوب مثله»(٢٧).

ثالثًا: [سورة المائدة:٨٩]:

قوله تعالى: ﴿ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعامُ عَشَرَةِ مَساكِينَ ﴾.

قال النحّاس: «﴿ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعامُ عَشَرَةِ مَساكِينَ ﴾ ابتداء وخبر، ويجوز تنوين إطعام.

ونصب عشرة بغير تنوين وبتنوين على أن يكون مساكين في موضع نصب على البدل» (٢٨).

وقال العكبري: «(إطعام): مصدر مضاف إلى المفعول به، والجيّد أن يقدَّر بفعل قد سُمّي فاعله؛ لأن ما قبله وما بعده خطاب؛ فـ (عشرة) على هذا في موضع نصب»(٢٩).

وقال الصافي: «الفاء رابطة لجواب شرط مقدر (كفارة) مبتدأ مرفوع و(الهاء) ضمير مضاف إليه (إطعام) خبر مرفوع (عشرة) مضاف إليه مجرور (مساكين) مضاف إليه مجرور وعلامة الجر الفتحة فهو ممنوع من الصرف على صيغة منتهى الجموع»(٣٠).

وقال الدرويش: «الفاء الفصيحة، أي: إذا حنثتم فيما عقدتم الأيمان، فهي جواب شرط مقدر. وكفارته مبتدأ، والضمير يعود على الحنث المفهوم من الشرط المقدر، وارتأى الزمخشري أن يعود على ما الموصولية، ولابد من تقدير مضاف، أي: كفارة حنثه. وإطعام خبر، وعشرة مساكين مضاف إليه»(٣١).

رابعًا: [سورة الأنعام: ١٦٠]

قوله تعالى: ﴿ مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثالِها ﴾.

هنا ظاهر الآية موافقة العدد للمعدود في التذكير والأصل هو مخالفته ووجه العلماء في ذلك:

قال النحّاس: «﴿ مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَةِ﴾ ابتداء وهو شرط والجواب ﴿ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثالِها﴾ أي فله عشرُ حسناتٍ أمثالها، وحكى سيبويه عندي عشرةُ رجال نسابات»(٣٢).

وقال العكبري:» ﴿ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثالِها﴾؛ أي: فلهُ عشرُ حسناتٍ أمثالُها فاكتفى بالصفة»(٣٣).

وقال السمين الحلبي : «قوله تعالى: ﴿ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثالِها﴾ إنّما ذكر العدد والمعدود مذكر لأوجه منها:

أن الإضافة لها تأثير...فأكسب المذكر من المؤنث التأنيث فأُعطي حكم المؤنث من سقوط التاء من عدده، ولذلك يؤنث فعله حالة إضافته لمؤنث نحو ﴿ تلتقطه بعض السّيّارة﴾.

و قوله ..... كما شرقت صدر القناة(٣٤).

و قوله..... تسفّهت أعاليها مرّ الرياح (٣٥).

ومنها: أنه راعى الموصوف المحذوف والتقدير: فله عشرُ حسناتٍ أمثالها ثم حذف الموصوف وأقام صفته مُقامَه تاركًا العدد على حاله...وقال أبو علي اجتمع ههنا أمران كل منهما يوجب التأنيث فلما اجتمعا قوي التأنيث أحدهما: أن الأمثال في المعنى (حسنات) فجاز التأنيث كقوله

..... ثلاث شخوصٍ كاعبان ومعصر

والآخر: أن المضاف أي المؤنث قد يؤنث وإن كان مذكرًا كقول من قال (قُطِعت بعضُ أصابعهِ)»(٣٦).

خامسًا: [سورة الأعراف:١٤٢]:

قوله تعالى: ﴿ وَواعَدْنا مُوسى ثَلاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْناها بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾.

قال الصافي: «الواو عاطفة (أتممنا) فعل ماضٍ و فاعله...، و (ها) ضمير مفعول به (بعشر) جار ومجرور متعلق بـ(أتممنا)»(٣٧).

سادسًا: [سورة هود:١٣]:

قوله تعالى: ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ﴾.

قال الصافي: «(قل) فعل أمر، والفاعل أنت (الفاء) رابطة لجواب شرط مقدر يفسره الشرط الآتي (ائتوا) فعل أمر مبني على حذف النون.. والواو فاعل (بعشر) جار ومجرور متعلق بـ (ائتوا)، (سور) مضاف إليه مجرور (مثل) نعت لعشر مجرور و (الهاء) ضمير مضاف إليه (مفتريات) نعت لعشر مجرور»(٣٨).

سابعًا: [سورة طه:١٠٣]:

قوله تعالى: ﴿ يَتَخافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلاَّ عَشْراً ﴾.

قال مكي بن أبي طالب القيسي: «نصب بلبثتم»(٣٩).

وقال الصافي: «(إن) نافية (إلا) أداة حصر (عشرًا) ظرف زمان منصوب، أي عشر ليال. و جملة (يتخافتون...) في محل نصب حال ثانية من المجرمين. وجملة: (لبثتم) في محل نصب مقول القول لحال أي قائلين إن لبثتم»(٤٠).

وقال الدرويش : «جملة ﴿ يَتَخافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلاَّ عَشْراً ﴾ الجملة حال من المجرمين أو مستأنفة مسوقة لبيان حالهم في ذلك اليوم...، وإن نافية ولبثتم فعل وفاعل وإلا أداة حصر وعشرًا ظرف زمان ذهابًا إلى الليالي لأن الشهور غررها الليالي فتكون الأيام داخلة تبعًا»(٤١).

ثامنًا: [سورة القصص:٢٧].

قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْراً فَمِنْ عِنْدِكَ ﴾.

قال الصافي: «(الفاء) عاطفة (أتممت) ماضٍ مبني على السكون في محل جزم فعل الشرط (عشرًا) ظرف زمان منصوب متعلق بـ (أتممت)»(٤٢).

وقال الخرّاط : «وقوله ﴿ فَمِنْ عِنْدِكَ﴾: الفاء رابطة، والجار متعلق بخبر لمبتدأ محذوف أي: فالتمام من عندك. وقوله ﴿عَشْراً﴾: ظرف زمان متعلق بـ (أتممت)، والتمييز محذوف أي: عشر حجج دلّ عليه ما قبله «(٤٣).

المطلب الثّاني: العدد عشرة مركبًا:

أوّلا: [سورة البقرة:٦٠]:

قوله تعالى: ﴿ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتا عَشْرَةَ عَيْناً ﴾.

قال النّحّاس: «اثنتا في موضع رفع (فانفجرت) وعلامة الرفع فيها الألف وأعربت دون نظائرها لأن التثنية معربة أبدًا لصحة معناها. عينًا نصب على البيان وقرأ مجاهد وطلحة وعيسى اثنتا عشرة عينًا وهذه لغة بني تميم وهذا من لغتهم نادر لأن سبيلهم التخفيف، ولغة أهل الحجاز (عشرة) وسبيلهم الثقيل»(٤٤).

وقال الصافي: «الفاء عاطفة (انفجر) فعل ماضٍ و (التاء) للتأنيث، (من) حرف جر و(الهاء) ضمير في محل جر متعلق بـ (انفجرت)، (اثنتا) فاعل مرفوع وعلامة الرفع الألف فهو ملحق بالمثنى (عشرة) جزء عددي مبني على الفتح لا محل له (عينًا) تمييز منصوب»(٤٥).

ثانيًا: [سورة الأعراف:١٦٠]:

قوله تعالى: ﴿ وَقَطَّعْناهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْباطاً ﴾.

قال النحاس: «﴿ وَقَطَّعْناهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْباطاً ﴾ التقدير أمّة فلهذا أجاز التأنيث أسباطًا بدل من اثنتي عشرة. أمّا نعت لأسباط، والمعنى: جعلناهم اثنتي عشرة فرقة»(٤٦).

وقال الدرويش: «الواو عاطفة، وقطعناهم فعل وفاعل ومفعول به، واثنتي عشرة حال من مفعول قطعناهم، فيكون اثنتي عشرة مفعولًا به ثانيًا، وأسباطًا بدل من اثنتي عشرة، أي فرقة. قال أبو إسحاق الزّجاج: ولا يجوز أن يكون تمييزًا، لأنه لو كان تمييزًا لكان مفردًا. وأمّا بدل من (أسباطًا) فهو بدل من البدل وهو الأسباط» (٤٧).

وقال الخرّاط: «اثنتي: حال منصوبة بالياء، لأنّها ملحقة بالمثنّى، (عشرة) : جزء مبني على الفتح لا محل له من الإعراب، وتمييزه محذوف أي: فرقة، (أسباطًا) بدل من التمييز، ولا يكون (أسباطًا)تمييزًا؛ لأنه مذكر جمع، (أممًا) بدل من(أسباطًا)» (٤٨).

وقال العكبري: «﴿ وَقَطَّعْناهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ ﴾: فيه وجهان: أحدهما: أن قطّعنا بمعنى صيّرنا، فيكون اثنتي عشرة مفعولًا ثانيًا. والثاني : أن يكون حالًا؛ أي: فرّقناهم فرقًا. و(عشرة): بسكون الشين وكسرها وفتحها لغات، وقد قرئ بها . و(أسباطًا): بدل من (اثنتي عشرة)، لا تمييز؛ لأنه جمع»(٤٩).

وقال الزمخشري: «وقطعناهم وصيرناهم قطعًا، أي فرقًا وميّزنا بعضهم من بعض لقلة الألفة بينهم. وقرئ وقطعناهم بالتخفيف اثنتي عشرة أسباطًا كقولك اثنتي عشرة قبيلة. والأسباط: أولاد الولد، جمع سبط وكانوا اثنتي عشرة قبيلة من اثنى عشر ولدًا من ولد يعقوب عليه السلام. فإن قلت: مميز ماعدا العشرة مفرد، فما وجه مجيئه مجموعًا؟ و هلّا قيل: اثنى عشر سبطًا؟ قلت : لو قيل ذلك لم يكن تحقيقًا لأن المراد: وقطعناهم اثنتي عشرة قبيلة، وكل قبيلة أسباطًا لا سبط، فوضع أسباطًا موضع قبيلة. وأممًا بدل من اثنتي عشرة. بمعنى: وقطعناهم أممًا لأن كل أسباط كانت أمة عظيمة وجماعة كثيفة العدد، وكل واحدة كانت تؤمّ خلاف ما تؤمّه الأخرى، لا تكاد تأتلف»(٥٠).

ثالثًا: [سورة الأعراف:١٦٠]:

قوله تعالى: ﴿ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتا عَشْرَةَ عَيْناً ﴾.

قال الدرويش: «الفاء الفصيحة أي: فضرب فانبجست، ومنه جار ومجرور متعلقان بانبجست ، واثنتا عشرة فاعل انبجست، وعينًا تمييز»(٥١).

وقال الخرّاط: «(اثنتا) فاعل مرفوع بالألف، لأنه ملحق بالمثنى، (عشرة) جزء مبني على الفتح لا محل له، (عينًا) تمييز جملة(قد علم كلّ أناس) نعت لـ(اثنتا عشرة)» (٥٢).

وقال دعاس: «﴿ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ ﴾ الفاء عاطفة وفعل ماضٍ تعلق به الجار والمجرور. (اثنتا) فاعل مرفوع وعلامة رفعه الألف»(٥٣).

رابعًا: [سورة التوبة:٣٦]:

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنا عَشَرَ شَهْراً ﴾.

قال النحّاس: «إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرًا اسم (إن) وخبرها، وأعربت اثنا عشر دون نظائرها فيها حرف الإعراب أو دليله»(٥٤).

وقال الدرويش: «إن واسمها والشهور مضاف إليه وعند الله ظرف متعلق بمحذوف حال أي في حكمه واثنا خبر إن مرفوع بالألف لأنه مثنى وعشر جزء عددي مبني على الفتح وشهرًا تمييز وهي الشهور القمرية المعروفة، في كتاب الله صفة لاثنتي عشر»(٥٥).

وقال الخرّاط: «(اثنا): خبر (إن) مرفوع بالألف؛ لأنه ملحق بالمثنى، (عشر) جزء مبني على الفتح لا محل له، و(شهرًا) تمييز، والجار بعده متعلق بنعت لـ (اثنا عشر) وجملة منها أربعة حرم) نعت (اثنا عشر)»(٥٦).

خامسًا: [سورة يوسف:٤]:

قوله تعالى: ﴿ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً ﴾ .

قال دعاس: «(أحد عشر) جزآن عدديان مبنيّان على الفتح في محلّ نصب مفعول به (كوكبا) تمييز منصوب (الواو) عاطفة في الموضعين (الشمس، القمر) اسمان معطوفان على أحد عشر منصوبان»(٥٧).

سادسًا: [سورة المدثر:٣٠]:

قوله تعالى: ﴿ عَلَيْها تِسْعَةَ عَشَرَ ﴾.

قال مكي بن أبي طالب القيسي: «تسعة عشر في موضع رفع بالابتداء وعليها الخبر وهما اسمان حذف بينهما حرف العطف

وتضمناه فبنيا لتضمنهما معنى الحرف وبنيا على الفتح لخفته وقيل بنيا على الفتح الذي كان للواو المحذوفة وأجاز الفرّاء إسكان العين في الكلام من ثلاثة عشر إلى تسعة عشر»(٥٨).

وقال الصافي: «عليها متعلق بمحذوف خبر مقدم (تسعة عشر) جزآن عدديان مبنيان على الفتح في محل رفع مبتدأ مؤخر»(٥٩).

المبحث الثالث: الدراسة السياقيّة

في هذا المبحث سأتناول الدراسة السياقية للآيات التي مرّ ذكرها في الدراسة النحوية للعدد عشرة (مفردًا– ومركبًا) وذلك بأن أُبيّن سياق الآية وموضوعها من خلال مقطعها الذي وردت فيه والسورة التي وردت فيها:

المطلب الأول: سورة البقرة: ١٩٦:

قوله تعالى: ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ .

جاءت هذه الآية في سورة البقرة وهي مدنية بالاتفاق(٦٠) ،وسياق هذه الآية ضمن سلسلة من آيات الأحكام سبقتها كأحكام السعي بين الصفا والمروة وأحكام القصاص وأحكام الصيام ثم جاءت هذه الآية الخاصة بأحكام الحج والعمرة واستمرّ السياق بعدها في تفصيل أحكام الحج، ونلحظ أن العدد عشرة المفرد قد ذكر في موضوعات الأحكام الخاص لمن لم يستطع ذبح الهدي وهو الصيام عشرة أيام، ثلاثة في الحج وسبعة عند الرجوع إلى أهله (٦١).

المطلب الثاني: سورة البقرة:٢٣٤:

قوله تعالى: ﴿أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْراً﴾.

هذه الآية في سورة البقرة وهي مدنية(٦٢)، وسياقها ضمن آيات الأحكام وقد سبقتها آيات الحيض والطلاق والرّضاع ثم جاءت بعدها هذه الآية التي تخص المرأة المتوفى عنها زوجها ثم جاء السياق بعدها في الخطبة وأحكام الطلاق قبل الزواج ثم عاد إلى الحديث عن المتوفى عنها زوجها, نرى أن العدد عشرة المفرد جاء في سياق أحكام العدة التي تخص المرأة المتوفى عنها زوجها والتي هي أربعة أشهر وعشرة أيام (٦٣).

المطلب الثالث: سورة المائدة: ٨٩ :

قوله تعالى: ﴿فَكَفَّارَتُهُ إِطْعامُ عَشَرَةِ مَساكِينَ﴾ .

هذه الآية في سورة المائدة وهي مدنية(٦٤)، وسياق هذه الآية في الأحكام فقد سبقها سياق الحديث عن بني إسرائيل وعن من هم أكثر عداوةً للمؤمنين وهم اليهود وأكثرهم مودةً وهم النصارى ثم بين عدم تحريم ما أحلّ الله لنا من الطيّبات وعدم الاعتداء(فالله) لا يحب المعتدين ثم تحدثت هذه الآية التي جاء سياقها في الحنث باليمين فله كفارة تخصه تبين فيها العدد عشرة مفردًا وهي إطعام عشرة مساكين من أوسط ما يطعم الحانث بيمينه أهله أو كسوتهم أو عتق رقبة فإن لم يستطعهما يصوم عشرة أيام تلك هي كفارة اليمين التي جاء الحديث عنها في سياق هذه الآية واستمر السياق بعدها في الخمر والميسر وحرمتهما وأنهما رجس من عمل الشيطان علينا اجتنابه وتحدثت عن الصيد في البيت الحرام وأحكامه التي تخصّه والتي هي ليست موضوع بحثنا، فنرى أن العدد عشرة المفرد ورد في سياق بيان الحكم والذي يخص الأيمان فمن حلف (بالله تعالى) ثم حنث بيمينه فعليه كفارة وهي إطعام عشرة مساكين كما بينّا (٦٥).

المطلب الرابع: سورة الأنعام: ١٦٠:

قوله تعالى: ﴿مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثالِها﴾ .

هذه الآية في سورة الأنعام وهي مكية(٦٦)، لقد سبقت هذه الآية آيات الأحكام التي تخص الأنعام وتفصيلاتها وأكل المحرم منها في الاضطرار وعدمه وبيان ما حرّم الله علينا ثم نرى أن سياق آيتنا هذه جاء في بيان الجزاء ثم جاء بعدها سياق أمر (الله تعالى) إلى رسوله محمد(صلى الله عليه وآله وسلم). بأن يقول للناس أن ملته ملة إبراهيم(عليه السلام) ولا يشرك بالله شيئًا ولا يبغي غيره ربًا وأمر (الله تعالى) إلى النبي محمد(صصلى الله عليه وآله وسلم). هو أمره إلى البشر كافة ونرى أن

العدد عشرة المفرد جاء لبيان الجزاء فيمن جاء بحسنة واحدة فله عشر حسنات أمثال حسنته (٦٧).

المطلب الخامس: سورة الأعراف: ١٤٢:

قوله تعالى: ﴿ وَوَاعَدْنا مُوسى ثَلاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْناها بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴾.

هذه الآية في سورة الأعراف وهي مكية (٦٨)، وقد جاء سياق هذه الآية في الحديث عن قصة موسى (عليه السلام) والطاغية فرعون فسبقت هذه الآية آيات عقاب فرعون لمن آمن (بالله تعالى) وإيذائه لهم ثم جاءت هذه الآية التي ذكر فيها العدد عشرة مفردًا وسياقها في بيان الزمن وهو عدد الأيام التي واعد (الله تعالى) بها موسى(عليه السلام) والتي هي ثلاثون ليلة وعشرة ليالٍ فتمت أربعون ليلة ثم نلاحظ أن السياق بعدها جاء في الحديث عن كلام (الله تعالى) لموسى(عليه لسلام) وطلبه رؤية الله إلى نهاية القصة، ويقال أنها ثلاثين من ذي القعدة وعشر من ذي الحجة فتمم الله به أربعين ليلة (٦٩).

المطلب السادس: سورة هود:١٣:

قوله تعالى: ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَياتٍ ﴾.

هذه الآية في سورة هود وهي مكية (٧٠)، وسياق هذه الآية في التحدي بعد أن كُذب رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) وكيف ينزل القرآن على رجلٍ كرسولنا(صلى الله عليه وآله وسلم) دون أن ينزل عليه كنز أو يأتي معه ملك فسلّاه (الله تعالى) في هذه الآيات ثم جاءت هذه الآية كما قلنا في سياق التحدي وهو أن يأتي المشركون الذين قالوا أن النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) قد افترى القرآن عليهم افتراءً بأن يأتوا بعشر سورٍ مثله مفتريات كافترائه الذي نعتوه به ولم يأتِ أحدٌ بمثله أبداً ثم جاء السياق بعدها في الحديث عن الكافرين وعقوبتهم في النار فجاءت تسلية للنبي(صلى الله عليه وآله وسلم) ونلحظ أن العدد عشرة المفرد قد ذُكر في سياق التحدي لمن قال بأن القرآن مفترى وهو أن يأتي بعشر سورٍ مثله مفتريات ولم يأتِ أحد بواحده مثله (٧١).

المطلب السابع: سورة طه:١٠٣.

قوله تعالى: ﴿ يَتَخافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلاَّ عَشْراً ﴾.

هذه الآية في سورة طه وهي مكية (٧٢)، جاء سياق هذه الآية في بيان الزمن والمدة وقد بين العدد عشرة المفرد كيف يتخافت المجرمون فيما بينهم من أنهم لم يلبثوا إلا عشر ليالٍ وقد سبق الآية هذه سلسلة من الآيات التي تحدثت عن قصة موسى وهارون (عليهما السلام) والسامري الذي جعل بني إسرائيل يعبدون العجل من دون(الله تعالى) ثم بيّنا العدد عشرة وسياقه وبعدها جاء السياق في الحديث عن يوم القيامة وأهوالها وتلاها الحديث عن قصة آدم (عليه السلام) في الجنة هو وزوجه إلى أن انتهت القصة(٧٣).

المطلب الثامن: سورة القصص:٢٧.

قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْراً فَمِنْ عِنْدِكَ ﴾.

هذه الآية في سورة القصص وهي مكية (٧٤)، جاء سياق هذه الآية في سلسلة من آيات الحديث عن قصة موسى (عليه السلام) ودخوله المدينة وقتله الرجل بوكزه وورود ماء مدين وسقايته الفتاتين ابنتي الشيخ الكبير ثم استمر السياق بعد هذه الآية في قصة موسى(عليه السلام) بعد زواجه من ابنة الشيخ وكلام(الله تعالى) له وأمره بالذهاب إلى فرعون، نلاحظ أن العدد عشرة المفرد جاء سياقه في بيان الزمن وهو أن الشيخ الكبير أراد تزويج موسى(عليه السلام) إحدى ابنتيه شرط أن يشتغل عنده ثمان سنين فإن أتمها عشرًا ففضلًا من عنده فهي ثمان سنين وتضاف إليها سنتين فضلًا منه لتصبح عشر سنين(٧٥).

المطلب التاسع: سورة البقرة:٦٠:

قوله تعالى: ﴿ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتا عَشْرَةَ عَيْناً ﴾.

هذه الآية في سورة البقرة وهي مدنية(٧٦)، وسياق هذه الآية في الحديث عن قصة موسى (عليه السلام) وقومه ثم جاء العدد عشرة مركبًا وسياقه في بيان العدد وهو أنه موسى(عليه السلام) عندما استسقى لقومه فأوحى (الله تعالى) إلى نبيه موسى (عليه السلام) أن يضرب الحجر بعصاه فتنفجر منه اثنتا عشرة عينًا ثم استمر السياق بالحديث عن قصة موسى (عليه السلام)

وقومه وطلبهم أن يدعو لهم (الله تعالى) بإخراج النبات من الأرض وهبوطهم مصر ليجدوا ما أرادوا، فنلحظ أن العدد عشرة المركب جاء لبيان العدد وهو أن (الله تعالى) أوحى إليه أن يضرب الحجر بعصاه فتنفجر منه اثنتا عشرة عينًا (٧٧).

المطلب العاشر: سورة الأعراف: ١٦٠:

قوله تعالى: ﴿ وَقَطَّعْناهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْباطاً ﴾.

هذه الآية في سورة الأعراف وهي مكية(٧٨)، وسياق هذه الآية جاء لبيان العدد وقد سبقته آيات الحديث عن أمر(الله تعالى) لنبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) بأن يقول لقومه أنه مرسل إليهم من (الله تعالى) كي يؤمنوا به علّهم يهتدون ثم جاءت هذه الآية في بيان العدد واستمر السياق بعدها في الحديث عن قصة موسى(عليه السلام) وعن أصحاب السبت، فنرى أن العدد عشرة المركب قد ذُكر في سياق بيان العدد وهو أنه قوم موسى(عليه السلام) قُسّموا إلى عدة فرق وعدد هذه الفرق اثنتي عشرة فرقة(٧٩).

المطلب الحادي عشر: سورة الأعراف: ١٦٠:

قوله تعالى: ﴿ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتا عَشْرَةَ عَيْناً ﴾.

هذه الآية في سورة الأعراف وهي مكية(٨٠)، وسياقها في بيان العدد أيضًا وقد سبقتها آيات الحديث عن قصة موسى(عليه السلام) كما هو موضح في الآية(١٠) ثم نلحظ أن العدد عشرة المركب جاء في سياق العدد وهو أن قوم موسى(عليه السلام) استسقوه فأوحى(الله تعالى) إليه أن يضرب الحجر بعصاه فانفجرت من الحجر اثنتي عشرة عينًا (٨١) .

المطلب الثاني عشر: سورة التوبة: ٣٦:

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنا عَشَرَ شَهْراً ﴾.

هذه الآية في سورة التوبة وهي مدنية(٨٢)، جاء سياق هذه الآية في بيان العدد وقد سبقتها آيات الحديث عن أهل الكتاب وعن الذين يأكلون أموال الناس بالباطل وعقوبتهم بالعذاب الأليم ثم جاءت هذه الآية تبين العدد عشرة المركب واستمر السياق في بيان أن هذه الشهور الاثني عشر منها أربعة حرّم الله فيها القتال ثم تحدثت عن قتال المشركين كافة كما يقاتلون المسلمين كافة وجاء السياق بعدها عن النسيء وأحكامه، ونلحظ أن العدد عشرة المركب قد جاء في بيان العدد وهو أن عدة الشهور عند(الله تعالى) اثني عشر شهرًا(٨٣).

المطلب الثالث عشر: سورة يوسف: ٤:

قوله تعالى: ﴿ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً ﴾.

هذه الآية في سورة يوسف وهي مكية(٨٤)، جاء سياق ما قبلها في الحديث عن قصة يوسف(عليه السلام) وأنه رأى رؤية الكواكب التي سجدت له وهو طفل ثم جاءت هذه الآية مبينة للعدد عشرة المركب أنها عدد الكواكب التي سجدت ليوسف(عليه السلام) وهي أَحَدَ عَشَرَ كوكبًا مع الشمس والقمر، ويقال أن الأحد عشر كوكبًا كانوا إخوته والشمس والقمر هما أبويه، واستمر السياق في الحديث عن قصة يوسف (عليه السلام) وكيف ألقوه إخوته في غيابة الجبِّ وسكن مصرًا وتفسيره الرؤيا إلى آخر القصة والتي هي ليست موضوع بحثنا(٨٥).

المطلب الرابع عشر: سورة المدثر: ٣٠:

قوله تعالى: ﴿ عَلَيْها تِسْعَةَ عَشَرَ ﴾.

هذه الآية في سورة المدّثِّر وهي مكيّة(٨٦)،جاء سياق هذه الآية في بيان عدد خزنة جهنم (سقر) والذي هو تسعة عشر ملكًا وقد سبقتها آيات الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم) والوليد بن المغيرة الذي ادّعى أنه نبي مرسل وكذّب بالقرآن وبما جاء به النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) وأنه ليس من (الله تعالى) بل أنه قول البشر فتعهّد (الله تعالى) بعذابه عذابًا أليمًا في (سقر) والتي يكون عدد خزنتها موضوع مبحثنا هذا وهو تسعة عشر ثم استمر السياق في الحديث عن خزنة النار وأقسم بالقمر والليل عند إدباره، فنلحظ أن العدد عشرة المركب جاء في سياق بيان العدد والذي هو تسعة عشر

ملكًا عدد خزنة (سقر) في جهنّم– أعاذنا الله منها– (٨٧).

الخاتِمة وأبرز النتائج:

الحمدُ لله الذي بنعمتهِ تتمُّ الصّالحات، والصّلاةُ والسّلامُ على خاتم الأنبياء والمرسلين سيّدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) وبعد...

بعد هذه الرحلة المباركة توصّلتُ إلى النتائج الآتية:

١) هناك أوجه إعرابية متعدِّدة ومختلفة للعدد، فتارةً يكون تمييزًا وتارةً نعتًا إلخ... .

٢) للعدد ألفاظٌ تخصُّه وله مميّز ويصاغ على وزن فاعل ك (حادي، وعاشر، إلخ...).

٣) يقسم العدد على أربعة أقسام وهي (المفرد، والمركّب، وألفاظ العقود، والمعطوف).

٤) جاءت كل آيات العدد عشرة المركّب في بيان العدد فقط فكانت ستُّ آياتٍ لبيان العدد.

٥) جاءت ثلاث آياتٍ من العدد عشرة المفرد في الأحكام، كما جاءت ثلاث آياتٍ منه في بيان الأجل والمدّة.

٦) جاءت آيةٌ واحدة من العدد عشرة المفرد في الجزاء وآية واحدة في التحدّي.

٧) يكثر العدد في الآيات المكية فقد جاءت تسع آياتٍ مكية.

هوامش البحث:

(١) معجم المقاييس في اللغة: لأحمد بن فارس: ٧٧٦.

(٢) الصحاح للجوهري: ١: ١٩.

(٣) النحو المصفى: لمحمد عيد: ٧٠٧.

(٤) إعراب القرآن: للنحّاس: ١٢٤.

(٥) علل النحو:لابن الورّاق:١: ٤٩٩، وينظر: كتاب العدد في اللغة:١: ٢٨.

(٦) أبو جعفر القارئ أحد العشرة. مدني مشهور رفيع الذكر، قرأ القرآن، على مولاه عبدالله بن عيّاش بن أبي ربيعة المخزومي وفاقا، وقيل توفي سنة ثلاث وثلاثين، عن نيف وتسعين سنة، معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي(ت٧٤٨هـ)، دار الكتب العلمية، ط/١، ١٤١٧هـ– ١٩٩٧م:١: ٤٠.

(٧) شرح التصريح على التوضيح للوقّاد: ٢: ٤٦٠.

(٨) النحو الوافي: لعبّاس حسن:٤: ٥١٨، ٥١٩، وينظر:النحو المصفى:١: ٧٠٨.

(٩) الكتاب لسيبويه:٣: ٥٥٧، ٥٥٨، ٥٥٩، وينظر:المفصّل في صنعة الإعراب: الزمخشري:١: ٢١٩، ٢٢٠، وشرح الكافية الشافية:الجيّاني: ٣: ١٦٦٩–١٦٧٣.

(١٠) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: لابن عقيل: ٥٦، ٥٧، ٥٨.

(١١) الأصول في النحو: لابن السراج:١: ٣١٢–٣١٤.

(١٢) شرح ابن عقيل: ٤: ٥٩.

(١٣)النحو الوافي: ٤: ٥٢٢، ٥٣٢، وينظر: شرح ابن عقيل:٤: ٥٩.

(١٤)كتاب العدد في اللغة:١ :٣٢، وينظر: شرح ابن عقيل:٤: ٥٩.

(١٥) شرح ابن عقيل: ٤: ٥٩.

(١٦) النحو الوافي: المجلد الرابع: ٤: ٥٢٣: ٥٢٤.

(١٧) الكتاب لسيبويه :٣: ٥٥٧، وينظر:شرح ابن عقيل:٥٤: ٥٥.

(١٨) شرح ابن عقيل:٤: ٥٤–٥٩.

(١٩) النحو الواضح في قواعد اللغة العربية: لعلي الجارم و مصفى أمين: المجلد الرابع:المسألة١٦٣: ٥٣٦، ٥٣٧، ٥٣٨.

(٢٠) شرح قطر الندى وبل الصدى: لابن هشام: ٣٠٧، ٣٠٨، وينظر: شرح التصريح على التوضيح : ٢: ٤٤٩.

(٢١) شرح المغني في النحو: لبدر الدين محمد بن عبد الرحيم العمري الميلاني:٣٣٤، ٣٣٥، وينظر: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع: للسيوطي: ٢: ٣٤٥– ٣٥٠، و النحو الوافي:٤ :٥٢٥–٥٣١.

(٢٢) اللُّمع في العربية: لأبي الفتح عثمان بن جنّي:١: ١٦٦: ١٦٧.

(٢٣) النحو الواضح: ٢: ٣٦٥: وينظر: النحو المصفّى:١: ٧١١.

(٢٤) الكتاب لسيبويه:٣: ٥٥٩، ٥٦١،وينظر: شرح الكافية الشافية:٣: ١٦٨٣–١٦٨٧، وقطر الندى:٣٠٨، والنحو الواضح:٢: ٣٦٦، ٣٦٧، والنحو الوافي:٤: ٥٥٤–٥٦٣.

(٢٥)إعراب القرآن: للنّحّاس: ١: ٢٩٤.
(٢٦)الجدول في إعراب القرآن الكريم: للصافي: ٢: ٤٠٤، وينظر: إعراب القرآن وبيانه: للدرويش: ١: ٢٩٠.
(٢٧)الجدول في إعراب القرآن الكريم:٢: ٤٩٥، وينظر: إعراب القرآن وبيانه:١: ٣٥٢،وإعراب القرآن الكريم: للدعّاس:١: ٩٩.
(٢٨) إعراب القرآن للنحّاس:١: ٢٨١.
(٢٩) التبيان في إعراب القرآن: لأبي البقاء العكبري:١: ٤٥٨.
(٣٠) الجدول في إعراب القرآن:٧: ١٣.
(٣١) إعراب القرآن وبيانه:٣: ١٠، وينظر: إعراب القرآن الكريم: لدعاس:١: ٢٧٥.
(٣٢) إعراب القرآن للنحّاس:٢: ٤٢، وينظر: مشكِل إعراب القرآن: لمكي بن طالب القيسي:١: ٢٧٩.
(٣٣) التبيان في إعراب القرآن:١: ٥٥٢.
(٣٤) رويدًا كما اهتزّت رماحٌ تسفّهت**أعاليها مرّ الرياح النواسم، ديوان ذو الرّمة:١: ١٨٦،وينظر:الكامل في اللغة والأدب: للمبرّد:٢: ١٠٥.
(٣٥) وتشرق بالقول الذي قد أذعته**كما شرقت صدر القناة، الكامل في اللغة:٢: ١٠٥.
(٣٦) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: للسمين الحلبي:٥: ٢٣٦، وينظر: إعراب القرآن العظيم: لزكريا الأنصاري:١: ٢٧٤.
(٣٧) الجدول في إعراب القرآن:٩: ٦٦،وينظر: إعراب القرآن وبيانه:٣: ٤٤٨، وإعراب القرآن الكريم:١: ٣٩٣.
(٣٨) الجدول في إعراب القرآن:١٢: ٢٣١، وينظر: إعراب القرآن وبيانه:٤: ٣٢٣، والمجتبى في مشكل إعراب القرآن: للخراط: ٢: ٤٥٧،وإعراب القرآن الكريم: ٢: ٤٩.
(٣٩) مشكل إعراب القرآن: ٢: ٤٧٣.
(٤٠) الجدول في إعراب القرآن: ١٦: ٤٢٠، وينظر: إعراب القرآن الكريم: ٢: ٢٧٢.
(٤١) إعراب القرآن وبيانه: ٦: ٢٤٦، وينظر: المجتبى في مشكل إعراب القرآن: ٢: ٧٠٤.
(٤٢) الجدول في إعراب القرآن: ٢٠: ٢٤٨، وينظر: إعراب القرآن وبيانه:٧: ٣٠٧.
(٤٣) المجتبى في مشكل إعراب القرآن: ٣: ٨٨٩، وينظر: إعراب القرآن الكريم:٢: ٤٢٧.
(٤٤) إعراب القرآن للنحّاس:١: ٥٦-٥٧، وينظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون:١: ٣٨٦.
(٤٥) الجدول في إعراب القرآن الكريم: ١: ١٣٩، وينظر: إعراب القرآن وبيانه: ١: ١١٠، ومشكل إعراب القرآن: ١: ٢٣، وإعراب القرآن الكريم: ١: ٢٨.
(٤٦) إعراب القرآن للنّحّاس:٢: ٧٦، وينظر: مشكل إعراب القرآن:١: ٣٠٣.
(٤٧) إعراب القرآن وبيانه:٣: ٤٧٥.
(٤٨) مشكل إعراب القرآن للخرّاط:١: ١٧١.
(٤٩) التبيان في إعراب القرآن: ١: ٥٩٩.
(٥٠) الكشّاف: للزمخشري:٢: ١٦٩.
(٥١) إعراب القرآن وبيانه:٣: ٤٧٥.
(٥٢) مشكل إعراب القرآن للخرّاط:١: ١٧١.
(٥٣) إعراب القرآن الكريم: ١: ٤٠١.
(٥٤) إعراب القرآن للنحاس: ٢: ١١٧.
(٥٥) إعراب القرآن وبيانه:٤: ٩٧.
(٥٦) مشكل إعراب القرآن للخرّاط: ١: ١٩٢، وينظر: إعراب القرآن الكريم لدعاس: ١: ٤٥٥.
(٥٧) الجدول في إعراب القرآن:١٢: ٣٧٩،وينظر:إعراب القرآن وبيانه:٤: ٤٥٠،والمجتبى في مشكل إعراب القرآن:٢: ٤٩١،ومشكل إعراب القرآن للخراط:١: ٢٣٥.
(٥٨) مشكل إعراب القرآن لمكي: ٢: ٧٧٣.
(٥٩) الجدول في إعراب القرآن: ٢٩: ١٥٤، وينظر: إعراب القرآن وبيانه:١٠: ٢٨٠، والمجتبى في مشكل إعراب القرآن:٤: ١٣٨٧، وإعراب القرآن الكريم:٣: ٣٩٩.
(٦٠) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: لابن عطية الأندلسي،:١: ٧١، وينظر: البرهان في علوم القرآن: للزركشي:١: ١٩٤.
(٦١) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن: للطبري:٣: ٩.
(٦٢)ينظر: المحرر الوجيز:١: ٧١، وينظر: البرهان في علوم القرآن:١: ١٩٤.
(٦٣)ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن للطبري:٥: ٧٩.
(٦٤) ينظر: المحرر الوجيز:٢: ١٦٧، وينظر: البرهان في علوم القرآن:١: ١٩٤.
(٦٥) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن للطبري:١٠: ٥٢٨.

(٦٦) ينظر: المحرر الوجيز:٢: ٣١١، وينظر: البرهان في علوم القرآن:١: ١٩٣.
(٦٧) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن للطبري: ١٢: ٢٧٩.
(٦٨) ينظر: المحرر الوجيز: ٢: ٤٣٥، وينظر: البرهان في علوم القرآن: ١: ١٩٣.
(٦٩) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن للطبري:١٣: ٨٧.
(٧٠) ينظر: المحرر الوجيز: ٣: ١٦٤، وينظر: البرهان في علوم القرآن: ١: ١٩٣.
(٧١) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن للطبري: ١٥: ٢٥٩، ٢٦٠.
(٧٢) ينظر: المحرر الوجيز: ٣: ١٦٤، وينظر: البرهان في علوم القرآن: ١: ١٩٣.
(٧٣) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن: ١٨: ٣٦٩.
(٧٤) ينظر: المحرر الوجيز: ٤: ٣٢٥، وينظر: البرهان في علوم القرآن: ١: ١٩٣.
(٧٥) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن: ١٩: ٥٦٥.
(٧٦) ينظر: المحرر الوجيز: ١: ٧١، وينظر: البرهان في علوم القرآن: ١: ١٩٤.
(٧٧) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: لأبي عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي(ت٦٧١هـ)، تح: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، د. ط، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣م:١: ٤١٩، ٤٢٠.
(٧٨) ينظر: المحرر الوجيز: ٢: ٤٣٥، وينظر: البرهان في علوم القرآن: ١: ١٩٣.
(٧٩) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن: ١٣: ١٧٤.
(٨٠) ينظر: المحرر الوجيز: ٢: ٤٣٥، وينظر: البرهان في علوم القرآن: ١: ١٩٣.
(٨١) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن للطبري:١٣: ١٧٧.
(٨٢) ينظر: المحرر الوجيز:٣: ٣، وينظر: البرهان في علوم القرآن: ١: ١٩٤.
(٨٣) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن: ١٤: ٢٣٤.
(٨٤) ينظر: المحرر الوجيز: ٣: ٢٣٠، وينظر: البرهان في علوم القرآن: ١: ١٩٣.
(٨٥) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن: ١٥: ٥٥٦.
(٨٦) ينظر: المحرر الوجيز: ٥: ٣٦٢، وينظر: البرهان في علوم القرآن: ١: ١٩٣.
(٨٧) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن: ٢٤: ٢٨.

المصادر والمراجع:

بعد القرآن الكريم:
١. الأصول في النحو: أبو بكر محمد بن السري بن سهل النحوي المعروف بابن السراج (ت٣١٦هـ)، تح: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، لبنان- بيروت: ١.
٢. إعراب القرآن العظيم: زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي (ت٩٢٦هـ)، تح: موسى علي موسى مسعود (رسالة ماجستير)، ط/١، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م:١.
٣. إعراب القرآن الكريم: قاسم حميدان دعّاس- دار الفارابي، دمشق، ط/١، ١٤٢٥ق: ١، ٢، ٣.
٤. ١٤٠٣هـ)، دار الإرشاد للشؤون الجامعية، حمص- سورية- دار اليمامة- دمشق- بيروت، دار ابن كثير، دمشق- بيروت، ط/٤، ١٤١٥هـ: ١، ٣، ٤، ٦، ٧، ١٠.
٥. ٣٣٨هـ)، تح: زهير غازي زاهد، عالم الكتب، بيروت- لبنان، ط/٢، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م، ١، ٢، ٤.
٦. البرهان في علوم القرآن: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت٧٩٤هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط/١، ١٣٧٦هـ- ١٩٥٧م، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابلي الحلبي وشركائه، دار المعرفة، بيروت- لبنان:١.
٧. التبيان في إعراب القرآن: أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (ت٦١٦هـ)، تح: علي محمد البجاوي:١.
٨. جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي ، أبو جعفر الطبري (ت٣١٠هـ)، تح: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط/١، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م: ٣، ٥، ١٢، ١٣، ١٤، ١٥، ١٨، ١٩، ٢٤.
٩. الجامع الكبير- سنن الترمذي: لمحمد عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، أبي عيسى (ت٢٧٩هـ)، تح: بشار عواد معروف، دار المغرب الإسلامي- بيروت، ١٩٩٨م.
١٠. الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت٦٧١هـ)، تح: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، د.ط، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣م:١.
١١. الجدول في إعراب القرآن الكريم: محمد بن عبد الرحيم صافي (ت١٣٧٦هـ)، دار الرشيد، دمشق- سوريا، مؤسسة الإيمان، بيروت- لبنان، ط/٤، ١٤١٨هـ:١، ٢، ٧، ٩، ١٢، ١٦، ٢٠، ٢٩.
١٢. الدرّ المصون في علوم الكتاب المكنون: أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (ت٧٥٦هـ)،

تح: أحمد محمد الخرّاط، دار القلم– دمشق، د.ط:٥.
١٣. ديوان ذو الرمة:١.
١٤. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني المصري (ت٧٦٩هـ)، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث– القاهرة، ط/٢٠، ١٤٠٠هـ– ١٩٨٠م:٤.
١٥. شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو: خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد الجرجاوي الأزهري، زين الدين المصري، وكان يعرف بالوقّاد (ت٩٠٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط/١، ١٤٢١هـ– ٢٠٠٠م:٢.
١٦. شرح الكافية الشافية: محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجيّاني، أبو عبد الله، جمال الدين (ت٦٧٢هـ)، تح: عبد المنعم أحمد هريدي، جامعة أم القرى مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي كلية الشريعة والدراسات الإسلامية مكة المكرمة، ط/١: ٣.
١٧. شرح المغني في النحو: بدر الدين بن عبد الرحيم العمري الميلاني (ت٨١١هـ)، تح: قاسم خليل إبراهيم الأوسي، ط/١، ١٤٣٢هـ– ٢٠١١م، بغداد– ديوان الوقف السني.
١٨. شرح قطر الندى وبل الصدى: عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد جمال الدين، ابن هشام (ت٧٦١هـ)، تح: محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، ط/١١، ١٣٨٣هـ.
١٩. الصِّحاح(تاج اللغة وصحاح العربية): لأبي نصر إسماعيل بن حمّاد الجوهري (ت٣٩٨هـ)، راجعه واعتنى به: محمد محمد تامر، وآخرون، ط/١، دار الحديث، القاهرة– مصر، ١٤٣٠هـ– ٢٠٠٩م.
٢٠. علل النحو: محمد بن عبد الله بن العباس، أبو الحسن، ابن الورّاق (ت٣٨١هـ)، تح: محمود جاسم محمد الدرويش، مكتبة الرشد، الرياض– السعودية، ط/١، ١٤٢٠هـ– ١٩٩٩م:١.
٢١. الكامل في اللغة والأدب: محمد بن يزيد المبرِّد، أبو العبّاس (ت٢٨٥هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي– القاهرة، ط/٣، ١٤١٧هـ– ١٩٩٧م:٢.
٢٢. كتاب العدد في اللغة: لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت٤٥٨هـ)، تح: عبد الله بن الحسين الناصر، ط/١، ١٤١٣هـ– ١٩٩٣م:١.
٢٣. الكتاب لسيبويه: عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب بسيبويه (ت١٨٠هـ)، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي – القاهرة، ط/١، ١٤٠٨هـ– ١٩٨٨م:٣.
٢٤. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل (تفسير الزمخشري): أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي– بيروت، ط/٣، ١٤٠٣هـ.
٢٥. اللمع في العربية: أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت٣٩٢هـ)، تح: فائز فارس، دار الكتب الثقافية– الكويت، د.ط:١.
٢٦. المجتبى في مشكل إعراب القرآن: أحمد بن محمد الخراط، أبو بلال، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة،١٤٢٦هـ: ٢، ٣، ٤.
٢٧. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، دار الكتب العلمية– لبنان، ١٤١٣هـ– ١٩٩٣م، ط/١، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد: ١، ٢، ٣، ٤، ٥.
٢٨. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله (صحيح مسلم): لمسلم بن الحجاج أبي الحسن القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ)، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت– لبنان، د.ت.
٢٩. مشكل إعراب القرآن: أبو محمد مكي بن طالب حموش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (ت٤٣٧هـ)، تح: حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة– بيروت، ط/٢، ١٤٠٥هـ:١، ٢.
٣٠. معجم المقاييس في اللغة: لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت٣٩٥هـ)، تح: شهاب الدين أبو عمرو، دار الفكر، بيروت– لبنان.
٣١. معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت٧٤٨هـ)، دار الكتب العلمية، ط/١، ١٤١٧هـ– ١٩٩٧م:١.
٣٢. المفصل في صنعة الإعراب: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت٥٣٨هـ)، تح: علي بو ملحم، مكتبة الهلال– بيروت، ط/١، ١٩٩٣م:١.
٣٣. النحو المصفى: محمد عيد، مكتبة الشباب– القاهرة، د.ط.
٣٤. النحو الواضح في قواعد اللغة العربية: علي الجارم ومصطفى أمين، الدار المصرية السعودية للطباعة والنشر والتوزيع، د.ط:٢.
٣٥. النحو الوافي: عباس حسن (ت١٣٩٨هـ)، دار المعارف، ط/١٥ : المجلد الرابع:٤.
٣٦. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، تح: عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية– مصر، د.ط:٢.

فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية العدد(٨)
السنة الثالثة صفر الخير ١٤٤٦هـ آب ٢٠٢٥م

الشهادة على فعل النفس وأحكامها في الفقه الإسلامي «نماذج مختارة»دراسة فقهية مقارنة

أ.م .د. سعدي جاسم حمود سرحان
جامعة الفلوجة/ كلية العلوم الإسلامية

المستخلص:
«يتناول هذا البحث موضوعًا فقهيًا دقيقًا ومهمًّا، وهو الشهادة على فعل النفس وأحكامها في الفقه الإسلامي، ويُقصد بها: أن يُدلي الإنسان بشهادته على واقعة كان هو طرفًا مباشرًا فيها، أو صدرت منه، أو حصلت في خلوة لا يحضرها غيره، دون أن يُستشهد عليه في حينها, وتُعد هذه المسألة من المسائل التي تتداخل فيها مقاصد الشريعة المتعلقة بحفظ الحقوق، ومنع التهمة، وتحقيق العدالة، وقد جاءت هذه الدراسة لتسدّ ثغرة علمية في هذا الباب، وذلك من خلال تأصيل المسألة تأصيلًا فقهيًا، وتحليل أبرز تطبيقاتها الفقهية كما وردت في كتب المذاهب الثمانية ، ثم الموازنة بين أقوال الفقهاء مع بيان القول الراجح في كل مسألة بدليلها ووجه ترجيحها, وقد تكوَّن البحث من مبحثين رئيسين: المبحث الأول: تناولت فيه الإطار النظري للشهادة من حيث تعريفها، وأدلتها، وشروط الشاهد ، وحكم أدائها اما المبحث الثاني: فتضمّن دراسة تطبيقية لثمانية نماذج بارزة تظهر فيها مسألة الشهادة على النفس، كالشهادة على الرضاع، والنكاح وغيرهما, وخلص البحث إلى أن الشهادة على فعل النفس ليست على إطلاقها مقبولة ولا مردودة، بل تختلف أحكامها باختلاف طبيعة الفعل المشهود عليه، وصفة الشاهد، ومدى وجود قرائن أو مصلحة شرعية معتبرة.»

الكلمات المفتاحية: شهادة ,نفس ,فعل ,نماذج ,فقه ,مقارن .

Abstract:
«This research addresses a delicate and important jurisprudential topic: testimony regarding one›s own actions and its rulings in Islamic jurisprudence. This refers to a person giving testimony regarding an incident in which he was a direct party, or which occurred in private with no one else present, without being called to account at the time. This issue is one of the issues in which the objectives of Sharia are intertwined, related to preserving rights, preventing accusations, and achieving justice. This study came to fill a scientific gap in this regard, by establishing the issue with a jurisprudential basis, and analyzing its most prominent jurisprudential applications as mentioned in the books of the eight schools of thought, then balancing the statements of the jurists, while clarifying the preferred statement in each issue with its evidence and the reason for its preference. The research consisted of two main sections: The first section: I addressed the theoretical framework of testimony in terms of its definition, evidence, witness conditions, and the ruling on its performance. The second section: It included an applied study of eight prominent models in which the issue of testimony about oneself appears, such as testimony about breastfeeding, marriage, and others. The research concluded that testimony about one›s own action is neither absolutely acceptable nor rejected, but rather its rulings differ according to the nature of the act testified to, the character of the witness, and the extent of the presence of evidence or a valid Sharia interest.»

.Keywords: testimony, self,action,models,jurisprudence, comparative

المقدمة:

الحمد لله الذي جعل الشهادة ميزانًا لإثبات الحقوق، وأداة لإظهار العدل، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، القائل: ««ألا أخبركم بأكبر الكبائر؟» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وشهادة الزور»»( )، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن سار على نهجه إلى يوم الدين, فإن الشهادة من أعظم وسائل الإثبات في الفقه الإسلامي، وقد حظيت بعناية كبيرة لما لها من أثر بالغ في إقامة العدل، وصيانة الحقوق، وحفظ النفوس والأعراض ، والأموال.

ومن المسائل الدقيقة في هذا الباب ما يُعرف بـ «الشهادة على فعل النفس»، وهي الصورة التي يشهد فيها الإنسان على فعل قام به بنفسه، أو تلفّظ به، أو جرى بينه وبين غيره في خلوة، دون أن يُستشهد عليه ابتداءً، أو دون حضور الغير.

وقد تناول الفقهاء هذا النوع من الشهادات في مواضع متعددة من أبواب الفقه، كالشهادة على الإرضاع، أو النكاح، أو الإقرار، أو الزنا، أو رؤية الهلال، وغيرها، إلا أن الأحكام المتعلّقة به جاءت متفرقة، واختلفت فيها المذاهب الفقهية الثمانية في ضوء شروط الشهادة، وطبيعة الفعل، وصيغ الأداء, ومن هنا جاءت هذه الدراسة الموسومة بـ «الشهادة على فعل النفس وأحكامها في الفقه الإسلامي «نماذج مختارة» دراسة فقهية مقارنة» لتقدّم معالجة فقهية مقارنة تجمع بين التأصيل، والتحليل، والمقارنة، والترجيح، لمجموعة مختارة من أبرز النماذج التطبيقية.

أسباب اختيار الموضوع:

١. أهمية الشهادة في الفقه الإسلامي، وكونها من وسائل الإثبات الكبرى التي يُبنى عليها إقامة الحدود، وثبوت الحقوق، وتوثيق العقود.

٢. اتصال هذا الموضوع بجملة من التطبيقات الفقهية المعاصرة، لا سيما في مسائل الأحوال الشخصية، والعقود، والمعاملات، والنزاعات القضائية.

٣. قلة الدراسات المستقلة في هذا الباب بوجه مقارن، إذ يُتناول في كتب الفقه ضمن مسائل متفرقة دون جمع وتحقيق تأصيلي تطبيقي لمسائل الشهادة على النفس.

أهداف البحث:

١. تحقيق التأصيل الفقهي لمسألة الشهادة على فعل النفس، وضبط ضوابط قبولها وردّها.
جمع أبرز المسائل الفقهية التي تتعلق بهذا الباب وتحليلها وفق مناهج المذاهب الفقهية الثمانية.

٢. الموازنة بين الأقوال الفقهية في كل مسألة، مع عرض القول الراجح وبيان دليله ووجه ترجيحه بأسلوب علمي دقيق.

خطة البحث:

اقتضت طبيعة البحث أن أقسمه إلى مقدمة، ومبحثين ، وخاتمة، وفهرس بالمصادر والمراجع، وذلك على النحو الآتي:

المقدمة: وتشتمل على اسباب اختيار الموضوع، وأهدافه، وخطة البحث.

المبحث الاول: ويعنى هذا المبحث ببيان الإطار النظري للشهادة، من حيث تعريفها، وأدلتها، وشروطها، وحكم أدائها، ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: مفهوم الشهادة ودليل مشروعيتها. المطلب الثاني: شروط الشاهد وحكم أداء الشهادة

المبحث الثاني: نماذج مختارة للشهادة على فعل النفس ويشتمل هذا المبحث على دراسة تطبيقية لأهم الصور الفقهية التي يظهر فيها أثر الشهادة على فعل النفس، مع عرض أقوال المذاهب الفقهية الثمانية ومناقشتها، ويُقسَّم إلى ثمانية مطالب:

المطلب الأول: شهادة المرضعة على الإرضاع

المطلب الثاني: شهادة الحاكم المعزول على حكمه السابق

المطلب الثالث: شهادة القسّام على القسمة بعد الفراغ منها

المطلب الرابع: شهادة الأب مع شاهد آخر أنه زوّج ابنته من رجل وهي تنكر

المطلب الخامس: الشهادة على الزنا بلفظ الشاهد: «أشهد أني رأيت»

المطلب السادس: تحمل الشهادة على الإقرار دون حضور مجلس الإقرار

المطلب السابع: الشهادة في النكاح بقول: «حضرت العقد» أو «أشهد أني حضرت»

المطلب الثامن: قول الشاهد: «أشهد أني رأيت الهلال» وسكوته عن التصريح بدخول الشهر

وفي الختام ارجو من الله سبحانه وتعالى أن يُسهم هذا الجهد في سدّ ثغرة بحثية في هذا الباب، وخدمة الفقه الإسلامي بدراسةٍ تأصيلية مقارنة، تُراعي الأمانة العلمية، وتنضبط بالمنهج الفقهي الرصين ، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

المبحث الاول: بيان الاطار النظري للشهادة من حيث تعريفها، وأدلتها، وشروطها، وحكم أدائها

المطلب الاول: مفهوم الشهادة ودليل مشروعيتها

الفرع الاول: مفهوم الشهادة

اولا: مفهوم الشهادة في اللغة

«مفرد شهادات، تدل مادة (ش هـ د) على حضورٍ وعلمٍ وإعلامٍ، يقال: شهد يشهد شهادةً، كما يقال: شهد فلانٌ عند القاضي، إذا بين وأعلم لمن الحق وعلى من هو»(١)، ومنه قوله تعالى:(إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا)(٢)، وهي تأتي على معانٍ عدة، منها:

١ـ الخبر القاطع ومنه قوله تعالى:(وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا)(٣).

٢ـ الحضور: ومنه قوله تعالى:(فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ)(٤) ، «قال القرطبي رحمه الله في تفسير هذه الآية: (وشهد بمعنى حضر»(٥).

٣ـ الحلف: ومنه قوله تعالى: (فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ ۙ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ)(٦)، «قال ابن منظور: (الشهادة معناها اليمين هاهنا)» (٧).

٤ـ الاقرار: ومنه قوله تعالى: (شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِم بِالْكُفْرِ) (٨)، «قال الراغب الاصفهاني: أي مقرين فإن الشهادة على النفس هي الإقرار»(٩).

٥ـ العلم: ومنه قوله تعالى:(شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) (١٠). أي علم(١١).

ثانيا: مفهوم الشهادة في الاصطلاح

«قد عرف فقهاء المذاهب الشهادة اصطلاحًا بتعريفات متقاربة في الجوهر، متفاوتة في العبارة، يجمعها كونها إخبارًا يستند إلى العلم ويؤدى بصيغة مخصوصة أمام القضاء»، ومن هذه التعريفات ما يلي:

أولاً : تعريف الحنفية: «إخبار صدقٍ، لإثباتِ حقٍ، بلفظ الشهادة، في مجلس القضاء»(١٢).

ثانيا : تعريف المالكية: «إخبار حاكم عن علم ليقضي بمقتضاه»(١٣).

ثالثا: تعريف الشافعية: «إخبار عن شيء بلفظ خاص»(١٤).

رابعا: تعريف الحنابلة: «إخبار بما علمه الشاهد بلفظ خاص»(١٥).

خامسا: تعريف الامامية: «إخبار جازم عن حق لازم للغير واقع من غير حاكم»(١٦).

التعريف المختار: هو إخبار صادق عن حق للغير، بما علمه الشاهد، يؤديه بلفظ مخصوص أمام القاضي لإثباته شرعًا ، وسبب اختياري لهذا التعريف ؛ لأنه يشتمل على العناصر الجوهرية التي اتفقت عليها المذاهب الفقهية، كالإخبار، والعلم، والحق، وصيغة الأداء، ومجلس القضاء، مما يجعله جامعًا مانعًا، يعكس حقيقة الشهادة بوصفها وسيلة إثبات معتبرة في القضاء الإسلامي، ويميّزها عن غيرها من صور الإخبار والرواية.

بعد التتبع لكتب الفقهاء لم أجد تعريفا مستقلا للشهادة على النفس ولكن من خلال المسائل المطروحة في كتبهم

نستطيع اعطاء تعريف لها بأنها:(إخبار الشخص عن فعل قام به بنفسه، أو علمه علم اليقين، على وجه يُصاغ فيه كلامه بصيغة الشهادة لا بصيغة الإقرار).

الفرع الثاني: مشروعية الشهادة

ثبتت مشروعية الشهادة بالكتاب والسنة والإجماع والمعقول.

من الكتاب:

١. قوله تعالى:(وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ)(١٧).

وجه الدلالة: «حث شطر الآية الأولى على توثيق الدين بالإشهاد عليه، وحث الشطر الثاني من الآية نفسها على توثيق المعاملة الجارية بين الناس بواسطة الشهادة، وهذا الحث من الله سبحانه وتعالى على توثيق الحقوق بالشهادة دليل على مشروعيتها» (١٨).

٢. قوله تعالى:(وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ)(١٩).

وجه الدلالة:» ذمّ كتمان الشهادة يدل على وجوب أدائها عند الطلب وبيان أهميتها في الشرع»(٢٠).

من السنة:

١. قول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم):«((أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ، قُلْنَا: بَلَى، يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: الْإِشْرَاكُ بِاللهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَكَانَ مُتَّكِئًا فَجَلَسَ، فَقَالَ: أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ وَشَهَادَةُ الزُّورِ، أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ وَشَهَادَةُ الزُّورِ، فَمَا زَالَ يَقُولُهَا حَتَّى قُلْتُ: لَا يَسْكُتُ))» (٢١).

وجه الدلالة:

«ذكر شهادة الزور ضمن الكبائر يدل على أهمية الشهادة ومكانتها في الإسلام، وأنها وسيلة إثبات معتبرة لا يجوز التلاعب بها»(٢٢).

٢. «حديث وائل بن حجر رضي الله تعالى عنه أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال له:(شاهداك أو يمينه).»(٢٣)

وجه الدلالة:

أثبت الحديث أصلاً من الأصول الهامة في باب القضاء، فجعل الشهادة وسيلة لإثبات الحق، واليمين وسيلة لدفعه، وهذا دليل على مشروعية الشهادة(٢٤).

الاجماع: أجمع العلماء على مشروعية الشهادة في إثبات الحقوق والدعاوى، وقد نُقل هذا الإجماع عن غير واحد من الأئمة.

«قال الإمام العمراني رحمه الله : (لا خلاف بين الأمة في تعلق الحكم بالشهادة)»(٢٥).

«وقال الإمام الدميري رحمه الله : (ولا خلاف بين المسلمين فيها)»(٢٦).

«وقال الإمام ابن قدامة رحمه الله : (والأصل في الشهادات الكتاب والسنة والإجماع)»(٢٧).

«وقال الإمام الزركشي رحمه الله : (ولا نزاع في مشروعية الشهادة والإشهاد)»(٢٨).

المعقول :

لأن الحاجة داعية إليها لحصول التجاحد بين الناس، فوجب الرجوع إليها(٢٩).

«قال شريح رحمه الله : (القضاء جمر، فنحه عنك بعودين، يعني: الشاهدين، وإنما الخصم داء والشهود شفاء فأفرغ الشفاء على الداء)» (٣٠).

المطلب الثاني: شروط الشاهد، وحكم اداء الشهادة

يشترط في الشاهد جملة من الصفات التي لا تُقبل الشهادة إلا بتحقّقها، وأهمّها:

١. التكليف: يشترط أن يكون الشاهد بالغًا عاقلًا ، فلا تُقبل شهادة الصبي أو المجنون لعدم كمال أهليتهما(٣١)، وقد نقل النيسابوري إجماع الأمة على اشتراط العقل والبلوغ، لكونهما من شروط التكليف(٣٢).

٢. الإسلام: اتفق جمهور الفقهاء على اشتراط الإسلام في الشاهد، فلا تُقبل شهادة غير المسلم على المسلم أو على غيره(٣٣)، وذهب الحنفية إلى جواز شهادة أهل الذمة بعضهم على بعض في حقوقهم الخاصة(٣٤).

٣. الحرية: يرى جمهور الفقهاء عدم قبول شهادة العبد؛ لقصور ولايته وقيام التهمة عليه، بينما أجاز الحنابلة شهادته في مواضع مخصوصة، كالتي تُقبل فيها شهادة النساء، سواء كان مملوكًا كليًا أو جزئيًا(٣٥).

٤ . العدالة: وهي شرط متفق عليه؛ فلا تُقبل شهادة الفاسق أو من لا يُعرف بمروءة. وتتحقق العدالة بسلامة الظاهر من الكبائر، وعدم الإصرار على الصغائر، مع مراعاة العرف والمروءة(٣٦).

٥. النطق: اشترط الحنفية والحنابلة النطق لقبول الشهادة، فلا تُقبل من الأخرس(٣٧).

أما المالكية ، والشافعية، والامامية فأجازوا شهادته إذا كانت إشارته مفهومة وواضحة(٣٨).

٦. البصر: اشترط الحنفية البصر لقبول الشهادة، فلا تُقبل من الأعمى مطلقًا، سواء تعلّقت بأقوال أو أفعال(٣٩). بينما أجاز جمهور الفقهاء شهادته في الأقوال التي يُدركها بالسمع، دون الأفعال التي تتطلب رؤية(٤٠).

٧. الضبط: ويُقصد به قوة الحافظة وجودة السمع والفهم، بحيث يتمكن الشاهد من استيعاب الواقعة وضبط تفاصيلها دون اضطراب. فلا تُقبل شهادة من عُرف بكثرة الغلط أو النسيان أو التغفيل، لعدم الوثوق بكلامه(٤١).

الفرع الثاني: حكم أداء الشهادة

يختلف الحكم في أداء الشهادة بين أن يكون حقا للآدمي وبين أن يكون حقا لله تعالى.

أولا: أداء الشهادة في حقوق الآدمي:

اتفق الفقهاء على أن أداء الشهادة في حقوق الآدمي فرض كفائي فيلزم الشهود أداؤها ولا يسعهم كتمانها إذا طلبهم المدعي لما فيه من تضييع الحقوق(٤٢).

استدلوا على ذلك بما يأتي:

١. قول الله تعالى:(وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا ۚ) (٤٣)، وقوله تعالى:(وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ ۗ)(٤٤) ، وإنما خص القلب بالإثم؛ لأنه موضع العلم بها.(٤٥)

٢. لأن الشهادة أمانة، وجب أداؤها كما تُؤدّى سائر الأمانات،(٤٦)، والله تعالى يقول(إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا) (٤٧) ، وقد اختلف الشافعية والحنابلة في مسألة من دُعي لأداء الشهادة ووجد غيره من أهل العدالة يُمكن أن يقوم مقامه، فهل يأثم إن امتنع؟ فقيل على وجهين، والراجح أنه لا يأثم؛ لأنه لم يتعيّن عليه أداء الشهادة، لوجود من يسدّ مكانه، كما لو لم يُدع إليها أصلاً(٤٨).

ثانيا: أداء الشهادة في حقوق الله تعالى:

اختلف الفقهاء في اداء الشهادة في حقوق الله تعالى على قولين :

القول الاول: يخير فيها الشاهد بين الستر والإظهار، واليه ذهب الحنفية(٤٩)، والمالكية(٥٠)، واكثر الشافعية(٥١)، والحنابلة في المذهب(٥٢)، والامامية(٥٣)، والزيدية(٥٤).

استدلوا على ذلك بما يأتي:

١. قول النبي(صلى الله عليه وآله وسلم):« ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة))»(٥٥).

وجه الدلالة: ان الإظهار حق لله تعالى وهو غني عنه، ولأن الستر ترك كشف الآدمي وهو محتاج إليه فكان أولى(٥٦).

٢. لأن حقوق الله مبنية على المسامحة، ولا ضرر في تركها على أحد، والستر مأمور به، ولذلك اعتبر في الزنا أربعة رجال وشدد فيه على الشهود ما لم يشدد على غيرهم طلبا للستر(٥٧).

القول الثاني:

يجب أداء الشهادة في حقوق الله تعالى إذا طُلبت من الشاهد، ولا يجوز له كتمانها، وقد ذهب إلى هذا القول بعض الشافعية(٥٨)، وقول عند الحنابلة(٥٩)، والظاهرية(٦٠).

استدلوا على ذلك بما يأتي:

١ـ قوله تعالى: (وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ)(٦١).

وجه الدلالة: الآية عامة في الشهادات، ولم تفرّق بين حقوق الله وحقوق العباد، فدخل فيها الجميع، والكتمان موجب للإثم(٦٢)

٢. قوله تعالى:(وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ)(٦٣)

وجه الدلالة: أمر الله عز وجل بإقامة الشهادة ونسبها إلى نفسه وذلك لرعاية الحقوق وحفظها ولم يرد ما يخصصه بحقوق العباد، فشمل حقوق الله كذلك(٦٤).

٣. عن عبادة بن الصامت قال:»((بَايَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ(صلى الله عليه وآله وسلم). عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي الْمَنْشَطِ وَالْمَكْرَهِ، وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ وَأَنْ نَقُومَ، أَوْ: نَقُولَ بِالْحَقِّ حَيْثُمَا كُنَّا لَا نَخَافُ فِي اللَّهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ))»(٦٥).

وجه الدلالة: دل الحديث على الالتزام بقول الحق، والشهادة بالحق قول بالحق سواء كانت عند التوثيق أم عند القاضي فقوله «وأن نقول بالحق حيثما كنا لا نخاف في الله لومة لائم»، دليل على وجوب قول الحق مطلقًا، والشهادة من أعظم صور القول بالحق، خاصة في حقوق الله(٦٦).

الرأي الراجح:

بعد عرض قولي الفقهاء في هذه المسألة يتبين لي والله اعلم ان الرأي الراجح هو القول الاول؛ وذلك لسببين:

١. لأن الأصل في حقوق الله تعالى هو الستر والمسامحة، لا سيما ما لا يتعلق به ضرر على أحد من العباد، ولأن الشارع رغّب في ستر المسلم، كما أن الحدود تُدرأ بالشبهات، وكل ذلك يدل على أن الشهادة في هذه المواطن لا تجب إلا عند الحاجة أو تحقق المصلحة الراجحة.

٢. لأن أدلة القول الثاني عامة، ويمكن تقييدها بأدلة الستر، كما أن الستر فيه مصلحة راجحة في حفظ العرض وإزالة الفضيحة، بخلاف الإظهار الذي قد يفضي إلى كشف العيوب دون حاجة ماسة، فكان التخيير أقرب إلى مقاصد الشريعة في هذا الباب.

المبحث الثاني : نماذج مختارة للشهادة على فعل النفس.

المطلب الاول: شهادة المرضعة على الإرضاع.

صورة المسألة:

إذا ادعت امرأة أنها أرضعت طفلًا وقالت: «أشهد أني أرضعته»، فهل يُكتفى بذلك بقبول شهادتها وإثبات الرضاع الذي يترتب عليه التحريم؟ هذه المسألة تُعد من أوضح تطبيقات الشهادة على فعل النفس، وقد وقع فيها خلاف فقهي بين المذاهب.

القول الأول: تُقبل شهادة المرضعة بلفظ: «أشهد أني أرضعته» وهو قول طاووس، والزهري، والأوزاعي(٦٧)، والحنابلة (٦٨)، والإمامية(٦٩)، والزيدية(٧٠).

استدلوا على ذلك بما يأتي:

١ . «بما صح عَنْ عُقْبَةَ بنِ الْحَارِثِ أَنَّهُ تَزَوَّجَ أُمَّ يَحْيَى بنْتَ أَبِي إِهَابٍ، فَجَاءَتْ امْرَأَةٌ فَقَالَتْ: قَدْ أَرْضَعْتُكُمَا، فَسَأَلَ النَّبِيَّ(صلى الله عليه وآله وسلم)، فَقَالَ:«كَيفَ وَقَدْ قِيلَ ؟»، فَفَارَقَهَا عُقْبَةُ وَنَكَحَتْ زَوْجًا غَيرَهُ»(٧١).

وجه الدلالة: في الحديث دليل على أن الرضاع يثبت وتترتب عليه أحكامه بشهادة امرأة واحدة(٧٢).

٢. «روى عبد الرزاق بسنده عن الشعبي، قال: (كان القضاة يفرقون بشهادة امرأة في الرضاع)»(٧٣).
٣. لأن الرضاع فعل لا يحصل لها به نفع مقصود، ولا تدفع عنها به ضررا، فقبلت شهادتها فيه كفعل غيرها(٧٤).
القول الثاني: لا يُكتفى بقول المرضعة «أرضعته»، بل تقبل شهادتها مع غيرها، ، واشترط الشافعية لقبول شهادتها فيمن يشهد أن لا تطلب أجرة، فإن طلبت أجرة الرضاع فلا تقبل للتهمة ، وهو قول الحكم بن عتيبة(٧٥)، والحنفية(٧٦)، والمالكية(٧٧) ، والشافعية(٧٨) ، والظاهرية(٧٩).
استدلوا على ذلك بما يأتي:
١. لعموم قوله تعالى:(وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ) (٨٠)
٢. حملوا الحديث الذي استدل به اصحاب القول الاول على أن الرسول صلى الله عليه وسلم أمره بفراقها من باب الورع، وأن النهي فيه للتنزيه(٨١).
اعترض: هذا محمل ضعيف، لمخالفته لظاهر الحديث، ولا سيما بعد تكرار السؤال، كما في بعض الروايات، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: «دعها عنك»، «كيف وقد قيل»(٨٢).
٣. قياسا للرضاع على غيره(٨٣).

الرأي الراجح:
بعد عرض قولي الفقهاء ، يظهر لي والله اعلم أن القول الأول أقوى وأقرب إلى مقاصد الشريعة، خاصة عند تعذر وجود شهود على الرضاع ، وكون المرأة ثقة معروفة، وعدم وجود مصلحة لها في الادعاء, وعليه فالراجح قبول شهادة المرضعة إذا قالت: «أشهد أني أرضعته»، ما دامت عدلاً، وتحققت شروط الشهادة الأخرى ؛ وذلك للأسباب الاتية:
١. لأن هذا من العلم الشخصي المتحقق الذي لا سبيل لغيرها إلى معرفته غالبًا.
٢. لأن العادة أن الرضاع يقع في الخفاء، ولا يُشهد عليه، فلو لم يُقبل قول المرضعة، لضاعت الحقوق.
٣. لان المرأة أعلم بأمر الرضاع، وقد قال الله تعالى:(وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ)(٨٤)وهذا يدل على أن الرضاعة من أخص ما تعلمه المرأة بنفسها.

المطلب الثاني: شهادة الحاكم المعزول على حكمه السابق

صورة المسألة
إذا عُزل القاضي أو الحاكم، ثم قال بعد عزله: «أشهد أني حكمت بكذا وكذا في القضية الفلانية» ، فهل يُقبل قوله هذا؟ وهل يعد شهادة معتبرة ؟
القول الأول: لا تُقبل شهادته وهو قول الحنفية(٨٥)، المالكية(٨٦)، الشافعية(٨٧)، والمذهب عند الحنابلة(٨٨)، والظاهرية(٨٩) ، والإمامية (٩٠)، وهو المعتمد عند الجمهور.
«قال صاحب كتاب منح الجليل شرح مختصر خليل: (قال ابن الحاجب لو قال بعد العزل قضيت بكذا أو أشهد بأنه قضى فلا يقبل)»(٩١).
«قال الامام مالك: (فإن قال القاضي المعزول : كل شيء في ديواني قد شهدت به الشهود عندي ؟ قال : لا أرى أن يقبل قوله ولا أراه شاهدا)»(٩٢).
استدلوا على ذلك بما يأتي:
١. لأن ذلك يُعد شهادة على فعل النفس، ولا تُقبل؛ لأن الشهادة لا تكون إلا على الغير(٩٣).
٢. لان التهمة قائمة؛ لأنه يُشهد لنفسه لإثبات صحة ما فعله، وربما كان ذلك لمصلحته أو دفعًا للطعن عليه. (٩٤)
القول الثاني: تُقبل شهادته مع آخر إذا كان عدلاً ولا شبهة له ، وهو قول الثوري والأوزاعي(٩٥)، والإصطخري من

الشافعية(٩٦)، والمرداوي من الحنابلة(٩٧).

اعترض: يتجه هذا القول إلى الأخذ بظاهر العدالة، لكنه يغفل عن أصل معتبر في باب الشهادات وهو درء التهم ، والتهمة في هذه المسألة قوية؛ لأن الحاكم يُثبت صحة عمله، فكان الأصل فيه الرد إلا مع بيّنة مستقلة(٩٨).

الرأي الراجح:

بعد عرض قولي الفقهاء ، يظهر لي والله اعلم أن القول الاول القائل بعدم قبول شهادة الحاكم على حكمه بعد العزل هو الراجح ؛ وذلك للأسباب الاتية :

١. لأنه يشهد على فعله، والتهمة فيه ظاهرة

٢. لأن الحكم الشرعي يجب أن يُحاط بالتحري والعدالة والضمان من كل تهمة.

٣. لأن الشهادة لا بد أن تكون مجردة عن المصلحة الشخصية، وهنا الحاكم قد يكون متأثرًا بمنصبه السابق.

المطلب الثالث: شهادة القسّام على القسمة بعد الفراغ منها

صورة المسألة:

إذا قام القسّام (أي من يُقسم التركة) بتقسيم الحصص، ثم شهد بعد ذلك بأنه « قد قسّم المال واستوفى كلٌّ نصيبه»، فهل تُقبل شهادته هذه؟

القول الأول: عدم قبول شهادة القسّام على القسمة بعد الفراغ منها وهذا القول المعتمد عند المالكية(٩٩)، وقول الشافعية(١٠٠)، والزيدية(١٠١).

«قال الامام الشافعي رحمه الله : (وإذا شهد القسام على ما قسموا قسموا ذلك بأمر القاضي أو بغير أمره لم تجز شهادتهم لشيئين أحدهما أنهم يشهدون على فعل أنفسهم، والآخر أن المقسوم عليهم لو أنكروا إنهم لم يقسموا عليهم لم يكن لهم جعل، ولا بد للقسام من أن يأتوا بشهود غير أنفسهم على فعلهم)»(١٠٢).

استدلوا على ذلك بما يأتي:

١. لأنه شهد على فعل نفسه الذي يوجب تعديله فلم تقبل كشهادة القاضي المعزول على حكمه(١٠٣).

٢. لان القاسم بعد القسمة كالوكيل بعد العزل فكما لا تُقبل شهادة الوكيل لموكله كذلك لا تُقبل

٣. شهادته على عدالة ما فعله(١٠٤)

القول الثاني: تُقبل شهادة القسّام إذا زالت التهمة وانفصل عن العمل وهو قول الحنفية(١٠٥)، وابن الماجشون من المالكية(١٠٦)، وقال الحنابلة : تقبل شهادة القاسم بالقسمة إذا كان متبرعا ، ولا تقبل إذا كان بأجرة(١٠٧)، والظاهرية(١٠٨)، والإمامية(١٠٩).

استدلوا على ذلك بما يأتي:

لأنه شهد بما لا نفع له فيه ، فقبل كالأجنبي(١١٠).

الرأي الراجح:

بعد عرض قولي الفقهاء في هذه المسألة يتبين لي والله اعلم ان الرأي الراجح هو القول الاول؛ وذلك للأسباب الآتية:

١. لأنه يشهد على فعله، وهو متّهم بتزكية عمله.

٢. درءا للفساد في الأموال فلو فُتح باب قبول شهادة القسّام على قسمته، لتسلط المتنفذون على أموال الناس، وقُدّمت دعاوى مغرضة بمظهر الشهادة.

٣. قياسا على شهادة المزكّي لنفسه فكما لا تُقبل شهادة المرء على عدالته، كذلك لا تُقبل شهادته على عدالة ما فعله، وهو في الحقيقة نوع من التزكية الذاتية.

المطلب الرابع: شهادة الأب مع شاهد آخر أنه زوج ابنته من رجل وهي تنكر

صورة المسألة:

إذا ادّعى الأب أنه زوّج ابنته من رجل فقال: «أشهد أني زوّجت ابنتي من فلان»، وشهد معه شاهد عدل آخر، غير أن البنت أنكرت ذلك وقالت: « لم أعلم بهذا النكاح، ولم أوافق عليه»، فهل تُقبل شهادة الأب مع ذلك الشاهد؟

القول الأول: لا تُقبل الشهادة، لأن البنت تنكر ، وهو قول الحنفية(١١١)، والمالكية(١١٢)، والشافعية(١١٣)، والظاهرية(١١٤)، والإمامية(١١٥).

«قال محمد بن الحسن الشيباني رحمه الله : (وكذلك لو زوج امرأة أبوها زوجا فقالت: لم أرض ، فشهد أبوها وأخوها أنها قد رضيت كان ذلك باطلا لا يجوز؛ لأن الأب هو ولي عقدة النكاح. ولا تجوز شهادة من ولي عقدة النكاح ولا ولده على المرأة وعلى الزوج في كل شيء من نكاح ولا مهر)»(١١٦).

استدلوا على ذلك بما يأتي:

١. بناء على القاعدة الفقهية: (في كل موضع لا تتحقق التهمة تكون الشهادة مقبولة)(١١٧).

٢. لأن الأب شهد على فعل نفسه ، فالأب في هذه الحالة شاهد على فعل نفسه، لأنه هو الذي باشر العقد، ومتهم في إثبات صحة فعله، فلا يُقبل قوله(١١٨).

القول الثاني: تُقبل شهادة الأب مع شاهد ، وهو قول الحنابلة(١١٩).

«قال صاحب كتاب الممتع على زاد المستقنع: (ومن زوج بنته ولو ثيبا بدون مهر مثلها صح، أي: إذا زوج الرجل ابنته، فإن كانت بكرا، فقد سبق أنه على المذهب لا يشترط رضاها، لا بالزوج ولا بالمال، فيزوجها زوجا لا ترضاه ، وبمال لا ترضاه ، فلو زوجها أبوها أعمى، أصم،

أخرس، زمنا، فقيرا، جاهلا، مريضا بمهر قدره عشرة ريالات جاز)» (١٢٠).

استدلوا على ذلك بما يأتي:

١. قوله صلى الله عليه وسلم :»((أيُّما امرأةٍ نَكَحَتْ بغَيرِ إذنِ وليِّها فنِكاحُها باطِلٌ، فنِكاحِها باطِلٌ))»(١٢١).

وجه الدلالة: ان الركن هو الولي والشهادة، ورضاها تابع إذا كانت بكرًا(١٢٢).

٢. لأن الأب أدرى بمصالح ابنته ، وهو الولي الشرعي، ويملك حق التزويج، فإذا شهد هو وعدلٌ آخر بأنه زوّجها، ثبت النكاح، ولو أنكرت، لأن الولي أولى بتقدير المصلحة (١٢٣).

الرأي الراجح:

بعد عرض قولي الفقهاء في هذه المسألة يظهر لي والله اعلم ان الرأي الراجح عدم قبول شهادة الأب في تزويج ابنته إذا أنكرت البنت ذلك، ولو شهد معه شاهد آخر، وذلك لسببين

١ . لأن في النكاح حقًا للمرأة لا يسقط إلا برضاها، فإذا أنكرت الرضا والعلم، لم يصح العقد أصلًا، والشهادة حينئذ باطلة.

٢ . سداً للذريعة ودرءًا للتهم والفساد؛ لأن قبول مثل هذه الدعوى يفتح باب الاحتيال والإكراه باسم الولاية.

المطلب الخامس: الشهادة على الزنا بقول الشاهد «أشهد أني رأيت»

صورة المسألة:

إذا شهد الشاهد في مجلس القضاء فقال: «أشهد أني رأيت فلانًا يزني بفلانة»، فهل يُقبل هذا اللفظ في إثبات حد الزنا؟

القول الأول: تُقبل شهادة الشاهد إذا قال: «أشهد أني رأيت كذا وكذا» بصيغة الجزم، وكان صريحًا في الوطء الكامل وهو قول جمهور الفقهاء ما عدا الشافعية (١٢٤).

استدلوا على ذلك بما يأتي:

١.عموم النصوص القرآنية في طلب الشهادة على الزنا قال تعالى: (١٢٥) ، وقال:(وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِن نِّسَائِكُمْ

فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ﴾ (١٢٦)

وجه الدلالة: الآيات اشترطت إتيان أربعة شهداء، ولم تُقيّد ألفاظ الشهادة بلفظ مخصوص ، فالمعتبر في الشهادة أن تكون صادرة عن علم يقيني مباشر بالمشاهدة، لا أن تصاغ بعبارة مخصوصة(١٢٧).

القول الثاني: لا تكفي هذه الصيغة، ويشترط أن يذكر التفاصيل فيقول: « أشهد أني رأيت فلان زنى بفلانة، وغيب فرجه في فرجها «وهذا قول الشافعية(١٢٨)

استدلوا على ذلك بما يأتي:

١. قول النبي(صلى الله عليه وآله وسلم): «((ادْرَؤُوا الْحُدُودَ مَا اسْتَطَعْتُمْ))»(١٢٩) «يقول الكاساني رحمه الله : (إن الحد عقوبة متكاملة فيستدعي جناية متكاملة، فإذا كانت هناك شبهة كانت الجناية غير متكاملة ، فيُدرأ الحد إذا وُجدت شبهة في الصيغة أو في الفعل)»(١٣٠).

٢. لأن الزنا حد عظيم لا يُقام إلا مع العلم اليقيني، والصيغة المذكورة قد يُراد بها التمثيل أو المبالغة أو الحكاية، لذا لا بد من زيادة الجزم والتحديد(١٣١)

الرأي الراجح:

بعد عرض قولي الفقهاء ، يظهر لي والله اعلم أن القول الاول القائل ان شهادة الشاهد في الزنا تُقبل إذا قال: «أشهد أني رأيت» بشرط أن يُصرّح بالفعل المحرّم الموجب للحد، ويكون ذلك عن علم يقيني بالمشاهدة العينية المباشرة، دون اشتراط ألفاظ محددة هو الراجح ؛ وذلك للأسباب الاتية :

١. لان القول بعدم كفاية هذه الصيغة يلزم بألفاظ لم يلزم بها الشرع، ولا الصحابة، ولا التابعون.

٢. لأن اشتراط قول: «رأيت فلان زنى بفلانة، وغيب فرجه في فرجها « زيادة لا دليل عليها، ويفضي إلى تضييع الحدود مع توفر أدلتها الشرعية.

٣. لان مقصد الشرع هو تحقيق العدالة وضمان الجزم، لا تعقيد الصيغ وإغلاق باب البينات.

المطلب السادس: تحمل الشهادة على الإقرار دون حضور المجلس

صورة المسألة:

إذا سمع شخصٌ إقرارًا من أحد الناس بحقٍ على نفسه، كأن يقول: «فلان له في ذمتي كذا»، فقام هذا الشخص بتحمّل الشهادة دون أن يكون الإقرار موجهًا إليه، أو دون أن يُطلب منه ذلك، أو لم يكن حاضرًا في مجلس خاص بالشهادة، ثم أراد أن يؤدي هذه الشهادة فقال: «أشهد أني سمعته يقر بكذا» فهل يُقبل منه ذلك؟

القول الأول: لا تصح الشهادة إلا إذا قال: «أقر عندي» أو كان في مجلس معتبر، ولا يكفي قوله: «أشهد أني سمعته يقر» وهو قول المالكية(١٣٢)، والشافعية(١٣٣)، والحنابلة(١٣٤)، والزيدية(١٣٥)، والإمامية(١٣٦).

«قال الامام أحمد: (لا تكون شهادة إلا أن يكون يشهدك، فأما إن سمعته يتحدث، فإنما ذلك حديث)»(١٣٧)، «وقال الماوردي: (فلم يجز للحاكم أن يحكم بها حتى يقول: أشهد أنه أقر عندي وأشهدني على نفسه؛ لأن الحكم يكون بالشهادة دون الخبر)» (١٣٨).

استدلوا على ذلك بما يأتي:

١. لأن الحكم يكون بالشهادة دون الخبر، وهذا خبر وليس شهادة(١٣٩).

٢. لأنه كالنائب عنه فلا بد من التحميل، والتوكيل ولا بد من أن يشهد عنده كما يشهد عند القاضي لينقله إلى مجلس القضاء(١٤٠)

القول الثاني: تُقبل الشهادة إذا قال: «أشهد أني سمعته يقر» ولو لم يكن في مجلس التحمل، إذا كان جازمًا وظاهرًا وهو قول الحنفية (١٤١)، والظاهرية(١٤٢) .

استدلوا على ذلك بما يأتي:

١. لان هذا ينقل شهادته، ولا ينوب عنه؛ لأنه لا يشهد مثل شهادته، وإنما يشهد على شهادته(١٤٣).
٢. لأن من سمع إقرار غيره حل له الشهادة، وإن لم يقل له: اشهد(١٤٤).

الرأي الراجح:

بعد عرض قولي الفقهاء يظهر لي والله اعلم أن القول الراجح هو عدم قبول الشهادة على الإقرار بصيغة «سمعته يقر» إذا لم تكن في مجلس معتبر أو يُصرّح فيها بعبارة «عندي»، لعدة أسباب ، أبرزها:

١. لأن هذه الصيغة تحتمل السماع العرضي المجرد من نية التحمل، مما يُفقد الشهادة أحد أهم شروطها، وهو الضبط الواعي لتحمّلها.
٢. كما أن هذه العبارة لا تفيد الجزم بوقوع الإقرار في مجلس مخصوص يُعتد به شرعًا، وهو ما يخل بشرط اليقين الذي تُبنى عليه الأحكام القضائية.
٣. أضف إلى ذلك أن اشتراط مجلس التحمل وصيغة «عندي» يحقق مقصود الشهادة من حيث التوثيق والانضباط، ويمنع احتمالات التلاعب أو التلفيق.
٤. سدًا لذريعة التهاون في إثبات الحقوق.

المطلب السابع : الشهادة في النكاح بقول «حضرت العقد» أو «أشهد أني حضرت»

صورة المسألة:

إذا حضر شاهد عقد النكاح، وأراد أن يُدلي بشهادته عليه، فقد يُعبر عن ذلك بواحدة من الصيغ الآتية: أن يقول: « حضرت العقد الجاري بين الزوج والمزوِّج واشهد به « أو أن يقول: «أشهد أني حضرت»، فهل تُقبل شهادته بهذه الصيغة؟

القول الأول: تُقبل شهادته وهذا هو المعتمد عند جمهور الفقهاء من الحنفية(١٤٥)، والشافعية(١٤٦)، ورواية عن احمد(١٤٧)، والظاهرية(١٤٨)، والإمامية(١٤٩).

«قال تقي الدين السبكي رحمه الله : (قال الشاهد مؤديا حضرت العقد، أو مجلس العقد الجاري، بين الزوج والمزوج، وأشهد به، ومن الناس من يقول: أشهد أني حضرت، واللفظ الأول أصح، وأصوب، ولا يبعد تصحيح الثاني)»(١٥٠) ، «وقال صاحب المنهاج الشافعي: (ولا يصح إلا بحضرة شاهدين إنما عبر بالحضور ليفهم عدم الفرق بين حضورهما قصدا أو اتفاقا، أو حضرا وسمعا العقد صح وإن لم يسمعا الصداق)»(١٥١).

استدلوا على ذلك بما يأتي:

١. قوله تعالى:(وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ) (١٥٢).

وجه الدلالة: لا يشترط في أداء الشهادة لفظ معين، بل تصح بكل لفظ دل على اليقين فاذا قال الشاهد في النكاح احد هاتين العبارتين ، فقد تحققت صورة الإشهاد(١٥٣).

٢. قوله(صلى الله عليه وآله وسلم):«((لَا نِكَاحَ إِلَّا بِوَلِيٍّ وَشَاهِدَيْ عَدْلٍ))»(١٥٤)

وجه الدلالة: إن اشتراط لفظ الشهادة لا أصل له في كتاب الله وسنة رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم)، ولا قول أحد من الصحابة رضي الله عنهم ، ولا يتوقف إطلاق لفظ الشهادة لغة على ذلك، فاشتراط الشهادة في النكاح يدل على أن المقصود هو الحضور والمعاينة والتوثيق، لا مجرد الصيغة اللفظية، فلو قال الشاهد: «حضرت العقد وأشهد به»، فقد تحقق مقتضى الحديث؛ لأنه جمع بين الحضور وأداء الشهادة.(١٥٥)

القول الثاني: الشهادة ليست شرطا في صحة عقد النكاح، وهذا هو قول الإمام مالك(١٥٦)، ورواية عن الإمام أحمد (١٥٧).

استدلوا على ذلك بما يأتي:

١. بعموم قول الله تعالى:(فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ)(١٥٨) فلم يذكر الله تعالى الشهادة، فيبقى النص على الإطلاق ولا تشترط الشهادة(١٥٩).

٢. لأن كل شخص لا يحتاج إليه في إيجاب ولا قبول لم يكن حضوره شرطاً في انعقاد النكاح كالزوجة وسائر الأجانب(١٦٠)

الرأي الراجح:

بعد عرض القولين وما استُدل به من نصوص، يظهر لي والله اعلم أن الراجح هو القول الأول، القاضي بقبول شهادة من قال: «حضرت العقد» أو «حضرت مجلس العقد وأشهد به»، وإن لم يتلفظ بلفظ «أشهد أن فلاناً تزوّج فلانة» بصيغة صريحة، وهو ما عليه جمهور الفقهاء، وذلك للأسباب الاتية:

١. لأن مقصود الشهادة قد تحقق.

٢. لأن النصوص الشرعية لم تعين لفظا خاصا لأداء الشهادة.

٣. لأن جمهور الفقهاء على هذا، وهو الأيسر والأقرب لمقاصد الشريعة.

المطلب الثامن: قول الشاهد «أشهد أني رأيت الهلال» وسكوته عن التصريح بدخول الشهر

صورة المسألة:

محل الخلاف هو: هل تُعتبر عبارة الشاهد اذا قال «أشهد أني رأيت الهلال» شهادة شرعية تامة يُبنى عليها الحكم بدخول الشهر، أم أنها مجرد إخبار عن رؤية يلزم معها التصريح بالحكم كأن يقول: «وأشهد أن الليلة أول ليلة من ليالي رمضان»؟

القول الأول: تُقبل هذه الشهادة ويُبنى عليها الحكم وهو رواية عن الإمام أبي حنيفة(١٦١)،والأصح عند الشافعية(١٦٢)، والمذهب عند الحنابلة(١٦٣)، وهو قول الظاهرية(١٦٤)، والزيدية(١٦٥) .

استدلوا على ذلك بما يأتي:

١. «قال ابن عمر رضي الله عنهما: ((تراءى النَّاسُ الْهِلَالَ، فَأَخْبَرْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنِّي رَأَيْتُهُ فَصَامَهُ، وَأَمَرَ النَّاسَ بِصِيَامِهِ))»(١٦٦)، «وعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: إِنِّي رَأَيْتُ الهِلَالَ، قَالَ: ((أَتَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، أَتَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ»، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «يَا بِلَالُ، أَذِّنْ فِي النَّاسِ أَنْ يَصُومُوا غَدًا))» (١٦٧).

وجه الدلالة: فكل من هذين قال إني رأيت، واكتفى النبي صلى الله عليه وسلم، به رواية كان أو شهادة، فمن قال: لابد من شهادة بغير هذه الصيغة، فقوله مردود بالحديث(١٦٨).

٢. «عن البراء رضي الله عنه قال: لَمَّا قَدِمَ رسولُ اللهِ (صلى الله عليه وآله وسلم). المدينةَ صَلّى نحوَ بيتِ المَقْدِسِ سِتَّةَ أو سبعةَ عَشَرَ شهرًا، وكان رسولُ اللهِ (صلى الله عليه وآله وسلم). يُحِبُّ أن يُوَجَّهَ إلى الكعبةِ، فأنزَلَ الله:(قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ)(١٦٩)، فَوُجِّهَ نحوَ الكعبةِ، وكان يُحِبُّ ذلكَ، فصَلّى رجلٌ معهُ العصرَ، قال: ثمَّ مَرَّ على قومٍ من الأنصارِ وهم ركوعٌ في صلاةِ العصرِ نحوَ بيتِ المَقدِسِ، فقال: هو يَشهَدُ أنَّه صلَّى مع رسولِ اللهِ (صلى الله عليه وآله وسلم)، وأنَّهُ قد وُجِّهَ إلى الكعبةِ، قال: فانْحَرَفُوا وهم ركوعٌ»(١٧٠)

وجه الدلالة : فلفظها شهادة على فعل نفسه، وأخذ بها الصحابة، واعتمدوها. (١٧١)

القول الثاني: هذه الصيغة مقبولة لكن لا بد من شاهد آخر يشهد معه ، وبه قال: المالكية(١٧٢) ، والشافعية في قول(١٧٣)، والحنابلة في رواية(١٧٤)، وبه قال: عطاء, والأوزاعي , والليث، وإسحق بن راهويه (١٧٥)، والامامية(١٧٦).

استدلوا على ذلك بما يأتي:

١. قوله تعالى:(وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ) (١٧٧) وجه الدلالة : ان الشاهدين العدلين هو العدد الذي تثبت به الحقوق، فوجب أن يكون هو العدد الذي تثبت به الرؤيا(١٧٨).

٢. لأنه حكم شرعي متعلق برؤية الهلال، فوجب أن يكون حكم الإخبار به حكم الشهادات(١٧٩).

القول الثالث: إن كان بالسماء علة يقبل شهادة الواحد، وإن لم يكن بالسماء علة فلا بد أن يكون الشهود جمعا غفيرا. وبه قال: الحنفية في ظاهر الرواية (١٨٠).

استدلوا على ذلك بما يأتي:

واستدل من اشترط وجود علة في السماء لقبول شهادة الواحد بأن أدلة القول الأول تُحمل على حال وجود مانع كالغيم، أما إن كانت السماء صافية، فإن تفرد الواحد بالرؤية مع اشتراك الناس في الترقب وانتفاء الموانع، يدل غالبًا على وهمه، إذ لو كانت الرؤية صحيحة لشاهدها غيره، وقاسوه على تفرد الثقة بزيادة في الحديث يخالف فيها جماعة شاركوه السماع، فإن زيادته تُرد لاحتمال الغلط، رغم عدالته(١٨١).

الرأي الراجح:

بعد عرض اقوال الفقهاء وادلتهم يظهر لي والله اعلم ان الرأي الراجح هو قبول شهادة من قال «أشهد أني رأيت الهلال» وسكت، إذا كان عدلًا ضابطًا؛ وذلك لأن الشهادة في هذه الحالة قد تحقق فيها المقصود الشرعي، وهو الإخبار عن تحقق العلة الموجبة لدخول الشهر وهي الرؤية، ولا يُشترط في الشهادة أن يضمّنها الشاهد حكمًا شرعيًا، فذلك من اختصاص القاضي، وهذا هو

الذي عليه العمل عند جمهور الفقهاء.

الخاتمة.

الحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، خير من نطق بالحكمة وفصّل الحقوق، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

أما بعد:

فقد تبيّن من خلال هذا البحث أن الشهادة على فعل النفس تمثّل مبحثًا فقهيًا دقيقًا تتقاطع فيه الجوانب الذاتية بالشروط القضائية الموضوعية، لما يترتب عليها من آثار شرعية معتبرة في إثبات الحقوق أو نفيها ، وتكمُن دقتها في كونها تتعلق بإثبات الشاهد لما قام به بنفسه من فعل أو قول أو تصرّف، مما يُثير إشكالات في حجيتها، ويستدعي تحريرًا لمواضع قبولها وحدود صلاحيتها في الإثبات القضائي.

وقد أظهر البحث أن المذاهب الفقهية الثمانية قد تناولت هذه المسائل في أبواب شتّى، كالإرضاع ، والزنا، والعقود، والإقرار، ورؤية الهلال، وغيرها، وبيّنت مدى تنوّع رؤيتهم لهذه الشهادة من حيث الشروط، والصيغ، والمجال، وحكم تعارضها مع إنكار الغير ، ومن خلال النماذج المختارة، تبيّن ما يلي:

١. الشهادة على فعل النفس جائزة عند جمهور الفقهاء، متى توفرت فيها شروط التحمل والأداء، وصيغت بألفاظٍ جازمة تُحقق المقصود الشرعي من الشهادة.

٢. هناك مسائل محل اتفاق فقهي، أبرزها عدم قبول الشهادة إذا تعارضت مع الإنكار الصريح من الطرف المعني، كما في النكاح أو الإقرار.

٣. اختلاف صيغ الأداء، مثل قول: «حضرت» أو «رأيت»، قد يؤدي إلى ردّ الشهادة، مما يؤكد الحاجة إلى تقعيد فقهي للصيغ المؤثرة في إثبات الواقعة.

٤. التوسّع في قبول الشهادة على فعل النفس دون ضوابط محكمة قد يفضي إلى خلل في نظام الإثبات الشرعي، ويُعرض الأحكام للاضطراب، ما يستلزم تحقيقًا دقيقًا في قواعد القبول.

الهوامش:

(١) صحيح البخاري ، كتاب الشهادات ، باب ما قيل في شهادة الزور ، رقم الحديث(٢٦٥٣)،١٧١/٣

(٢) مقاييس اللغة، ابن فارس: ٥٣٩/٣، تاج العروس: ٢٥٣/٨، لسان العرب: ٢٢٤/٧.

(٣) سورة الاسراء من الآية: ٧٨.

(٤) سورة يوسف من الآية : ٨١

(٥) سورة البقرة من الآية: ١٨٥

(٦) الجامع لأحكام القران: ٢٧٦/٢

(٧) سورة النور من الآية: ٦

(٨) لسان العرب: ٥/ ٢١٦

(٩) سورة التوبة من الآية: ١٧

(١٠) ينظر: المفردات (مادة: شهد) :ص ٢٦٩.

(١١) سورة آل عمران الآية : ١٨

(١٢) القاموس المحيط: ٤/ ٣٧٣.

(١٣) ينظر: شرح فتح القدير:٣٦٤/٧، شرح العناية على الهداية: ٣٦٤/٧.

(١٤) ينظر: مواهب الجليل: ١٥١/٦

(١٥) ينظر: فتح الوهاب للأنصاري: ٢٢٠/٢، حاشية القليوبي: ٤/ ٣١٨، حاشية الجمل: ٣٧٧/٥.

(١٦) ينظر: كشاف القناع: ٦/ ٤٠٤

(١٧) ينظر: شرح الأزهار:٢٥/٢.

(١٨) سورة البقرة من الآية: ٢٨٢

(١٩) ينظر: احكام القران لابن العربي:٢٧٧/٢

(٢٠) سورة البقرة من الآية: ١٤٠

(٢١) ينظر: البحر المحيط :٣٥٤/٤، الجامع لأحكام القران: ٢٧٦/٢

(٢٢) صحيح البخاري ، كتاب الشهادات ، باب ما قيل في شهادة الزور ، رقم الحديث (٢٦٥٣): ١٧١/٣

(٢٣) ينظر : اعلام الموقعين: ٢٨٥/٢

(٢٤) صحيح البخاري، كتاب الشهادات ، باب يحلف المدعى عليه حيثما وجبت عليه اليمين، ولا يصرف من موضع إلى غيره، رقم الحديث (٢٥٢٧): ٢/ ٩٥٠

(٢٥) ينظر: فتح الباري: ١٩٩/٣

(٢٦) البيان: ١٣/ ٢٦٨.

(٢٧) النجم الوهاج: ١٠/ ٢٨٣.

(٢٨) المغني: ١٠/ ١٥٤.

(٢٩) شرح الزركشي: ٣/ ٣٨٩.

(٣٠) ينظر : الاختيار: ٢/ ١٦٦، المغني: ١٠/ ١٥٤.

(٣١) النجم الوهاج: ١٠/ ٢٨٣.

(٣٢) ينظر: بدائع الصنائع: ٢٦٦/٦، تبيين الحقائق: ٢١٢/٤، الأم: ٢٥٥٢/٢، المغني: ٢٨/١٢، الإنصاف:٣٧/١٢.

(٣٣) غرائب القرآن: ١٤٦/٥.

(٣٤) ينظر: بلغة السالك: ٣٢٣/٢، روضة الطالبين:١٩٩/٨، الشرح الكبير:٣٤/١٢، المحلى:٢٨٨/٤ ، شرائع الاسلام في مسائل الحلال والحرام:٢٩٨/٥، البحر الزخار:١٠٣/٣.

(٣٥) ينظر: بدائع الصنائع:٢٦٦/٦.

(٣٦) ينظر: اللباب في علوم الكتاب:٣٠٥/١٤، تبيين الحقائق:٢١٢/٤، المغني: ٢٨/١٢، الإنصاف: ٣٧/١٢، اختلاف الفقهاء، الرازي: ٣٣٥/٣ ، المحلى:٢٨٧/٤ ، شرائع الاسلام في مسائل الحلال والحرام: ٢٩٥/٥.

(٣٧) ينظر: مفاتيح الغيب:٣٣٤/٢٣، بدائع الصنائع:٢٦٦/٦، الكافي: ص٤٦١، الوجيز: ٢٤٨/٢، شرح منتهى الإرادات: ٥٨٩/٣.

(٣٨) ينظر: المبسوط: ١٣٠/١٦، اللباب في علوم الكتاب: ١٨٥/١١.

(٣٩) ينظر: مختصر اختلاف العلماء: ٣٦٩/٣، الكافي: ص٤٦٤، الوجيز:٢٥١/٢، روضة الطالبين: ٢٣١/٨.
(٤٠) ينظر: روح البيان، إسماعيل حقي: ٢١٦/٧، مختصر اختلاف العلماء:٣٣٦/٣، تحرير الأحكام الشرعية على مذهب الإمامية: ٣١١/٢.
(٤١) ينظر: روح البيان:٢١٦/٧، الجامع لأحكام القرآن:٣٩٠/٣، مغني المحتاج:٤٤٦/٤، اللباب في علوم الكتاب :١٨٥/١١.
(٤٢) ينظر: المبسوط ١١٣/١٦، المعونة ١٥٢٧/٣، روضة الطالبين ٢١٦/٨، المبدع ٣٠٤/٨.
(٤٣) ينظر: حاشية ابن عابدين٣٨٧/٤ ، بدائع الصنائع ٢٨٢/٦، فتح القدير٣٦٥/٧، كشاف القناع٤٠٦/٦، حاشية الدسوقي١٧٥/٤،مغني المحتاج٤٥١/٤، المهذب٣٢٣/٢،الشرح الصغير٢٤٩/٤،الانصاف١٢/٣،المغني١٤٧/٩، المحلى ٣٩٨/٤، شرائع الاسلام في مسائل الحلال والحرام ٤٣/٤.
(٤٤) سورة البقرة من الآية : ٢٨٢ .
(٤٥) سورة البقرة من الآية : ٢٨٣ .
(٤٦) ينظر: الشرح الكبير، لابن قدامة٢٩/ ٢٥٠ .
(٤٧) ينظر: المصدر السابق .
(٤٨) سورة النساء من الآية : ٥٨ .
(٤٩) ينظر: النجم الوهاج: ١٠/ ٣٦٢، مغني المحتاج: ٦/ ٤٠٨ .
(٥٠) ينظر: حاشية ابن عابدين:٣٨٧/٤ ، بدائع الصنائع: ٢٨٢/٦، البحر الرائق:٥٧/٧.
(٥١) ينظر: حاشية الدسوقي:١٧٥/٤، تبصرة الحكام: ١٦٢/١
(٥٢) ينظر: مغني المحتاج:٤٥١/٤، المهذب:٣٢٣/٢
(٥٣) ينظر: المغني:١٤٧/٩.
(٥٤) ينظر: شرائع الاسلام في مسائل الحلال والحرام :٤٣/٤
(٥٥) ينظر: فتح القدير:٢٦٩/١.
(٥٦) صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن، وعلى الذكر، رقم الحديث (٢٦٩٩): ٤/ ٢٠٧٤
(٥٧) ينظر: التجريد للقدوري:٦٠٨/٢ ، الجوهرة النيرة على مختصر القدوري:٢٢٥/٢
(٥٨) ينظر: شرح منتهى الإرادات:٥٧٧/٣
(٥٩) ينظر: مغني المحتاج:٤٥١/٤
(٦٠) ينظر: المغني:١٤٧/٩،كشاف القناع:٤٠٦/٦
(٦١) ينظر: المحلى:٣٩٨/٤
(٦٢) سورة البقرة من الآية : ٢٨٣
(٦٣) ينظر: البيان للعمراني: ١٣/ ٢٦٨.
(٦٤) سورة الطلاق من الآية : ٢
(٦٥) ينظر: تفسير القران العظيم لابن كثير: ٢٨٥/٧.
(٦٦) صحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب: كيف يبايع الإمام الناس، رقم الحديث (٧١٩٩): ٧٧/٩
(٦٧) ينظر: وسائل الإثبات ، الزحيلي: ص ١٢٤.
(٦٨) ينظر: المغني: ٧ / ٥٥٩.
(٦٩) ينظر: المصدر نفسه.
(٧٠) ينظر: شرائع الاسلام في مسائل الحلال والحرام: ٤٣/٤ .
(٧١) ينظر: البحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الأمصار:١٣٩/٢ . .
(٧٢) صحيح البخاري، كتاب الشهادات، باب شهادة المرضعة، رقم الحديث(٥١٠٤): ١٩٦/٢ .
(٧٣) ينظر: المغني: ٧ / ٥٥٩ .
(٧٤) مصنف عبد الرزاق: ٤٨٤/٧.
(٧٥) ينظر: منحة العلام في شرح بلوغ المرام: ٨/ ١٥٢
(٧٦) ينظر: حاشية الخرشي: ٢٤٣/٤.
(٧٧) ينظر: بدائع الصنائع:٤/ ١٤.

(٧٨) ينظر: حاشية الخرشي: ٤ / ٢٤٣.
(٧٩) ينظر: نهاية المحتاج: ١٨٥/٧، روضة الطالبين: ٣٦/٩
(٨٠) ينظر: المحلى:٣٩٨/٤
(٨١) سورة البقرة من الآية : ٢٨٢.
(٨٢) ينظر: منحة العلام في شرح بلوغ المرام: ٨/ ١٥٢
(٨٣) ينظر: نيل الأوطار:٦/ ٣٥٩.
(٨٤) ينظر: منحة العلام في شرح بلوغ المرام: ١٥٢/٨
(٨٥) سورة البقرة من الآية : ٢٣٣
(٨٦) ينظر: شرح أدب القاضي للخصاف: ٣/ ١٦٣
(٨٧) ينظر: التاج والإكليل لمختصر خليل: ٤١٥/٧، تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام:١/ ٨٦
(٨٨) ينظر: الشرح الكبير للرافعي: ١٢/ ٤٤٥
(٨٩) ينظر: الانصاف في معرفة الراجح من الخلاف:٤٠٩/٢٩
(٩٠) ينظر: المحلى:٨٩/٦
(٩١) ينظر: شرائع الاسلام في مسائل الحلال والحرام: ١٨٨/٦
(٩٢) منح الجليل: ٢٧٩/٨
(٩٣) المدونة: ١٤/٤
(٩٤) ينظر: روضة الطالبين: ١١/ ١٢٨، تحبير المختصر وهو الشرح الوسط على مختصر خليل:٥/ ٥٩
(٩٥) ينظر: البيان والتحصيل لابن رشد:٩/ ١٩٧
(٩٦) ينظر: اختلاف العلماء للطحاوي:٣/ ٣٥٦
(٩٧) ينظر: روضة الطالبين وعمدة المفتين:١١/ ١٢٨
(٩٨) ينظر: الانصاف في معرفة الراجح من الخلاف:٤٠٩/٢٩
(٩٩) ينظر: شرح أدب القاضي للخصاف: ٣/ ١٦٣
(١٠٠) ينظر: مناهج التحصيل ونتائج لطائف التأويل:٩/ ٢٠٥، التاج والإكليل: ٧/ ٤١٦
(١٠١) ينظر: نهاية المطلب في دراية المذهب: ١٩/ ٨٧
(١٠٢) ينظر: فتح القدير, للشوكاني:٩٨/٢.
(١٠٣) الأم : ٢٣٠/٦
(١٠٤) ينظر: المغني:١٤٢/١٠
(١٠٥) ينظر: نهاية المطلب في دراية المذهب: ١٩/ ٨٧
(١٠٦) ينظر: غمز عيون البصائر في شرح الأشباه والنظائر:١/ ٢٧٤، التنف في الفتاوى للسغدي:٢/ ٨٠١
(١٠٧) ينظر: مناهج التحصيل ونتائج لطائف التأويل:٩/ ٢٠٥
(١٠٨) ينظر: المغني:١٤٢/١٠
(١٠٩) ينظر: المحلى:٢١٦/٥
(١١٠) ينظر: شرائع الاسلام في مسائل الحلال والحرام :٤٣/٤
(١١١) ينظر: المغني:١٤٢/١٠
(١١٢) ينظر: العناية شرح الهداية: ٣/ ٢٠٧
(١١٣) ينظر: التهذيب في اختصار المدونة: ٢/ ١٦٣
(١١٤) ينظر: مغني المحتاج: ٢٨٧/٣
(١١٥) ينظر: المحلى:١٨٨/١٢
(١١٦) ينظر: شرائع الاسلام في مسائل الحلال والحرام: ١٠٧/٦
(١١٧) الأصل لمحمد بن الحسن: ٢١١/١٠
(١١٨) المبسوط: ٥ /٣٥، موسوعة القواعد الفقهية، محمد صدقي آل بورنو: ١٠٣/٨.
(١١٩) ينظر: التهذيب في اختصار المدونة: ٢/ ١٦٣،الجامع لمسائل المدونة:١٢٥/٩
(١٢٠) ينظر: الشرح الممتع على زاد المستقنع: ٢٨١/١٢

(١٢١) الشرح الممتع على زاد المستقنع: ٢٨١/١٢
(١٢٢) السنن الكبرى للبيهقي، باب لا نكاح إلا بولي ، رقم الحديث(١٣٧٣١): ١٤/ ٨٣، صححه أبو عوانة وابن حبان والحاكم وابن معين وغيره من الحفاظ ينظر: نصب الراية: ١٨٤/ ٣.
(١٢٣) ينظر: نيل الاوطار:٦٧/٣
(١٢٤) ينظر: الشرح الممتع على زاد المستقنع: ٢٨١/١٢
(١٢٥) ينظر: البحر الرائق: ٨٥/٧، مواهب الجليل: ١٥٤/٦، الإقناع: ٤٣٦/٤، البيان والتحصيل لابن رشد: ٣٤٥/١، المغني :٦١/١٢-٦٢، شرح الأزهار: ١٩٩/٤-٢٠٠، المحلى: ٤٣٣/٩.
(١٢٦) سورة النور من الآية : ١٣
(١٢٧) سورة النساء من الآية: ١٥
(١٢٨) ينظر: المطلع على دقائق زاد المستقنع: ٣/ ١٧٤، فتح العلام في بيان مآخذ الأحكام: ص ٦٩٨
(١٢٩) ينظر: الأشباه والنظائر ، للسيوطي: ص ٤٩٧، أسنى المطالب: ٣٦١/٤
(١٣٠) سنن البيهقي الكبرى، باب الرجل من المسلمين قد شهد الحرب يقع على الجارية من السبي قبل القسم، رقم الحديث(١٨٢٩٤): ٩/ ٢٠٧، ضعفه ابن حجر في التلخيص: ٥٦/٤
(١٣١) بدائع الصنائع: ٣٤/٧.
(١٣٢) ينظر: أسنى المطالب: ١٢٧/٤، مغني المحتاج: ٤٤٦/٥،الشرح الكبير: ١٨٧/١٠.
(١٣٣) ينظر: شرح الخرشي: ٢١٨/٧، تحبير المختصر: ١٦٩/٥
(١٣٤) ينظر : الحاوي الكبير: ١٧/ ٢٢٣، كفاية النبيه في شرح التنبيه: ٢٥٨/١٩
(١٣٥) ينظر: الشرح الكبير على المقنع: ٣٠/ ٤٨، وبل الغمامة في شرح عمدة الفقه لابن قدامة: ٨/ ٣٥٨
(١٣٦) ينظر: شرح الأزهار: ١٩٩/٤
(١٣٧) ينظر: تحرير الأحكام الشرعية على مذهب الإمامية: ٣١١/٢
(١٣٨) الشرح الكبير على المقنع: ٣٠/ ٤٨
(١٣٩) الحاوي الكبير: ١٧/ ٢٢٣
(١٤٠) ينظر : الحاوي الكبير: ١٧/ ٢٢٣
(١٤١) ينظر: تبيين الحقائق: ٤/ ٢٣٩
(١٤٢) ينظر: الهداية مع شرح العناية: ١٦/ ١٢١، الاختيار: ٢/ ١٥١
(١٤٣) ينظر: المحلى: ٨/ ٥٤٢
(١٤٤) ينظر: المغني: ٢٠٣/١٤
(١٤٥) ينظر: الهداية مع شرح العناية: ١٦/ ١٢١، البحر الرائق شرح كنز الدقائق: ٧/ ١٢١
(١٤٦) ينظر: مجمع الأنهر: ٤٧٣/١، حاشية ابن عابدين: ٢٣/٣، المحيط البرهاني: ٩/ ٤٣٧.
(١٤٧) ينظر: روضة الطالبين:٤٩/٧، النجم الوهاج في شرح المنهاج: ٦٤/٧، قضاء الأرب في أسئلة حلب : ص ٤٦٦
(١٤٨) ينظر: كشاف القناع: ٧١/٥، منار السبيل: ٥٦٥/٢.
(١٤٩) ينظر: المحلى: ١٢٤/٨
(١٥٠) ينظر: تحرير الأحكام الشرعية على مذهب الإمامية: ١٠٦/٤
(١٥١) قضاء الأرب في أسئلة حلب: ص ٤٦٦
(١٥٢) مغني المحتاج: ٤/ ٢٣٤
(١٥٣) سورة البقرة من الآية : ٢٨٢
(١٥٤) ينظر: حاشية الدسوقي مع الشرح الكبير: ١٦٤/٤ ، مجموع الفتاوى: ١٧٠/١٤ ، بدائع الفوائد: ٥٤/٤.
(١٥٥) سنن الدار قطني ،كتاب النكاح، باب المهر، رقم الحديث(٣٥٣٤): ٤/ ٣٢٤ ، وفي إسناده مقال، ولكن له طرق يقوي بعضها بعضا، ذكر بعضها الدارقطني ، ينظر: نيل الأوطار للشوكاني: ٦ / ٢٥٩
(١٥٦) ينظر: الإحكام شرح اصول الأحكام, لابن قاسم: ٥٣٩/٤
(١٥٧) ينظر: شرح الزرقاني على موطأ مالك: ٣/ ١٨٨.
(١٥٨) ينظر: المغني: ٩/ ٣٤٧، شرح الزركشي: ٥/ ٢٢.
(١٥٩) سورة النساء من الآية: ٣

(١٦٠) ينظر: وبل الغمامة في شرح عمدة الفقه لابن قدامة: ٦/ ٥٣
(١٦١) ينظر: الإشراف على نكت مسائل الخلاف: ٢/ ٦٩٢
(١٦٢) ينظر: بدائع الصنائع: ٢/ ٨٠، البناية: ٤/ ٢٦.
(١٦٣) ينظر: الحاوي الكبير: ٣/ ٤١٢، نهاية المطلب: ٤/ ١٢، البيان: ٣/ ٤٨٠، المجموع: ٦/ ٢٨٢.
(١٦٤) ينظر: المغني: ٣/ ١٦٤، الروض المربع: ١/ ٢٢٦، شرح منتهى الإرادات: ١/ ٤٧٢، الإنصاف: ٣/ ٢٧٣.
(١٦٥) ينظر: المحلى: ٤/ ٣٧٣.
(١٦٦) ينظر: نيل الاوطار: ٢٢٦/٨
(١٦٧) سنن ابي داود ، كتاب الصوم ، باب في شهادة الواحد على رؤية هلال رمضان ، رقم الحديث(٢٣٤٢): ٢/ ٣٠٢، صححه، ووافقه الذهبي. ينظر: مستدرك الحاكم: ١ / ٤٢٣
(١٦٨) سنن الترمذي، كتاب الصوم ، باب ما جاء في الصوم بالشهادة ، رقم الحديث(٦٩١): ٣/ ٦٥، إسناده ضعيف، سماك في روايته عن عكرمة اضطراب، وقد اختلف عليه في هذا الحديث، فروي مرسلًا، وروي موصولًا، ورجح المرسلَ غيرُ واحد من الأئمة
(١٦٩) ينظر: شرح الزركشي على الخرقي: ٢/ ٦٢٦، معالم السنن: ٢/ ١٠٢، شرح الطيبي على مشكاة المصابيح: ٥/ ١٥٨٢، شرح عمدة الفقه كتاب الصيام: ١/ ١٤١، سبل السلام :١/ ٥٦١.
(١٧٠) سورة البقرة من الآية: ١٤٤
(١٧١) سنن الترمذي ، كتاب ابواب التفسير، ياب ومن سورة البقرة ، رقم الحديث(٣٢٠١):٥/٢٢٤، قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح.
(١٧٢) ينظر: قضاء الأرب في أسئلة حلب، لتقي الدين السبكي: ص ٤٦٢
(١٧٣) ينظر: المدونة: ١/ ٢٦٧، المقدمات الممهدات: ١/ ٢٥١، المنتقى: ٢/ ٣٦، مختصر خليل: ص: ٦١.
(١٧٤) ينظر: الحاوي: ٣/ ٤١٢، نهاية المطلب: ٤/ ١٢، المهذب: ١/ ٣٢٩، البيان: ٣/٤٨٠، المجموع: ٢٧٥/٦.
(١٧٥) ينظر: ينظر: المغني: ١٦٤/٣، الفروع: ٤١٦/٤، الإنصاف: ٢٧٤/٣.
(١٧٦) ينظر: الإشراف لابن المنذر: ٣/ ١١٢، المجموع: ٢٨٢/٦، المغني: ١٦٤/٣.
(١٧٧) ينظر: وسائل الشيعة: ١٠/ ٢٨٩
(١٧٨) سورة البقرة من الآية : ٢٨٢
(١٧٩) نظر: المسالك لابن العربي: ٤/ ١٥٣، طرح التثريب: ١١٤/٤.
(١٨٠) ينظر: الإشراف للقاضي عبد الوهاب: ١/ ٤٢٧.
(١٨١) ينظر: بدائع الصنائع: ٢/ ٨٠، الاختيار: ١/ ١٢٩، تبيين الحقائق: ١/ ٣١٩، البناية: ٤/ ٢٥.

المصادر:

بعد القران الكريم:
١. «أحكام القرآن محمد بن عبد الله بن العربي (ت ٥٤٣هـ) المحقق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت، ط١٩٩٢،١م.»
٢. «اختلاف العلماء أبو جعفر الطحاوي (ت ٣٢١هـ) المحقق: محمد العزازي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط١، ٢٠٠٧م.»
٣. «اختلاف الفقهاء أبو زيد عبيد الله بن عمر الدبوسي (ت ٤٣٠هـ) المحقق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.»
٤. «الاختيار لتعليل المختار عبد الله بن محمود الموصلي (ت ٦٨٣هـ) المحقق: عبد اللطيف محمد عبد الرحمن، دار المعرفة، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.»
٥. «الأشباه والنظائر جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت ٩١١هـ) المحقق: محمد أحمد الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٣م».
٦. «الأشراف على مسائل الخلاف عبد الوهاب بن علي البغدادي (ت:٤٢٢هـ) المحقق: عبد المجيد تركي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ٢٠٠٤م.»
٧. «الأشراف على نكت مسائل الخلاف سعيد بن عبد الله الباجي (ت:٤٧٤هـ) المحقق: عبد المجيد تركي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٨٦م.»
٨. «الأصل محمد بن الحسن الشيباني (ت:١٨٩هـ) المحقق: محمد بوينوكال، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ٢٠٠٦م.»
٩. «الإحكام شرح أصول الأحكام ,عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي القحطاني الحنبلي النجدي (ت :١٣٩٢هـ) , ط٢،

١٤٠٦ هـ»
١٠. «إعلام الموقعين عن رب العالمين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (ت:٧٥١هـ) المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٣م.»
١١. «الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع شمس الدين محمد الخطيب الشربيني (ت:٩٧٧هـ) المحقق: محمد عبد الحميد شاهين، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٩٩٥م».
١٢. «الأم محمد بن إدريس الشافعي (ت:٢٠٤هـ) المحقق: رفعت فوزي عبد المطلب، دار الوفاء، المنصورة، ط١، ٢٠٠١م.»
١٣. «الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف المرداوي، علاء الدين (ت:٨٨٥هـ) المحقق: محمد بن عبد الرحمن آل إسحاق، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٥م».
١٤. «البحر الرائق شرح كنز الدقائق زين الدين بن نجيم المصري (ت:٩٧٠هـ) المحقق: محمد طاسون، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، بدون طبعة، بدون تاريخ».
١٥. «البحر الزخار المعروف بمسند البزار أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار (ت:٢٩٢هـ) المحقق: محفوظ الرحمن زين الله السلفي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط١، ٢٠٠٩م».
١٦. «البحر المحيط في أصول الفقه بدر الدين الزركشي (ت:٧٩٤هـ) المحقق: عبد القادر عبد الله العاني، دار الكتبي، القاهرة، ط١، ١٤١٤هـ.»
١٧. «بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع علاء الدين الكاساني (ت:٥٨٧هـ) المحقق: علي محمد معوض وعادل عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.»
١٨. «بلغة السالك لأقرب المسالك أحمد الصاوي المالكي (ت:١٢٤١هـ) المحقق: بدون محقق، دار الفكر، بيروت، بدون طبعة، بدون تاريخ.»
١٩. «البناية شرح الهداية بدر الدين العيني (ت:٨٥٥هـ) المحقق: محمد أمين عبد العزيز، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.»
٢٠. «البيان في مذهب الإمام الشافعي يحيى بن أبي الخير العمراني (ت:٥٥٨هـ) المحقق: د. قاسم محمد النوري، دار المنهج، الرياض، ط١، ١٤٢١هـ.»
٢١. «البيان والتحصيل محمد بن رشد القرطبي (ت:٥٢٠هـ) المحقق: محمد حجي وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٩٨٤م.»
٢٢. «تاج العروس من جواهر القاموس محمد مرتضى الزبيدي (ت:١٢٠٥هـ) المحقق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، القاهرة، بدون طبعة، بدون تاريخ.»
٢٣. «التاج والإكليل لمختصر خليل محمد بن يوسف بن أبي القاسم العبدري (ت: ٧٤٧هـ) المحقق: مجموعة محققين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.:
٢٤. «تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام علي بن محمد بن فرحون المالكي (ت: ٧٩٩هـ) المحقق: عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط١، ١٩٩٥م».
٢٥. «تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق عثمان بن علي الزيلعي (ت: ٧٤٣هـ) المحقق: عبد الله محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ.»
٢٦. «التجريد في فقه الإمام أبي حنيفة أبي الحسن علي بن محمد الموصلي (ت: ٦٨٣هـ) المحقق: الفقيه محمد حسن محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.»
٢٧. «تحبير المختصر شرح الوسط على مختصر خليل محمد بن إبراهيم البقوري (ت: ١٠٨٠هـ) المحقق: مجموعة باحثين، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط١، ٢٠٠٢م.»
٢٨. «تحرير الأحكام الشرعية على مذهب الإمامية محمد باقر بن محمد تقي المجلسي (ت: ١١١١هـ) المحقق: لجنة التحقيق، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ط١، ١٤٠٣هـ.»
٢٩. «تفسير القرآن العظيم إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ) المحقق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، الرياض، ط٢، ١٩٩٩م.»
٣٠. «التهذيب الجامع لمسائل المدونة علي بن عبد السلام التسولي (ت: ١٢٥٨هـ) المحقق: أحمد بن عبد الكريم نجيب، دار أضواء

السلف، الرياض، ط١، ٢٠٠٤م».
٣١. «التهذيب في اختصار المدونة برهان الدين إبراهيم بن علي اللخمي المعروف بابن فرحون (ت: ٧٩٩هـ) المحقق: عبد المجيد تركي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٩٣م.»
٣٢. «الجامع لأحكام القرآن محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت: ٦٧١هـ) المحقق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ.»
٣٣. «الجامع لمذاهب علماء الأمصار في مسائل الصلاة عبد الله بن أحمد بن محمد الطحاوي (ت: ٣٢١هـ) المحقق: عبد الله نذير أحمد، مركز البحوث بدار التأصيل، الرياض، ط١، ١٤٣٤هـ.»
٣٤. «الجوهر النير على مختصر القدوري عبد القادر بن محمد البغدادي (ت: ١٠٣٠هـ) المحقق: جمال أبو حسان، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط١، ١٩٩٨م».
٣٥. «حاشية ابن عابدين (رد المحتار على الدر المختار) محمد أمين بن عمر بن عابدين (ت: ١٢٥٢هـ) المحقق: مجموعة من المحققين، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٤١٢هـ.»
٣٦. «حاشية الجمل على شرح المنهج سليمان بن عمر الجمل (ت: ١٢٠٤هـ) المحقق: بدون محقق، دار الفكر، بيروت، بدون طبعة، بدون تاريخ.»
٣٧. «حاشية الخرشي على مختصر خليل محمد بن عبد الله الخرشي (ت: ١١٠١هـ) المحقق: بدون محقق، دار الفكر، بيروت، بدون طبعة، بدون تاريخ.»
٣٨. «حاشية الدسوقي على الشرح الكبير محمد بن أحمد الدسوقي (ت: ١٢٣٠هـ) المحقق: بدون محقق، دار الفكر، بيروت، بدون طبعة، بدون تاريخ».
٣٩. «حاشية القليوبي على شرح المحلي أحمد بن أحمد القليوبي (ت: ١٠٦٩هـ) المحقق: بدون محقق، دار الفكر، بيروت، بدون طبعة، بدون تاريخ.»
٤٠. «الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي الماوردي، علي بن محمد (ت: ٤٥٠هـ) المحقق: علي محمد معوض وعادل عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٩م».
٤١. «روح البيان إسماعيل حقي البروسوي (ت: ١١٢٧هـ) المحقق: أحمد عبد الرحيم السايح، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.»
٤٢. «الروض المربع شرح زاد المستقنع منصور بن يونس البهوتي (ت: ١٠٥١هـ) المحقق: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ٢٠٠٣م».
٤٣. «روضة الطالبين وعمدة المفتين يحيى بن شرف النووي (ت: ٦٧٦هـ) المحقق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.»
٤٤. «سبل السلام محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني (ت: ١١٨٢هـ) المحقق: محمد عبد العزيز الخولي، دار الحديث، القاهرة، ط١، ١٩٩٤م.»
٤٥. «سنن أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت: ٢٧٥هـ) المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، بدون طبعة، بدون تاريخ».
٤٦. «سنن الترمذي محمد بن عيسى الترمذي (ت: ٢٧٩هـ) المحقق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.»
٤٧. «السنن الكبرى أحمد بن الحسين البيهقي (ت: ٤٥٨هـ) المحقق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ٢٠٠٣م.»
٤٨. «شرائع الإسلام في مسائل الحلال والحرام جعفر بن الحسن الحلي (ت: ٦٧٦هـ) المحقق: لجنة التحقيق، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط١، ١٩٩٠م.»
٤٩. «شرح أدب القاضي للخصاف أبو بكر أحمد بن عمرو الخصاف (ت: ٢٦١هـ) المحقق: شادي عريش، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط١، ٢٠١٠م.»
٥٠. «شرح الأزهار في فقه الأئمة الأطهار أحمد بن يحيى المرتضى (ت: ٨٤٠هـ) المحقق: عبد الكريم أحمد جدبان، مكتبة بدر الكبرى، صنعاء، ط١، ٢٠٠٣م».

٥١. «شرح الزرقاني على موطأ مالك محمد بن عبد الباقي الزرقاني (ت: ١١٢٢هـ) المحقق: عبد اللطيف محمد عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.»
٥٢. «شرح الزركشي على مختصر الخرقي محمد بن عبد الله الزركشي (ت: ٧٧٢هـ) المحقق: عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ.»
٥٣. «الشرح الصغير أحمد بن محمد الدردير (ت: ١٢٠١هـ) المحقق: محمد علي معوض، دار المعارف، القاهرة، بدون طبعة، بدون تاريخ.»
٥٤. «شرح الطيبي على مشكاة المصابيح محمود بن عبد الله الطيبي (ت: ٧٤٣هـ) المحقق: بدون محقق، المكتبة العلمية، المدينة المنورة، ط١، ٢٠٠٥م.»
٥٥. «الشرح الكبير على المقنع شمس الدين بن قدامة (ت: ٦٨٢هـ) المحقق: عبد الرحمن العثمان، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، ط١، ١٩٨٠م».
٥٦. «الشرح الكبير على المنهاج عبد الكريم الرافعي القزويني (ت: ٦٢٣هـ) المحقق: علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٤م.»
٥٧. «الشرح الممتع على زاد المستقنع محمد بن صالح العثيمين (ت: ١٤٢١هـ) المحقق: مجموعة من طلبة الشيخ، دار ابن الجوزي، الدمام، ط١، ١٤٢٢هـ.»
٥٨. «شرح عمدة الفقه عبد الله بن أحمد بن قدامة (ت: ٦٢٠هـ) المحقق: أحمد محمد الخليل، دار العاصمة، الرياض، ط١، ١٤٢٨هـ.»
٥٩. «شرح فتح القدير محمد بن علي الشوكاني (ت: ١٢٥٠هـ) المحقق: عبد الرحمن عميرة، دار الفكر، بيروت، بدون طبعة، بدون تاريخ.»
٦٠. «شرح منتهى الإرادات منصور بن يونس البهوتي (ت: ١٠٥١هـ) المحقق: عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٩٢م».
٦١. «صحيح البخاري محمد بن إسماعيل البخاري (ت: ٢٥٦هـ) المحقق: محمد زهير الشاويش، دار طوق النجاة، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.»
٦٢. «صحيح مسلم مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ) المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون طبعة، بدون تاريخ.»
٦٣. «طرح التثريب في شرح التقريب عبد الرحيم بن الحسين العراقي (ت: ٨٠٦هـ) المحقق: عبد المعطي قلعجي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.»
٦٤. «العناية شرح الهداية محمد بن محمد البابرتي (ت: ٧٨٦هـ) المحقق: عبد الحميد علي أبو النعيم، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ.»
٦٥. «غرائب القرآن ورغائب الفرقان نظام الدين النيسابوري (ت: بعد ٨٥٠هـ) المحقق: عبد العزيز القاري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.»
٦٦. «غمز عيون البصائر في شرح الأشباه والنظائر أحمد بن محمد الحموي (ت: ١٠٩٨هـ) المحقق: عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط٢، ١٩٩٢م.»
٦٧. «فتح الباري شرح صحيح البخاري أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ) المحقق: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، بدون طبعة، بدون تاريخ.»
٦٨. «فتح العلام في بيان مأخذ الأحكام عبد الله بن صالح الفوزان (معاصر) المحقق: المؤلف، دار ابن الجوزي، الدمام، ط١، ١٤٢٧هـ».
٦٩. «فتح الوهاب بشرح منهج الطلاب زكريا بن محمد الأنصاري (ت: ٩٢٦هـ) المحقق: علي جمعة، دار السلام، القاهرة، ط١، ٢٠٠٤م.»
٧٠. «القاموس المحيط محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت: ٨١٧هـ) المحقق: مكتب تحقيق التراث، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٨، ٢٠٠٥م.»
٧١. «قضاء العرب في أسئلة حلب عبد الله بن عبد الرحمن الباجي (ت: ٤٧٤هـ) المحقق: عبد الستار أبو غدة، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط١، ١٩٩٥م.»

٧٢. «الكافي في فقه أهل المدينة عبد الله بن عبد الحكم (ت: ٢١٤هـ) المحقق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ٢٠٠٩م.»
٧٣. «كشاف القناع عن متن الإقناع منصور بن يونس البهوتي (ت: ١٠٥١هـ) المحقق: هيثم حمدان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.»
٧٤. «كفاية النبيه في شرح التنبيه أحمد بن رزين الحجري (ت: ٧٤١هـ) المحقق: بدون محقق، دار المنهاج، جدة، ط١، ٢٠١٠م».
٧٥. «اللباب في شرح الكتاب عبد الغني الميداني (ت: ١٢٩٨هـ) المحقق: علي عبد الحليم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٢م.»
٧٦. «اللباب في علوم الكتاب أبو حفص عمر بن عادل الدمشقي (ت: ٧٧٥هـ) المحقق: مجموعة محققين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.»
٧٧. «لسان العرب محمد بن مكرم بن منظور (ت: ٧١١هـ) المحقق: عبد الله علي الكبير وآخرون، دار صادر، بيروت، بدون طبعة، بدون تاريخ.»
٧٨. «المبدع في شرح المقنع برهان الدين ابن مفلح (ت: ٨٨٤هـ) المحقق: محمد فقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.»
٧٩. «المبسوط محمد بن أحمد السرخسي (ت: ٤٨٣هـ) المحقق: خليل الميس، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٩٩٣م.»
٨٠. «مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر عبد الرحمن بن محمد الغازي (ت: ١١٦٧هـ) المحقق: محمد زاهد الكوثري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون طبعة، بدون تاريخ.»
٨١. «المجموع شرح المهذب يحيى بن شرف النووي (ت: ٦٧٦هـ) المحقق: محمد نجيب المطيعي، دار الفكر، بيروت، بدون طبعة، بدون تاريخ».
٨٢. «المحلّى بالآثار علي بن أحمد بن حزم الأندلسي (ت: ٤٥٦هـ) المحقق: أحمد شاكر، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٩٧٠م.»
٨٣. «المحيط البرهاني برهان الدين محمود بن صدر الشريعة (ت: ٦١٦هـ) المحقق: مجيب الرحمن، وزارة الأوقاف القطرية، الدوحة، ط١، ٢٠٠٥م.»
٨٤. «مختصر اختلاف العلماء محمد بن أحمد الجصاص (ت: ٣٧٠هـ) المحقق: الحبيب بلخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٨٥م.»
٨٥. «مختصر خليل في الفقه المالكي خليل بن إسحاق الجندي (ت: ٧٧٦هـ) المحقق: محمد بدر الدين أبو فراس، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.»
٨٦. «المدونة الكبرى مالك بن أنس (ت: ١٧٩هـ) برواية سحنون عن عبد الرحمن بن القاسم (ت: ٢٤٠هـ) المحقق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٩٤م.»
٨٧. «المسالك في شرح موطأ مالك لأبي بكر بن العربي (ت: ٥٤٣هـ) المحقق: محمد بن عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٣م.»
٨٨. «المستدرك على الصحيحين محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري (ت: ٤٠٥هـ) المحقق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٠م.»
٨٩. «المطلع على دقائق زاد المستقنع عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل (ت: ١٤٣٢هـ) المحقق: مجموعة باحثين، دار العاصمة، الرياض، ط١، ٢٠٠٠م.»
٩٠. «معالم السنن أبو سليمان الخطابي (ت: ٣٨٨هـ) المحقق: عبد السلام هارون، المطبعة السلفية، القاهرة، ط١، ١٣٥١هـ.»
٩١. «المعونة على مذهب عالم المدينة القاضي عبد الوهاب المالكي (ت: ٤٢٢هـ) المحقق: حميش عبد العزيز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٩٥م.»
٩٢. «مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج محمد بن أحمد الشربيني (ت: ٩٧٧هـ) المحقق: علي محمد معوض وعادل عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.»
٩٣. «المغني في فقه الإمام أحمد بن قدامة المقدسي (ت: ٦٢٠هـ) المحقق: عبد الله التركي وعبد الفتاح الحلو، دار عالم الكتب، الرياض، ط٣، ١٤١٧هـ.»
٩٤. «مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) محمد بن عمر الرازي (ت: ٦٠٦هـ) المحقق: عبد الكريم العلوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت،

ط٣، ١٩٩٩م».
٩٥. «المفردات في غريب القرآن الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني (ت: بعد ٤٠٠هـ) المحقق: صفوان داوودي، دار القلم، دمشق، ط١، ٢٠٠٩م.»
٩٦. «مقاييس اللغة أحمد بن فارس بن زكريا (ت: ٣٩٥هـ) المحقق: عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٣٩٩هـ.»
٩٧. «المقدمات الممهدات ابن رشد الحفيد (ت: ٥٩٥هـ) المحقق: محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٨٨م».
٩٨. «منار السبيل في شرح الدليل إبراهيم بن ضويان الحنبلي (ت: ١٣٥٣هـ) المحقق: سامي بن محمد السلامة، دار الوطن، الرياض، ط٣، ١٤١٩هـ».
٩٩. «مناهج التحصيل ونتائج لطائف التأويل محمد بن أحمد ميارة (ت: ١٠٧٢هـ) المحقق: محمد بوخبزة، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٩٩٩م.»
١٠٠. «المنتقى شرح موطأ مالك عبد السلام بن عبد الرحمن بن إبراهيم البغدادي (ت: ٤٤٣هـ) المحقق: عبد الفتاح أبو غدة، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٩٩٩م.»
١٠١. «منحة العلام في شرح بلوغ المرام عبد الله بن صالح الفوزان (معاصر) المحقق: بدون محقق، دار ابن الجوزي، الدمام، ط١، ١٤٢٧هـ.»
١٠٢. «المهذب في فقه الإمام الشافعي أبو إسحاق الشيرازي (ت: ٤٧٦هـ) المحقق: محمد الزحيلي، دار القلم، دمشق، ط٢، ٢٠٠٢م.»
١٠٣. «مواهب الجليل في شرح مختصر خليل أحمد بن محمد بن المواق المالكي (ت: ٨٩٧هـ) المحقق: مجموعة محققين، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ.»
١٠٤. «موسوعة القواعد الفقهية محمد صدقي بن أحمد البورنو (ت: ١٤٣٩هـ) المحقق: المؤلف، دار الرسالة العالمية، دمشق، ط٥، ٢٠١٣م».
١٠٥. «النتف في الفتاوى أبو جعفر أحمد بن محمد السغدي (ت: ٤٦١هـ) المحقق: محمد خير رمضان يوسف، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط١، ١٩٩٣م.»
١٠٦. «النجم الوهاج في شرح المنهاج محمد بن أحمد الرملي (ت: ١٠٠٤هـ) المحقق: عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.»
١٠٧. «نصب الراية لأحاديث الهداية جمال الدين الزيلعي (ت: ٧٦٢هـ) المحقق: محمد يوسف البنوري، إدارة القرآن والعلوم الإسلامية، كراتشي، ط١، ١٩٧٣م.»
١٠٨. «نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج شمس الدين الرملي (ت: ١٠٠٤هـ) المحقق: محمد عبد الحميد شاهين، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٩٩٣م.»
١٠٩. «نهاية المطلب في دراية المذهب أبو المعالي الجويني (ت: ٤٧٨هـ) المحقق: عبد العظيم الديب، دار المنهاج، جدة، ط١، ٢٠٠٧م.»
١١٠. «نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار محمد بن علي الشوكاني (ت: ١٢٥٠هـ) المحقق: عصام الدين الصبابطي، دار الحديث، القاهرة، ط١، ٢٠٠١م.»
١١١. «الهداية في شرح بداية المبتدي برهان الدين المرغيناني (ت: ٥٩٣هـ) المحقق: علي محمد معوض وعادل عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.»
١١٢. «وبل الغمامة في شرح عمدة الفقه موفق الدين عبد الله بن قدامة (ت: ٦٢٠هـ) المحقق: ناصر بن سعد الحجي، دار التدمرية، الرياض، ط١، ١٤٢٩هـ.»
١١٣. «الوجيز في فقه الإمام الشافعي أبو حامد الغزالي (ت: ٥٠٥هـ) المحقق: عبد العظيم الديب، دار السلام، القاهرة، ط٣، ٢٠٠٤م.»
١١٤. «وسائل الإثبات في الشريعة الإسلامية محمد الزحيلي (معاصر) المحقق: بدون محقق، دار المكتبي، دمشق، ط١، ٢٠٠٠م.»
١١٥. «وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة محمد بن الحسن الحر العاملي (ت: ١١٠٤هـ) المحقق: مؤسسة آل البيت، مؤسسة آل البيت، قم، ط١، ١٤٠٩هـ. »

الحكمة من تشريع الحدود

أ.م.د ظاهر محسن عبد الله الباحثة:هبه صالح كاظم عباس
جامعة الإمام الكاظم (عليه السلام) للعلوم الإسلامية الجامعة

المستخلص:
يهدف البحث الى اظهار الحكمة الإلهية من إقامة الحدود حيث أن شريعة الإسلام تقوم على رفع الحرج واليسر، ودفع المفاسد التي تواجه الناس، يقول الدهلوي: « اعلم أن من المعاصي ما شرع الله فيه الحد».، وذلك كل معصية جمعت وجودها من المفسدة، بأن كانت فساداً في الأرض واقتضاباً على طمأنينة المسلمين، وكانت لها داعية في نفوس بني آدم لا تزال تهيج فيها، ولها ضراوة لا يستطيعون الإقلاع منها بعد أن أشربت قلوبهم بها، وكان فيه ضرر لا يستطيع المظلوم دفعه عن نفسه في كثير من الأحيان، وكان كثير الوقوع فيما بين الناس، فمثل هذه المعاصي لا يكفي فيها الترهيب بعذاب الآخرة، بل لابدّ من إقامة علامة شديدة عليها وإيلام، ليكون بين أعينهم ذلك فيردعهم عما يريدونه .
الكلمات المفتاحية: الحكمة الإلهية،الشريعة الإسلامية،تاحلاج، اليسر، المفاسد.المعاصي.

Abstract:
The research aims to demonstrate the divine wisdom behind the implementation of the limits, as Islamic law is based on removing hardship and making things easy، And to prevent the evils that people face, Al-Dahlawi says: "Know that among the sins are those for which God has prescribed punishment" This is every sin that combines its existence with corruption, as it is corruption on earth and a restriction on the peace of mind of the Muslims, and it has a cause in the souls of the children of Adam that continues to stir in them, and it has a ferocity that they are unable to stop after their hearts have been imbued with it, and there is harm in it that the oppressed person is unable to repel from himself in many cases, and it occurs frequently among people For such sins, it is not enough to intimidate them with the torment of the Hereafter. Rather, a severe sign and pain must be established for them, so that it is before their eyes and deters them from what they want.
Keywords: Divine wisdom, Islamic law, tolerance, ease, corruption, sins.

الحكمة من تشريع الحدود

تحتاج البشر لحماية أموالها ومصالحها وحياتها، فشرع الرجم لحماية الأنساب، وشرع الجلد لحماية العرض، وشرع حد الخمر لحماية العقل، فالتشريع الإسلامي بمبادئه جاء لحفظ العرض والعقل والنفس والدين والمال، والإسلام بوضعه لهذه الحدود عمد لدرء الحدود بالشبهات « فمقصد الشريعة من تشريع الحدود والقصاص والتعزير ثلاثة أمور: تأديب الجاني، وإرضاء المجني عليه، وزجر المقتدي بالجناة»(١).

ويشير الزحيلي إلى الحكمة من تشريع الحدود بما يأتي(٢):

١- التقويم والإصلاح: فمن غايات العقوبة إصلاح النفس وتقويمها، وليس الانتقام من المجرم.

٢- الردع والزجر: في تطبيق العقوبة زجر للمتهم ولغيره مما يؤدي إلى تقليل الجرائم، فالحكمة من إقامة الحد ردع الناس وزجرهم، وحفظ المجتمع من الفتن والفساد، للتخفيف من هذه الظاهرة.

٣- منع عادات بالية كالأخذ بالثأر، وقد كانت سائدة زمن الجاهلية.

٤- محاربة الجريمة: لأنها تضر بالمال والنفس والمجتمع، ومحاربتها تعني الحد من الفواحش وتقليص انتشارها.

لقد كانت الحكمة من تشريع الحدود حفظ الضروريات لحفظ الدين والعقل والمال والعرض « والجنايات وبجمعها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ترجع إلى حفظ الجميع من جانب العدم»(٣).

وليس هناك شك في أن حسن تطبيق تلك الحدود بضوابطها وشروطها حسب الشرع سيحقق السلامة للمجتمع، ويؤمن استقرار الناس ويقضي بشكل تدريجي على الإجرام، مما يجعل تطبيق تلك الحدود يكاد يكون نادراً(٤).

الحكم لكل حدّ من الحدود:

الخمر من الأمور المحرمة، وهي تسبب العداوة بين الناس، وبعض العرب في العصر الجاهلي وقبل تحريمه لم يشربوا الخمر لما يسببه من الضرر والأذى، وعواقبها الكثيرة كالذم والحزن وغير ذلك من الأضرار(٥).

أما الحكمة من تحريم الزنا فلها وجوه(٦):

أ- صيانة الأعراض من الانتهاك.

ب- حفظ الأنساب، يقول الله تعالى: « (يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣)»(٧).

ج- حفظ النسل.

د- انتظام الحال في تدبير البيت.

هـ- امتناع وقوع الفقر والفاقة.

و- منع الداء الفتاك بالأمة.

ي- الرحمة بالولد.

أما عن حكمة حد القذف فإن الشارع جمع بين عقوبة النفس بعدم قبول الشهادة، وعقوبة البدن بالجلد، حتى يصبح الزجر أقوى فلا يعود للقذف مرة ثانية(٨).

يقول تبارك وتعالى: « (وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةٗ وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً أَبَدٗاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٤ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥)»(٩).

أما الحكمة في وجوب قتل المرتد: فالمرتد بعد أن عرف الحق أصبح إنساناً مفسداً وضرره كبير، وهو يسيء للدين(١٠).

أما حكمة عقاب السارق فالمراد بالقطع هو عقوبة واتعاظ، عقوبة حصلت، واتعاظ يحصل برؤية الناس له(١١).

الحكمة من إقامة الحدود الشرعية:

إن الله تبارك وتعالى رحيم بالعباد بما يحقق لهم الاطمئنان والنفع والخير والأمان له ولأسرته ومجتمعه، والحدود ثابتة في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، فهناك آيات دلت على مشروعية الحدود ومنها قوله تعالى في قذف المحصنات: « (وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةٗ)»(١٢). وقوله سبحانه: « (ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖۖ)»(١٣).

وفي قضية المحاربين يقول جل جلاله: « (إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٣٣ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡۖ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣٤)»(١٤).

وفي الحديث الشريف ما جاء في حد السرقة من قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « لا تقطع يد السارق إلا في ربع دينار فصاعداً»(١٥).

وأيضا من هذا ما قاله الامام علي بن أبي طالب عليه السلام عند رجمه لامرأة في يوم الجمعة: « رجمتها بسنة رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)»(١٦).

فقد قال عليه الصلاة والسلام: « أقيموا حدود الله في القرب والبعيد، ولا تأخذكم في الله لومة لائم»(١٧).

إن تطبيق الحدود يوجب وجود أمور أربعة هي(١٨):

١. الإيمان بالدين الإسلامي كعقيدة ومنهاج وشريعة.

٢. تطبيق كل ما شرع الله في جميع الأحكام الاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

٣. الحرص على مصالح الجماعة وإيثارها على المصلحة الفردية.

٤. معرفة فوائد الحدود من خلال إدراك ذلك في التجربة والعقل.

وقد شرعت هذه الحدود كفارات لمن أقيم عليه الحد ككفارة لارتكابه الجريمة فلا يحاسب يوم القيامة عليها، فقد تطهر من ذنبه بإقامته لها. يقول صلى الله عليه وآله وسلم : « بايعوني على ألا تشركوا بالله شيئاً ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصوني في معروف، فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب به في الدنيا فهو له كفارة، ومن أصاب من ذلك شيئاً فستره الله فأمره إلى الله، إن شاء عاقبه، وإن شاء عفا عنه»(١٩).

فإقامة الحد تكفر عن الذنوب « وكون الحدود كفارة لأهلها لا يعني أن قتل المرتد كفارة له، فالمرتد إذا قتل على ارتداده لا يكون القتل له كفارة، لأن الله لا يغفر أن يشرك به»(٢٠).

يقول تعالى: « (إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١١٦)»(٢١). وقوله سبحانه: « وَمَن يَرۡتَدِدۡ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتۡ وَهُوَ كَافِرٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ)»(٢٢).

فإن الحكمة من تشريع الحدود حفظ نظام المجتمع، وهذا لا يمكن تحقيقه إلا عن طريق سد طريق الفتنة، لهذا شرع الإسلام عقوبة المجرم منعاً لانتشار الفساد وككفارة لذنوبه. ومن الحكمة في ذلك حصول عدة أمور منها الاستقراء، فاستقراء أحكام الله سبحانه جعل العباد تتأكد من مراعاته لمصالحهم، لوجودها في تلك الأحكام، قال تعالى: « (رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ١٦٥)»(٢٣).

فالهدف من بعث مبشرين ومنذرين أي الرسل هو إقامة الحج على الناس وتعريفهم الحق حتى لا ينكروا ذلك(٢٤)، والعبادة هي غاية الخلق الأولى وهذا ما أشار إليه الله سبحانه بقوله: « (وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦)»(٢٥).

إن الغاية وجدت في الرسالات كلها. « (وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ)»(٢٦). وإن « القصد لا يستلزم عودة ثمرة المقصود إلى القاصد، ولذلك عندما نقول: قصد الشارع، يجب ألا يتطرق إلى الأذهان أن ثمرة معرفة الله وعبادته دون غيره ستعود إليه سبحانه وتعالى علواً كبيراً، بل إن جميع ثمرات التكليف العاجلة والآجلة تعود إلى المكلف، وهذا أمر واضح لا ريب فيه لأن الله غني عن العالمين»(٢٧)، ويشير القرآن الكريم إلى أن إرسال النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان رحمة للناس لإرشادهم وهدايتهم، يقول سبحانه: « (وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧)»(٢٨). وقد اقتضت حكمة الله سبحانه وإحسانه تعبد الخلق له، يقول تعالى: « (مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ)»(٢٩).

وهناك من زاد عليها مقاصد أخرى منها(٣٠):

١– الاهتداء لفهم التشريع ومقاصده بالصحابة.

٢– التعبيرات والاستفادة منها لمعرفة المقاصد.

٣– إدراك المقاصد بما يقتضيه لسان العرب. يقول الشاطبي: « ومجموع الضروريات خمسة وهي: حفظ الدين والنفس والمال والنسل والعقل، وقد قالوا إنها مراعاة في كل ملة»(٣١).

ومن ذلك إقامة الحدود لحماية الضرورات والمحافظة عليها. والجرائم هذه أوجب الشارع فيها الحد لأن ضررها يصل إلى الآخر، وهي تتفاوت في آثارها السلبية، كما تختلف عقوباتها في الدنيا حسب رأي المشرع(٣٢).

أما ابن حزم فقد جعل الحكمة من تشريع الحدود العقوبة والنكال والخزي والعذاب، والردع يحصل بالوعيد والتحريم في الآخرة(٣٣).

والشفاعة مطلوبة في الحدود ما لم تبلغ الإمام، يقول صلى الله عليه وآله وسلم : « تعافوا الحدود فيما بينكم، فما بلغني فقد وجب»(٣٤). وهذه الحدود تسقط بعدة أمور منها(٣٥):

١–أن عقوبات الحد مجمع عليها فقهياً، وهو درأها بالشبهات، فلا يمكن إقامة الحدود مع وجود شبهات ويجب الحيطة في ذلك، فدرء الحدود بها خير من إقامتها معها، يقول النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم : « ادرؤوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم فإن وجدتم للمسلم مخرجاً فخلوا سبيله، فإن الإمام أن يخطئ في العفو خير له من أن يخطئ في العقوبة»(٣٦).

« والشبهة ما يشبه الثابت وليس بثابت سواء أكانت في الفعل كمن وطئ امرأة ظنها حليلته، أو في المحل بأن يكون للواطئ فيها ملك أو شبهة ملك كالأمة المشتركة، أو الطريق بأن يكون حلالا عند قوم حراماً عند آخرين كالنكاح بلا ولي أو شهود»(٣٧).

٢– أن حد القذف يجب سقوطه بمجيء القاذف بشهداء أربعة يثبتون حدوث الزنا، وحتى اللعان يسقط حدّ القذف عن الزوج، لأنه شرع لدفع الحد عن الزوج(٣٨).

٣– حد الحرابة تسقطه التوبة عند تحققها قبل القدرة عليه.

٤– يسقط الحد بتراجع الشهود عن شهادتهم بعد الحكم وقبل الاستيفاء لأن تراجعهم يورث الشبهة.

٥– عند اجتماع أمرين من الجنس ذاته بدون اختلاف المقصود يدخل أحدهما في الآخر على الأغلب(٣٩).

الهوامش:

(١) ابن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، صفحة٢٠٥

(٢) وهبة الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، ٢٤/٧

(٣) الشاطبي، الموافقات، ٢٦٦/٢.

(٤) إبراهيم زكريا يونس، مقاصد الشريعة في الحدود الشرعية، صفحة٥٣.

(٥) ينظر: حكمة التشريع وفلسفته، أحمد الجرجاوي، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٩٩٧م، صفحة١٧٨،١٧٩.

(٦) ينظر: عماد عبد العاطي عبد الفتاح هدى، البعد الإنساني وبعض تطبيقاته الفقهية في الحدود الشرعية، دراسة فقهية مقارنة، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بكفر الشيخ، العدد الخامس، الإصدار الثاني، ٢٠٢١م، صفحة٨٠٩، ٨١٠.

(٧) الحجرات١٣.

(٨) ينظر: أحمد الجرجاوي، حكمة التشريع وفلسفته، صفحة١٩٨.

(٩) النور٤،٥.

(١٠) ينظر: صالح بن فوزان آل فوزان، الملخص الفقهي، صفحة٦٠٠.

(١١) ينظر: أحمد الجرجاوي، حكمة التشريع وفلسفته، صفحة٢٠١،٢٠٢.

(١٢) النور٤.

(١٣) النور٢.

(١٤) المائدة٣٣،٣٤.

(١٥) أخرجه النسائي في سننه، مكتبة المطبوعات الإسلامية، الطبعة الثانية، ١٩٨٦م، ٥١/٧، حديث رقم ٤٩٣٦

(١٦) أخرجه البخاري في صحيحه، دار الفكر للطباعة، ١٩٨١م، ٢٤٩٨/٦، حديث رقم ٦٤٢٧.

(١٧) أخرجه ابن ماجة، محمد بن يزيد القزويني، دار الفكر، بيروت، ٨٣٦/٢، حديث رقم ٢٥٤٠.

(١٨) وهبة الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، دار الفكر، دمشق، الطبعة الثالثة، ١٩٨٩م، ١٥/٧.

(١٩) أخرجه البخاري، حديث رقم ٣٧٧٧.

(٢٠) إبراهيم زكريا يونس، مقاصد الشريعة في الحدود الشرعية، الجامعة الإسلامية بالنيجر، إشراف: توري محمد، ٢٠١١م، صفحة٤٧.

(٢١) النساء١١٦.

(٢٢) البقرة٢١٧.

(٢٣) النساء١٦٥.
(٢٤) الشاطبي، الموافقات، دار ابن عفان، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م، ٢/٨١،٨٢.
(٢٥) الذاريات٥٦.
(٢٦) النحل٣٦.
(٢٧) يوسف حامد العالم، المقاصد العامة للشريعة، الدار العلمية للكتاب الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٩٩٤م، صفحة٨٢،٨٣.
(٢٨) الأنبياء١٠٧.
(٢٩) المائدة٦.
(٣٠) أحمد اليوبي، مقاصد الشريعة وعلاقتها بالأدلة الشرعية، دار الهجرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م، صفحة١٢٤.
(٣١) الشاطبي، الموافقات، ٢/ ١٠
(٣٢) عبد الرحمن بن عبد العزيز الرواد، العقوبات في الإسلام، سلسلة البحوث الإسلامية٣، منشورات الرئاسة العامة للكليات، صفحة١٩٤.
(٣٣) ابن حزم الظاهري، المحلى، دار الفكر للنشر والتوزيع، بيروت، د.ت، ١٢/٨٢.
(٣٤) أخرجه أبو داود في كتاب الحدود، ٤/٢٣٢.
(٣٥) إبراهيم زكريا يونس، مقاصد الشريعة في الحدود الشرعية، صفحة٤٣،٤٥.
(٣٦) أخرجه البيهقي في سننه، كتاب الحدود، مكتبة دار الباز، طبعة ١٩٩٤م، ٨/٢٣٨.
(٢٧) السيوطي، الأشباه والنظائر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، طبعة ١٤٠٣هـ، صفحة١٢٣.
(٣٨) عز الدين، قواعد الأحكام في شرح مصالح الأنام، ٢/ ٧٠.
(٣٩) السيوطي، الأشباه والنظائر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، طبعة ١٤٠٣هـ.، ١/١٢٦.

المصادر والمراجع :

القرآن الكريم
١. إبراهيم زكريا يونس، مقاصد الشريعة في الحدود الشرعية.
٢. إبراهيم زكريا يونس، مقاصد الشريعة في الحدود الشرعية، الجامعة الإسلامية بالنيجر، إشراف: توري محمد، ٢٠١١م.
٣. ابن حزم الظاهري، المحلى، دار الفكر للنشر والتوزيع، بيروت، د.ت.
٤. ابن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية.
٥. ابن ماجة، محمد بن يزيد القزويني، دار الفكر، بيروت.
٦. أحمد الجرجاوي، حكمة التشريع وفلسفته.
٧. أحمد اليوبي، مقاصد الشريعة وعلاقتها بالأدلة الشرعية، دار الهجرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.
٨. حكمة التشريع وفلسفته، أحمد الجرجاوي، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٩٩٧م.
٩. سنن البيهقي ، كتاب الحدود، مكتبة دار الباز، طبعة ١٩٩٤م.
١٠. سنن النسائي، مكتبة المطبوعات الإسلامية، الطبعة الثانية، ١٩٨٦م.
١١. السيوطي، الأشباه والنظائر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، طبعة ١٤٠٣هـ.
١٢. الشاطبي، الموافقات،دار ابن عفان، الطبعة الأولى، ١٩٩٧ .
١٣. صالح بن فوزان آل فوزان، الملخص الفقهي.
١٤. صحيح البخاري، دار الفكر للطباعة، ١٩٨١م.
١٥. عبد الرحمن السيوطي ، الاشباه والنظائر ،دار الكتب العلمية
١٦. عبد الرحمن بن عبد العزيز الرواد، العقوبات في الإسلام، سلسلة البحوث الإسلامية٣، منشورات الرئاسة العامة للكليات.
١٧. عز الدين، قواعد الأحكام في شرح مصالح الأنام.
١٨. عماد عبد العاطي عبد الفتاح هدى، البعد الإنساني وبعض تطبيقاته الفقهية في الحدود الشرعية، دراسة فقهية مقارنة، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بكفر الشيخ، العدد الخامس، الإصدار الثاني، ٢٠٢١م.
١٩. الفقه الإسلامي وأدلته، دار الفكر، دمشق، الطبعة الثالثة، ١٩٨٩م.
٢٠. يوسف حامد العالم، المقاصد العامة للشريعة، الدار العلمية للكتاب الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٩٩٤م.

Website address

White Dome Magazine

Republic of Iraq

Baghdad / Bab Al-Muadham

Opposite the Ministry of Health

Department of Research and Studies

Communications

managing editor

07739183761

P.O. Box: 33001

International standard number

ISSN3005_5830

Deposit number

In the House of Books and Documents (1127)

For the year 2023

e-mail

Email

off reserch@sed.gov.iq

hus65in@gmail.com

فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية العدد(٨)
السنة الثالثة صفر الخير ١٤٤٦هـ آب ٢٠٢٥م

General supervision the professor
Alaa Abdul Hussein Al-Qassam
Director General of the
Research and Studies Department editor
a . Dr . Sami Hammoud Haj Jassim
managing editor
Hussein Ali Muhammad Hassan Al-Hassani
Editorial staff
Mr. Dr. Ali Attia Sharqi Al-Kaabi
Mr. Dr. Ali Abdul Kanno
Mother. Dr . Muslim Hussein Attia
Mother. Dr . Amer Dahi Salman
a. M . Dr. Arkan Rahim Jabr
a. M . Dr . Ahmed Abdel Khudair
a. M . Dr . Aqeel Abbas Al-Raikan
M . Dr . Aqeel Rahim Al-Saadi
M. Dr.. Nawzad Safarbakhsh
M. Dr . Tariq Odeh Mary
Editorial staff from outside Iraq
a . Dr . Maha, good for you Nasser
Lebanese University / Lebanon
a . Dr . Muhammad Khaqani
Isfahan University / Iran
a . Dr . Khawla Khamri
Mohamed Al Sharif University / Algeria
a . Dr . Nour al-Din Abu Lihia
Batna University / Faculty of Islamic Sciences / Algeria
Proofreading
a . M . Dr. Ali Abdel Wahab Abbas
Translation
Ali Kazem Chehayeb